[illegible] وقف [illegible] مولانا المقام الشريف الملك الأشرف أبو
[illegible] تعالى [illegible] هذا الكتاب المسمى بفتوح مصر والشام والبهنسا
وجعل مقره [illegible] بمحل وشرط أن لا يخرج منها إلا برهن [illegible]

[illegible] فتوح [illegible]

برسم خزانة المقام
الشريف السلطان الأعظم
مالك رقاب الأمم المالك الملك
الأشرف أبي النصر قايتباي
عز نصره

النصر قايتباي
على طلبة العلم الشريف
بتاريخ سادس عشر
[illegible]
على مولانا المقام الشريف
[illegible]

شهد على المقام الشريف
عبد الرزاق بن أحمد

۴۴۴۴

شهدت على المقام الشريف [illegible]
[illegible] الأزهري

[illegible]

بسم [illegible]

قال أبو عبد الله محمد بن [illegible] الواقدي

رحمه الله حدثني أبو [illegible] محمد بن ا[illegible] سفيان النحوي قال
حدثني أحمد بن حميد قال أخبرني عمر بن عثمان بن عبد الرحمن
ابن يربوع المخزومي قال [illegible]ثني نوفل [illegible]مد بن إبرهيم بن
الحارث التيمي قال حد[illegible] محمد بن ميس[illegible] رويم العامري قال
حدثني ربيعة بن عثمان قال [illegible]ثني يونس [illegible] محمد المظفري قال
حدثني عامر بن يحيى بن عبد الله الزرقي [illegible] كلهم حدثوا
عن فتوح الشام وأخبروا بما كان قالوا [illegible] رضي الله عنهم
إنه لما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم استخلف من بعده
أبو بكر الصديق رضي الله عنه [illegible]ل في خلافته مسيلمة بن قيس
الذي ادعا النبوة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقتلت
أيضا سجاح والأسود العنسي وهرب [illegible] بن خويلد إلى الشام
قال الواقدي فعند ذلك جمع أبو [illegible] الصديق أصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم في المسجد [illegible] فيهم خطيبا فحمد الله
وأثنى عليه وقال أيها الناس رحمكم الله [illegible] أن الله تعالى فضلكم
بالإسلام وجعلكم من أمة محمد عليه أفضل [illegible]لاة والسلام

وزادكم إيمانا ويقينا ونصركم نصرا مبينا فقال عز من قائل
اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام
دينا واعلموا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان قد عول أن
يصرف جيوش المسلمين إلى الشام بأهاليهم وأموالهم فقبضه الله إليه
واختار له ما لديه واعلموا يا جماعة المسلمين أنني عازم أن أوجهكم
إلى الشام فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنبأني به قبل موته
فقال صلى الله عليه وسلم زويت لي الأرض كلها فرأيت
مشارقها ومغاربها وسيبلغ ملك أمتي ما زوي لي منها فما تقولكم
في ذلك فقالوا يا خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم مرنا بأمرك
ووجهنا حيث شئت فإن الله تعالى فرض علينا طاعتك فقال تعالى وهو
أصدق القائلين أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم
فلما سمع أبو بكر الصديق مقالتهم فرح بهم ونزل من على المنبر
وكتب الكتب إلى ملوك اليمن وأمراء العرب وأهل مكة وكتب
الكتب كلها نسخة واحدة فكان فيها مكتوب بسم الله الرحمن الرحيم
من عبد الله عتيق ابن أبي قحافة إلى سائر المسلمين سلام عليكم
فإني أحمد الله الذي لا إله إلا هو وأصلي على نبيه محمد صلى الله عليه
وسلم أما بعد فإني عولت أن أوجه جيوش الإسلام إلى الشام

إلى الجهاد في طاعة رب العباد فمن عول منكم على الجهاد فليب
طاعة الملك العلام **ثم كتب** انفروا خفافا وثقالا وجاهدوا
بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون ثم
بعث الكتب إلى قبائل العرب وملوك اليمن وأقام أبو بكر الصديق
ينتظر جواب الكتب وقدوم الجيوش وكان الذي بعثه بكتب أهل
اليمن أنس بن مالك خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم قال جابر
ابن عبد الله فما مضت إلا أيام قلائل حتى قدم أنس بن مالك يبشر
أبا بكر الصديق بقدوم أهل اليمن وقال يا خليفة رسول الله صلى الله
عليه وسلم ما قرأت كتابك على أحد من المسلمين إلا وبادر إلى طاعة
الله وأجاب دعوتك وقد تجهزوا في العدد والحديد والزرد
النضيد وقد أقبلت إليك يا خليفة رسول الله مبشرا بقدوم رجال
وأي رجال أجابوا إلى طاعة الله شعثا وغبرا وهم أبطال اليمن وأقيالها
وفرسانها وشجعانها وقد ساروا إليك بالتحف والرجال والنوق
والجمال وكأنك بهم وقد أشرفوا عليك ووصلوا إليك
فتأهب للقائهم فسر أبو بكر بذلك سرورا عظيما وأقام يومه
كله حتى إذا كان من غداة غد لاحت غبرة القوم لأهل المدينة
فأقبلوا على أبي بكر الصديق رضي الله عنه وبشروه بذلك

فركب أبو بكر الصديق وأمر الناس بالركوب لاستقبال جيوش المسلمين
فركب المسلمون من أهل المدينة وغيرها وأظهروا زينتهم وعددهم
ونشروا الأعلام فما كان إلا هنيهة حتى أشرفت الكتائب
والمواكب يتلوا بعضها بعضا قوم في أثر قوم وقبيلة في أثر قبيلة
فكان أول قبيلة ظهرت من قبائل اليمن حمير وهم بالدروع
السابرية والبيض العادية وهم قد توشحوا بالقسي العربية
وأمامهم ذو الكلاع الحميري فلما قرب من أبي بكر الصديق
رضي الله عنه أحب أن يعرفه بنفسه **فأنشد يقول**

إني لمن حمير فيمن تراه معي ⁂ أهل السوابق والعالون في النسب
أسد غطارفة الهيجا إذا ركبوا ⁂ يردوا الكماة بسمر الخط والقضب
الحرب عادتنا والضرب بغيتنا ⁂ والشام نسكنها بالرغم في الطلب
دمشق لي دون جمع الناس كلهم ⁂ وساكنيها وأهليهم إلى العطب

قال الواقدي فتبسم أبو بكر الصديق من كلام ملك
حمير ثم قال لعلي بن أبي طالب يا أبا الحسن إني سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول إذا أقبلت حمير ومعها نساؤها تحمل
أولادها فأبشروا بنصر المسلمين على أهل الشرك أجمعين قال علي
صدقت يا أبا بكر وأنا أيضا سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم

يقول ذلك وسارت حمير بكتائبها وأموالها وأقبلت النساء
وراءهم والأطفال والسرح والأغنام وأقبلت من بعدهم
قبائل مذحج أصحاب الرماح الرقاق والخيل العتاق وأمامهم
قيس بن هبيرة المرادي رضي الله عنه فلما وصل إلى أبي بكر
الصديق رضي الله عنه سلم عليه وأنشد يقول

أتتك كتائب منا سراعا ۞ ذوو الهيجا أعني من مراد ۞
نقدمنا أمامك كي ترانا ۞ نبيد الروم بالقضب الحداد ۞

قال الواقدي ۞ فجزاهم أبو بكر خيرا وتقدم بكتائبه
ومواكبه وأقبلت من بعدها كتائب طي يقدمها جابر
ابن سعيد الطائي رضي الله عنه فلما وصل إلى أبي بكر الصديق
رضي الله عنه هم أن يترجل عن جواده فأقسم عليه أبو بكر
أن لا يفعل ذلك فدنا من أبي بكر وسلم عليه وشكره
ثم أقبل من بعدهم دوس في خلق كثير ويقدمهم جندب
ابن عمر الدوسي رضي الله عنه فلما نظر أبو بكر الصديق
إلى أبي هريرة وهو متوشح بقوسه متقلد بكنانته تبسم أبو بكر
منه وقال يا أبا هريرة ما الذي أقدمك وأنت رجل قليل
الخبرة بالحرب فقال أبو هريرة يا صديق أتيت مع القوم رغبة

في الجهاد وأطلب من الله الثواب ۞ وأيضا أريد أن أكل من نواكه
الشام فزاد أبو بكر من كلامه تبسما وجاءت من بعدهم بنوا عبس
يقدمهم أميرهم ميسرة بن مسروق العبسي رضي الله عنه وأقبلت
من بعدهم كنانة يقدمهم أميرهم قثم بن أسلم الكناني
وتتابعت قبائل اليمن يتلوا بعضها بعضا ومعهم نساؤهم وأولادهم
ومواشيهم فلما نظر أبو بكر الصديق رضي الله عنه إلى
كثرتهم فرح بهم فرحا شديدا وشكر الله تعالى ۞ ثم
نزل القوم حول المدينة كل قبيلة معتزلة عن صاحبتها
وتزايد القوم وأضر بهم المقام من قلة الزاد وعلف الخيل
وجدوبة الأرض فاجتمع القوم وتشاوروا فيما بينهم وقالوا
انطلقوا بنا إلى أبي بكر الصديق نسأله أن يسرحنا إلى الشام
فقد أضر بنا المقام فأقبلوا بأجمعهم إلى أبي بكر الصديق
رضي الله عنه فسلموا عليه وجلسوا بين يديه ۞ ثم التفت
بعضهم إلى بعض لينظروا أيهم يخاطبه قال الواقدي ۞
كان أول من تكلم منهم وبدأ بالكلام كان قيس بن
هبيرة المرادي رضي الله عنه وقال يا خليفة رسول الله صلى الله
عليه وسلم إنك أمرتنا بأمرك فأسرعنا طاعة لله تعالى ولك

وَرَغْبَةً فِي الْجِهَادِ وَقَدْ تَكَامَلَ جَيْشُنَا وَفَرَغْنَا مِنْ أُهْبَتِنَا وَأَيَّامُ
أَضَرَّ بِنَا لِأَنَّ بِلَادَكَ لَيْسَ بِبَلَدِ خُفٍّ وَلَا حَافِرٍ وَلَا عَيْشٍ لِعَسْكَرٍ
نَازِلٍ فَإِنْ تَكُ قَدْ بَدَا لَكَ فِيمَا عَزَمْتَ عَلَيْهِ أَمْرٌ فَأْمُرْنَا بِالرُّجُوعِ
إِلَى بِلَادِنَا وَأَقْبَلَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ يُخَاطِبُهُ بِهَذَا الْكَلَامِ
فَلَمَّا فَرَغُوا مِنْ كَلَامِهِمْ قَالَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ رَضِيَ اللَّهُ
عَنْهُ يَا أَهْلَ الْيَمَنِ وَمَنْ حَضَرَ مِنْ غَيْرِهِمْ أَمَا وَاللَّهِ مَا أُرِيدُ
بِكُمْ إِلَّا خَيْرًا وَإِنَّمَا أُرِيدُ تَكَامُلَكُمْ قَالُوا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ
لَمْ يَبْقَ مِنْ وَرَائِنَا أَحَدٌ فَاعْزِمْ عَلَى بَرَكَةِ اللَّهِ وَعَوْنِهِ **قَالَ
الْوَاقِدِيُّ** لَقَدْ بَلَغَنِي أَنَّ أَبَا بَكْرٍ الصِّدِّيقَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ
قَامَ مِنْ سَاعَتِهِ يَمْشِي عَلَى قَدَمَيْهِ وَحَوْلَهُ جَمَاعَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ
مِنْهُمْ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَامَ مِنْ سَاعَتِهِ يَمْشِي عَلَى
قَدَمَيْهِ وَعُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ وَعَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ ❁ وَسَعِيدُ
ابْنُ أَبِي وَقَّاصٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ ❁ وَأَمْثَالُهُمْ مِنَ الْأَوْسِ
وَالْخَزْرَجِ وَخَرَجُوا إِلَى ظَاهِرِ الْمَدِينَةِ وَوَقَعَ النِّدَاءُ فِي النَّاسِ
وَكَبَّرَ الْمُسْلِمُونَ بِأَجْمَعِهِمْ فَرَحًا بِالْجِهَادِ ❁ فَأَجَابَتْهُمُ الْجِبَالُ
لِدَوِيِّ أَصْوَاتِهِمْ ❁ فَعِنْدَ ذَلِكَ عَلَا أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ رَضِيَ اللَّهُ
عَنْهُ عَلَى رَبْوَةٍ عَالِيَةٍ حَتَّى أَشْرَفَ عَلَى النَّاسِ ❁ وَنَظَرَ

إِلَيْهِمْ وَهُمْ مَلَؤُوا الْأَرْضَ فَتَهَلَّلَ وَجْهُهُ فَرَحًا وَقَالَ اللَّهُمَّ أَنْزِلْ
عَلَيْهِمُ الصَّبْرَ وَأَيِّدْهُمْ بِالنَّصْرِ وَلَا تُسْلِمْهُمْ إِلَى عَدُوِّهِمْ إِنَّكَ
عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ❁ **قَالَ الْوَاقِدِيُّ** فَادَّعَا أَبُو بَكْرٍ
الصِّدِّيقُ بِيَزِيدَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ وَعَقَدَ لَهُ رَايَةً وَضَمَّ إِلَيْهِ أَلْفَ
فَارِسٍ ثُمَّ ادَّعَا مِنْ بَعْدِهِ بِرَجُلٍ مِنْ بَنِي عَامِرٍ وَكَانَ فَارِسًا
مَشْهُورًا بِالْحِجَازِ فَعَقَدَ لَهُ رَايَةً وَضَمَّ إِلَيْهِ أَلْفَ فَارِسٍ ❁ ثُمَّ
أَقْبَلَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ عَلَى يَزِيدَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ وَقَالَ
لَهُ هَذَا الرَّجُلُ رَبِيعَةُ بْنُ عَامِرٍ مِنْ ذَوِي الْعُلَا وَالْمَآثِرِ
وَالشَّرَفِ وَالْمَفَاخِرِ قَدْ عَلِمْتَ شَجَاعَتَهُ وَصَوْلَتَهُ ❁ وَقَدْ ضَمَمْتُهُ
إِلَيْكَ وَأَمَّرْتُكَ عَلَيْهِ فَاجْعَلْهُ قُدَّامَكَ وَشَاوِرْهُ فِي أَمْرِكَ
وَلَا تُخَالِفْهُ فَقَالَ يَزِيدُ بْنُ أَبِي سُفْيَانَ حُبًّا وَكَرَامَةً **قَالَ
الْوَاقِدِيُّ** فَأَسْرَعَتِ الْأُلُوفُ إِلَى لُبْسِ السِّلَاحِ وَاجْتَمَعَ
كُلُّ أَلْفٍ تَحْتَ رَايَةِ أَمِيرِهِ وَرَكِبَ يَزِيدُ بْنُ أَبِي سُفْيَانَ
وَرَبِيعَةُ بْنُ عَامِرٍ وَأَقْبَلَا بِقَوْمِهِمَا وَأَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ يَمْشِي
مَعَهُمَا فَقَالَ يَزِيدُ يَا خَلِيفَةَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
إِنَّنَا نَسْتَحِي أَنْ نَرْكَبَ وَأَنْتَ تَمْشِي فَإِمَّا أَنْ تَرْكَبَ وَإِمَّا
أَنْ نَنْزِلَ ❁ فَقَالَ لَهُمْ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مَا أَنَا

راكب وما أنتم بنازلين ولكن أحتسب خطاي هذه في سبيل
الله عز وجل وسار أبو بكر الصديق رضي الله عنه إلى أن وصل إلى
ثنية الوداع فوقف وتقدم إليه يزيد بن أبي سفيان وقال له
يا خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم أوصنا بوصية
ننتفع بها في الدنيا والآخرة فقال أبو بكر يا يزيد
إذا سرت لا تعنف أصحابك في السير ولا تغضب قومك
وشاورهم في الأمر واستعمل العدل وباعد عنهم الظلم
فإنه لا أفلح قوم ظلموا وإذا لقيتم العدو فلا تولوهم
الأدبار واعلموا أن الله عز وجل قال ومن يولهم يومئذ دبره
إلا متحرفا لقتال أو متحيزا إلى فئة فقد باء بغضب من الله
وإذا نصرتم على عدوكم فلا تقتلوا وليدا ولا شيخا كبيرا
ولا امرأة ولا طفلا ولا تقربوا نخلا ولا تحرقوا زرعا ولا
تقطعوا شجرا ولا تعقروا بهيمة إلا بهيمة المأكول
ولا تغدروا إذا عاهدتم ولا تنقضوا إذا صالحتم
وستمرون على أقوام في الصوامع رهبانا يزعمون أنهم
ترهبوا لله فدعوهم لأنفسهم ولا تقتلوهم ولا تهدموا
صوامعهم وستجدون قوما آخرين وهم حزب الشيطان

وعبدة الأوثان قد حلقوا أوساط رؤوسهم فاعلوها بسيوفكم
حتى يرجعوا إلى الإسلام أو يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون
وقد أودعتكم إلى الله ثم صافح يزيد وربيعة بن
عامر وقال يا ربيعة أظهر شجاعتك وبراعتك على بني
الأصفر بلغكم الله آمالكم وغفر لنا ولكم
ونصركم على عدوكم قال الواقدي وسار
القوم ورجع أبو بكر الصديق بمن معه إلى المدينة
فلما أبعد يزيد بن أبي سفيان عن المدينة عنف أصحابه في
المسير الشديد فقال له ربيعة بن عامر يا يزيد ما هذا السير
وقد أمرك أبو بكر الصديق رضي الله عنه أن ترفق بالمسلمين
في المسير فقال يزيد يا ابن عامر إن أبا بكر سيعقد العقود
فأردت أن أسبق الناس إلى الشام فعسى نفتح فتحا قبل تلاحق
الناس بنا فنجمع بذلك ثلاث خصال رضى الله عز وجل ورضى
الخليفة وغنيمة تغنموها فقال له ربيعة ابن عامر سر بنا
ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم فأخذ القوم في المسير
وكان سيرهم على وادي القرى على الأقرع ليخرجوا
على تبوك إلى الجابية إلى دمشق قال الواقدي واتصل

الخبر بالملك هرقل أن خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم قد بعث
إليك الجيوش ويريد أن يملك بلادك وكان الذي
أخبر هرقل بخبر المسلمين عرب من المتنصرة كانوا بالمدينة فلما
صح الخبر جمع الملك هرقل بطارقته وحجابه وقال لهم يا بني
الأصفر اعلموا أن دينكم على الانصرام ولقد كنتم تأمرون
بالمعروف وتنهون عن المنكر وتقيمون حدود الله كما
أمركم في الإنجيل لا جرم إنما أمركم بشيء إلا فعلتموه
واعلموا أنما قصدكم ملك من ملوك الدنيا ونازعكم
على الشام إلا قهرتموه وغلبتموه ولقد قصدكم كسرى بن
هرمز بجنود فارس فانكسر وقصدتكم الترك فولوا منهزمين
وكذلك الجرامقة وقد قصدكم قوم لم يكن في
الأمم أضعف منهم ولم تكن أنفسنا تحدثنا أنهم ينازعوننا
في ملكنا وقد رماهم الجوع والقحط إلى بلادنا
ثم إن الملك هرقل حدث قومه بما سمع من جواسيسه فقالوا
أيها الملك ابعثنا إليهم لنصدهم عن مرامهم ونصل إلى
مدينة نبيهم ونهدم كعبتهم ولا ندع منهم أحدا
قال الواقدي فلما رأى الملك نشاطهم وتبين له

جاءتهم جردة منهم ثمانية آلاف فارس من أشجع فرسانهم وأمر
عليهم أربعة من البطارقة الأول اسمه الناطليق وأخوه جرجس
والآخر لوقا بن سمعان والآخر صليبا وهو صاحب غزة وعسقلان
وكانوا هؤلاء الأربعة تضرب بهم الأمثال في الشجاعة
فتدرعوا وأظهروا زينتهم وعددهم وصلت عليهم الأقسة
صلاة النصر وقالوا اللهم انصر من كان منا على الحق وبخروهم
ببخور كنائسهم ورشوا عليهم من ماء المعمودية وودعهم
الملك هرقل وسار أمامهم العرب المتنصرة يدلونهم على
الطريق قال الواقدي حدثني رفاعة ابن عامر عن جده
ياسر ابن الحصين قال بلغني أن أول من وصل إلى تبوك
كان يزيد بن أبي سفيان وربيعة بن عامر ومن معهما من
المسلمين كانوا قد وصلوا إليها قبل وصول الروم بثلاثة
أيام فلما كان اليوم الرابع وقد همت الصحابة رضي الله
عنهم بالرحيل إلى الشام إذ أقبل جيش العدو فلما نظر
المسلمون غبرة القوم أخذوا على أنفسهم الحذر وأكمن
ربيعة بن عامر بأصحابه الألف فعند ذلك رتب يزيد أصحابه
الألف ووعظهم وذكرهم آلاء الله سبحانه وتعالى ونعمه

عليهم وقال اعلموا أن الله عز وجل قد وعدكم النصر وأيدكم
بالملائكة في مواطن كثيرة قال تعالى في كتابه العزيز
كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله والله مع الصابرين
وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الجنة تحت ظلال السيوف
وأنتم أول جند دخل الشام وتوجه لقتال بني الأصفر وكأنكم
بجيوش المسلمين وقد لحقت بكم فإياكم أن تطمعوا أحدا فيكم
وانصروا الله ينصركم **قال الواقدي** فبينما يزيد
ابن أبي سفيان يعظ قومه وإذا بطليعة القوم قد أقبلت
وجيوشها قد أتت فلما نظر الروم إلى قلة العرب طمعوا فيهم
وحسبوا أن ما لهم كمين فبربر بعضهم على بعض بالرومية
وقالوا دونكم ومن يريد أخذ بلادكم وأموالكم
وهتك حريمكم وقتل ملوككم واستنصروا بالصليب ينصركم
ثم حمل الروم فالتقتهم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
بهمم عالية وقلوب غير وانية ودام القتال بينهم
وتكاثرت الروم على المسلمين وظن أعداء الله أنهم غلبوا
إذ خرج عليهم ربيعة بن عامر وقد أعلنت أصحابه بالتهليل
والتكبير والصلاة على البشير النذير وحملوا على خيولهم

العربية وأعلنوا بتوحيد رب البرية فلما عاينت الروم المسلمين
وقد خرجوا من الكمين انكسرت هممهم وألقى الله تعالى الرعب في
قلوبهم فرجعوا إلى ورائهم فنظر ربيعة ابن عامر إلى الناطليق
وهو يحرض قومه على القتال فعلم أنه طاغية الروم فحمل عليه
بقلب قوي وحصان جري وطعنه طعنة صادقة فوقعت في
جنبه الأيمن طلع السنان يلمع من جانبه الأيسر فوقع على الأرض
صريعا وعجل الله بروحه إلى النار ووقع النصر على أصحاب النبي
المختار عليه أفضل الصلاة والسلام **قال الواقدي** حدثني
رفاعة بن عثمان عن جده سعيد بن يربوع عن أبيه مؤمل بن محمد عن
جده إبراهيم بن الحارث عن أبيه عبد الله بن مسلم عن جده شداد
ابن أوفى قال كنت في الخيل الذي أنفذها أبو بكر الصديق
رضي الله عنه مع يزيد بن أبي سفيان رضي الله عنه وربيعة بن عامر
والتقينا نحن والروم في أطراف تبوك وهزمهم الله على أيدينا
فقتل منا مائة وعشرون رجلا أكثرهم من السكاسك قال
وإن الروم لما انهزمت قال لهم جرجس أخو الناطليق يا ويلكم
بأي وجه ترجعون إلى الملك وما لاقانا إلا طليعة القوم وقد
فتكوا فينا وقتلوا كبارنا وملؤوا الأرض من قتلانا وما كنت

بالذى أرجع حتى أخذ بنا راخى الناطليق أو ألحق به فاجتمع الروم
ورجع بعضهم إلى بعض وعادوا إلى القتال وأظهروا زينتهم
فلما استقروا في الخيام بعثوا رجلا من العرب المتنصرة اسمه
القداح بن واثلة التنوخي وكان جرجس قد قال له امض
إلى بني عمك وقل لهم يبعثوا لنا رجلا من كبارهم ويكون
من عقلائهم حتى ننظر ما الذى يريدون منا فركب القداح
ابن واثلة جواده وأقبل إلى جيش المسلمين فلما رآه المسلمون
مقبلا إليهم استقبله رجال من الأوس وقالوا له ما الذى تريد
فقال إن بطارقة الملك يريدون رجلا منكم يكون فصيحا
ليخاطبوه بما يعود إليه صلاح الفئتين فأخبروا يزيد بن أبي سفين
وربيعة بن عامر فقال ربيعة بن عامر أنا أسير إلى القوم فقال
يزيد بن أبي سفيان يا ربيعة لا نأمن عليك لأنك قتلت كبيرهم
بالأمس فقال ربيعة قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا هو
مولانا وعلى الله فليتوكل المؤمنون وإني أوصيك
والمسلمين أن تكون همتهم عندى فإن رأيتم القوم غدروني
وحملت فيهم فاحملوا الحملة ثم ركب ربيعة بن عامر رضي الله عنه
جواده وودع أصحابه وسار حتى أتى جيش الروم فقال له القداح

عظم جيش الملك إذا وصلت إليه وانزل عن جوادك قال له ربيعة
ما كنت بالذى أنزل من العز إلى الذل ولست أسلم جوادى وما
كنت بنازل إلا على باب سرادق الملك وإلا رجعت من حيث
جئت فإننا لم نبعث إليكم بل أنتم بعثتم إلينا فرجع القداح
وأعلم جرجس بما تكلم به ربيعة فقال بعضهم لبعض لقد صدق
العربي في قوله دعوه يدخل كيف أراد فنزل ربيعة بن عامر
على باب السرادق وجثا على ركبتيه ومسك عنان جواده بيده
فقال له جرجس يا أخا العرب لم تكن أمة أضعف منكم عندنا
وما كنا نحدث أنفسنا أنكم تغزون إلينا فما الذى تريدون
منا قال له ربيعة نريد منكم أن تدخلوا في ديننا وتقولوا
بقولنا فإن أبيتم ذلك فأعطوا الجزية فإن أبيتم ذلك
فالسيف بيننا وبينكم قال له جرجس فما منعكم أن تقصدوا
الفرس وتدعوا الصداقة بيننا وبينكم قال له ربيعة إننا
بدأنا بكم أولا لأنكم أقرب إلينا من أهل فارس وإن الله
عز وجل أمرنا بذلك في كتابه العزيز فقال تعالى قاتلوا الذين
يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة قال له جرجس ألكم كتاب
أنزل عليكم فقال له ربيعة بن عامر نعم كما أنزل الإنجيل

على عيسى فقال له جرجس هل لك أن تعقد الصلح بيننا وبينكم لا
تغزون إلينا ولا نغزى إليكم ونعطى كل واحد منكم دينارا ووسقا
من طعام ونعطى لأميركم مأة دينار وعشرة أوسق من طعام
وتكتبوا بيننا وبينكم كتاب الصلح فقال له ربيعة لا سبيل الى
ذلك وما بيننا وبينكم إلا السيف أو أداء الجزية أو الإسلام
فقال جرجس أما ما ذكرت من دخولنا فى دينكم فلا سبيل إلى ذلك
أو نهلك عن آخرنا لأنا لا نريد بديننا بدلا وأما أداء الجزية
فإن الموت أهون علينا من ذلك وما أنتم بأشهى منا للقتال
والحرب والنزال فإن فينا البطارقة وأولاد العمالقة
رجال الحرب وأرباب الطعن والضرب ثم قال جرجس لحاجبه
على بالقس صقلية وكان الملك هرقل قد بعث معهم قسا
عظيما إسمه صقلية عارفا بدينهم مجادلا عن شريعتهم فأتى
به الحاجب فلما استقر به المقام قال له جرجس يا أبانا
استخبر لنا هذا الرجل عن دينهم وشريعتهم فقال صقلية
يا أخا العرب إنا نجد فى كتبنا إن الله عز وجل يبعث
نبيا عربيا هاشميا قرشيا وعلامته أن الله يسرى به إلى السماء
أكان ذلك أم لا قال ربيعة نعم إن الله عز وجل

قد أسرى به إليه وقد ذكر ذلك فى كتابه العزيز **فقال تعالى**
سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى
الذى باركنا حوله قال القس إنا نجد فى كتبنا أن الله
تعالى فرض عليه وعلى أمته شهرا يقال له رمضان أكان
ذلك أم لا فقال ربيعة نعم قد افترضه الله علينا وقد ذكر
ذلك فى كتابه العزيز **فقال تعالى** يا أيها الذين آمنوا كتب
عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون
وقال شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات
من الهدى والفرقان **قال** القس إننا نجد فى كتبنا أن الله
عز وجل إذا عمل الرجل من أمة هذا النبى حسنة فكانت بعشر
وإن عمل سيئة كتبت عليه بسيئة واحدة **فقال** ربيعة قد ذكر
ذلك فى كتابه العزيز **فقال تعالى** من جاء بالحسنة فله عشر
أمثالها ومن جاء بالسيئة فلا تجزى إلا مثلها **قال** القس
إننا نجد فى كتبنا أن الله عز وجل يأمر أمته بالصلاة عليه
قال ربيعة قد ذكر ذلك فى كتابه العزيز **فقال تعالى**
إن الله وملائكته يصلون على النبى يا أيها الذين آمنوا صلوا
عليه وسلموا تسليما فتعجب صقلية من كلام ربيعة

ابن عامر وقال للبطارقة إن الحق مع هؤلاء العرب ❀ فبينما هو
كذلك إذ دخل رجل من البطارقة وقال أيها الملك
إن هذا البدوي هو الذي قتل أخوك الناطليق فلما سمع
بذلك جرجس إزورت عيناه وغضب غضبا شديدا وهم
أن يثب على ربيعة ابن عامر ففهم ربيعة ذلك فوثب من مكانه
وركب جواده وضرب بيده إلى قايم سيفه فضرب جرجس
فجندله قتيلا وعجل الله بروحه إلى النار وتسارعت البطارقة
إلى ربيعة بن عامر وقد ركب جواده وحمل فيهم ❀ فلما نظر
يزيد بن أبي سفين إلى الغبرة وقد قامت قال لأصحابه إن
أعداء الله قد غدروا بصاحبنا فدونكم وإياهم فحمل
المسلمون على الروم واختلط الجيش بالجيش وصبرت الروم
لقتال المسلمين فبينما هم في القتال إذا أشرفت عليهم جيوش
المسلمين مع شرحبيل ابن حسنة كاتب وحي رسول الله صلى الله
عليه وسلم فلما نظر المسلمون إلى إخوانهم المسلمين وهم
في القتال مع الروم حملوا حملة واحدة وداروا بالروم وملكت
سيوفهم من أقفيتهم **قال الواقدي** ولقد بلغني أن
الثمانية ألاف الذي هم جيش الكفار لم ينج منهم أحد لأن

العرب التقطوهم بسيوفهم وسوابق خيولهم ثم إن المسلمين احتووا
على أموالهم وسوادقهم وخزائنهم فلما نزل المسلمون واستقر بهم
المقام سلموا على شرحبيل ومن معه فقال شرحبيل لنبعث بجميع ما أخذنا
من الروم إلى أبي بكر الصديق رضي الله عنه إلا العدة والسلاح
فإن المسلمين يتقوون بها وبعث يزيد بن ربيعة مع الغنيمة شداد ❀
ابن أوس في خمس ماية فارس وأقاموا في أرض تبوك حتى تلاحق
الجيش بهم **قال الواقدي** وإن شداد بن أوس وصل
إلى المدينة الشريفة فلما عاين المسلمون أموال الروم وقلايعهم ❀
رفعوا أصواتهم بالتهليل والتكبير والصلاة على البشير النذير
حتى سمع أبو بكر ضجة المسلمين فسأل عن الخبر فأعلموه بقدوم
شداد بن أوس ومن معه فنزلوا على باب المسجد وصلوا ركعتين
وسلموا على قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم أقبلوا إلى أبي بكر
الصديق رضي الله عنه وسلموا عليه وهنوه بالفتح والنصر وأعلموه
بقصة الروم وما كان منهم فسجد أبو بكر شكرا لله عز وجل
ثم جهز المسلمين بما وصل إليه من الغنيمة ثم كتب كتابا إلى أهل
مكة يستدعيهم إلى الجهاد في سبيل الله وكان في كتابه
بسم الله الرحمن الرحيم من عند أبي بكر عتيق ابن أبي قحافة

إلى المسلمين من أهل مكة ومن حولها سلام عليكم فإني أحمد الله الذي
لا إله إلا هو وأصلي على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم أما بعد
فإني استنفرت المسلمين إلى جهاد عدوهم وفتح بلاد الشام وقد
كتبت إليكم لتسارعوا إلى مرضات ربكم سبحانه
وتعالى واعلموا أن الله عز وجل قال وهو أصدق القائلين انفروا
خفافا وثقالا وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله ذلكم
خير لكم إن كنتم تعلمون واعلموا أنها نزلت فيكم وأنتم
أحق بها وأولى من صدق بقولها وأقام بحكمها فمن نصر دين الله
فالله ناصره ومن بخل بذلك استغنى الله عنه والله غني حميد فسارعوا
إلى جنة عالية قطوفها دانية أعدها الله للمهاجرين والأنصار
ومن اتبع سبيلهم وحسبنا الله ونعم الوكيل وختم الكتاب
بخاتم رسول الله صلى الله عليه وسلم ودفعه إلى عبد الله بن حذافة
فأخذه وسار إلى أن وصل إلى مكة وصرخ في أهلها فاجتمعوا
فدفع إليهم الكتاب فأخذوه وقرأوه فقام سهيل بن عمرو والحارث
ابن هشام وعكرمة بن أبي جهل وقالوا أجبنا داعي الله وصدقنا
قول رسول الله صلى الله عليه وسلم وأما الحارث ابن هشام فإنه
قال والله لا أتخلف عن نصرة دين الله وأما عكرمة بن أبي

جهل فإنه قال إلى متى نثبط أنفسنا وقد سبقنا في المواطن كلها
وفاز من فاز بالسبق فإن كنا قد تأخرنا عن السباق فعسى أن نكتب
في اللحاق ثم خرج عكرمة في أربعة عشر من قومه من بني مخزوم
وخرج عامر بن هشام ولحق بهم القوم من أهل مكة
وهم خمسمائة رجل وكتب أبو بكر كتابا إلى الطايف
وهوازن فخرجوا في أربعمائة رجل **قال الواقدي**
رضي الله عنه حدثني عبد الله بن سعيد اللخمي عن أبي عامر
الهوازني قال كنا بالطايف إذ قدم علينا كتاب خليفة
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقرئ علينا فأجاب منا أربعمائة
رجل من هوازن وثقيف فسرنا حتى قدمنا وفد مكة وكان
جملتنا نحن وأهل مكة تسعمائة رجل ما منا من يقول
إلا أنه يلقى تسعمائة فارس من الروم فسرنا حتى قدمنا المدينة
ونزلنا بالبقيع وأخبر أبو بكر الصديق بقدومنا فبعث إلينا
رسوله فقال لنا انتقلوا إلى مواطن أصحابكم يعني شرحبيل
ويزيد وربيعة وكانت منزلتهم في الجرف فتحولنا إليها وأقمنا
هناك عشرين يوما والوفد يقدم علينا قال شداد بن أوس ثم
خرج علينا أبو بكر الصديق في جميع المهاجرين والأنصار

وهو يمشي بينهم فقام فيهم خطيبا فحمد الله تعالى وأثنى عليه بما
هو أهله ثم قال أيها الناس إن الله عز وجل كتب على المؤمنين
الجهاد فريضة من الله والثواب عند الله عظيم فلتحسنوا نياتكم
لتعظم حسناتكم وسارعوا إلى مغفرة من ربكم
ومن مات أو قتل فأجره على الله **قال الواقدي** قلت
لأبي عامر صف لي أبا بكر الصديق قال كان أبو بكر الصديق
رجلا أسمر نحيفا طويلا خفيف اللحية **قال الواقدي** وحضرت
قبيلة حضرموت في أربعمائة رجل وكتب أبو بكر الصديق
إلى الأضيف بن أسلمة وإلى بني كلاب يدعوهم إلى الجهاد
في سبيل الله فقام فيهم الضحاك بن سفيان بن عوث الكلابي
وقال معاشر بني كلاب اتقوا الله وانفروا إلى خليفة
رسول الله صلى الله عليه وسلم ونصرة هذا الدين العظيم فقام
رجل من بني كلاب وكان شيخا كبيرا وكان قد دخل الشام
مرارا فقال إنك تدعونا إلى غزو قوم لهم عز وقوة وعدد
وخيول معدة وكيف للعرب طاقة بقتالهم مع قلة عددهم
وجموعهم وضعفهم فقال الضحاك بن سفيان كان رسول الله صلى الله
عليه وسلم لم ينصر بعدد ولا بسلاح ولكن نصرا لدين الله

الذي بعثه به ولقد شهد رسول الله صلى الله عليه وسلم بدرا في
ثلثمائة فارس وثلاثة عشر رجلا فالتقى قريشا في عددها وعددها
وخيلها وسلاحها ولم تزل رايته منصورة حتى قبضه الله صلى الله
عليه وسلم وقد قام خليفة من بعده أبو بكر الصديق رضي الله
عنه وقد رأيتم إقدامه على أهل الردة وكيف قهرهم
بالسيف وقد كنتم عنده وعند المسلمين غير محمودين إذ لم
تنصروا المسلمين كما نصره غيركم فناشدتكم الله أن لا تجعلونا
سبة للعرب فإنه ليس في العرب أعد منكم بالإبل والخيل
والعدد والسلاح فاتقوا الله وأجيبوا خليفة رسول الله صلى
الله عليه وسلم **قال الواقدي** فلما سمعت بني كلاب كلام
صاحبهم انفتحت بصائرهم وسمحوا بالخروج فلبسوا أسلحتهم
وأخذوا أهبتهم وركبوا الخيل ودخلوا المدينة وتلقاهم
أبو بكر الصديق وقد خرج لتوجه الناس إلى الشام
فلما رآهم أبو بكر فرح بهم وعقد لسيدهم الضحاك بن
سفيان راية وأمره أن يلحق بعسكر المسلمين وكان قد
قدم الضحاك بن سفيان بخيل وإبل هدية إلى أبي بكر الصديق
يستعين بها على الجهاد في سبيل الله فنظر أبو بكر الصديق رضي الله

عنه إلى خيلهم كلها شقر ففرح بذلك فرحا شديدا وقال سمعت رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقول خيل اليمن شقر محجلة طلقة وقال وتعرت
الصارخة من العرب وخرجوا أبناء المهاجرين والأنصار وتكامل الناس
بالجرف وقد عزم أبو بكر الصديق أن يقدم على جيوش المسلمين
أمين الأمة أبا عبيدة عامر بن الجراح رضي الله عنه وأراد
أن يقدم على طوالع الجيش أميرا فعزم أن يعقد الراية
لسعيد بن خالد وكان سعيد بن خالد غلاما نجيبا وذلك
أن سعيد بن خالد أتى إلى أبي بكر الصديق رضي الله عنه وقال
يا خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم إنك إذا أردت
أن تعقد لأبي خالد راية ويكون قايدا من قوايد جيشك
فتكلم فيه المتكلمون فعزلته حين راجع في بيعتك وقد
حبس نفسه في سبيل الله عز وجل وإني قد حبست نفسي في
سبيل الله عز وجل ولم أزل مجيبا لدعوتك فهل أنت تقدمني
على هذا الجيش فوالله لا يراني الله وانيا ولا عاجزا في الحرب
وكان سعيد غلاما نجيبا أنجب من أبيه فعقد له أبو بكر
راية وأمره على ألف فارس من العرب **قال الواقدي**
حدثني واقد بن أبي ياسر عن يزيد بن أبي رومان قال لما سمع أبو حفص

عمر بن الخطاب رضي الله عنه كلام سعيد بن خالد وأنه حرص على
أن يكون أميرا كره له عمر ذلك وأقبل عمر بن الخطاب على أبي
بكر الصديق رضي الله عنهما وقال يا خليفة رسول الله صلى الله
عليه وسلم عقدت لسعيد بن خالد راية على من هو خير منه ولقد
سمعته يقول عند ما عقدت له على رغم الأعادي والله لتعلم أنه ما
يقول بهذا القول لأحد غيري وبالله ما تكلمت في أبيه ولا
عاديته وكره أبو بكر أن يعزل سعيدا وكره أيضا أن يخالف
عمر رضي الله عنه لمحبته له ونصحه ومنزلته عند رسول الله صلى الله
عليه وسلم فوثب أبو بكر قايما على قدميه ودخل على عايشة
رضي الله عنها فأخبرها بخبر عمر وما كان من كلامه فقالت له
عايشة رضي الله عنها يا أبت قد علمت أن عمر رضي الله عنه يريد
بقوله النصح لرب العالمين وما في قلبه بغض لأحد من المسلمين
فقبل أبو بكر قول عايشة رضي الله عنها وخرج من عندها
وادعى أبو بكر الصديق بأبي أروى الدوسي وقال له
امض إلى سعيد بن خالد وقل له أبو بكر يقول لك رد علينا
رايتنا قال عبد الله بن عمر بن خالد كنت في ذلك
الجيش فصلى بنا سعيد بن خالد صلاة الصبح بالجرف إذ أقبل

أبو أروى الدوسي وقال له أبو بكر يقول لك رد إلينا رايتنا
قال فردها سعيد وقال والله لأقاتلن تحت راية أبي بكر الصديق
حيث كانت ومع من كانت فإني قد جعلت نفسي حبسا في الجهاد
في سبيل الله عز وجل **قال الواقدي** ثم إن أبا بكر أجال
فكره فيمن يقدمه طليعة إلى جيش أبي عبيدة فتقدم إليه سهل
ابن عمرو وعكرمة بن أبي جهل والحارث بن هشام وأبي
سفيان صخر بن حرب وهم شاكون في السلاح يرومون أن يعقد
لهم أبو بكر فتقدم الحارث بن هشام إلى عمر بن الخطاب
وقال يا أبا حفص إنك كنت في شدتك علينا سيفا مضيا وأما
اليوم فقد هدانا الله لدينه وما نراك إلا قاطعا رحما وإن الله
عز وجل أمر بصلة الرحم فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه
إنا لا نقدم إلا أهل السابقة لسبقهم فقال سهل ابن عمرو
فإذا كنتم لا تقدمون إلا أهل السابقة لسبقهم فكل
نفقة أنفقناها على حرب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم لننفقن
موضعها نفقتين ولنقفن مكان كل وقفة وقفناها مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم وقفتين على أعداء الله فقال عكرمة بن أبي
جهل يا معاشر المسلمين أشهدكم أني قد جعلت نفسي حبسا

في الجهاد في سبيل الله ومن معي من مال وبنين ولا نرجع عن القتال
والجهاد أبدا فقال أبو بكر رضي الله عنه بلغهم الله أفضل ما
يؤملون ثم إن أبا بكر الصديق رضي الله عنه إذ دعا بعمرو
ابن العاصي رضي الله عنه فسلم إليه الراية وقال له قد وليتك
على هذا يعني أهل مكة والطائف وهوازن وثقيفا وبني
كلاب وحضرموت فانصرف بهم إلى أرض فلسطين وكاتب
أبو عبيدة وأنجده إن أرادك ولا تقطع أمرا إلا بمشورته امض
بارك الله فيك وفيهم فأقبل عمرو بن العاصي على عمر بن الخطاب
رضي الله عنه وقال يا أبا حفص أنت تعلم شدتي على العدو
وصبري على القتال فلو كلمت الخليفة أن يجعلني أميرا على
جيوش المسلمين وقد رأيت منزلتي عند رسول الله صلى الله
عليه وسلم وإني أرجو من الله عز وجل أن يفتح على يدي
البلاد ويهلك الأعادي فقال عمر رضي الله عنه وما
كنت بالذي أكذبك ولا أكلم أبا بكر في ذلك
وما يسرني أن تكون أميرا على أبي عبيدة وأبو عبيدة أفضل
منزلة وأقدم منك سابقة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو عبيدة أمين

هذه الأمة فقال عمرو بن العاصي وما ينقص من قدر أبي عبيدة إذا كنت
متوليا عليه فقال له عمر رضي الله عنه ويحك يا عمرو إنما تريد
بقولك هذا إلا الرياسة في الدنيا والشرف في الآخرة فاتق الله
ولا تطلب إلا شرف الآخرة ووجه الله تعالى فقال عمرو ابن
العاصي رضي الله عنه إن الأمر كما ذكرت ثم إن أبا بكر
أمر الناس بالركوب والمسير تحت راية عمرو بن العاصي رضي الله
عنه وتقدم أهل مكة وتبعها بنو كلاب وطي والأصاحي
وثقيف وهوازن وتخلف المهاجرون والأنصار أن يسيروا
تحت راية أبي عبيدة بن الجراح وقدم عمرو بن العاصي على
مقدمة جيشه سعيد بن خالد رضي الله عنهم أجمعين

ذكر وصية أبي بكر الصديق رضي الله عنه

لعمرو بن العاصي رضي الله عنه قال أبو الدرداء رضي الله عنه
كنت مع عمرو بن العاصي رضي الله عنه فسمعت أبا بكر
رضي الله عنه يقول له ويوصيه يا عمرو اتق الله في سرك
وعلانيتك وناجيه في خلوتك فإنه يرى عملك وقد رأيت
تقدمي لك على أهل السابقة وأعظم حرمة لك فكن من
عمال الآخرة ولا ترد بعملك إلا وجه الله تعالى وكن كالوالد

لمن معك وارفق بهم في سيرك وتعاهدهم بنفسك فإن فيهم
أهل ضعف وأنت تسير سيرا بعيدا والله ناصر دينه ليظهره على
الدين كله ولو كره المشركون فإذا سرت بجيشك هذا فلا تسر
في الطريق الذي سار فيها شرحبيل ويزيد وربيعة واسلك
طريق ايلية حتى تنتهي إلى أرض فلسطين وإن كان يريد أبو
عبيدة نصرتك فابعث إليه جيشا في أثر جيش وقدم سهل ابن
عمرو وعكرمة بن أبي جهل والحارث بن هشام وسعيد بن
خالد وإياك أن تكون وانيا فيما ندبتك إليه وإياك
والوهن وأن تقول رماني أبو بكر بن أبي قحافة في نحر
العدو ولا طاقة لي بقتالهم وقد رأيت يا عمرو في مواطن كثيرة
نلاقي من نلاقي من كتائب المشركين ونحن في قلة عدد
ثم رأيت يوم حنين وما نصرنا الله عليهم واعلم يا عمرو
إن معك من المهاجرين والأنصار من أهل بدر فأكرمهم
واعرف حقهم ولا تتطاول عليهم بسلطانك ولا يداخلك
نخوة الشيطان وإياك وخدايع النفس وكن كأحدهم
وشاورهم في الأمر وفيما تريد من أمرك والصلاة ثم الصلاة
أذن لها إذا دخل وقتها ولا تصلي صلاة إلا بأذان تسمعه

أهل عسكرك ثم ابرز وصل بهم فمن رغب في الصلاة معك
فذلك أفضل له ومن صلاها في رحله أجزأته صلاته واحذر
من عدوك وأمر أصحابك بالحرس نوبا ثم لتكن بعد ذلك أنت
المطلع عليهم متعاهدا لهم وأطل الجلوس بالليل في أصحابك
وإذا عاقبت فلا تلج في العقوبة ولا تهملهم فيتجرؤوا عليك
ولا تضرب سوطا وأنت تجد السبيل الى تركه فانك لا
تأمن من رجل يلحق بالعدو فيكون عليك عدوا وعونا ❁ ولا
تكشف أسرار الناس وكن محترزا في أمرك واصدق الله
إذا لاقيت العدو وقدم الوصية في القول وإذا وعظت
أصحابك فأوجز وأصلح نفسك تصلح رعيتك فإن الامام منفرد
إلى الله بفعله وعمله وإني وليتك على من مررت به من العرب
واجعل كل قبيلة على جهتها وكن لهم كالوالد الرفيق وتعاهد
عسكرك في سيرك وقدم بين يديك طلايعك ليكونوا أمامك
وخلف خلفا على الناس ممن ترضاه ❁ وإذا لاقيت
العدو فاصبر ولا تتأخر فيكون ذلك عجزا وألزم أصحابك
قراءة القرآن وامنعهم من ذكر الجاهلية وما كان منها ❁
فإن ذلك مما يورث العداوة بينهم وأعرض عن زهرة الحياة

الدنيا حتى تلقى من مضى من سلفك الطاهرين الخمص البطون
وكن من الأئمة الممدوحة في القرآن إذ يقول الله عز وجل
وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا وأوحينا إليهم فعل الخيرات
وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وكانوا لنا عابدين ❁ قال
أبو الدرداء رضي الله عنه وكان أبو بكر رضي الله عنه يوصي
عمرو بن العاصي رضي الله عنه وأبو عبيدة حاضر ثم قال أبو بكر
سيروا على بركة الله وعونه **قال الواقدي** وسار عمرو
ابن العاصي في تسعة آلاف فارس يريد فلسطين كما ذكرنا
فلما أبعد عمرو بن العاصي بيوم عن المدينة عقد أبو بكر
الألوية والرايات لأبي عبيدة عامر بن الجراح وأمره على
جميع العساكر وأمره بالمسير بمن معه إلى أرض الجابية
وقال يا أمين الأمة قد سمعت ما وصيت به عمرو بن العاصي قال
أبو عبيدة نعم يا أمير المؤمنين ❁ ثم إن أبا بكر أمره بالمسير
بعد أن ودعه وودع المسلمين وسار أبو عبيدة رضي الله عنه
ثم سار أبو بكر وادعا خالد بن الوليد رضي الله عنه وعقد
له راية النبي صلى الله عليه وسلم العقاب وكانت راية
سوداء وأمره على لخم وجذام وضم إليه جيش الزحف وعدة

جيش الزحف تسع مائة فارس ما منهم إلا من شهد الوقايع وخاض الملاحم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال يا أبا سليمان قد أمرتك على هذا الجيش فاقصد بهم أرض إيليا وفارس وأرجو أن الله ينصرك ويفتح على يديك إن شاء الله ثم ودعه وودع من معه من المسلمين وسار خالد رضي الله عنه يطلب العراق **قال الواقدي** رضي الله عنه حدثني رويم بن عامر قال حدثني سعيد بن عاصم قال حدثني عبد الرحمن بن يسار عن الوقصي عن سيف مولى ربيعة بن قيس اليشكري ❁ قال كنت في الجيش الذي وجه به أبو بكر الصديق مع عمرو بن العاصي إلى أرض فلسطين وكان حامل رايته سعيد بن خالد ❁ فرأيته قد هز الراية في يده وهو يترنح يمينا وشمالا على ظهر جواده

❁ ويقول شعرا ❁

أتينا عصبة من خير قوم ❁ إلى الطاغين من أهل الشام ❁
وعباد الصليب وشر جيل ❁ سأمنحهم جلادا من حسام ❁
ونطعن بالمقومة العوالي ❁ ولا نخشى البوايق في الزحام ❁
وما أملي سوى جنات ربي ❁ وأرجو أن تكن دار السلام ❁

قال الواقدي حدثني مازن بن عمرو قال أخبرني مالك بن جندب عن الثقات ممن رووا فتوح الشام أن الذي أنشد هذه الأبيات كان شرحبيل بن حسنة أنشدها يوم وجهه أبو بكر الصديق في أثر يزيد بن أبي سفيان وربيعة بن عامر **قال الواقدي** ولما بعث أبو بكر الصديق رضي الله عنه جيوش المسلمين مع أمرائهم إلى الشام وإلى العراق ورجع أبو بكر إلى المدينة وهو يدعو لها ولا بالنصر ❁ أخذه القلق على المسلمين حتى عرف ذلك في وجهه فقال له عثمان بن عفان رضي الله عنه يا أمير المؤمنين ❁ ما هذا الغم الذي نزل بك قال له أبو بكر اغتممت على جيوش المسلمين وإنني أرجو أن ينصرهم الله على عدوهم ولا يلحق ابن أبي قحافة بسببهم غم قال له عثمان يا أمير المؤمنين ما خرج جيش واغتممت بسببه مثل هذا الجيش الذي سار إلى الشام وذلك بما أوحى الله إلى نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وليس لقوله خلف فقال أبو بكر والله لقد أعلم أن قول رسول الله صلى الله عليه وسلم حق وليس فيه خلف وإنهم سيظهرون على الروم وبات الصديق تلك الليلة فرأى في منامه كأن عمرو بن العاصي في حرة ضرسة هو وأصحابه ثم قصد عمرو فوجة فحمل فيها هو وأصحابه

فإذا هم في أرض واسعة خضرة فنزلوا وأراحوا خيولهم فيها وانتبه
أبو بكر رضي الله عنه من منامه وقص رؤياه على عثمان بن عفان
فقال له عثمان بن عفان رضي الله عنه يا أمير المؤمنين إن
رؤياك تدل على فتح إلا أنه يوشك أن يلقى عمرو من قتال
المشركين مشقة عظيمة ثم يخلص منها

ذكر وقعة فلسطين

وما جرى لعمرو بن العاصي فيها هو ومن معه من المسلمين **قال
الواقدي** وكانت قافلة التجار تنزل بالمدينة في
الجاهلية والإسلام يقدمون بالبر والشعير والزيت والخرنوب
وما يكون في الشام من الخيرات فقدمت بعض التجار
المدينة وأبو بكر يستنفر العرب وينفذ الجيوش إلى الشام
وسمعوا كلام أبي بكر الصديق لعمرو بن العاصي وهو يقول
له عليك بإيليا وفلسطين فساروا بالخبر إلى الملك
هرقل والخبر من قتل بتبوك قال فلما سمع الملك هرقل
بذلك جمع أرباب دولته وبطارقته وحجابه
وأعلمهم بالحديث الذي وصل إليه وقال
يا بني الأصفر هذا الذي حذرتكم منه قديما وإن أصحاب

هذا النبي لا بد أن يملكوا ما تحت سريري هذا وقد قرب
الوقت وإن أصحابكم قد قتلوا بأرض تبوك وإن خليفة رسول الله
صلى الله عليه وسلم قد بعث إليكم الجيوش وكأنكم بهم
وقد أتوا بجنود نحوكم فخذوا على أنفسكم وقاتلوا
عن دينكم وأهلكم فلما سمع قومه قوله ذلك
بكوا لفقد أصحابهم فقال لهم الملك دعوا البكا
عنكم فإنه لا يصلح إلا للنساء فإن تهاونتم ملكت
العرب دياركم وأخذت أموالكم وقتلت ملوككم
فقال له بعض حجابه أيها الملك قد أردنا أن تدعو
إلينا بعض من قدم عليك بهذا الخبر فأمر الملك بإحضارهم
فلما حضروا حدثهم المتنصر بجميع ما كان من أمر المسلمين
فقال الملك للمتنصر هل رأيت أبا بكر صاحب
محمد وخليفته قال المتنصر نعم رأيته واشترى
مني شملة بأربعة دراهم وألقاها على كتفه ونظرت
إليه كأحدهم يمشي في ثوبين يطوف الأسواق
ويدور على الناس يأخذ الحق من القوي للضعيف
والناس عنده كلهم سواء فقال له هرقل صف لنا

صفته قال هو رجل طويل أدمي اللون خفيف العارضين عاري البدن
فضحك هرقل وقال هو صاحب احمد الذي كنا نجد في كتبنا
إنه يقوم من بعده بهذا الأمر ونجد أن يقوم من بعد أبي بكر
رجل أحور طويل كالأسد الوثاب تكون على يديه الذمة
والخلافة ❁ فشهق المتنصر من كلام هرقل وقال أيها الملك
إن هذا الرجل الذي ذكرته معه لا يفارقه ❁ قال الملك صح
الأمر وقد دعوت قومي إلى الرشد والفلاح فأبت أن تطيعني
وأن الروم سوف تخرج من أرض سورية ❁ ثم عقد صليبا من
ذهب وسلمه إلى قائد جيشه وكان اسمه روبيس وقال له
قد وليتك على جيوشي فسر وامنع العرب عن فلسطين فإنها
بلد مباركة كثيرة الخصب وهي تاجنا وعزنا قال فتسلم
روبيس ذلك الصليب وسار من يومه إلى أجنادين وأتته الروم
من كل جانب ومكان **قال الواقدي** هذا ما كان
من أمر الروم وأما ما كان من عمرو بن العاص فإنه ارتحل
حتى نزل بأرض فلسطين هو ومن معه وقد عجفت خيولهم
فوقعت الخيل في بلد طيبة ونبت وزرع فرعت خيولهم فيه ❁
وزال عجفها فلما نزل عمرو بفلسطين جمع المهاجرين والأنصار

إليه وعا[illegible] في أمره فبينما هم في المشورة إذ أقبل إليه عامر
ابن عدي وكان من خيار المسلمين وكان قد عرف بلاد
الروم وداس أرضهم فلما أشرف على المسلمين داروا به
ووقفوه بين يدي عمرو بن العاص ❁ فنظر إليه فعرفه فقال له
ما وراءك يا عامر فقال ورائي عساكر النصرانية من المتنصرة
وغيرهم وهم عدد قطر المطر وورق الشجر على جياد الخيل
فقال عمرو يا هذا الرجل قد ملأت قلوب الناس رعبا وإنا
نستعين عليهم بالله فكم يكون العدد قال عامر أيها الأمير
إني علوت على شرف من الجبال فرأيت من الصلبان والرايات
والرماح والأعلام ما قد ملأ وادي الأحمر وهو أعظم
واد بأرض فلسطين وهم أكثر من مائة ألف وهذا ما عندي
من الخبر ومن أعذر فقد أنذر فلما سمع عمرو بن العاص ذلك
قال استعنا عليهم بالله ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ❁
ثم أقبل عمرو على من حضر من كبار المسلمين وقال أيها الناس
إني وإياكم في هذا الأمر سواء فاستعينوا بالله على أعدائه
وقاتلوا عن دينكم وشريعة نبيكم فمن قتل منا كانت له الشهادة
ومن عاش منا عاش سعيدا لما أنتم قاتلون فتكلم كل رجل بما تكلم

عنده فقالت طائفة منهم وهم أهل البادية ... كان
عمرو قد استنفرهم فقالوا أيها الأمير ازحف بنا إلى البرية حتى
نكون في بطن البيداء فإن الروم لا يقدرون على الدهماء ولا
على فراق القرى والحصون ❁ قال سهل بن عمرو إن هذه
مشورة رجل عاجز في الحرب ❁ وقالت رجال من المهاجرين
والأنصار لقد كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم نهزم
الجمع الكثير بالجمع القليل وقد وعدكم الله النصر ❁ وأمركم
بالصبر وما وعد الله إلا خيرا ❁ وقد قال الله عز وجل
قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة
ونحن في نحر العدو وقد ساروا يريدون قتالنا وحربنا
قال ـــــ عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما
أما أنا فلا رجعت عن قتال من كفر بالله ولا رددت يميني
عنهم فمن شاء فلينهض معي ومن شاء فليرجع ومن ينكص على عقبيه
فإن الله من ورائه بالمرصاد ❁ فلما سمع عمرو بن العاص كلام
المسلمين من أهل مكة وكلام عبد الله بن عمر فرح فرحا شديدا
وقال أحسنت يا ابن الفاروق وكأنك قد عزمت على ما في
نفسي ونطقت عن غامض سري ولقد رأيت أن أقدمك على

رجال من المسلمين لتكونوا طلائع لنا وتعرفوا لنا خبر هذا الجيش
[illegible]كا وهل نجد إلى غرتهم من سبيل فقال له عبد الله بن عمر أيها
الأمير [illegible] بذلك فإني لا أبخل بنفسي في سبيل الله عز وجل فعقد
له راية وضم إليه ألف فارس من الصحابة وغيرهم وفيهم
رجال من بني كلاب وأهل الطائف وأمره بالمسير فأخذ
عبد الله بن عمر بن الخطاب الراية وسار وجعل يجد في السير
إلى الصباح من الغد وإذا بغبرة قد لاحت لهم فقال عبد الله بن
عمر لأصحابه خذوا حذركم فهذه غبرة عسكر وأظنها طليعة
عسكر الروم ثم وقف عبد الله ووقف أصحابه أمامه فقال له
قوم من عرب البادية أتركنا ننظر هذه الغبرة فقال لا يفترق
بعضكم من بعض حتى نرى ما هي فوقف المسلمون وإذا بالغبرة قد
قربت وانكشفت عن عشرة آلاف من الروم قد بعثهم روبيس
مع البطريق من أصحابه فلما نظر عبد الله بن عمر قال لأصحابه لا
تمهلوهم أما لا بد لكم منهم وإن الله عز وجل ينصركم عليهم ❁
واعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف فاغشوا القوم بقول لا إله إلا الله
محمد رسول الله فلما رفعوا أصواتهم لجاوبهم الشجر والمدر
والحجر وحملوا على المشركين ❁ فكان أول من حمل عكرمة بن أبي

بمفصل وتبعه سهل ابن عبد الله وحمل العراك بن سفيان وصاح برجاله
وتبعهم المهاجرون والانصار والتقى الجمعان وعلى الغبار
بين الفريقين قال عبد الله بن عمر رضي الله عنه
الوقعة اذ نظرت الى فارس من الروم كأنه القضاء المبرم
وهو كالجبل الجليد وهو يركض بفرسه يمنة ويسرة
فقلت ان يكن للعجز عنه فهذا عين القوم وصاحب الطلائع
فحملت عليه وقصدت تلقائه اليه فقربه فرسه من الرمح قال
عبد الله بن عمر فبادرته بضربة فطاولته الى ان تحرّوت سيفي وصرت
ناته ووقيتها بخفي وضربته ضربة سمعت لشدتها للسيف طنينا
وخشيت على سيفي ان يكون قد انفلّ من قوة الضربة وعطفت
الى عدو الله وهو دابح من قوة الضربة فاثنيت عليه بضربة
ثانية فاجدلته صريعا وعجل الله بروحه الى النار ثم تكاثفت
عليه فأخذت لامة حربه فلما رأيت الروم صاحبهم صريعا داخلهم
الفزع والخوف والجزع فلله در الحارث بن سفيان والحارث
بن هشام لقد أبليا بلاء حسنا فما كان الا قليل حتى من الله
المؤمنين اكتاف المشركين وانقلبوا على اعقابهم راجعين
ولقد قتل المسلمون منهم قتلا منكرا واسروا اسرا عظيما ❀

واجتمع المسلمون بعضهم الى بعض وجمعوا الاسلاب والغنائم وافتقدوا
عبد الله بن عمر بن الخطاب فلم يروه ولم يجدوا له خبرا قال قائل لقد
قتل يعلم ذلك انا وقائل لقد اسر وقائل قال ما يفجع الله به الا خيرا لحسن
زهده وعبادته ❀ وقال قائل ان كنا اصبنا في عبد الله فما
يسوى هذا الفتح ولا شعرة من بدنه وكان ذلك في المساء
والظلام قد اظلم ❀ قال عبد الله بن عمر بن الخطاب كان ذلك
كله وانا وراء الراية اسمع كلامهم فاعلنت بالتكبير والصلاة على
البشير النذير وهززت الراية فلما نظر المسلمون الى الراية انعطفوا
الي وقالوا اين كنت ايها الامير فقلت اني اشتغلت بقتال
صاحب جيشهم فقالوا والله افلح وجهك فهذا والله فتح رزقنا الله
اياه ببركتك فقال لهم عبد الله وبوجوهكم يا اولاد العم

قال الواقدي وحاز المسلمون الاموال والغنائم والاساري
والاسلاب وكان عدة الاسارى ستمائة اسير وقتل من المسلمين
ستة انفس منهم سراقة بن عدي ونوفل بن عامر وسعيد بن قيس وسالم
مولى عامر بن يزيد اليربوعي وعبد الله بن خويلد المازني وواثلة
ابن خالد بن عمرو الحضرمي واوس بن اسلمة الهوازني فواراهم
المسلمون التراب بعد ان صلى عليهم عبد الله بن عمر بن الخطاب

رضي الله عنه ورجع المسلمون إلى عمرو بن العاص وحدثوه بما كان
ففرح وشكر الله تعالى على ذلك واستدعا بالأسارى واستنطق
من كان يعرف بالعربية ولم يكن فيهم من يعرف بلسان العرب إلا
ثلاثة أشخاص فسألهم عن خبر الملك هرقل فقالوا اعلموا يا معاشر
المسلمين إن الملك هرقل أرسل بطريقاً من بطارقته اسمه
روبيس في مائة ألف من الروم وقد أمره الملك أن لا يدع
أحداً من العرب يصل إلى أيلية وإن روبيس بعث هذا البطريق
في عشرة آلاف فارس طليعة إلى عسكره وقد قتلتموه ❀
وكفاكم روبيس وقد أقبل إليكم يقاتلكم عن آخركم
فإنه ليس في أصحاب سرير الملك مثله فقال عمرو بن العاص نسأل
الله أن يقتل بمثل ما قتل غيره ثم أعرض عليهم الإسلام فما أسلم
منهم أحد فضربت أعناقهم وصاح بالمسلمين استعدوا للحرب
والقتال فإن الروم قاصدون إليكم قال أبو الدرداء رضي الله عنه
فبتنا تلك الليلة فلما أصبح الله بالصباح رحلنا فما سرنا غير فرسخ
إلا وقد أشرف علينا تسع صلبان تحت كل صليب عشرة
آلاف فارس ❀ فلما أشرف الجيش على الجيش أقبل عمرو بن العاص
يرتب أصحابه فجعل الضحاك بن سفيان وأصحابه في الميمنة وجعل

في الميسرة سعيد بن خالد وأقام على الساقة أبا الدرداء وثبت
عمرو بن العاص في القلب ومعه أهل مكة من المهاجرين والأنصار
وأمر الناس بقراءة القرآن وقال لهم اعلموا أن الله عز وجل يريد
أن يبلوا أخباركم فاصبروا على بلاء الله وارغبوا في ثواب الله
وجنته وجعل يصفهم ويرتبهم عمرو ولا يخرج عنان عن عنان
ولا ركاب عن ركاب كأنهم بنيان مرصوص وهم يقرؤون
القرآن والنور يلمع من نواصي خيولهم فشم منهم رائحة النصر
قال أبو الدرداء وكان أول من برز من جيش المسلمين سعيد بن
خالد وهو ابن أخي عمرو بن العاص من أمه فلما برز نادى ارتفع
صوته أبشروا يا أهل الشرك والطغيان ثم حمل في الميمنة
ألجأها إلى الميسرة وقتل رجلاً وجندل آخر ثم حمل فيهم فزعزع
صفوفهم فحمل الروم عليه حملة عظيمة وحازوا بينه وبين
القوم فقتلوه رحمة الله عليه وعجل الله تعالى بروحه إلى
الجنة ❀ فلما نظر المسلمون إلى سعيد بن خالد وقد قتلوه الروم
حزنوا عليه حزناً شديداً وكان أكثرهم حزناً عمرو بن العاص
فقال قتل سعيد وا سعيداه لقد اشترى من الله نفسه ثم قال
عمرو يا فتيان العرب من يحمل معي هذه الحملة حتى ننظر ما يكون

من أمرنا فأسرع بالإجابة الضحاك بن سفيان وذو الكلاع الحميري
وعكرمة بن أبي جهل والحارث بن هشام ومعاذ بن جبل وأبو
الدرداء وعبد الله بن عمرو والأصيد بن سلمة ونوفل بن دارم بن
عمرو من بني الحارث وسعيد بن عبادة الخضري من بني النجار وسالم
ابن أروى من حضرموت والأصهب بن شداد الهوازني وعوف
بن الصامت لحمة بني مذحج وكعب بن عبد الله ورجال من المهاجرين
والأنصار وعمر بن جندب وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل فحملوا
رضي الله عنهم حملة رجل واحد قال عبد الله بن عمر بن الخطاب
وحملت مع القوم وكان عدتنا تسعون سيدا حتى قربنا من
الروم فحملنا وحمل القوم وكان في جيش الروم كالشامة البيضاء
في جنب البعير الأسود وكان شعار المسلمين يوم فلسطين لا
لا إله إلا الله محمد رسول الله يا رب محمد انصر أمة محمد قال
أبو الدرداء رضي الله عنه فلقد اشتغلنا بالحرب عن تعاهد نسائنا
ولقد كان أحدنا يضرب أخاه أو عدوه ولا يعرفه من كثرة
القتال وكانت وقعة عظيمة وقد ظهر المشركون على
المسلمين وثبت المسلمون في قتالهم وفوضوا أمرهم إلى الله تعالى
وما كان أحد من المسلمين يضرب ضربة إلا وضميره ناطق بالله

يقول اللهم انصرنا على من يتخذ معك إلها آخر قال عبد الله بن عمر ولم يزل
الحرب يعمل بيننا وبينهم إلى وقت الزوال وهبت الرياح والناس في
الحرب إذ نظرت إلى السماء وأنا أدعو بدعاء علمني إياه رسول الله
صلى الله عليه وسلم إذ نظرت كأن السماء انفتح فيها باب وخرج
منه خيول شهبا تحمل رايات خضرا أسنتها تلمع بريقا ومنادي
النصر ينادي يا أمة محمد أبشروا بنصر الله قال ابن عمر
نصرت هذه الأمة بدعاء نبيها ورب الكعبة فما كان
غير بعيد إذ نظرت إلى الروم منهزمة على أعقابها إلا أن
دواب العرب أسبق من دواب الروم فقتلنا في وقعة فلسطين
ووادي الأخشم بالترب من الجولان قريبا من خمسة عشر ألفا
أو أكثر ولم نزل في آثارهم إلى الليل هذا وعمرو بن
العاصي قد فرح بذلك فرحا شديدا بنصر المسلمين على المشركين
وقلبه متعلق بالمسلمين بإسراعهم ورأى عدوهم قال عمر بن عوات
فنظرت إلى عمرو بن العاصي والراية في يده وقد أرخى القناة
على عاتقه وهو يحركها بيده ويقول من يرد الناس إلى رد الله
ضالته فنظرت إلى العرب وفي راجعة كرجعة الأسد على
رابع الغنم فاستقبلهم عمرو بن العاصي بأبي هذه الوجوه التي

تعبت في رضى ربها أما كان لكم كفاية بما فعل لكم المسلمون حتى تبعتم
المنهزمين فقالوا أيها الأمير إنا ما طلبنا الغنيمة بل طلبنا الحرب
والجهاد فلما رجع المسلمون من وراء المنهزمين لم يكن همهم إلا افتقاد
بعضهم بعضا ففقد من المسلمين مائة وثلاثون رجلا منهم سعيد
ابن عباد الحضرمي ونوفل بن عامر بن عوف وسالم بن ذويب
والأصهب بن شداد وغيرهم من أهل اليمن ومن أهل المدينة
وأعلم عمرو بن العاص من قتل من المسلمين فقال إنا لله وإنا
إليه راجعون ثم ندب الناس إلى الصلاة حتى كان أمر أبو بكر
الصديق فصلى ما فاته بأذان وإقامة ثم قال عبد الله بن
عمر رضي الله عنه أقسم بالله إن كان صلى ورائه إلا القليل
بل صلى كل واحد في رحله من شدة التعب ولم يجمعوا من الغنائم
إلا القليل وبات الناس تلك الليلة فلما أصبح الصباح أذن
عمرو وصلى بهم صلاة الصبح وأمر الناس بجمع الغنائم وأن
يخرجوا إخوانهم المقتولين من بين الروم فجعلوا يلتقطونهم
التقاطا فأخرجوا مائة وثلاثين رجلا وطلبوا سعيد بن خالد في
القتلى فلم يجدوه ولم يعرفوه فقام عمرو بن العاص وفتش
عليه بين الروم فوجده قد وطئته الخيل بسنابكها حتى

هشمت عظامه وهشمت وجهه فلما نظر إليه بكى وقال رحمك الله
فلقد نصحت لدين الله وأديت النصيحة ثم جعله في جملة المسلمين
وصلى عليهم عمرو وجماعة المسلمين ثم أمر بدفنهم وذلك قبل
أن يبيعوا شيئا من الغنائم فعند ذلك جمع الغنائم وكتب
كتابا إلى أبي عبيدة عامر بن الجراح يقول فيه بسم الله الرحمن الرحيم
من عمرو بن العاص بن وائل السهمي إلى أمير الجيوش أبي عبيدة
عامر بن الجراح **أما بعد** فإني أحمد الله الذي لا إله إلا
هو وأصلي على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وإني قد وصلت
إلى أرض فلسطين ولاقينا جيش الروم مع بطريق اسمه روبيس
في مائة ألف فمن الله علينا بالنصر وقتلنا منهم خمسة عشر ألفا
وقتل من المسلمين مائة وثلاثون رجلا أكرمهم الله تعالى
بالشهادة وإني مقيم بعسكري في أرض فلسطين فإن احتجت
إلي سرت إليك والسلام عليك وعلى من معك من المسلمين ورحمة الله
وبركاته ثم طوى الكتاب وختمه ودفعه إلى عامر الدوسي
وأمره بالمسير إلى أبي عبيدة فأخذ عامر الكتاب وسار به فلما وصل
إلى أبي عبيدة سلم عليه فقال له أبو عبيدة ما وراءك يا عامر
قال خير هذا كتاب من عند عمرو بن العاص يخبرك بما فتح الله

على يديه فأخذ أبو عبيدة الكتاب فلما قرأه خر ساجداً لله تعالى وفرح
بنصر المسلمين ثم قال أبو عبيدة قتل والله من المسلمين رجال وأي
رجال فيهم سعيد بن خالد بن سعيد قال أبو عامر الدوسي وكان
خالد أبو المقتول قاعداً بين يدي أبي عبيدة فلما سمع بأن ولده
قتل جمع نفسه وصرخ صرخة عظيمة وقال وا ولداه وجعل
يبكي حتى بكت الناس لبكائه ثم أسرع إلى فرسه فركبه
وعزم على المسير إلى أرض فلسطين لينظر إلى قبر ولده فقال
له أبو عبيدة يا خالد إنك لركن من أركان المسلمين
وكيف تسير وتدعهم فقال إنما أنظر إلى قبر ولدي وأرجو
أن ألحق به فسكت عنه أبو عبيدة وكتب كتاباً إلى عمرو بن
العاصي يقول فيه بسم الله الرحمن الرحيم سلام عليك فإني
أحمد الله الذي لا إله إلا هو وأصلي على نبيه محمد صلى الله عليه
وسلم أما بعد يا عمرو فإنما أنت مأمور فإن كان
أبو بكر أمرك أن تكون معنا فسر إلينا وإن كان أمرك
بالثبات فاثبت والسلام عليك ورحمة الله وبركاته وطوى
الكتاب وسلمه إلى عامر الدوسي فأخذه وسار معه خالد أبو
المقتول إلى أن أتيا إلى جيش عمرو بن العاصي فدفع خالد الكتاب

إلى عمرو وهو يبكي فوثب إليه عمرو وصافحه ورفع منزلته وعزاه في
ولده فقال خالد أيها الناس أروني سيف ولدي سيفه ورمحه
من دماء الكفار فقالوا له نعم لقد قاتل وما قصر وجاهد
عن الدين ونصر فقال خالد أروني قبره فقام على القبر وصاح
يا ولدي رزقني الله الصبر عليك وألحقني بك ثم استرجع
وقال إنا لله وإنا إليه راجعون ثم قال والله إن
أمكنني الله لآخذن بثأرك يا ولدي احتسبتك عند الله
ثم إن خالداً قال لعمرو بن العاصي أريد أن أسير بسرية
خلف الروم الذين انهزموا فلعلي أجد منهم فرصة أو غنيمة
أو رجالاً أقتلهم فأكون قد أخذت بثار ولدي فقال
له عمرو إن الحرب بين يديك فقال خالد والله لا بد من سيري
وراءهم ولو لم يكن لي مساعد ثم أخذ خالد أهبته للمسير
فعند ذلك ضم إليه عمرو بن العاصي من قومه مائتي فارس من
أقيال حمير وأمرهم بالمسير مع خالد فساروا من يومهم فبينما هم
وقد أداموا السير في بعض الأودية ليلحقوا على دوابهم
ثم يسيروا إذ نظر خالد بن سعيد إلى أغنام على الجبل وكان
الجبل عالياً منيعاً فقال خالد بن سعيد كيف لنا بالوصول إليهم

وهم على ذروة الجبل وهو عال منيع ونحن في بطن هذا الوادي ثم
قال خالد كونوا في أماكنكم ثم نزل عن فرسه وتقلد
بسيفه وتنكب بجحفته والتحف بإزاره وقال اعلموا أن القوم
ما نظروا إلينا ولو كانوا نظروا إلينا ما ثبتوا في أماكنهم
فمن كان منكم ينزل عن فرسه فلينزل ويصنع كما صنعت
فابتدر إليه عشر فوارس وتسلقوا في الجبل حتى أشرفوا على
القوم وهم في أماكنهم فعند ذلك صاح خالد بأصحابه
خذوهم بارك الله فيكم فأسرعوا العشرة فوارس إليهم فقتلوا
منهم اثنين وأسروا أربعة فاستنطقهم خالد وإذا هم من الشام
فسألهم عن حالهم فقالوا إنا من أهل دير البقيع وكفر كنة
والعزيزة وقد عظمت علينا المصيبة بدخول العرب
إلى بلادنا وقد فزعنا منهم فزعا شديدا وقد هرب أكثرنا
إلى القلاع والحصون واعتصمنا نحن بهذا الجبل لأن ما في
الرستاق أحصن منه فعلونا عليه نتشوف الأخبار ❁ فلم نشعر
إلا أخذتمونا أسرى ❁ فقال لهم خالد فأين بلغكم جيش
الروم قالوا بأجنادين وقد عزم الملك أن يرحل الجيش إلى
حمص وإلى فلسطين ليذب عن بيت المقدس وقد اجتمع

جيشه كما نقل إلينا [illegible] وقعة فلسطين بأجنادين وهذا البطريق من بطارقته
قد أقبل إلينا ليأخذ الميرة والعلوفة وقد جمعوا البغال والدواب
والحمير ليحملوا الميرة عليها وهم مع ذلك خائفون وجلون
أن تلحقهم خيل العرب وهذا الخبر قريبا ولا شك أنهم رحلوا
من [illegible] هذا ❁ فلما سمع خالد ذلك من قولهم قال
غنيمة ورب الكعبة ❁ ثم قال اللهم انصرنا عليهم ❁ ثم
سألهم عن الطريق الذي سار فيها القوم فقالوا هي الطريق
التي أنت عليها وأما الميرة فإنها مجموعة من حول التل المعروف
بتل بني يوسف ❁ فلما سمع خالد منهم ذلك قال لهم ما تقولون في
ديننا قالوا الله نحن ما نعرف إلا دين النصرانية ونحن فلاحين
وما لكم في قتلنا فائدة ❁ قال لهم خالد تسلموا ❁ فقال
له رجل من أصحابه دعهم يدلونا على الطريق فأجابهم إلى
ذلك وسيرهم خالد قدامه إلى أن توسط بهم الطريق ثم بعث
إلى أصحابه الذين هم بالوادي فجاؤوا إليه وجعلوا الجد و
في السير والانبساط أما هم بدليلهم على التل فوافوا الروم
وهم يحملون دوابهم وحول التل ستمائة فارس من الروم
فلما نظر إليهم خالد قال لأصحابه إن الله تعالى قد وعدكم

لنصر على عدوكم وفرض عليكم الجهاد وهذا جيش الهرقل بإزائكم
فارغبوا في ثواب الله واسمعوا لما قال ربكم في كتابه العزيز
قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة فإذا
حملت فاحملوا من ورائي ولا يحرج واحد منكم عن صاحبه ثم
إن خالدا قال لأصحابه احملوا الحملة قال حذافة بن سعيد فلما
رأونا خيل الروم استقبلونا والتقوم من كان مع الدواب
من الفلاحين والغلمان وصبرت الروم لنا ساعة من النهار
فبينما ذو الكلاع الحميري يعظ أصحابه وقومه وهو يقول
يا آل حمير أبواب السماء قد فتحت والجنة لكم تزخرفت
والحور إليكم قد أقبلت وإذا بصاحب الكتيبة قد
لقيه خالد تعرفه بلامته وحسن ركوبه وهو يحرض قومه
على القتال وكان من شجعان الروم ولم يعرف اسمه
فاستقبله خالد بن سعيد وزعق في وجهه زعقة أزعجه بها
وقال وأنا رأيت سعيد ثم طعنه طعنة فجدله صريعا وسقط
عن جواده كأنه برج من حديد وما بقي أحد من المسلمين
إلا وجدل فارسا من الروم قال حذافة بن سعيد فقتلنا من
الروم ثلاثمائة فارس وعشرين فارسا وولت الباقون منهزمين

وتركوا الأثقال من البغال والميرة فاحتوينا على الكل بإذن الله عز وجل
وأطلق خالد بن سعيد أولئك الفلاحين الذين أسرهم من الجبل
ونادى خالد بن سعيد بالغنائم إلى عمرو بن العاص ففرح المسلمون
بسلامتهم **قال الواقدي** ثم إن عمرو بن العاص رضي الله عنه
كتب كتابا إلى أبي بكر الصديق رضي الله عنه بما جرى له في وقعة
فلسطين وأخبره بسرية خالد بن سعيد خلف الروم وكيف
أخذ ما رد لي وأخذنا الغنائم ويشتمل من قتل من الروم والمسلمين
وإني مقيم بفلسطين والسلام وبعث الكتاب مع رجل من المسلمين
فأخذ الكتاب وسار إلى أن وصل إلى المدينة فسلم على أبي بكر
وناوله الكتاب فقرأه أبو بكر فلما سمع المسلمون ما فيه ضجوا
بالتهليل والتكبير والصلاة على البشير النذير محمد
صلى الله عليه وسلم ثم استخبره أبو بكر الصديق
عن أبي عبيدة عامر بن الجراح فقال له أبو عامر يا أمير المؤمنين
إنه أشرف على أوائل الشام ولم يجسر على الدخول لأنه
تذيع بأن حشود المسالك قد اجتمعت بأجنادين في أمم
لا يحصى عددهم وقد جزع على المسلمين أن يتوسط
بهم عدوهم فلما سمع أبو بكر الصديق بكى لذلك

قال إن أبا عبيدة لا يصلح لقتال الشام ثم عزم أبو بكر أن يكتب
إلى خالد بن الوليد أن يوليه على جيوش المسلمين وأن يقاتلوا
الروم واستشار المسلمين في ذلك فقالوا نعم الرأي يا أمير
المؤمنين فعند ذلك كتب أبو بكر الصديق كتابا إلى خالد
ابن الوليد رضي الله عنه يقول فيه بسم الله الرحمن الرحيم من
عبد الله عتيق بن أبي قحافة إلى خالد بن الوليد المخزومي
أما بعد سلام عليك فإني أحمد الله الذي لا إله إلا هو
وأصلي على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وإني قد وليتك
على جيوش المسلمين وأمرتك بقتال الروم فسارع إلى مرضات
الله وقاتل أعداء الله وكن ممن يجاهد في الله حق جهاده
ثم كتب يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم
من عذاب أليم تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في
سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ذلكم خير لكم إن كنتم
تعلمون وقد جعلتك يا خالد أميرا على أبي عبيدة عامر بن
الجراح والسلام عليك ورحمة الله وبركاته وطوى
الكتاب وختمه بخاتم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم دفعه
إلى نجم بن مفرج الكناني وقال له انطلق به إلى خالد بن الوليد

قال فأخذ نجم الكتاب وسار يطلب الطريق فوافا خالدا إذ أشرف
على فتح القادسية بأرض العراق فناوله الكتاب فلما قرأه خالد
وعرف معناه فقال خالد سمعا وطاعة ثم ارتحل خالد عن القادسية
ليلا وأخذ طريقه على عين التمر وكتب خالد كتابا إلى أبي
عبيدة بنزوله ويخبره بمسيره إلى الشام وقد ولاني أمير المؤمنين
عليك وعلى جيوش المسلمين والسلام عليك وعلى من معك من
المسلمين ورحمة الله وبركاته وبعث الكتاب مع عامر بن الطفيل
الدوسي رحمة الله عليه وهو أحد أبطال المسلمين فأخذه
عامر وسار يطلب الشام قال الواقدي وإن خالد بن
الوليد لما وصل إلى أرض السماوة قال أيها الناس إن هذه عطشة
ولا يدخل فيها إلا من معه الروايا والقرب قال رافع بن
عميرة الطائي أيها الأمير أنا أشير عليك بما تفعل قال يا رافع
افعل ما تريد إن كان صوابا أرشدك الله ووفقك فعند
ذلك أخذ رافع ثلاثين بعيرا وعطشها سبعة أيام ثم أوردها
الماء ثم ركبوا المطايا وجنبوا الجنائب وساروا فكانوا
كلما نزلوا منزلا نحروا خمسة من الإبل وشقوا بطونها ويأخذوا
ما فيها من الماء ويجعلوه في أحواض من الأديم فإذا أرادوا أن يسقوا

لخيل منه وشربوا وأكلوا اللحم ولم يزالوا على ذلك إلى أن
نزفت الإبل وقطعوا مراحل بغير ماء وأشرف خالد ومن معه
على الهلاك فقال خالد بن الوليد لرافع بن عميرة الطائي رضي الله
عنه يا رافع هل تعرف لنا ماء ننزل عليه قال الواقدي
وكان رافع قد رمدت عيناه فقال أيها الأمير إذا أشرفتم
على فدافد وسوار فأعلموني وسار خالد بمن معه وجد في المسير
وقد انقطع أكثرهم من شدة العطش حتى أشرفوا على الهلاك
وقد قاربوا فدافد وسوار فأعلموا رافع ابن عميرة فرفع
طرف العمامة عن عينيه وسار على راحلته يضرب يمينا
وشمالا والناس حوله إلى أن قصد شجرة من الأراك
فلما رآها كبر وكبر المسلمون معه ثم قال رافع احفروا
ها هنا فحفروا فإذا بالماء قد طلع كالبحر فنزل الناس
حوله وشكروا الله تعالى وأثنوا عليه ثم أوردوا
الماء وسقوا الإبل والخيل ثم عدوا في طلب من انقطع من
المسلمين ومعهم السطائح والقرب فسقوهم وأزيحت إليهم
قوتهم ثم لحقوا بالجيش وأراحوا واستراحوا ثم جدوا
في المسير إلى أن بقي بينهم وبين أركة مرحلة واحدة

فبينما القوم كذلك إذ أشرفوا على حلة عامرة وأغنام وإبل قد
سدت الخافقين فأسرع المسلمون إلى الراعي يستخبرونه هذه الحلة
لمن من العرب أو لأحد من الروم وإذا بالراعي يشرب الخمر وإلى
جانبه رجل من العرب بالقدح فنظروا إليه وإذا به عامر بن
الطفيل الدوسي رحمة الله عليه فأقبل خالد على جواده مسرعا
حتى وقف إليه فلما رآه خالد تبسم وقال يا ابن الطفيل كيف
كان سبب أمرك قال خالد أيها الأمير إني أشرفت على هذه
الحلة وعندي ما بي الجهد من العطش فملت إلى هذا الراعي ليسقيني
اللبن فوجدته يشرب الخمر فقلت له يا عدو الله تشرب الخمر
وهي محرمة علينا فقال يا مولاي ليس هذا خمر وإنما هو ماء
فانزل كي تراه واستنشق رائحته فإن كان خمرا فاصنع بي كما تريد
فلما سمعت كلامه أنخت مطيتي ونزلت من كورها وجثوت على
ركبتي لأني أستنشق رائحة الخمر وإذا بهذا العبد قد عاجلني
بعصاة كانت إلى جانبه وعلاني بها على رأسي فشجني بها شجة
واحدة فانتكست على جانبي وأسرع إلي وأوثقني كتافا فلما
وقفت في يده قال أظنك من أصحاب محمد بن عبد الله ولست أدعك
من يدي إلا عند الملك هرقل فقلت ومن سيدك من العرب

قال القداح بن وائلة وإلى أيها الأمير عندي أياما كلما شربنا الخمر
أحضرني بين يديه كما تراني ويلقي فضلة كأسه على رأسي
فلما سمع خالد بن الوليد كلام ابن الطفيل اشتد به الغضب
ومال على العبد وضربه فجدله قتيلا وعجل الله بروحه إلى النار ونهب
المسلمون تلك الغنم والإبل وانتقلوا الحلة بمن فيها وأطلق عامر
ابن الطفيل فقال له خالد بن الوليد أين رسالتي قال أيها الأمير
في طي عمامتي لم يعلم بها العبد فقال له خالد انطلق إلى أبي
عبيدة ومن معه من المسلمين والبس من الخيل جلبابا فركب
عامر بن الطفيل مطيته وسار يطلب الشام ❁

❁ فتح أركة قال الواقدي ❁

رحمة الله عليه وارتحل خالد من موضعه ذلك ونزل بأركة
وهي رأس المفازة لمن يخرج من العراق وكانت الروم تكري بها
القوافل وكان فيها بطريس من عند الملك هرقل اسمه
جرو ابن نغار وعليها خالد وأخذ ما كان حولها وتحصنوا أهلها
بحصنها وكان يسكن بها حكيم من حكماء الروم اسمه سمعان
قد طالع الكتب والملاحم فلما نظر إلى جيوش المسلمين انخطف
لونه وقال قرب الوقت وحق ما قاله أهل أركة وكيف

ذلك

ذلك قال إن عندي ملحمة من ذكر هؤلاء القوم وإن أول راية
تشرف علينا من العراق هي الراية المنصورة وقد دنا هلاك
الروم فانظروا إن كانت رايتهم سوداء وأميرهم عريض اللحية
طويل ضخم بعيد المناكب واسع الهيكل في وجهه أثر جدري
أسمر اللون فهو صاحب جيشهم بالشام وعلى يديه يكون الفتح
فطلعوا أهل أركة على السور ونظروا إلى جيوش المسلمين ❁ وإذا
بالراية على رأس خالد وهو بالوصف الذي وصفه لهم حكيمهم
فاجتمعوا أهل أركة إلى بطريقهم وقالوا إن الحكيم سمعان لا ينطق
إلا بالحكمة ولا يقول إلا الحق والذي وصفه لنا رأيناه عيانا
والذي نرى من الرأي أن نعقد بيننا وبينهم الصلح ونأمن على
أنفسنا من شرهم ❁ قال لهم بطريقهم أخروني إلى صبيحة
غد لأرى رأيا فانصرفوا عنه وبات البطريق يحدث نفسه ويدبر
أمره وكان البطريق عاقلا عارفا بالأمر فقال في نفسه إن
أنا خالفت هؤلاء القوم أخاف أن يسلموني إلى العرب وقد تحقق
عندي أمر دوبيس وقد سار إلى شرذمة من العرب بفلسطين فهزموه
وقد وقع رعب العرب في قلوب الروم فلم يفلحوا بعدها أبدا ولم يزل
البطريق يراود نفسه إلى الصباح فدعا البطريق بقومه وقال

لهم ماذا عولتم عليه قالوا إننا عولنا على الصلح ونقيم ببلدنا
فقال البطريق لهم أنا واحد منكم ومهما فعلتم فإني لا أخالفكم
فيه فخرج مشايخ أركة إلى خالد بن الوليد رضي الله عنه ثم
كلموه في الصلح فأجابهم خالد إلى ذلك وتلقاهم بالرحب وجاءت
أهل السخنة وتدمر والقريتين فقالوا أيها الأمير إننا جئنا نطلب
الصلح لنا ولأهل بلدنا فأجابهم خالد بن الوليد إلى ذلك وقال
لهم من دخل منكم في ديننا قبلناه ومن بقي على دينه قنعنا
منه بالجزية قال الواقدي ولقد بلغني ممن أثق به أن خالدا
صالح أهل أركة على ألف درهم من الفضة البيضا وألفي دينار
ثم كتب لهم كتاب الصلح ولم يبرح خالد من مكانه حتى صالح أهل
السخنة وبلغ الخبر إلى أهل تدمر وكان المتولي على تدمر بطريقا
اسمه كركز فجمع رعيته إليه وقال لهم بلغني أن هؤلاء العرب
قد فتحوا أركة والسخنة صلحا وأنهم يتحدثون بصلحهم وعدلهم وحسن
سيرتهم وأنهم لا يطلبون الفساد وهذا حصننا حصن منيع
لا سبيل لأحد عليه ولكننا نخاف على نخيلنا وزرعنا وما يضر بنا أن
نصالح العرب فإن كان قومنا هم المنصورون فسخنا صلحهم وإن كان العرب
هم المنصورون كنا آمنين من شرهم ففرح قومه بقوله فهيئوا العلوفة

والضيافة

والضيافة وأقبلوا بها إلى خالد بن الوليد وصالحهم خالد على ثلاثمائة
أوقية من الذهب والفضة وكتب لهم كتاب الصلح ثم ارتحل إلى
حوران قال الواقدي ووصل عامر بن الطفيل بكتاب خالد بن
الوليد إلى أبي عبيدة عامر بن الجراح فلما قرأ أبو عبيدة الكتاب تبسم
وقال السمع والطاعة لله ثم لخليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم
ثم إن أبا عبيدة أعلم الجيوش بعزله وبولاية خالد على جيوش المسلمين

ذكر فتح بصرى وحوران قال الواقدي

وكان أبو عبيدة قد وجه شرحبيل بن حسنة كاتب رسول الله
صلى الله عليه وسلم إلى بصرى في أربعة آلاف فارس فسار إلى أن
نزل بفنائها وكان على بصرى بطريق من قبل الملك هرقل
وكان عظيم القدر عند أهل الروم وكان اسمه روماس
وكان قد قرأ الكتب السالفة والأخبار الماضية وكان
عظيم الخلقة تجتمع إليه الروم ينظرون إلى عظم خلقته ويسمعون
من ألفاظ حكمته وكانت بصرى عامرة آهلة بالخلق وكان
فيها من الرجال المقاتلة اثنا عشر ألفا وكانت العرب يقصدون
إليها ببضائعهم وتجاراتهم من أقطار الحجاز واليمن فإذا كان
أيام الموسم [illegible] للبطريق [illegible] من كل شيء من الذهب [illegible]

عليه فبينما هم قد اجتمعوا إليه إذ وقعت الصيحة في بصرى بقدوم
شرحبيل ابن حسنة بعسكره فبادر البطريق إلى جواده فركبه
وصرخ في قومه فركبوا وقال لهم لا تحدثوا حادثا حتى ترى
القوم وتسمع كلامهم ثم سار البطريق حتى قرب من شرحبيل رضي الله
عنه ونادى يا معاشر المسلمين أنا روماس وأنا صاحب بصرى
وأريد أميركم يخرج إلي فخرج إليه شرحبيل ابن حسنة فلما
قرب شرحبيل من البطريق قال له البطريق من أنت قال
شرحبيل أنا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم النبي الأمي
المنعوت في التوراة والإنجيل قال له روماس ما فعل نبيكم
قال قبضه الله إليه واختار له ما لديه قال روماس فمن تولى الأمر
من بعده قال له شرحبيل تولى الأمر من بعده عبد الله عتيق ابن أبي
قحافة أبو بكر الصديق رضي الله عنه قال له روماس وحق
ديني ما أنتم على الحق ولا بد لكم أن تهلكوا الشام والعراق
ونحن نشفق عليكم لأنكم نفر قليل ونحن في جمع كثير ولكن
ارجعوا إلى بلادكم [illegible] ما لا نتعرض لكم واعلم يا أخا العرب إن
أبا بكر الصديق هو صاحبي ولو كان لي حاضرا لما قاتلني
قال له شرحبيل لو كنت ابن عمه أو أخاه لما عفا عنك إلا أن

تكون

تكون من أهل ملته وليس له من الأمر شيء لأنه مكلف وقد أمره
الحق سبحانه وتعالى في القرآن أن نجاهدكم ولن نبرح عنكم
إلا بإحدى ثلاث خصال إما أن تدخلوا في ديننا أو تعطوا
الجزية أو القتال بيننا وبينكم حتى يحكم الله وهو خير الحاكمين فقال
روماس وحق ما أعتقده من ديني لو كان الأمر لي ما قاتلتكم لأني
أعلم أنكم على الحق وهؤلاء طواغية الروم قوم مجمعة وإني أريد
أن أرجع إليهم وأعظهم وأنظر ما عندهم من الأمر الذي ذكرت
إما القتال أو الجزية أو الإسلام **قال الواقدي** فعاد روماس إلى
قومه ووعظهم بعد أن جمعهم إليه وقال يا أهل دين النصرانية
اعلموا أن الذي كنتم تجدونه في كتبكم من خروج العرب إلى بلادكم
ونهب أموالكم وقتل بطارقتكم وملوككم قد قرب وهذا أوانه
وزمانه ولستم بأعظم خيل وجيش من البطريق دوبيس فإنه سار إلى
شرذمة من العرب بأرض فلسطين فقتل وقتل أكثر من معه
وانهزم الباقون وقد بلغني أن رجلا من المسلمين قد خرج من
أرض العراق واسمه خالد بن الوليد وقد فتح أركة وتدمر
والسخنة وحوران وهو عن قريب يصل إليكم والصواب عندي
أن تؤدوا الجزية إلى هؤلاء العرب وتنصرفوا عنا فلما سمعوا ذلك

من كلامه شوشوا عليه وهموا بقتله فقال لهم دوماس يا قوم إنما
أريد بذلك أن أرى حميتكم على دينكم وإياكم دونكم والقتال
قال الواقدي فعند ذلك زحفت الروم على المسلمين بعددها
وعديدها وتظاهروا بالدروع والبيض وقادوا الجنائب
وهيئوا الحملة ❁ فلما رأى شرحبيل بن حسنة ذلك من جيش
بصرى وعظ أصحابه وقال أيها الناس اعلموا أن المصطفى صلى الله
عليه وسلم قال الجنة تحت ظلال السيوف وأحب إلى الله عز وجل
قطرة دم في سبيل الله أو دمعة جرت من خشية الله فسارعوا
وجاهدوا العدو وارموا السهام ولتكن سهامكم مجتمعة فإنها لم تخب
ثم قرأ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم
مسلمون ❁ ثم حمل شرحبيل بمن معه من المسلمين على جيش بصرى
قال ماجد بن رويم العبسي رضي الله عنه كنت في
جيش شرحبيل حين قاتلنا أهل بصرى ❁ ولقد طمع فينا
العدو وحملوا علينا في اثني عشر ألفا من الروم ونحن فيهم
كالشامة البيضاء في جانب البعير الأسود وصبرنا لهم
صبر من يريد الموت والدار الآخرة ❁ ولم يزل القتال
بيننا وبينهم إلى أن توسطت الشمس في قبة الفلك وقد طمع

العدو

العدو فينا ولقد رأيت شرحبيل قد رفع طرفه إلى السماء وهو يقول
يا حي يا قيوم يا ذا الجلال والإكرام إننا قد وعدنا على لسان
نبيك محمد صلى الله عليه وسلم بفتح الشام وفارس ❁ اللهم
انصر من يوحدك على من يكفر بك ويتخذ معك شريكا اللهم
انصرنا على القوم الكافرين ❁ قال ماجد بن رويم فوالله ما استتم
شرحبيل دعاءه إلا وجاء النصر من عند الله وذلك أن الروم داروا
بنا وقد حدثتهم أنفسهم بالوصول إلينا ❁ إذ رأينا غبرة
قد أشرفت علينا من صوب حوران كأنها قطع الليل المظلم
فلما قربت الغبرة منا رأينا تحتها سوابق الخيل ولاحت لنا الأعلام
والرايات وقد سبق إلينا من الغبرة فارسان أحدهما يزعق
يا شرحبيل أبشر بنصر الله تعالى أنا الفارس الصنديد ❁ أنا
خالد بن الوليد ❁ وقال الآخر أبشر فقد جاء الفرج بعد الضيق
أنا عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق وأشرفت من ورائهم لخم
وجذام وجاء عسكر الزحف وأشرفت راية النبي صلى الله عليه
وسلم العقاب تحتها فرسان المسلمين وأبطال الموحدين قال
الواقدي حدثني سالم بن عدي عن ورقة بن حسان العامري
عن ميسرة ابن مسروق قال والله لقد خمدت أصوات الروم عند ❁

زعقات خالد بن الوليد وأقبل شرحبيل فسلم على خالد وعلى عبد الرحمن
ابن أبي بكر الصديق وسلم المسلمون بعضهم على بعض فقال خالد
يا شرحبيل أما علمت أن هذا موسم الشام والحجاز والعراق وفيها
عساكر الروم وبطارقتها وقد غررت بنفسك وبمن معك
قال شرحبيل أيها الأمير إن ذلك بأمر الأمير أبي عبيدة فقال خالد
رضي الله عنه يا أبا عبيدة إنك لرجل مستسلم الرأي وليس عندك
من الحرب غايلة ثم إن خالد بن الوليد أمر المسلمين بالراحة
فنزلوا وواسا الناس بعضهم بعضا من الزاد والعليق فلما كان
من الغد زحفت جيوش بصرى إلى المسلمين فقال خالد معاشر
المسلمين رحمكم الله اركبوا على بركة الله فركب المسلمون
وأخذوا أهبتهم للحرب فجعل على الميمنة رافع بن عميرة الطائي
وجعل على الميسرة ضرار بن الأزور وكان فاتكا في الحرب
قد ذكرت شجاعته وعلمت براعته في المواطن وجعل على الرجالة
عبد الرحمن بن حميد اللخمي ثم قسم جيش الزحف نصفين فجعل
على الشطر الأول المسيب بن نجبة الفزاري وجعل على الشطر
الثاني مذعور بن غنيم الأشعري وأمرهم خالد أن يرموا الخيل
على الخيل قال الواقدي وبقي خالد يعظ المسلمين ويوصيهم

وعبد الرحمن بن أبي بكر الصديق فبينما نحن كذلك إذ خرج من
وسط جيوش الروم فارس عظيم الخلقة كبير الزينة وهو يلمع
بما عليه من الذهب فلما توسط الجمعين قال بلسان عربي كأنه
بدوي يا معاشر العرب لا يبرز إلي إلا أميركم فإني صاحب
بصرى فخرج إليه خالد بن الوليد وقرب منه فقال له البطريق
أنت أمير الجيش قال خالد كلهم يزعمون أني أميرهم ما دمت
على طاعة الله تعالى فإذا عصيت الله فلا إمرة لي عليهم فقال
روماس إني رجل من عقلاء الروم وملوكهم وإن الحق لا
يخفى على صاحب بصيرة وعلم وإني قرأت الكتب السالفة
والأخبار الماضية فوجدت أن الله تبارك وتعالى يبعث نبيا عربيا
قرشيا اسمه محمد بن عبد الله قال خالد هو نبينا قال روماس
هل أنزل عليه كتاب قال خالد نعم اسمه القرآن قال روماس
هل حرم الخمر قال نعم من شربه منا جلدناه ومن زنا جلدناه
وإن كان محصنا رجمناه قال روماس أفرض عليكم الصلاة
قال خالد نعم خمس صلوات في اليوم والليلة قال روماس
وتحجون قال خالد نعم من استطاع إليه سبيلا قال روماس أفرض
عليكم الجهاد قال خالد نعم ولولا ما جئناكم نبغي قتالكم

قال روماس والله إني أعلم أنكم على الحق وإني أحبكم وقد
حذرت قومي منكم فأبوا ذلك وإني خائف منهم ❁ قال خالد قل
أشهد أن لا إله إلا الله محمد رسول الله حتى يكون لك ما لنا وعليك
ما علينا ❁ فقال روماس إن أنا أسلمت أخاف أن يعجلوا قومي
بقتلي ويسبون حريمي ولكن أسير إلى قومي وأحذرهم منكم
ولعل الله أن يهديهم إلى الإسلام فقال له خالد إن رجعت إلى
قومك من غير قتال بيني وبينك خفت عليك من قومك ولكن
احمل علي وأحمل عليك حتى يروا قومك وبعد ذلك أطلب
قومك فيكون خيرا لك **قال الواقدي** ❁ فحمل كل
منهما على صاحبه وأروا الفريقين أبو لابا من الحرب حتى انصرف
روماس من بين يدي خالد بن الوليد إلى قومه فلما نظر إليه
خالد وقد انهزم قصر عنه بعد أن قال روماس لخالد بن الوليد
أيها الأمير إني خائف عليك وعلى من معك من بطريق بعثه الملك
هرقل معونة لي عليكم وكان ذلك البطريق اسمه الدريجان
قال له خالد ينصرنا الله عليه ثم إن روماس انصرف إلى قومه
فلما وصل إليهم قالوا له ما الذي رأيت أيها السيد من هؤلاء العرب
قال لهم يا قوم إن العرب لهم صبر وثبات في الحرب وما لكم في

قتالهم رغبة ولا بد أن يملكوا ما تحت سرير الملك هرقل فاتقوا الله
وادخلوا تحت طاعتهم وكونوا كأهل أركة وتدمر والسخنة وإني
لكم ناصح فلما سمع قومه كلامه زجروه وأرادوا قتله ولولا
خافوا من الملك قتلوه وقالوا له ادخل المدينة والزم قصرك
ودعنا لقتال العرب **قال الواقدي** فانصرف عنهم روماس
وكان ذلك بغيته ومراده وقال لعل الله أن ينصر خالدا فأسير
معه بأهلي حيث سار ثم إن أهل بصرى ولوا عليهم الدريجان
وقالوا له إذا فرغنا من قتال المسلمين سرنا معك إلى الملك هرقل
ونسأله أن يعزل عنا روماس ويوليك علينا ❁ فإنك أعظم منه
جلدا وأكمل عقلا ❁ فقال الدريجان فما الذي تريدون مني
قالوا له تحمل على العرب وتطلب قتال أميرهم وتقتله فقال لهم
كفيتم أمره **قال الواقدي** فحمل الدريجان بلامته وزينته
فطلب خالد بن الوليد فقال عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق
رضي الله عنه أنا أخرج إليه فخرج وحمل على الدريجان وأطبق بعضهما
على بعض وتطاولت أعين الفريقين إليهما فما لبث الدريجان مع عبد
الرحمن إلا ساعة حتى أحس الدريجان من نفسه بالتقصير فولى منهزما
وكان جواد الدريجان أسبق من جواد عبد الرحمن بن أبي بكر

الصديق فانفلت من يده إلى قومه فقال له قومه أيها السيد ما ردك
عن قتال عدوك قال أخذني شوطة فلم أقدر على الثبات بين يديه
ولكن احملوا أنتم فألقى الله تعالى الرعب في قلوبهم والجزع
فلما نظر خالد إليهم وهم خائفين حمل هو وعبد الرحمن بن أبي بكر
الصديق رضي الله عنه وتبعه رافع بن عميرة الطائي والمسيب
ابن نجبة الفزاري وعبد الرحمن بن حميد اللخمي وضرار بن
الأزور وخالد بن الوليد وقيس بن هبيرة وشرحبيل بن حسنة
ومن معهم من المسلمين **قال الواقدي** فلما نظر أهل
بصرى إلى المسلمين وحملتهم لم يكن لهم بد عن قتالهم فاستقبلوا
المسلمين وفشا القتل في الروم وضربت الأجراس على سور بصرى
وضجوا الأقسة والرهبان بكلمة الكفر فقال شرحبيل اللهم
إن هؤلاء الأرجاس الأنجاس يبتهلون بكلمة الكفر ويدعون
معك إلها آخر لا إله إلا أنت فبحق نبيك محمد صلى الله عليه وسلم
إلا نصرت أولياءك على الأعداء وأمن المسلمون على دعائه ثم
حمل المسلمون حملة واحدة فخيل لأهل بصرى أن السور قد انهدم
فلم يكن للروم ثبات مع العرب فولوا الأدبار وركنوا إلى
الفرار وبقيت تلك الأرض مملوءة من القتلى وقتل الروم بعضهم

بعضا على الأبواب فلما حصل الروم داخل المدينة غلقوا أبواب
المدينة وعلوا على السور وجعلوا مراكزهم على البدنات والأبراج
ورفعوا البيارق والصلبان وحصنوا أنفسهم وعولوا أن يكتبوا كتابا
إلى الملك هرقل أن يمدهم بخيل ورجال قال عبد الله بن رفاعة
فلما تحصن الروم منا وعلوا على سور المدينة ارتجعنا عنهم إلى موضع
الوقعة ولم يكن لنا همة إلا افتقاد بعضنا بعضا فوجدنا قد فقد
من المسلمين مائة وثلاثون رجلا وفارسا أكثرهم من بجيلة
وزهران وقتل من أعيان المسلمين بدران بن حرملة وكان
حليفا لثقيف بن عدي بن علي بن رفاعة ومازن بن عوف وسهل بن
باسط وخالد بن مرارة والربيع بن حامد وعياد بن بشير ختم لهم
بالشهادة ورزقهم الله السعادة. وغنم المسلمون الغنائم
والأموال وصلى خالد بن الوليد على الشهداء وأمر بدفنهم فلما
كان من الليل تولى حرس المسلمين عبد الرحمن بن أبي بكر
الصديق رضي الله عنه ونعيم بن راشد النخعي ومائة فارس من
جيش الزحف فبينما هم يدورون من حول العسكر وقد
مضى من الليل ربعه إذ قلعت الخيل آذانها وحمحمت بأصواتها
فاستيقظت المسلمون وإذا برجل من الروم عليه مسوح الشعر

فأسرع إليه عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق وهم بقتله فقال له أمسك
يدك فإني صاحب بصرى فأخذه عبد الرحمن وأتى به إلى خالد بن
الوليد وأوقفه بين يديه فلما وقف بين يديه نظر إليه خالد وعرفه
وقال له ما حالك فقال روماس أيها الأمير إن القوم طردوني
وقالوا إلى الروم قصرك وإلا قتلناك فلزمت قصري وقصري لاصق
بالسور فلما جن الليل أمرت أولادي وعبيدي أن ينقبوا إلى السور
حتى فتحوا لي منه بابا وقد جئت إليك لتبعث معي من تثق به من أصحابك
حتى تأخذوا المدينة إن شاء الله تعالى فلما سمع خالد قول روماس
سجد شكرا لله تعالى وأمر خالد بن الوليد عبد الرحمن ابن أبي بكر
الصديق رضي الله عنهما أن يأخذ مائة رجل من المسلمين ويسير بهم
إلى المدينة مع روماس رضي الله عنه قال ضرار بن الأزور
وكنت فيمن دخل المدينة مع روماس فلما صرنا في قصر
روماس فتح لنا خزائنه وقال ادخلوا في زي الروم والبسوا لهم
ثم قسمنا روماس أربعة أجزاء فجعل كل جزء في ركن من أركان
المدينة فلما أمر عبد الرحمن بذلك قال لنا إذا سمعتم التكبير
فكبروا بأعلا أصواتكم فلما صرنا حيث أمرنا عبد الرحمن بن
أبي بكر الصديق أخذنا على أنفسنا قال الواقدي ولقد

بلغني

بلغني عمن أثق به من الرواة رضي الله عنه أن عبد الرحمن رضي الله عنه
لما فرق أصحابه على جوانب المدينة لبس وتدرع وكذلك
روماس رحمة الله عليه واشتمل بشملة حميرية وأعطاه عبد الرحمن برنسا
فألقاه على لباسه وسل سيفه تحت البرنس وصعد هو وروماس
يريدان البرج الذي فيه الديرجان فلما قرب روماس وعبد الرحمن
من البرج الذي فيه عدو الله الديرجان نظر إليهما أصحاب الديرجان
فقالوا لهم من أنتما قال لهم أنا روماس البطريق قال له أصحاب
الديرجان لا مرحبا بك ولا سهلا من ذا الذي جاءك ومن هذا الذي
معك فقال روماس رحمة الله عليه إن الذي معي صديق لي وهو
مشتاق إلى رؤيتك قال الديرجان ويلك من هو قال روماس
ويلك ما تعرفه هذا عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق بن
خليفة سيد الأنام ومصباح الظلام ورسول الملك العلام
محمد عليه أفضل الصلاة والسلام وقد أقبل يريد أن يعجل
روحك إلى النار فلما سمع الديرجان ذلك من كلام روماس
هم أن يضرب روماس فلم تطاوعه نفسه فعاجله عبد الرحمن
ابن أبي بكر الصديق رضي الله عنهما بضربة على عاتقه فجدله
صريعا وعجل الله بروحه إلى النار وكبر عبد الرحمن عند قتل

الديرجان وأجابه روماس وسمعوا الصحابة رضي الله عنهم التكبير
نكبروا من جوانب بصرى فأجابتهم الأحجار والأوعار
والأطيار والصالحون من القفار **قال الواقدي** فلما
كبر المسلمون من جوانب بصرى ووضعوا السيف في الروم
وأجابهم خالد بمن معه من ظاهر المدينة فلما نظر أهل بصرى
إلى ما حل بهم وعلموا أن مدينتهم قد فتحت قهرا بالسيف صاحوا
بأجمعهم الفوز الفوز يعني الأمان الأمان فقال خالد ارفعوا
عنهم السيف وأقام خالد إلى أن أصبح الله بالصباح واجتمع عليه
أهل بصرى وقالوا لو أننا صالحناكم ما كان شيء من هذا فقال
لهم خالد إن حكم الله لا يرد ثم قالوا نسألك بالذي أيدك
بالنصر علينا من ذا الذي أدخلك إلى مدينتنا وقد كنا آمنين
من شركم فاستحيا خالد أن يقول روماس فوثب روماس
رحمة الله عليه قائما على قدميه وقال أنا يا أعداء الله فعلت ذلك
ابتغي به مرضات الله وجهادا فيكم فقالوا له وما أنت يا
روماس فقال روماس اللهم لا تجعلني منهم أنا كافر بالصليب
ومن يعبده ورضيت بالله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد صلى الله عليه
وسلم نبيا ورسولا وبالقرآن إماما وبالمسلمين إخوانا وأنا

أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده
ورسوله فلما سمع أهل بصرى كلام روماس رحمة الله عليه
أضمروا له مكرا وشرا وعلم روماس بذلك فقال لخالد رضي الله
عنه لا أريد المقام عندهم بل أريد أسير معك حيث تسير فإن
فتح الله الشام على أيديكم وصار الشام لكم فردوني إلى
بصرى لأن الوطن مألوف والمرء به مشغوف **قال الواقدي**
رحمة الله عليه حدثني نعيم بن سالم عن جده يحيى بن مفرج قال
كان روماس معنا في المواطن كلها يجاهد جهادا حسنا
حتى فتح الله علينا الشام وكاتب عمر بن الخطاب في أيام خلافته
تولاه عليها فلم يلبث إلا شيئا يسيرا ومات رحمة الله عليه وترك
من بعده عقبا يذكر به فعند ذلك أمر خالد رضي الله عنه
رجالا أن يعينوه على إخراج ماله ورجاله من مدينة بصرى
ففعلوا وإذا بزوجته تخاصمه وتطلب فراقه فقال لها المسلمون
ما الذي تريدين قالت أريد أمير الجيش يحكم بيننا فجاؤوا بها
إلى خالد فاستغاثت به فقال رجل يحفظ بلسان الروم إنها
تستغيث بك وتستعين بك على روماس فقال لها خالد ألك
حاجة أيتها الامرأة قالت نعم إني كنت الليلة نائمة إذ

رأيت شخصا في منامي يقول لي إن المدينة والشام كله يفتح على يدي
هؤلاء القوم فقلت له من أنت قال أنا محمد بن عبد الله ثم رد علي إلى
الإسلام فأسلمت على يديه صلى الله عليه وسلم وعلمني سورة من
القرآن فتعجب خالد من ذلك وقال لها اقرئي فقرأت الفاتحة وقل
هو الله أحد ثم جددت الإسلام على يد خالد بن الوليد وقالت
أيها الأمير إن لم يرجع روماس إلى هذا الدين الذي أنا دخلت
فيه وإلا لا يرافقني فضحك خالد من قولها وقال سبحان من وفقهما
لذلك ثم قال لها خالد إنه أسلم قبلكي ففرحت بذلك ثم صالح
خالد بن الوليد أهل بصرى على ما أرادوا ولم يغير قلوبهم ثم ولى
عليهم من اتفق وأبقاهم عليه ثم كتب كتابا إلى أبي عبيدة يبشره
بالفتح ويقول له قد ارتحلت إلى دمشق فالحقني بمن معك من
جيوش المسلمين ثم كتب كتابا آخر إلى أبي بكر الصديق رضي الله
عنه يخبره برحيله من العراق بعد أن فتح أركة وتدمر والسخنة
وحوران وبصرى ومن يوم كتبت إليك هذا الكتاب ارتحلت
إلى دمشق وأسأل الله النصر والسلام على جميع المسلمين ورحمة الله وبركا

ذكر نزول المسلمين على دمشق قال الواقدي

ثم بعث خالد تلك الكتابين وارتحل من بصرى وأشرف على موضع يقال

الثنية فوقف بها هناك وركز بها راية العقاب فسميت ثنية
العقاب من ذلك اليوم ثم انحدر منها إلى الغوطة ونزل بالدير
المعروف بدير خالد إلى يومنا هذا وكان أهل الدير قد
التجؤوا إلى دمشق وقد اجتمع في دمشق أمم لا تحصى بعدد الرمل
والحصى من الرجالة وأما الخيالة فكانوا اثني عشر
ألفا وقد زينوا أهل سور المدينة بالبيارق والأعلام
والصلبان والطوارق وأقام خالد بن الوليد على ذلك
الدير ينتظر قدوم أبي عبيدة ومن معه من المسلمين
قال الواقدي واتصل الخبر بالملك هرقل وبما
فتح خالد بن الوليد من المدن والقرا وكيف توجه
إلى دمشق فجمع البطارقة إليه وقال يا بني الأصفر
قد قلت لكم وحذرتكم فأبيتم ذلك وهؤلاء
العرب قد ملكوا حوران وبصرى وأركة وتدمر
وقد توجهوا إلى الربوة وهي دمشق فإن فتحوها فواكرباه
وواغماه لأنها جنة الشام ثم قال الملك هرقل أيها
البطارقة والملوك من يتوجه منكم إلى قتال العرب
ويكفيني أمرهم فإن هزم العرب أعطيته ما فتحوه

من المدن والبلاد ۞ فقال له بطريق من بطارقته اسمه كلوص
ابن حنة وكان من أبطال الشام وقد ثبتت شجاعته في عسكر
الفرس لما قصدوا الروم فقام وقال أيها الملك أنا أكفيك
أمرهم وأردهم على أعقابهم فسلم الملك إليه صليبا من
الذهب الأحمر وضموا إليه عشرة آلاف فارس وقال له
قدم صليبك أمامك فهو ينصرك ۞ فأخذ كلوص
الصليب وسار من يومه من إنطاكية إلى أن وصل إلى
حمص فوجدها مزينة بالسلاح ۞ فلما بلغ أهلها قدوم
كلوص عليهم خرجوا إلى لقائه وفرحوا به وخرجت
الأقسة والرهبان أمامهم بالمباخر وفيها العود والند
والأناجيل على رؤوسهم وقد قربوا من كلوص ورشوا
عليه من ماء المعمودية وصلوا عليه صلاة النصر ۞
وأقام عليهم يوما وليلة ۞ ثم ارتحل إلى مدينة
خرشنة ففعلوا له أهلها كما فعلت أهل حمص
ثم ارتحل إلى بعلبك ۞ فخرج إليه رجالها ونساؤها
لاطمات الخدود وناشرات الشعور ۞ فقال لهم ما
دهاكم فقالوا له إن العرب قد فتحوا أركة

وتدمر والسبحة وحوران وبصرى وقد بلغنا أنهم يطلبون
دمشق فقال لهم كلوص وقد بلغني أنهم على الجابية
لكن كيف قدروا أن يتوسطوا القرى والحصون ۞ قالوا
أيها السيد إن العرب ما برحوا من مواضعهم وإن الذي فتح
هذه البلاد رجل أقبل من العراق اسمه خالد بن الوليد
قال كلوص ففي كم يكون معه من الرجال والفرسان
قالوا أيها السيد عدتهم ألف وخمسمائة فارس ۞
فقال كلوص وحق ديني لأجعلن رأسه على سنان
قنطاريتي ۞ ثم رحل كلوص ولم ينزل إلا بدمشق
وكان صاحب دمشق والمتولي عليها رجل من قبل
الملك هرقل اسمه عزريل ۞ وكان معظما عند
أهل دين النصرانية ۞ وكان عدة جيشه ثلاثين
ألف فارس ومثلهم رجال أو يزيدون ۞ فلما دخل كلوص
إلى دمشق اجتمع إليه كبار دمشق والبطارقة ۞
وعزريل وأصحابه وقرأوا منشور الملك هرقل وكان
الملك قد بعث كلوص نجدة لهم ويقاتل عنهم العرب
ثم قال لهم كلوص يا أهل دمشق إن أردتم أن أقاتل

العرب وأردّهم عنكم وأسلّم إليكم أميرهم أو آتيكم
برأسه فأخرجوا عزريل من عندكم وتكون دمشق لي وحدي
فقال أهل دمشق ما ينبغي لنا أن نخرج صاحبنا من عندنا
وهذا العدوّ قاصدٌ إلينا ولو كان عندنا منكم عشر
ملوك لأردناهم عندنا ونتقوّى بهم على العرب فقال
له عزريل أمّا أنا فليس أخرج من البلد وأنا صاحبها
ولكن إذا قدمت العرب خرجنا إليهم وكلٌّ منّا
يخرج بعسكره يومًا ويقاتل العرب فمن هزم العرب
كانت البلد له فقالت كبار دمشق قد أنصف
عزريل في قوله وانفصل القوم ونشبت عداوة كلوص
في قلب عزريل **قال الواقدي** رحمة الله عليه ولقد
بلغني ممّن أثق به أنّ أهل دمشق كانوا يخرجون كلّ
ليلة من باب الجابية بفرسخ عن البلد ينتظرون
قدوم جيوش المسلمين حتّى جاءهم خالد من نحو الثنية كما
ذكرنا **قال الواقدي** حدّثني أبو معمر بن
طليحة قال حدّثني أبو ياسر بن محمّد قال حدّثني رفاعة
ابن مسلم العدوي قال كنت في جيش خالد بن

الوليد لمّا نزل بالدير المسمّا بدير خالد بالغوطة وإذا
بجيش دمشق قد زحف إلينا كالجراد المنتشر فلمّا
رأى خالد بن الوليد ذلك تدرّع بدرع مسيلمة بن قيس
وشدّ وسطه بعمامته وتوشّح بطرفها ثمّ صرخ في
المسلمين وقال أيّها الناس رحمكم الله هذا يومٌ ما
بعده يومٌ وقد زحف علينا جيش العدوّ بخيله ورجله
فدونكم وإيّاهم وانصروا الله ينصركم ويثبّت
أقدامكم واصبروا فإنّ الصبر مقرونٌ بالفرج
وكونوا ممّن باع نفسه إلى الله بجنّته فإنّ الله
سبحانه وتعالى قال إنّ الله اشترى من المؤمنين أنفسهم
وأموالهم بأنّ لهم الجنّة وكأنّكم بإخوانكم
المسلمين وقد أقبلوا عليكم مع أبي عبيدة عامر بن
الجرّاح فلمّا سمع المسلمون كلام خالد أسرعوا
إلى لبس السلاح وركبوا خيولهم واستقبلوا جيش
العدوّ ووقف الروم بإزاء جيش المسلمين فعند
ذلك رتّب خالدٌ أصحابه فجعل في الميمنة رافع
ابن عميرة الطائي وجعل في الميسرة المسيّب بن

نجبة الفزاري وفي الجناح الأيمن شرحبيل بن حسنة وفي الجناح
الأيسر عبد الرحمن بن حميد اللخمي وفي الساقة سالم بن نوفل
اليشكري وأقام خالد في القلب ومعه عبد الرحمن بن
أبي بكر الصديق وضرار بن الأزور فلما رتب خالد
أصحابه وعباهم تعبية الحرب قال لضرار بن الأزور اتبع
سبيل آبائك وقومك في الجهاد وانصر دين الله فإن الله
ينصرك وارعب قلوب الروم بحملتك وزعزع جيوشهم
بشجاعتك فخرج ضرار بن الأزور وعليه ثوب وسخ
وعلى رأسه عمامة رثة ومن تحته مهرة عجفاء إلا أنها
تسابق الريح فحمل على جيش دمشق بشدة عزمه ولم
يلو عنهم حتى صدم جيشهم وتلتل صفوفهم وقتل في تلك
الحملة أربع فوارس من كبار الروم ثم انتهى بحملته
على الرجالة فقتل منهم ستة ولولا سهام القوم وحجارتهم
لما رجع عن قتالهم فلما رجع ضرار بن الأزور من حملته
شكر له خالد على فعاله وقال لعبد الرحمن بن أبي بكر
الصديق يا ابن الصديق ارعب أعداء الله بحملتك بارك
الله فيك فحمل عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق

وفعل مثل ما فعل ضرار بن الأزور فقتل رجالا وجندل
أبطالا ثم رجع من حملته وخرج خالد بن الوليد ولعب برمحه
وأظهر شجاعته وفروسيته حتى عجبت الروم وخافوا خوفا
شديدا فلما نظر إليه كلوص علم أنه أمير العرب وقائد
جيوشهم وعلم أن خالدا يقصده بحملته لأجل زينته وصليبه
الذهب الذي على رأسه فتأخر البطريق إلى ورائه مخافة
من سيفه فلما نظر خالد إلى البطريق وقد تأخر إلى
ورائه حمل عليه يريده فزعقت عليه البطارقة ورموه
بسهامهم فلم يلتفت خالد إليهم رضي الله عنه وجواده
يمر بين صفوف الروم كأنه البرق الخاطف فلم يرجع
خالد من حملته حتى قتل عشر فوارس ثم انثنى راجعا إلى
ميدان الحرب وأوراهم أبوابا من الحرب أكثر من الأولى
ثم طلب البراز فلم يخرج إليه أحد فقال خالد يا معاشر
الروم من أهل دمشق يخرج منكم فارسان لقتالي فلم
يخرج إليه أحد فقال يبرز منكم أربع فوارس لقتالي
فلم يخرج إليه أحد فقال يبرز منكم عشر فوارس
لقتالي فلم يخرج إليه أحد فقال لهم هل أنا إلا رجل من

العرب وكلنا في الحرب سوا فمنهم من فهم كلامه ومنهم
من لا فهم كلامه ❁ فعند ذلك أقبل عزريل على كلوص
وقال له أليس الملك قد قدمك على الجيوش وبعثك إلى قتال
هؤلاء العرب قد ونك حامي عن بلدك ورعيتك فقال له
كلوص أنت أحق مني بذلك لأنك أقدم مني وقد زعمت
أنك لا تخرج منها إلا بأمر الملك هرقل فما بالك لا تخرج
إلى قتال العرب ❁ فقال عزريل قد جرا الشرط بيني
وبينك أن أقاتل بعسكري يوما وأنت تقاتل بعسكرك
يوما فقاتل أنت اليوم وأنا أقاتل غدا فقال كلوص
أنت أقدم مني في البلد فتخاصما وارتفع بينهما الخصام
فقال لهم الفريقان تقارعا فمن وقعت عليه القرعة يخرج
إلى قتال العرب فاقترعا فوقعت القرعة على كلوص
ابن حنا فقال له عزريل اخرج وبين شجاعتك كما
فعل أمير العرب وأخرج أنا غدا وينظر الفريقان من أشجع
وأفرس قال الواقدي فعند ذلك تدرع كلوص
وتأهب ثم ركب جواده وقال لأصحابه أريد أن تكون
همتكم إلي فإن رأيتم بي تقصيرا فاحملوا وخلصوني

من أيدي العرب فقال أصحابه إن هذا كلام رجل عاجز في
الحرب ❁ فقال كلوص يا قوم اعلموا أن أمير العرب بدوي
وأنا رومي ولغته غير لغتي وإني أريد رجلا يخاطبه عني فخرج
رجل من بين الروم اسمه جرجس وكان من أهل الفصاحة
وقال له أنا أترجم عنك ثم سار معه فقال له كلوص
اعلم أن هذا الأمير العرب شجيع فإن رأيتني قد عجزت عن
قتاله فأعني عليه حتى تكون صاحبي وأتخذك وزيري
ومشيري وليكن أمري مكتوم عندك وها أنا أماطله
بالبراز اليوم وأرجع وعسى يخرج إليه في غد عزريل فيقتله
فنستريح من صورته ❁ فقال له جرجس ما أنا بصاحب
حرب وإنما أعينك بكلامي ما قدرت وأخادعه ❁ ما
استطعت ❁ فإن أبا ذلك فانظر لنفسك فقال كلوص
ويحك طيب على قلبك تسلمني إلى عدوك فقال له جرجس ولا
يطيب على قلبي أن أقتل في رضاك ولا ينفعني مالك وإحسانك
فسكت كلوص وسار حتى قرب من جيش المسلمين ❁ فلما
نظر المسلمون إليهما هم أن يخرج إليهما رافع بن عميرة الطائي
رضي الله عنه فزعق عليه خالد قف مكانك لا تبرح منه

فإني أهل للنظر **قال الواقدي** فلما دنى كلوص من جيش
المسلمين قال لجرجس أدن من خالد وخاطبه فدنا جرجس من
خالد بن الوليد وقال يا بدوي إني أضرب لك مثلا وذلك
إن مثلنا ومثلكم كمثل رجل كان له قطيع من الغنم
فسلمه إلى راع من الرعيان وكان ذلك الراعي فشلا
قليل الجرأة على الوحش فبينما الراعي واقف يرعى أغنامه
إذ أقبل على الغنم أسد فجعل يفترس من الغنم كل ليلة
رأسا فنقصت الغنم والأسد قد ضرى عليها ولا يجد له
مانعا يمنعه ۞ فلما نظر صاحب الغنم إلى ما حل بغنمه
علم أنه لم يؤت إلا من الراعي ۞ فانتدب إلى غنمه راع
غيره وكان ذلك الراعي خبيرا جريا شجاعا فسلم إليه
الغنم ۞ وكان ذلك الراعي لا يهدى من الجولان
طول ليلته فبينما الراعي كذلك إذ أقبل إليه السبع
كعادته الجارية واخترق الغنم فنظر إليه الراعي
وكان بيده منجلا فهجم على السبع ضربه قتله فلم يقرب
الغنم وحش بعد ذلك اليوم ۞ وكذلك أنتم أيها
العرب لها ونتم بنا لأنه لم يكن أمة في الأمم أضعف

منكم لأنكم جياع مساكين حفاة عراة الأجساد تعودتم أكل
الذرة والشعير والزيت ومص النوا ۞ فلما خرجتم إلى بلادنا
وأكلتم من طعامنا وفواكه بلادنا ۞ وقد وصلتم إلى ما
وصلتم وفعلتم ما فعلتم وقد بعث الملك هرقل إليكم
هذا الرجل الذي إلى جانبي ۞ لا يقاس بالرجال ۞ ولا
يفزع من الأبطال فاحذره فإنه ينزل بك ما نزل
بالأسد من الراعي فإنه سألني أن أخرج إليك وأتلطف
معك في الكلام شفقة عليك فأخبرني ما الذي تريدون
منا وغاية ما تطلبون فقد توسطتم بحرا من توسطه غرق
ومن شرب منه مات بأجاجه ۞ فإن كنت أميرهم
فخاطب عنك وعنهم من قبل أن يقبض عليك هذا الليث
فيفترسك ۞ فلما سمع خالد كلام جرجس قال يا عدو الله
إنك جئت إلينا لتضرب الأمثال أما والله ما نحسبكم
في الحرب عندنا إلا كقابض الطير بالشبكة وأما ما ذكرت
من بلادنا فإنها كما ذكرت إلا أن الله عز وجل أبدلنا
عن ما ذكرت من القوت خبز الذرا والتمر بالحنطة
والفواكه والسمن وبلدنا أرض ارتضاها الله لنا ووعدنا

بها على لسان نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ۞ وأما قولك ما الذي
تريدونه منا نريد منكم إما الإسلام وإما الجزية أو القتال
حتى يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين ۞ وأما قولك هذا
الرجل الذي وقع بإزائك هو عندكم عظيم فهو والله
عندنا أقل من كل قليل ۞ وإن يكن ركنا للملك هرقل
فأنا والله ركن الإسلام أنا صاحب فتوح أركة وتدمر
وحوران وبصرى أنا خالد بن الوليد ۞ فلما سمع جرجس كلام
خالد تأخر إلى ورائه وقد تغير لونه فقال له خالد يا ويلك
ما لي أراك قد تأخرت إلى ورائك فقال له جرجس وحق ديني
ظننت أنك من أوباش العرب ولم أعلم أنك بطل من أبطالهم
وقيل من أقيالهم ۞ وأنت صاحب القوم الذي ملأت الأرض
شرا ۞ فلما سمع البطريق كلوص بذكر خالد انتفض في
سرجه وارتعد كأنه زعفة في يوم ريح عاصف وقال
لجرجس اسأله أن يقطع الحرب بيننا وبينه إلى غد فقال جرجس
ما أظنه يفعل [illegible] ۞ ثم التفت جرجس إلى خالد وقال
يا سيد قومه إن صاحبي يقول لك إنه يرجع إلى قومه ويشاورهم
فيما ذكرت فقال له خالد يا ويلك أتخدعني بكلامك وأنا

لا يؤثر في الخداع ۞ وإن السلامة منكم بعيدة ۞ ثم أقلب خالد
رمحه نحو جرجس فلما نظر جرجس إلى الرمح انعقد لسانه
ولا هاربا فلما نظر جرجس ذلك طلب كلوص فحمل خالد
على كلوص فلما نظر البطريق إلى ما فعل خالد لزمه حربه
فحمل على خالد وصبر لقتاله وتطاعنا طعنا شديدا فاحترز
البطريق من حملات خالد ۞ فلما نظر خالد إلى احتراز
البطريق أقرن عنانه بعنانه وبطل عليه طعنه وضرب
بيده إلى مخانيق ذرعه وجذبه إليه وقال لا حول ولا
قوة إلا بالله العلي العظيم ۞ ثم نشله فاقتلعه من سرجه
فلما نظر المسلمون إلى فعل خالد رضي الله عنه كبروا
تكبيرة عظيمة أذهلوا بها قلوب المشركين وتسابقوا
إليه الأبطال وأخذوا كلوص منه وشدوه كتافا
وهو يتكلم ولا يفهمون ما يقول ۞ فأتى المسلمون إلى
روماس صاحب بصرى رحمة الله عليه وقالوا له ما الذي
يقول هذا البطريق ۞ قال إنه يقول يا قوم لم تكتفوني
وأنا قد أجبت إلى قول صاحبكم ألستم تطلبون الجزية
والمال عن رأس كل أحد وأنا الضامن لكم ما طلبتم

فأعلموا خالدا بقوله فقال استوثقوا منه فإني أظنه رأس القوم
ثم إن خالدا نزل عن فرسه وركب سهريا كان أهداه
إليه صاحب تدمر وتهيأ للحملة على الروم فقال له
ضرار ابن الأزور أيها الأمير إنك تعبت في قتال الروم
فدعني أحمل عنك حتى تستريح قال خالد يا ضرار
إنما الراحة في الدار الآخرة ومن تعب اليوم استراح
غدا ثم قال خالد الله خليفتي عليكم ثم هم خالد
بالحملة فصاح به البطريق وقال بحق دينك إلا
رجعت إلي حتى أخاطبك فرجع خالد له وقال ما تطلب قال
كلوص إني صاحب الملك هرقل وقد بعثني الملك في
عشرة آلاف فارس وقد تخاصمت أنا وعزريل صاحب
دمشق وجرى لي معه كذا وكذا وقد أسرتني فبحق
نبيك إن خرج إليك عزريل فاقتله فقال له خالد إني
فاعل ذلك إن شاء الله ثم حمل خالد بن الوليد وأنشد

يقول

لك الحمد مولانا على كل نعمة

وشكرا لما أوليت يا سابغ النعم

مننت علينا بعد كفر وظلمة وأكشفت عنا ما نلاقي من الألم
وأيدتنا بالنصر والعز والهدى وشرفتنا بالمصطفى سيد الأمم
فتمم إله العرش ما قد نرومه وعجل لأهل الكفر يوما من النقم

قال الواقدي ثم قرب خالد من صفوف المشركين
ولقد بلغني ممن أثق به من الرواة رضي الله عنهم أنه لما
ولى جرجس خوفا من خالد إلى أن عاد إلى قومه وهو يرتعد
فقالوا له ما وراءك قال ورأى الموت الذي لا يغلب وهو
أمير العرب وقد آلى على نفسه أنه يطلبنا حيث
سلكنا ولا يرجع عن قتلنا وما خلصت نفسي منه إلا
بعد جهد جهيد فصالحوه قبل أن يحمل فينا بعسكره
فقالوا له ويلك ما يكفاك إنك انهزمت حتى ترعب
قلوبنا وأرادوا قتله ثم التفتوا إلى عزريل وقالوا له
اعلم أن صاحب الملك قد أخذوه العرب أسيرا وجاهدوا
وما قصروا وقد جرى الشرط بينكم أنه يخرج يوما
وتخرج أنت يوما فاخرج إلى أمير العرب واقتله قال
يا قوم اعلموا أن هذا البدوي إن قتلته فواحد من العرب
يقوم مقامه وإن قتلت أنا بقيتم غنما بلا راعي

فَدَعُونَا نَحْمِلُ بِجَمْعِنَا فَقَالُوا لَهُ لَا تَفْعَلْ ذَلِكَ لِأَنَّ حَمْلَتَنَا تُقْتَلُ
فِيهَا الرِّجَالُ وَتُيَتَّمُ الْأَطْفَالُ وَتُرَمَّلُ النِّسْوَانُ فَبَيْنَمَا هُمْ
فِي الْمُحَاوَرَةِ إِذْ جَاءَ أَصْحَابُ كَلَوْصَ وَهُمْ عَشَرَةُ آلَافِ
فَارِسٍ الَّذِينَ وَجَّهَهُمُ الْمَلِكُ مَعَهُ فَصَاحُوا عَلَى عِزْرِيلَ وَقَالُوا
لَهُ مَا أَنْتَ بِأَعَزَّ مِنْ صَاحِبِنَا وَقَدْ جَرَى بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الشَّرْطُ
وَأُسِرَ صَاحِبُنَا فَاخْرُجِ الْآنَ إِلَى قِتَالِ أَمِيرِ الْعَرَبِ وَإِلَّا
نَاشَبْنَاكَ فَقَالَ لَهُمْ عِزْرِيلُ يَا وَيْلَكُمْ وَكَأَنَّنِي جَزِعْتُ
مِنَ الْخُرُوجِ إِلَيْهِ وَإِنَّمَا تَقَاعَدْتُ عَنْ قِتَالِ الْبَدَوِيِّ
حَتَّى بَانَ عَجْزُ صَاحِبِكُمْ وَقَلَّتْ حِيلَتُهُ فِي الْحَرْبِ وَالسَّاعَةَ
أَخْرُجُ إِلَيْهِ وَيَنْظُرُوا الْفَرِيقَانِ أَيُّنَا أَثْبَتُ فِي الْحَرْبِ
ثُمَّ لَبِسَ عِزْرِيلُ لَامَةَ حَرْبِهِ وَرَكِبَ جَوَادًا يَصْلُحُ لِلْجَوَلَانِ
وَخَرَجَ إِلَى قِتَالِ خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ فَوَقَفَ وَقَالَ يَا أَخَا الْعَرَبِ
أُدْنُ مِنِّي حَتَّى أَسْأَلَكَ ❁ وَكَانَ الْمَلْعُونُ يَعْرِفُ
بِلِسَانِ الْعَرَبِ فَلَمَّا سَمِعَ خَالِدٌ قَوْلَهُ قَالَ أُدْنُ أَنْتَ
يَا عَدُوَّ اللَّهِ عَلَى أُمِّ رَأْسِكَ وَهَمَّ أَنْ يَحْمِلَ عَلَيْهِ فَقَالَ لَهُ
عِزْرِيلُ عَلَى رِسْلِكَ أَنَا أَدْنُو مِنْكَ فَقَرُبَ عِزْرِيلُ مِنْ خَالِدٍ
وَقَالَ يَا أَخَا الْعَرَبِ مَا حَمَلَكَ عَلَى أَنْ تَحْمِلَ دُونَ

قَوْمِكَ ❁ فَلَوْ قُتِلْتَ بَقِيَتْ أَصْحَابُكَ غَنَمٌ بِلَا رَاعِي فَقَالَ لَهُ خَالِدٌ
يَا عَدُوَّ اللَّهِ أَنْتَ مَا رَأَيْتَ فِعْلَ هَؤُلَاءِ الرَّجُلَيْنِ الَّذِينَ حَمَلَا عَلَى
عَسْكَرِكُمْ فَشَوَّشُوا صُفُوفَهُمْ وَلَوْ تَرَكْتُهُمَا لَمَزَّقَا جَيْشَكُمْ بِقُوَّةِ
اللَّهِ ❁ وَاعْلَمْ أَنَّ مِنْ وَرَائِي رِجَالٌ يُرِيدُونَ الْمَوْتَ مَغْنَمًا ❁
وَالْحَيَاةَ مَغْرَمًا ❁ قَالَ لَهُ عِزْرِيلُ أَمَا سَمِعْتَ بِاسْمِي أَنَا فَارِسُ
الشَّامِ أَنَا قَتِيلُ الرُّومِ أَنَا قَاتِلُ الْفُرْسِ وَسَيِّدُهُمْ أَنَا قَاتِلُ
التُّرْكِ وَالْجَرَامِقَةِ قَالَ لَهُ خَالِدٌ مَا اسْمُكَ قَالَ لَهُ سُمِّيتُ
بِاسْمِ مَلَكِ الْمَوْتِ فَلَمَّا سَمِعَ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ ذَلِكَ الْكَلَامَ
ضَحِكَ وَقَالَ لَهُ إِنَّ الَّذِي سُمِّيتَ بِاسْمِهِ هُوَ مُشْتَاقٌ إِلَيْكَ
يُرِيدُ أَنْ يُعَجِّلَ بِرُوحِكَ إِلَى النَّارِ ❁ فَقَالَ لَهُ الْبِطْرِيقُ بِحَقِّ
دِينِكَ مَا فَعَلْتَ بِالْأَسِيرِ الَّذِي أَسَرْتَهُ قَالَ لَهُ خَالِدٌ هُوَ
مَوْثُوقٌ بِالْقِدِّ قَالَ عِزْرِيلُ فَمَا الَّذِي مَنَعَكَ مِنْ قَتْلِهِ فَإِنَّهُ
دَاهِيَةُ الرُّومِ قَالَ لَهُ خَالِدٌ حَتَّى أَقْتُلَكُمَا جَمِيعًا قَالَ عِزْرِيلُ
يَا أَخَا الْعَرَبِ هَلْ لَكَ أَنْ تَأْخُذَ مِنِّي أَلْفَ دِينَارٍ وَعَشَرَةَ
آلَافِ ثَوْبٍ مِنَ الدِّيبَاجِ وَخَمْسَ رُؤُوسٍ مِنَ الْخَيْلِ وَتَأْتِينِي
بِرَأْسِ كَلَوْصَ ❁ قَالَ لَهُ خَالِدٌ هَذِهِ دِيَتُهُ فَمَا دِيَتُكَ
أَنْتَ ❁ فَلَمَّا سَمِعَ عَدُوُّ اللَّهِ كَلَامَ خَالِدٍ غَضِبَ غَضَبًا

شديدا وقال كم تأخذ مني قال الجزية عن رأسك وأنت قامع
دليل قال عزريل يا أخا العرب إنا كلما زدنا في إكرامك
زدت أنت في إهانتنا فخذ الآن على نفسك فإني قاتلك فلما
نظر خالد إلى ما أظهر البطريق من الشجاعة فقال عزريل
يا أخا العرب لو أردت الوصول إليك لقدرت ولكنني أبقي
عليك لأنني أريد الصلح بيني وبينك ولكن سلم نفسك
لي حتى تعلم الناس أنك أسيرا في قبضتي وبعد ذلك
أحلك من وثاقك وتسير عنا إلى بلادك وتسلم إلينا ما
أخذته من البلاد فلما سمع خالد كلام البطريق قال
يا عدو الله أدركك الطمع فينا تنظر إلى هذه العصابة
اليسيرة الذي فتحت بها أركة وتدمر وحوران وبصرى
وهم ممن باعوا أنفسهم من الله بجنته واختاروا دار
البقا على دار الفنا والآخرة على الأولى فعند ذلك
حمل خالد على عدو الله عزريل فلما نظر عزريل
إلى خالد وقد حمل عليه ندم على ما تكلم به وقال
يا أخا العرب ما تحتمل الملاعبة قال له خالد لا عبثي
الحرب فخذ لنفسك وضربه خالد ضربة بسيفه حتى

ظن أنه قد قطع وأنه هل عدو الله من صولات خالد فولى هاربا
وأقبل خالد له طالبا قال عامر بن فاطر وكنت من أهل
القلب وأنا أنظر ما جرى بين خالد وبين عزريل فلما ولى عدو الله
هاربا وتبعه خالد فرأيت جواد البطريق أسبق من جواد
خالد فلما نظر البطريق إلى تخلف خالد عن إدراكه
داخله الطمع وقال إن البدوي خاف مني فلما وقع
ذلك في نفسه وقف حتى لحقه خالد فصاح به عزريل
وقال يا بدوي لا تظن أني انهزمت ولكن أردت أن
أبعدك عن أصحابك فقال خالد الله أعلم بذلك فقال
عزريل يا أخا العرب ارحم نفسك واستسلم تسلم حتى آخذك
أسيرا وإن أردت الموت فإني أسوقه إليك فقال خالد
أدركك الطمع حين قصر جوادي وأنا أقاتلك فارسا
وراجلا ما لم تول هاربا ثم ترجل خالد عن جواده وشهر
سيفه ومشى إليه كالأسد النازل على فريسته فلما نظر
عزريل إلى خالد وقد ترجل عن جواده زاد طمعه فيه
وحام عليه حومة القشعم وضرب خالدا فزاغ خالد عن
الضربة وضرب قوايم جواد البطريق فقطعهما وسقط

عدو الله إلى الأرض هاويا على أم رأسه ثم ولى هاربا يطلب
جيشه ❁ فطلبه خالد رضي الله عنه واختطفه من الأرض
فنظر الروم إلى صاحبهم في يد خالد بن الوليد فهموا أن
يحملوا على خالد وإذا بجيش المسلمين وأبطال الموحدين
قد أشرفوا على دمشق مع أمين الأمة أبي عبيدة عامر بن الجراح
وكان خالد بن الوليد قد أرسل إليه من بصرا فوجد
الرسول مقبلا فرده معه إلى دمشق إلى جيوش المسلمين ❁
فلما نظرت الروم إلى جيوش المسلمين وقد أقبلت داخلهم
الفزع والجزع فوقفوا عن الحملة قال الواقدي حدثني
همام بن عوف عن قيس بن سعيد عن عامر بن عجلان الواقدي
عن هلال بن تغلب قال إنه لما قدم جيش المسلمين مع أبي
عبيدة سأل عن خالد فأخبروه أن خالدا أسر بطريق
دمشق عزريل وبطريق الروم كلوص وإنه واقف
في القتال فهم أن يترجل إليه أبو عبيدة ❁ فأقسم عليه
خالد برسول الله صلى الله عليه وسلم أن لا يفعل وكان
أبو عبيدة يحب رسول الله صلى الله عليه وسلم فأقبل بعضهم
على بعض في السلام ❁ فقال أبو عبيدة لخالد يا خالد لقد

فرحت بكتابك إلى أبي بكر الصديق حين قدمك علي يوما وجدت
في قلبي لك حقدا إلا أني أعرف موقفك في الحرب فقال له خالد والله
لا فعلت أمرا إلا بمشورتك ولا أخالف لك قولا ❁ ولولا أمر الإمام
طاعة لما كنت أفعل ذلك إلا أنما أقدم مني سابقة في الإسلام
ثم إنهما تصافحا فقدم خالد إليه جوادا ليركبه ❁ وسلم معه
أبي عبيدة يحدثه بما جرى له مع البطريقين ❁ وكيف
نصره الله تعالى عليهما ❁ إلى أن أتيا إلى الدير ونزلا هنالك
وأقبل المسلمون يسلمون على بعضهم بعضا ❁ فلما كان من الغد ركبوا
جيوش المسلمين وترتبت المواكب وزحف خيل دمشق وقد
أمر عليهم توما صهر الملك وكان بطريق دمشق بعد الملك
هرقل فعند ذلك حمل المسلمون مثل الأجل وضرب بينهم
النبل ❁ وزاد الخوف والوجل ❁ ونزل السيف في القلل
وعملت الصوارم وبطل الفشل ❁ وحمي الشجاع وقاتل
البطل ❁ وقلعت ألسنة الرماح نواظر المقل ❁
وانتثرت الجماجم تحت القلل ❁ وكبر المسلمون
بأجمعهم فارتجت الغوطة وما حولها من تكبير المسلمين
وكان يوما معلوما وجاهد أصحاب رسول الله صلى الله عليه

وسلم جماعة أذهل المشركين وأرضوا به رب العالمين ❀ قال
عامر بن الطفيل ولقد كان الرجل منا يقتل من الروم عشرة
أو أكثر من ذلك فما لبثوا معنا ساعة حتى ولوا الأدبار وركنوا
إلى الفرار ❀ فأقبلنا نقتلهم من الدبر إلى الباب الشرقي ❀
فلما نظر أهل المدينة إلى انهزام جيشهم غلقوا الأبواب
في وجوههم ❀ قال قيس بن هبيرة فمنهم من قتلناه ومنهم
من أسرناه ورجعنا فقال خالد لأبي عبيدة إني أرى من
الرأي أنني أنزل على الباب الشرقي ❀ وأنت تنزل على باب
الجابية ❀ قال أبو عبيدة هذا هو الرأي قال
الواقدي حدثني مغري بن الحارث قال حدثني سهل
ابن عبد الله بن رافع التميمي بن أوس بن الخطاب أن الذي
قدم مع أبي عبيدة من اليمن والحجاز وحضرموت وساحل
عمان والطائف وما حول مكة بسبعة وثلاثون ألفا ❀
وكان مع عمرو بن العاص تسعة آلاف فارس ❀ والذي
قدم به خالد بن الوليد من العراق ألف وخمسمائة فارس
من لخم وجذام فكان جملة جيش المسلمين سبعة وأربعين
ألفا وخمسمائة غير الذي حضرهم عمر بن الخطاب ❀ في أيام

خلافته ولنذكر ذلك إذا وصلنا إليه مستوعبا مشروحا
إن شاء الله تعالى ❀ هذا وإن خالد بن الوليد نزل على الباب
الشرقي ونزل أبو عبيدة على باب الجابية ❀ فلما نظر
أهل دمشق إلى ذلك داخلهم الفزع والجزع ❀ ثم إن خالدا
أحضر البطريقين وهما كلوص وعزريل فعرض عليهما
الإسلام فأبيا فأمر ضرار بن الأزور بضرب رقابهما فضرب
رقابهما وأهل المدينة ينظرون إليهما من الأسوار قال
الواقدي ولقد بلغني ممن أثق بقوله إن ضرار بن الأزور
قتل عزريل ورافع بن عميرة قتل كلوص فلما نظر أهل
دمشق إلى ذلك كتبوا كتابا إلى الملك هرقل بما جرى عليهم
وإن البطريقين كلوص وعزريل قتلهم العرب وقد نزلت
العرب لقتالنا على الباب الشرقي وعلى باب الجابية ❀ وقد
نزلوا بنسائهم وأولادهم وقد قطعوا أرض البلقاء إلى
أرض السواد ووصفوا له ما ملك المسلمون من البلاد فأدركنا
ولا تسلمنا إليهم البلاد ❀ ثم سلموا الكتاب إلى واحد منهم
وأعطوه دية رقبته ودلوه من السور بالحبال بالليل ❀
وسار الرجل إلى أن دخل على الملك هرقل وهو بأنطاكية

فلما مثل بين يديه ناوله الكتاب ❁ فلما قرأه رماه من يده وبكى
وقال يا بني الأصفر لقد حذرتكم من هؤلاء العرب من حين
خرجوا من ديارهم ديار الجوع والقحط وأكل الذرة
والشعير وجاؤا إلى بلاد مخصبة كثيرة الخير والأشجار
والثمار والفواكه وليس يؤخرهم عنا إلا العزم والقوة
وشدة الحرب ولولا أنه عار علينا لتركت الشام ورحلت
إلى القسطنطينية ولكن أنا أخرج إليهم وأقاتلهم فقالوا
له البطارقة والحجاب أيها الملك ما بلغ من أمر العرب
حتى تخرج إليهم بنفسك وقعادك أهيب لك فقال
هرقل ومن نبعثه إليهم قالوا أيها الملك عليك بوردان
صاحب حمص فإنه ليس فينا مثله في القوة ومعرفة الحرب
والقتال وملاقاة الفرسان ❁ وقد تبين أمامك في عسكر
الفرس لما قصدونا ❁ فأمر الملك بإحضار وردان فلما
حضر قال له الملك يا وردان تهيأ لقتال العرب فقال أيها
الملك لولا أخاف من غضبك لما توجهت إلى قتالهم لأنك
تركتني آخر البطارقة قال له الملك إنما أخرتك لأنك
سيفي وعمدتي فاخرج من وقتك ولا تتأخر وقد أمرتك

على إثني عشر ألفا من الروم فإذا وصلت إلى بعلبك فانفذ إلى
من بأجنادين من الروم لا يتركون أحدا من العرب الذين هم
نازلون في أرض فلسطين أن لا يلحقوا بأصحابهم ❁ فقال
وردان سمعا وطاعة أيها الملك سوف يبلغك الخبر وآتي
إليك برأس خالد بن الوليد ومن معه وبعد ذلك أدخل
أرض الحجاز ولا أرجع إلا بهدم الكعبة والمدينة
فلما سمع الملك هرقل ذلك من قول وردان ❁ قال له
وحق الإنجيل وما فيه من البيان لئن وفيت بعهدك
لأعطينك جميع ما فتحوه العرب من البلاد حرثا وخراجا
وأكتب لك كتب العهد أنك تكون ملكا من
بعدي ❁ ثم إن الملك وجهه ومنطقه وأعطاه صليبا
من الذهب في جوانبه أربع يواقيت لا قيمة لها وقال
يا وردان إذا لاقيت العرب فقدم هذا الصليب أمامك
فهو ينصرك **قال الواقدي** فلما تسلم وردان الصليب
قام من وقته إلى الكنيسة وانغمس في ماء المعمودية وبخروه
الأقسة ببخور الكنايس ❁ وصلوا عليه صلاة النصر
وخرج من وقته وضرب خيامه على باب فارس وأخذت الروم

أفتبهم للرحيل وركب الملك هرقل مع أرباب دولته لوداع
وردان وكان يوم مشهود في إنطاكية فلما وصلوا إلى
جسر الحديد هنالك ودعه الملك هرقل ورجع وسار وردان
ومن معه إلى أن نزل على حماة فكتب كتابا وتفذه إلى من
بأجنادين من الجيوش وأمرهم أن يتفرقوا على سائر الجهات
ليمنعوا عمرو بن العاصي وعسكره أن يصلوا إلى عساكر المسلمين
فلما سلم الكتاب إلى الرسول جمع وردان البطارقة وقال
لهم إني أريد أن أسير على غفلة على طريق مقفر على غير
الطريق المسلوكة حتى أكبس على المسلمين ولا أخلي أحدا
ينجوا منهم فاستصوب رأيه القوم فلما كان من الليل
رحلوا على طريق سلمية وواد الحيات قال الواقدي
حدثني رفاعة بن زيد قال حدثني سليمان بن خولد
قال أخبرنا شداد بن أوس قال إنه لما قتل خالد بن الوليد
ذينك البطريقين أمر المسلمين أن يرجعوا إلى دمشق فرجعنا
إلى دمشق وحاصرناهم ونحن بأيدينا الحجف نلتقي بهم
الحجارة والسهام قال شداد بن أوس فأقمنا على حصارهم
عشرين ليلة فلما كان بعد ذلك جاءنا رجل من العرب

إسمه ناوي بن معاوية فأخبرنا بأن الروم قد اجتمعت بأجنادين
ووصف لنا عظم جيشهم وكثرة عددهم فعند ذلك
ركب خالد بن الوليد وسار إلى أن أتى إلى أبي عبيدة بن الجراح
واستشاره وقال له يا أمين الأمة إني قد رأيت رأيا أنني أدخل
إلى أجنادين ونلقى من هناك من الروم فإن نصرنا الله عليهم عدنا
إلى دمشق قال أبو عبيدة ليس هذا رأي لأننا قد أذقناهم
شرا ودخل رعبنا في قلوبهم وإن نحن رحلنا عنهم يقووا وتجمعوا
الأطعمة ولا نقدر ننزل في منازلنا هذه فقال خالد والله لا
عصيت لك أمرا ثم ركب خالد وبعث للأمراء الذين على الأبواب
أن يشددوا القتال على أهل دمشق وزحف خالد على الباب
الشرقي وهو ينشد شعرا

ألا بلغا عنا الإمام بأننا ❀ نلاقي شيوخ الشرك مع أطغيارها
ولا نرجع إلا أن ندمر جمعهم ❀ وأروي سناني من دماء عيونها
نكم من جديل سوف يلقى بجندلا ❀ وكم من قرين سوف يبكي قرينها

قال الواقدي ثم إن خالدا جعل يحث الناس على الحرب
ويتقدموا للكفاح وضعضع خالد أهل دمشق ونقص
أحوالهم وطال عليهم الأمر ولم يروا جيشا من عند الملك

هرقل تصل إليهم فعزموا على الصلح فبعثوا جاثليقا إلى خالد يعطيهم
الأمان ويعطوا له ألف أوقية من الفضة وخمس مائة من الذهب
ومائة من الديباج ويرحل عنهم فامتنع خالد من ذلك
وقال لا أرحل إلا بالجزية أو الإسلام أو القتال ❁ فعاد
الجاثليق إليهم وأعلمهم بذلك فاشتد عليهم الأمر ❁ قال
عروة بن أسيد وكان أهل دمشق يميلون إلى أبي عبيدة أكثر
من خالد لأن خالدا صاحب سيف وقتل وكان أبو عبيدة
شيخا عفيفا يوعدهم الصلح وخالد يوعدهم القتل فبينما
خالد قد حرض الناس على القتال إذ نظروا إلى أهل دمشق
وهم يرقصون ويصفقون ويشيرون بأيديهم إلى نحو ❁
الجبل فنظر خالد إلى غبرة قد أقبلت إلى نحو دمشق فعلم
خالد أن طاغيتهم هرقل قد أمدهم بالجيوش فصاح خالد
بالمسلمين وأمرهم بالركوب فتبادر المسلمون إلى خيولهم
وركبوها وأشهروا سلاحهم واجتمعت كل قبيلة إلى
سيدها واجتمعوا إلى خالد وركب خالد وأتى إلى عند أبي
عبيدة وأخبره بالخبر ❁ وقال يا أمين الأمة ما الذي ترى
من الرأي قال نرا من الرأي أننا نسير إليهم بجمعنا قال أبو عبيدة

ما هذا الرأي قال خالد ولم قال أبو عبيدة لئلا يخرجوا أهل دمشق
ويملكون مواضعنا ويتزايد الخطب علينا ❁ قال خالد فما الرأي
قال أبو عبيدة تندب إلى هذا الأمر رجلا لا ر فيهم رجل شجاع
عارف بالحرب فإن رأى له فيهم طمعا قاتلهم وإن رأى الأمر
صعبا علمهم رجع إلينا رسوله حتى نمدهم بخيل ورجال
ولم نخرج من مواضعنا ❁ فلما سمع خالد ذلك من أبي عبيدة
قال يا أمين الأمة إني أعرفه رجلا لا تأخذه في الله لومة لائم
غير ملاقات الرجال والأبطال لا يخاف الفوت ولا يرهب الموت
قال أبو عبيدة ومن هو يا أبا سليمان قال ضرار بن الأزور بن
طارق قال لقد وصفت رجلا معروفا في سيرته فافعل ما تريد
فرجع خالد من عند أبي عبيدة عامر بن الجراح وادعا بضرار
ابن الأزور فجاء إليه وسلم عليه فقال له خالد يا ابن الأزور إني
أريد أن أقدمك على خمسة آلاف فارس ابتاعوا أنفسهم من الله
بجنته واختاروا دار البقاء على دار الفناء والآخرة على الأولى
ونسيرهم إلى هؤلاء القوم الذين وردوا إلينا فإن رأيت
فيهم طمعا فقاتلهم وإن رأيت لا قدرة لك عليهم فانفذ إلينا
رسولك نمدك بالعساكر فقال ضرار وافرحاه والله أيها

الأمير مما أدخلت على قلبي مسرة أعظم من هذه ولو تركتني أسير إليهم
وحدي لسرت إليهم ✿ فقال خالد لعمري إنك كفؤ ولكن
أريد أن أبعث معك رجالا فلا تغرر بنفسك حتى أجمع لك الجيش
فقال والله لا تأخرت فإن علم الله فيه خيرا فليبلغني ثم أسرع
ضرار بن الأزور إلى بيت لهيا وهو موضع كان يصنع فيه
آزر الأصنام فوقف هناك حتى لحق به أصحابه ✿ فلما تكاملوا
قال ضرار أتنظرون إلى الجيش وهو منحدر من الثنية قالوا نعم
فلما نظر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى جيش العدو
قالوا والله إن هذا الجيش جيش عظيم والصواب أننا نرجع إلى
الأمير خالد ونخبره بالقصة قال ضرار بن الأزور والله لا زلت
أضرب في سبيل الله واتبع من أناب إليه ولا يراني الله وانيا
ولا منهزما ولا أولي الدبر أبدا لأن الله تعالى قال فلا تولوهم
الأدبار وأنا إن وليت عن العدو فقد أغضبت الله عز وجل
فعند ذلك تكلم رافع بن عميرة الطائي رضي الله عنه
وقال يا قوم لا يهولكم كثرة هذا الجيش أما نصركم الله
في مواطن كثيرة والصبر مقرون بالنصر ولم تزل طائفتنا
تلقى الجمع الكثير بالجمع القليل فاتبعوا سنن الأولين ✿

وما يغول إلا مرطبات رب العالمين ✿ وقولوا كما قال أصحاب
طالوت يوم تلقاهم جالوت ربنا أفرغ علينا صبرا وثبت أقدامنا
وانصرنا على القوم الكافرين ✿ فلما سمع ضرار بن الأزور كلامهم
وأنهم آثروا الآخرة على الأولى كمن ضرار بن الأزور بمن
معه لأعداء الله عند بيت لهيا وأخطأ أمره وهو أمام المسلمين
عاري الجسد وقد تعمم بعمامة سابغة بيده قناة كاملة
الطول وهو ينظر إلى القوم قال الواقدي هكذا حدثني
غنم بن أوس عن علي بن عميرة بن حازم عن أبيه سلامة بن خويلد
قال كنت يوم بيت لهيا فيمن صحب ضرار بن الأزور وهو
بسدن الطبقة رغبته في الشهادة فلما قاربوا الروم كان
ضرار بن الأزور أول القوم وهو يشد الصفة كأنه كركي
فلما نظر الروم إليه هالهم أمره وكان وردان في المقدمة
والأعلام والصلبان على رأسه والرجال محدقة به فلم يطلب
ضرار غيرهم فحمل ضرار على جيش الروم وطعن فارسا حاملا
صليبا فجدله صريعا ووقع العلم بالصليب من يده ثم حمل على
الميسرة فقتل فارسا آخر وطلب وردان والصليب الأعظم
على رأسه يحمله فارس راكب على برذون أشهب والجواهر

يلمع من أربع جوانبه فلما وصفه ضرار وطعن حامل الصليب فخرج
السنان من جانبه الأيسر وعجل الله بروحه إلى النار وسقط
الصليب من يده إلى الأرض منكسا فلما نظر وردان إلى الصليب
وقد تنكس إلى الأرض ولى هاربا وقد أيقن بالهلاك
فهم ضرار أن يترجل لأخذ الصليب فلم يجد إلى ذلك سبيلا
وترجل قوم من المسلمين ليأخذوا الصليب فلما نظر ضرار بن
الأزور إلى من يأخذ الصليب قال لهم وهو في شدة الحرب
يا معشر المسلمين إن الصليب لي دونكم فلا تطمعوا فيه
فإني راجع إليه إذا فرغت من قتال الروم فلما سمع ذلك
وردان وكان يعرف بلسان العرب نعطف من القلب يريد
الهروب فقال له قومه أيها السيد إلى أين قال أفر من هذا
الشيطان فهل رأيتم آدميا مثله فنظر إليه ضرار بن الأزور
وقد عطف راجعا واقتحم ضرار في أثره طالبا لله ولكز
جواده ومد رمحه فصاحت عليه الروم وعطفت على ضرار
ابن الأزور الكتائب والمواكب وتكاثرت عليه الروم يمينا
وشمالا ❀ **وهو يقول** ❀

الموت حقا ليس لي منه مفر ❀ وجنة الفردوس لي خير مستقر

قال الواقدي ثم اخترق ضرار صفوف الروم وحمل عليهم وحمل
أصحابه في أثره واخترقوا جيوش الروم ❀ فلما نظر وردان إلى
ضرار وقد اخترق جيشه قصده وحمل عليه وأداروا البطارقة
به وأحدقوا حوله من كل جانب ومكان وضرار يضرب فيهم
يمينا وشمالا لا يطعن أحدا إلا أرداه إلى أن قتل خلقا كثيرا
بحول الله وقوته وصاح في قومه إن الله يحب الذين يقاتلون في
سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص وانكبت على ضرار بن
الأزور جيوش الروم وخرجوا عليه من كل جانب واشتعل
الحرب بينهم ووصل وردان إلى ضرار ورماه بسهم فأصاب
عين ضرار اليسرى فلما أحس ضرار بالألم في عينه حمل على
وردان وطعنه في خاصرته ثم جذب الرمح إليه فخرج بلا
سنان وما كان مع ضرار سيف ❀ فلما نظر الروم إلى ضرار
وهو بلا سلاح طمعوا فيه وانضموا إليه فأخذوه أسيرا فلما
نظر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى ضرار بن الأزور
وقد أسرته الروم عظم ذلك عليهم وكبر لديهم ولم يجدوا
إلى ذلك سبيلا وأرادوا الهروب ❀ فقال لهم رافع بن
عميرة يا أهل الإسلام ❀ وأمة خير الأنام أما علمتم أنه من ولى

عنانه لعدوه واعطاه ظهره فقد باء بغضب من الله ورسوله فان الجنة
مفتحة للمجاهدين الصابرين ❀ فالصبر الصبر يا اهل الدين واحملوا
على عبدة الصلبان وها انا في اوايلكم فان كان ضرار صاحبكم
قد قتل او اسر فان الله تعالى حي لا يموت وهو يراكم بعينه فرجع
القوم الى قوله وحمل المسلمون معه فقتلوا رجالا ❀ وجندلوا
ابطالا ❀ ووصل الخبر الى خالد بن الوليد ان ضرارا اسرته الروم
وقتل من المشركين خلق كثير فعظم ذلك على خالد وقال
في كم يكون العدو قالوا ايها الامير في اثني عشر الفا ❀ ثم
سال عن مقدم الروم فقالوا بطريق اسمه وردان وهو
صاحب حمص وقد قتل ضرار ولده فقال خالد لا حول ولا قوة
الا بالله العلي العظيم ❀ ثم ارسل الى ابي عبيدة يستشيره
فارسل اليه ابو عبيدة يقول له اترك على الباب الشرقي من
تثق به واخرج اليهم فانك تطحنهم ❀ فلما وصل الجواب
الى خالد رضي الله عنه قال والله ما انا ممن يبخل بنفسه في
سبيل الله ثم اوقف مكانه ميسرة بن مسروق العبسي رضي الله
عنه في الف رجل ثم قال له اتق الله في نفسك واستعن بالله
على كل ظالم فقال ميسرة حبا وكرامة ثم ان خالدا ركب

واخذ معه بقية عسكر الزحف وقال لهم قوموا الاسنة واطلقوا
الاعنة واذا اشرفتم على العدو فاحملوا حملة واحدة فلعلنا
نخلص ضرارا ان كانوا ابقوا عليه ووالله ان عجلوا بقتله لاخذن
بثاره ان شاء الله تعالى وارجو من الله عز وجل ان لا يفجعنا فيه
❀ ثم تقدم خالد بن الوليد وهو ينشد ويقول ❀
اليوم يوم فاز فيه من صدق ❀ لا يفزع الموت اذا الموت طرق
لاغمسن الرمح من دم الحدق ❀ لاشعلن البيض نارا والدرق
قال الواقدي ولما فرغ خالد من شعره اذا به فارس من
المسلمين راكب على فرس كميت طويل الركاب وبيده
رمح طويل والفارس لا يبان منه غير اماق الحدق او تداوير
الاماق والفروسية تلوح من شمايله وقد اطلق عنانه وقوم
سنانه وعليه ثوب اسود قد لبسه من فوق لامته وقد حزم
وسطه بعمامة خمرا وتوشح بها من صدره الى ورائه وقد
سبق الناس الى الحرب والقتال فلما نظر اليه خالد رضي الله
عنه قال ليت شعري من يكون هذا الذي سبق الناس
للحرب والقتال والله انه لشجاع ثم تبعه خالد والناس ❀
وكان اسبق الناس الى المشركين قال الواقدي

وكان رافع بن عميرة خايض في عسكر الروم وقد صبر لقتالهم
هو ومن معه إذ نظر إلى الفارس الذي قد وصفناه وقد
حمل على الروم كأنه نار تلهب فزعزع كتايبهم وغاب
في أوساطهم فما كانت إلا جولة الجايل حتى خرج الفارس
وسنان رمحه مخضب بدم الأعداء وقد قتل رجالا وجندل
أبطالا وهو يتلهف ويظهر الاحتراق وقد عرض نفسه
للقتال ❀ ثم عطف على كراديس من الخيل وغاب في
أوساطهم عن أعين الناس وكثر قلقهم عليه وأما
رافع بن عميرة ومن معه فإنهم ظنوا أنه خالد بن الوليد
وقالوا لم تكن هذه الحملات إلا حملات خالد فبينما هم
على مثل ذلك وإذا قد أشرف عليهم خالد في كبكبة
من الخيل فصاح رافع بن عميرة أيها الأمير من هذا الفارس
الذي قدمته أمامك لقد بذل سنان رمحه وسيفه في رضا
الله تعالى فقال خالد والله إني لم أعرفه ولقد أعجبني ما
أظهر من فعله ❀ فقال رافع أيها الأمير إنه انغمس في نحر
العدو وهو يطعن في أعداء الله يمينا وشمالا فصاح خالد
معاشر المسلمين ❀ احملوا بأجمعكم وأدركوا صاحبكم

بارك الله فيكم ❀ فقوموا الأسنة وأطلقوا الأعنة ❀
وخالد أمامهم إذ نظر خالد إلى ذلك الفارس وقد خرج من
قلب عسكر الروم وكأنه شعلة نار والخيل ناصبة في أثره
وكلما لحقه قوم من الروم حمل عليهم وجندل منهم فحمل
خالد ومن معه واستنقذوه من أيدي المشركين ووصل
ذلك الفارس إلى جيش المسلمين فتأملوه وإذا به كأنه
شقيقة أرجوان من دماء الكفار ❀ فقال له خالد لله
درك فما أنت إلا رجل بذل نفسه في سبيل الله عز وجل
لكن اكشف لنا عن لثامك فمال ذلك الفارس عنهم ولم
يخاطبهم فصاحت به العرب من كل جانب ومكان
أيها الرجل الكريم أميرك يخاطبك وأنت تعرض عنه امض
إليه واكشف لنا عن لثامك حتى نعرف حسبك ونسبك
لتزداد إعظاما فلم يرد عليهم جوابا ❀ فلما أبعد عن خالد
أمره سار إليه بنفسه وقال يا هذا الفتى لقد أشغلت
قلوب الناس بفعلك من أنت يرحمك الله فلما لح عليه
خالد بالكلام خاطبه بلسان التأنيث وقال أيها الأمير
إني لم أعرض عنك تهاونا بأمرك ولكن حياء منك لأنني من

ذوات الخمار ومن الناهدات الأبكار ومن تسبل عليهم الأستار
وإنما حملني على ذلك لأني حزينة القلب فقالوا لها من أنت
عفا الله عنك قالت له أنا خولة بنت الأزور بن طارق أخت
ضرار وإني كنت مع نساء مذحج وبنات العرب إذ أتاني الناعي
أن ضرارا قد أسرته الروم فركبت وفعلت ما فعلت فبكى
خالد رحمة لها ثم قال ها نحن نحمل بأجمعنا حملة واحدة
وعسى أن نصل بها إلى أخيك ضرار إن شاء الله تعالى قالت خولة
وها أنا أحمل في أوائلكم ثم حملت خولة وحمل خالد
والمسلمون قال الواقدي فعظم ذلك على المشركين
ما نزل بهم من حملات خولة بنت الأزور وقالوا إن كان
القوم كلهم مثل هذا الفارس فما لنا بهم طاقة فلما
حمل خالد بمن معه على جيوش الروم فرقهم يمينا وشمالا
وقصد إلى موضع صاحبهم وردان وحط عليه وكان
حوله المدبجة والهرقلية وأصحاب سرير الملك بالحديد
والزرد النضيد فمنعوا خالدا من الوصول إلى صاحبهم
ولم يقدر خالد على ذلك وقاتل المسلمون قتالا عظيما
ودام الحرب واشتد الضرب وصار الطالب مطلوبا

وتطاعنوا بالأسنة واحتدت وقصرت الأعناق بعد ما
امتدت وطلبت الأرواح طريق النجاة فما تهدت
وقصدت بنات المنايا نفوس الأبطال فما ردت وتغيرت
الألوان وتصدعت وانشقت المرائر وانقدت
وقاتل رافع بن عميرة قتالا شديدا وردت الأقيال
وانهمكت حماة الصلبان وأما خولة بنت الأزور
فإنها اخترقت صفوف الروم يمينا وشمالا في طلب
أخيها ضرار إلى أن وصلت إلى خيار المشركين ومعها
أبطال المسلمين ودارت عليه فلم تجد له خبرا فجعلت
خولة تنشد وتقول

أين ضرار لا أراه يومي ولا رآه معشري وقومي
يا واحدي يا ابن أبي وأمي كدرت عيشي ثم قل نومي

قال الواقدي فلما سمعها المسلمون تبكي بكوا
لبكائها ولم تحل خولة كذلك والناس في أشد
قتال إلى وقت العصر فافترقوا القتال بعضهم عن بعض
وقد نصر الله المسلمين على المشركين وقتل منهم
مقتلة عظيمة وتراجعت الطائفتان إلى مواضعها

وقد تكسرت عددهم وكلت فرسانهم وتسولت مراكبهم
وانهدمت أركانهم وما ردهم عن الهزيمة إلا الملك
هرقل ❁ فلما نزل المسلمون جاءت خولة وهي تقول
معاشر المسلمين من رأى لي أخي ضرارا وأخبره على الله عز وجل
فلم تجد من يخبرها عنه هل سالم أم عاطب ولعلها تحصل
على أمر من الأمور ولما وقع بها الإياس بكت بكاء شديدا
وجعلت تدور في عسكر المسلمين وهي تنشد وتقول

❁ شعر ❁

يا ابن أمي ليت شعري ❁ بالجبال قد أوثقوكا ❁
أم ليت شعري يا حبيبي ❁ بالحديد قد قيدوكا ❁
أم ليت شعري يا حبيبي ❁ بالسنان قد طعنوكا ❁
أم ليت شعري يا حبيبي ❁ بالحسام قد جرحوكا ❁
أم ليت شعري يا حبيبي ❁ بالدما قد خضبوكا ❁

قال الواقدي فلما سمع خالد كلامها بكا بكاء
شديدا وهم أن يعود للحملة لأجلها وإذا بكردوس
من الروم قد أقبلوا من ذيل الجبل ولم يزالوا سائرين إلى
أن وصلوا إلى جيش خالد وكان المسلمون قد تأهبوا
للقائهم ❁ فلما قربوا من المسلمين أرموا رماحهم من أيديهم ❁
ونادوا بأجمعهم الأمان الأمان وترجلوا عن خيولهم فقال
لهم خالد من أنتم قالوا نحن من جند وردان ومقامنا بمدينة
حمص وقد تحقق عندنا أننا لا قوة لنا بكم ونحن نريد
الأمان لنا ولأهل بلدنا واجعلونا من جملة من صالحتموه
من البلاد حتى نحمل إليكم المال الذي تأمرونا في كل
سنة وكل من في حمص راض بكلامنا ❁ فقال لهم خالد
إذا وصلنا إلى بلادكم إن شاء الله تعالى نفعل ما يكون لكم
فيه أرب وأما ها هنا فلا أصالحكم ولكن كونوا معنا حتى
يحكم الله بما يريد ❁ ثم أمر خالد بإعتاقهم وأقبل
عليهم خالد وقال لهم هل لكم علم بصاحبنا قالوا لعله
العاري الجسد الذي قتل منا من قتل الذي أفجع صاحبنا
وردان في ولده ❁ فقال خالد عنه نسأل قالوا إن
وردان أوثقه بالحديد ووكل به مائة فارس من
أصحابه وقد بعثه إلى حمص ليقدمه إلى الملك هرقل
لما ظهر لهم من الفعال المذكورة والأحاديث المشهورة
فلما سمع خالد ذلك فرح فرحا شديدا ❁ ثم إنه قام من وقته

وادّعا برافع بن عميرة الطائيّ رضي الله عنه وقال له يا ابن رافع
خذ معك مائة فارس من المسلمين والحق ضرار بن الأزور
فإني أعلم أن ما أحدٌ أعرف منك بالطرقات فاتبع القوم
عساك أن تلحقهم إن شاء الله تعالى قبل أن يصلوا بصاحب
رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى حمص وتخلّصه إن شاء الله
تعالى قال رافع حبًّا وكرامةً وانتخب له مائة فارس
من الرجال المخبورة ❁ ولما عزم رافع على المسير ❁
وإذا خولة بنت الأزور قد أقبلت إلى خالد وقالت
إن الله قد منّ علينا بسلامة أخي من الهلاك يا أمير الأمرا
أرسلني مع صحبة إخواني المسلمين وقد سألتك بالطاهر
المطهر اجعلني معهم لأكون مشاهدةً لهم فأجابها خالدٌ
إلى ذلك ❁ ثم قال خالد لرافع بن عميرة أنت تعلم
شجاعتها وفروسيتها فخذها صحبتك وتوصّا بها غاية التوصية
فأخذ رافع بن عميرة المائة فارس وخولة صحبتهم وتبعوا
الأثر فلم يجدوا للروم خبرًا وكان أحدًا مما سار
في تلك الطريق فقال رافع لأصحابه أبشروا فقد سبقنا
الروم وهم إلى الآن ما وصلوا إلى هاهنا ❁ ثم إن

رافعًا أكمن للروم في وادي الحيات وأقاموا ذلك اليوم وتلك
الليلة فلما تضاحا النهار طلع عليهم الغبار وقد استعدّوا
للحرب وإذا بالروم قد أقبلوا عليهم بضرار وهو مشدود
على ظهر جواد وهو ينشد **ويقول** ❁

ألا مبلغًا قومي وخولة إنني ❁ أسيرٌ رهينٌ موثقُ اليد بالقيد
فيا قلب مت همًّا وغمًّا وحسرةً ❁ ويا عين جودي بالدموع على خدّي
تخلو إلى علوج الشام من كل كافرٍ ❁ فما منهم إلا مصرٌّ على الطرد
عسى أن أرى أهلي وخولة مرة ❁ وأذكر ما كنا عليه من العهد

قال الواقدي ❁ فلما سمعت أخته خولة كلامه لم تتمالك
الصبر دون أن أجابته من الكمين وقالت يا أخي لقد
استجاب الله دعاك ❁ وقبل تضرّعك ونجواك ها أنا أختك خولة
ثم إنها كبّرت وكبّر رافع بن عميرة وأصحابه وحملوا على
المشركين **قال الواقدي** ❁ وكانت المسلمون إذا
كبّروا تصهل الخيل إلهامًا من الله عز وجل ❁ وقصد كل فارس
فارسًا فما كانت إلا ساعةً حتى قتل كل خصمٍ خصمه ونصر الله
المسلمين على المشركين وخلّصوا منهم ضرار بن الأزور قال
رافع ولقد كنا في القتال وخولة قد خلّصت أخاها ضرارًا

وقبلت يديه ورجليه وبكت بكاء شديدا وقد فرح ضرار بذلك
فرحا عظيما ثم رأى جوادا غايرا وقنطا ريته مطروحة فتناولها
وركب الجواد وحمل على أعداء الله وهو فرحان فرحا عظيما

ويُنشد ويقول شعرا

أعطيتني المأمول قبل منيتي ❁ وجمعتني يا رب بين أحبتي ❁
فاغفر لنا ما قد مضى يا سيدي ❁ أنت الكريم وأنت غافر زلتي ❁

قال رافع بن عميرة فبينما نحن نجمع صلبانهم والذهب
والفضة والغنايم والأموال وإذا بالروم قد أقبلت علينا
وهي منهزمة من صوب دمشق فعمدنا إليهم والتقطناهم
بسيوفنا **قال الواقدي** وكان لجيش المشركين
وكسرته سبب وذلك أن خالدا لما جهز رافع بن عميرة في
المأية وأمره أن يتبع أثار ضرار ابن الأزور ويخلصه قام من
وقته وأمر الناس بالحملة على جيش المشركين وصدم
وردان صدمة الأسد الغضبان ومن الشهادة في طاعة الرحمن
ويبتغي السعادة في دار الجنان ❁ فما لبث الروم أكثر من ساعة
حتى ولوا الأدبار وركنوا إلى الفرار وما زال المسلمون
راكبين أقفيتهم بالسيف يقتلون ويأسرون إلى أن وصلوا

عندنا بوادي الحيات واجتمع المسلمون برافع بن عميرة وضرار
ابن الأزور وسلموا على ضرار وهنوه بالسلامة وفرح خالد بن
الوليد بضرار فرحا عظيما ❁ ثم أثنى على رافع وشكره على
فعله وعاد المسلمون إلى دمشق مؤيدين منصورين من عند
رب العالمين ❁ وبشروا أبا عبيدة بذلك ففرح بالفتح
والنصر وتحققوا أهل دمشق الغلبة والقهر **قال الواقدي**
واتصل الخبر بالملك هرقل أن وردان قد قتل ولده وقد
انكسر جيشه وقتل منهم خلق كثير وما زال السيف
يعمل فيهم إلى وادي الحيات فأيقن الملك بزوال ملكه
وقال كيف تكون الحيلة والتدبير فكتب الملك هرقل
إلى وردان يقول له الذي يعلمه الملك وردان المقدم
على جيش الروم في طاعة المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام
الذي سل سيفه على رقاب العرب والعجم وقد بلغني أن
العرب الجياع الأكباد العراة الأجساد قد هزموك
وقتلوا ولدك فلا رحمك الله ولا رحم ولدك ولولا ثبت
عندي أنك فارس مشهور لما سيرتك إليهم والآن قضي الأمر
وقد مضى لما مضى وإنني قد سيرت إلى أجنادين تسعين ألف

فارس من المذكورين وقد جعلتك مقدما عليهم نسر اليهم وانصر
ملة اهل الصليب وانصر دينك والسلام ونفذ الكتاب مع
رجل من البرد فلما وصل الكتاب الى وردان ارتحل بمن معه
الى اجنادين فوصل هناك عسكر الروم وقد اظهروا
العدد والدروع بين يديه ولما استقر به الجلوس في
سرادقه قرأ عليهم كتاب الملك هرقل فاجابوه بالسمع
والطاعة **قال الواقدي** حدثني روح بن ظريف
قال كنت مع خالد بن الوليد على باب دمشق وهو الباب
الشرقي ونحن نحاصر اهل دمشق واذا قد ورد علينا كتاب
من عبد الله بن سعة الحضرمي وكان قد بعثه شرحبيل بن حسنة
من بصرا يخبر خالد بن الوليد بمسير الروم الى اجنادين
في تسعين الف فارس **قال الواقدي** فلما قرأ خالد الكتاب
ركب جواده وسار حتى وصل الى خيمة ابي عبيدة عامر
ابن الجراح رضي الله عنه فترجل عن جواده ودخل على
ابي عبيدة عامر بن الجراح وقال يا امين الامة هذا
عبد الله بن سعة الحضرمي قد بعثه شرحبيل بن حسنة يخبرنا
بان طاغية الروم هرقل بعث الى وردان كتابا يأمره

ان يسير الى اجنادين فان فيها تسعين الف فارس فخذها وقاتل بها
جيوش المسلمين فقال له ابو عبيدة انت تعلم يا ابا سليمان ان اكثر
اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم متفرقين عنا في البلاد
شرحبيل بن حسنة نايب بالبصرة ومعاذ بن جبل بحوران ويزيد
بن ابي سفيان بالارض البلقا والنعمان بارض اركة
وتدمر وعمرو بن العاصي بارض فلسطين والصواب ان نكتب
اليهم الكتب ان يعجلوا بقدومهم الينا ونلتقي العدو وان
شاء الله تعالى وينصرنا الله عليهم فعند ذلك كتب خالد كتابا
الى عمرو بن العاصي يقول فيه بسم الله الرحمن الرحيم ولا
عدوان الا على الظالمين وصلى الله على سيدنا محمد خاتم
النبيين وعلى اله وصحبه اجمعين **اما بعد** فان جيوش
المسلمين قد عزموا على المسير الى اجنادين وقد اجتمع هناك
اثنا عشر الفا من اولاد الروم وهم طالبون المسير الينا يريدون
ليطفئوا نور الله بافواههم والله متم نوره ولو كره المشركون
فاذا وصل اليك كتابي هذا فاقدم الينا بمن معك من المسلمين
الى اجنادين فانك تجدنا هناك ان شاء الله تعالى والسلام
عليك ورحمة الله وبركاته وعلى من معك من المسلمين

قال الواقدي وكتب هذه النسخة إلى جميع المقدمين
الذين تفرقوا على جميع المدن والقرى ونفذ الكتب إليهم وأمر
الناس بالرحيل إلى أجنادين ورفعوا الأثقال على ظهور
الجمال وساقوا الأغنام والأموال فقال خالد لأبي عبيدة
قد رأيت أن أكون أنا على الساقة مع الأموال
والغنائم والنساء وتكون أنت المقدم على أصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم أما مهم فقال أبو عبيدة يا أبا سليمان
اتركني أنت في الساقة وكن أنت في الجيش على المقدمة
فإن وصل إليك جيش الروم مع وردان يجدك على أهبة
الحرب فتمنعهم من الوصول إلينا قال له خالد والله لا أخالفك
فيما ذكرت ثم نادى خالد معاشر المسلمين رحمكم الله
إنكم سائرون إلى عسكر ثقيل فانهضوا وأيقظوا منكم
الهمم وودعوا نساءكم وأولادكم وتدبروا ما وعدكم
الله في كتابه العزيز إذ يقول وهو أصدق القائلين إن المتقين
في جنات ونهر في مقعد صدق عند مليك مقتدر وسارعوا
إلى جنات تجري من تحتها الأنهار ثم قرأ كم من فئة
قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله والله مع الصابرين

ثم تقدم خالد على جيوش المسلمين وسار يقطع البراري والقفار
وبقي أبو عبيدة على الساقة مع الحريم والغنائم والأموال
ومعه ألف فارس من المسلمين قال الواقدي هذا ما كان
من أمر المسلمين وأما ما كان من أهل دمشق فإنهم لما
نظروا إلى المسلمين قد ارتحلوا عنهم ضربوا بينهم المشورة
فقال عقلاؤهم إن كان المسلمون ساروا على طريق بعلبك
فإنهم يريدون فتحها وحمص والرستن وحماة وإن كانوا
ساروا على طريق مرج راهط وسجورا فالعرب لا شك هاربين
إلى الحجاز ويتركون ما أخذوا من البلاد قال الواقدي
وكان بدمشق بطريق عظيم يقال له بولص بن ملاقي
وكان معظما عند أهل الصليب وكان إذا قدم
على هرقل رسل ويعجز هرقل عن جوابهم ينفذ إلى بولص
يفرج عنه وكان أعلم أهل زمانه برمي السهام وكان في
داره شجرة عظيمة فرمى بها سهما فأثبته فيها من قوة ساعده
فكتب عليها من كان يدعي القوة والشجاعة فليرم سهمه
إلى جانب سهمي وقد شاع ذكره بذلك فلما نظر أهل دمشق
إلى رحيل العرب عنهم لحقهم فيهم الطمع فاجتمعوا إليه

وقالوا له ما الذي يقعدك عن لحاق العرب وإن كنت
تريد الفخر إلى الأبد والعز السرمد فانهض معنا حتى يصير لك
الجاه العظيم عند الملك هرقل وعند كل من في الشام
فقد ونك والخروج إلى العرب ونحن معك نتخطف المنقطعين
منهم وإن رأينا فيهم طمعا قاتلناهم فقال لهم بولص
إنما سبب تخلفي عن نصركم لأنكم قليلين الحمية فقالوا له
وحق المسيح ابن مريم والإنجيل المعظم والقس المكرم
لئن أنت سرت معنا مقدما علينا لنبلين بين يديك حربا
تقر به عيناك وقد حكمناك فيمن ينهزم منا ولا يعارضك
فيه معارض فعند ذلك قام بولص وأخذ على قومه العهد
والإيمان وقال لهم البسوا العدد والسلاح ودخل إلى منزله
ولبس لامة حربه فقالت له زوجته إلى أين تريد
قال أسير خلف العرب أقتل رجالهم وأنهب أموالهم
ونساءهم وأولادهم فإن أهل دمشق قد ولوني عليهم
وإنني سائر معهم فقالت له زوجته لا تفعل والزم بيتك
تسعد ولا تطلب ما ليس لك به طاقة فإني رأيت في المنام
رؤية أحلام أخاف عليك من عاقبتها فقال لها وما الذي

رأيتي قالت رأيت كأنك قابض على قوسك وأنت ترمي به
طيورا كثيرة من الهوى وقد سقط بعضها إلى الأرض ثم عادت
صاعدة إلى السماء بعد سقوطها وأنا متعجبة مما رأيت إذ أقبلت
نحوك سحابة من الجوارح فانقضت عليك وعلى من معك وجعلت
تضرب هامتهم ووجوههم ثم وليتم هاربين ورأيتها لا تضرب
أحدا منكم إلا صرعته ثم انتبهت من منامي فزعة مرعوبة
فقال لها بولص أرأيتيني في جملة من صرع قالت نعم وقد
نفرك جارح عظيم فعند ذلك نخر وكفر وطغا وتجبر
ولطم زوجته على وجهها طار الشرار من عينها وانفلت
الدما من جبهتها وقال لها لا بشرتي بخير يا كذابة ويلك
وقد دخل رعب العرب في قلبك حتى صرتي تحلمين بهم في
المنام لا خوف عليكي ولا فزع سأجعل نساء العرب لكي جوارا
وخدما ورعاة للخنازير فقالت له زوجته افعل ما
شئت وإنني قد حذرتك وسوف ترى ما قلت لك إن كان
باطلا أو حقا وحق المسيح إنه لحق ليس بباطل فلم يلو بحال
كلامها وخرج بولص وهو غائص في السلاح وركبت
أهل دمشق لركوبه وسار معه من الروم ستة آلاف

فارس وعشرة آلاف راجل من النجدة والحمية وسار يطلب آثار
المسلمين **قال الواقدي** هذا ما كان من أمر بولص ومن معه
وأما ما كان من خالد بن الوليد رضي الله عنه فإنه سار على مقدمة
العسكر وأبو عبيدة بن الجراح سائر على الساقة مع النساء والأموال
وما عنده خبر بمسير المشركين من خلفه فبينما هو سائر وإذا برجل
من أصحابه قد أقبل عليه وقال أيها الأمير إني انقطعت لأميز
في آثارنا لئلا يكون قد انقطع أحد من المسلمين وإذا بغبار ثائر
وقد تقطع من صوب دمشق فقال له أبو عبيدة هذه غبرة
أهل دمشق وقد طمعوا فينا هذا والغبرة قد انشقت
والصلبان قد لمعت في ضوء الشمس والقوم لهم ضجة وجلبة
تركت الأرض منقلبة فقال أبو عبيدة يا معاشر المسلمين
وأبطال الموحدين خذوا على أنفسكم لأن العدو قد
أدرككم فما استتم كلامه إلا والأعداء قد ظهرت كأنهم
قطع الليل المظلم وبولص لعنه الله على مقدمة القوم فقصدوا
الحريم والأموال فاقتطعوا منها قطعة جيدة وحالوا بينهم
وبين العسكر ورجع بطرس أخو بولص إلى نحو دمشق إلى
نهر سعريا ونزل هناك لانتظار أخيه فلما نظر أبو عبيدة

إلى الروم قال والله لقد كان الرأي مع أبي سليمان ولكن ليقضي
الله أمرا كان مفعولا فعند ذلك حمل بولص بمن معه على أبي
عبيدة فعند ذلك حمل أبو عبيدة بمن معه والتقى الجمعان والتحم
الفريقان ودام الحرب والقتال وعظم النزال وقتلت
الرجال وجندلت الأبطال وزاد الأمر عن حد القياس
وكثر الوسواس وقطعت الرجال الإياس وقاتلت
فرسان المسلمين قتال الموت واصطدم أبو عبيدة وبولص
وصبر أبو عبيدة لقتال بولص صبر الكرام في ذلك
المقام قال سهل بن صالح وكان تحتي جواد أغر
محجل من خيول اليمن وهو عالي قليل جوهري الصهيل
حسن التحجيل قوي القوائم كأنها دعائم لا يصل إلى
صاحبه أسنة الرماح ولا الصوارم كما قال فيه سعيد بن أبي
سالم

شعر

ومحجل غر اليمين كأنه   متبختر يمشي بكم أزرق
لو رام طير الأفق أدرك قصده   وإذا طلبت لحاقه لم يلحق

قال الواقدي وكان على صدره زرد كأنها
عيون الجراد لا يعمل فيها الصارم المهند قال سهل وأطلقت

له العنان لخروج من تحتي كانه سهام فما كان غير بعيد حتى لحقت
بخالد بن الوليد فاقبلت صارخا مذعورا فقال ما وراك يا بن صالح
فقلت ايها الامير الحق ابا عبيدة والحريم فان اهل دمشق لحقوا
بهم وهم خلق كثير وقد اقتطعوا قطعة من النساء والاموال
والاولاد وساروا فقال خالد انا لله وانا اليه راجعون قلت
لابي عبيدة دعني على الساقة فما رضي ليقضي الله امرا كان
مفعولا ثم امر رافعا على الف فارس وقال الحق الطعن فلما
ابعد امر عبد الرحمن على الفين ثم قال ادرك العدو يا بن الصديق
ثم اردفهم بضرار بن الازور في الفين وبعث قيس بن هبيرة
في الفين واتبعهم خالد في بقية الجيش قال فبينما ابو عبيدة
في القتال مع بولص اذ تلاحق بهم جيش المسلمين وحملوا على الاعداء
الكافرين وداروا بهم من كل مكان ونكست الاصنام وايقنت
الروم بالقهر والغلبة ووصل ضرار بن الازور وقصد الى بولص
قال فلما نظر بولص الى ضرار بن الازور وقعت
الرعدة في قلبه وقال لابي عبيدة يا عربي بحق دينك الا قلت
لهذا الشيطان ان يبعد عني وكان بولص قد نظر الى ضرار
من فوق اسوار دمشق وما صنع في عسكر كلوص وعزرايل

وما صنع ايضا في بيت لهيا فلما راه عرفه فقال لابي عبيدة قل لهذا
الشيطان لا يقربني فقال ضرار وقد سمعه انا الشيطان ان قصرت
في طلبك ثم اتاه بطعنة فلما راى بولص ان طعنة ضرار واصلة
اليه القى نفسه عن جواده وطلب الفرار فترجل ضرار في طلبه
وقال الى اين والشيطان في طلبك ثم طلبه وهم ان يقتله بسيفه
فقال بولص يا بدوي ابق علي فبقايك علي ابقا حريمكم فلما
سمع ضرار قوله امسك عنه واخذه اسيرا هذا والمسلمون قد
انكبوا على اعداء الله وقتلوا فيهم قتلا **قال الواقدي**
حدثني رفاعة قال كنت في خيل عبد الرحمن ابن ابي بكر
الصديق وقد درنا بالروم من كل جانب وبدا لنا اسيافنا في القوم
وكانوا عشرة مقانب كل مقنب الف فارس قال رفاعة لقد
علمنا يوم فتح دمشق انه ما رجع اليهم فوق المائة قال وعلم
ضرار ان اخته مع المأسورات فعظم عليه الامر واقبل الى خالد
واعلمه بذلك فقال لا تجزع فاني اسرت منهم خلقا كثيرا وان
تقدمهم عندك سوف نفدي بهم من اسر من حريمنا ولا بد لنا من
دمشق لطلبهم ثم امر ابا عبيدة ان يسير مع الناس على فحل ثم تقدموا
لينظروا ما يكون من الحريم ثم سار في الفي فارس جريدة

وبعث الجيش كله مع أبي عبيدة مخافة أن يلحق بهم وردان بجيشه
فسار القوم وتوجه خالد بمن معه في طلب المأسورات وقد قدم أمامه
رافع وميسرة وضرار وسار القوم مجدين وضرار ينشد ويقول

يا رب فرج ما ترى من كربتي ✿ ولا تميتني عاجلا بحسرتي ✿
حتى أرى بناظري أحبتي ✿ ذاك مناي ثم غاية بغيتي ✿
اليوم أشفي من عداي مهجتي ✿ سيروا بنا إلى العدا يا صحبتي ✿
عسى أنال بغيتي ومنيتي ✿ إن لم أقاتل فاحلقوا لي لحيتي ✿

قال فضحك خالد من قوله والمسلمون وساروا مجدين
فرأوا غبرة طالعة في خلالها البوارق والسيوف تلمع ✿ فقال
خالد هذا أعجب فقال رافع أظن أنه من بقي من خيالة دمشق فقد
جاؤا ✿ فقال خالد قوموا الأسنة لننظر ما الخبر فقوموا الأسنة
ثم ساروا ✿ قال حدثنا سعيد بن عمرو قال سمعت حبيب بن مصعب
يقول إن الروم لما اقتطعوا من الحريم ما ذكرنا من نساء
العرب ثم سار بهم بطرس أخو بولص ونزلوا بأرض استرباق
فقال بطرس أنا لا أبرح من هنا حتى أنظر أمر أخي بولص
ثم عرض النساء فلم ير فيهن أحسن من خولة أخت ضرار فقال
بطرس هذه لي وأنا لها لا يعارضني فيها أحد ✿ فقال أصحابه
هي لك واقتطع القوم النسوان كل واحد أخذ واحدة وقال
هذه لي ✿ ثم ضموا الغنيمة ووقفوا ينظروا ما يكون من أمر بولص ✿
وكان من النساء عجائز من نساء العمالقة اعتادوا ركوب الخيل
فاجتمعوا النساء وقالوا لبعضهم بعضا ما هذا الحال فقالت
لهم خولة يا بنات العرب أترضون أن يطأكن العلوج وتصرن
خدما لأهل الشرك والكفر فأين شجاعتكن وبراعتكن اللاتي
يتحدث بها عنكن في أحياء العرب ✿ فقالت عفيرة بنت عفار
الحميرية إننا كما ذكرتي في الشجاعة والبراعة لكن ما حيلة
من لا يملك سيفا ولا رمحا وإن العدو أدركنا على غير أهبة
فقالت خولة يا بنات التبابعة أين أنتن من أعمدة الخيام وأوتاد
الأطناب ونحمل على هؤلاء اللئام ولعل الله أن ينصرنا عليهم
أو نقتل فنستريح من معيرة النساء ✿ فقالت عفيرة والله يا بنت
الأزور ما دعيتينا لشيء أحب إلينا من ذلك ثم تناولت كل واحدة
منهن عامودا من أعمدة الخيام وصحن صيحة عظيمة وبرزن إلى
الروم وخولة أولهن وقد احتزمت وألقت على كتفها عامودا
لم يكن في الأعمدة أطول منه ولا أغلظ ومن ورائها عفيرة
بنت غفار وأم أبان ابنة عتبة وسلما ابنة وزع ولبنة بنت

سوار ومزروعة بنت عملاق وسليما بنت النعمان ومثل هاولاء فقالت
لهم خولة لا ينفك بعضكم عن بعض ولا تتفرقن فتهلكن ويقع فيكم
الشتات ❁ قال فحطمن الرماح وكسرن السيوف وحطمت خولة
فأول ما ضربت رجلا حطمته وهشمت عظمه فانجدل صريعا قال
والتفت الروم تنظر ما ذا جرى واذا النسا أقبلن والعمد بأيديهن
فصاح بهم بطرس يا ويلكم ما هذه الفعال فقالت عفيرة هذه
فعالنا لئلا نبقا معيرة عند العرب ❁ ولنضربن اليوم بهذه الأعمدة
حتى نخسف أدمغتكم ونفني أعماركم ❁ قال فضحك بطرس
من قولها وصاح بقومه يا ويلكم تفرقوا عن النسوان ولا تبذلوا
فيهم السيف وخذوهن أسرا ومن وقع بصاحبتي فلا يقربها بمكروه
قال فأحدقوا بالنسوان من كل مكان وأرادوا ❁
الوصول إليهم فلم يقدروا ولم يجدوا الى ذلك سبيلا وجعلن
النسوة لا يدنوا منهن أحد من الروم إلا يضربن قوايم فرسه
ويسقط الفرس وصاحبه فيقطعوه قطعا قال الواقدي
ولقد بلغني أن النسوة قتلن في ذلك اليوم أربعة وثمانين رجلا
فلما نظر بطرس الى ذلك غضب وترجل عن جواده وترجلوا
أصحابه وزحفوا نحو النساء بالقنطاريات والسيوف هذا وهن يقلن

نحن كراما ولا نعشق لياما ❁ وأظهر بطرس تلهفه حين نظر إلى خولة
وهي كالأسد الضاري وهي تنشد وتقول ❁
نحن بنات تبع وحميري ❁ وضربنا فيكم ليس بمنكري ❁
لأننا في الحرب نار تسعري ❁ اليوم تلقون العذاب الأكبري ❁
قال فلما سمع بطرس كلامها ❁ وتيقن حسنها وجمالها ❁ قرب منها
وصار بإزايها وناداها يا عربية اقصري عن فعالك فأنا لك اليوم
مكرم ومنعم عليك بما يسرك أما ترضين أن أكون لك مولى
وأنا ابن ملوك النصرانية جميعها ❁ ولي ضياع وأموال
وماشية وجميع ما أنا فيه مردود إليك تقتلي نفسك بيدك
فقالت خولة يا ابن الكوافر اللئام والله لا أرضا بك راعيا
لإبلي فكيف تكون لي كفوا والله إن ظفرت بك لأضربن تحت
حنكك بهذا العامود قال فعند ذلك جعل يحرض أصحابه على
القتال وقال كفا لكم عارا أن نسوة غلبوكم ❁ فاتقوا
غضب المسيح والملك هرقل قال الواقدي فاهتز
القوم لقوله وحملن على النسوة وصبرن لهم صبر الكرام
وإنهم على مثل ذلك إذ أشرف عليهم خالد ونظر إلى الغبار
وبريق الأسنة فقال لأصحابه أيكم يأتينا بالخبر فقال

رافع أنا لها ثم أطلق لجواده العنان حتى أشرف على النسوة وهن يقاتلن
قتالا شديدا فألوى راجعا وأخبر خالدا بما جرى فقال لا عجب من
بنات العمالقة منهم تبع الأقرن وتبع ابن أبي كريب وذي
رعين وعبد الكلال المعظم وتبع ابن حسان الذي ذكر
رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل ظهوره وشهد له بالنبوة
وأنشد فيه ❁ يقول ❁

شهدت لأحمد على أنه ❁ رسول من الله بارى النسم ❁
له أمة سميت في الزبور ❁ وإنه أحمد خير الأمم ❁
فلو مد عمري إلى عصره ❁ لكنت وزيرا له وابن عم ❁

ثم قال خالد إعلم يا رافع إن لهذه النسوة حروبا
ومواقف مشهورة ولئن كن كما ذكرت فلقد سدن على سائر
العرب وأزلن عنهن العار ❁ قال فتهللت وجوه الناس
فرحا ❁ قال فعند ذلك وثب ضرار ورمى أطماره واقتلع
رمحه من مركزه وأطلق عنانه يريد المبارزة إلى نصرة
النسوة فقال له خالد مهلا يا ضرار لا تعجل فما ساد عجول
فقال ضرار لا صبر لي عن نصرة إبنة أبي وأمي ❁ فقال
خالد ما كنت إلى الفرج أقرب من وقتك هذا إن شاء الله

تعالى ❁ ثم ان خالدا رتب أصحابه وأقرن رؤس الخيل ونشر الأعلام
وتقدم في القلب وقال يا معاشر المسلمين إذا وصلتم إلى القوم فتفرقوا
عليهم ثم أحدقوا بهم عسى الله أن يخلص حريمنا ويرحم صبياننا فقالوا
حبا وكرامة ثم تقدم خالد ❁ قال فبينما الروم في القتال مع النساء
إذ أشرفت عليهم المواكب فصاحت خولة يا بنات التبابعة جاءكن
الفرج ورب السماء ❁ قال ونظر بطرس إلى مواكب الموحدين
قد أشرفت ورماحهم مشتبكة كآجام القصب والسيوف تلمع كأنها
البرق فارتعدت فرائصه وأقبل يصيح يا معاشر النسوة إني قد دخل
في قلبي ❁ لكن الرحمة لأن لنا أخوات وبنات وقد وهبتكن للمسيح
فإذا قدمت رجالكم فأخبروهم بذلك ثم عطف يريد الهرب
إذ نظر إلى فارسين خرجا من العسكر أحدهما لابس لامته
والآخر عاري الجسد كالشن البالي وهو على فرس بغير سرج وقد
أطلقا عنانيهما كأنهما أسدان وكان ذلك الفارسان هما
خالد وضرار فلما رأت خولة أخاها قالت يابن أمي قيل وإن كان
في الله كفاية عن نصرتك فقال لها البطريق انطلقي إلى أخيك
فقد وهبتك له وإن كنت لا أحب فراقك فقالت خولة وهي
تهزوا به ليس هذا من شيم الكرام تظهر لنا التقرب والحيا

وتظهر الآن التباعد والجفا ثم خطت إليه فقال لها ويحك غيبي عني
وجهك فقد زال عني ما كنت أجد من محبتك ❀ فقالت له خولة
لا بد لي منك ثم أسرعت إليه وأسرع إليه ضرار وخالد والكتائب
فصاح بطرس عند ذلك يا عربي خذ أختك مباركاً لك فيها
فقال قد قبلت هديتك ولا أجد لك مكافاة على ذلك إلا
سنان رمحي خذه هدية مني إليك ❀ ثم حمل ضرار عليه وهو
يقول وإذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها ثم صمم
بالطعنة إليه فوصلت إليه خولة قبل أخيها فضربت قوائم جواده
فكبا الجواد به فسقط عدو الله هاوياً إلى الأرض فأدركه
ضرار قبل سقوطه وطعنه في خاصرته طلع السنان من الجانب
الآخر فانصرع فصاح خالد لله هذه الطعنة لا خيب الله طاعنها
ثم حمل في أعراض القوم وحمل خالد بالجيش فما كانت إلا
جولة حتى قتل من الروم خمسة آلاف فارس قال حامد بن عون
لقد عددت لضرار في ذلك اليوم قتلا زهاء عن ثلاثين فارساً
وقتلت أخته خولة بعمودها ثلاثين فارساً ورأيت عفيرة بنت
عفار فتكت مقتلة عظيمة ليس لها عدد وانهزم بقية الروم
ولم تزل المسلمون في أثرهم إلى دمشق ❀ فلم يخرج إليهم أحد من

أهلها بل زاد فزعهم فجمعت المسلمون الغنائم والسلاح فجمعت المسلمون
الغنائم والسلاح والأموال ❀ ثم قال خالد أيها الناس اطلبوا
نحو أبي عبيدة لئلا يكون وردان وجيوش الروم قد لحقوهم
فرجعت فرسان المسلمين وقد جعل ضرار رأس بطرس على سنان رمحه
ولم يزل القوم سائرين إلى أن لحقوا أبا عبيدة في المرج الصغير
وقد تخلف عن المسير حتى لحق المسلمون به فكبروا فأجابهم
خالد ومن معه بالتكبير ولما اجتمعوا سلم بعضهم على بعض ورأى
المسلمون المأسورات ففرحوا وأخبرهم من حضر الوقعة ❀ بما
فعلن النسوة فاستبشروا بنصر الله تعالى وتحققوا أن النصر لهم
والشام ملكهم ❀ ثم ادعا خالد ببولص وقال له يا ويلك أسلم
وإلا أفعل معك كما فعلت بأخيك بطرس قال وما فعلت به قال
قتلته وهذه رأسه عندنا ثم أحضرها فلما رأى بولص رأس
أخيه بكى وقال لا حياة لي بعد أخي ألحقني به ❀ قال
فقام إليه المسيب بن نجبة الفزاري بأمر خالد فضرب عنقه
ثم رحل القوم قال حدثنا سعيد بن مالك الحضرمي عن
شيبان بن مرة المازني عن يونس بن عبد الأعلى ❀ قال لما
بعث خالد الكتب إلى شرحبيل وإلى ابن أبي سفين وإلى عمرو بن

العاصي ورأى كل من الأمراء كتابه فسارعوا كلهم إلى أجنادين
لنصرة المسلمين وجاؤوا بعددهم قال عمار رساعي النبي صلى الله
عليه وسلم كنت في خيل معاذ حين أشرفنا بأجمعنا على أجنادين
وكأننا كنا على ميعاد وكان في مستهل جمادى الأولى سنة
اثنتي عشرة من الهجرة وتبادر المسلمون يسلم بعضهم على بعض
وهم في عدد الرمل فلما أشرفنا عليهم أعني المشركين أظهروا
لنا زينتهم واصطفوا كتائب ومواكب وامتدوا بأجنادين
ومدوا واصفوفهم وكانت تسعين صفا في كل صف ثلاثة آلاف
فارس قال الضحاك بن عروة والله لقد دخلت العراق ورأيت
جنود كسرى والجرامقة فما رأيت أكثر من جنود الروم ولا
أكثر من عساكرهم ولا من خيلهم وسلاحهم قال فنزلنا
بإزائهم فلما كان من الغد تبادرت الروم نحونا قال الضحاك
فلما رأيناهم أخذنا على أنفسنا وركب خالد يعرض الصفوف
ويقول لهن لتعلموا رحمكم الله أنكم لستم ترون للروم جيشا
مثل هذا فإن هزمهم الله على أيديكم فما تقوم لهم قائمة
بعدها فاصدقوا في الجهاد وعليكم بنصر دينكم ولا تولوهم
الأدبار فتعاقبوا بدخولكم النار ولا تحملوا حتى آمركم بالحملة

وايقظوا هممكم **قال الواقدي** رحمه الله ولقد بلغني ممن أثق به
أن وردان لما نظر إلى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد
اجتمعوا وعولوا على حربه جمع البطارقة والملوك إليه وقال يا بني
الأصفر اعلموا أن الملك هرقل معول عليكم وإن انكسرتم فما عادت
تقوم لكم قائمة بعدها وتملك العرب بلادكم وتسبي حريمكم
فعليكم بالصبر ولتكن حملتكم واحدة ولا تتفرقوا واعلموا أن الواحد
منهم يلقا منكم الفارس والمائة فاستعينوا عليهم بالصليب
فهو ينصركم **قال الواقدي** وإن خالدا التفت إلى المسلمين
وقال أيها الناس أفيكم من يريهم شيئا من أبواب الحرب فقال ضرار
أنا لذلك فقال يا ضرار إذا أشرف عليك القوم إياك أن تغرر
بنفسك وتحمل على جميع القوم فما أمرك الله بذلك قال فأطلق
عنان جواده إلى أن أشرف على جيش القوم ورأوا أهبتهم
وزينتهم واشتباك البيض والطوارق والرايات كأجنحة
النسور وكان وردان ينظر إلى جيش المسلمين إذ نظر إلى ضرار
فقال للبطارقة أرى فارسا قد أقبل ما أظن إلا أنه رسول
من القوم فيخرج منكم ثلاثون فارسا يأتوني به فابتدر من
القوم ثلاثون فارسا فلما نظر إليهم ضرار قد أقبلوا ولى هاربا

فتبعوه فظنوا أنه قد انهزم وإنما أراد ضرار بذلك أن يبعدهم عن
أصحابهم فلما أبعد واعطف برأس الجواد إليهم وطعن فارسا من
القوم فأرداه وآخر فصرعه وجال فيهم جولة الأسد وصرخ
فيهم وأدخل الرعب في قلوبهم فانهزموا وتبعهم وهو يصرع
فارسا بعد فارس حتى صرع أحدا وعشرين فارسا وانهزم الباقون
فألوى راجعا إلى خالد وأعلمه بما كان فقال خالد يا ضرار
ألم أقل لك لا تغرر بنفسك فقال ضرار أيها الأمير إن القوم
طلبوني فخفت أن يراني الله منهزما فجاهدت بإخلاص لا جرم
أن الله نصرني عليهم ووالله لولا خفت لومك لما رجعت حتى جليتها
معهم واعلم أيها الأمير أن القوم غنيمة لنا ❁ قال فعند ذلك
رتب خالد عسكره ميمنة وميسرة وقلبا وجناحين فجعل في
الميمنة معاذ بن جبل وفي الميسرة سعيد بن خالد بن خثعم
وفي الجناح الأيمن النعمان بن المقرط وفي الجناح الأيسر
شرحبيل بن حسنة وعلى الساقة يزيد بن أبي سفيان في أربعة
آلاف فارس حول الحريم والأولاد ثم التفت إلى النسوان
وفيهم عفيرة بنت عفار الحميرية وأم أبان بنت عتبة بن ربيعة
وكانت عروسا قد تزوج بها في ذلك اليوم أبان بن سعيد

ابن العاصي والخضاب في يديها والعطر في رأسها وخولة بنت الأزور
أخت ضرار وعميرة ابنة عملاق وسلما ابنة زارع ولبنا ابنة سوار
وسليما ابنة النعمان ونظايرهن من النسوان ممن عرفن بالشجاعة
فقال لهن خالد يا بنات العمالقة قد فعلتن فعلا أرضيتن به الله
ورسوله والمسلمين وقد بقي لكم به الذكر الجميل وهذه أبواب
الجنة قد فتحت لكم والنار لأعدايكن فإن حملت طايفة من
الروم عليكن قاتلن عن أنفسكن وإن رأيتن أحدا من الروم هاربا
فدونكم وإياه بالأعمدة وأشرن له بولد وقلن له إلى أين تولي عن
أهلك وولدك فقالت عفيرة وايم الله إنه ليفرحنا أن تقدمونا
أمامكم لنضرب وجوه الروم ونقاتل حتى لا يبقى لنا سمع ولا عين
ونموت في حب الله ورسوله وقالت خولة والله أيها الأمير لا نبالي
بمن دهمنا كائنا من كان والله لا يلحقنا في الله لومة لائم
قال فجزاهم خالد خيرا وطاب خاطره عليهن ورجع إلى الناس
يحرضهم على القتال ونادى برفيع صوته معاشر المسلمين إن
تنصروا الله ينصركم واصبروا على قتال أعداء الله فليس لكم
ملجأ تلجأون إليه ❁ فاقرنوا المواكب ❁ وقدموا المضارب
قال فنشط الناس لقوله وجردوا السيوف وأوتروا القسي وفوقوا

السهام وأقبل خالد في القلب مع عمرو بن العاصي وعبد الرحمن
ابن أبي بكر وقيس بن هبيرة ورافع بن عميرة وربيعة بن عامر
وعزم المسلمون على الزحف قال فلما نظر وردان إلى جيش المسلمين
قد زحفوا زحف أيضا وردان بعسكره فكانوا ملء الأرض وقد
أظهروا الصلبان ورفعوا أصواتهم بالكفر فلما قرب القوم من
بعضهم البعض خرج من الروم شيخ متشح بلامة سوداء فلما قرب من
صفوف المسلمين نادى بلسان عربي أيكم المقدم فليخرج وليخاطبني
قال فخرج إليه خالد فقال له القس أنت أمير القوم فقال
خالد كذلك يزعمون ما دمت على طاعة الله وسنة نبيه
فإن أنا غيرت أو بدلت فلا طاعة لي عليهم فقال القس لهذا
نصرتم ثم قال إنكم توسطتم بلادا ما جسر ملك من الملوك
يتعرض ولا يدخل إليها وإن الفرس دخلوا إليها وعادوا
خائبين والآن فقد نصرتم علينا وليس النصر يدوم وإن
صاحبي ليشفق عليكم وبعثني إليكم وقال إنه يعطي كل واحد
منكم ثوبا وعمامة ودينارا ولك أنت مائة دينار ومائة ثوب
ولصاحبك أبي بكر ثلاثة آلاف دينار ومائتا ثوب
وارجعوا عنا بجيشكم فإنا على عدد المدر والرمل ولا تظن

أن هؤلاء كمن لاقيت من جموعنا وإن الملك ما نفذ إليكم في هذا
الجيش إلا عظماء البطارقة فقال خالد أما والله لا نرجع إلا
بأحد ثلاث إما أن تدخلوا في ديننا أو تعطوا الجزية عن يد وأنتم
صاغرون أو السيف وأما ما ذكرت من أنكم عدد المدر
والرمل وإن صاحبكم يعطي لكل واحد منا عمامة ودينارا نحن قليل
تبقى ثيابكم وأموالكم بأيدينا وبلادكم ملكا فقال الراهب
أنا أرجع إلى صاحبي وأخبره بذلك قال ثم رجع وأخبر وردان
بكلام خالد فقال وردان أيظن أنا كمن لاقا بالأمس وإنما
هؤلاء طمعوا فينا بتأخرنا عن قتالهم وما بيننا وبينهم إلا كجولة
الجائل وقد تركناهم صرعى ثم رتب أصحابه وزحف
وقدم أمامه الرجالة صفا أمام الخيالة بالقسي وبأيديهم
المزاريق فصاح معاذ معاشر الناس الجنة زخرفت والنار
قد انطفت والملائكة قد أشرفت والحور العين
تزينت بارك الله فيكم الحملة فقال خالد مهلا حتى أوصي
الناس ثم رتب صفوفهم وقال الصقوا المناكب بالمناكب
واعلموا أن هؤلاء أضعافكم نطاولوهم إلى العصر فإنها
ساعة رزق فيها نبيكم النصر على أعدائه وإياكم أن

تولوا فإن الله يراكم ازحفوا على بركة الله وعونه قال فلما
تقارب الجمعان رمت الأرمن بنبالها رمية واحدة فقتلوا رجالا
وجندلوا أبطالا وخالد قد منع الناس من الحملة فقال ضرار ما لنا
وللوقوف والله ما ظن أعداؤنا إلا أننا عجزنا فأمرنا بالحملة
أو يبرز منا رجال ونطاول إلى وقت حملتك فقال خالد أنت
لها يا ضرار فقال والله ما شيء أشهى إلي من ذلك ثم خرج ضرار
وقد تدرع بدرع كان لبطرس وألقى الزرد على وجهه
وركب جواده وأخفى نفسه عن الروم فرشقوه بالنشاب
والحجارة فلم يصل إليه منهم سهم إذا وهو يخترق صفوفهم
ويجندل أبطالهم فما كانت إلا جولة جائل حتى قتل منهم
عشرين فارسا وراجلا قال عمرو بن سالم هكذا حدث
نوفل عن جده فعند ذلك انقلبت الفرسان عن قتاله
مما ظهر لهم منه ثم رمى البيضة عن رأسه والزرد عن
وجهه وقال يا بني الأصفر أنا ضرار ابن الأزور صاحبكم
بالأمس وغريمكم اليوم أنا قاتل جهدان بن وردان
أنا البلاء المسلط على من يكفر بالرحمن أنا مفنيكم في كل
مكان أنا المهدم منكم الأركان أنا الموت الأحمر

أنا ضرار بن الأزور قال فلما سمعوه الروم عرفوه وتقهقروا إلى
ورائهم قال فطمع فيهم وحمل في أثرهم فعند ذلك انطلقت
عليه الأحاردة والهرقلية فقال وردان من هذا البدوي
فقالوا أيها الملك هذا الذي يخرج مرة عريانا وفرسه عريانة
فلما سمع به وردان تنفس الصعدا وقال هذا قاتل ولدي ومقل
عددي ولقد أردت من يأخذ ثاري منه وله ما يريد فبرز
إليه بطريق من البطارقة وهو صاحب طبرية قال هلال بن مرة
كنت في الميسرة وعلى يساري روماس صاحب بصرى فقال
هذا مقطع أركة ولم أدر ما اسمه فقال لوردان أيها
الصاحب أنا آخذ لك بالثار ثم أطلق عنان جواده وحمل
على ضرار فلم يلبث غير ساعة حتى طعنه ضرار خرق ما كان عليه
من اللباس ووقعت الطعنة في صدره طلع السنان من ظهره
فقال وردان نعم ما أتاني به ولولا رأيت ذلك عيانا ما
صدقت وكيف تطيق الإنس قتال الجن وما أدري لهذا
الدميم غيري ثم ترجل عن جواده ولبس لامته وألقى الدرع
على جسده وكان من اللؤلؤ الكبار ووضع التاج على رأسه
يريد بذلك الرهبة على ضرار ثم ركب جوادا من خيل

العرب وهم ان يخرج اليه دزكان فباس ركابه وقال ايها الصاحب
انا اخذ لك ثارك من هذا اللئيم فان قتلته او اسرته تزوجني ابنتك
فقال وردان هي لك وبين يديك واشهد لك على من حضر من خواص
الملك بذلك ۞ قال فلما سمع دزكان بذلك اخرج صليبا
من الذهب بسلسلة من الفضة البيضاء وجعله في عنقه ثم جعل
يقبل الصليب ۞ فقال ضرار ان كنت تستعين بالصليب ۞
فانا استعين بالمجيب ۞ الذي ممن دعاه قريب ۞ ثم حمل عليه
واورا كل واحد منهما ابوابا من الحرب حتى ضجر الناس من
قتالهما فتقرب خالد من ضرار ثم صاح عليه وقال يا ابن الازور
ما هذا التغافل والجنة فتحت لك والنار لعدوك واياك
والفشل ۞ فانك بعين الله عز وجل ۞ قال فأيقظ ضرار خاطره
وانتفض في سرجه وحمل على خصمه واقتتلا حتى تعبت الجوادان
واشار اللعين الى ضرار ان يترجل حتى يقتتلا رجالة فهم ضرار
ان يترجل واذا بفارس من الروم قد اقبل يقود جوادا وكان
غلام البطريق فلما نظر اليه ضرار صاح بجواده وانحنا
على اذنه وقال ايها الجواد اصبر معي ساعة والا اشكوك
على قبر المصطفى ۞ قال فلعب الجواد برجليه وكاد ان

يطير بين السماء والارض فاستقبل ضرار غلام البطريق وطعنه فوقعت
الطعنة في ابطه الايمن فوقع الى الارض واخذ ضرار الجنيب
وركبه وزعق زعقة ارتعد منها البطريق وحمل عليه فلما
راه البطريق قتل غلامه واخذ جواده ايقن بالهلاك فلما نظر
ضرار الى عدو الله قد تبلد خاطره عزم على الهجمة عليه اذ نظر
الى كردوس الخيل قد خرج من عسكر الروم وذلك ان وردان
نظر الى صاحبه قد اشرف على الموت علم انه ان لم يدركه ۞
والا هلك فقال لقومه يا قوم ان هذا الشيطان قد اكل من
كبدي قطعة وان لم اقتله اليوم والا قتلت نفسي ولا بد لي من
خروجي اليه ۞ قال فلما رات البطارقة ذلك جعلوا يصبرونه
فحلف بالصليب لا بد له من الخروج اليه فخرج في عشرة وهم
مدرعون وعلى سواعدهم سواعد حديد ووردان التف في
لامته والتاج على راسه فخرج القوم ووردان يقدمهم كانه
شعلة نار ونظر غريم ضرار ذلك فقوي عزمه بعد ايقانه
بالهلاك وصاح بضرار دونك والحرب فلم يلتفت ضرار الى
من خرج اليه لانه تاهب لهم فهو كذلك وخالد نظر الى
خروجهم اليه ونظر التاج فعلم انه مقدمهم ۞ فقال

خالد ليخرج منكم عشرة حتى تساووا القوم ثم خرج خالد في عشرة
فأطلقوا الأعنة ووصل الروم لضرار ينصرهم إلى أن وصل إليه خالد
وأصحابه والتفت الرجال بالرجال وانفرد كل واحد بصاحبه
وانفرد خالد بصاحبهم وردان ولم يزل ضرار على خصمه حتى
كلت سواعد عدو الله وارتعدت فرايصه وجعل يطلب
الهرب وعلم منه ضرار ذلك فألقى اللعين نفسه عن جواده وغدا
راجلا فألقى ضرار نفسه عن جواده وغدا خلفه فلحقه فعند ذلك
تصارعا وكان عدو الله كالصخرة وضرار نحيف البدن
فلما طال بينهما العراك ضرب ضرار بيده على محزم عدو الله مع
مراق بطنه وجلد به الأرض فصاح عدو الله وجعل يستنجد
بوردان وقال بالرومية انقذني مما أنا فيه فقد هلكت
فقال وردان وأنا من ينقذني وسمع خالد كلامهم ففهمه
قال وهم ضرار أن يضرب عزيمه بالسيف إذ أشرفت
عليه العساكر وتصارخت الروم وكانوا أصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم على أهبة فلم يمهل ضرار عزيمه
دون أن برك على صدره وهو ينازع تحته كالبعير
قال فعند ذلك امتشق ضرار سيفه ومكنه من نحر عدو الله

فأخرج السيف من جانب حلقه بعد ما زعق زعقة عظيمة سمعها
العسكران فعند ذلك حملت الروم بأسرها فلما نظر ضرار إلى
ذلك وقد دهمه جيش الروم قال ما أظن أني ناج حتى تدوسني
الخيل بحوافرها ثم حز رأس اللعين وقام مقتحما بدمه وكبر وكبر
المسلمون وحملوا من أماكنهم وحملت الروم كما ذكرنا
وحملت ميمنتهم على معاذ بن جبل وحملت الميسرة على سعيد
ابن خالد بن خثعم ونادى سعيد معاشر الناس اذكروا
الوقوف بين يدي الجبار ولا تولوهم الأدبار صبرا
يا حملة القرآن فزاد الناس بقوله قوة وتزاحم الفريقان
إلى قرب العصر ثم افترقوا وقد قتل من الفئتان خلق كثير
إلا أن الأكثر من الكفار وكان فيمن قتل من المسلمين
في وقعة إجنادين سلمة بن هشام المخزومي ونعيم بن عدي
العدوي وهشام ابن العاص السهمي وذهبان بن سفيان
وعبد الله بن عمرو الدوسي وزائر بن عوف الهندي وواعب
الخزرجي وقادم بن مقدام الزهري واليسار التيمي
وعوام القشيري وسعيد بن عاصم الكلابي وحزام بن
سوار وواهب بن حبيب بن يسار ورافع السلمي

ومرهب بن واثق ومجلي ابن حنظلة وجندلة بن يسار ومالك بن
النعمان وسالم بن طلحة واثنا عشر رجلا من أخلاط الناس لم نقف
على أسمائهم وأما الروم فإنه قتل منهم زهاء عن اثني عشر ألفا
منهم اثنا عشر من ملوكهم وهم فارس بن ساق صاحب عمان وما
بينهما ومرقص بن صليبا صاحب الصنمين ودير أيوب ورمدار صاحب
الجولان إلى الكهف والرقيم ولادر بن زهرة صاحب جبل السواد
وعاملة ويعون بن رونيس وجرماس صاحب يافة والرملة
ومريوس صاحب أنطرطوس وكركر صاحب نابلس وايلطون
صاحب أرض العواصم وافترق القوم ورجع وردان إلى
مكانه وكان خالد قد اشتغل عنه لأنه كان رأى طائفة
من الروم قد خرجوا إلى ناحية النسوان فخرج إلى الروم فردهم
على أعقابهم ورجع وردان منهزما إلى مكانه وقد امتلأ
غيظا ورعبا من المسلمين لعظم حربهم وصبرهم فجمع البطارقة
إليه وقال يا أهل هذا الدين ما تقولون في أمر هؤلاء العرب
فإني أراهم غالبين ورأيت أسيافهم قاطعة وخيلهم صابرة
وأنتم بخلاف ذلك والقوم أطوع منكم لربهم وما أرى
لكم عليهم دولة إلا أن غسلتم ما بقلبكم من العصيان فإن فعلتم

ذلك رجوت لكم النصر وإن أبيتم فابشروا بالهلاك فإن الله تعالى
قد عاقبكم بأشد عقوبة إذ سلط عليكم أقواما كنا لا نعدهم
ولا نفكر فيهم وهم حفاة عراة جياع والآن أكلوا خيرات
بلادكم وفواكهها وأعظم من هذا سبي نسائكم وحريمكم
فكيف صبرتم على سبي الحريم والبلاء العظيم فلم يبق من الروم
إلا من انتحب وبكا وصفقوا بيد على يد واغتاظوا غيظا شديدا
وقالوا نقتل عن آخرنا ولا يوصل القوم إلى ذلك فلما سمع وردان
ذلك فرح فرحا شديدا وعدل عن القوم وصاح بالبطارقة
وقال أسمعتم ما قال العسكر فقال رجل من القوم لا نثق
بكلامهم فإنكم بليتم بقوم لا يقام لأمرهم وإن الواحد منهم يحمل
على عسكرنا بأسره ولا يبالي بالقلة ولا بالكثرة ولا
يرجع حتى يقتل منا ويأسر منا وهم لا يحققوا ما قال نبيهم إن من
قتل منا صار إلى النار ومن قتل منهم صار إلى الجنة والموت
والحياة عندهم سواء وقد قتل منا خلق كثير ومنهم نفر يسير
وما لنا فيهم مطمع حتى نقتل كبيرهم المسمى بخالد وما نصل إليه
إلا بحيلة فقال وردان وأي حيلة فقال البطريق الرأي
أن تدعو الرجل لمناظرتك فإذا خلوت به بادر إليه واعتنقه

وصح بقومك وليكن منكم رجال مكمنون ۞ فقال وردان ما أجد لأمره سبيلا والوصول إليه بعيد ولا أنا ممن يناظره فقال البطريق فأنا أقول لك شيئا متى فعلته وصلت إليه وذلك أن تعمد إلى عشرة من عسكرك فتكمن لهم كمينا قبل خروجك إليه فإذا دعوته تسيرا جميعا إلى أن تصلا إلى الكمين فتخلسا عنده وتحادثاه حتى يطمئن لك ۞ ثم تهجم عليه واصرخ بقومك يقطعونه قطعا فتكفا مؤنته ويتفرقوا أصحابه ۞ قال فلما سمع وردان ذلك قرب من عقله وفرح به وقال أما هذا فنعم الرأي ثم إن وردان ادعا برجل من نصارى الشام وكان اسمه داود وقال له إني أعلم أنك رجل فصيح اللسان قوي الجنان وإني أريد منك أن تخرج إلى هؤلاء العرب فتقول لهم أن يقطعوا الحرب بيننا وبينهم يومنا وتقل لهم يخرج إلينا أميرهم من باكر النهار وأخرج إليه ولعل نصطلح وندفع إليهم من المال ما اختاروه فقال داود ويلك تخالف الملك فيما أمرك به من الحرب وتصطلح مع العرب ويعلم أني كنت الواسطة في ذلك فيقتلني فقال وردان ويلك إنما اجتمع رأينا على ذلك لأجل الحيلة فعسى نصل إليهم

بقتل صاحبهم ثم حدثه بما عزموا عليه فقال له داود إن الكيد والغادر والباغي مغلوبين فالق الجمع بالجمع واترك ما عزمت عليه فغضب وردان وقال أنا قلت لك امض برسالتي ودع اللجاج فقال داود حبا وكرامة ۞ ثم عطف نحو المسلمين وهو يقول كأن وردان عزم أن يلحق بولده جهدان ۞ ثم مضى حتى وقف قريبا من عسكر المسلمين ثم نادا برفيع من صوته يا معاشر العرب حسبكم من سفك الدما فإن الله يسألكم عن إهراقها وقد اجتمع أمرنا على الصلح فليخرج إلي صاحبكم حتى أحدثه بما أرسلت به إليه ۞ قال فما تم كلامه حتى خرج إليه خالد كأنه شعلة نار متكفن في لأمته وبيده رمح وهو بين أذان الحصان قال فلما نظر إليه داود قال يا عربي على رسلك فأنا ما أنا من رجال الحرب وإنما أنا رسول إليك وإني مبلغك الرسالة واسمع ما تقول فابعد عني برمحك حتى أخاطبك قال فرد عنه خالد الرمح ووضعه عرضا في قربوص سرجه وقال قل وبلغ فمن صدق نجا ۞ قال صدقت يا عربي إن أميرنا وصاحبنا وردان عزم على رأي فإن أنت أيها الأمير أعطيتني أمانا لي ولأهلي ولعيالي حدثتك بما عزم عليه

فانه كما ذكرت من صدق نجا ❁ فقال خالد لك الأمان على نفسك
وعيالك وأهلك فما هو الذى عزم عليه فقال داود يا سيدى خذ
على نفسك واحذر فان صاحبنا وردان قد اضمر ما هو كذا وكذا
وحدثه بالقصة من اولها الى اخرها ❁ فقال خالد واين يكون
مكمن القوم قال عند الكتيبة الحمرا في المهبط عن يمين
عسكرهم ❁ فقال له خالد ارجع الى وردان وقل له انه اجابك
لما قلت قال فتركه داود ومضى واعلم وردان بجواب
خالد ❁ ففرح وردان وقال ارجو من الصليب ان اظفركم
به ثم ادعا بعشرة من الفتاك الأبطال وقال امضوا فاكمنوا
في مكان كذا وكذا قال ورجع خالد فالتقاه ابو عبيدة ضاحكا
فقال اضحك الله سنك يا ابا سليمان ما الخبر قال فخبره خالد
بما قال داود ❁ فقال ابو عبيدة وما الذى عزمت عليه قال
عزمت ان اخرج وحدى واتيك برؤوسهم الجميع فقال
ابو عبيدة لعمرى انك لكفو لذلك ولكن ما امرك الله بالقاء
نفسك للهلاك وان عدو الله وردان قد اعد لك عشرة
وهو الحادى عشر وما امن عليك من اللعين ولكن اندب
معك رجالا كما ندب معه رجالا واكمن بهم قريبا

منهم فقال خالد لست اخالفك ❁ ثم ادعا خالد بعشرة من اصحابه
معروفين فلما اجتمعوا اخبرهم بما عزم عليه وقال اخرجوا جميعكم
حتى تاتوا عند الكتيبة الحمرا واكمنوا هناك فاذا صرخت ❁
فاتوا وانفردوا بالقوم كل واحد بواحد ❁ وانا انفرد
بعدو الله ❁ وكان ضرار حاضرا فقال يا امام نخشى ان يكون لهم
كمين اخر ولكن الراى ان نسير الى القوم من وقتنا هذا ونذبحهم
ونفرغ منهم قبل الصباح ونكمن في موضعهم فاذا خلوت مع
خصمك خرجنا اليك بلا مقاتل ولا معاند ❁ قال فضحك خالد من
قوله وقال افعل ما ذكرت ان وجدت اليه سبيلا ❁ وخذ
هاولاء العشرة معك وانت الأمير عليهم وارجو من الله ان تبلغ
ما اردت فان ذلك الفرح الكامل ❁ فقال ضرار نرجو
من الله الوصول اليه ان شا الله تعالى ثم ان القوم خرجوا بليل
وهم رجالة بسيوف وسلموا على الناس وسالوهم الدعا ❁
وكان خروجهم عند مضى ثلثى الليل الأول وضرار ينشد
الجن تفزع منى في الظلام اذا ❁ خضت الدياجى ولم الوى الى الجزع
ياويح من وضع الارصاد يخدعنا ❁ ونحن جرثومة الأفكار والخدع
لارضين الهى في جهادهم ❁ ليس الجسور على الأهوال كالجزع

قال ثم سار بأصحابه حتى وصل إلى الكتيبة فأوقف أصحابه وقال
اصبروا حتى أبصر لكم خبر القوم ❁ ثم نزع أثوابه وأخذ سيفه
وسار مع لحف الجبل سيرا خفيفا حتى قرب من القوم فسمع غطيطهم في
نومهم من التعب وهم آمنون من أن يقصد إليهم عدو أو يعترض لهم
عارض ❁ ثم رجع إلى أصحابه وقال أبشروا جاءكم ما تريدون
جردوا سيوفكم وسيروا إلى القوم واقتلوهم حيث شئتم
وكل واحد منكم لواحد منهم ولتكن ضربتكم واحدة
فقالوا حبا وكرامة ثم خففوا القوم من لباسهم وجردوا
أسيافهم وساروا وضرار في أولهم حتى وصلوا إلى الروم
وكل واحد منهم سلاحه عند رأسه فتفرق القوم عليهم
وانفرد كل واحد منهم بواحد فلما تمكنوا منهم وضعوا
أسيافهم على نحورهم فلم يستيقظ القوم حتى قطعوهم إربا
إربا وأفنوهم وأخذوا سلاحهم وما كان معهم وقال
ضرار أبشروا فهذا أول الفتح ونرجو من الله تمام الوعد
ثم حمدوا الله وباتوا طول ليلتهم حامدين ❁ لربهم
شاكرين إلى أن برق الفجر فعند ذلك اجتمع القوم ونزعوا
أثوابهم ولبسوا أثواب الروم واستتروا بدرقهم خوفا أن

يأتيهم رسول من عند وردان فتتغير عليه حليتهم ثم غيبوا تلك
القتلى في الرمل وجلسوا تحت السلاح **قال الواقدي** وأضاء
الفجر فصلى خالد بالناس صلاة الصبح ورتب أصحابه ترتيب الحرب
واشتهر بحريرة صفراء وعمامة سوداء وتصففوا الروم
ونشروا سلاحهم ورفعوا الصلبان والأعلام فبينما الناس
كذلك إذ خرج فارس من الروم وقال يا معاشر العرب
غدرتم أين ما كان بيننا وبينكم بالأمس ❁ قال فخرج إليه
خالد بن الوليد وقال ما شيمتنا الغدر فقال الفارس إن
وردان يريد أن يخرج كما قلتم بالأمس حتى ننظر ما يكون
بينكما قال ارجع إليه وأعلمه أني خارج إليه ❁ قال فرجع
البطريق وأعلمه بما قال خالد قال فعندها خرج وردان وقد
أظهر زينته بقلائد الجوهر ❁ فلما رآه خالد قال هذا
غنيمة المسلمين إن شاء الله تعالى ثم قال لأبي عبيدة أظن أن
ضرارا وأصحابه قد وصلوا إلى أعدائنا فإذا رأيتني حملت
فاحمل بمن معك ❁ ثم سلم خالد على المسلمين وخرج وهو

❁ **يقول** ❁

عليك ربي في الأمور المتكل ❁ فاغفر إلهي إن دنا مني الأجل ❁

وَوَفِّقْنِي يَا رَبِّ إِلَى خَيْرِ عَمَلْ ❁ وَاغْفِرْ لَنَا مَا قَدْ عَلِمْتَ مِنْ زَلَلْ ❁
وَامْحَقْ بِسَيْفِي الشِّرْكَ حَتَّى يَضْمَحِلْ ❁ مَنْ لِي سِوَاكَ فِي الأُمُورِ مَنْ أَسَلْ ❁
قَالَ حَدَّثَنَا رِفَاعَةُ عَنْ حَمْزَوَانَ عَنْ مَاجِدِ بْنِ الْعَاصِ عَنْ جَدِّهِ
قَالَ كُنْتُ فِي الْقَلْبِ مَعَ عِيَاضِ بْنِ غَانِمٍ الأَشْعَرِيِّ وَسَمِعْتُ
خَالِدًا يُنْشِدُ هَذِهِ الأَبْيَاتَ بِعَيْنِهَا ❁ قَالَ فَلَمَّا نَظَرَ عَدُوُّ اللهِ
إِلَى خَالِدٍ أَعْجَبَهُ فَأَرَادَ أَنْ يَدْنُوَ مِنْهُ وَظَنَّ أَنَّهُ يَصِلُ إِلَيْهِ وَلَمْ
يَزَلْ خَالِدٌ إِلَى أَنْ قَرُبَ مِنْهُ وَإِذَا بِعَدُوِّ اللهِ قَرِيبًا مِنَ الْكَتِيبِ
فَلَمَّا قَرُبَ مِنْهُ خَالِدٌ تَرَجَّلَ وَرْدَانُ عَنْ بَغْلِهِ وَتَرَجَّلَ خَالِدٌ عَنْ
حِصَانِهِ وَجَلَسَا كِلَاهُمَا وَقَدْ جَعَلَ وَرْدَانُ يَدَهُ عَلَى قَائِمِ
سَيْفِهِ خَوْفًا مِنْ خَالِدٍ أَنْ يَهْجُمَ عَلَيْهِ وَجَلَسَ خَالِدٌ أَيْضًا وَقَالَ
لَهُ قُلْ مَا تَشَاءُ وَاسْتَعْمِلِ الصِّدْقَ وَالْزَمْ طَرِيقَ الْحَقِّ وَاعْلَمْ أَنَّكَ
جَالِسٌ أَمَامَ رَجُلٍ لَا يَعْرِفُ الْخِدَاعَ ❁ فَقَالَ وَرْدَانُ يَا خَالِدُ
اذْكُرْ لِي مَا تُرِيدُ وَقَارِبِ الأَمْرَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ وَاحْقِنْ
دِمَاءَ النَّاسِ فَإِنَّكَ مُطَالَبٌ بِمَا فَعَلْتَ فَإِنْ كُنْتَ تَطْلُبُ شَيْئًا
مِنَ الدُّنْيَا فَلَنْ نَبْخَلَ بِهَا عَلَيْكَ صَدَقَةً مِنَّا عَلَيْكُمْ لِأَنَّهُ لَيْسَ
عِنْدَنَا أَضْعَفُ مِنْكُمْ وَقَدْ عَلِمْتُ أَنَّكُمْ فِي بِلَادٍ تَحْطٍ فَقُلْ
مَا تُرِيدُ وَاقْنَعْ مِنَّا بِالْقَلِيلِ ❁ قَالَ فَلَمَّا سَمِعَ خَالِدٌ ذَلِكَ

قَالَ يَا وَيْلَكَ يَا كَلْبَ النَّصْرَانِيَّةِ ❁ وَيَا أَخَسَّ مَنِ انْغَمَسَ فِي مَاءِ الْمَعْمُودِيَّةِ
إِنَّ اللهَ تَعَالَى أَغْنَانَا عَنْ صَدَقَاتِكُمْ وَجَعَلَ أَمْوَالَكُمْ مُبَاحَةً لَنَا نَقْسِمُهَا
بَيْنَنَا وَأَحَلَّ لَنَا نِسَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ وَأَوْلَادَكُمْ إِلَّا أَنْ تَقُولُوا
لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ وَإِنْ أَبَيْتُمْ فَالْجِزْيَةُ وَإِلَّا فَالسَّيْفُ
حَكَمٌ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ وَالْحَرْبُ وَالْقِتَالُ عِنْدَنَا أَشْهَى مِنَ الصُّلْحِ
وَأَمَّا قَوْلُكَ لَمْ تَكُنْ أُمَّةٌ أَضْعَفَ مِنَّا عِنْدَكُمْ فَأَنْتُمْ عِنْدَنَا بِمَنْزِلَةِ
الْكِلَابِ وَإِنَّ وَاحِدًا مِنَّا يَسْتَضْعِفُ أَلْفًا مِنْكُمْ وَمَا هَذَا كَلَامُ
مَنْ يَطْلُبُ الصُّلْحَ فَإِنْ كَانَ ذَلِكَ طَمَعًا تَرْجُو أَنْ تَصِلَ بِهِ إِلَيَّ
لِانْفِرَادِي فَذَلِكَ مِنْكَ بَعِيدٌ ❁ وَإِنْ أَرَدْتَ الْقِتَالَ فَهَا أَنَا وَأَنْتَ
فِي عُزْلَةٍ مِنْ قَوْمِي وَقَوْمِكَ وَدُونَكَ وَالْحَرْبَ فَإِنِّي كُفْؤُكَ
وَلِسَائِرِ جَيْشِكَ قَالَ الْوَاقِدِيُّ فَلَمَّا سَمِعَ وَرْدَانُ كَلَامَ خَالِدٍ
وَثَبَ مِنْ مَكَانِهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَجُرَّ سَيْفًا ثِقَةً مِنْهُ بِأَصْحَابِهِ أَنَّهُمْ
يَنْجُدُونَهُ مِنَ الْكَمِينِ ❁ فَدَخَلَ فِي خَالِدٍ وَنَازَلَهُ وَشَابَكَهُ
وَصَاحَ عَدُوُّ اللهِ بِقَوْمِهِ عِنْدَ مَا تَمَكَّنَ مِنْ خَالِدٍ وَقَالَ لَهُمْ
بَادِرُوا فَقَدْ أَمْكَنَ الصَّلِيبُ مِنْ أَمِيرِ الْعَرَبِ ❁ قَالَ فَمَا تَمَّ
كَلَامُهُ حَتَّى تَبَادَرُوا أَصْحَابُ خَالِدٍ مِنْ وَرَاءِ الْكَثِيبِ
كَأَنَّهُمُ الْعِقْبَانُ وَقَدْ رَمَوُا الأَطْمَارَ وَالدُّرُوعَ الَّتِي كَانَتْ

عليهم وخرجوا مبادرين وجردوا السيوف وكان أول من بدر إليه ضرار
ابن الأزور وهو يثب وثبة الأسد الغضبان وهو عريان بسراويل
قابضا على سيفه وهو يهدر كما يهدر الليث والقوم من ورآيه
تابعين فالتفت عدو الله فنظر إلى القوم وهم يتسابقون إليه
يظن أنهم قومه حتى إذا وصلوا إليه نظر في أوائلهم ضرارا
وهو يسرع إليه ويهز السيف في وجهه فلما نظر إلى ذلك ارتعدت
فرائصه وقال يا خالد سألتك بمعبودك إلا قتلتني أنت ❀ ولا
تترك هذا الشيطان يقتلني فإني استوشمت بطلعته ❀ فقال
خالد هو قاتلك لا محالة فبينما هم في المجادلة إذ فاجأه ضرار
بضربته وقال خذها يا لعين أين خديعتك من خديعة أصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم فصاح به خالد ويلك يا ضرار
اصبر ولا تعجل فإني معانقه ونظر وردان إلى ما حل به فوقع
إلى الأرض وهو يشير بإصبعه الأمان الأمان فقال خالد إنما
يعطى الأمان يا عدو والله لأهل الأمان وأنت رجل أضمرت
المكيدة وما بقي إلا أخذ روحك ❀ فخرج عنه خالد فلم يمهله
ضرار دون أن ضربه على عاتقه ❀ طلع السيف يلمع من علائقه
ثم خطف التاج عن رأسه وقال من سبق إلى شيء فهو له ❀ قال

وأدركته سيوف الموحدين فقطعوه قطعا وأخذوا سلبه ❀ ثم
أقبل خالد على أصحابه وقال إني لا آمن عليكم من القوم أن يميلوا عليكم
لأنهم متشوقون إلى صاحبهم ❀ ثم إنهم أخذوا رأس وردان
ولبسوا الأطمار التي كانت على تلك الروم وتوجهوا للقائهم
وقال خالد إذا وصلتم إليهم فاحملوا وكبروا فتحمل عند
حملتكم المسلمون ❀ قال فتوجهوا كما قال خالد ورأس وردان
على ذبابة رأس رمح خالد قال ونظر الكفار إلى رأس وردان
فظنوا أنها رأس خالد فتعطعطوا وصفقوا وأظهروا الصلبان
ونظر المسلمون لذلك فخافوا على خالد فلما قرب خالد من الروم
لوح بالرأس إليهم وقال يا أعداء الله هذه رأس وردان وأنا
خالد صاحب رسول الله ثم حمل عليهم وحمل ضرار في أثره
وكبر المسلمون وحملوا ونادى أبو عبيدة هذه والله زعقات
خالد الحمد لله على الإسلام والسلامة احملوا يا أهل القرآن
قال ثم حمل وحملت المسلمون جميعا ❀ قال فلما رأت الروم
إلى رأس وردان ورأوا خالدا والمسلمين قد حملوا أيقنوا
بالغلبة وولوا الأدبار وأخذهم السيف من كل مكان
وقتلوا تحت كل راية وعلم ولم يزل السيف يعمل فيهم إلى

وقت العصر وافترقوا ❁ قال عامر بن الطفيل كنت في خيل أبي
عبيدة ومعي خيل من الأوس والخزرج ونحن نتبع آثار المنهزمين
إلى نحو طريق ذي زرع إذ طلع علينا غبرة أظلم لها الجو فأخذنا
على أنفسنا ودنا بعضنا بعضا فلما قربت منا انكشفت لنا عن عسكر
قد أنجدنا به أبو بكر الصديق ❁ فما كانوا تجدون أحدا
من الروم إلا قتلوه أو أسروه وأخذوا ما كان معهم ❁ قال
حدثني عبد الله بن أزقم عن سويد بن غانم عن يونس
ابن عبد الأعلى قراءة عليه في المسجد الحرام قال إن العسكر
الذي قدم يوم قتل وردان بأجنادين كان عمرو بن العاصي
ولم يكن حضر الوقعة لا هو ولا من معه وكان قدومه
عند هزوم الروم **قال الواقدي** وكان جيش الروم
ذلك اليوم مائتين وسبعين ألفا فمنهم من مضى إلى قيسارية
ومنهم من طلب دمشق ومنهم من طلب أنطاكية وغنموا
المسلمون غنيمة لم يغنموا قط مثلها وأخذوا من صلبان الذهب
والفضة وسلاسل الذهب ما لا يحد فجمع ذلك جميعه خالد مع
التاج الذي غنمه من وردان وقال خالد لست أقسم عليكم
إلا بعد فتح دمشق إن شاء الله تعالى ❁ قال وكانت الوقعة

بأجنادين يوم السبت لثلاثة أيام بقين من جمادى الأولى سنة
ثلاث عشرة من الهجرة النبوية وذلك قبل وفاة أبي بكر
بثلاث وعشرين ليلة ❁ ثم إن خالدا كتب لأبي بكر كتاب
الفتح يقول فيه بسم الله الرحمن الرحيم من خالد بن الوليد إلى
خليفة رسول الله سلام عليك **أما بعد** فإني أحمد
الله الذي لا إله إلا هو وأصلي على نبيه محمد صلى الله عليه
وسلم وأزيد في الحمد على سلامة المؤمنين ودمار المشركين
وإخماد جمرتهم وكبت أعدائنا بالقهر ❁ وقتلنا منهم
عشرين ألفا وأسرنا ثلاثة آلاف وقتل من المسلمين أول يوم
وثاني يوم مائة وخمسة وسبعون ختم الله لهم بالشهادة
وهم فلان وفلان ❁ ويوم كتبت لك هذا الكتاب
كان يوم الخميس ليومين مضيا من جمادى الآخرة ونحن
قاصدون دمشق فادع لنا بالنصر يا خليفة رسول الله
صلى الله عليه وسلم والسلام عليك وعلى جميع المسلمين
ثم طوى الكتاب وختمه وسلمه إلى عبد الله بن جميل وأمره
أن يسير بكتابه إلى مدينة رسول الله قال ولقد بلغنا أن
أبا بكر كان كل يوم يخرج إلى ظاهر المدينة يتنسم

الأخبار ❁ فبينما هو كذلك إذ أقبل عليه عبد الرحمن بن جميل فلما
أشرف عليهم تسابقت إليه الصحابة وقالوا من أين أتيت فقال من
الشام ❁ قال فبشر والصديق بذلك وإن الله قد نصر المسلمين
فخر ساجدا لله عز وجل وأقبل عبد الرحمن وقال يا خليفة رسول الله
ارفع رأسك فقد أقر الله عينك بالمسلمين فرفع رأسه فناوله
عبد الرحمن الكتاب فقرأه أبو بكر وسر وكان بخط أبي
عبيدة فلما فهم ما فيه قرأه على المسلمين جهرا وترحم الناس
على الشهداء وشاع الخبر في المدينة وإذا الناس يهرعون
إلى باب المسجد فقرأه على الناس ثانيا وتسامع المسلمون
من أهل مكة والحجاز واليمن بما فتح الله على المسلمين وما
ملكوا من البلاد والأموال فأقبلوا رغبة في المال والثواب
وسكن الشام ❁ وأقبل إلى المدينة أكابر أهل مكة
وعظماؤهم بالخيل والحديد واللباس الجديد ❁ وعلى
أوائلهم صخر بن حرب الأموي والفيداق بن هشام ونظائرهم
فأقبلوا يستأذنوا أبا بكر في الخروج إلى الشام فكره
عمر بن الخطاب رضي الله عنه ذلك وقال لأبي بكر إنها ولاء
لنا في قلوبهم طرائد وخزائن فالحمد لله الذي كانت

كلمة الله هي العليا وكلمتهم هي السفلى وهم أرادوا أن يطفئوا
نور الله بأفواههم والله يريد أن يتم نوره ولو كره المشركون
فلما أراد الله ذلهم وعزنا أسلموا خوفا من السيف فلما سمعوا
أن جند الله انتصروا أتوا لتبعث بهم إلى الأعداء ليقاسموا
السابقين في الغنائم والصواب أن لا تبعث بهم فقال أبو بكر
إني لا أخالف لك قولا ❁ قال وبلغ أهل مكة ما قاله
عمر بن الخطاب فأقبلوا بأجمعهم إلى أبي بكر الصديق
رضي الله عنه في المسجد وحوله جماعة من المسلمين وهم
يتذاكرون ما فتح الله به على المسلمين وعلي وعمر حوله
وبين يديه ❁ فأقبلت قريش إلى أبي بكر الصديق
رضي الله عنه وسلموا عليه وجلسوا بين يديه وتطاولوا لمن
يكون أول من يتكلم فكان أول من تكلم سفيان بن صخر
ابن حرب وأقبل على عمر وقال يا أبا حفص كنا متباغضين
في الجاهلية وكنت تجد علينا ونجد عليك فلما أن هدانا
الله للإيمان وزال ما بيننا من التباغض وأنت بعد اليوم
تكرهنا ألسنا إخوانكم في الإسلام وبني عمكم
في النسب فما هذه العداوة منك يا ابن الخطاب ❁ أما أن

لك أن تغسل قلبك من الحقد وإنك أسبق منا للإيمان والجهاد فسكت
عمر واستحيا وجلله العرق وقال والله ما أردت بقولي إلا فصل
الشر لأن حمية الجاهلية في رؤوسكم وكنتم تريدون أن تطولوا
بأنفسكم على من سبقكم في الإسلام ۞ فقال أبو سفيان أنا
أشهدك وأشهد خليفة رسول الله إني حبست نفسي في سبيل الله
وكذلك تكلمت سادات مكة فقال أبو بكر رضي الله عنه اللهم
بلغهم ما يؤملونه وارزقهم النصر على عدوهم قال فما مضت
أيام قلايل حتى اجتمعت خلق كثير من اليمن منهم عمرو بن معدي
كرب بنسوانهم وأولادهم يريدون الشام فما استقروا
في المدينة حتى أقبل مالك الأشتر النخعي فنزل عند علي بن أبي
طالب وكان يحبه وشهد معه وقايع ۞ فعزم على الخروج
مع الناس وصار في المدينة زهاء عن سبعة آلاف فارس فلما
تم أمرهم كتب إلى خالد كتابا يقول فيه ۞
بسم الله الرحمن الرحيم من أبي بكر إلى خالد بن الوليد ومن معه
من المسلمين ۞ أما بعد فإني أحمد الله وأصلي على نبيه وآمركم
بتقوى الله والرفق بالمسلمين والحمل لضعيفهم والتجاوز عن
مسيئهم والمشاورة لأمرهم وقد فرحت بما أفاء الله عليكم من النصر

فاجعل السير دأبك إلى أن تطأ بلادهم وانزل جنة الشام إلى أن
يأذن الله بفتحها ۞ فإذا تم لك ذلك فسر إلى حمص والمعرة ۞
وأنطاكية والسلام عليك وعلى من معك من المسلمين ۞ وقد
أنفذت إليك أبطال اليمن وأقيال مكة ويكفيك عمرو بن معدي
ومالك النخعي وإن نزلت على إنطاكية فالملك هناك
فإن صالحك فصالحه وإن حاربك فحاربه ولا تدخل الدربنات
أو يأتيك كتابي فإني أظن أن الأجل قد اقترب وكل
نفس ذائقة الموت والسلام عليك ۞ ثم طوى الكتاب وختمه
وسلمه لعبد الرحمن فأخذه وسار على مطيته يطوي القفار حتى
وصل دمشق ۞ قال وكان خالد لما أرسل عبد الرحمن ارتحل
يطلب دمشق وكان أهلها قد سمعوا بقتل أبطالهم وانهزام
جيوشهم على أجنادين خافوا وانجفلوا إلى دمشق وتحصنوا فيها
وأعدوا آلة الحصار ۞ فلما أخذوا أهبتهم أقبل عليهم خالد وقد
رأوا معه عمرو بن العاصي في عشرة آلاف فارس ويزيد بن
أبي سفيان في ألفين ورأوا أهل دمشق عسكرا جرارا فأيقنوا
بالهلاك وأقبل خالد فنزل في الدير المعروف به وصار
بينه وبين دمشق أقل من ميل ۞ ولما نزل ادعا بأبي عبيدة

نجسة بالخمر ولحم الخنزير وأيضا ما ذكر فيها اسم الله قال
الواقدي رحمه الله ولما نزل أبو عبيدة على باب الجابية
أمر أصحابه بالزحف والقتال ثم إن خالدا ادعا بيزيد بن أبي
سفيان وقال يا يزيد خذ أصحابك وانزل على الباب الصغير
واحفظ قومك والجهة التي أنت إليها وإياك أن نؤتى من
قبلك وقاتل أهل الباب الذي أنت عليه وإن خرج من أهل
المدينة أحد ولم يكن لك بهم طاقة فأنفذ إلي حتى آتيك
إن شاء الله تعالى ❁ ثم إن خالدا ادعى بشرحبيل بن حسنة
وقال امض أنت وقومك إلى باب توما واحذر من أصحاب
الباب توما أن تخرج إليك فقد ذكروا أنه داهية الحرب
وأن الملك هرقل يحبه وما رغب فيه إلا لعلمه بشجاعته
لا جرم وقد أزوجه ابنته ❁ فقال شرحبيل ما منا من
يوتا بحيلة إن شاء الله تعالى ثم توجه بقومه وهم ألفا
فارس ❁ ثم ادعا من بعده بعمرو بن العاص بن وائل وقال
يا عمرو اذهب بجيشك باب الفراديس والزم تلك
الناحية فإنه بلغني أن هناك أبطال الرجال فقال سمعا
وطاعة ثم ادعا بقيس بن هبيرة وأرسله إلى باب آخر وأوصاه

وقال أنت تعلم ما بيننا وبين القوم من العداوة فانزل أنت ومن معك
بباب الجابية ولا تبرح من مكانك ولا تسمح للقوم بالأمان ❁
فيخدعوك وتؤتى من مكرهم وتباعد عن الباب وابعث لهم
فوجا فوجا ❁ واجعل قتال الناس دولا ولا يضيق صدرك
من كثرة المقام فإن الصبر عقباه الظفر ❁ فقال أبو عبيدة
ابن الجراح حبا وكرامة ثم خرج بربع الجيش حتى نزل على
باب الجابية ونصب له بيتا من الشعر بالبعد من الباب
قال حدثني مزروع بن سالم عن عبد الله بن محمد بن الحجاج
الأنصاري قال قلت لجدي رفاعة بن عاصم وكان ممن
حضر حصار دمشق ❁ وكان في خيل أبي عبيدة قلت يا جداه
ما منع أبا عبيدة أن ينصب له قبة من قباب الروم مما أخذتم
من أجنادين وبصرى وحوران وتحورا وقد كان عندكم
منها ألوف قال يا بني منعه من ذلك التواضع والإكراه في
زينة الدنيا وحتى ينظر الروم أنا لا نقاتلهم طلبا للملك
ولقد كنا ننزل في بلادهم فنأخذ خيامهم وسرادقهم
وسلاحهم والطوارق والأعلام والمطر ينزل علينا ولا
ندخل في خيامهم فقلت يا جداه ولم ذلك فقال يا بني لأنها

كما أوصى أصحابه قال وأما باب مرقص فلم يكن عليه قتال فلذلك
سمي باب السلام ❁ ثم نزل خالد على الباب الشرقي وادعا
بضرار بن الأزور وضم إليه ألفي فارس وقال يا ضرار كن
بهذه الألفي فارس على الدراجة والطوالع ودر على
الأبواب ولا تقف في مكان واحد وإن دهمك قوم ليس
لك بهم طاقة فانفذ إلي حتى آتيك ❁ فقال أنا إذا فعلت
ذلك اشتغلت عن الحرب والقتال فقال خالد يا ضرار إذا كنت
تريد القتال فكلما أتيت إلى باب قاتل معهم فقال ضرار أما
هذا فنعم ثم سار ❁ **وهو يقول** ❁

دمشق قد أتاك ضرار يوما ❁ تخبرك عن الويل الطويل ❁

سأضرب في العلوج بحد عضب ❁ تطوع بتار عضب صقيل ❁

سأضرب في الجوانب مثل نار ❁ وأرمي القوم بالخطب الجليل ❁

قال ثم سار وتبعه القوم وبقي خالد على الباب الشرقي
وحل القوم هناك فلما أصبح القوم زحفوا للقتال وعولوا أهل
دمشق أن يقتلوا عن آخرهم ولا يسلموا الحريم والأولاد ❁
وتراموا بالسهام وجرح من الفريقين رجال وقدم عبد الرحمن
ابن حميد الجمحي من المدينة بكتاب أبي بكر الصديق وعمد

إلى ناحية الدير فوجد خالدا هناك على الباب الشرقي ❁ وقد
تقدم من أصحابه رافع بن عميرة الطائي فدفع له كتاب أبي بكر
الصديق رضي الله عنه ففرح المسلمون وبشروا بقدوم النجدة
مع أبي سفيان صخر بن حرب وعمرو بن معدي كرب وشاع
الخبر عند جميع المسلمين ❁ ولم تزل الناس في الحرب يومهم
ذلك إلى أن جاء الليل وافترقت القبائل وبقي كل أمير على
بابه الذي ندبه إليه خالد بن الوليد وبعث خالد كتاب
أبي بكر إلى كل باب فقرأه على الناس ففرحوا بذلك
ثم وصلت لهم النجدة وبات الناس متأهبين للحرب يتحارسون
ولا وضرار يطوف حولهم وهو لا يقف في مكان واحد
حذرا من المشركين أنهم يخرجون على المسلمين من المدينة
أو جيشا يكبسهم من نحوهم قال **قال الواقدي** رحمه الله
وكثر التهليل من المسلمين والروم تزعق بشعارها من فوق
السور والطبول والأجراس تضرب والسيوف تلمع من ضوء
المشاعل كأنها ضوء النهار ❁ قال وإن أهل دمشق اجتمعوا
إلى كبارهم وأهل البلد تشاوروا فيما بينهم فقال بعضهم
ما نرى إلا الصلح على ما طلبوا منا وما لنا بهم طاقة وما نحن

بأشجع ممن اجتمع على أجنادين من الهرقلية والبطارقة والأراجنة والقياصرة وطحنوهم ها ولا العرب فقال القوم اطلبوا صهر الملك وهو توما فشاوروه في هذا الأمر ونسمع ما يقول ونسأله أن يكشف عنا ما نحن فيه فإما أن يصالحهم وإما أن يخرج ويحامي عنا قال فمضى القوم إلى توما في قصره فوجدوا عنده رجاله شاكون في السلاح فقالوا ما تريدون قالوا نريد صهر الملك توما فأذن لهم في الدخول فدخلوا وقبلوا الأرض فأذن لهم في الجلوس فجلسوا وإذا هم في هم عظيم فأقبل عليهم وقال ما الخبر فقالوا أيها السيد إنه قد نزل بنا ما لا طاقة لنا به من العرب فإما أن تصالح القوم على ما طلبوا وإما أن تكتب للملك كتابا يجدنا فقد هلكنا قال فلما سمع توما كلامهم تبسم ضاحكا وقال يا ويلكم أطمعتم عدوكم فطمع فيكم وحق رأس الملك ما أرى القوم أهلا للقتال ولا موضعا للنزال ولو كانوا على بالي ألحقت أولهم بآخرهم والآن فلو نوا في أماكنكم ومواضعكم فلو فتحت لهم الأبواب ما جسر أحد منهم يدخل مدينتنا فقالوا

أيها الملك أنت أكبر من ذلك وأجل وإن أصغرهم يلقى منا الرجل والمائة وإن صاحبهم المسمى بخالد هابته الأبطال ودخل في قلوبنا منه رعب لا يخرج فإن كنت تذب عنا فصالح القوم أو اخرج بنا إلى قتالهم فقال يا قوم إنكم أكثر من القوم وخلفكم مثل هذه المدينة ولكم من العدد ما ليس للقوم فقالوا أيها الصاحب إنهم أخذوا جميع عددنا من جند هرميس وفلسطين ومن جميع الوقايع وإنهم لا يتحصنون لقلة إكثراتهم بنا وأيضا عن نبيهم أنه قال لهم إنه من قتل منا صار إلى النار وإنه من قتل منهم صار إلى الجنة فلذلك صاروا يلقاتلون عرايا ليصلوا إلى ما قال لهم نبيهم فضحك توما وقال لأجل ما وقع في قلوبكم من هذا جميعه طمعوا فيكم ولو صدقتموهم القتال لغلبتموهم لأنكم أكثر منهم فقالوا أيها الصاحب فاكفنا أمرهم حيث شئت واعلم أنك إن لم تمانع عنا فتحنا لهم الأبواب وصالحناهم على ما طلبوا منا قال فلما سمع توما كلامهم تفكر طويلا وخشي أن القوم يفعلون ذلك فقال أنا أصرف عنكم العرب وأقتل أول فأول إلا أنكم تريدون

أن تساعدوني وتقاتلون أمامي قتالا أرضاه لكم تصلون به
إلى قصدكم فقالوا نحن لك وبين يديك نقاتل أو نموت عن
أخرنا ۞ قال وانصرف القوم على ذلك وهم له شاكرون
ولأمره منتظرون وأقبلوا ليلتهم على الحرس الدايم والنيران
تضرم على الأسوار والمسلمون في مراكزهم ولهم ضجة
بالتسبيح وخالد عند الدير مع النساء والأولاد والغنايم
ورافع بن عميرة على الباب الشرقي في جيش الزحف قال
ولم تزل الناس في الحرس إلى أن أضاء الفجر وصلى كل أمير
بمن معه من قومه وصلى أبو عبيدة بمن معه على باب الجابية
ثم أمر أصحابه بالزحف وقال لا تملوا من القتال فمن تعب
اليوم استراح غدا وأحذروا السهام فإنها تخطي وتصيب
واصبروا وصابروا قال ثم زحف القوم بأجمعهم رجالة
واستتروا بالدرق وزحف يزيد بن أبي سفيان من الباب
الصغير وقيس بن هبيرة من باب كيسان ورافع بن عميرة
من الباب الشرقي وشرحبيل من باب توما وعمرو بن العاص
من باب الفراديس ۞ قال حدثني ياسر بن سلمة عن
عبد الرحمن بن جابر الأسدي عن جده رفاعة بن قيس قال

سألت قيسا وكان ممن حضر فتوح الشام أكان أحدكم يقاتل
أهل دمشق فارسا أم راجلا فقال ما كان أحد منا يقاتل
فارسا إلا الألف فارس التي كانت مع ضرار وكانت تدور
حول الأبواب على المدينة كلما أتا لباب وقف عنده وحرض
الناس على القتال ويقول صبرا لأعداء الله تخلصوا غدا في
جوار الله ولو أن أعداء الله ظهروا لنا من خلف سورهم لعلمنا
أن الله قرب لنا البعيد ۞ مع أن الله قادر على أن يبعث عليهم
عذابا من فوقهم أو من تحت أرجلهم وأنا أؤمل لكم الفتح
إن شاء الله تعالى ۞ قال فتداعا الناس للقتال وتراموا
بالنبال وعملت العرادات والمنجنيقات والمسلمون صابرون
وأقبل توما صهر الملك من بابه الذي باسمه وكان
عندهم عابدا زاهدا وكان معظما عندهم فخرج من
قصره وعلى رأسه الصليب الكبير فأركزه على باب البرج
وأوقف البطارقة عنده وعظماء النصرانية والإنجيل نصبوه
بالقرب من الصليب ورفع القوم أصواتهم وتقدم توما
ووضع يده على سطرين من الإنجيل وقال اللهم إن كنا على
الحق فانصرنا واخذل الظالم ۞ إنك به عالم ۞ اللهم

إِنَّا نَتَقَرَّبُ إِلَيْكَ بِالصَّلِيبِ وَبِمَنْ صُلِبَ عَلَيْهِ أَنْ تَنْصُرَنَا عَلَى هَؤُلَاءِ
الظَّالِمِينَ ۞ وَانْصُرْ كُلَّمَنْ هُوَ مِنَّا عَلَى الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ قَالَ
وَأَمَّنَ قَوْمُهُ عَلَى دُعَائِهِ ۞ قَالَ رِفَاعَةُ هَكَذَا حَدَّثَنِي شُرَحْبِيلُ
وَالَّذِي فَسَّرَ لَهُ هَذَا بِالْعَرَبِيَّةِ رُومَاسُ صَاحِبُ بُصْرَى لِأَنَّهُ
كَانَ فِي جَيْشِهِ عَلَى بَابِ تُومَا وَكُلَّمَا تَكَلَّمُوا الرُّومُ بِشَيْءٍ
فَسَّرَهُ قَالَ وَامْتَعَاذَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ كُفْرِهِمْ وَزَحَفَ شُرَحْبِيلُ
بِمَنْ مَعَهُ وَقَصَدَ الْبَابَ بِحَمْلَتِهِ وَقَدْ عَظُمَ عَلَيْهِ الْكَلَامُ
بِبَابِ تُومَا ۞ ثُمَّ قَاتَلَ الْمَلْعُونُ ذَلِكَ الْيَوْمَ قِتَالًا شَدِيدًا
وَرَمَا بِالنُّشَّابِ فَجَرَحَ رِجَالًا وَكَانَ مِمَّنْ جُرِحَ أَبَانُ بْنُ سَعِيدِ
ابْنِ الْعَاصِ أَصَابَتْهُ نُشَّابَةٌ فَنَزَعَهَا وَعَصَبَهَا بِعِمَامَتِهِ وَكَانَتْ
مَسْمُومَةً فَتَأَخَّرَ وَحَمَلُوهُ الْمُسْلِمُونَ إِلَى الْعَسْكَرِ وَنَزَعُوا
الْعِمَامَةَ عَنْهُ فَمَا نَزَعُوهَا عَنْهُ حَتَّى شَخَصَ بِبَصَرِهِ إِلَى السَّمَاءِ
وَقَالَ مُشِيرًا بِإِصْبَعِهِ أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا
شَرِيكَ لَهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ لَقَدْ بَلَّغَنِي اللَّهُ
مَا كُنْتُ أَتَمَنَّاهُ ۞ قَالَ فَمَا تَمَّ ذَلِكَ حَتَّى خَرَجَتْ رُوحُهُ
الْكَرِيمَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ فَسَمِعَتْ زَوْجَتُهُ وَكَانَتْ
تُسَمَّى بِأُمِّ أَبَانَ بِنْتِ عُتْبَةَ كَانَ تَزَوَّجَهَا بِأَجْنَادِينَ وَكَانَتْ

قَرِيبَةً مِنَ الْعُرْسِ وَالْخِضَابُ فِي يَدَيْهَا وَالْعِطْرُ فِي رَأْسِهَا وَكَانَتْ
مِنَ الْبَارِزَاتِ الْمُتَرَجِّلَاتِ مِنْ أَهْلِ الْبَرَاعَةِ وَالشَّجَاعَةِ ۞ فَلَمَّا
عَلِمَتْ بِمَوْتِ زَوْجِهَا أَتَتْ إِلَيْهِ تَتَعَثَّرُ فِي أَذْيَالِهَا فَلَمَّا نَظَرَتْ
إِلَيْهِ قَالَتْ هُنِّيتَ بِمَا أُعْطِيتَ وَمَضَيْتَ إِلَى جِوَارِ مَلِكٍ كَرِيمٍ
الَّذِي جَمَعَ بَيْنَنَا ثُمَّ فَرَّقَ ۞ وَاللَّهِ لَأَجْهَدَنَّ أَنْ أَلْحَقَ بِكَ
فَإِنِّي مَشُوقَةٌ إِلَيْكَ لَمْ أُرْوَ مِنْكَ وَلَمْ تُرْوَ مِنِّي وَاللَّهِ لَا مَسَّنِي
أَحَدٌ بِيَدِهِ بَعْدَكَ وَإِنِّي حَبَسْتُ نَفْسِي فِي سَبِيلِ اللَّهِ تَعَالَى لَعَلَّ
أَنْ أَلْحَقَ بِكَ قَالَ وَلَمْ يَرَ النَّاسُ أَصْبَرَ مِنْهَا ۞ ثُمَّ حَفَرُوا لَهُ
مَكَانَهُ وَدَفَنُوهُ ثُمَّ صَلَّى عَلَيْهِ الْمُسْلِمُونَ وَقَبْرُهُ مَعْرُوفٌ فَلَمَّا
غُيِّبَ فِي الثَّرَى لَمْ تَبْكِهِ أُمُّ أَبَانَ دُونَ أَنْ عَمَدَتْ إِلَى سِلَاحِهِ
فَأَفْرَغَتْهُ عَلَيْهَا وَتَلَثَّمَتْ وَتَنَاوَلَتْ سَيْفَهُ وَجَحْفَتَهُ وَلَحِقَتْ
بِالْجَيْشِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَعْلَمَ بِهَا خَالِدٌ وَقَالَتْ عَلَى أَيِّ بَابٍ قُتِلَ
بَعْلِي قِيلَ لَهَا عَلَى بَابِ تُومَا وَتُومَا قَاتِلُهُ فَسَارَتْ إِلَى أَصْحَابِ
شُرَحْبِيلَ وَقَاتَلَتْ مَعَ النَّاسِ قِتَالًا عَظِيمًا وَكَانَتْ مِنْ
أَرْمَى النَّاسِ بِالنَّبْلِ ۞ قَالَ شُرَحْبِيلُ رَأَيْتُ ذَلِكَ الْيَوْمَ عَلَى
بَابِ تُومَا رَجُلٌ قَائِمٌ قُدَّامَ تُومَا يَحْمِلُ الصَّلِيبَ وَهُوَ
يُشِيرُ إِلَيْهِ وَيُنَادِي اللَّهُمَّ انْصُرْ هَذَا وَأَعْلِ دَرَجَتَهُ قَالَ

ونظرت إلى أم أبان وقد نظرت إليه ورمته بنبلة فلم تخطه
فوقع ووقع الصليب منه وهوى إلينا وكأني أنظر إلى لمعان
جواهره فما منا إلا من بادر إليه وتستر بالدرق وأمطر
علينا الحجارة والسهام ونظر عدو الله إلى ذلك من انتكاس
الصليب ووقوعه إلى المسلمين فعظم عليه وقال يبلغ الملك
عني أن الصليب أخذ مني وأخذته العرب لا كان ذلك
أبدا ❁ ثم حزم وسطه وأخذ سيفه وطارقته وقال لقومه
من شاء منكم أن يتبعني فلا بد أن أشفي قلبي من هؤلاء العرب
ثم انحدر مسرعا وأمر بفتح الباب ففتح له وكان أول
مبادر فلما نظر قومه ذلك لم يكن منهم إلا من خرج في
أثره لما يعلمون من حرصه وقوة مراسه ❁ فخرج قوم منهم
بالقسي وقوم بالسيوف وقوم بالطوارق وهم كالجراد
المنتشر قال فلما خرجوا ووقع صياحهم انحدر المسلمون
إليهم ومالوا وحملوا عليهم مهاجمين لهم وأخذهم
النشاب والحجارة من كل مكان من أعلا الباب فقال
شرحبيل معاشر الناس تقهقروا إلى ورائكم وابعدوا
عن النشاب قال فتقهقروا وأمنوا من شر عدوهم وتبعهم

عدو الله توما يضرب فيهم يمينا وشمالا وحوله أبطال من قومه
وهو كالبعير فلما نظر شرحبيل إلى ذلك من كثرة المشركين
صرخ بقومه يحرضهم على القتال وقال أيها الناس كونوا آيسين
من أحبابكم طالبين جنة ربكم فإنه لا يرضى منكم أن
تولوا الأدبار فاحملوا عليهم واقربوا إليهم بارك الله فيكم
قال فحمل الناس حملة واحدة منكرة واختلط بعضهم ببعض
وعملت السيوف وتراموا بالنبال وتسامع أهل دمشق أن توما
قد خرج من الباب للعرب وأن الصليب قد سقط عليهم من
كف صاحبهم فجعلوا يهرعون ويخرجون إلى أن تزايد
أمرهم وتكاثر جمعهم وجعل عدو الله توما ينظر يمينا
وشمالا إلى الصليب إذ حانت منه التفاتة فنظر إلى شرحبيل
والصليب معه ❁ فلما نظره لم يلو دون أن حمل عليه
مصمما وهم إليه وصاح به أزم الصليب لا أم لك قال
ونظر شرحبيل إلى هجومه عليه فألقاه من يده وتحدر إليه
وامتشق السيف وتلقاه وحمل عليه وحمل أيضا عدو الله
ونظر إلى الصليب ملقا فصرخ توما بأصحابه فأخذوه ❁
ونظرت أم أبان إلى حملة عدو الله على شرحبيل فقالت

من هذا المذل بنفسه قيل لها هذا توما صهر الملك قاتل بعلك فلما
سمعت ذلك حملت حتى قاربته بحملتها ثم ألحمت نبلة بقوسها
ثم قالت بسم الله وعلى ملة رسول الله صلى الله عليه وسلم ❁ ثم
أطلقت النبلة وكان عدو الله قد وصل إلى شرحبيل إذ جاءته
النبلة فأصابت عينه اليمنى فاشتبكت فيها فتقهقر إلى ورائه
وهمت أم أبان أن ترميه بنبلة أخرى فبادر إليها الرجال
وستروه بالدرق وبادروا إليها العلوج وتستروا منها بالطوارق
وبادر المسلمون يحامون عنها ❁ فلما أمنت من شر الأعداء
أخذت ترمي على أعداء الله بالنبل وهي تنشد **شعرا**

أيا أم أبان فأخذي اليوم ثاركي ❁ وصولي عليهم صولة المتدارك
قد ضج جمع الشرك من قتالكي ❁ أقسمت لا حولت عن معارك

قال الواقدي ثم إنها أخذت نبلة أخرى ورمت
بها علجا فأصابت صدره فجندلته صريعا وعجل الله بروحه
إلى النار ❁ ثم إن توما من شدة ما لحقه من ألم عينه ولى هاربا
وهو يصرخ صراخ الإبل ودخل من الباب وغلقه ❁ فلما
نظر شرحبيل إلى ذلك صرخ بأصحابه وقال يا ويلكم
ما توقفكم وقد تخلص عدو الله من أيديكم فاحملوا

عسى الله أن يمكنكم من عدو الله فحمل المسلمون حملة منكرة
وحمل شرحبيل وضربوا في أعراض القوم إلى أن وصلوا إلى
الباب فحموهم وقوموهم بالنشاب من أعلا الباب ❁ فتراجع
المسلمون إلى ورائهم وقد قتل من الروم ثلاث مائة رجل
وأخذ المسلمون أسلابهم وسلاحهم وصليبهم الأعظم
ودخل عدو الله توما إلى المدينة والنبلة في عينه وقد تمكنت
ولم تخرج منها فاجتمع إليه البطارقة والأساقفة والأراخنة
وأخذوا في قلع النبلة فلم تخرج فنشروها وبقي النصل في
عينه فعصبوا عينه وشالوه إلى مكانه ❁ وقالوا له قد
نكبنا في هذا اليوم نكبتين نكبة بما أصابك في عينك
ونكبة بأخذ الصليب الأعظم وقد علمنا أن القوم لا يقدر
أحد على قتالهم ولا يصطلى لهم بنار وإنا نسألك أن تصالح
القوم على ما طلبوه منا ولا نرى لهم غير الذي ذكرناه
لك من الصلح وتنصرف العرب عنا إلى بلادهم فغضب
توما وقال يؤخذ الصليب الأعظم وأصاب في عيني
وتصالحوا العرب وأعجز عن هؤلاء العبيد ويبلغ الملك
عني ذلك فيشهد لي بالعجز ولا بد لي من الخروج إليهم

وأقتلهم وآخذ في عيني ألف عين من أعين العرب ويعلم الملك
أني أخذت بثاري منهم وسأوقع بالقوم حيلة أصل بها إلى
الأمير الذي أخذ صليبي وأبيد جمعهم وآخذ أموالكم
الذي أخذوها منكم وأبعث الكل إلى الملك ولم أرض
بذلك حتى أجيش الجيوش وأحمل الأثقال والزاد وأسير
إلى مدينة نبيهم وأقتل أبا بكر خليفة نبيهم وأهدم
مساجدهم وأجعل بلادهم مسكنا للسباع والوحوش
ثم إن الملعون توما على على الباب وهو معصب العين ❁ وهو
يحرض قومه على القتال ويزيل ما بقلوبهم من الرعب
وهو يقول لهم لا تجزعوا واصبروا لأن الصليب يرميهم
ببايقة من بوايقه وأنا الضامن لكم ذلك فاطمأن
القوم إلى كلامه وقاتلوا قتالا شديدا وصبر المسلمون
صبرا جميلا ❁ وبعث شرحبيل إلى خالد يخبره بما صنع ❁
عدو الله توما فبعث إليه خالد يقول سأبعث إليك رجالا
فإن الحرب عندنا كثير ❁ فلله در أمر أبان لقد جاهدت
وما قصرت فقال المسلمون توما عند الروم معظما
وهو الذي يمنعهم من الصلح ونرجو من الله أن يكفينا

شره ويدفع عنا مكره ❁ فعند ذلك قال خالد للرسول
ارجع إلى شرحبيل وقل له كن حافظا لما أمرتك به واعلم
أن كل فرقة مشغولة بما هي فيه وهذا ضرار بن الأزور
يدور حول المدينة وكأنك به يكون عندك
وبالله المستعان ❁ فرجع الرسول وأخبر رسول شرحبيل
بما قال خالد فقاتلوا قتالا شديدا بقية يومهم وتم الناس
على مراكزهم واتصل بالمسلمين ما نزل بشرحبيل من
توما صهر الملك هرقل وما غنم المسلمون من صليبهم
فسروا بذلك سرورا عظيما ❁ وأقام الناس بقية
يومهم ذلك إلى أن جاوزوا وقت العصر وهم في الحرب
والقتال ورجعت كل فرقة إلى مكانها إلى أن أدركهم
المسا فتحارس القوم وأضرمت النيران وقرأ المسلمون
القرآن وأذنت المؤذنون وصلوا الناس صلاة عشاء
الآخرة **قال الواقدي** فلما جن الليل بعث توما إلى
أكابر دمشق وأبطالهم فأحضرهم إليه ❁ وأقبل
عليهم وقال يا أهل دين النصرانية إنه قد نزل
بكم قوم لا خلاق لهم ولا دين ولا عهد ولا ذمام ❁ ولو

صالحتموهم وأعطوكم الأمان ما وفوا لكم بذلك وهذه
نساؤهم وأولادهم ومواشيهم قد أتوا بها ليسكنوا بلادكم
إن شئتم أو أبيتم فكيف صبركم على هتك الحريم وسبى
النساء والخروج من أوطانكم وما وقع الصليب على أم
رأسه إلى العرب إلا غضبان عليكم لما ضمنتم من هدم
الدين ومصالحة المسلمين وإذ لا لكم للصليب ۞ وإنني
قد خرجت إليهم ولولا أصبت بعيني ما رجعت عنهم إلا أن
أقتلهم عن آخرهم وقد حلفت على الإنجيل والصليب
لا بد لى من أخذ ثارى وأقلع ألف عين من العرب عوضا
عن عيني ۞ فلما سمع أهل دمشق ذلك من مقالته قالوا
أيها السيد إن القوم كثير ولا نقدر عليهم وبعد
ذلك فإنا بين يديك إن أمرتنا بالخروج خرجنا وإن
اخترت أن نقاتل على سورنا فإنا نفعل ذلك ۞ قال
لهم توما سأدبر لكم مكيدة وحيلة على العرب
قالوا له وما الحيلة الذى تنفذ فى العرب قال لهم إنى
عزمت أن أكبس على العرب فى الليل وأهجم عليهم
وهم فى أماكنهم فإن الليل مرهوب وأنتم أخبر

بالبلاد منهم فلا يبقى أحد منكم إلا ويخرج من بابه وأنا
أخرج من بابى ۞ قالوا له أيها السيد إننا لا نعلم بك وقت
خروجك إلى القتال قال لهم توما إننى عزمت أن آمر رجلا
يأخذ ناقوسا ويطلع على أعلا البرج فإذا أردنا الخروج
إلى العرب أبعث إليه أن يضرب بالناقوس فمن سمعه منكم
فليخرج مبادرا قالوا له قومه إن هذا رأى مليح ۞ ثم
إن توما أمر رجلا أن يأخذ ناقوسا ويعلو على أعلا البرج
فلما صار الرجل بالناقوس على أعلا البرج فتح توما باب
المدينة هو وقومه وبعث رسولا إلى الرجل الذى بيده
الناقوس أن يضرب به فعند ذلك خفق الرجل بالناقوس
خفقة فخرج الروم متبادرين إلى المسلمين من سائر
الأبواب ۞ وخرج توما وأصحابه من الباب الذى
عليه أبو عبيدة عامر بن الجراح فلما سمعت المسلمون
أصوات المشركين تبادروا من مراقدهم مسرعين إلى
أعداء الله إلا أنهم على ترتيب وقاتل القوم فى الظلام
وعمل السيف وسمع خالد بن الوليد أن الروم قد كبسوا
على المسلمين فقام واله العقل جزعا على المسلمين فصاح خالد

والإسلاماه وادیناه وامحمداه اصیبت قومی ورب الکعبة اللهم انظر
الیهم بعینك التی لا تنام ولا تسلمهم الی عدوهم یا اکرم الاکرمین
ثم ادعی خالد بملحان بن زیاد الطائی وهو اخو عدی بن حاتم وقال
له کن خلیفتی علی قومی والحریم واخذ رأی ثوبا من قبلك ثم ترك
معه العساکر وسار خالد بعسکر زهاء عن اربعمائة فارس وخالد
بغیر درع ولیس علیه الا ثوبان من ثیاب الشام مکشوف
الرأس بغیر بیضة قد اعجلته السرعة الی المسلمین عن لبس السلاح
فاطلق خالد جواده والقوم من ورائه ودمعته تسیل علی
خده وهو خائف علی المسلمین وهو ینشد **شعرا**

قد فاض دمعی واعترانی حزنی ❁ وضاق صدری وبرانی شجنی
یا رب سلم من نزول المحنی ❁ واحرس الإسلام یا ذا المننی

قال الواقدی ثم جد خالد فی سیره والاربعمائة فارس
من ورائه الی ان وصلوا الی الباب الشرقی واذا بفرقة قد
هاجمت علی رافع بن عمیرة وقد ثبت لهم رافع بن عمیرة بمن معه
فی القتال والسیف یعمل صوتا علی الدرق والضجات عالیة من
الروم واصوات المسلمین عالیة بالتکبیر والتهلیل فحمل خالد
ابن الولید علی القوم ونادی برفیع من صوته ابشروا یا معاشر

المسلمین قد اتاکم الفرج من عند رب العالمین انا الفارس
المبید انا خالد بن الولید ❁ ثم حمل فی اوساط القوم فقتل
رجالا وجندل ابطالا وهو مع ذلك مشتغل القلب بابی عبیدة
وسائر المسلمین الذین اوقفهم علی الابواب وهو یسمع اصواتهم
وزعقاتهم والنصاری والیهود یقاتلون من فوق اسوار المدینة
یرمون بالنشاب والحجارة قال سنان بن عوف قلت لابن عمر
قیس بن هبیرة یا ابن العم اکانت الیهود تقاتلکم یوم قتال
دمشق قال نعم کانوا یقاتلوننا ویرمون بالسهام **قال
الواقدی** ولقد بلغنی ممن اثق بقوله ان شرحبیل لقی من
عدو الله توما امرا عظیما لم یکن لقی احد مثله وذلك ان شرحبیل
هجم علی توما بذلك العصابة التی کانت معه وصبر المسلمون
لهم صبر الکرام وثبتوا لهم علی القتال وقاتل عدو الله قتالا
شدیدا ❁ وجعل توما یقول این امیرکم الذمیم الذی
رمانی فاصابنی واخذ صلیبی انا رکن الرحیم انا ناصر
الصلیب فلما سمع شرحبیل رضی الله عنه صوته تقدم الیه
وقال له انا صاحبك وغریمك انا صاحب القوم انا سید جمعهم
واخذ صلیبکم انا کاتب رسول الله صلی الله علیه وسلم

فلما سمع توما كلامه عطف عليه عطفة الأسد على فريسته
وقال له إياك طلبت ولك زحفت ثم حملا على بعضهما بعضا
ولم ير الناس في طول الأيام صبرا كصبرهم في تلك الليلة
ورأى منه شرحبيل شيأ هاله ولم يزالا كذلك إلى أن مضى
من الليل شطره الأول وكل قرن مع قرنه وكانت
أم أبان بنت عتبة في جيش شرحبيل بن حسنة تقاتل ولم ير
الناس أحسن صبرا منها ورمت بنبالها فكانت لا تقع نبلة في
رجل من المشركين إلا قتلته والروم يظنون أنها رجل إلى
أن نفد النبل منها ولم يبق معها غير نبلة واحدة فكانت تشير
بها يمينا وشمالا والروم يتحايدون عنها فهاجمها رجل من
الروم فرمت النبلة إليه فقتلته وهجموا عليها فأخذوها
أسيرة وشرحبيل قد لقي من عدو الله توما ما لا يلقاه أحد
إلا أنه صابر فبينما هم كذلك إذ ضربه توما بسيفه
فالتقاها شرحبيل بدرقته وأثنى عليه شرحبيل بضربة فالتقاها
توما في ترسه فانقصف سيف شرحبيل وهاجمه عدو الله توما
وأراد أن يأخذه أسيرا فبينما هو في أضيق ما يكون وإذا
بفارسين عظيمين قد أشرفا عليهم من ورائهم في كبكبة

من الخيل وقد هجموا على الروم هذا وأم أبان قد قبضت على
الفارسين الذين أسراها بكلتي يديها وهي تزعق فلحقوها الفرسان
فقتلوا العلجين وخلصوا أم أبان فلما نظر عدو الله توما إلى
الفارسين ولى هاربا إلى المدينة خاسرا خائبا وكانوا الفارسان
عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق والآخر أبان بن عثمان
ابن عفان **قال الواقدي** حدثني سهل قال أخبرني
وهب قال أخبرني تميم بن عدي وكان ممن شهد الفتوح
قال كنت في خيل أبي عبيدة ولم أر في الأمراء قاتل أكثر
منه وأصحابه وذلك أن أبا عبيدة في خيمته مما يلي باب الجابية
وهو متباعد عن الباب إذ سمع الصوت قد وقع والباب
قد فتح والروم قد تبادروا إلى المسلمين فلما نظر
أبو عبيدة إلى ذلك أوجز في صلاته وقال لا حول ولا قوة إلا
بالله العلي العظيم ثم لبس سلاحه وحرض أصحابه وكبر
المسلمون فلما نظر الروم إلى ذلك حملوا على المسلمين وحمل
على مقدمة الروم الأمين الموكل بالباب وهو جرجي ابن
كالا وحمل عليهم المسلمون وبذلوا فيهم السيف
قال الواقدي ولقد بلغني ممن أثق به أن الروم

الذى خرجوا من باب الجابية إلى أبى عبيدة بن الجراح قتلوا عن
آخرهم ولم ينج منهم أحد وقتل أميرهم جرجى ابن كالا فبينما هم
فى القتال إذ أقبل عليهم خالد بن الوليد فشكر لأبى عبيدة
ومن معه إذ أقبل على خالد ضرار ابن الأزور وكأنه قد
غمس فى بحر الدم ❁ فقال له خالد ما وراك يا ابن الأزور
قال أبشر أيها الأمير فإنى قتلت فى ليلتى هذه من الروم
مائة وخمسين فارسا وقتلوا قومى منهم خلقا كثيرا وقد
كفيتك من خرج إلى المسلمين من الباب الصغير إلى يزيد
ابن أبى سفيان ❁ فلما سمع خالد ذلك من ضرار جزاه خيرا
وفرح به فرحا شديدا **قال الواقدى** وكانت فى
تلك الليلة وقعة عظيمة لم يلق أحد مثلها وقتل من الروم
فى تلك الليلة خلق كثير لا يحصى عددهم إلا الله تعالى
ولم يقتل من المسلمين أحد فى تلك الليلة فاجتمع كبار
دمشق إلى توما اللعين وقالوا أيها السيد إننا نصحناك
فلم تقبل نصحنا وقد لحقك ما لحقك وقتل منا ما لم يقتل من
العرب وهذا أمر لا يطاق فصالح العرب فهو أصلح لك
فإن أبيت أنت ذلك صالحنا على أنفسنا وتركناك

فقال لهم توما امهلوا على حتى أكاتب الملك وأعلمه بما جرى
وبما قد نزل بنا من العرب فإن أنجدنا وإلا صالحنا العرب
فقال له رجل من الروم اكتب إليه كتابا وأنا أسافر له به
فكتب توما كتابا يقول فى أوله كلمة الكفر من عند توما
إلى الملك الرحيم **أما بعد** فإن العرب محدقون
بنا كإحداق البياض بسواد العين وقد قتلوا وردان
وكلوص بأجنادين وأخوه بطرس فى مرج الصفر
وقتل من الروم خلق كثير ورجعوا إلينا بدمشق يفتحوا جنة
الشام وتصير ملكهم فإن أنجدتنا وإلا سلمنا إليهم المدينة
وإننى خرجت إليهم وأصبت بعينى ولاقيت منهم حربا شديدا
وقد عزم أهل دمشق على الصلح وأداء الجزية ❁ ثم
طوى الكتاب وأعطاه لرجل من النصارى وأنزله من السور
بالحبال فى الليل وسار الرجل بالكتاب فلما أصبحوا
نادوا وهم المسلمون بالقتال وبعث خالد بن الوليد إلى كل
أمير أن يزحف من مكانه ووقع القتال الشديد واشتد
الأمر على أهل دمشق فبعثوا رسولا إلى خالد أن أمهلنا
حتى نتدبر فى أمرنا فأبى خالد ذلك وقال لا نطلب إلا

القتال ولم يزل يحاصرهم إلى أن ضاق بهم الحصار والروم مع
ذلك ينتظرون نجدة من عند الملك هرقل فلم يأتهم أحد
من عنده فعند ذلك اجتمع بعضهم إلى بعض وقالوا يا قوم ما
أعظم ما حل بنا من هؤلاء العرب إن قاتلناهم نصروا علينا
وإن تركناهم لزموا مدينتنا وقد أضر بنا مقامهم فدعوا
اللجاج والتشاغل بالمحالات واخرجوا وصالحوا العرب
فهو أجود لكم واعطوهم ما طلبوا منكم ❁ فقال
لهم شيخ كبير ممن قرأ الكتب السالفة والأخبار الماضية
يا قوم والله إني أعلم أنه لو جاءكم الملك هرقل
بعدده وعدده لم يقدر يدفع عنكم هؤلاء العرب لأني
قرأت في الكتب السالفة أن نبيهم محمدا صلى الله عليه
وسلم هو خاتم النبيين وسيظهر دينه على كل دين فدعوا
عنكم التعلل والتشاغل بالمحالات واخرجوا وصالحوا العرب
واعطوهم ما طلبوا منكم فهو أوفق لكم ❁ فلما سمعوا
أهل دمشق مقالته ركنوا إلى قوله لما يعلمون من حرمته وعلمه
ومعرفته بالأخبار وقالوا له كيف يكون الأمر قال لهم إن
الأمير الذي كان على الباب الشرقي فظ غليظ سفاك

الدما إن أردتم أن تقاربوا الأمر فامضوا إلى الذي على باب
الجابية يعنون عن أبي عبيدة عامر بن الجراح ويتكلم معه
رجل منكم يكون يعرف بلسان العرب ويقول لهم يا معاشر
العرب ألنا منكم الأمان حتى ننزل إليكم ونتكلم معكم
في الصلح فاستصوبوا أهل دمشق قوله فصبروا إلى أن جن الليل
وأتوا إلى باب الجابية ❁ قال أبو هريرة رضي الله عنه
وكان أبو عبيدة قد نفذ قوما من المسلمين بالقرب من
الباب مخافة من الكبسة مثل الليلة التي خلت وكانت
النوبة تلك الليلة لعامر بن الطفيل الدوسي فبينما نحن جلوس
في مواضعنا إذ سمعنا أصوات أهل دمشق ينادون ❁ قال
أبو عبيدة فلما سمعت قولهم بادرت إلى أبي عبيدة وبشرته
بذلك فاستبشر أبو عبيدة بقولي وقال لي تقدم إليهم وقل
لهم لكم الأمان ❁ قال أبو هريرة فأتيت إلى القوم
فناديتهم أنزلوا لكم الأمان إلى أن تعودوا إلى بلدكم
فقالوا من أنت من أصحاب محمد حتى ننزل إليك قلت أنا أبو
هريرة صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ويلكم
والله لو أن عبدا من عبيد العرب أعطاكم الأمان لأمناكم

ولا نقضنا لكم عهدا لأن الغدر ليس من شيمتنا والله تعالى يقول
في كتابه العزيز وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم ولا تنقضوا الأيمان
بعد توكيدها ❁ فلما سمع أهل دمشق ذلك من كلام أبي
هريرة نزلوا وفتحوا الباب وخرجوا وإذا هم مائة رجل من كبار
دمشق فلما قربوا من عسكر أبي عبيدة عامر بن الجراح تبادر
إليهم أصحاب الزنانير والصلبان وأقبلوا إلى خيمة أبي عبيدة
فرحب بهم وقام لهم قائما وقال إن رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال إذا قدم عليكم كبير قوم فأكرموه فعند ذلك تحدثت
أهل دمشق مع أبي عبيدة في الصلح ❁ وقالوا إنا نريد منكم
أن تكتبوا لنا كتاب الصلح ولا تنقضوا علينا كنايسنا منهم كنيسة
يوحنا وهي اليوم الجامع وكنيسة مريم وكنيسة بولص
وكنيسة الفسلاط وكنيسة سوق البلد وكنيسة توما
وهي عند دار حميد بن درة ❁ فأجابهم أبو عبيدة إلى ذلك
وإلى كل ما اشترطوه عليه وكتب لهم كتاب الصلح
والأمان ولم يكتب اسمه فيه ولا أثبت شهوده وذلك أنه
لم يحب أن يلي شيئا من أمور المسلمين بعد أن عزله أبو بكر
الصديق رضي الله عنه ❁ فلما كتب لهم أبو عبيدة

كتاب الصلح وتسلموه منه قالوا له قم الآن معنا فركب أبو عبيدة
وركب معه معاذ بن جبل وسلمة بن هشام المخزومي ونعيم
ابن عدي وهشام بن العاص السهمي ووهبان بن سفيان وعبد الله
ابن عمر الدوسي وعامر بن الطفيل وسعيد بن جبير وذو الكلاع
الحميري وحسان بن النعمان الطائي ❁ ومعمر بن خويلد
السكسكي وسنان بن أوس الأنصاري ومخلد بن عون
الكندي وربيعة بن مالك التيمي وحلب بن عدي
النبهاني والمغيرة بن شعبة الثقفي وبكير بن عبد الله ❁
التميمي وراشد بن سعيد بن عمر العنوي ونافع بن سهل
ويزيد بن عبد الله بن عامر وعبيد بن أويس القرني ومالك
ابن الحارث وعبد الله بن ظفر وأبو لبابة بن المنذر
وعوف بن ساعدة وعلاء بن قيس وعمار بن عتبة وعبد الله
ابن قرط الأسدي ❁ وجملتهم سبعون رجلا منهم
خمسة وثلاثون صحابيا وخمسة وثلاثون من أخلاط الناس
فلما وصلوا إلى باب المدينة قال لهم أبو عبيدة أريد
منكم رهائن حتى ندخل معكم إلى بلدكم **قال الواقدي**
حدثني عتبة عن صفوان عن عمر عن عبد الرحمن عن أبيه

قال لم يأخذ أبو عبيدة من أهل دمشق رهاين بل توكل على الله عز
وجل وسبب ذلك أن أبا عبيدة ابن الجراح في تلك الليلة
التي صالح فيها أهل دمشق قضى الفريضة ونام فرأى في منامه
رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقول يا أبا عبيدة الليلة
تفتح لكم المدينة ❁ قال أبو عبيدة وكان رسول الله
صلى الله عليه وسلم مستعجلا فقلت له يا رسول الله ما لي أراك
على عجل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأحضر جنازة
أبي بكر الصديق فإنه مات في هذه الليلة واستيقظ
أبو عبيدة من منامه إذ جاءه أبو هريرة رضي الله عنه في
ذلك الوقت يبشره بأن أهل دمشق يطلبون الأمان ❁ فلم
يأخذ أبو عبيدة من أهل دمشق رهاين ثقة بكلام رسول الله
صلى الله عليه وسلم **قال الواقدي** ولقد بلغني أن أبا
عبيدة لما دخل الى دمشق سارت الأقسة والرهبان بين يديه
عليهم المسوح من الشعر الأسود وقد رفعوا الأناجيل من
فوق رؤوسهم وكان دخوله يوم الاثنين الحادي
والعشرين من جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة من الهجرة
قالوا ❁ أهل السيرة في زعمهم ممن رووا فتوح الشام منهم

محمد بن إسحاق وغيره ممن تقدم ذكره وأسانيده في الكتاب ثقة
بهم واعتقادا عليهم **قال** أبو عبد الله محمد بن عمر الواقدي
حدثني عبد الحميد بن أبي عمرو عن أبيه وكان ممن يعرف
فتوح الشام قال دخل أبو عبيدة بن الجراح دمشق وليس عند
خالد بن الوليد من ذلك خبر وإن خالدا شدد الحرب
والقتال على الباب الشرقي لأن أهل الباب الشرقي أصيب
منهم خالد بن سعيد بسهم مسموم فمات رحمة الله عليه وخالد
ابن سعيد أخو عمرو بن العاصي من أمه ❁ فلما مات صلى عليه
خالد بن الوليد ودفن ما بين الباب الشرقي وباب توما ❁
قال الواقدي وذلك أن قسا من أقساء أهل دمشق اسمه
يوشا ابن مرقص وكانت داره ملاصقة بسور المدينة
مما يلي الباب الشرقي وكان عند القس ملاحم دانيال
وغيره فقرأ فيها فرأى أن الله عز وجل يفتح الشام كله على
يدي أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأن دينهم يعلوا
على كل دين فلما كان ليلة الاثنين وهي ليلة الحادي
والعشرين من جمادى الآخرة نقب القس من داره نقبا وخرج
في الليل على حين غفلة من أهله وأولاده وقصد خالدا

وحدثته بما جرا وإنني نقبت من داري نقبا وخرجت منه فقال
له خالد ما تريد قال أريد الأمان لي ولأهلي فأعطاه خالد
الأمان ونفذ معه خالد مأية رجل معدين بالسلاح أكثرهم
من حمير وقال لهم إذا حصلتم في المدينة فاقصدوا الباب
واكسروا أقفاله وقطعوا سلاسله حتى ندخل إن شا الله تعالى
نفعل القوم ذلك وأمر عليهم كعب بن عون وكعب بن ضمرة
والله أعلم ❁ ومضى أمامهم يوشا ابن مرقص حتى دخل بهم
من حيث خرج فلما حصلوا عنده في داره تدرعوا ثم خرجوا
وقصدوا الباب وكسروا أقفاله وقطعوا سلاسله ودخل
خالد بن الوليد إلى دمشق من الباب الشرقي والتقى بأبي
عبيدة عامر بن الجراح عند باب الجابية **قال الواقدي**
والتقى الجيشان عند كنيسة مريم جيش خالد وجيش أبي
عبيدة ❁ فنظر خالد إلى أبي عبيدة وأصحابه سايرين
والقسوس والرهبان بين أيديهم وما أحد من أصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم جرد سيفا فلما نظر خالد إلى
ذلك أوهنه وجعل ينظر إليهم متعجبا فلما نظر أبو عبيدة إلى
خالد نعرف في وجهه الإنكار فقال أبو عبيدة يا أبا

سليمان إن الله عز وجل قد فتح مدينة دمشق على يدي صلحا
وكفى الله المؤمنين القتال وكان الله قويا عزيزا **قال
الواقدي** حدثني عبد الحميد عن مالك قال ما خاطب خالد
أبا عبيدة يوم الفتح إلا بإمرته يقول أيها الأمير تم الصلح
فقال خالد وما الصلح لا أصلح الله أحوالهم وكيف الصلح
وقد فتحتها بالسيف وقد خضبت سيوف المسلمين بالدما وأخذت
أموالهم وأولادهم إماء وعبيدا ❁ فقال أبو عبيدة ما
دخلتها إلا صلحا فقال خالد ما دخلتها إلا بالسيف فكيف
صالحت القوم بغير إذني ولا إعلامي وأنا صاحب رايتك
والأمير عليك ولا أرفع السيف عنهم حتى أفنيهم عن آخرهم فقال
له أبو عبيدة والله ما ظننت أنك تخالفني إذا عقدت عقدا أو
رأيت رأيا الله الله في أمري فقد أعطيت القوم الأمان ❁
عن آخرهم وقد رضي معي بذلك المسلمون ولا الغدر من
شيمتنا **قال الواقدي** وارتفع الصياح بينهما وقد
شخص الناس إليهما وخالد لا يرجع عن مراده ونظر إلى أبي عبيدة
وفي وجهه الغضب وهو وأصحابه متكلبون على قتال الروم
ونهب أموالهم ولا يردون سيوفهم عن أحد فنادى أبو عبيدة

خفرت والله ذمتي ونقض عهدي وجعل يشير إلى العرب ويقول
أقسمت عليكم برسول الله صلى الله عليه وسلم أن لا تمدوا
أيديكم إلى الطريق التي جئت منها حتى نرى ما نتفق عليه
نحن وخالد ۞ فلما دعاهم أبو عبيدة إلى ذلك أمسكوا أيديهم
عن القتل والنهب **قال الواقدي** واجتمع إليهم
الفرسان وأصحاب الرايات مثل معاذ بن جبل ويزيد بن
أبي سفيان وسعيد بن زيد وعمرو بن العاص وشرحبيل بن
حسنة وربيعة بن عامر وقيس بن هبيرة وعبد الرحمن
ابن أبي بكر الصديق وعبد الله بن عمر بن الخطاب
وأبان بن عثمان بن عفان والمسيب بن نجبة الفزاري
وذو الكلاع الحميري واجتمعوا عند كنيسة مريم
كما ذكرنا ۞ فقال معاذ بن جبل ويزيد بن أبي سفين
الرأي عندنا أن نمضي ما أمضاه أبو عبيدة ونكف عن القتل
فإن مدن الشام كما هي لم تفتح وهرقل بأنطاكية كما
تعلمون ۞ وإن اتصل الخبر إلى أهل المدن أنكم صالحتم
وغدرتم لم تفتح لكم مدينة أبدا بالصلح والثانية أن
تجعلوا هذه الأعلاج في صلحكم فهو خير من قتلهم ثم قالوا

لخالد أمسك يدك عن الذي فتحه أبو عبيدة صلحا ثم اكتبوا إلى
خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم واحتكما عنده فما
أمر به فعلناه فقال لهم خالد قد أجبتكم إلى ذلك وقبلت
مشورتكم ۞ وأما أهل دمشق ومن فيها فقد أعطيتهم
الأمان إلا هذين الرجلين توما وهرمس والجيش الذي
لجأ إليهما **قال الواقدي** وكان هرمس هو الأمير على
نصف المدينة ولاه عليها توما صهر الملك هرقل حين رجع
الأمر إليه فقال له أبو عبيدة إن هاؤلاء أول من دخل تحت
ذمامنا فلا تخفر ذمتي أيها الأمير أترى أنت لو ذممت أحدا لما
كنت أخفر ذمتك فقال خالد والله لولا ذمامك لقتلتهما
جميعا ولكن دعهم يخرجون بغنائمهم جميعا من المدينة
ويسيروا حيث شاءوا ۞ فلما نظر توما وهرمس إلى خالد
ابن الوليد وأبو عبيدة وهم يتنازعون فيهما أيقنا بالهلاك
على أنفسهما ۞ فأقبلا على أبي عبيدة وقالا إنا لا نطالبكم
بدماء من قتل منا فأنتم في حل من ذلك وإنني أسألكم أن
تدعوني أخرج أنا وقومي من هذا البلد ونسلك أي طريق
أردنا فقال له خالد أنت في ذمتنا فاسلك أي طريق أردت

فإذا صرتم في أي طريق تملكوها فتكونوا قد خرجتم من ذمتنا أنت
ومن معك فقال توما وهرمس نحن في ذمتكم ثلاثة أيام وبعد
ثلاثة أيام فلا ذمة لنا عندكم ولا عهد ومن لاقانا منكم
بعد ثلاثة أيام وظفرنا فنحن لكم عبيد إن شاء أسر وإن شاء
قتل فقال لهم خالد قد أجبتك إلى ذلك على أن لا تحملوا من
هذا البلد غير زادكم الذي تقتاتون به فقال
أبو عبيدة لخالد سبحان الله هذا كلام رجل ناقض العهد والصلح
والميثاق وقد وقع بيننا وبينكم أنهم يخرجون بنسائهم
وأولادهم وأموالهم فقال خالد وقد سمحت لهم بذلك إلا
السلاح فإني لا أطلق لهم منه شيئا فقال هرمس لا بد لنا من
السلاح نمنع به عن أنفسنا إن طرقنا طارق حتى نصل إلى بلادنا
فقال أبو عبيدة لخالد أيها الأمير أطلق لكل واحد منهم
قطعة من السلاح من يأخذ سيفا ولا يأخذ رمحا ومن أخذ رمحا
فلا يأخذ قوسا ومن أخذ قوسا فلا يأخذ سكينا قال توما
رضينا بذلك فانطلق توما وهرمس يجمعان قومهما ويأمرانهم
بالخروج برجالهم وكان للملك هرقل في دمشق خزانة
مملوءة من الديباج أكثر من ثلثمائة حمل فعزم توما على

إخراجها وأقبلت الروم تخرج الحلل والأموال والأمتعة والأحمال
حتى أخرجوا من دمشق شيئا عظيما فلما نظر خالد إلى كثرة
أموالهم وعظم أحوالهم فقرأ قل متاع الدنيا قليل والآخرة
خير لمن اتقى ثم نظر خالد إلى الروم وكأنهم حمر
مستنفرة فرت من قسورة ولا أحد يلتفت إلى أحد من شدة
أخذهم أموالهم وعجلتهم فلما نظر خالد إلى ذلك رفع طرفه
إلى السماء وقال اللهم ملكنا إياهم واجعل هذه الأمتعة
منفعة للمسلمين إنك سميع الدعاء ثم أقبل خالد على
كبار جيشه وقال لهم إني رأيت رأيا هل تتبعوني فيه
قالوا كلهم رأينا لرأيك تبع ولا نخالف لك قولا فقال
لهم خالد قوموا على خيولكم وأحسنوا إليها ما استطعتم
وخذوا سيوفكم فإني أريد أن أسير خلف توما وهرمس
بعد ثلاثة أيام وإني أرجو من الله تعالى أن يغنينا بهذه
الأموال وإن نفسي تحدثني أن الروم ما تركوا في دمشق
متاعا فاخرا إلا وقد أخذوه أعداء الله معهم ثم
أخذ المسلمون في إصلاح سلاحهم وعليق خيولهم وهرمس
وتوما لعنهما الله قد جمعوا البطارقة وجمعوا الأموال

الذي بينهم وبين أبي عبيدة ثم قال لهم أبو عبيدة وفيتم
بما عهدتم فسيروا حيث شئتم ولكم الأمان منا ثلاثة
أيام فإن وقع بكم أحد من المسلمين بعد هذه الثلاثة أيام
فلا لائمة عليهم ❁ قال يزيد بن أبي سفيان فلما سلموا
المال لأبي عبيدة ارتحلوا سايرين كأنهم سواد مظلم وقد
خرج معهم من دمشق خلق كثير بنسائهم وأولادهم
وكرهوا أن يكونوا في جوار المسلمين قال الواقدي
واشتغل خالد بن الوليد عن إتباع القوم لأجل خلاف وقع
بين المسلمين في المدينة قال أبو عبيدة هذا القوم وداخل
في صلحهم وكادت الفتنة أن تقع بين أصحاب خالد وأصحاب
أبي عبيدة ثم اتفق رأيهم على أن يبعثوا كتابا إلى أبي
بكر الصديق ولم يكن عند خالد خبر إن أبا بكر الصديق
مات يوم دخول المسلمين دمشق ❁ قال عطية بن عامر
السكسكي كنت واقفا على باب دمشق وهو باب
الجابية اليوم الذي سار فيه توما وهربيس ومعهما ابنة
الملك هرقل فنظرت إلى ضرار بن الأزور وهو ينظر
إلى الروم شزرا ويعضعض أسنانه كالمتحسر على ما فاته

منهم ❁ فقلت له يا ابن الأزور ما لي أراك كالمتحسر إنما
عند الله هو خير لكم إن كنتم تعلمون ❁ فقال ضرار والله ما بغيتي
في غنيمة وإنما أنا متأسف على لقائهم وانفلاتهم من أيدينا
ولقد أساء أبو عبيدة بما فعل بالمسلمين ❁ قال عطية بن عامر
يا ابن الأزور وما أراد أبو عبيدة إلا خيرا بالمسلمين أن يحقن
دماءهم وأراحهم من تعب القتال فإن حرمة رجل مسلم
عند الله أفضل مما طلعت عليه الشمس وإن الله عز وجل أسكن
الرحمة في قلوب المسلمين وأزالها من قلوب الكافرين
وإن الله عز وجل يقول في بعض الكتب المنزلة أنا الرب
الرحيم وإني لا أرحم من لا يرحم ❁ وقال الله تعالى والصلح
خير فقال ضرار لعمري إنك لصادق ولكن أشهدك أني
لا أرحم من يجعل لله زوجة وولدا قال الواقدي
وعزم خالد بن الوليد عن القعود وعن المسير خلف الروم
فما قوى عزمه على ذلك الأمر إلا رجل من أهل دمشق
كان أسيرا مع خالد وكان من أبطال دمشق قال
الواقدي حدثني عمر بن محمد عن عيسى بن عبد
الواحد بن عبد الله البصري عن واثلة بن الأسقع قال

كنت فى جيش خالد بن الوليد على دمشق وقد جعلنى على الخيل
التى كانت مع ضرار بن الازور يد ورهم حول المدينة
يحرض الامرا على القتال وذلك قبل فتح دمشق فبينما
نحن ذات ليلة نطوف وكانت ليلة مظلمة معتمة وقد قربنا
من باب كيسان اذ سمعنا صرير الباب وقد فتح فوقفنا واذا
قد خرج من الباب فارس فتركناه حتى قرب منا فاخذناه
اسيرا وقلنا له ان رايناك تكلمت بكلمة ضربنا عنقك فبينما نحن
كذلك واذا قد خرج فارسان اخران وجعلوا ينادون
الذى اخذناه باسمه فقلنا له كلمهما حتى ياتيا
اليك فراطن لهم بلسان الروم وقال لهم ان الطير قد
وقع فى الشبكة فعلموا انه اسير فرجعوا سريعا الى
الباب فدخلوا وغلقوا الباب فاردنا قتله فقال بعضنا
لبعض لا تقتلوه بل نمضى به الى الامير يرا فيه برايه فاتوا
به الى خالد فقال له من انت فقال له انا من بطارقة
الروم وملوكها وانى قد تزوجت بجارية من قومى
قبل دخولكم الى دمشق وكنت احبها حبا شديدا فلما
طال علينا حصاركم سالت اهلها ان يزفوها على فابوا

ذلك وكنت احب ان القاها ولنا فى المدينة ملاعب
نلعب فواعدتها تخرج الى تلك الملاعب فخرجت الى وتحدثنا
ساعة فسالتنى ان اخرج بها الى ظاهر المدينة ففتحنا الباب
وخرجت فاخذونى اصحابك اسيرا وقادونى حقيرا فبقيت خايفا
على الجارية ان يصيبها مثل ما اصابنى فقال له خالد بن
الوليد فما قولكم فى الاسلام وان دخلت المدينة
زوجتك بها وان ابيت الاسلام قتلتك فاختار الرجل
الاسلام على القتل فقال اشهد ان لا اله الا الله وحده
لا شريك له واشهد ان محمدا رسول الله قال واثلة
ابن الاسقع وكان يقاتل معنا قتالا شديدا فلما دخلنا
المدينة صلحا اقبل يطلب زوجته فقيل له انها ترهبت
ولبست ثياب الرهبان فقال دلونى عليها فلما نظرها قال
انا زوجك وانى قد دخلت فى دين الاسلام وانك فى
ذمامى فلما سمعت قوله قالت لا وحق المسيح لا كان ذلك
ابدا وما لك الى من سبيل وخرجت مع توما وهربيس فلما
نظر الى امتناعها عنه اقبل على خالد وشكى ذلك اليه
فقال له خالد ان ابا عبيدة قد دخل المدينة صلحا

وَلا سَبِيلَ لَكَ إِلَيْهَا وَعَلِمَ الرَّجُلُ أَنَّ خَالِدًا يُرِيدُ يَسِيرُ خَلْفَ الرُّومِ
وَهُمْ تُومَا وَهَرْبِيسُ فَقَالَ أَسِيرُ مَعَهُ لَعَلِّي أَنْ أَ[illegible] تَعْ[illegible] لَهَا وَهَذَا مَا جَرَا

ذِكْرُ وَقْعَةِ مَرْجِ الدِّيبَاجِ

وَمَا جَرَا فِيهَا لِأَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الْحَرْبِ
وَالْقِتَالِ مَعَ تُومَا وَهَرْبِيسَ فِي مَرْجِ الدِّيبَاجِ **قَالَ الْوَاقِدِيُّ**
وَأَقَامَ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ بِدِمَشْقَ إِلَى الْيَوْمِ الرَّابِعِ وَلَمْ يَسِرْ
خَلْفَ الرُّومِ وَفَتَرَتْ نِيَّتُهُ فَأَقْبَلَ الدِّمَشْقِيُّ إِلَيْهِ وَقَالَ لَهُ
أَيُّهَا الْأَمِيرُ إِنَّكَ عَزَمْتَ عَلَى أَنَّكَ تَسِيرُ خَلْفَ هَذَيْنِ اللَّعِينَيْنِ
وَتَأْخُذُ مَا مَعَهُمَا مِنَ الْأَمْوَالِ قَالَ خَالِدٌ بَلَى قَالَ لَهُ
الدِّمَشْقِيُّ فَمَا الَّذِي أَقْعَدَكَ عَنْ ذَلِكَ قَالَ لَهُ خَالِدٌ قَدْ
مَضَى بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمُ الْيَوْمَ أَرْبَعَةُ أَيَّامٍ بِلَيَالِيهِمْ وَهُمْ يَسِيرُونَ
سَيْرَ الْخَوْفِ وَمَا نَجِدُ إِلَى لِحَاقِهِمْ مِنْ سَبِيلٍ قَالَ الدِّمَشْقِيُّ
وَكَانَ اسْمُهُ يُونُسُ أَيُّهَا الْأَمِيرُ إِنْ كَانَ تَخَلُّفُكَ
لِبُعْدِ مَا بَيْنَكَ وَبَيْنَهُمْ فَأَنَا أَعْرِفُ الدِّيَارَ وَأَسِيرُ بِكَ عَلَى
طَرِيقٍ تَلْحَقُهُمْ إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى وَإِنَّمَا أَفْعَلُ ذَلِكَ لِأَمْلِكَ
زَوْجَتِي فَرَكَنَ خَالِدٌ إِلَى كَلَامِهِ وَقَالَ يَا يُونُسُ
أَتَعْرِفُ الطَّرِيقَ وَتَدُلُّنَا عَلَيْهَا قَالَ نَعَمْ وَلَكِنِ الْبَسُوا زِيَّ

الْعَرَبِ الْمُتَنَصِّرَةِ وَخُذُوا الزَّادَ ثُمَّ سِيرُوا **قَالَ الْوَاقِدِيُّ**
فَأَخَذَ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ عَسْكَرَ الزَّحْفِ وَأَمَرَهُمْ أَنْ يَرْكَبُوا
أَسْبَقَ خُيُولِهِمْ وَيُخَفِّفُونَ حَمْلَ أَثْقَالِهِمْ فَفَعَلُوا ذَلِكَ
وَسَارَ خَالِدٌ وَيُونُسُ يَدُلُّهُمْ عَلَى الطَّرِيقِ وَقَدْ وَلَّى خَالِدٌ أَبَا
عُبَيْدَةَ بْنَ الْجَرَّاحِ عَلَى الْمَدِينَةِ قَالَ زَيْدُ بْنُ طَرِيفٍ
وَسِرْنَا وَيُونُسُ أَمَامَنَا يَدُلُّنَا عَلَى الطَّرِيقِ وَنَحْنُ مَعَ ذَلِكَ
نَتَّبِعُ آثَارَ الْخَيْلِ وَحَوَافِرَ الْبِغَالِ وَلَمْ نَزَلْ كَذَلِكَ
نَسِيرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَلَا نَنْزِلُ إِلَّا وَقْتَ الصَّلَاةِ حَتَّى انْقَطَعَ
آثَارُ الْقَوْمِ عَنَّا قَالَ خَالِدٌ يَا يُونُسُ مَا شَأْنُكَ قَالَ أَيُّهَا
الْأَمِيرُ سِيرُوا وَاسْتَعِينُوا بِاللهِ وَتَوَكَّلُوا عَلَيْهِ فَإِنَّ الْقَوْمَ
سَارُوا مِنْكُمْ حَذَرًا عَلَى غَيْرِ طَرِيقٍ فَعَرَّجُوا وَسَارُوا
فِي جِبَالٍ وَعِقَابٍ قَالَ الضَّحَّاكُ بْنُ حَسَّانَ الطَّائِيُّ
وَسَارَ بِنَا يُونُسُ فِي طَرِيقٍ كَثِيرَةِ الْحَجَرِ لَا يَكَادُ
الرَّجُلُ أَنْ يَتَخَلَّصَ مِنْهَا بِنَفْسِهِ إِلَّا كَرْهًا فَجَعَلْنَا نَتَخَلَّلُ
الْحِجَارَةَ بِخَيْلِنَا وَنَحْنُ نَنْظُرُ إِلَى الدَّمِ يَتَحَدَّرُ مِنْ
عَرَاقِيبِهَا وَأَنْعَالُهَا تَتَسَاقَطُ مِنْ أَرْجُلِهَا وَإِنَّ الْخِفَافَ
الَّتِي فِي أَرْجُلِنَا قَدْ تَقَطَّعَتْ حَتَّى لَمْ يَبْقَ إِلَّا سِفَاقَاتُهَا

قال عياذ بن سعيد الحضرمي كنت في السرية يومئذ مع
خالد بن الوليد في سرية مرج الديباج فسار بنا الدليل
فوالله لقد كان في رجلي خفاف من أديم قد أنعلتها بنعل
يماني وكنت أدل بقوته وأحدث نفسي أنه يقيم عندي
سنين فوالله لقد بقي ذلك اليوم ما في رجلي سفا قاته
وأنا أمشي حافيا ولقد لقيني شدة حرارة الجبال
ووعرها حتى رأيت العرب تشكوا إلى بعضها بعضا ويقولون
يا ليت الدليل أخذ بنا على الطريق الصحيحة المسلوكة
فما انقضت تلك الليلة حتى قطعنا شدة الطريق فخرجنا
إلى الجادة والدليل يظن أننا قد سبقنا القوم فلما
خرج إلى الطريق رأى آثارهم وقد سبقونا فقال نجوا
بأنفسهم ۞ فأسرع الدليل أمام الناس وقال اسرعوا
بارك الله فيكم فقال المسلمون أيها الناس إن شدة
السفر وصعوبة الطريق قد أضر بنا فأريحوا بنا ساعة
حتى نأخذ لنا راحة ونعلق على خيولنا ۞ فقال خالد
سيروا على اسم الله تعالى وجدوا في طلب عدوكم
فسار القوم والدليل قدامهم ولم يزالوا كذلك

والمسلمون لا يدخلون بلدا إلا يظنوا الروم أنهم من العرب
المتنصرة حتى قطع بنا الدليل جبل اللاذقية وأشرف بنا
على ساحل البحر وهو يطلب آثار القوم وإذا بالقوم قد
عدلوا عن أنطاكية ولم يدخلوها خيفة من الملك
هرقل ۞ فوقف الدليل عند ذلك حائرا في أمره وعدل
إلى قرية هناك فوجد دهقانا من دهاقين تلك القرية
فأخبر الدليل بأن الخبر اتصل بالملك هرقل وإن
توما وهربيس قد سلموا دمشق إلى العرب فغضب الملك
عليهما ولم يدعهما يأتيا إليه وذلك أن الملك يجمع
الجموع ويجيش الجيوش ويبعث بها إلى اليرموك
مخافة أن يتحدثوا عساكر الروم بشجاعة أصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم ۞ وبعث الملك
إلى توما وهربيس أن يسيرا بمن معهما إلى مدينة
القسطنطينية العظمى فانحرفوا عن أنطاكية وساروا
يريدون خيل اللام فلما علم يونس الدمشقي أن
الروم عدلوا عن أنطاكية وأخذوا البحر
أنكر ۞ ذلك وخاف على المسلمين فبقي حائرا

في أمره وكان ذلك في غدوة النهار يوم الثلاثا من العشر
الأول من رجب الفرد سنة ثلاث عشرة من الهجرة فصلى خالد
بمن معه صلاة الصبح وهو يريد أن يركب إذ نظر إلى
الدليل وقد ورد عليه أثر الانكسار ۞ فقال له
خالد ما وراك يا يونس فقال والله يا أمير إني غار بكم
وما بلغنا الغاية في الطلب وفاتتكم أعداء الله وما
معهم من الأموال فقال له خالد كيف عرفت ذلك قال
أيها الأمير إني قفوت آثارهم فعلمت أن القوم نجوا
بأنفسهم وأموالهم ۞ وقد أخبرني دهقان هذه القرية
أن الملك هرقل منعهم من الوصول إلى إنطاكية
لئلا يرعبوا عسكره وأمرهم أن يقصدوا القسطنطينية
العظمى وقد قطع بينكم وبينهم هذا الجبل العظيم
وأنتم في بلد هرقل وهو يجمع العساكر ويسيرها
إلى حربكم وإنني خايف عليكم لأن هذه الجبال
ورائكم وأمامكم وما أمرتني به فعلت قال ضرار
ابن الأزور فرأيت خالد بن الوليد وقد تغير لونه
وظننت أن ذلك خوفا وجزعا وما عهدت منه ذلك

فقد

فقلت له أيها الأمير ما ذا عولت أن تصنع فإني أراك
مرتبكا في أمرك فقال والله إني ما أفزع من الموت ولا
من القتل وإني خشيت أن يؤتى المسلمون من قبلي ۞ وإني
رأيت قبل فتح دمشق رؤيا أفزع ۞ منها وأنا منتظر وقوعها
وأرجو أن يجعلها الله خيرا وينصرنا على أعداء الله فقالوا
خيرا رأيت وخيرا يكون إن شاء الله تعالى ۞ فما الذي
رأيت أيها الأمير قال رأيت كأنني والمسلمين في برية
قفرا ونحن سايرون فبينما نحن كذلك وإذا بقطعة
من حمير الوحش عظيمة الأجساد وقد اعترضتنا وهي
تكدمنا بأفواهها وترمحنا بحوافرها ونحن مع ذلك
نجول عليها بخيولنا ونطعنها برماحنا ونضربها بسيوفنا
وهي لا تفكر فينا وفيما نزل بهم من الأذا ولم
نزل على مثل ذلك حتى اجهدتنا وأجهدت خيولنا
وكأني وقد أقبلت إلى أصحابي ففرقتهم عليها من
أربع جوانب البر وحملنا عليهم من كل جانب فانحازت
من بين أيدينا إلى مضايق وآكام وآجام فلم نقدر منها
إلا على شيء يسير ۞ فبينما نحن نطبخ ونشوي من أطيب

لحمها وإذا بها قد رجعت تطلب البرية فلما نظرنا إليها وقد
رجعت من المضايق فصحت المسلمون اركبوا في طلبها
فركب المسلمون على خيولهم وركبت أنا في أوائلهم
وقصدت منها بعيرا عظيما وهو الذي كان يقدمها فقتلته
وجعل المسلمون يقتلون ويصيدون فما انفلت منها إلا اليسير
فبينما أنا فرحان بصيدها وأنا أريد الرجوع بالمسلمين إلى
أوطانهم إذ تقنطرت فرسي وطارت العمامة عن رأسي
فهويت لآخذها فوهنت لذلك وهنا شديدا وانتبهت
من منامي وأنا مرعوب ❀ فهل فيكم أحد يفسرها
فإني أقول إن الرؤيا ما نحن فيه من طلب القوم **قال
الواقدي** وجعل خالد يأمر نفسه بالرجوع فقال
له عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق أيها الأمير
أتدري ما دلت عليه رؤياك قال خالد لا فقال له عبد
الرحمن إن رؤياك دلت على أن أعاجم الوحش هم
هؤلاء الأعلاج الذين نحن سائرون في طلبهم وإنا
نلقى منهم تعبا ونصبا ❀ وأما سقوطك عن فرسك
إلى الأرض فإنه أمر نحط فيه من رفعة إلى خفض

وأما سقوط العمامة عن رأسك فالعمامة تيجان العرب
فقال خالد أسأل الله العظيم إن كان ذلك نازلا بي
فليجعله الله من أمور الدنيا ولا يجعله من أمور الآخرة وعلى
الله أتوكل في جميع الأمور ❀ ثم قال خالد
يا فرسان المسلمين اعلموا أن خالدا لا يملك لنفسه نفعا
ولا ضرا ولا موتا ولا حياة ولا نشورا وإني لا أملك إلا
نفسي وقد جعلتها حبسا في سبيل الله عز وجل فهل لكم
أن تعدلوا في طلبها ولا إلى القوم فإما الظفر والغنا ❀
وإما أن يكون موعدنا الجنة ❀ فقال المسلمون أيها
الأمير افعل ما تريد فما بين يديك إلا أناس قليل ثم
أقبل خالد على يونس الدليل وقد سماه النجيب فقال
يا يونس هل تلحق بالقوم فقال أما اللحاق فنلحقهم وما
أخاف عليكم إلا أن تعلم الروم بكم فيبتدرون إليكم
من كل جانب ومكان ❀ قال خالد سيروا على
اسم الله تعالى فسار بنا يونس واتكل على الله عز وجل
فوحق رسول الله صلى الله عليه وسلم المنضجع بيثرب
ووحق بيعة أبي بكر الصديق لا قص خالد عن

طلبهم ثم إن خالدا ركب جواده وركب المسلمون وسار الدليل
أمامهم حتى أشرفوا على الربوة وقطع بهم جبل اللكام وهم
يقفون الأثر وينظرون إلى آثارهم وآثار دوابهم فلما
كان في الليلة التي أردنا أن نصابح فيها القوم أتانا
مطر كأفواه القرب وكان ذلك توفيقا من الله عز وجل
لأن المطر حبس القوم لنا عن المسير قال روح بن طريف
فلقد رأيت بعضنا وهو يسفر لبعض والمطر ينزل علينا طول
ليلتنا فلما طلع الفجر تقشعت السما وطلعت الشمس فقال يونس
أيها الأمير قف مكانك حتى أجس خبر القوم فإنهم لا شك
بالقرب منا وقد سمعت صحيحهم وكان خالد بصيرا بالخدع
والحيل فالتفت إلى رجل من أصحابه اسمه المفرط بن جعدة
وقال يا مفرط سر مع الدليل يونس وكن له مواسيا حتى
تأخذ خبر القوم قال المفرط بن جعدة حبا وكرامة
ثم سار هو والدليل إلى أن علينا على الجبل الذي يقال
له الأبرش والروم تسميه جبل تارون قال المفرط بن جعدة
فلما صرنا على قلة الجبل نظرنا وراه مرجا واسعا كثير النبات
والخضرة ولاح لنا وسط المرج جمع الروم وقد أصابهم

المطر حتى بل رحالهم وأمتعتهم وقد حميت عليهم الشمس وخافوا
على تلف ما معهم من الحرير فأخرجوه من رحالهم ونشروه على
طول المرج ورقد أكثرهم من شدة السير والتعب الذي
أصابهم طول ليلتهم قال المفرط بن جعدة فلما رأيت
ذلك فرحت فرحا شديدا ونزلت من قلة الجبل وسرت إلى أن
وصلت إلى خالد وبشرته بالغنيمة وتركت صاحبي يونس من ورائي
فلما رآني خالد مسرعا أسرع إلي وظن أن صاحبي أكيد فقال
ما وراك يا ابن جعدة قلت الخير والغنيمة إن شا الله تعالى وإن
القوم خلف هذا الجبل وقد أصابهم المطر وطلعت عليهم
الشمس وقد نشروا ما كان معهم من الأمتعة قال خالد
رضي الله عنه بشرك الله بخير ثم ظهر لي من وجه خالد الفرح
فبينما نحن كذلك إذ أقبل يونس فقال يونس أبشر أيها
الأمير فإن القوم آمنون على أنفسهم إذ تركوا أنطاكية من وراء
ظهورهم وظنوا أنك لا تتبعهم إلى هذه الغاية ولكن أوصيك
أنت وأصحابك من وقع بزوجتي فعليه أن يحفظها إلي ما أريد
من الغنيمة غيرها فقال له خالد هي لك إن شا الله تعالى
ثم إن خالدا قسم جيشه على أربع فرق فأمر على أول فرقة ضرار

ابن الأزور وعلى ثانى فرقة رافع بن عميرة الطائى وعلى ثالث فرقة
عبد الرحمن بن أبى بكر الصديق رضى الله عنه وبقى خالد
على الفرقة الرابعة وكانت كل فرقة ألف فارس وقال
لهم سيروا على بركة الله وعونه وإياكم أن تخرجوا فى دفعة
واحدة بل يخرج كل أمير منكم وبينه وبين صاحبه ساعة
ثم افترقوا على القوم ولا تحملوا حتى أحمل فساروا وتفرق
كل أمير فى ناحية من أطراف المرج ❁ قال عبيد بن سعيد
كنت فى السرية التى سار فيها خالد بن الوليد خلف توما وهربيس
إلى مرج الديباج فلما حصلنا فى المرج لاح لنا حسن أزهاره
وطيبة أثماره واندفاق أنهاره وألوان الديباج قد أزهرت
ما بين أحمر وأصفر وأخضر ❁ قال عبيد بن سعيد فوالله
لقد كدنا نفتتن من حسن منظره ويلهينا عن الجهاد فقال
رجل من بنى تميم ما أقبح هذه الدنيا وما أسرع انتقالها فإياكم
أن تركنوا إليها فإنها غدارة مكارة فلما سمع خالد كلامه
بكا وقال والله صدق التميمى فى مقالته ❁ ثم صاح خالد بن
الوليد احملوا واطلبوا أعداء الله وارغبوا فى قتلهم ودمارهم
ولا تشتغلوا بالغنايم فإنها لكم إن شاء الله تعالى ولا حول

ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ثم عطف خالد على الروم عطفة
الأسد على فريسته ❁ فلما نظرت الروم إلى الخيل الواقعة
عليهم وخالد أمامهم والراية بيده علم الروم أنها خيل المسلمين
نادوا بالويل والثبور وعظايم الأمور فعند ذلك صاح
توما برجاله وصاح هربيس ببطارقته وتبادروا إلى لبس
السلاح وركوب الخيل ❁ وقال بعضهم لبعض إن هذه
الخيل التى خرجت عليكم خيل قليل ساقها المسيح إليكم وجعلها
غنيمة لكم فتبادروا إليها واتكلوا على نصرة الصليب فعند ذلك
لبس الروم سلاحهم ووقفوا أمام أموالهم يمنعون عنها وهم
يظنون أن ما وراها ولا الخيل التى خرجت إليهم أحد إذ خرج
عليهم ضرار بن الأزور فى ألف فارس ❁ ثم خرج عليهم رافع
ابن عميرة الطائى فى ألف فارس ثم طلع من بعدهم عبد الرحمن
ابن أبى بكر الصديق فى ألف فارس وحمل المسلمون على
الروم كالعقبان الأكاسرة وتفرقوا من حولهم وطلبوا
أخذ ما فى أيديهم وقد رفع المسلمون أصواتهم بقول لا إله
إلا الله محمد رسول الله وانصبت الخيل على الروم كأنها
السيل فى الظلام ونادى اللعين توما برجاله قاتلوا عن نعمتكم

فما لهو إلا العرب حيلة ولا مخلص من هذا المكان فانقسمت الروم
على طايفتين طايفة مع توما وطايفة مع هربيس فكان أول
من قاتل من فرسان المسلمين خالد وقاتله توما وقد أحدقت
بخالد خمسة آلاف فارس ما يبان منهم إلا حماليق الحدق
أو تداوير الأمق ❁ وقد رفع توما بين يديه صليبا من الجوهر
مقمع بالذهب الأحمر فحمل خالد عليهم بفرسان المسلمين
وأسماء اسمه وقال يا أعداء الله أظننتم أنكم تنفلتون من
أيدينا والله تبارك وتعالى يطوي لنا الأرض ثم حمل خالد
على عدو الله توما وطعنه طعنة جندله صريعا وعجل الله بروحه
إلى النار ❁ فعند ذلك أخذ عبد الرحمن بن أبي بكر
الصديق رأس توما وجعلها على سنان رمح وقال معاشر
المسلمين أبشروا فإن الله عز وجل قد قتل توما عدو الله
فاطلبوا هربيس ففرح المسلمون بذلك قال الواقدي
قال رافع بن عميرة الطائي كنت في ميمنة خالد وقد خرجت
في الكردوس الذي كان معي فوقعت في سواد القوم
وَد وَالِهِم ودنا بهم فنظرت نساء الروم وهن يمانعن عن
أنفسهن منعا شديدا إذ نظرت إلى فارس زيه في زي الروم

وقد انحدر عن جواده وهو يقاتل امرأة من نساء الروم وهي تظهر
عليه مرة ويظهر عليها مرة أخرى فدنوت أنظر من هو وإذا به
يونس الدليل وهو يقاتل زوجته وهو يصارعها مصارعة
الأسد للبوة ❁ قال رافع بن عميرة الطائي رضي الله عنه
فدنوت منه لأعينه فقصدني عشرة من نسوان الروم وجعلوا
يرمونني بالحجارة فخرج علي حجر من كف امرأة حسنا عليها ثياب
الديباج في جبهة جوادي وكان جوادا أشهب فوقع من
تحتي ميتا فنزلت عن ظهره وأنا حنق عليها وأسرعت في طلبها
فهربت من بين يدي وهربن النسوة من ورائها فسعيت
ورائهن فلحقتهن وهممت بقتلهن ورجعت عن ذلك ودنوت من
الجارية التي ضربت جوادي وعلوتها بالسيف فشبكت يديها
على أم رأسها وجعلت تقول كلاما بالرومية الفوز الفوز
يعني الأمان الأمان ❁ فأخذتها أسيرة وإذا عليها ثياب الديباج
المنسوج بالذهب وعلى رأسها شبكة من اللؤلؤ فأسرتها هي
ومن معها من النسوة وأوثقتهن كتافا ورجعت على أثري فرأيت
برذونا من براذين الروم بغير راكب فركبته وأردت أن
أعدل نحو القتال ❁ ثم قلت والله لا مضيت حتى أعرف ما كان

مِنْ يُونُسَ الدَّلِيلِ فَجَعَلْتُ أَطْلُبُ مَكَانَهُ وَإِذَا بِيُونُسَ جَالِسٌ وَزَوْجَتُهُ
بَيْنَ يَدَيْهِ قَدْ تَخَضَّبَتْ بِدِمَائِهَا وَهُوَ يَبْكِي عَلَيْهَا فَنَادَيْتُهُ مَا كَانَ
مِنْ خَبَرِكَ يَا يُونُسُ ❁ فَقَالَ إِنَّ هَذِهِ زَوْجَتِي الَّتِي سِرْتُ فِي
طَلَبِهَا وَمَا كَانَ لِي طَلِبَةٌ غَيْرَهَا فَلَمَّا رَأَيْتُهَا قُلْتُ لَهَا هَا أَنَا بَعْلُكِ
وَإِنَّنِي قَدْ لَحِقْتُكِ وَأَيْنَ تَهْرُبِينَ مِنْ بَيْنِ يَدَيَّ فَقَالَتْ وَحَقِّ الْمَسِيحِ
لَا اجْتَمَعْتُ أَنَا وَأَنْتَ فِي مَكَانٍ أَبَدًا لِأَنَّكَ قَدْ تَرَكْتَ دِينَكَ
وَدَخَلْتَ فِي دِينِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ وَإِنَّنِي قَدْ وَهَبْتُ نَفْسِي
لِلْمَسِيحِ وَإِنَّنِي عَازِمَةٌ إِلَى الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ وَأَكُونُ فِيهَا رَاهِبَةً إِلَى أَنْ
أَمُوتَ ❁ ثُمَّ إِنَّهَا امْتَنَعَتْ عَنِّي فَقَاتَلْتُهَا حَتَّى مَلَكْتُهَا أَسِيرَةً
فَأَخْرَجَتْ سِكِّينًا كَانَتْ مَعَهَا وَضَرَبَتْ بِهَا صَدْرَهَا فَسَقَطَتْ
قَتِيلَةً كَمَا تَرَى وَأَنَا أَبْكِي عَلَيْهَا لِشِدَّةِ مَحَبَّتِي لَهَا ❁ قَالَ رَافِعٌ
فَبَكَيْتُ وَاللَّهِ مِنْ كَلَامِهِ وَقُلْتُ إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ أَبْدَلَكَ
بِمَنْ هِيَ أَحْسَنُ مِنْهَا وَعَلَيْهَا ثِيَابُ الدِّيبَاجِ وَشِبَاكُ اللُّؤْلُؤِ وَأَسَاوِرُ
الذَّهَبِ وَوَجْهُهَا كَالْقَمَرِ خُذْهَا لَكَ بَدَلًا مِنْ زَوْجَتِكَ فَقَالَ
أَيْنَ هِيَ فَقُلْتُ هَا هِيَ مَعِي فَلَمَّا نَظَرَ إِلَيْهَا عَرَفَهَا فَالْتَفَتَ إِلَيَّ وَقَالَ لِي
أَتَدْرِي مَنْ هِيَ قُلْتُ لَا قَالَ هِيَ بِنْتُ الْمَلِكِ هِرَقْلَ مَلِكِ الرُّومِ
وَهِيَ زَوْجَةُ تُومَا وَمَا شَكْلُهَا يَصْلُحُ لِشَكْلِي وَلَا بُدَّ لِهِرَقْلَ أَنْ

يَطْلُبَهَا بِرِجَالِهِ وَيَفْدِيَهَا بِمَالِهِ فَقُلْتُ هِيَ لَكَ وَأَنْتَ لَهَا ❁ قَالَ
رَافِعُ بْنُ عُمَيْرَةَ فَأَخَذَهَا إِلَيْهِ وَالْمُسْلِمُونَ فِي الْقِتَالِ الَّذِي مَا عَلَيْهِ
مَزِيدٌ وَبَعْضُهُمْ يَجْمَعُ الْأَمْوَالَ **قَالَ الْوَاقِدِيُّ** فَسُمِّيَ ذَلِكَ
الْمَرْجُ مِنْ ذَلِكَ الْيَوْمِ مَرْجَ الدِّيبَاجِ وَبِهِ يُعْرَفُ إِلَى وَقْتِنَا هَذَا
وَإِنَّمَا عُرِفَ بِذَلِكَ لِأَنَّ الْعَرَبَ إِذَا نَظَرُوا إِلَى ثَوْبِ دِيبَاجٍ
فَيَقُولُ لِصَاحِبِهِ مِنْ أَيْنَ لَكَ هَذَا فَيَقُولُ مِنْ غَنِيمَةِ مَرْجِ الدِّيبَاجِ
وَافْتَقَدَ الْمُسْلِمُونَ أَمِيرَهُمْ خَالِدًا فَلَمْ يَجِدُوا لَهُ خَبَرًا فَقَلِقُوا
عَلَيْهِ قَلَقًا عَظِيمًا **قَالَ الْوَاقِدِيُّ** حَدَّثَنِي عَبْدُ الْحَمِيدِ قَالَ
حَدَّثَنِي رِحَالَةُ بْنُ غُنَيْمٍ قَالَ سَمِعْتُ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ
بِالْبَصْرَةِ وَهُوَ يَذْكُرُ حَدِيثَ خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ وَمَا فَتَحَ بِالشَّامِ
حَتَّى ذَكَرَ وَقْعَةَ مَرْجِ الدِّيبَاجِ فَقَالَ وَاللَّهِ لَقَدْ كَانَتْ وَقْعَةً
عَظِيمَةً وَلَقَدْ غَرَّرَ خَالِدٌ بِنَفْسِهِ حِينَ دَخَلَ خَلْفَ الرُّومِ فِي طَلَبِ
الْغَنِيمَةِ إِلَى وَسَطِ بِلَادِ الرُّومِ فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي مَازِنٍ يَا خَادِمَ
رَسُولِ اللَّهِ وَكَانَ أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ إِذَا قِيلَ لَهُ يَا خَادِمَ رَسُولِ اللَّهِ
يَفْرَحُ فَرَحًا عَظِيمًا ❁ قَالَ أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ ثُمَّ إِنَّ خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ
سَارَ بِالْمُسْلِمِينَ إِلَى مَرْجِ الدِّيبَاجِ فِي طَلَبِ غَنِيمَةِ دِمَشْقَ الَّتِي سَارَ
بِهَا تُومَا وَهَرْبِيسُ حِينَ نَظَرَ إِلَى أَمْوَالِهِمْ وَذَخَائِرِهِمْ فَسَارَ خَالِدٌ

خلفهم في أربعة آلاف فارس وقتل توما وأسروا بطارقته وانفلت
هرميس من يده وذلك أن خالدا طلب هرميس في الوقعة فلم يجده
فبينما خالد يجول في عسكر المسلمين إذ نظر إلى علج من علوج
الروم عظيم الخلقة وله لحية عظيمة وعليه ثياب الديباج
ومن فوق الديباج الحديد والزرد النضيد ❁ فظن خالد
أنه هرميس اللعين فأطلق خالد جواده إلى أن وصل إلى البطريق
وقال له إلى أين تهرب يا عدو الله وأراد قتله فلما نظر البطريق
إلى حملات خالد إليه ألوى العلج هاربا وخالد في أثره طالبا
فوصل إليه خالد وكزه بعقب الرمح وإذا به قد هوى إلى
الأرض صريعا على أم رأسه وانقض خالد عليه كأنه الأسد
وهو يقول ويلك يا هرميس أظننت أنك تعجزني ❁ وكان
العلج يفهم بلسان العرب فناداه العلج يا أعرابي لست أنا
بهرميس فأمهل ولا تقتلني وإنني أعطيك فديتي وكلما
تطلبه أعطيك إياه ❁ فقال له خالد ويلك ما لك من يدي
خلاص ولا أقبل من أحد ولا منك مالا ولا فدية حتى تدلني
على هرميس فما أطلب سواه وقد قتل الله على يدي توما اللعين
وإنني آمل أن ألحق هرميس وأقتله فإن دللتني عليه

أطلقتك بلا فدية ❁ فقال العلج يا أخا العرب أبشر فإنك قد
وصلت إلى ما تريد ولكن أريد أن آخذ منك ميثاقا وعهدا إنني إذا
دللتك عليه تطلق لي سراحي فقال له خالد لك ذلك إن دللتني
عليه ووقع هرميس في يدي فقال له يا أخا العرب أخاف إن دللتك
عليه تغدرني ❁ فقال له خالد يا عدو الله تنسبنا إلى الغدر
ونحن سيمتنا وفاء العهد لأننا من أصحاب نبي الرحمة وشفيع الأمة
وإننا إذا قلنا فعلنا وإذا عهدنا صدقنا وإن الله عز وجل سهل
لنا البعيد وهون علينا كل صعب شديد وحق بيعة أبي بكر
الصديق رضي الله عنه لئن دللتني على هرميس لأطلقن
سبيلك بلا فدية ولا مال ❁ فلما سمع العلج كلام
خالد بن الوليد قال يا فتى العرب قم من على صدري حتى أدلك
عليه فقام خالد بن الوليد عن صدر البطريق وقام العلج
ينظر يمينا وشمالا ثم قال لخالد أترى الخيل الصاعدة في العقبة
قال نعم قال اقصد كبكبة الخيل فإن هرميس فيها والصليب
على رأسه وعلى رأسه البيارق والأعلام فعند ذلك وكل
خالد بذلك العلج رجلا من زبيد اسمه أسد بن جابر وقال
يا أسد توكل بهذا العلج فتوكل به أسد بن جابر ثم إن خالدا

أطلق عنانه وقوم سنانه حتى اتصل بكبكبة الخيل وصاح بهم وقال لهم يا ويلكم ما لكم ما تلقون هذا الجمع القليل والله ما لكم من سيفي خلاص فلما سمع هرميس كلام خالد ظن أنه من بعض العرب فطمع فيه هرميس ووقفت البطارقة حوله وهم شاكون السلاح وبأيديهم السيوف والأعمدة فحمل فيهم خالد وقال لهم يا ويلكم أظننتم أن الله لا يبلغنا إياكم وأموالكم أنا الفارس الشديد أنا خالد بن الوليد ثم طعن منهم فارسا فأرداه وثانيا فأهواه وثالثا فجندله صريعا ورابعا فدمره وقيعا وخامسا فأعدمه فلما سمع هرميس كلامه وما فعل ببطارقته وأبطاله انتفض في سرجه وزعق بقومه وقال يا ويلكم هذا الذي أقلب الشام هذا صاحب أركة وتدمر وحوران هذا الذي فتح دمشق قهرا بالسيف دونكم وإياه فإن أخذتموه وملكتموه رجعت عنكم هؤلاء العرب وأخذتم بثار من قتل منكم وطمع الروم في خالد لانفراده عن أصحابه وكان المسلمون مشتغلين في قتال الروم ونهب أموالهم فعند ذلك ترجلت البطارقة حول خالد لأن الروم كانوا في جبل كثير الشجر والوعر وأحاطوا بخالد كما يحاط

بياض

بياض العين بسوادها فعند ذلك ترجل خالد عن جواده وأخذ سيفه وجحفته وصبر لقتالهم **قال الواقدي** حدثني عمرو ابن شريك عن سلمة بن نعيم عن زائد بن نوفل عن مروان بن حامد عن أبيه شداد بن أوس وكان ممن حضر الوقعة في مرج الديباج فقال ولقد ترجل خالد عن جواده فقال خالد لنفسه صحت رؤياك يا خالد وذلك بما طلبت من الشهادة وعلم أنه أخطأ بمسير المسلمين خلف الروم إلى أن دخل بهم إلى وسط الروم وما به أن يقتل وما به المسلمون يقتلون تحت رايته ولقد ذكرت الرواة رضي الله عنهم أن خالدا زحف بعد موت رسول الله صلى الله عليه وسلم اثنين وثلاثين زحفا كل زحف يطلب الشهادة فلم يرزقها **قال الواقدي** فلما كان ذلك اليوم وقد لحق هرميس في الجبل وترجلوا البطارقة ترجل خالد أيضا عن جواده وأقبل يقاتل الروم وكان عدتهم عشرين بطريقا من شجعان الروم وفرسانهم وأما هرميس فإنه يعد بمثلهم في الشجاعة فحمل خالد وهرميس وضرب هرميس خالدا وكان خالد مشتغلا معهم فوقعت ضربة هرميس على رأس خالد فقطع السيف

البيضة وانقطع السيف فخاف خالد أن يلتفت إلى ورائه
فتهجم عليه الأعلاج ❁ ثم جعل خالد يلتفت يمينًا وشمالًا
لينظر إلى أحد من أصحابه يأتيه وقد أيقن خالد بالهلاك
وإذا بزعقات أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قد
أخذت الروم من ورائهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم
وهم يضجون بالتكبير والتهليل وقائل يقول لا إله إلا الله
محمد رسول الله صلى الله على محمد يا أبا سليمان قد
أتاك الفرج بعد الضيق ❁ أنا عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق
فلما سمع خالد صوت عبد الرحمن لم يلتفت إليه ولا إلى من
معه فلما نظرت الروم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقد أقبلوا عليهم وقفوا ذات اليمين وذات الشمال
وأما هربيس فإنه ولّى هاربًا فلحقه خالد رضي الله عنه وضربه
ضربة على عاتقه طلع السيف يلمع من علائقه فانجدل صريعًا
وعجّل الله بروحه إلى النار ❁ وأما عبد الرحمن بن أبي بكر
الصديق هو وأصحابه قتلوا البطارقة وكان أكثر قتلًا
للروم ضرار بن الأزور فلما انكشفت الكربة عن خالد
ونظر الراية مع ضرار بن الأزور قال له خالد يا ضرار لقد

أفلح وجهك ولا زلت مباركًا في أفعالك ثم سلّم خالد على عبد
الرحمن وعلى المسلمين وقال من أعلمكم بمكاني ❁ قال عبد الرحمن
أيها الأمير بينما نحن في قتال الروم وقد ظفّرنا الله سبحانه وتعالى
بهم وهم ما بين قتيل وأسير والمسلمون قد انهمكوا في جمع
الغنائم وخالد قد أحاطت به الأعداء ❁ فلما سمعنا الصوت
لم ندر بأي مكان أنت إذ سمعنا صوت هاتف يهتف من
الهوى وهو يقول اشتغلتم بجمع الغنائم وخالد قد أحاطت
به الأعداء وقد فقدنا شخصك وأخذنا الغم من أجلك ❁ فدلنا
عليك علج مأسور في يد رجل من المسلمين ❁ وقال لنا إني
دللت صاحبكم خالدًا على هربيس وأنه معه في هذا الجبل
فأسرعنا إليك فقال خالد لقد دلنا على عدونا ودلكم
على نصرنا فوجب له الحق علينا ❁ ثم إن خالدًا هو
ومن معه جمعوا الأسلاب والغنائم وما كان معهم
فلما رجع خالد إلى مرج الديباج سلم عليه المسلمون وشكرهم
خالد على فعلهم ثم إن خالدًا ادّعى بالعلج الذي دله على
هربيس وقال له إنك وفيت لنا ونريد أن نوفي بما
وعدناك به فهل لك أن تكون من أهل الصيام والصلاة

ومن أمة محمد عليه أفضل الصلاة والسلام وتكون من أهل الجنة
فقال له العلج ما أريد بى بدلا فعند ذلك أطلقه خالد إلى حال
سبيله ❁ قال نوفل بن عمر فرأيته وقد استوى على ظهر جواده
ومضى يطلب بلاد الروم ثم إن خالدا رضى الله عنه أمر المسلمين
بجمع الغنائم والأسارى فجمع ذلك إليه فلما نظر خالد إلى
ذلك حمد الله تعالى وأثنى عليه وادعا خالد يونس الدليل
وقال له ما فعلت بزوجتك فحدثه بحديثها وما كان من
أمرها فتعجب خالد من ذلك ❁ قال رافع بن عميرة الطائى
رضى الله عنه أيها الأمير إن ابنة الملك هرقل قد أسرتها
وهى عندى فأمره خالد بإحضارها فلما مثلت بين يديه
ونظر خالد إلى حسنها وجمالها وما خصها الله به من الجمال
فصرف خالد وجهه عنها ❁ وقال سبحانك اللهم ربنا
وبحمدك تخلق ما تشاء وتختار ثم قال خالد يا يونس أتريد
أن تأخذها بدلا من زوجتك قال نعم أيها الأمير ولكن أعلم
أن الملك هرقل لا بد له أن يفديها بالأموال والرجال
فقال له خالد خذها إليك فإن لم يطلبها فهى لك وإن
طلبها فالله يعطيك خيرا منها قال يونس أيها الأمير إنك فى

مكان العدو ولا نأمن عليك فاعزم على الخروج قبل أن يلحقك
نفر من الروم ❁ فقال له خالد إن الله عز وجل معنا وهو لنا
حافظ وناصر وعطف خالد بالمسلمين راجعا إلى أبى عبيدة
والغنائم أمامه والمسلمون فرحون بالغنيمة والسلامة قال
الواقدى ولقد بلغنى ممن أثق به من الرواة رضى الله عنهم
أن المسلمين قطعوا الطريق كلها وما عارضهم أحد من
الروم كل ذلك بعون الله وبركة رسول الله صلى الله
عليه وسلم ❁ قال رافع بن عميرة الطائى رضى الله عنه
فلما وصلنا إلى مرج الصفر عند قنطرة أم حكيم إذ نظرت
إلى غبرة من ورائنا وتقسطل غبارها فلما عايناها أنكرنا
ذلك فأسرع رجل من المسلمين إلى خالد وقال أيها الأمير
انظر إلى هذه الغبرة التى أقبلت من ورائنا ❁ قال خالد
رضى الله عنه أيكم يأتينى بخبرها فبادر بالإجابة رجل
من بنى غفار يقال له صعصعة بن يزيد الغفارى فقال
أيها الأمير أنا أتيك بخبرها ثم نزل صعصعة عن جواده
مسرعا وكان يثق بجريانه فأسرع صعصعة وورد الغبرة
واختبرها ورجع على عقبه وهو ينادى أيها الأمير أدركنا

الصلبان ومن ورائها روم مصددون بالحديد فادعا خالد يونس
الدمشقي عند ما قاربته الخيل وقال له يا يونس اقصد نحو هذا الخيل
المقبلة إلينا وانظر ماذا يريدون قال السمع والطاعة ثم إن
يونس أسرع إلى أن قارب الخيل واختبرهم عن أمرهم ثم رجع يونس
إلى خالد وقال له أيها الأمير ألم أقل لك إن هرقل لا يغفل
عن طلب ابنته وقد نفد هذا الخيل حتى يأخذ هذه الغنيمة
من أيديكم فلم يلقوكم في مرج الديباج فلما لحقوك هاهنا
بعثوا إليك رسولا يستخبرك عن ابنة الملك هرقل إما بيع
وإما هدية فبينما خالد يتحدث مع يونس إذ أقبل إلى جيش
المسلمين شيخ كبير وعليه لباس المسوح فأقبل الشيخ حتى
وصل إلى المسلمين ❁ وقال إني رسول الملك إليكم
فأين عمدتكم وأميركم فأخذوه رجال من المسلمين وأوقفوه
بين يدي خالد بن الوليد فقال له خالد من أين أقبلت قال
إني رسول من عند الملك إليكم فقال له أين رسالتك قال
اعلم أن الملك هرقل يقول لك قد بلغني عنك أنك قتلت
رجالي وأفنيت أبطالي وقتلت زوج ابنتي وملكت أموالهم
وغنائمهم وقد ظفرت وسلمت ❁ ولا تفرط فتقع والآن

إما تبيعني ابنتي أو تهديها لي هدية فإن الكرم سيمتكم والوفا
عادتكم والله تعالى لا يرحم من لا يرحم ❁ وإنني أرجو من الله أن
يقع بيننا صلح فلما سمع خالد كلام الشيخ قال له قل لهرقل والله
لا رجعت حتى أملك ما تحت قدميك كما تجد في علمك وأما قولك
إنك أبقيت علينا فلو وجدت إلى ذلك سبيلا ما قصرت وأما
ابنتك فهي هدية منا إليك وأرجو أن تكون أنت مكانها ثم
إن خالدا أطلق إلى الراهب الجارية ابنة الملك هرقل ولم
يأخذ خالد منه فدية ولا مالا ❁ فلما رجع الرسول إلى
الملك هرقل قال له الملك هرقل هذا الذي أشرت به
عليكم فلم تقبلوا مني وأردتم قتلي ثم سيكون أعظم من ذلك
ولكن ليس هذا منكم بل هو من رب السماء فلما سمعت الروم
كلام الملك بكت بكاء شديدا **قال الواقدي** هذا
ما كان من أمر الروم وأما ما كان من خالد فإنه سار بالمسلمين
حتى أتى دمشق فخرج المسلمون إلى لقائه وهنوه بالسلامة
وسلم المسلمون بعضهم على بعض ووجد خالد بن الوليد في دمشق
عمرو بن معدي كرب الزبيدي ومالكا النخعي ومن
كان معهما فلما استقر بخالد المقام أخرج الخمس من

الغنيمة وفرّق الباقي على المسلمين ثمّ إنّ خالداً أعطى يونس من ماله مائة
دينار وقال له خذ هذا المال إليك وتزوّج به أو اشترِ به جارية
لك من بنات الروم ❁ فقال يونس والله لا تزوّجت في هذه
الدنيا زوجة أبداً إلّا أن يزوّجني الله في الجنّة من الحور العين
قال رافع بن عميرة الطائي رضي الله عنه فشهد يونس معنا القتال
إلى يوم وقعة اليرموك وما كنت أراه في حرب إلّا ويجاهد
فيها جهاداً حسناً فلمّا كان يوم وقعة اليرموك أتاه سهم من
سهام الروم فوقع في لبّته فخرّ ميّتاً رحمة الله عليه ❁ قال
رافع بن عميرة فحزنت عليه حزناً شديداً ونمت تلك الليلة
فرأيت في منامي أنّ عليه حللاً تلمع وفي رجليه نعلين من ذهب
وهو يجول في روضة خضراء فقلت له يا يونس ما فعل الله بك
قال غفر لي وأعطاني بدلاً من زوجتي سبعين حوريّة لو بدت
واحدة منهنّ إلى الدنيا لكسف نور وجهها ضوء الشمس والقمر
فجزاكم الله عنّي خيراً كما هديتموني إلى الإسلام
وبقيت من أمّة محمد عليه أفضل الصلاة والسلام ❁ قال
رافع بن عميرة فاستيقظت من منامي وقصصت الرؤيا على خالد
وعلى المسلمين فقال خالد لا يطلب أحد غير الموت على الشهادة

فطوبى لمن رزقها . **قال الواقدي** رحمة الله عليه ولقد بلغني
ممّن أثق بقوله أنّ خالداً لمّا رجع من سريّته غانماً مؤيّداً منصوراً
ظنّ أنّ الخليفة أبا بكر حيّ لم يُقبض فعزم على أن يكتب كتاباً إليه
يخبره بما فتح الله على المسلمين وما غنموا من غنيمة الروم ❁
وأبو عبيدة لم يخبره أنّ أبا بكر توفّي وأنّ عمر بن الخطّاب
تولّى الخلافة من بعده فدعا خالد بن الوليد بدواة وقرطاس
وكتب فيه بسم الله الرحمن الرحيم من خالد بن الوليد إلى
خليفة رسول الله صلّى الله عليه وسلّم سلام عليك فإنّي أحمد
الله الذي لا إله إلّا هو وأصلّي على نبيّه محمد صلّى الله عليه وسلّم
وذلك أنّ الله عزّ وجلّ قد فتح دمشق عنوةً بالسيف من الباب
الشرقي وكان أبو عبيدة على باب الجابية فخدعوه
الروم وصالحوه ومنعني أن أسفك الدم وأقتل ثمّ إنّ نحن
التقينا عند كنيسة يقال لها كنيسة مريم وأقام الرهبان
والقسوس أمامه ومعهم كتاب الصلح وإنّ صهر الملك توما
وبطريقاً آخر يقال له هربيس خرجا من مدينة دمشق بمال عظيم
فسرت خلفهم في عسكر الزحف إلى أن وصلت إليهم في مرج الديباج
وانتزعت النعمة من أيديهما وقتلت اللعينين توما وهربيس

وأسرت إبنة الملك هرقل وأهديتها إليه ورجعت سالما بمن معي من
المسلمين والسلام عليك وعلى من عندك من المسلمين ❁ ثم طوى الكتاب
وختمه وادعا بعبد الله بن قرط الأسدي رضي الله عنه فدفع إليه
الكتاب فأخذه وسار إلى مدينة يثرب فوردها والخليفة يومئذ
عمر بن الخطاب رضي الله عنه فسلم الكتاب إليه فلما قرأ عمر
عنوان الكتاب وإذا هو من خالد بن الوليد إلى أبي بكر الصديق قال
عبد الله بن قرط يا أمير المؤمنين ما عرف المسلمون ذلك قال
عمر بن الخطاب إنني وجهت بذلك كتابا إلى أبي عبيدة وإنني قد
وليته على جيوش المسلمين وعزلت خالد بن الوليد وما أظن
أن أبا عبيدة أراد الإمرة لنفسه ثم قرأ الكتاب قالوا أصحاب السير
ممن تقدم ذكرهم وأسانيدهم في أول الكتاب ممن رووا فتوح
الشام ونقلوه عن الثقات منهم محمد بن إسحق وسيف بن عمر وأبو
عبد الله محمد بن عمر الواقدي وكل واحد منهم حدث عن
فتوح الشام بما رآه وسمعه ❁ قالوا جميعا في أخبارهم
رضي الله عنهم إنه لما توفي أبو بكر الصديق رضي الله عنه
وتولى الأمر من بعده عمر بن الخطاب رضي الله عنه ❁ وله
من العمر إثنان وخمسون سنة ❁ فبايعوه المسلمون في

مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم بيعة تامة ولم يتخلف عن مبايعته
لا كبير ولا صغير وانقطع في أيام خلافته الشقاق والنفاق
وانخذل الباطل وقام الحق وقوي السلطان وضعف الشيطان
وظهر أمر الله وهم كارهون فكان من حسن خلق عمر
رضي الله عنه يجلس على الأرض ويتلطف بالمساكين ويرحم
الصغير ❁ ويوقر الشيخ الكبير ويتعطف على اليتيم وينصف
المظلوم من ظالمه حتى يؤدي الحق إلى مكانه ولا تأخذه
في الله لومة لائم ❁ وكان قوته في كل يوم خبز الشعير
وإدامه الملح الجريش وربما أكل خبزه بغير ملح ولا يريد
بذلك إلا الأجر والثواب من عند الله عز وجل ولا يشغله
شاغل عن أداء الفرائض وما أوجب الله عليه من سنن نبيه محمد
صلى الله عليه وسلم ❁ قالت عائشة رضي الله عنها ولقد تولى
عمر بن الخطاب الخلافة وترك نفسه غاية الترك ولقد كان
أحرقه أكل الشعير بالملح ويقول أكل الشعير بالملح علي
أهون من نار جهنم التي من دخل فيها فلم يمت ولا لأحد فيها
راحة أبدا ❁ قعرها بعيد وشرابها صديد جند عمر
في خلافته الجنود وبعث العساكر وفتح الفتوح ومصر الأمصار

وكان يخاف من عذاب النار **قال الواقدي** رحمة الله عليه
ولقد بلغني أن هرقل لما بلغه أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه تولى
الخلافة من بعد أبي بكر الصديق رضي الله عنه ۞ جمع
البطارقة والملوك والحجاب وأرباب دولته وقام فيهم كالخطيب
في كنيسة القسيان وقال يا بني الأصفر هذا الذي كنت
أحذركم منه فلم تسمعوا مني ولقد اشتد علينا الأمر بولاية
الرجل الأحور وقد دنت أيام فتوحه والله لا بد له أن يملك
ما تحت سريري هذا فالحذر الحذر قبل وقوع الضرر
وقلع الأثر وهدم القصور وقتل القسوس والرهبان وبطلان
الناقوس من هذا المكان يا قوم هذا صاحب الحرب
والجلبة على الروم والفرس هذا الزاهد في دينه هذا الفظ
الغليظ على غير من اتبع غير ملة صاحبه ۞ وإنني أرجوا
لكم النصر إن أمرتم بالمعروف ونهيتم عن المنكر
وتركتم المحال واتبعتم ما أمر به المسيح من أداء الفرائض
ولزوم الطاعات ۞ وإن أبيتم إلا الفساد والفسوق
والعصيان والركون إلى الشهوات في الدنيا سلط
الله عليكم عدوكم وأبلاكم به ولقد أعلم أن دينها ولا

العرب سيظهر على كل دين ولا يزالوا أمة محمد بخير ما لم يغيروا
ولا يبدلوا فإما أن ترجعوا إلى دينهم أو تصالحوا العرب على
أداء الجزية ۞ قال فلما سمع الروم ذلك من ملكهم هرقل ثاروا
عليه وهموا بقتله فسكن الملك غيظهم ولين لهم كلامه
ولاطفهم في الكلام وقال لهم إنما تكلمت بهذا الكلام
حتى أرى حميتكم على دينكم وإن كان خوف العرب قد تمكن من
قلوبكم أم لا ۞ ثم إن الملك هرقل ادعا برجل من العرب
المتنصرة اسمه طليقة بن مازن وضمن له جعلا وقال له انطلق
من وقتك هذا إلى يثرب واقتل لنا عمر بن الخطاب قال طليقة
سمعا وطاعة أيها الملك ثم إن طليقة تجهز وسار من وقته
حتى ورد مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم أكمن حولها
أياما ۞ وإذا بعمر بن الخطاب رضي الله عنه قد خرج من
المدينة يشرف على أموال الأيتام والأرامل ويفتقد حدائقهم
وحيطانهم فلما رأى المتنصر إلى عمر عرفه بزيه فقعد المتنصر
على شجرة كانت هناك واستتر بورقها وإذا بعمر بن الخطاب
قد أقبل إلى الشجرة التي عليها المتنصر فنام عمر تحتها وتوسد حجره
رضي الله عنه فلما نام عمر هم المتنصر أن ينزل إلى عمر فيقتله

فبينما المنتصر كذلك إذ أقبل إلى جانب الشجرة أسد عظيم
وقعد تحت رجلي عمر بن الخطاب وجعل الأسد يلحس تحت أقدامه
وإذا بهاتف يهتف ويقول يا عمر عدلت فأمنت ثم نمت فأمنت
فاستيقظ عمر وذهب الأسد ❁ فلما نظر المنتصر إلى ذلك
نزل من على الشجرة وقبل يدي عمر ورجليه وقال يا فتى من
الكائنات تحفظه والسباع تحرسه والملائكة توقظه ❁
والشياطين تفزع منه ❁ ثم إن المنتصر أعلم عمر بن الخطاب
بما كان منه وما قد عزم عليه ثم إن المنتصر أسلم على يد
عمر بن الخطاب وحسن إسلامه ففرح عمر بما ظهر من إسلام
المنتصر وسأله عن حاله فأخبر عمر أن الملك هرقل أرسله
ليقتله وكيف طلع الشجرة ومجيء الأسد وما رأى من الآية
والمعجزة ❁ فقال عمر إعلم يا هذا أن من أطاع الله عز وجل
أطاع الله له كل شيء وهذا كله ببركة رسول الله صلى الله عليه
وسلم ثم إن عمر سأله عن أخبار المسلمين فقال يا أمير المؤمنين
إن المسلمين قد فتحوا دمشق وقد ملكوا ما فيها ففرح عمر رضي الله
عنه بذلك **قال الواقدي** ثم إن عمر بن الخطاب
رضي الله عنه كتب كتابا إلى أبي عبيدة عامر بن الجراح يقول فيه

بسم الله الرحمن الرحيم من أمير المؤمنين عمر بن الخطاب إلى أبي عبيدة
عامر بن الجراح سلام عليك فإني أحمد الله الذي لا إله إلا هو ❁
وأصلي على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم **أما بعد**
إعلم أنني قد وليتك على جيوش المسلمين وأن تكون أميرا على
خالد بن الوليد والسلام وطوى الكتاب وبعثه إلى أبي
عبيدة مع عبد الله بن قرط وكان خالد بن الوليد غائبا
في سرية أهل دمشق خلف توما وهربيس لما تبعهم إلى مرج
الديباج **قال الواقدي** لما تولى عمر بن الخطاب الإمرية
وصرف همته إلى الشام **قال الواقدي** حدثني رافع بن
عميرة الطائي عن جده ❁ قال لما كانت الليلة التي مات
فيها أبو بكر الصديق رأى عبد الرحمن بن عوف رؤيا
فقصها على عمر بن الخطاب يوم فتح دمشق وإذا الرؤيا التي رآها
عبد الرحمن رآها عمر بن الخطاب تلك الليلة بعينها ❁ فقال
عبد الرحمن يا أمير المؤمنين إنني رأيت الليلة دمشق والمسلمون
حولها وكأنني أسمع تكبيرهم في أذني وعند تكبيرهم
وزحفهم إليها رأيت حصنها وقد ساخ في الأرض حتى لم أر منه
شيئا ورأيت خالدا وقد دخلها بالسيف وكان أمامه نار

ثم رأيت كأن ما وقع على النار فأطفأها وكان علي بن أبي
طالب حاضرا فلما سمع كلام عبد الرحمن بن عوف ❁ قال
علي أبشروا فإن دمشق قد فتحت يومكم هذا إن شاء الله تعالى
وبعد أيام قلائل قدم عقبة بن عامر الجهني صاحب
رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه كتاب الفتح ❁ فلما
قدم على عمر بن الخطاب قال له ما وراءك يا عقبة قلت الفتح
والبشارة وسأذكرها بين يدي أبي بكر الصديق قال عمر
قبض والله وسار إلى رب كريم وقد تقلدها عمر الضعيف
في جسمه فإن عدل عمر نجا وإن ترك أو فرط هلك ❁ قال
عقبة بن عامر فبكيت وترحمت على أبي بكر الصديق
رضي الله عنه وأخرجت الكتاب ودفعته إلى عمر بن الخطاب
فلما قرأه سرا كتم الأمر إلى وقت صلاة الجمعة ❁ فلما
خطب وصلى رقا المنبر واجتمع المسلمون إليه وقرأ عليهم
كتاب فتح دمشق وما غنمه المسلمون من الأموال فضج المسلمون
بالتكبير والتهليل وفرحوا ❁ ثم إن عمر بن الخطاب
نزل من على المنبر وكتب كتابا إلى أبي عبيدة أن يوليه على
جيوش المسلمين وأن يعزل خالدا وكان خالد في سريته

الروم خلف توما وهربيس فلما ورد الكتاب على أبي عبيدة لم
يعلم خالدا بذلك وقدم خالد من سريته مؤيدا منصورا وكتب
كتاب الفتح والبشارة باسم أبي بكر الصديق ولم يعلم أن أبا بكر
توفي ❁ ولم يعلم أيضا بولاية عمر بن الخطاب فلما ورد عبد الله
بن قرط بكتاب خالد بن الوليد وهو يظن أن أبا بكر بالحياة
ودفع الكتاب إلى عمر فلما قرأه من خالد إلى أبي بكر الصديق
أنكر عمر الأمر ورجعت سمرته إلى البياض ❁ وقال
يا ابن قرط ما علم المسلمون بموت أبي بكر الصديق ولا
بولايتي لأبي عبيدة فقال عبد الله يا أمير المؤمنين لو عرف
المسلمون أن أبا بكر توفي وأنك توليت الأمر ما كتبوا
عنوان الكتاب باسم أبي بكر فغضب عمر بن الخطاب من ذلك
ثم قام ورقا المنبر خطيبا وقرأ عليهم كتاب خالد بن الوليد
بما فتح الله على المسلمين من غنيمة مرج الديباج ❁ وضج
المسلمون بالفرح والسرور والدعاء لإخوانهم المسلمين
ثم قال عمر بن الخطاب معاشر المسلمين إني وليت
أبا عبيدة الرجال وقد رأيته لذلك أهلا ❁ وإنني
قد عزلت خالدا عن ولايته فقال رجل من بني مخزوم يا عمر

أتعزل رجلا شهر الله سيفه وقد جعله دامغا للمشركين وقد قيل
لأبي بكر إعزل خالدا فقال أبو بكر لا أعزل سيفا سله الله ونصر
به دينه وإن الله تعالى لا يعذرك في ذلك ولا المسلمون إن غمدت
سيف الله وعزلت أميرا أمره الله لقد قطعت الرحم وحسدت ابن العم
ثم سكت الرجل ❁ فنظر عمر ابن الخطاب إلى الرجل الذي تكلم
بهذا الكلام وإذا به من بني مخزوم وهو غلام حدث السن
فقال غلام حدث السن غضب لابن عمه ثم إن عمر نزل من على المنبر
ونام تلك الليلة فلما كان من الغد صلى عمر بالناس صلاة
الصبح ورقا المنبر فحمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي صلى الله عليه
وسلم ❁ ثم قال أيها الناس إني حملت الأمانة والأمانة
عظيمة وإني راع وكل راع مسؤول عن رعيته وقد حبب الله
إلي صلاحكم والنظر إلى معايشكم وما يقربكم إلى ربكم وأنا
وأنتم ومن حضر في ذمام الله عز وجل وفي كنف نبيه محمد
صلى الله عليه وسلم ❁ فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقول من صبر على بلائها وشدتها كنت له شفيعا يوم
القيامة وبلادكم هذه بلاد لا زرع فيها إلا ما يؤتى به
على الإبل من مسيرة شهر وقد وعدنا الله مغانم كثيرة وإني أريد

النصح للمسلمين وإني كرهت ولاية خالد على المسلمين لأن خالدا
رجل فيه تبذير للمال يعطي الشاعر إذا امتدحه حق مدحه ويعطي الرجل
أكثر من حقه إذا جاهد بين يديه ولا يبقي من ذلك لضعفاء
المسلمين شيئا وإني قد عزلت خالدا ووليت أبا عبيدة والله يعلم
أني قد وليت أمينا ❁ ولا يقول قائلكم قد عزل عمر الرجل
الشديد وولى الرجل الأمين اللين فإن الله معه يعينه ثم
نزل عمر بن الخطاب من على المنبر وأخذ جلدا من أديم مبشور ❁
وكتب إلى أبي عبيدة كتابا يقول فيه بسم الله الرحمن الرحيم
من عبد الله عمر بن الخطاب أمير المؤمنين إلى أبي عبيدة عامر بن
الجراح سلام عليك فإني أحمد الله الذي لا إله إلا هو وأصلي
على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وقد وليتك أمير المؤمنين
فلا تستحي فإن الله لا يستحي من الحق ❁ وإنني أوصيك بتقوى
الله العظيم الذي لا يفنى ويفنى ما سواه الذي استخرجك
من الكفر إلى الإيمان ومن الضلالة إلى الهدى وقد
وليتك على جيش خالد فاقبض الجيش منه ولا تنفذ المسلمين إلى
الهلكة رجاء غنيمة ولا تبعث سرية إلى جمع كثير ولا تقولوا
إنكم تصيبون في كل مرة ❁ وإياك والتغرير وإلقاء المسلمين

إلى الهلكة وغض عن الدنيا عينك وأله عنها قلبك وإياك
أن تهلكك كما أهلكت غيرك فقد رأيت مصارعهم وأخبرت سرائرهم
وبينك وبين الآخرة بيت كالحمام وقد تقدم إليها سلفك
فتنظر سرا وسفرا طويلا من دار قد مضت نضارتها وذهبت
منها زهارتها فاتق الله في سرك ونجواك وتفكر في
زاد التقوى وراع المسلمين ما استطعت وأما الحنطة والشعير
الذي وجدتموه في دمشق وكثرت مشاجرتكم عليه فهو
للمسلمين وأما الذهب والفضة ففيهما الخمس والسلام وأما
اختصامك أنت وخالد على الفتح فالفتح بالصلح لا بالقتال
لأنك أنت الوالي وصاحب الأمر وإن كان صلحك جرا
على الحنطة والشعير فسلمه لهم والسلام عليك وعلى من معك
من المسلمين ورحمة الله وبركاته ثم زاد في الكتاب
يقول وأما سيرك يا خالد خلف الروم إلى مرج الديباج فإنه
غرر بالمسلمين وأما ابنة الملك هرقل وهديتها إلى أبيها
بعد أسرها فإنك قد ظفرت في ذلك وكنت تأخذ لها
مالا كبيرا يرجع نفعه إلى المسلمين والسلام وطوى
الكتاب وختمه بخاتمه وادعا بعامر بن أبي وقاص أخي سعد

رضي الله عنه فدفع إليه الكتاب وقال له انطلق إلى دمشق وسلم
كتابي هذا إلى خالد بن الوليد وأمره أن يجمع الناس إليه وأخبره
بموت أبي بكر الصديق وقل له يقرأ الكتاب على المسلمين وادعا
عمر بن الخطاب برجل من الصحابة يقال له عمر بن شداد بن أوس
فصافحه وقال له انطلق أنت وعامر إلى الشام فإذا قرأ
عامر الكتاب أمر الناس أن يبايعوك فتكون بيعتك كبيعتي
قال الواقدي فانطلقا صاحبا عمر يجدان في السير حتى
وردا دمشق والمسلمون عليها مقيمون منتظرون بأن تأتيهم
خبر من عند أبي بكر الصديق وما يأمرهم به إذ أشرفا
صاحبا عمر على المسلمين فلما نظر إليهم المسلمون طالت أعناق
المسلمين إليهم وفرحوا بهم وسلموا عليهم وأقبلوا حتى نزلوا
في خيمة خالد وسلموا عليه فقال لهم خالد كيف تركتم
خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له عامر
ابن أبي وقاص تركته بخير وعني عن عمر بن الخطاب
وإن معي كتابه وقد أمرك أن تقرأه على الناس فأمرهم أيها
الأمير بالاجتماع فلما سمع خالد ذلك استنكر
واستراب الأمر فأمر خالد بجمع المسلمين فلما اجتمعوا قام

عامر بن أبي وقاص على قدميه وقرأ عليهم الكتاب فلما انتهى إلى وفاة
أبي بكر الصديق ارتفع من المسلمين الصياح والبكا والنحيب
ووقع بينهم ضجة عظيمة وبكا خالد بكا شديدا وقال إن كان
أبو بكر قبضه الله إليه واستخلف من بعده عمر فالسمع والطاعة لله
ولرسوله فلما قرأ عامر الكتاب على المسلمين قام المسلمون إلى
صاحبه شداد بن أوس وبايعوه فكانت بيعته بدمشق
ثلاث ليال خلت من شهر شعبان سنة ثلاث عشرة من الهجرة
قال الواقدي وتسلم أبو عبيدة الجيش من خالد بن الوليد
فظن أبو عبيدة أن خالد بن الوليد سيعظم عليه الأمر وإنه
يقصر في طلب الروم ويهون في أمرهم قال الواقدي
ولقد بلغني أن خالدا كان أشد جهادا على الروم أكثر
ما كان في أيام إمارته وهذا ما انتهى من سرية مرج الديباج

ذكر وقعة حصن أبي القدس

وما جرا فيه لأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من الحرب
والقتال رضي الله عنهم أجمعين قال الواقدي رحمة الله
عليه سألت من حدثني بحديث أبي القدس أين يكون
موضعه من الشام فقال حصن أبي القدس ما بين غزة

وطرابلس وكان بإزائه دير فيه صومعة فيها راهب عالم
بدين النصرانية وقد قرأ الكتب السالفة والأخبار الماضية
وكان كبار الروم يقصدون إليه والقسوس ويقتبسون من
علمه وكان له من العمر مائة سنة وكان يقوم عند
ديره عيد عند آخر صيام الروم فيأتون إليه ويجتمعون
حوله فيطلع الراهب من طاقة ويشرف عليهم فيعظهم ويوصيهم
من وصايا الإنجيل وكان يقوم عند الدير سوق عظيم
من السنة إلى السنة ويحمل من السوق في هذا اليوم مال عظيم
ويقوم فيه البيع والشرا وتأتي إليه التجار من جميع الأرض
والبلاد ويقيمون على ذلك سبعة أيام وكان المسلمون لم
يعلموا بذلك السوق حتى دلهم عليه رجل من نصارى الشام
المعاهدين كان أبو عبيدة قد اصطنعه وأمنه هو وأهله
فلما تولى أبو عبيدة أمر المسلمين أراد ذلك المعاهد أن
يتقرب إلى أبي عبيدة بفتح الدير والسوق على يده وأبو عبيدة
قد أطال الفكر فيما يصنع وأي بلاد من بلاد الروم يقصدها
فمرة يقول أسير الجيش إلى بيت المقدس ومرة يقول أسير
الجيش إلى أنطاكية واقصد هرقل فبينما هو يفكر في

أمره وقد جمع المسلمين إلى المشورة إذ أقبل إليه المعاهدي وكان
من متنصرة الشام فقال أيها الأمير إنك قد أحسنت إلي فيما
خصصتني به من أمانك لي ولأهلي ❁ وقد أتيتك ببشارة
أسر بها قلبك وغنيمة تغنمها المسلمون ❁ ساقها الله إليهم
فإن ظفرهم الله بها استغنوا غنا لا فقر بعده قال
الواقدي فلما سمع أبو عبيدة قوله قال له أخبرنا ما
هذه الغنيمة وأين تكون فما علمتك إلا ناصحا لنا فقال له المعاهدي
أيها الأمير إن بإزائك على الساحل حصنا يعرف بأبي القدس
وبإزائه دير فيه راهب تعظمه أهل دين النصرانية ويتبركون
به وبدعائه ويقتبسون من علمه وله في كل سنة عيد ❁
يجتمعون فيه النصارى وغيرهم من جميع النواحي ❁ ويقوم
عنده سوق عظيم تظهر فيه أفخر الثياب من الديباج والخز
والحرير وغيره من الذهب والفضة فيبيعون ويشترون سبعة
أيام ثم ينصرفون ❁ وقد قرب العيد وقيام السوق فإن
❁ سيرت إليه سرية يكون فيها رجال من أبطال المسلمين ❁
يكبسون ذلك السوق ويأخذون جميع ما فيه ويقتلون
الرجال ويسبون النساء لكانت غنيمة يفرح بها

المسلمون

المسلمون فلما سمع ذلك أبو عبيدة فرح به فرحا عظيما
وقال للمعاهدي وكم يكون بيننا وبين هذا الدير قال
عشر فراسخ مسيرة يوم للفارس المجد ❁ قال أبو عبيدة
وكم بقي لقيام السوق قال المعاهدي أيام قلائل
قال أبو عبيدة وهل يكون للروم فيه حامية أو نجدة
تصد عنهم قال لا ❁ فلما سمع ذلك أبو عبيدة من المعاهدي
قال هل بالقرب من الدير مدينة من مدن الشام قال نعم
أيها الأمير بالقرب من الدير مدينة يقال لها طرابلس
وهي فرضة الشام وإليها تقدم المراكب من كل مكان
وفيها بطريق عظيم كثير التجبر قد أقطعه الملك
إياها من تجبره ولا يحضر السوق ولا كنت أعهد أن
يكون للسوق حامية أبدا ❁ ثم إن أبا عبيدة قال معاشر
المسلمين أيكم ينطلق إلى هذا الدير ويأخذ معه جيشا
أسيره معه ويكون ذلك خيرا زائدا للمسلمين فسكتت
الناس ولم يتكلم أحد فنادا ثانية وإنما أراد بقوله
خالد بن الوليد لأنه استحيا أن يواجه خالدا بذلك
الكلام فسكت خالد ولم يتكلم فقام من بين الناس

شابٌ كما نبتت عارضه واخضر شاربه وكان ذلك الشاب عبد الله
ابن جعفر بن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت أمه أسماء
بنت عميس بنت عمير الخثعمية وكان جعفر رضي الله عنه قد مات
في غزاة تبوك وقطعت يداه وخلف ولده عبد الله فتزوج أمه
أبو بكر الصديق وكفل عبد الله فلما كبر عبد الله وترعرع
كان يقول لأمه يا أماه ما فعل الله بأبي ❁ قالت
له أمه يا بني قتلته الروم في وقعة تبوك فكان عبد الله يقول والله
إن عشت لأخذت بثاره فلما مات أبو بكر الصديق رضي الله
عنه وتولى من بعده الخلافة عمر بن الخطاب بعث عبد الله بن
جعفر مع عبد الله بن أنيس الجهني وكان في عبد الله بن جعفر
مشابهة من رسول الله صلى الله عليه وسلم في خلقته وخلقه فلما كان
ذلك اليوم قال أيها الناس أيكم ينطلق إلى هذا الدير فوثب
عبد الله بن جعفر وقال يا أمين الأمة أنا أول من يسير مع من تبعثه
ففرح أبو عبيدة بقيامه وجعل يندب معه رجالاً من المسلمين
وفرساناً من الموحدين ❁ وقال الآن أنت الأمير عليهم يا بن
عم رسول الله صلى الله عليه وسلم فعند ذلك عقد أبو عبيدة راية
سوداء مكتوب عليها ببياض لا إله إلا الله محمد رسول الله

ثم سلمها إلى عبد الله بن جعفر وكانت الخيل التي ضمها أبو عبيدة
إلى عبد الله بن جعفر خمسمائة فارس منهم رجال من أهل بدر
أبو ذر الغفاري وعبد الله بن أبي وقاص وعامر بن ربيعة وعبد الله
ابن أنيس الجهني ❁ وعبد الله بن ثعلبة وعقبة بن عبد الله السلمي
وواثلة بن الأسقع بن صعصعة ومحمد بن الربيع وعمر بن سراقة
ابن النعمان وكان ممن شهد بدراً والناعرة بن حرملة ونامي
ابن معاذ وجابر بن مسروق وكل هؤلاء ممن شهدوا بدراً
وجاهدوا أمام رسول الله صلى الله عليه وسلم **قال
الواقدي** فلما اجتمعوا الخمسمائة فارس تحت راية
عبد الله بن جعفر ما منهم إلا من شهد الوقايع وخاض المعامع
لا يولون الأدبار ولا يركنون إلى الفرار ❁ فلما عولوا
على المسير قال أبو عبيدة لعبد الله بن جعفر يا بن عم رسول الله صلى الله
عليه وسلم لا تقدم على القوم إلا في أول يوم من قيام السوق
ثم ودعهم أبو عبيدة وساروا **قال الواقدي** أخبرني
واثلة بن الأسقع قال كنت في سرية عبد الله بن جعفر
وكان خروجنا من دمشق إلى دير أبي القدس في ليلة
النصف من شعبان والقمر زايد النور ❁ وكان إلى

جاءني عبد الله بن جعفر فقال يا ابن الأسقع ما أضوأ قمر هذه الليلة
قلت يا ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه ليلة النصف من شعبان
وهي ليلة عظيمة فقال أجل هذه الليلة التي تكتب فيها الآجال
والأرزاق وتغفر فيها الذنوب ولقد كنت أريد أن أقومها
فقلت إن سيرنا أحق من مقامنا والله جزيل العطا قال واثلة بن
الأسقع فسرنا ليلتنا إلى الصباح فأصبح ذلك المعاهدي بنا على
جبل عظيم فبينما نحن نسير إذ أشرفنا على صومعة راهب وهي
عن يميننا فعدل عبد الله بن جعفر نحو الصومعة وعدلنا معه
فاطلع علينا الراهب من صومعته وعليه برنس أسود فجعل الراهب
ينظر إلينا ويتفقدنا واحدا واحدا ثم جعل يطيل النظر في
وجه عبد الله بن جعفر ثم قال الراهب هذا الفتى الذي معكم هو
ابن نبيكم محمد قلنا له لا قال الراهب إن نور النبوة يلوح
في وجهه وبين عينيه فهل يلحق به قلنا نعم هو ابن عمه فقال
الراهب هذه الورقة من الشجرة فقال له عبد الله بن
جعفر أيها الراهب هل تعرف محمدا قال وكيف لا أعرفه
واسمه مكتوب في التوراة والإنجيل والزبور إنه صاحب
الجمل الأحمر والسيف المشهر فقال له عبد الله أيها الراهب

فهل لا تؤمن به وتصدق برسالته فرفع يديه إلى السما وقال حتى يشا الله
قال عبد الله بن جعفر فعجبنا من كلامه وسرنا والدليل بين أيدينا
إلى أن أتى بنا إلى واد كثير الأشجار والماء وأمرنا أن نكمن فيه
قال له عبد الله بن جعفر أسرع في سيرك وأتنا بالخبر فانطلق المعاهدي
مسرعا وأقام عبد الله بن جعفر في ذلك الوادي قال واثلة بن
الأسقع فأصلحنا زادنا وأكلنا فلما مضى من الليل نصفه قام
عبد الله بن جعفر يحرس المسلمين بنفسه إلى الصباح فلما أصبحنا صلى بنا
عبد الله بن جعفر صلاة الصبح وجلسنا ننتظر الرسول فأبطأ عنا
خبره فقلق المسلمون لاحتباسه وخافوا من المكيدة ووسوس لهم
الشيطان وساءت بالمسلمين الظنون فما من المسلمين إلا من ظن بالمعاهدي
شرا إلا أبا ذر الغفاري رضي الله عنه فإنه قال يا قوم ظنوا
بصاحبكم خيرا ولا تخافوا من مكيدة ولا مكر وإن له شأنا تعلمونه
فبينما هم كذلك وإذا بالدليل قد أقبل قال واثلة بن
الأسقع فلما رأيناه فرحنا فرحا شديدا وظننا أنه يأمرنا بالنهوض
إلى عدونا فأقبل المعاهدي حتى وقف بين المسلمين وقال
يا أصحاب محمد وحق المسيح إني لم أغشكم فيما أحدثكم به وإني
أرجو لكم الغنيمة وقد حال بينكم وبينها نحر عجاج

متلاطم بالأمواج وذلك اني أشرفت على السوق وقد قام فيه
البيع والشرا واجتمع إليه اهل دين النصرانية وقد دار اكثرهم
بدير ابي القدس فاجتمعت إليه الأقسة والرهبان والملوك
والبطارقة فلما نظرت إلى ذلك لم أرجع إليكم حتى اختبرت
ما السبب الذي جمعهم هناك فمضيت واختلطت بالروم وإذا
بصاحب طرابلس قد زوج ابنته لملك من ملوك الروم وقد
أتوا بها إلى دير ابي القدس ليأخذ والها صنما ويقربوها
إلى الأصنام وقد دار بها فرسان الروم والمتنصرة في عددهم
وعددهم كل ذلك خوفا منكم يا معاشر العرب وما لكم صبر أن
تسيروا إليهم لأن لهم خلق كثير قال عبد الله بن جعفر
وفي كم يكون القوم قال المعاهدي أما السوق ففيه أكثر من
عشرين ألفا من عوام الروم والنصارى والأرمن ومن تنصر
من اليهود ومن البطارقة والعرب المتنصرة المستعدين للحرب
والقتال خمسة آلاف فارس وما لكم بالقوم طاقة فلما سمع
المسلمون ذلك صعب عليهم وسقط ما في أيديهم وهموا بالرجوع
فقال لهم عبد الله بن جعفر معاشر المسلمين ما تقولون في هذا
الأمر قالوا إننا لا نلقي بأيدينا إلى التهلكة كما أمرنا ربنا في كتابه

العزيز إذ يقول وهو أصدق القائلين ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة
والرأي عندنا أن نرجع إلى الأمير أبي عبيدة عامر بن الجراح
قال الواقدي فلما سمع المسلمون كلام بعضهم بعضا قال
لهم عبد الله بن جعفر يا قوم أما أنا فإني أخاف أن لا يكتبني الله
من الفائزين ولا أرجع بلا عذر فمن يساعدني فأجره على الله ومن
رجع فلا عتب عليه فلما سمع المسلمون ذلك من كلام
عبد الله بن جعفر استحيوا منه وأجابوه بأجمعهم وقالوا له افعل ما
تريد فما ينفع حذر من قدر ففرح عبد الله بن جعفر بإجابتهم ثم
عمد إلى درعه فلبسها وركب على رأسه البيضا وشد وسطه
بمنطقته وتقلد بسيفه واستوى على ظهر جواده وأخذ الراية
بيده وأمر المسلمين بلبس السلاح فلبسوا دروعهم وأخذوا أسلحتهم
وركبوا خيولهم وقال للدليل سر بنا نحو القوم نستعين من
أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عجبا قال واثلة بن
الأسقع فرأيت الدليل قد اصفر لونه وتغير كونه وقال
سيروا أنتم فما علي حرج فيمن قتل منكم قال أبو ذر الغفاري
فرأيت عبد الله بن جعفر وهو يتلطف به حتى سار بين يديه فما
سار غير ساعة ثم وقف وقال امسكوا عليكم فإنكم قد قربتم من القوم

فكونوا في أماكنكم حتى يأتي وقت السحر ثم اهجموا عليهم وهم
على غفلة ❁ قال واثلة بن الأسقع فبينما نحن حيث أمرنا الدليل
ونحن نطلب النصر من الله عز وجل على الأعداء ❁ فلما كان
وقت السحر صلى بنا عبد الله بن جعفر صلاة الصبح فلما فرغ من
صلاته قال معاشر المسلمين ما ترون في الغارة عليهم في هذا
الوقت ❁ قال عامر بن ربيعة أنا أدلكم على ما تصنعون قالوا
قل ما عندك قال أتركوهم إلى وقت بيعهم وشرائهم وإظهار
أمتعتهم ثم اكبسوا عليهم على حين غفلة فصوبوا الناس رأيه وصبر
المسلمون إلى وقت قيام السوق ثم أظهروا السيوف من أغمادها
وأوتروا القسي وقوموا الأسنة وعبد الله بن جعفر أمامهم
والراية في يده ❁ فلما طلعت عليهم الشمس عمد عبد الله بن
جعفر إلى المسلمين فجعلهم خمس كراديس في كل كردوس
مائة فارس وجعل على كل فرقة نقيبا وقال يأخذ كل مائة
فارس نقيبا وكل فرقة جهة من الجهات التي للسوق ولا تشتغلوا
بنهب ولا غنيمة ولكن ضعوا السيف في المفارق وتقدم
عبد الله بن جعفر في مائة فارس وطلع على الروم فرآهم
منفرشين في الأرض كأنهم جراد منتشر لكثرتهم وقد

أحدقوا بدير الراهب ❁ وقد أخرج الراهب رأسه من صومعته وهو
يعظهم ويوصيهم ويعلمهم معالم كثيرة من كفرهم وقتالهم وهم
له شاخصون وإلى كلامه ناصتون وابنة البطريق صاحب
طرابلس في الدير والبطارقة والملوك والروم من حول الدير
عليهم الديباج المنسوج بالذهب ومن تحت ذلك دروع وزرد
وهم منتظرون ابنة البطريق تخرج إليهم وقد لبسوا من
الحذر جلبابا من خوفهم من العرب **قال الواقدي**
فلما نظر عبد الله بن جعفر إلى الدير ومن أحدق به وإلى ❁
الراهب وما حوله هاله ذلك إلا أنه استعان بالله عز وجل
وصاح بأصحابه ❁ وقال يا أصحاب رسول الله صلى الله عليه
وسلم احملوا على أعداء الله وإن كان غنيمة وفتحا وسلامة
فاجتماعنا تحت صومعة الراهب وإن كان غير ذلك
فميعادنا الجنة نلتقي عند حوض ابن عمي رسول الله صلى الله عليه
وسلم ❁ ثم إن عبد الله بن جعفر هز الراية وحمل على المشركين
والمائة فارس محدقون به وقد حملوا الحملة وفيهم أهل
الفدية من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وحملت
المسلمون من ورائه ❁ فلما سمعت المشركون أصوات المسلمين

وقد رفعوا أصواتهم بالتهليل والتكبير تيقنوا أن جيوش المسلمين قد
أدركتهم وكان الروم لذلك منتظرين ❁ وأما أهل السوق
فإنهم بادروا إلى أسلحتهم فلبسوها ومنعوا عن أنفسهم وعن أموالهم
وثار الغبار وانعطف المسلمون إلى قتال الروم عطفة الأسد
الفروس وطلب الروم صاحب الراية ولم يكن مع المسلمين راية
غيرها فأحدقوا الروم بالراية من كل جانب ومكان وقام الحرب
على ساق وعملت السيوف الرقاق والرماح الدقاق وثار
الغبار وانعقد قسطلا ❁ وأحدق الروم بالمسلمين كإحداق
بياض العين بسوادها وما كانوا أصحاب عبد الله بن جعفر
يعرفون بعضهم بعضا إلا بالتكبير وكل واحد منهم مشتغل
بنفسه عن غيره ❁ قال أبو بشر بن تميم بن عبد العزى بن
قيس وكان من التابعين المقدمين بإيمانهم في الإسلام
وصاحب الهجرتين شهد قتال الحبشة مع جعفر بن أبي طالب
وشهد المشاهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد شهد
بدرا وخيبرا ❁ قال أبو بشير بن تميم فلما توفي رسول الله
صلى الله عليه وسلم حزنت عليه حزنا شديدا ولم أستطع أن
أقيم بالمدينة لشدة حزني عليه فخرجت إلى مكة فأقمت بها

فنمت فرأيت في منامي قائلا يقول لي يا بشير يا بن تميم تخلف عن
الجهاد في طاعة رب العباد فانتبهت من منامي وخرجت إلى
الشام أطلب الجهاد في طاعة الله ورضا رسول الله صلى الله عليه
وسلم وكان معي زوجتي أم كلثوم ابنة سهل بن عمرو العامري
فقدمت إلى الشام وشهدت وقعة أجنادين وسرية خالد خلف
توما وهربيس إلى مرج الديباج ❁ وشهدت سرية عبد الله
ابن جعفر إلى دير أبي القدس فأنستني تلك الوقعة
جميع ما شهدته من الوقايع مع رسول الله صلى الله عليه
وسلم وكانت وقعة عظيمة ❁ قال بشير بن تميم وذلك
أني نظرت إلى الروم وقد حملنا عليهم وهم في كثرة
عظيمة وعدد كثير إذ نظرت إلى المسلمين وقد غابوا في
أوساطهم ❁ ولم بقيت أسمع إلا أصواتهم تارة بعد تارة
إذ نظرت إلى الراية في يد عبد الله بن جعفر ففرحت لما
نظرتها وعبد الله بن جعفر يقاتل قتال الموت ولا رأيت في
عمري مجاهدا مثله على صغر سنه ولم يزل الحرب كلما
طال مكثها تشبت ضرامها وعلا قتامها والتهب نارها إلى
أن صار عبد الله بن جعفر هو وأصحابه في وسط الروم وداروا

بهم الروم كالحلقة الدائرة فجعلت كلما حمل عبد الله يمينا
أحمل يمينا ❁ وكلما حمل شما لا أحمل شما لا حتى كلت منا
السواعد وأخذنا الإنبهار وخذلت منا المناكب وعظم علينا
الأمر وعازنا الصبر وولى النهار وانثلم سيف عبد الله بن
جعفر من يده وكاد أن يقف فرسه من تحته فالتجا عبد الله
بأصحابه إلى موضع ليجمع أصحابه إليه ❁ فلما نظر المسلمون ❁
إلى الراية قصدوها وما منهم إلا من هو مجروح من المسلمين
فضاق بعبد الله ذرعه وما نزل بأصحابه فالتجا إلى الله سبحانه
وتعالى أمره وفوض إلى صاحب السرائر حاله ورفع يده إلى
السماء ❁ وقال في دعائه يا من خلق الخلق فأحسن ما خلق وابلا
بعضهم ببعض وجعل ذلك محنة لهم أسألك بجاه محمد صلى الله
عليه وسلم إلا جعلت لنا من أمرنا فرجا ومخرجا ❁ قال
بشير بن تميم فلما فرغ دعاءه عاد إلى القتال وأصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقاتلون تحت رايته فلله در أبي ذر الغفاري
فإنه نصر ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك اليوم
وجاهد بين يديه ❁ قال عمر بن ساعدة رضي الله عنه فلقد
رأيت أبا ذر الغفاري مع كبر سنه وهو يضرب في الروم

بسيفه ويلتجي إلى قومه ويذكر عند حملاته اسمه ويقول
أنا جندب بن جنادة أبو ذر الغفاري والمسلمون يقولون كقوله
إلى أن بلغت القلوب الحناجر وظن المسلمون رضي الله عنهم أن
ذلك الموضع فيه قبورهم قال الواقدي حدثني
عبد الله بن أنيس الجهني قال كنت أحب جعفرا وأحب من
أولاده عبد الله ❁ قال ابن أنيس فلما توفي أبو بكر الصديق
نظر عبد الله إلى أمه أسماء بنت عميس وهي حزينة القلب
فكره عبد الله أن ينظر إليها وهي في ذلك الحزن وكان أبو
بكر الصديق مقامه عند عبد الله كمقام أبيه جعفر وقال له
يا أمير المؤمنين أتأذن لي أن أسير إلى الشام فأكون بها مجاهدا
فأذن له بالمسير فسار مع ابن أنيس الجهني ❁ فودع ابن عمه
علي بن أبي طالب رضي الله عنه وأمير المؤمنين وسار مع ابن أنيس
هو وجماعة من المسلمين ❁ قال ابن أنيس فسرنا نريد الشام
ومعنا عشرون فارسا من اليمن ومن الأزد حتى قدمنا تبوك
فقال يا ابن أنيس أتعرف موضع قتل أبي جعفر فيه فقلت نعم
قال عبد الله اشتهي أن أرى الموضع الذي قتل فيه قال ابن أنيس
فأريته موضع الوقعة وقبر أبيه جعفر فلما نظر عبد الله

إلى قبر أبيه تراما عليه وبكا بكا شديدا ثم ترحم عليه قال ابن أنيس
فأقمنا على قبر أبيه إلى صبحة اليوم الثاني فلما رحلنا رأيت
عبد الله بن جعفر يبكي ووجهه مثل الزعفران فسألته عن حاله
فقال رأيت أبي جعفرا في المنام في هذه الليلة وعليه حلتان
خضراوتان وجناحان وبيده سيف مشهور فسلمه إلي وقال
يا بني قاتل بهذا السيف أعداءك فما وصلت إلى ما ترى إلا
بالجهاد وكأني أقاتل بالسيف حتى يتثلم ۞ قال ابن
أنيس وسرنا حتى انتهينا إلى عسكر أبي عبيدة بدمشق فبعثه
أبو عبيدة أميرا على تلك السرية إلى دير أبي القدس قال
ابن أنيس فلما رأيت تلك الوقعة بينه وبين الروم قلت يوشك
أن يصاب عبد الله بن جعفر ۞ فخرجت من وسط عسكر المسلمين
وأسرعت كالبرق حتى أتيت عسكر أبي عبيدة فلما رآني
قال البشارة يا ابن أنيس أم لا ۞ قلت أيها الأمير نفر المسلمين
لنصرة عبد الله بن جعفر ومن معه ثم حدثته بالوقعة فقال
أبو عبيدة إنا لله وإنا إليه راجعون إن أصيب عبد الله بن
جعفر تحت رايتك يا أبا عبيدة وهي أول راية في إمارتك ثم
التفت أبو عبيدة إلى خالد بن الوليد وقال يا أبا سليمان

سألتك بالله أنت لها فقال خالد بن الوليد إني والله ما كنت
أنتظر إلا أن تأمرني ۞ فقال له أبو عبيدة استحييت منك يا أبا
سليمان فقال خالد إعلم أنه لو أمر علي عمر بن الخطاب طفلا لسمعت
له وأطعت فكيف أخالفك وأنت أقدم مني إيمانا وأسبق إسلاما
سبقت بإسلامك مع السابقين وسارعت بإيمانك مع المسارعين
وسماك رسول الله صلى الله عليه وسلم بالأمين فكيف
أسبقك وأنال درجتك والآن أشهدك على أنني قد جعلت نفسي
حبسا في سبيل الله عز وجل ووالله لا وليت إمارة بعدها فقال له
أبو عبيدة أنت أخونا وصاحبنا ووالله لا قطعت أمرا إلا بمشورتك
والآن الحق إخوانك يا أبا سليمان ۞ فوثب خالد كأنه
الأسد وسارع إلى خيمته وأفرغ عليه درع مسيلمة الذي
استلبه منه يوم اليمامة والتها ببيضة على رأسه ثم أزد لها
بقلنسوة وتقلد بحسامه وانتصب في سرجه كأنه قد نفر
منه ونادى يا آل جيش الزحف هلموا إلى ضرب السيوف
فأجابوه رضي الله عنهم مسرعين كأنهم العقبان وتبادروا إلى
الجهاد في طاعة الرحمن وأخذ خالد معه عبد الله بن أنيس الجهني
يدلهم على الطريق ۞ قال رافع بن عميرة الطائي رضي الله عنهم

وكنت يومئذ في خيل خالد فلم نزل نجد السير والله عز وجل
قد طوى لنا البعيد فلما كان عند غروب الشمس أشرفنا على دير
أبي القدس والروم كالجراد المنتشر وقد غرق المسلمون في
كثرتهم والحرب واقع فقال خالد يا ابن أنيس في أي موضع
أطلب ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت إنه قال
إن نصرنا الله فموعدنا دير الراهب وإن قتلنا فموعدنا الجنة
فنظر خالد نحو الدير فرأى الراية الإسلامية وهي بيد عبد الله
ابن جعفر وما من المسلمين إلا من أصيب بجرح أو ثلاث جروح
وقد أيسوا من الحياة الفانية وطمعوا في الحياة الباقية
وعبد الله بن جعفر يقول لأصحابه دونكم والمشركين
وجاهدوا وارضوا رب العالمين واعلموا أنه قد تجلى عليكم
أرحم الراحمين فلما نظر خالد إلى صبر المسلمين وتجلدهم
على الحرب والقتال لم يطق الصبر دون أن هز خالد رايته
وصاح بقومه دونكم والقوم القباح وارووا من دمائهم
الصفاح وأبشروا بالفوز والنجاح يا أهل حي على الفلاح
قال الواقدي فبينما أصحاب عبد الله بن جعفر في أضيق ما
يكون إذ خرجت عليهم رايات المسلمين وكتائب الموحدين

كأنها الطيور في طيرانها وعليها الرجال كأنها العقبان الكاسرة
والأسود الضارية وهم غائصون في الحديد والزرد النضيد
وقد ارتفع لهم ضجيج وللخيل عجيج فلما نظر أصحاب عبد الله
ابن جعفر إلى الخيل القاصدة عليهم ظنوا أنها نجدة جاءت للروم
ففزعوا وعظم عليهم الأمر وعاز عنهم الصبر وأخذهم الانبهار
وولى النهار وحل بالمشركين الدمار وأضرمت عليهم
الحرب نارا والسيوف تلمع والرؤوس تقطع والأرض قد
ملئت قتلى والمسلمون في أيدي الروم كأنهم أسارى
فبينما القوم في أشد حال وأعظم قتال والسيوف
تعمل في الرجال إذ نادى فيهم منادي وهتف فيهم هاتف
خذل الشرك ونصر الخائف أبشروا يا حملة القرآن
جاءكم النصر من عند الرحمن ونصرتم على عبدة الأصنام
والصلبان وقد بلغت القلوب الحناجر وعملت
السيوف البواتر وإذا بفارس على مقدمة الخيل المقدمة
إلى المسلمين يهدر كأنه الأسد الكاسر والليث
الهادر وبيده راية تشرق كأنها القمر فنادى الفارس
بصوته أبشروا فقد أتاكم النصر المبين والفارس المبيد

أنا خالد بن الوليد فلما سمع المسلمون صوته ونظروا الراية بيده
فأتاهم الفرج من عند رب العالمين فأجابوه بالتهليل والتكبير
فكانت أصوات المسلمين كالرعد القاصف أو الريح العاصف
ثم حمل خالد بجيش الزحف الذي لا يفارقه ووضع السيف
في الروم قال عامر بن سراقة فما شبهت حملات خالد في
الروم إلا كحملة الأسد في الغنم نفرقهم يمينا وشمالا
قال واثلة بن الأسقع لقد كنا نسينا أنفسنا وأيقنا بالهلاك
حتى أتانا الغوث من الله عز وجل فحملنا الحملة إخواننا
المسلمين فما اختلط الظلام حتى نظرت إلى خالد بن الوليد
والراية في يده وهو يسوق المشركين بين يديه كما يسوق
الراعي الغنم إلى المرعى والمسلمون يقتلون ويأسرون
فلله در ضرار ابن الأزور رضي الله عنه والمسيب بن نجبة
الفزاري لقد أقرنوا المواكب وأظهروا المضارب
وقتلوا الروم من كل جانب فبينما ضرار بن الأزور كذلك
إذ التقى عبد الله بن جعفر رضي الله عنهما والدم على أكمامه
ودرعه كأنه أكباد الإبل فقال له ضرار شكر الله لك
يا ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم فإنك على تاد أبيك قد

جهدت ولقد أخذت فقال له عبد الله بن جعفر من هذا
الذي يخاطبني وكان الظلام قد اعتكر وضرار ابن الأزور ملثم لا
يبان منه إلا حماليق الحدق أو تداوير الأمق فقال له أنا
ضرار بن الأزور صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له
عبد الله مرحبا بطلعتك من مساعد لنا وقادم لنصرتنا قال
عبد الله بن أنيس فبينما هم كذلك إذ أقبل عليهم خالد فشكر
لهم على فعلهم ثم قال خالد يا ضرار اعلم أن طاغية الروم من
البطارقة عند الدير لأجل ابنة البطريق صاحب طرابلس
وما معها من الأموال وقد أحاط بها كل كافر وشيطان
فهل لك يا ابن الأزور أن تحمل معي فقال أحمل حتى أحمل معك
فحمل ضرار بن الأزور من ناحية وعبد الرحمن بن أبي بكر
الصديق من ناحية وحمل خالد بن الوليد وحمل عبد الله بن
جعفر وجماعة من المسلمين وذلك كله في الليل فلما نظر
المشركون إلى المسلمين وقد حملوا حملة واحدة حمل المشركون
بأجمعهم والبطريق صاحب طرابلس أمامهم كأنه جمل
شارد وهو يهدر كأنه الأسد فحمل على ضرار بن الأزور
والتقت الشجعان بالشجعان والأقران بالأقران فلما نظر

ضرار ابن الأزور إلى البطريق وشجعانه حوله أخذ منه حذره
والبطريق يطلب ضرارًا أشد الطلب ۞ وكل واحد طامع
في غريمه إذ قصد ضرار إلى موضع يصلح لطراد الخيل فتجاولا طويلًا
وانبسط ضرار أمام البطريق فكبا به جواده وسقط ضرار
إلى الأرض هاويًا على أم رأسه ۞ ثم قام ضرار من سقوطه
يطلب جواده فلم يجده فثبت ضرار مكانه وأخذ سيفه
وجحفته بيده وجعل يجاهدهم بنفسه وصبر لهم صبر الكرام
ولم يأخذه في الله لومة لائم فحمل البطريق على ضرار وأراد
أن يضربه بعموده وضربه ۞ فلما نظر ضرار إلى الضربة نازلة
عليه زاغ عنها ثم ضرب جواد البطريق على قوائمه فكبا
بالبطريق على أم رأسه ولم يقدر أن يقوم لأنه كان مرزن
في سرجه ۞ فعاجله ضرار بضربة على عاتقه فأثنا سيف
ضرار ولم يعمل في عدو الله شيئًا فنهض البطريق وقد أيقن
بالهلاك فوثب ضرار وقبض عليه بقوته ورماه ضرار تحته
وملك صدره واحتوى على منحره ومد يده إلى خنجره فنحره به
عدو الله وعجل الله بروحه إلى النار ۞ ثم وثب ضرار من على
صدر البطريق وقد احتوى على سلبه وملك فرسه ۞

واستوى

واستوى على سرجه ۞ وكان على الجواد حلة من الذهب
مرصعة بالفصوص التي تساوي أثمانًا كثيرة فلما صار ضرار
على ظهر الجواد كبر وحمل على الروم ففرقهم يمينًا
وشمالًا قال الواقدي وكان ضرار لما انبسط أمام
البطريق ملك عبد الله بن جعفر الدير بمن فيه فلم يأخذ
عبد الله بن جعفر من الدير شيئًا حتى رجع خالد بن الوليد من
هزيمته للروم وذلك أن خالد بن الوليد تبع المنهزمين
إلى نهر عظيم كان بينهم وبين طرابلس والروم تعرف
مشارعه فخاضوه خوضًا ورجع خالد بمن معه من المسلمين
فوجد عبد الله بن جعفر قد ملك الدير بمن فيه وقد
انهمك المسلمون في الغنائم ۞ قال واثلة بن الأسقع
فجعلنا نجمع كل شيء كان في السوق من الأمتعة والديباج
والذهب والفضة والطعام وجعلناه في الأعكام
ثم أخرجت ابنة البطريق من الدير ومعها أربعون جارية
وعليها الحلي والحلل فحملنا الغنيمة على البغال
والحمير وانقلب أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
بالغنيمة ۞ والأموال الجسيمة ۞ قال الواقدي

رحمة الله عليه فحسبت تلك الوقعة لعبد الله بن جعفر صاحبها
وعبد الله ابن أنيس الجهني مدركها ❁ وخالد بن الوليد
منجدها ❁ ولقي منها خالد مشقة عظيمة ❁ وجراحا مؤلمة فلما
رجع المسلمون يطلبون جيش أبي عبيدة أقبل خالد على الراهب
وصاح به فلم يكلمه فهدده خالد فاطلع عليه الراهب من
صومعته وقال قل ما تشاء فوحق المسيح ليطالبك الله بدماء من
قتلته ❁ فقال له خالد كيف يطالبنا وهو أمرنا بقتالكم
وجهادكم ووعدنا على ذلك الثواب الجزيل والله لولا أن
رسول الله صلى الله عليه وسلم نهانا أن نتعرض لكم لأنزلتك
من صومعتك وقتلتك أشر قتلة فسكت الراهب ولم يجب
خالدا وانقلب خالد وعبد الله بن جعفر ومن معهم من المسلمين
غانمين فرحين مسرورين منصورين إلى أن قدموا دمشق
وأبو عبيدة عامر بن الجراح متطلع إلى قدومهم فلما قدموا
بالغنيمة فرح أبو عبيدة بهم فرحا شديدا وخرج إلى لقائهم
وسلم على خالد وعلى عبد الله بن جعفر وأخذ الغنيمة ❁
وفرقها على المسلمين بعد أن أخرج منها الخمس ودفع إلى
ضرار ابن الأزور فرس البطريق وما عليه من الفضة ❁

والذهب والفصوص ❁ فأتى به ضرار إلى أخته فلما رأته فرحت
فأخذته وفرقت ما عليه من الفصوص لنساء المسلمين وإن
الفص منها ليساوي الثمن الكثير وأعرضوا السبي على أبي
عبيدة وفي جملتهم بنت البطريق فسأله عبد الله بن جعفر
أن يعطيها له ❁ فقال حتى أستأذن عمر بن الخطاب في ذلك
فكتب أبو عبيدة يعلمه بما فتح الله من دير أبي القدس
وبأخذ ابنة البطريق صاحب طرابلس وإن عبد الله بن
جعفر يطلبها فكتب له عمر هي له ❁ فأخذها عبد الله بن
جعفر فأقامت عنده زمانا طويلا إلى أيام يزيد فأخبروا
يزيد بها فاستهداها منه فأهداها إليه ❁ قال عامر بن
ربيعة أصابني في غنيمة سوق الدير ثياب خز وديباج فيها
صور الروم وكان في ثوب من تلك الثياب صورة
حسنة يسمونها صورة مريم فحملت الثياب إلى اليمن
فبعتها بثمن كثير إلى الغاية **قال الواقدي** فلما
رجع المسلمون غانمون من دير أبي القدس كتب
أبو عبيدة إلى عمر بن الخطاب يعلمه بما فتح الله على المسلمين
وما غنموا من دير أبي القدس ويمدح خالدا في كتابه

ويشكره ويثني عليه ويخبره بما قال وما تكلم ويسأله في كتابه
أن يكتب إلى خالد كتابا يستعطف خاطره وأن يبعث إليه أن
يسير بجيوش المسلمين إلى انطاكية أو إلى بيت المقدس وإن
بعض العرب يشربون الخمر. قال عاصم بن ذويب كنت
ممن شهد قتال الشام وفتح دمشق والعرب الوافدة من اليمن
في الضياع فأخذوا في شرب الخمر واستطابوه فأنكر
ذلك الأمر أبو عبيدة فقال رجل من العرب أظنه سراقة
ابن عامر يا معاشر المسلمين خلوا شرب الخمر فإنها تذهب
العقل وتكثر من النسيان وإن رسول الله صلى الله عليه وسلم
لعن شارب الخمر وحاملها والمحمولة إليه **قال الواقدي**
حدثني أمامة بن زيد عن الزهري عن حميد عن عبد الرحمن
ابن عوف الغساني قال كنت مع أبي عبيدة بالشام
فكتب إلى عمر بن الخطاب يخبره بما فتح الله عليه من البلاد
من دير أبي القدس وفي الكتاب بأن المسلمين يشربون
الخمر واستعملوا الحد فيها فقدمت المدينة فوجدت
عمر في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلي ابن أبي
طالب وعثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف يتحدثون

معه قد نعت إليه الكتاب فلما قرأه عمر جعل يفكر طويلا ثم قال إن
رسول الله صلى الله عليه وسلم جلد من شرب الخمر ثم إن عمر بن الخطاب
سأل عليا رضي الله عنه وقال ما ترى في شارب الخمر قال علي بن أبي طالب
إن السكران إذا سكر هذى وإذا هذى افترى فعليه ثمانون جلدة
فكتب عمر بن الخطاب إلى أبي عبيدة أما بعد فقد ورد كتابك علي فقرأته
ومن شرب من المسلمين خمرا فاجلده ثمانين جلدة فلما ورد كتاب
عمر بن الخطاب إلى أبي عبيدة وقرأه قال معاشر المسلمين من كان لله في
جنبه حق فليقتص من نفسه ثم أمر أبو عبيدة خالدا أن يأخذ معه جيش
الزحف وترك أبو عبيدة على دمشق صفوان بن أسلم الأسلمي وترك
معه خمس مائة فارس لحفظ دمشق وهذا ما انتهى من وقعة دير أبي القدس

ذكر فتوح حمص صلحا

قال الواقدي وسار أبو عبيدة بجيوش الإسلام على طريق
البقاع واللبوة فلما وصل إلى هناك ورد عليه بطريق من حرستة
ومعه الهدايا والتحف فصالح أبو عبيدة سنة كاملة وقال له
أيها الأمير إن فتحت بعلبك وحمص فنحن بين يديك ولا نخالف لك
أمرا ولا نرد عليكم قولا فصالحه أبو عبيدة على أربعة آلاف من
الذهب وخمسون ثوبا من الديباج فلما انبرم الصلح سار أبو عبيدة

يطلب بعلبك فبينما هو سائر إذ أشرف عليه رجل راكب على نجيب يأكل
الأرض بسيره فلما أقبل النجاب إلى أبي عبيدة وسلم عليه وإذا هو أسامة
ابن زيد رضي الله عنه فقال له أبو عبيدة يا أسامة ومن أين أقبلت
قال أتيت من المدينة ومعي كتاب عمر بن الخطاب رضي الله عنه فأخذ
أبو عبيدة الكتاب وقرأه وإذا فيه بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله
أمير المؤمنين عمر بن الخطاب إلى أبي عبيدة عامر بن الجراح سلام
عليك فإني أحمد الله الذي لا إله إلا هو وأصلي على نبيه محمد
صلى الله عليه وسلم أما بعد فلا راد لقضاء الله وقدره ومن كتب
سعيدا فهو سعيد ومن كتب شقيا فهو شقي وذلك أن جبلة
ابن الأيهم الغساني قدم علينا في بني عمه وسادات قومه فأنزلتهم
وأحسنت إليهم وأسلموا على يدي وفرحت بإسلامه إذ شد الله
عضد الإسلام وما أعلم ما في كمين الغيب وإنا سرنا إلى مكة
حرسها الله تعالى نطلب الحج إلى بيت الله الحرام فطاف جبلة
بالبيت الحرام أسبوعا فوطئ على إزاره رجل من بني فزارة فسقط
الإزار عن ظهره فالتفت جبلة إلى الفزاري وقال يا ويلك أكشفت
ظهري في حرم الله فقال له الرجل تعمدت ذلك فلطم الرجل فكسر ثناياه
وهشم أنفه فأقبل الفزاري إلي مستعديا على جبلة بن الأيهم

فأمرت بإحضاره وقلت ما حملك على أن لطمت أخاك في الإسلام فكسرت
ثناياه وهشمت أنفه فقال جبلة إنه وطئ على إزاري ولولا حرمة
الإسلام لقتلته فقلت له قد أقررت على نفسك إما أن يعفو عنك
وإما أن يؤخذ له منك القصاص فقال أتقتص لي من هذا الفزاري
وأنا ملك العرب وهو سوقي فقلت له قد شملك الإسلام أنت وإياه
فما تنفضل عليه إلا بالعاقبة فعند ذلك قال لي جبلة يا عمر اتركني
إلى غداة غد واقتص مني فقلت للفزاري أتؤخره إلى غد فقال
نعم فلما كان من الليل ركب في بني عمه وتوجه إلى الشام إلى
عند كلب الروم فأرجو من الله أن يظفرك به وأنزل بجيشك على
حمص فإن صالحك أهلها فصالحهم وإن أبوا الصلح فقاتلهم وابعث
أبطالك إلى حلب وكن منهم على حذر والسلام عليك ورحمة الله
وبركاته وعلى جميع المسلمين **قال الواقدي** فلما قرأ
أبو عبيدة الكتاب ألوى بجيشه يطلب حمص وكان خالد قد سبقه
إليها فنزل خالد وأبو عبيدة على حمص في يوم الجمعة في شهر شوال
سنة أربعة عشرة من الهجرة وكان فيها بطريق من قبل الملك
هرقل يقال له بلعيطا ابن كركر وكان قد مات يوم نزول
خالد على حمص فلما رأى أهل حمص إلى نزول المسلمين عليهم اجتمعوا على

الكنيسة المعظمة عندهم وقالوا البترك هم إن بطريق الملك قد مات
وليس عند الملك خير ممن هولاء العرب وقد نزلوا علينا وما ظننا أنهم
سايرون إلينا وقد حسبنا أنهم لا ينزلون علينا حتى يفتحوا بعلبك
فإن أنتم صالحتموهم وكاتبتم الملك هرقل أن ينفذ إليكم
واليا وجيشا وليس عندكم طعام يقوم بكم للحصار قالوا أيها السيد
فما الرأي قال لهم أن تصالحوا القوم على ما أرادوا فقالوا له دبر
بحسن رأيك فبعث البترك إلى أبي عبيدة جاثليقا يقطع الصلح بينهم
وحدثه بما تكلم به البترك فأجابهم أبو عبيدة إلى ذلك وصالح
أهل حمص على عشرة آلاف دينار وعقد الصلح مع أهل حمص سنة
وخرجت السوقة من حمص يتبايعون من العرب ويشترون ثم إن أبا
عبيدة ادعا بخالد بن الوليد وضم إليه أربعة آلاف فارس وأمره
أن يشن الغارة على المغارة وعلى بلاد العواصم وأقرب من حلب وابعث
عيونك ينظرون إن كان للقوم نجدة أو ناصر فأجابه خالد إلى
ذلك وأخذ رايته العقاب ونفذ أمام قومه وهو ينشد ويقول

أخذها والملك العظيم ۞ وإنني بحملها عليم
لأنني نجم بني مخزوم ۞ وصاحب لأحمد الكريم
أسير سير الأسد الغشوم ۞ أروي سناني من دما الروم

قال الواقدي وسار خالد إلى شيزر وأقام بها يوما وليلة
على النهر المقلوب ثم ادعا برجل اسمه مصعب بن محارب اليشكري
وضم إليه خمس مائة فارس وأمره أن يشن الغارة على العواصم وسار
خالد بن الوليد إلى كفر طاب وعرج منها إلى المعرات إلى دير سمعان
وخلف خيله تغير يمينا وشمالا على القرى وتأخذ الغنايم والأموال
ثم رجع خالد إلى أبي عبيدة بما معه من الغنيمة والأموال ففرح
أبو عبيدة فرحا شديدا فبينما أبو عبيدة كذلك إذ سمع ضجيجا
وقد ارتفع بالتكبير والتهليل وإذا برجال من المسلمين معهم سواد
عظيم ۞ فقال أبو عبيدة من هاولاء يا أبا سليمان قال هذا مصعب
ابن محارب اليشكري عقدت له راية على خمس مائة فارس
من قومه من اليمن وقد غار على أرض العواصم وقد أتى بالسبي
والأموال والغنايم فنظر أبو عبيدة إلى صرح من الغنم والبقر
وبراذين عليها رجال مشدد ودين ودوي عظيم قال الواقدي
وكانت الأعلاج أربعمائة علج فقال لهم أبو عبيدة إن مننا عليكم
وأطلقناكم من أسركم ورددنا عليكم أهاليكم وأموالكم
هل تكونوا في طاعتنا وتأتون بالجزية إلينا والخراج ۞ فقالوا
ومن لنا بذلك ونحن نفعل ما تشترطه علينا ونوفي لكم بذلك

قال الواقدي فعند ذلك أقبل أبو عبيدة على رؤساء المسلمين وقال أيها الناس إني رأيت من الرأي أن أؤمن هؤلاء من القتل وأرد عليهم عيالهم فيعمرون لنا الأرض ونأخذ خراجهم وجزيتهم فما أنتم قايلون وما كنت بالذي أقطع أمرا إلا بمشورتكم فقال المسلمون أيها الأمير الأمر أمرك والرأي رايك فافعل إن كان ذا اصلاحا للمسلمين فعند ذلك فرض خالد وأبو عبيدة عليهم على كل رأس أربعة دنانير ورد عليهم أبو عبيدة أموالهم وأولادهم وأطلقهم بعد أن قرر عليهم ضياعهم وكتب أسماءهم وأمرهم بالرجوع إلى أوطانهم فلما استقروا تحدثوا في ضياعهم بحسن سيرة العرب وبما عاملوهم من الجميل فقالوا لقد ظننا أنهم يقتلونا قتلا فرحمونا وقرروا علينا الجزية والخراج فلما سمعوا الروم ذلك اقبلوا إلى أبي عبيدة في طلب الأمان وأداء الجزية والخراج فأجابهم إلى ذلك وكتب أسماءهم وأسما حصونهم وبلغ الخبر إلى أهل قنسرين والحاضر أن أبا عبيدة أمير جيش المسلمين يعطي الأمان لمن يقصده فأحب أهل قنسرين والحاضر أن يأخذوا لهم أمانا من أبي عبيدة وأجمعوا أمرهم على ذلك ونفذوا رسولا من غير أن يعلموا بطريقهم

ذكر فتح قنسرين والحاضر

قال الواقدي وكان على قنسرين والحاضر بطريق من بطارقة الملك عظيم عند الملك هرقل وكان من أهل الشدة والبأس وكان اسمه لوقا وكان يعاند صاحب حلب الملك في ملكه فلما سمع بطريق قنسرين ما قد عزموا عليه أهل بلده من الصلح للعرب غضب غضبا شديدا وعزم أن يمكر بهم فجمع أهل قنسرين إليه وقال يا بني الأصفر وعبّاد المسيح ما تقولون في هذه العرب وما تريدون أن أصنع معهم فكأنكم بهم وقد أقبلوا علينا ويفتحوا بلادنا كما فتحوا ساير البلاد فقالوا أيها السيد بلغنا عنهم أنهم أهل وفاء وذمة وقد فتحوا أكثر بلاد الشام فمن قاتلهم قتل واستعبد وأولاده وأهله ومن دخل تحت طاعتهم أقروه في بلده وكان آمنا من سطوتهم والرأي عندنا أن نصالح القوم ونكون آمنين من سطوتهم فقال لهم البطريق لقد قلتم فأحسنتم وبالصواب أشرتم لأن هؤلاء العرب ينصرون على من قاتلهم وإنا نعقد الصلح معهم سنة كاملة إلى أن توافينا الجيوش فنعطف عليهم وهم آمنون فنفنيهم عن آخرهم فقالوا له افعل ما تريد وافترقوا أهل قنسرين

وراى بطريقهم على الصلح وفى قلوبهم الغدر فدعا لوقا برجل من
أصحابه اسمه صخر وكان قسًّا عالمًا بدين النصرانية فصيحًا بلسان
العربى قد عرف الدينين دين اليهود ودين النصرانية فقال له
لوقا سر إلى أمير العرب وقل له يصالحنا سنة كاملة حتى نبيد
القوم بالحيلة والخداع وكتب لوقا كتابًا إلى أبى عبيدة يقول
فيه كلمة الكفر ❁ أما بعد فإن بلدنا بلد مانع كثير العدد
والعدة والزاد والما وما نوتى من قلة زاد وإنك لو أقمت علينا
أربعين سنة ما قدرت علينا وإن الملك هرقل قد استنجد
عليكم من حد خليج رومية الكبرا وإنى بعثت إليكم أن تصالحونا
سنة كاملة حتى نرا البلاد لمن تصح وإنى أريد أن أجعل بيننا
وبينكم علامة من حد بلدنا قنسرين إلى حد العواصم ❁ فإذا
همت العرب بالغارة على البلاد ورأوا العلامة رجعوا عنا
والسلام عليك ❁ ثم خلع على صخر خلعة تصلح للدخول بها على
الملوك فخرج صخر وسار إلى أن وصل إلى جيش المسلمين فوجد
أبا عبيدة يصلى بالناس صلاة العصر فوقف صخر ينظر ما يفعل
المسلمون ❁ فلما سلم المسلمون من صلاتهم نظروا إلى القس ومن
معه فعلموا أنه رسول فدنا منه عبد الله بن أبى ربيعة وقال له

مزانت

من أنت فقال إنى رسول ومعى كتاب الملك صاحب قنسرين والحاضر
فمثله بين يديه وعن يمينه خالد بن الوليد وعن يساره عبد الرحمن
ابن أبى بكر الصديق والضحاك بن أبى سفيان بين يديه فهم
القس صخر أن يسجد لأبى عبيدة فمنعه أبو عبيدة من السجود وقال
نحن عبيد الله عز وجل منا شقى ومنا سعيد ❁ ثم قرأ فأما الذين
شقوا ففى النار خالدين فيها ما دامت السموات والأرض إلا ما شا
ربك إن ربك فعال لما يريد ❁ وأما الذين سعدوا ففى الجنة
خالدين فيها ما دامت السموات والأرض إلا ما شا ربك عطا
غير مجذوذ ❁ فلما سمع صخر ما تكلم به أبو عبيدة تعجب
وقال بهذا ينصركم الله علينا فقال خالد من أنت وما شانك
ورسول من أنت فقال صخر أنت أمير العرب قال خالد لا بل
هذا أمير العرب قال صخر إنى رسول الملك لوقا صاحب
قنسرين والحاضر ثم إن صخرًا أخرج الكتاب الذى معه ودفعه
لأبى عبيدة فأخذه أبو عبيدة وقراه على المسلمين فلما سمع خالد
ما فى الكتاب من تعظيمهم لدينهم وكثرة عددهم وزادهم
ويهدد دون المسلمين بجيوش الملك حول راسه وقال أيها
الأمير وحق من أيدنا بالنصر وجعلنا من أمة محمد صلى الله عليه وسلم

إنّ هذا البطريق لا يريد صلح سنة وإن جاءت جيوش الملك نقض
عهدنا وكان أول من يقاتلنا وإن أردت تعقد لهم صلحا
فاشترط عليهم أن لا يشهروا سلاحا في وجوهنا في مدة السنة
فلما سمع صخر كلام خالد قال أجبناكم إلى ذلك فكتب له
أبو عبيدة كتابا بينهم بالصلح ❁ فلما أخذه صخر قال أيها الأمير
إن بلدنا معروفة وبإزائنا صاحب حلب ولبلده حد ونريد
أن تجعل بيننا وبين المسلمين علامة فإذا رأى أصحابك الحد لا
يجاوزونه ❁ قال له أبو عبيدة أنا أبعث لكم من يحد لكم حدا
قال صخر لا تبعث أحدا بل نحن نصنع عمودا ونصور عليه صورة
الملك هرقل وننصبه فإذا رأى أصحابك العمود رجعوا فعند
ذلك نادى أبو عبيدة في المسلمين أصحاب الغارات وقال لهم
من نظر العمود فلا يتعداه ولا يجوزه بل تشن الغارات على
أهل حلب وليبلغ منكم الحاضر الغائب فرجع صخر إلى
البطريق بمدينة قنسرين فدفع إليه جواب الكتاب
وأعلمه بما جرى له مع خالد بن الوليد من الكلام فلما قرأ
لوقا صاحب قنسرين فرح فرحا شديدا وعمد إلى عمود وصوّر
عليه صورة هرقل ونصبه في حد بلده **قال الواقدي**

وكانت خيل المسلمين تضرب غاراتها إلى أقصا بلاد حلب والمعرات
ويحيدون عن العمود **قال الواقدي** حدثني عمر بن عبد الله
عن سالم بن قيس عن أبيه عن جده عن سعد بن عبادة قال صالح
أبو عبيدة أهل قنسرين والحاضر على أربعة آلاف دينار ومائة
أوقية من الفضة وألف ثوب من الديباج وألف وسق من الطعام
قال الواقدي حدثني سليمان بن عامر قال كنا في بعض
الغارات إذ نظرت إلى العمود وعليه صورة الملك هرقل
فتعجبنا منه وجعلنا نحوم حوله ونلعب بخيولنا تحته ونعلمها
الكر والفر ❁ وكان زيد بن جندب له قناة طويلة
فقرّب فرسه من الصورة ولا يريد ذلك وهو غير متعمد
ففقأ عين الصورة وكان عند العمود رجال من عند
صاحب قنسرين يحرسونه ❁ فلما رأوا ذلك توجهوا إلى
صاحب قنسرين وأعلموه بذلك فعقد صليبا وأعطاه إلى بطريق
من بطارقته وضم إليه مائة فارس من أعلاج الروم وأمر صخرا
أن يسير معهم فسار صخر إلى أن وصل إلى جيش المسلمين ونادى
يا معاشر المسلمين أغدرتم بنا بعدما وفيتم بعهدكم
فقال له أبو عبيدة وما سبب نقض العهد ❁ قال نقض

عهدنا الذي نقأ عين ملكنا ❁ فقال له ابو عبيدة وحق رسول الله
صلى الله عليه وسلم ما علمت بذلك وسوف اسأل عن ذلك
ثم نادى ابو عبيدة يا معاشر المسلمين من فقأ عين التمثال فليخبرنا
به فقالوا إن زيد بن جندب فعل ذلك من غير قصد قال لهم ابو
عبيدة ها انا اصنع بعيني مثل ما صنع بصورتكم قالوا لا نرضى
بذلك ولا نرضى إلا بعين اميركم الاكبر الذي يلي العرب
كلها وهو المسمى عمر بن الخطاب **قال الواقدي**
فلما سمع ذلك المسلمون غضبوا غضبا شديدا حين ذكر الروم
ذلك وهموا أن يقتلوهم فقال لهم ابو عبيدة نحن نفديه ❁
بأنفسنا ❁ فلما نظر صخر إلى المسلمين وقد هموا بقتل من معه قال
لا نفقأ عيونكم ولكن صوروا صورة اميركم عمر بن الخطاب
على عمود ثم نصنع بها مثل ما صنعتم بصورتنا فقال لهم ابو عبيدة
مهلا يا قوم فأنا اصنع لكم ذلك ولا تحدثوا انا عاهدنا
وغدرنا ❁ فعند ذلك صور ابو عبيدة صورته على عمود وجعل
عينين من زجاج ❁ وقام رجل من الروم حنقا وفقأ عين الصورة
ورجع صخر إلى صاحب قنسرين واعلمه بذلك واقام ابو عبيدة
على حمص وفكر ما يفعل بعد ذلك وابطا خبره على عمر

ابن الخطاب رضي الله عنه إذ لم ينفذ إليه كتابا ولا فتحا فأنكر
عمر ذلك من أمره وظن به الظنون وحسب انه داخله الجزع
والفزع من الروم وركن إلى القعود فكتب إليه كتابا
يقول فيه بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله عمر بن الخطاب
امير المؤمنين إلى أبي عبيدة عامر بن الجراح امير جيوش
المسلمين سلام عليك فإني احمد الله الذي لا إله إلا هو ❁
واصلي على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وآمرك بتقوى الله
واحذرك من معصية الله ❁ وانهاك ان تكون ممن قال الله فيهم
في كتابه العزيز قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وأزواجكم
وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها
ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في
سبيله فتربصوا الآية ❁ وصلى الله على سيدنا محمد خاتم
النبيين وطوى الكتاب وختمه ونفذ الكتاب إلى أبي عبيدة
فلما وصل الكتاب إلى أبي عبيدة قرأه على المسلمين علموا أن
عمر حرضهم على الجهاد وندم ابو عبيدة على ما صالح به أهل
قنسرين ولم يبق أحد إلا بكا من كتاب عمر بن الخطاب
رضي الله عنه وقال ايها الأمير ما الذي يقعدك عن الجهاد

تدع أهل قنسرين واقصد بنا حلبا فإنك تملكها فسار أبو عبيدة
إلى الرستن فأتوه أهل حماه وعلى رؤسهم الأناجيل والقسوس
أمامهم يطلبون من العرب الأمان والصلح وقالوا أيها
الأمير أنت أحب إلينا من قومنا وإننا نريد منكم الأمان
والصلح ❁ فصالحهم أبو عبيدة وكتب لهم كتاب الصلح
وقال لهم هل سمعتم لطاغية الروم هرقل خبرا قالوا سمعنا
أن بطريق قنسرين كتب إلى هرقل يستنجد به ويدعوه إلى
نصرته وقد بعث إليه الملك جبلة بن الأيهم الغساني راكبا
في العرب المتنصرة وبعث معه بطريق عمورية في عشرة
آلاف فارس وإنهم قد نزلوا بعسكرهم على جسر الحديد
وكن منهم على حذر فقال أبو عبيدة حسبنا الله ونعم الوكيل
ونزل أبو عبيدة بجيش المسلمين على شيزر وهو متحير يجمع
المسلمين إليه وقال يا معاشر المسلمين قد بلغني أن بطريق
قنسرين كتب إلى هرقل بنجدة وقد بعث إليه جبلة
في بني عمه ومعه بطريق عمورية في عشرة آلاف
فارس وقد أضمر في قلبه المكر والخداع فقال له خالد
ابن الوليد أيها الأمير ألم أقل لك إن كلامه يدل على المكر

والخداع فقال له خالد بن الوليد لم تتم والله حيلته والله من
ورائه بالمرصاد **قال الواقدي** وقد بقي من صلح أهل
قنسرين شهر وأقل من شهر وأقام أبو عبيدة ينتظر انفصال
العهد وأقام بالمسلمين على شيزر وكانت العرب يأتون
بحطب الرمان والزيتون وغير ذلك ❁ فبلغ أبو عبيدة أن
العرب يقطعون الأشجار ويأتون بحطبها فقال أبو عبيدة
معاشر المسلمين من قطع منكم شجرة لها طعم وثمر وريح
من يومكم هذا لأنكلن به أشد نكال ❁ فلما سمع
العرب ذلك خافوا من النكال فأقبلوا يأتون بالحطب من مكان
بعيد ❁ قال سعيد بن عامر وكان لي عبد نجيب منجح
وقد شهد معي الوقايع وكان جري القلب في القتال
وكان إذا خرج في غزاة أو في طلب حطب يبعد عن
أصحابه فخرج هو وجماعة من شيزر وأبو عبيدة مقيم
بها لطلب حطب فأبطا خبره عني ❁ فركبت فرسي
وخرجت في طلبه وجعلت أقفوا أثره إذ لاح لي شخص
فقصدته فإذا هو عبدي مجروح الوجه وقد سال دمه
على ثيابه فنزلت عن جوادي ونضحت على وجهه الماء

فسكن ما به وقال يا مولاى انج بنفسك قبل أن يدركك
القوم فيصنعون بك مثل ما صنعوا بى ۞ فقلت ومن هذه القوم
الذى صنعوا بك هذا فقال يا مولاى بينما نحن نحطب الحطب
فإذا نحن بكبكبة من الخيل زهاء عن ألف فارس كلهم عرب
وفى أعناقهم الصلبان وهم معتقلون بالرماح فلما نظرونا
أسرعوا إلينا وداروا بنا وعزموا على قتلنا ۞ فقلت لأصحابى
دونكم وإياهم فقال أصحابى وكيف لنا بقتالهم وما لنا
طاقة إلا أن نلقى بأيدينا إلى الأسر فهو أهون علينا من القتل
فقلت والله لا سلمت نفسى إليهم دون القتال ۞ فلما عاينوا
أصحابى الجد فعلوا كفعلى وقاتلنا القوم فأسروا منا عشرة
وقتل منا من قتل وأما أنا فأثخنونى بالجراح فسقطت على
وجهى فرجعوا عنى وأنت كما ترانى ۞ قال سعيد بن عامر
فعمنى ما نزل بالعبد فأردفته ورائى ورجعت أطلب
جيش المسلمين وإذا بالخيل تركض من ورائى كأنها الريح
الهبوب وإذا بها خيل غسان ومن حزب الصليب والشيطان
فأحدقت بى الرماح وهم يصيحون نحن من أهل غسان وفينا
القساقسة والرهبان ۞ قال سعيد بن عامر فناديتهم إلا أنا

من حزب محمد المختار ۞ فلما سمعوا كلامى أسرع بعضهم إلى بعض
وأرادوا أن يعلونى بالسيف فناديتهم يا ويلكم أتقتلونى
وأنا من العرب فقالوا لى من أى الناس فقلت من الخزرج
الكرام فردوا السيف عنى وقالوا إن الملك جبلة ابن الأيهم
أنت بغيته ومراده فقلت ومن أين يعرفنى جبلة حتى يطلبنى فقالوا
إنه يطلب رجلا من اليمن من أصحاب محمد ۞ ثم قالوا سر معنا طائعا
وإلا سرت معنا كارها ۞ قال سعيد بن عامر فسرت معهم
والعبد معى حتى أشرفنا على عسكر صاحبهم جبلة بن الأيهم
ولم أزل معهم حتى أتوا بى مضرب جبلة ابن الأيهم وإذا بعدو الله
جالس على كرسى من الذهب وعليه ثياب الديباج وعلى
رأسه شبكة من الجوهر وفى عنقه صليب من الياقوت
فلما وقفت بين يديه رفع رأسه إلى وقال لى من أى العرب
أنت فقلت من اليمن قال أكرمت من أيها قلت من ولد
حارثة ابن ثعلبة بن امرء القيس ابن عبد الله الأزور ابن
عوف بن بنت مالك ابن زيد بن كهلان بن سبا فقال من
أى الغلامين ۞ قلت من الخزرج الكرام بن حارثة من
أنصار محمد صلى الله عليه وسلم قال جبلة وأنا من قومك

أنا من غسان أنا جبلة بن الأيهم الذي رجعت عن الإسلام أما
يرضى صاحبكم عمر أن أترك هذا الدين وأدخل في دينه
حتى يقاد مني برجل سوقي وأنا سيد غسان ❀ فقلت يا جبلة
إن حق الله أوجب من حقك وإن ديننا لا يقوم إلا بالنصفة
وإن عمر لا تأخذه في الله لومة لائم فقال ما اسمك قلت
اسمي سعيد بن عامر قال يا سعيد أوط إلى الأرض فجلست ❀
فقال لي كم لك عهد بحسان بن ثابت الأنصاري فقلت بأبي
شاعر رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن قال فيه المصطفى
أنت حسان ولسانك حسام ثم قال لي كم لك منذ فارقته
قلت عهدي به قريب وقد دعاني إلى دعوة صنعتها فاجتمعنا
إليه فدخل علينا وهو ينشدنا ❀ شعرا ❀

❀ لله در عصابة ناديتها ❀ يوم التحلق في الزمان الأول ❀
❀ يغشون حتى ما تهر كلابهم ❀ لا يسألون عن السواد المقبل ❀
❀ بيض الوجوه وقد علت أحسابهم ❀ فهم الثرا تحتا لطراز الأول ❀
❀ اللاحقون فقيرهم بغنيهم ❀ المفتون عن اللام الأرمل ❀

قال الواقدي هكذا حدثني من أثق بقوله قال
سعيد بن عامر فقلت لجبلة ثم خرجنا إلى الشام وهذا آخر
عهدي به فقال لي جبلة بن الأيهم أتعرف لي هذه المكرمة
قلت نعم فأمر لي بثوب كتان وفيه شيء من الورق وقال
لي ما كنت تصنع في الموضع الذي كنت فيه فقصصت له
قصة العبد ❀ فقال لي ارجع إلى صاحبك أبي عبيدة وقل له
إن الملك بعث جبلة في بني عمه ومعه بطريق عمورية ومعه
عشرة آلاف فارس نجدة لصاحب قنسرين وحذره منا
ومن شفار سيوفنا ❀ قال سعيد بن عامر فركبت جوادي
وأردفت غلامي وسرت حتى أتيت عسكر المسلمين فلما
رأوني أسرعوا إلي وقالوا أين كنت يا ابن عامر فلقد جزعنا
عليك جزعا عظيما فأتيت نحو أبي عبيدة وحدثته بما كان
من جبلة وبما جرى ❀ فقال لي أبو عبيدة لقد خلصك الله عز
وجل بذكرك لحسان ثم إن أبا عبيدة جمع المسلمين إليه
وقال أيها الناس ما ترون في هذا الأمر وفي قصته
وأمر هذا البطريق صاحب قنسرين ❀ فقال خالد إن الباغي
له مصرع والله من ورائه بالمرصاد وسوف نكيده بمكيدة
أعظم من مكيدته وإنني أسير إليه في عشرة من أصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أبو عبيدة والله أنت لها

يا أبا سليمان ولكل كريهة فخذ معك من أحببت من أصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال خالد بن الوليد ابن عياض
الأشعري وعمر ابن سعيد وابن سهل العامري ورافع بن عميرة الطائي
وسعيد بن عامر الانصاري وعمرو بن معدي كرب الزبيدي وعبد
الرحمن بن ابي بكر الصديق رضي الله عنه وضرار ابن الأزور وقيس
ابن هبيرة وميسرة بن مسروق العبسي فلما اجتمعوا اليه قال بارك الله
فيكم ثم ان خالدا ركب جواده وأمرهم بالركوب واخذ
خالد معه عبده همام فسار خالد والعبد همام والعشرة اصحابه
وأبو عبيدة يدعو لهم فلما ساروا أقبل خالد على سعيد بن عامر
الانصاري وقال يا سعيد أخبرك جبلة أنه جا نجدة لصاحب
قنسرين قال نعم قال له خالد خذ بنا على الطريق إلى عسكر
جبلة ابن الأيهم فسار سعيد بن عامر أمام القوم إلى أن أتا عسكر
جبلة ابن الأيهم وكان سيرهم ليلا فلما وصلوا إلى قرب
النيران وسمعوا الأصوات عدل بهم خالد إلى صوب طريق قنسرين
واكمن هناك إلى الصباح فلم يأت أحد فعند ذلك صلى
خالد بأصحابه صلاة الصبح وهم مكمنون فبينما هم كذلك
إذ أشرف عليهم جبلة ابن الأيهم وصاحب عمورية وهم

قاصدون قنسرين ثم ان خالدا اخذ اصحابه واختلط بعسكر جبلة بن
الأيهم قال رافع بن عميرة فلما أشرفنا لاحت لنا أرض العواصم
وقنسرين وإذا ببطريقها قد استقبلنا وقد رفع أمامه الصلبان
وأخرج بين يديه الأقسا والرهبان يقرؤن الإنجيل وقد ارتفعت
بينهم كلمة الكفر فلما قرب صاحب قنسرين من خالد قال
لخالد ولأصحابه سلمكم المسيح وأبقاكم الصليب قال له خالد
يا ويلك ما نحن من أصحاب الصليب نحن من أصحاب محمد الحبيب
وكشف خالد عن لثامه ونادا برفيع صوته لا إله إلا الله وحده لا
شريك له وأن محمدا عبد الله ورسوله وضرب بيده إلى عدو الله
صاحب قنسرين فاقتلعه من سرجه وبادر أصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم إلى أصحاب البطريق وقد أعلنوا بكلمة التوحيد
فلما سمع جبلة وصاحب عمورية أصوات المسلمين انزعجوا لذلك
فجردوا السيوف الرقاق والرماح الدقاق وابتدروا إلى أصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم واحاطوا بهم من كل مكان
فلما نظر خالد إلى ما دهمه وما نزل بأصحابه والبطريق صاحب
قنسرين معه لا يفارقه فصاح خالد بأصحابه وقال لهم
لوذوا حولي واحموا عني وعنكم واصبروا على ما نزل بنا ولا

يكبر عليكم من أحدق بكم فإن أشد ما تخافون الموت والقتل منية خالد في
سبيل الله وإني والله قد أهديت نفسي إلى القتل وألقيتها في
مواضع الهلكة ولعلي أن أرزق الشهادة واعلموا رحمكم الله
أنكم وصلتم إلى رب رحيم وسكنتم دارا لا يموت ساكنها
ولا يهرم شبابها لا يمسكم فيها نصب وما أنتم منها بمخرجين ۞ فلما
سمع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كلام خالد داروا
من حوله والروم والمتنصرة محدقون بهم فعند ذلك سلم خالد
البطريق صاحب قنسرين إلى عبد الله همام وقال له أوثقه
كتافا ولا تبرح من مكانك فعند ذلك أقبل عليهم جبلة بن
الأيهم في بني عمه وفي عنقه طوق من الذهب فيه صليب
من الجوهر وعليه ثياب الديباج من فوقه درع مذهب
وصاحب عمورية إلى جانبه كأنه برج مشيد ومن حوله
الأعلاج وهم قد أحدقوا به ۞ فلما نظر البطريق صاحب
عمورية إلى خالد بن الوليد وقد ملك صاحب قنسرين
وصار في يده أسيرا خاف أن يقتله فأقبل على جبلة ابن الأيهم
وقال له أما تنظر إلى هؤلاء العرب وهم عشرة وأميرهم
وعبده قد أرموا أنفسهم في الهلكة وقد أحدق بهم هذا

الجيش العظيم وقد ملكوا صاحبنا وهو معهم أسير وإني خايف أن
يعجلوا عليه القتل فاخرج إلى هذا العربي وقل له يطلق لنا صاحبنا
حتى نجود عليه بنفسه ومن معه فإذا أطلقوا لنا صاحبنا ملنا عليهم
ميلة واحدة فنقتلهم عن آخرهم ۞ قال رافع بن عميرة ونحن
في أوساطهم كحلقة في وسط فلاة وإذا بجبلة ابن الأيهم
وقد قرب منا وهو ينادي من أنتم أمن أصحاب محمد المعروفين
أم أنتم من العرب التابعين أخبروني من أنتم قبل أن تحل بكم الدمار
فكان المتكلم من بيننا خالد بن الوليد نحن أهل الملة
والإسلام نحن أهل الكرم والإحسان ونحن الآن من قبايل
شتى ۞ وقد جمع الله قلوبنا على قول لا إله إلا الله محمد
رسول الله فلما سمع جبلة كلام خالد بن الوليد غضب
غضبا شديدا وقال يا هذا أنت أميرها ولاء العرب قال خالد لا
بل أخوهم في الإسلام ۞ قال جبلة ومن أنت من أصحاب محمد
قال أنا خالد بن الوليد المعروف بكبش بني مخزوم وهذا الذي
عن يميني عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق وهذا الذي عن
يساري رجل من اليمن من كرام طي هذا رافع بن عميرة وذلك
أني أخذت من كل قبيلة شجعانها وأبطالها وما أنتم عندنا

إلا كطيور وقع عليها صيادها فألقا عليها الشبكة فما انفلت
منها إلا النجيب فزاد غضب جبلة من كلام خالد وقال ستعلم
يا ابن أبي مخزوم إن كان عدوك ميشوم إذا دارت بك
الأسنة ❁ فقال له خالد من أنت من العرب المتنصرة قال
جبلة أنا سيد غسان ومن ملك همدان أنا جبلة ابن الأيهم فقال
له خالد أنت المرتد عن الإسلام أنت الذي اخترت الضلال له
على الهدى فقال جبلة ليس كذلك إنما اخترت العز على
الذل ❁ قال له خالد ولم ترل على ذل نفسك حريصا ❁
وإنما الكرامة في دار البقا والبعد عن دار الشقا قال
جبلة يا ابن الوليد لا تفرط علينا في المقال وإنما إبقائي عليك
وعلى أصحابك بسبب هذا الأسير الذي في أيديكم لأنني أخاف
أن أحمل عليكم فتقتله وهو معظم عند الملك هرقل وقريب
منه في النسب فأطلقه من يدك قال له خالد أما أسيري فلا
أطلقه من يدي أو أقتله وما أبالي بما يصنع بي بعده ❁ وأما
قولك تقصر عني وعن من معي فما أنصفت في الفعال فإذا أردت
النصفة في القتال فإن جمعكم عظيم وحشدكم كثير
ونحن اثنا عشر رجلا وقد أحدقت بنا أعنة خيولكم فإن

أردت النصفة بيننا وبينكم فيبرز واحد لواحد وهذا بطريقكم
معنا فإن قتلتمونا فأسيركم يرجع إليكم وإن ظفرنا الله بكم فلن
يعظم عليكم هلاك أميركم إذا هلكت أنفسكم فرجع جبلة إلى
صاحب عمورية وأعلمه بجواب خالد فطمطم البطريق وأظهر
الغضب من وجهه وانتضا سيفه من غمده ❁ فلما نظر البطريق
إلى خالد وقد أراد أن يحمل عليهم فعند ذلك هم صاحب
عمورية بالبراز سكنه جبلة بن الأيهم ورجع وقال
لخالد الحرب كما ذكرت وها ولا بنوا الأصفر قد رضوا
منك بالمبارزة فمن أحب منكم البراز فليبرز فأراد
خالد أن يبرز فمنعه عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق
وقال يا أبا سليمان وحق رسول الله صلى الله عليه وسلم
لا يبرز إليه إلا أنا وأبذل المجهود فيهم فلعلي أن ألحق
بأبي فتركه خالد وقال له اخرج شكر الله لك
مقامك ❁ فخرج عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق من
بين أصحابه وهو على جواد كان لعمر بن الخطاب رضي الله
عنه قال عبد الله بن الزبير فبرز ابن الصديق وقال دونكم
يا بني الأصفر فأنا عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق ثم

جعل يقول

شعرا

أنا عبد الله ذو القتال ❁ والشرف الفاضل والكمال ❁

ابن عتيق الصادق المقال ❁ صاحب رسول الملك المتعال ❁

قال رافع بن عميرة الطائي فلما برز عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق
برز له من جيش الروم خمس فوارس من شجعان الروم فما
جال عليهم أكثر من جولة الجايل حتى صرعهم قتلا وعجل الله
بأرواحهم إلى النار وهم بالحملة على الروم وإذا قد
خرج عليه جبلة ابن الأيهم وقد اشتد به الغضب ❁ وقال
لعبد الرحمن يا غلام لقد تعديت علينا في فعالك وبغيت علينا
قال له عبد الرحمن وكيف ذلك وما البغي من شيمتنا قال
له جبلة لأنك ملأت الأرض من قتلانا وما خرجت إليك
لأنك ما أنت لي كفوا في القتال وإنما خرجت لأني
نظرت إلى رجل خرج إليك من أصحابك ليعينك على قتالنا
وليس هذا من شيم الإنصاف ولا فعل الأشراف ❁

قال الواقدي

ولقد حدثني غنايم وكان ممن
حضر فتوح الشام قال فلما سمع عبد الرحمن كلام جبلة
تبسم وقال يا ابن الأيهم أتريد أن تخدعني وقد شهدت

الوقايع وخضت المعامع فقال له عبد الرحمن إن كنت صادقا في
قولك فيخرج معك أحد واحملوا علي فإني كفو كريم ❁ فلما نظر
جبلة إلى عبد الرحمن وإنه لا يؤتى من جبلة فتعجب من فعاله وجوابه
وقال له يا عبد الرحمن هل لك أن تدخل في ديننا ونغمسك
في ماء المعمودية غمسة فتخرج نظيفا كما خرجت من بطن أمك
وتكون من حزب الصليب فإن الذي مدحني شاعر نبيك في شعره

يقول

إن ابن جفنة من بقية معشر ❁ عطاؤهم والله كم ريك باللوم ❁
يعطوا الجزيل ولا يرون بأنه ❁ إلا كبعض عطية المرزوم ❁

ثم قال جبلة يا عبد الرحمن إن سمعت مني ما قلت لك تنجو
بنفسك من الهلاك فقال عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق
أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا
عبده ورسوله ❁ يا ويلك أتدعوني من الهدى إلى الضلالة
ومن الإيمان إلى الجهالة وأنا ممن آمن وقرر في قلبه
الإسلام وعرف رشده من غيه فدونك والقتال إن أردت
وتقدم إلي إن عزمت حتى أضربك ضربة أعجل بروحك
إلى النار وتستريح العرب أن تنسب إليك لأنك من غسان

الصليب فغضب جبلة من كلام عبد الرحمن وجرد سيفه من غمده وهم
بالسنان إلى عبد الرحمن وأراد أن يطعنه فزاغ عنها عبد الرحمن
وجعلا يتصنا وبارزا بالسيوف حتى تعب عبد الرحمن عن حمل قناته
فرماها من يده والتقيا بضربتين كان السابق بالضربة عبد
الرحمن فأخذها جبلة في جحفته ووقع فاضل السيف على
البيضة فخرقها وعاطفه عدو الله جبلة فضربه فقطع السيف
الزرد ووصلت الضربة إلى مناكب عبد الرحمن فجرحه
جرحا عظيما ❁ فلما حس عبد الرحمن بالضربة أورا أن الضربة
لا تصل إليه وتقصر جواده حتى لحق بخالد والمسلمين ❁ فلما
نظر المسلمون ما لحق عبد الرحمن أخذوه عن فرسه وشدوا
جراحه وقالوا يا ابن الصديق إن جبلة قد ألمك بضربة
ثم صاح خالد بعبده همام وقال قدم هذا البطريق إلي
فقدمه إليه فأرما برأسه عن جسده وعجل الله بروحه إلى النار
فلما نظرت الروم إلى البطريق وقد قتله خالد غضب
جبلة وقال أبيتم الغدر وقد استوجبتم القتل حين قتلتم
صاحبنا ❁ ثم صاح جبلة بالمتنصرة والأرمن والروم وحرضهم
على القتال فاجتمعوا فلما نظر خالد بن الوليد إلى القوم وقد

عزموا على الحملة فصاح بعبده همام وقال قف بإزاء عبد الرحمن
وادفع عنه كل من أراده بسوء ثم قال لأصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم لا يخرج أحد منكم عن صاحبه وكونوا من
حولي فما أقرب النصر من الله عز وجل فوقفوا أصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم من حول خالد كما أمرهم وما فيهم إلا من
أيس عن نفسه وحملت الروم على المسلمين وعظم بينهم
القتال ❁ قال ربيعة بن عامر والله لقد كان خالد بن
الوليد كلما كرت الخيل علينا وعليه التقاها بنفسه ولم
نزل كذلك حتى لم نجد إلى الخلاص سبيلا وأخذنا
العطش ❁ قال رافع بن عميرة الطائي فلما رأيت ذلك
قلت لخالد يا أبا سليمان نزل القضا بنا فقال والله لقد
صدقت يا ابن عميرة لأنني نسيت القلنسوة التي لي ولم
أصطحبها معي وعظم الأمر علينا وأخذنا الانبهار فبينما
نحن في أشد ما يكون وإذا بهاتف يهتف وهو يقول
نصر الخائف يا حملة القرآن ❁ جاءكم النصر من عند الرحمن
قال الواقدي حدثني الحضرمي عن أبيه قال كنت
مع أبي عبيدة بن الجراح في وقعة أجنادين وشهدت معه

منشرين فبينما نحن على شيزر وأبو عبيدة في مضربه وإذا به قد
خرج من خيمته وهو يصيح بالمسلمين وينادي النفير النفير فقد
أحيط بفرسان المسلمين فأسرع المسلمون إليه من كل جانب
ومكان وقالوا أما بك أيها الأمير قال كنت الساعة نائما
فرأيت في منامي رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ عرفني
وزجرني وقال لي يا ابن الجراح أتنام عن نصرة القوم الكرام
قم والحق خالدا ومن معه فقد أحاطت به الكفار
فلما سمع المسلمون كلام أبي عبيدة تبادروا إلى لبس
السلاح وساروا لنصرة خالد وأبو عبيدة على مقدمة
العسكر إذ نظر إلى فارس يسرع أمام جيوش المسلمين
فأمر أبو عبيدة رجلا من المسلمين أن يلحقه فلما
كلت الخيل عن إدراكه نادى أبو عبيدة على رسلك
أيها الفارس المجد أرفق بنفسك فوقف الفارس حين
سمع ندا أبي عبيدة فنظر أبو عبيدة إلى ذلك الفارس
وإذا هي أم تميم فقال لها ما الذي حملك على ذلك
قالت أيها الأمير إني سمعتك وأنت تصيح بالندا أن خالدا
قد أحاطت به الأعدا فقلت في نفسي إن خالدا لا يخذل

ومعه ذؤابة المصطفى صلى الله عليه وسلم إذ حانت مني التفاتة
فرأيت إلى القلنسوة وقد نسيها خالد فأخذتها وأسرعت بها إليه
فقال أبو عبيدة لله درك يا أم تميم سيري على بركة الله
وعونه قالت أم تميم لقد كنت في جماعة نسوة من
مذحج فلم نزل سائرين حتى أشرفنا على الغبرة والقتال والأسنة
تلوح في القتام قال رافع بن عميرة فبينما نحن قد أيسنا
عن أنفسنا إذ سمعنا التهليل والتكبير فقلنا قد أتانا الفرج من
عند الله عز وجل فلم تكن إلا ساعة حتى أحاطوا جيوش المسلمين
بجيش الكافرين ووضعوا فيهم السيف من كل جانب ومكان
وعلت الأصوات قال مصعب بن محارب والله لقد رأيت عبدة
الصليب وهم هاربون ورأيت خالد بن الوليد وهو ثابت
متشوف إلى الأصوات من أين هي وإذا بفارس قد خرج من وسط
القتام وهو يصبر الروم هبرا حتى أزاح من كان حولنا فأسرع
خالد إليه وقال له من أنت أيها الفارس الذي جاهد في الله
حق جهاده فقالت له أنا زوجتك أم تميم يا أبا سليمان قد
أتيتكم بالمباركة فجعلها خالد على رأسه وحمل وحمل المسلمون
من ورائه فما كان غير بعيد حتى ولى المشركون الأدبار

وركنوا إلى الفرار وتبعهم أصحاب النبي المختار وكان جبلة
ابن الأيهم أول من انهزم والعرب المتنصرة من ورائه ورجع المسلمون
يجمعون الأموال والغنائم وقد فتح الله قنسرين وشكر أبو
عبيدة خالد بن الوليد على فعله ثم قال أبو عبيدة معاشر
المسلمين قد رأيت أن نسير من موضعنا هذا إلى حلب وإلى أنطاكية

ذكر فتح شيزر وحمص

قال الواقدي حدثني سليمان بن علي قال كنت في العسكر
يوم فتح قنسرين فلما بعث أبو عبيدة بالخمس إلى عمر بن الخطاب
قال أبو عبيدة أيها الناس أريد أن تشيروا علي برأي نسير إلى
أنطاكية أو إلى حلب فقال المسلمون كيف نسير إلى أنطاكية
ونقاتل الملك هرقل ونشتغل بقتاله وشيزر وحماة وحمص
قد انقضت مدة الصلح الذي بيننا وبينهم ولا نشك إلا أنهم
أخذوا آلة الحصار وقووا بلادهم فعند ذلك نزل أبو عبيدة
خالدا على حماة وتوجه أبو عبيدة إلى بعلبك وكان على
بعلبك بطريق عظيم اسمه هرمس فقالوا له بطارقته ما أنت
صانعا قال أقاتل العرب لئلا يقع لهم فينا طمع فأشاروا
عليه قومه أن لا يفعل ذلك وقالوا له إن أنت قاتلت العرب

فلم تقدر عليهم فإن أهل البلاد الكبار قد صالحوهم وأذعنوا لهم
بالجزية فقال لا أسمع لكم شيئا وخرج هرمس إلى قتال
المسلمين فلما نظر أبو عبيدة إلى الروم وهم معولين على القتال رتب
أصحابه مواكب وكتائب وقال إن الله تعالى قد أيدكم بنصره
وقد يورث أرضه لعباده الصالحين ثم كتب إلى أهل بعلبك
كتابا يقول بسم الله الرحمن الرحيم من أمير القبائل أبي عبيدة عامر
ابن الجراح إلى أهل المدينة من المخالفين والمعاندين أما بعد
فإن الله عز وجل قد أظهر الدين وأعز أولياءه المؤمنين على
جنوده الكافرين وإن كتابنا معذرة بيننا وبينكم
فإن دخلتم فيما دخل فيه غيركم من الصلح والأمان صالحناكم
وإن أبيتم إلا الحرب والقتال فقد استعنا بالله عليكم والسلام
على من اتبع الهدى وطوى الكتاب ودفعه إلى رجل من المعاهدين
وأمره أن يسير به إلى أهل المدينة ولا يبرح إلا بالجواب
فأخذ المعاهدي الكتاب وسار إلى أن وصل إلى سور المدينة
وخاطبهم بلغتهم وقال لهم إني رسول فدلوا لي حبلا فربطه في
وسطه وأخذه القوم إليهم وأتوا به إلى بطريقهم هرمس فسلم
عليه وناوله الكتاب فعند ذلك جمع البطريق جميع بطارقته

وقرأ عليهم الكتاب وقال أشيروا على برأيكم فقال له بطريق إننا نرا من الرأي ألا نقاتل هؤلاء العرب ونكون في صلحهم وتحت ذمتهم ❁ قال له هرمس لا رحم المسيح جداك فما رأيت في القوم أجبن منكم ولا أخوف ورما هرمس الكتاب من يده فأخذه المعاهدي وأتا به إلى أبي عبيدة وحدثه بما كان من عدو الله هرمس فبينما المسلمون كذلك وإذا بعدو الله هرمس صعد على سور المدينة ونصب له كرسياً من حديد واستعد للحصار وقاتلت المسلمون ذلك اليوم قتالاً شديداً وأصيب من الروم خلق كثير وانصرف المسلمون إلى رحالهم وما لهم همة في طعام ولا شراب سوى الاصطلاء بالنار من شدة البرد وبات المسلمون إلى الصباح وصلوا صلاة الصبح ونادا منادي أبي عبيدة معاشر المسلمين يخرج كل منكم من خيمته حتى يطعمه الأمير طعاماً حاراً حتى يعينهم على القتال ❁ فبينما المسلمون كذلك وإذا بأبواب المدينة قد فتحت وخرج هرمس بمن معه فنادا منادي المسلمين يا خيل الله النفير النفير فعند ذلك نصب أبو عبيدة رايته والناس يهرعون إليها وهو ينادي يا فتيان العرب اليوم اليوم فعند ذلك حمل أبو عبيدة على الروم

وكان في خيله عمرو بن معدي كرب الزبيدي وعبد الرحمن بن أبي ربيعة ومالك الأشتر وذو الكلاع الحميري ولقد أبلوا بلاءً حسناً وكانت وقعة عظيمة ❁ وقتل من المسلمين خمسة وثلاثون رجلاً وقتل من الروم خلق كثير ولم يزل القتال بينهم إلى أن ولى النهار وانفصلت الفريقان ودفنوا من استشهد من المسلمين ❁ فعند ذلك اجتمع المسلمون إلى أبي عبيدة وقالوا ما الذي عزمت عليه قال أن تبعدوا وانتحيا بكم عن المدينة قدر فرسخ يكون مجالاً للخيول لكم والنصر من عند الله ثم ادعا أبو عبيدة بسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل فعقد له راية وضم إليه خمس مائة فارس ثم ادعا بضرار بن الأزور وعقد له راية على ثلاثمائة فارس وأمرهم أبو عبيدة أن يكمنوا خلف الجبل فلما أصبح الصباح رحل أبو عبيدة بمن معه فلما نظر الروم إلى ذلك طمعوا في المسلمين ❁ ففتحوا باب المدينة وخرجوا كالجراد المنتشر وحملوا على المسلمين وإذا بضرار بن الأزور وسعيد بن زيد قد طلعوا من ذروة الجبل وأخذوا الروم من ورائهم فلما نظر الروم إلى ذلك وقد حيل بينهم وبين المدينة قال هرمس هذه من مكايد العرب ❁ ثم إن هرمس

التجا بمن معه إلى ضيعة في الجبل حصينة وتبعه سعيد بن زيد ورجع
أبو عبيدة ونزل على المدينة فلما تحصن البطريق قال سعيد بن
زيد هذه ضائقة أراد الله أن يهلكهم بها ثم قال سعيد لأصحابه
حاصروهم ولا تدعوا أحدا يخرج منهم ۞ ثم إن سعيدا أخذ
معه عشرون فارسا وسار إلى أن وصل إلى عسكر أبي عبيدة
فلما نظر إليه أبو عبيدة ومعه عشرون فارسا قال إنا لله وإنا
إليه راجعون ۞ ذهب المسلمون ثم أقبل أبو عبيدة وقال
يا سعيد أين رجالك وما صنعت بهم فقال أبشر أيها الأمير
بخير وسلامة وإن أعداء الله قد التجأوا إلى ضيعة والمسلمون
لهم محاصرون ۞ فبينما هو يحدث أبا عبيدة وإذا برجل
من المسلمين يتحدر من الجبل وهو ينادي النفير النفير
الحقوا إخوانكم المسلمين فقد أحاطت بهم الروم ۞ قال
مصعب بن عامر كنت في الخيل الذي كانوا محاصرين الدير
في الضيعة وإذا بالبطريق قد خرج إلينا بمن معه وقاتلنا
قتالا شديدا وأشرف المسلمون على الهلاك فبادرت إلى أن
أتيت عسكر المسلمين وناديت النفير النفير فلما سمع أبو عبيدة
النداء صاح بالرماة فأجابوه ۞ فضمهم إلى سعيد وقالوا له

الحق

الحق بأصحابك فمضى المسلمون حتى علوا قلة الجبل وأشرفوا على الروم
وهم قد احتاطوا بالمسلمين ۞ قال أبو زيد كنت ممن حضر
الوقعة على الضيعة وقد أحاطت الروم بنا وصبرنا لهم صبر الكرام
وقد صرع منا سبعون رجلا بين قتيل وجريح حتى سمعنا التكبير
ولحقنا النفير فلما أشرف المسلمون علينا تراجعت الروم على
أعقابها منهزمين وكثر القتل فيهم وبلغ الخبر إلى أبي
عبيدة أن الروم انهزموا فقال الحمد لله الذي جعلهم أشتاتا
ثم قرأ ذلك بأن الله مولى الذين آمنوا وأن الكافرين
لا مولى لهم ۞ فلما انهزم الروم رجع المسلمون إلى
مواضعهم الذي كانوا نزلوا عليها أول مرة فعند ذلك
بعث أبو عبيدة إلى سعيد بن زيد أن ضيق على أهل الضيعة
ولا تفسح لهم فلما نظر البطريق إلى شدة الحصار قال
لقومه أسأنا التدبير في حبسنا لأنفسنا قالوا له البطارقة
فما الرأي ۞ قال رأيت أن أخرج إلى هؤلاء العرب
وأطلب منهم الصلح لنا ولأهل المدينة وأضمن لهم أن
أفتح لهم المدينة ۞ فإذا دخلنا المدينة خادعناهم
ولعلنا نرسل إلى صاحب عين الجرني فيساعدنا على ما نريد

فلمّا سمع القوم كلام بطريقهم أجابوه إلى مراده فلمّا أصبح الصّباح
بعث البطريق إلى المسلمين رجلاً من أصحابه فقعد الرّجل على
جدار الضّيعة وقال يا معاشر العرب هل فيكم أحدٌ يسمع
كلامى فإنّ البطريق أرسلنى إليكم ليطلب منكم الصّلح
له ولأهل المدينة فأخبروا سعيد بن زيد بذلك فقال
سعيدٌ الحاجة له ينزل إلينا ويخاطبنا فرجع التّرجمان وأخبر
الرّجل بذلك فنزل الرّجل ووقف بإزاء سعيد بن زيد
وقال إنّ بطريقنا يطلب منكم الصّلح له ولأهل المدينة
فأجابهم سعيد بن زيد إلى ذلك فرجع الرّجل وأخبر
هرمس بذلك **قال الواقدىّ** ولقد بلغنى أنّ البطريق
هرمس لبس الصّوف وخلع ما كان عليه من الدّيباج
وألقا السّلاح وأتا حافياً حتّى وقف بإزاء سعيد فلمّا نظر
سعيدٌ إليه خرّ ساجداً لله عزّ وجلّ وقال الحمد لله الذى أذلّ
لنا الجبابرة ثمّ إنّ البطريق قال لسعيد هل لك أن
تصالحنى على قومى وعلى أهل المدينة قال له سعيدٌ أصالحك
أنت وقومك على شرطين إنّه من دخل فى ديننا فله ما لنا
وعليه ما علينا ومن اختار الإقامة على دينه وألقى السّلاح

كان آمناً من القتال وأمّا المدينة فالأمير عليها وقد قرب
فتحها وإن أحببت أن تسير إلى الأمير حتّى تسمع كلامك
فسر فأنت فى ذمّتى حتّى يحكم الله بيننا فقال له البطريق نعم
فعند ذلك ادّعا سعيد بن زيد بسعيد بن أبى وقّاص وقال
له كن أنت البشير بما سمعت وما رأيت فأسرع سعيدٌ حتّى أتى
جيش المسلمين ودخل على أبى عبيدة وقال أبشر أيّها الأمير
فإنّ البطريق قد أخذ الأمان من سعيد بن زيد وهو
قابل عليك يطلب الصلح له ولأهل المدينة فلمّا سمع أبو عبيدة
ذلك سجد شكراً لله فلمّا رفع رأسه من السّجود قال
أيّها النّاس تقدّموا إلى المدينة وأظهروا أسلحتكم وكبّروا
تكبيرةً واحدةً حتّى ترعبوا القوم ففعل المسلمون ذلك
وارتجّت المدينة وفزع أهل بعلبكّ وتداعى المسلمون
إلى القتال فأوّل من سارع إلى المدينة وأعطاهم
خبر البطريق أنّه قد طلب الصّلح من الأمير أبى عبيدة
المرقال ابن هشام فقال لهم يا ويلكم هلكت حاميتكم
فلمّا سمع أهل بعلبكّ ذلك من مصالحة بطريقهم
رعبت قلوبهم وقالوا أهلكنا البطريق وأهلك نفسه

وشد المسلمون عليهم الحرب وصاحوا الفوز الفوز **قال الواقدي**
فلما علم ابو عبيدة ان نيران الحرب قد اضرمت على اهل بعلبك
ارسل الى سعيد بن زيد يقول له اسرع بالرحيل الينا بالبطريق
وله الامان الذي اعطيته ولا نخفر لك ذمة فلما جاء
البطريق ورأى المسلمين محاصرين بعلبك قال ايها الامير اني
اصالحك على الف اوقية من الذهب والف اوقية من الفضة
والف ثوب من الديباج فتبسم الامير ابو عبيدة وقال له
نصالحك على ما ذكرت وزيادة خمسة الاف سيف من
سلاحكم ولا تحملوا بعد ذلك سيفا ولا سلاحا ولا تحدثوا
حادثا في كنيسة ولا دير فلما سمع البطريق ذلك
الشرط من اوله الى اخره قال ذلك لكم علينا الا انني
اشترط عليك وعلى اصحابك شرطا قال ابو عبيدة وما هو
قال لا يدخل مدينتنا من جيشكم احد ويكون
صاحبك الذي تتركه علينا خارج المدينة هو واصحابه
ونحن نخرج اليه سوقا يكون فيه جميع ما في بلدنا
وتم الصلح على ذلك قال سهل ابن صالح فجابوا اهل
بعلبك المال بعد اثنى عشر يوما وهم مع ذلك

يحملون

يحملون الزاد والميرة حتى اذا اجتمعت الاموال والثياب
والسلاح وحمل ذلك البطريق واتى بهم الى ابي عبيدة وسلمهم
اليه فعند ذلك ادعا الامير برجل من الصحابة اسمه رافع بن عبيد
وقال اني استعملتك على هذه المدينة وضم اليه خمسة
الاف فارس من بني عمه واربعمائة فارس اخرى من المسلمين
وقال له اوصيك بتقوى الله ولا تكن الا من الولاة
العادلين واياك والجور فتحشر مع الظالمين واقم الارصاد
في طرق البلاد ولا تغفل لانك في طرف العدو واكثر
ما يكون حذرك من الساحل ولا تمكن احدا من اهل
المدينة ان يختلط باصحابك واياك والفساد والله خليفتي
عليك والسلام ثم هم ابو عبيدة بالرحيل واذا
بصاحب عين الجر قد اقبل على ابي عبيدة وصالحه عن
نصف ما صالح به اهل قنسرين وبعلبك وولى عليهم سالم
ابن ذويب ووصاه بما وصا به رافع بن عبيد ثم رحل
ابو عبيدة يطلب حمص فلما وصل بين الرستن اتته
هدية كثيرة ثم سار حتى نزل بحمص وقال اللهم عجل
فتحها واخذل من فيها من المشركين فعند ذلك

كتب كتابا إلى أهل حمص يقول فيه بسم الله الرحمن الرحيم من أبي عبيدة
عامر بن الجراح عامل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب على الشام وقائد
جيوش الإسلام أما بعد فإن الله فتح أكثر بلادكم على أيدينا
ولا يغرنكم عظم مدينتكم وكثرة زادكم فما مدينتكم عندنا
إلا كنصب حجارة في وسط عسكرنا وإنني أدعوكم إلى
دين ارتضاه لنا ربنا وشريعة جاء بها نبينا محمد صلى الله عليه
وسلم فإن أجبتم كان لكم ما لنا وعليكم ما علينا وارتحلنا عنكم
وخلفنا عليكم رجالا يعلمونكم أمور دينكم وإن أبيتم أقررنا
عليكم الجزية وإن أبيتم الجزية فالحرب بيننا وبينكم حتى
يحكم الله وهو خير الحاكمين ۞ ثم طوى الكتاب وسلمه إلى رجل من
المعاهدين ۞ وقال له انطلق بهذا الكتاب إلى أهل حمص وأتني
بالجواب فأخذ المعاهدي الكتاب وسار حتى قرب من السور
فهموا يرمونه بالنشاب فقال لهم أمسكوا أيديكم فإني
رجل منكم وقد جئتكم بكتاب من هؤلاء فدلوا له حبلا فربطه
في وسطه ونشلوه إلى أن صار عندهم فقدموه إلى بطريقهم
فناوله الكتاب ۞ فقال له رجعت عن دينك إلى دين هؤلاء
العرب قال لا أيها البطريق ولكني في ذمتهم وتحت عهدهم

وما رأينا منهم إلا خيرا والصواب عندي أن لا تقاتلوهم فإن القوم
ذوو قوة وبأس والجهاد عندهم أفضل من العبادة ۞ وقد
تقاسموا العرب لا يبرحون عنكم حتى تسلموا لهم المدينة وحق
ديني إنكم أحب إلي من العرب ولكن خائف عليكم من
بأسهم ۞ فلما سمع بطريق القوم ذلك غضب غضبا شديدا وقال
لولا أنك رسول قطعت لسانك على جوابك بهذا الكلام
ثم إن البطريق كتب كتابا لأبي عبيدة أما بعد يا معاشر العرب
إنكم إذا وصل كتابكم إلينا وعلمنا ما فيه من التهديد ولا بد لنا
من الحرب والقتال ۞ ثم طوى الكتاب وسلمه إلى المعاهدي
وأمر أصحابه فدلوه بالحبل من السور فلما قدم على أبي عبيدة
ناوله الكتاب ففضه وقرأه على المسلمين فعول أبو عبيدة على
الحرب والقتال وقسم أبو عبيدة عسكر المسلمين على أربع
فرق فرقة مع المسيب بن نجبة الفزاري وأمره أن ينزل
على باب الجبل وبعث فرقة أخرى وأعطاها لشرحبيل بن حسنة
وبعث فرقة ثالثة مع المرقال ابن هشام وبعث الفرقة الرابعة
مع يزيد بن أبي سفيان وأقام أبو عبيدة وخالد على باب
الرستن وزحف المسلمون إليهم من كل جانب ومكان

وأقاموا يومهم كله في القتال فلما كان من الغد جمع خالد بن
الوليد كل عبد كان في العسكر وأمرهم بالزحف إلى المدينة فقال
له أبو عبيدة ما يغني عنا فعالهم فقال خالد على رسلك أيها الأمير
ولا تخالفني فيما صنعت حتى يعلم العدو أن ما لهم عندنا قدر وما
نقاتلهم بأنفسنا فقال له أبو عبيدة افعل ما شئت وكان العبيد
زهاء عن أربعة آلاف عبد وأشرف عليهم هرمس وقد دار به
عظما بطارقته فلما رأوا العبيد صلبوا على وجوههم وقالوا
ما ظننا أن العرب بهذه الصفة وإنما هم عبيد فقال بعض الروم
ممن حضر من المسلمين بوقعة إجنادين بل هؤلاء عبيدهم
وهذه من بعض مكايد العرب وليس لنا قدر عندهم ولا
يقاتلونا بأنفسهم ولم تزل العبيد والموالي يقاتلون إلى الليل
فعند ذلك بعث هرمس رسولا ومعه كتاب إلى أبي عبيدة
فلما وصل إلى جيش المسلمين ناول أبا عبيدة الكتاب فأخذه
أبو عبيدة وقرأه وإذا فيه مكتوب أما بعد يا معاشر
العرب فإننا قد تبين لنا ضعفكم إذ أنتم بعثتم لنا
عبيدكم لقتالنا ونحن صبيحة غد نخرج إليكم وينصر الله
من يشاء فلما قرأ أبو عبيدة الكتاب استشار المسلمين في ذلك

فقالوا الرأي عندنا أن نكتب إلى أهل حمص أن يميرونا بالزاد
الكثير ونرحل عنهم إلى أن يفتح الله علينا غير مدينتهم ثم نرجع
إليهم ويكون زادهم قد نفد وتفرقوا في بواديهم رجعنا
عليهم بغارة فلم يشعروا بنا حتى ندور بهم قال أبو عبيدة قد
أصبتم الرأي ثم دعا أبو عبيدة بدواة وقرطاس وكتب
جواب الكتاب بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد فقد قرأت
كتابكم ورأيت أنكم تميرونا بالميرة خمسة أيام ونرحل عنكم
وإن فتح الله علينا مدينة غير مدينتكم رجعنا إليكم فإن فعلتم
ذلك كان صلاحا لكم والسلام وطوى الكتاب وسلمه إلى الرسول
فأخذه الرسول وسار إلى تحت السور فأعلمهم بجواب الكتاب
فناولوه إلى بطريقهم فناوله الكتاب فقرأه وفرح بذلك ثم
ادعى ببطارقته وأرباب دولته وقال لهم إن العرب قد
بعثوا إليكم يطلبون الزاد ويرحلون عنكم وقد رأيت من
الرأي أن نزودهم ويرحلون عنا ثم جمع الميرة وبعثها
إلى المسلمين مع قس من قسوس المدينة فأخذها أبو عبيدة
وقال قد قبلنا منكم يا أهل حمص ما حملتم إلينا من الطعام
طوعا واستبشر أهل حمص برحيل العرب عنهم قال الواقدي

فعند ذلك ادعا أبو عبيدة بعبد الله بن جعفر وضم إليه خمسة آلاف
فارس وقال له انطلق إلى الرستن وحاصرها فانطلق عبد الله
ابن جعفر بأصحابه إلى أن قرب من الرستن وحاصرها إلى أن
ضاق بأهلها الحصار فبعثوا أهل الرستن إلى عبد الله بن
جعفر وقالوا له هل لك أن تقبل منا الميرة مثل ما أخذتم من
أهل حمص وترحلون عنا فقال لهم عبد الله بن جعفر اعطونا
مفاتيح البلد ونحن نرحل عنكم فدفعوا لعبد الله بن جعفر
مفاتيح البلد فلما حصلت المفاتيح في أيدي المسلمين ثاروا
على أهل الرستن وكبسوا عليهم وهم في الكنيسة آمنون ولم
يجسر أحد من أهل الرستن أن يخرج إلى المسلمين لأنهم بلا عدة
ولا سلاح وقد أحاطت بهم فرسان المسلمين مثل عبد الله بن جعفر
وربيعة بن عامر والأصيد بن سلمة وعكرمة ابن أبي جهل
وعتبة ابن العاص فلما دخل المسلمون الرستن أعلنوا بالتهليل والتكبير
إذ قدم عليهم خالد بن الوليد بجيش الزحف فلما نظر أهل الرستن
إلى مدينتهم وقد فتحت قهرا بالسيف نادوا الأمان الأمان
فعند ذلك عرض عليهم خالد بن الوليد الإسلام فأسلم منهم
جماعة وبقي أكثرهم على دينهم يؤدون الجزية وكان

عندهم راهب اسمه نقيصا فإنه قال فإني لا أريد بديني بدلا
فقال له خالد اخرج من هذه البلد فخرج بأهله وقصد حمص وأعلم
أهلها كيف فتحت المسلمون الرستن بغير قتال فصعب على أهل
حمص وعلموا أن العرب سترجع إليهم فلما أعلموا أبا عبيدة
أن المسلمين فتحوا الرستن بغير قتال فسجد أبو عبيدة شكرا لله
تعالى وضم إلى عبد الله بن جعفر ألف فارس وأمره بحفظ
الرستن والأصح أنه أمر على الألف فارس هلال بن عامر
اليشكري وهو الأصح **قال الواقدي** وتوجه أبو عبيدة
بعسكر المسلمين إلى شيزر وكانت في صلح المسلمين كما ذكرنا
إلا أن بطريقها مات فبعث الملك هرقل إليها بطريقا متجبرا
اسمه نكير ففسخ الصلح وذاق أهل شيزر ضررا فلما بلغ
أبا عبيدة خبرهم أن بطريقهم مات وتولى عليهم بطريق من
قبل الملك هرقل فنفذ إليهم خيلا من المسلمين تجريدة
أمامه فغارت الخيل على شيزر ووقعت الضجة وسمع البطريق
ضجيجهم فنزل من قلعته وقال لهم يا أهل شيزر تعلمون أن
الملك الرحيم قد استخلفني عليكم لحفظ مدينتكم ثم
إن نكيرا قام من وقته وفتح خزانة السلاح وفرقها عليهم وأمرهم

بالحرب والقتال فبينما هم كذلك إذ أشرف عليهم خالد بن
الوليد في وجوه أصحابه فنزل بإزاء المدينة فلما نظر أهل شيزر إلى
عسكر المسلمين هالهم ذلك ❁ فعند ذلك كتب أبو عبيدة كتابا
يقول فيه بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد يا أهل شيزر أما حصنكم فليس
هو بأحصن من حصن بعلبك ولا من الرستن ولا رجالكم أشجع فإذا
قرأتم كتابي فادخلوا تحت طاعتي ولا تخالفوني فيكون وبالا عليكم
وطوى الكتاب وسلمه إلى رجل من المعاهدين فأخذ المعاهدي
الكتاب وسار إلى أن وصل إلى سور شيزر وقال لهم إني رسول
فشالوه بالحبال وأتوا به إلى بطريقهم نكير وناوله الكتاب
فلما قرأه قالوا له بطارقته وأهل بلده أيها السيد لقد صدقت
العرب فيما قالوا فإن حصننا ليس أمنع من البلاد الذي فتحوها
فكيف تمتنع على شيزر ❁ فلما سمع بطريقهم نكير كلامهم
شتمهم وهم بقتلهم وأمرهم بالقتال من على السور فلما نظر
أبو عبيدة إلى المدينة قال للمسلمين ما الرأي عندكم قال
خالد بن الوليد الرأي عندنا أن نكيد أهل شيزر بمكيدة
قال الواقدي حدثني ثابت بن علقمة قال كنت حاضرا
مع أبي عبيدة ونحن على شيزر وذلك أنه ادعا بأصحاب

رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال اعلموا أن هذا الحصن حصن منيع ❁
وليس إلى فتحه سبيل إلا بالخديعة وأريد أن نجعل منكم عشرين رجلا
في عشرين صندوقا وتكون أقفالهم من عندكم فإذا صرتم في المدينة
فثوروا على اسم الله عز وجل فإنكم تنتصرون فادعا أبو عبيدة
بصناديق الطعام وجعل أقفالها من داخل ❁ فأول من دخل في
الصناديق كان ضرار بن الأزور والمسيب بن نجبة الفزاري
وذو الكلاع الحميري وعمرو بن معدي كرب الزبيدي
والمرقال بن هشام بن عتبة وقيس بن هبيرة وعبد الرحمن بن أبي
بكر الصديق وعبد الرحمن بن مالك الأشتر وعون بن سالم
وجابر بن كلكل الفزاري ومازن بن عامر وربيعة بن عامر
وعكرمة بن أبي جهل وعتبة بن العاص وعبد الله بن جعفر
وجعله أميرا عليهم ثم إن أبا عبيدة أرسل إلى البطريق نكير
أننا سائرون إلى حلب ونريد أن نلقا جيوش الملك ونريد
أن تأخذ هذه الصناديق عندك وديعة لنا إلى أن نعود فنأخذها
فلما أن وصل الرسول إلى البطريق وأخبره بذلك رسم البطريق
بإحضارها فلما حضرت الصناديق شالها نكير في قصر إمارته
وارتحل أبو عبيدة حتى نزل بقرية يقال لها السويدية ❁ فلما

أظلم الليل فتحوا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الصناديق
وخرجوا من وسط الحصن وقاموا الصايح وكان خالد بالقرب من
المدينة فدخل المدينة ووقع القتل في أعداء الله وفرح
المسلمون بذلك وقتل نكير عدو الله وصاح أهل المدينة ❁
الفوز الفوز يعنون الأمان الأمان ❁ وصالح أهل المدينة أبا
عبيدة على أداء الجزية وأقرهم في بلدهم ثم إن أبا عبيدة قال
معاشر المسلمين إن أهل حمص قد خرجوا من ذمتكم فارجعوا إليهم

قال الواقدي فأسرعت المسلمون إلى خيولهم وركبوها
وهموا بالمسير إلى حلب إذ لاحت لهم غبرة عظيمة وهي مقبلة من
أنطاكية فأسرعت إليها خيل المسلمين ❁ وإذا بقس عظيم
ومعه مائة فارس ومائة راجل من الروم وقد أحاطوا بالقس
ولم يكن علم بنزول المسلمين على شيزر فأخذ المسلمون القس
وأوقفوه أمام أبي عبيدة فسأله أبو عبيدة عن خبر الملك
هرقل ❁ فقال القس أيها الأمير اعلم أن الملك هرقل قد
جمع الجيوش وهو يريد أن يسيرها إليكم فعظم ذلك على
أبي عبيدة فعند ذلك عرض أبو عبيدة الإسلام على القس
فقال القس إني مسلم وذلك أني رأيت في هذه الليلة النبي

صلى الله عليه وسلم في المنام وقد أسلمت على يديه فأعرض الإسلام على
الروم الذي معي فأعرض أبو عبيدة الإسلام عليهم فأبوا ذلك فضرب
أبو عبيدة أرقابهم وصار متوجها إلى حمص فلم يشعر أهل حمص إلا
والمسلمون أقبلوا عليهم فارتج أهل حمص إلى المدينة وغلقوا
أبوابها ❁ وقالوا غدرت العرب ونزلت المسلمون على حمص
فعند ذلك كتب بطريق حمص إلى أبي عبيدة ❁ أما بعد
يا معاشر العرب إنا لم نستخبر عنكم الغدر وأنتم صالحتمونا
على الميرة ❁ فلما وصل الكتاب إلى أبي عبيدة وقرأه كتب
جواب الكتاب ألم تعلموا يا أهل حمص أني عاهدتكم على أني
منصرف عنكم حتى أفتح مدينة من مداين الشام ثم يكون الرأي
إلي إن أحببت أن أسير إليكم أو إلى غيركم وإن الله
عز وجل قد فتح لنا مدينة شيزر والرستن والآن فلا عهد
لكم عندي وبعث الكتاب إليهم فلما قرأه البطريق سكت
فعند ذلك نادى أبو عبيدة معاشر المسلمين خذوا أهبة للحرب
إلى حصار المدينة فإن أهل المدينة بلا زاد ولا مدد
فلما شددت المسلمون الحصار على أهل حمص اجتمعت أهل حمص
إلى بطريقهم وقالوا له ما الرأي عندك قال لهم الرأي

عندي انكم تقاتلون ولا ترى بهم ضعفا فقالوا له واين الزاد وما الحيلة
تكون فقال لهم البطريق قاتلوا ولا تخافوا فان عندي جنين طعاما
يقوتكم زمانا طويلا ثم ان البطريق فتح خزانة جلة جرجيس
لعنه الله وفرق عليهم الدروع والسلاح وقدموا الانجيل امامهم
وباتوا طول ليلتهم يبتهلون الى الله تعالى بكلمة الكفر فلما
اصبح الصباح فتحوا ابواب المدينة وخرج اهل حمص الى المسلمين
والتقا الجمعان واختلط الفريقان وعمل الموت الزؤام فتقهقر
المسلمون الى ورائهم فعند ذلك صاح ابو عبيدة يا ابطال
المسلمين الرجعة الرجعة بارك الله فيكم فتراجعت المسلمون
وحملوا على اهل حمص والتقا الجمعان واختلط الفريقان
وكانت حملة منكرة وفشا القتل في الروم فلما
نظرت الروم الى ذلك جثوا على الركب واستتروا بالدرق
وافرغوا جعاب النشاب فلما نظر خالد بن الوليد الى ذلك
برز باللوا وهو صاحب يوم حمص وهو ينادي في اصحابه
شدوا بارك الله فيكم فانها غنيمة الدنيا والاخرة قال
له ابو عبيدة لله درك يا ابا سليمان لقد جاهدت في الله
حق جهاده ولما نظر المرقال الى ذلك صاح ببني زهرة

وعلى راسه بيضا تلمع وحمل على ميمنة القوم وحمل من بعده
ميسرة ابن مسروق العبسي وحمل من بعده عكرمة بن
ابي جهل وجعل عكرمة يجزر في القوم جزرا ويهبرهم هبرا
وغاص في اوساط الروم فقصده هرمس صاحب حمص ورماه
بسهم فوقع السهم في صدره وعجل الله بروحه الى الجنة فلما
نظر خالد بن الوليد الى عكرمة وقد قتل وقف على مصرعه وبكا
وقال رحمك الله يا عكرمة ولم يزل المسلمون في الحرب والقتال
حتى هجم عليهم الليل وانصرف المسلمون الى رحالهم وباتوا طول
ليلتهم يقرؤون القرآن فعند ذلك استشار ابو عبيدة خالد
ابن الوليد وقال له ان ننكشف عن القوم ونذرهم من ورائنا
وندع لهم سوادنا واموالنا فاذا ابتعدنا عن مدينتهم
تمكنا منهم فاستصوبوا رايهم فلما كان من صبيحة غد التقا
الجمعان فانهزم المسلمون على ما بينهم من الحيلة فتبعهم هرمس
باصحابه وكان بحمص قس عظيم فلما نظر الى المسلمين وقد
انهزموا وخلفوا وراهم اولادهم واموالهم قال ان هذه
حيلة عملوها العرب عليكم لان العرب لا تنهزم وتدع اموالهم
واولادهم لكم ولو قتلت على بكرة ابيها فلما ابعد البطريق

عن المدينة نادا ابو عبيدة معاشر المسلمين الرجعة الرجعة بارك الله
فيكم فلما سمع المسلمون صوته عطفوا على الروم كالسهام الراشقة
حتى احاطوا بالبطريق ومن معه من كل جانب فلما نظر الروم
الى المسلمين وقد احاطوا بهم حملوا حملة واحدة ۞ واشتد
القتال وكثر النزال وعظمت الاهوال وتكسرت الصلبان
وانخطمت الرجال ۞ فعند ذلك ابتدر خالد بن الوليد
ونادا برفيع من صوته رحم الله من جرد سيفه وقوى عزمه
وقتل اعداه ونادا ابو عبيدة قاتلوا عن حريمكم واموالكم
فان الله مطلع عليكم **قال الواقدي** وكان معاذ
ابن جبل قد انفرد في خمس مائة فارس وكمن في اموال
المسلمين فلما نظر الى هرمس وقد تبع جيش المسلمين انقض
عليهم في الخمس مائة فارس فما شعر الروم الا والطعن
قد اخذهم من كل جانب فقتل من الروم من قتل
وانفلت من انفلت وقتل عدو الله هرمس ولما وضعت الحرب
اوزارها اخذ المسلمون الاسلاب والدروع ۞ ووقع
الصايح في حمص واجتمع اهل حمص الى كنيستهم وعزموا على ان
يسلموا حمص الى المسلمين فعند ذلك خرج اهل حمص الى المسلمين

وصالحوهم وان يكونوا تحت ذمتهم فقال لهم ابو عبيدة انتم تحت
ذمتنا لكن لست ادخل الى مدينتكم حتى نرا ما يكون بيننا وبين الملك
هرقل وافتقد ابو عبيدة المسلمين ففقد منهم ماتين وثلاثين
رجلا اكرمهم الله بالشهادة فصلى عليهم ابو عبيدة وامر
بدفنهم الى رحمة الله تعالى ۞

ذكر وقعة اليرموك وما جرا فيها

لاصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم **قال الواقدي**
واتصلت الاخبار بالملك هرقل ان المسلمين فتحوا حمص والرستن
وشيزر وبعلبك وقتلوا بطارقتهم وملكوا مدائنهم واحتووا
على اموالهم فعظم ذلك عليه وجمع الجموع وجيش الجيوش
حتى كان اول الجيش عند انطاكية واخره مقدار احد
وعشرين فرسخا وقام فيهم خطيبا وقال يا اهل دين النصرانية
ومن غمس في جرن ماء المعمودية ۞ قد حذرتكم من هولاء العرب
فلم تقبلوا قولي واردتم قتلي وحق المسيح لا بد لهم ان يملكوا
ما تحت سريري هذا فتوبوا للمسيح من ذنوبكم واني قد
صرفت هذا الجيش الى بلادهم واخذ اهلي ومالي واسير الى
القسطنطينية فاكون امنا هناك من العرب ۞ فلما سمعوا

ذلك من الملك صعقوا بين يديه وقالوا أيها الملك لا تفعل ذلك
ولا تخذل دين المسيح فنطالب بذلك إلى يوم القيامة وتعايرونا
الملوك بذلك ونخرج إلى قتال العرب ولعل النصر ينزل علينا فقال
لهم الملك تفرقوا على أربع فرق فإنكم إن أخذتم في طريق واحد
لم يسعكم ثم إن الملك خلع على جبلة ابن الأيهم وضم إليه
العرب المتنصرة من لخم وجذام وغسان وادعا بماهان الأرمني
وخلع عليه وقال له قد وليتك على هذا الجيش كله فلا أمر
على أمرك ثم قال لقناطر وجرجس لا تقطعون أمرا إلا بمشورة
ماهان وجدوا في طلب العدو واستعينوا بالصليب

قال الواقدي ونفذ قورين على أرض العواصم وجعل
ماهان على مقدمة جبلة ابن الأيهم وكان لأبي عبيدة
جواسيس من المعاهدين يعرفونه بأخبار الروم فجاؤوا إلى أبي
عبيدة وأخبروه بما رأوا من جيوش الروم فقال أبو عبيدة
لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم فعند ذلك قام أبو عبيدة
في الناس خطيبا فحمد الله وأثنى عليه ثم قال يا معاشر
المسلمين رحمكم الله إن الله سبحانه وتعالى أبلاكم بلاء حسنا
لينظر كيف تعملون وذلك عندما صدقكم الوعد لأن عيون
المعاهدين أخبروني أن عدو الله هرقل قد استنفر علينا من ساير
بلاد الشرك وقد سيرهم إليكم يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم
والله متم نوره ولو كره الكافرون واعلموا أن الله معكم
وليس بقليل من يكون الله معه والله خاذل عدوكم وليس
بكثير من يكن الله خاذله فما عندكم من الرأي فقام إليه
رجل من المسلمين وقال أيها الأمير الرأي أن تسير من موضعك
هذا إلا أن تقرب من المدينة والأمداد تصل إلينا من
الخليفة فقال أبو عبيدة أي وقت تزحزحت من مكاني
هذا كره لي عمر ذلك وعنفني ويقول تركت مدنا فتحها
الله على يديك ورجعت إلى ورائك وكان ذلك هزيمة
منك ثم قام قيس بن هبيرة وقال يا أمين الأمة إن الشام
خصبة والحجاز جدبة فإن كنت تدع لهم هذه الأشجار
والقصور فتلك مصيبة عظيمة **قال الواقدي** وكان
جملة الجيش الذي بعثه الملك هرقل إلى اليرموك ثمان مائة
ألف من طوائف الكفر ثم قال أبو عبيدة أيها الأمير الرأي
عندي أنك ترحل من هاهنا وتستقبل عدوك وتنزل
باليرموك ويكون المدد يأتي إلينا من أمير المؤمنين فلما تكلم

خالد بهذا الكلام قالت المسلمون نعم ما قاله خالد واشار به قال
الواقدي فعند ذلك أمر أبو عبيدة المسلمين بالرحيل وادعا أبو
عبيدة بخالد بن الوليد وضم إليه جيش الزحف وأمره أن يكون
على مقدمة المسلمين ولم يزالوا سائرين حتى نزلوا باليرموك
وكان هناك تل عظيم فحط النساء فيه والأموال والأولاد
وأمرهم باليقظة وأقام الحرس وبعث الطلايع والعيون على
ساير الطرقات وأقام المسلمون باليرموك وهم مستعدون
للقتال ولم يزل العدو يتقرب إلى أن وصل بالقرب من أرض
الجولان فلما نظر المسلمون إلى كثرة الروم استعانوا عليهم
بالحي القيوم وكان الملك هرقل قال لماهان لا تبرز
إلى الحرب حتى تبرز المسلمون إليك فعند ذلك بعث ماهان جرجس
رسولا إلى المسلمين فسار حتى وقف بإزاء المسلمين وقال
معاشر المسلمين يخرج إلينا أميركم حتى نعرض عليه مقالتنا
فركب أبو عبيدة إلى أن قاربه وقال يا أخا الكافر
ما أنت بقائل قال جرجس يا معاشر العرب لا يغركم أن تقولوا
هزمنا الروم في مواطن كثيرة وفتحنا مدائنهم والآن
انظروا الذي أقبل عليكم فلا قدرة لكم عليه فقال

له أبو عبيدة لا تخوفنا بالسيف ففي طلب السيف خرجنا والله تعالى
ينصر عباده المؤمنين ولا بد لنا أن نملك أرضكم بأسرها
كما وعدنا نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فلما سمع جرجس
كلام أبي عبيدة رجع إلى ماهان وأخبره بما قال فقال
ماهان أدعوكم إلى الصلح قال لا وحق المسيح فادعا ماهان
بجبلة ابن الأيهم وقال له اخرج إلى هؤلاء العرب وخوفهم من
كثرتنا فخرج جبلة بن الأيهم ووقف بين الصفوف ونادا
يا معاشر المسلمين فأجابه عبادة بن الصامت فنظر إليه جبلة
فرآه رجلا أسمر طويلا كأنه من رجال شنوءة فقال له من
أنت قال له أنا عبادة بن الصامت صاحب النبي صلى الله عليه
وسلم فقال له جبلة إن أمرني الملك ماهان أن أخرج إليكم
لأعلم أن أكثركم من الرحم والقرابة وإني
ناصح لكم واعلموا أن هؤلاء العرب الذي معكم لن تغني
شيئا مع الجيش العظيم الذي لا قبل لكم به ولا لكم ملجأ
تلجأون إليه وما قد أخذتم من بلاد الملوك فخذوه
وارحلوا إلى بلادكم فقال له عبادة ابن الصامت نحن
نعلم أنه من بقي من جنودكم فقد تيسر أمره علينا وإنني

أدعوك إلى الإسلام فاتبع سبيل من أناب إلى الحق
فغضب جبلة من كلام عبادة فقال له عبادة بن الصامت
إن أبيت الإسلام فستلقانا في الوقعة وتحطمك أنت
ومن معك بسيوفنا فلما سمع جبلة ابن الأيهم ذلك
قال يا بن العاهرة إنما خرجت أريد أن أنصحكم فاسأل
قومك أن يجيبونا إلى الصلح قال له عبادة ابن الصامت لا
صلح لكم عندنا إلا بإحدى ثلاث إما الإسلام أو أداء
الجزية أو القتال فرجع جبلة إلى ماهان فزعا مرعوبا
من كلام عبادة ثم إن ماهان قال لجبلة سر إلى جيش
العرب وخذ معك ستين ألفا من قومك فأخذ جبلة معه
ستين ألفا وسار إلى أن أقبل إلى جيش المسلمين وأبو
عبيدة يتحدث مع عبادة بن الصامت فيما جرى بينه وبين
جبلة ابن الأيهم إذ أشرف عليهم جبلة بن الأيهم فلما
رآهم المسلمون قال بعضهم لبعض جاءتكم العرب المتنصرة فاخرجوا
إليهم فصاح بهم خالد بن الوليد اصبروا ولا تعجلوا سأكيدهم
فقال له أبو عبيدة وما هذه المكيدة قال إن القوم استعانوا
علينا وهم في أضعاف عددنا وإن قاتلناهم بجمعنا كان

ذلك وهن وضعف فإني أريد أن أنفذ إليهم رجالا من أعز أبطالنا
يردونهم على أعقابهم فإن فعلوا ذلك كان كسرة عليهم فقال
أبو عبيدة افعل ما بدا لك ثم قال خالد يا قوم إن القوم في ستين
ألفا من العرب المتنصرة ونريد أن نلقى هذه الفئة الكبيرة وهذا
الجمع الكثير فإن قاتلنا جبلة ابن الأيهم كان ذلك لنا هيبة
في قلوبهم ولكن ننتدب ثلاثين رجلا منا لهم لكل رجل منكم ألفان
من العرب المتنصرة فقال أبو سفيان صخر بن حرب إن أجابك
رجل إلى ذلك كان مغترا بنفسه قال خالد يا أبا سفيان لا تكن جبانا
في الإسلام شجاعا في الجاهلية فقال له أبو سفيان ما قلت ذلك
إلا شفقة على المسلمين فإن صح عزمك فاجعل ستين فارسا تخرج إلى
ستين ألفا يقاتل الرجل منهم ألفا فقال خالد نعم ما أشار به أبو
سفيان فضم إليه خالد ستين فارسا من المسلمين وأمرهم بأخذ
الأهبة وقاموا الستون فارسا إلى رحالهم لإصلاح شأنهم وأما
ضرار ابن الأزور فإنه أقبل إلى خيمته وودع أخته خولة بنت
الأزور وكذلك الستون رجلا فلما رجعوا إلى خالد كان
أول من خرج إلى القتال خالد بن الوليد فلما تكاملت الستون رجلا
خرج خالد بن الوليد ونادى يا عبدة الأصنام هلموا إلى الحرب

والقتال فصاح جبلة بقومه يا آل غسان الحملة الحملة فحملت الستون
ألفا على الستين رجلا واشتعلت نار الحرب بينهم فما كنت تسمع
إلا هدير القوم فكبرت المسلمون وأخذهم القلق على إخوانهم
والروم تقول إن أهلك جبلة هؤلاء الرجال فهلاك
العرب حاصل ۞ ولم يزل الحرب بينهم إلى أن رحلت الشمس
للغروب وإذا بصوت المتنصرة منهزما وأصوات المسلمين قد ارتفعت
بالتهليل والتكبير والصلاة على البشير النذير وافتقد خالد المسلمين
فلم يجد منهم إلا عشرين رجلا فقال إنا لله وإنا إليه راجعون ۞
هلكت المسلمون ۞ فعند ذلك قام خالد يتتبع آثار القوم فما
سار غير بعيد حتى سمع التهليل والتكبير فأتاهم خالد رضي الله
عنه فأقبل القوم إليه فقال لهم ما شأنكم قالوا لما هزم الله
المشركين وذلك أن رجالا منا قد أسرتهم العرب المتنصرة
فرجونا أن نخلصهم فلم نر لهم خبرا ولا شك أنهم قتلوا قال
خالد افتقدوا موضع المعركة ففعلوا ذلك فوجدوا قد قتل من
المسلمين عشر فوارس ومن العرب المتنصرة خمسة آلاف
وبقا من المسلمين خمسة وثلاثون رجلا وفقد منهم خمسة ولا هم
بين القتلى فقال خالد هم في الأسر لا محالة فمن قتل كان

أجره على الله ومن أسر فخلاصه على الله عز وجل ورجع جبلة إلى ماهان
وقال أيها الملك إننا لم نزل منصورين عليهم حتى أقبل الظلام وكان
صارخا صرخ بنا فبدد شملنا وفرق جمعنا فقال ماهان وحق الصليب
لا يحمل في غد إلا أنا بخيلي ورجالي حتى أجعلهم رميما وبات أبو عبيدة
وقد أجمع أمره على ملاقاة الروم فعند ذلك كتب أبو عبيدة
كتابا إلى عمر بن الخطاب يقول فيه بسم الله الرحمن الرحيم من أبي
عبيدة عامر بن الجراح إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله
عنه سلام عليك فإني أحمد الله الذي لا إله إلا هو وأصلي على
نبيه محمد صلى الله عليه وسلم واعلم يا أمير المؤمنين إن كلب الروم
قد استنفر علينا كل من عبد صليبا والعدو في ثمانمائة ألف
مقاتل غير الأتباع وستين ألفا من العرب المتنصرة ۞ فأول
من بارز جبلة بن الأيهم وقاتلنا وخرج إليه من جيشنا ستون رجلا
فهزم الله المشركين على يديهم وقتل من أصحابنا الستين عشرة
وأسر منهم خمسة منهم رافع بن عميرة الطائي وربيعة بن عامر
وضرار بن الأزور وعاصم بن عميرة ويزيد بن أبي سفيان وقتل
من المتنصرة خمسة آلاف فارس ونحن على نية اللقا والحرب
والله ينصر من يشاء والسلام عليك وعلى جميع المسلمين ورحمة الله

وبركاته وطوى الكتاب وسلمه إلى عبد الله بن قرط الأسدي
فأخذه وسار يطلب يثرب فلما وصل المدينة دخل المسجد وصلى
ركعتين وسلم على قبر النبي صلى الله عليه وسلم وعلى قبر أبي بكر
الصديق رضي الله عنه وسلم على عمر بن الخطاب رضي الله عنه
وأعطاه الكتاب فلما قرأ عمر الكتاب انصبغ لونه وقال إنا لله
وإنا إليه راجعون وكان عثمان بن عفان وعلي بن أبي
طالب والعباس بن عبد المطلب وعبد الرحمن بن عوف وطلحة
والزبير حاضرين عنده فقالوا له أطلعنا على ما في الكتاب
يرحمك الله فقرأه عليهم فضجوا بالبكاء والنحيب وكان أشدهم
في البكاء عبد الرحمن بن عوف فقال يا أمير المؤمنين ابعث بنا
إليهم فوالله لا أملك إلا نفسي وما أبخل بها على المسلمين فقال
علي بن أبي طالب اعلموا أن هذه الوقعة التي ذكرها رسول الله
صلى الله عليه وسلم قبل موته وقال الذي يبقى ذكرها
إلى الأبد هذه الفتنة المهلكة المدبرة على من كفر بالله عز
وجل ثم قال لعمر بن الخطاب اكتب إلى عاملك أبي عبيدة
إن نصر الله خير له من نصرتنا ثم إن عمر بن الخطاب كتب
كتابا إلى أبي عبيدة يقول فيه بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله

أمير

أمير المؤمنين إلى أبي عبيدة عامر بن الجراح سلام عليك فإني أحمد
الله الذي لا إله إلا هو وأصلي على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم
وإني قرأت كتابك وعلمت ما فيه وكأنك بالأمداد وهي
واصلة إليك فاطلب النصر من الله عز وجل ولا تتكل على جيش ولا
سلاح ولا تتوكل إلا على الله عز وجل والسلام عليك وعلى
جميع المسلمين وطوى الكتاب وسلمه إلى ابن قرط فأخذه وسار
إلى أن وصل إلى اليرموك قال فأنخت ناقتي وسلمت على أبي
عبيدة وناولته الكتاب فأخذه وقرأه على المسلمين فلما
سمع المسلمون ما في كتاب عمر بن الخطاب طابت قلوبهم
وقالوا ما منا إلا من يطلب الشهادة فالله يبلغنا إياها
قال الواقدي ولقد بلغني من الثقات رضي الله عنهم
أنه لما سار عبد الله بن قرط بالكتاب إلى جيش المسلمين سمعنا
صوتا هائلا فخرجنا مبادرين من المدينة ننظر ما الصوت وإذا
نحن بخيل من اليمن نحو ستة آلاف فارس جابر بن خويلد
اليربوعي وما جن الليل حتى قدم من أهل مكة ألف
لابس فعند ذلك عقد عمر بن الخطاب راية وسلمها إلى سعيد
ابن عامر وقال يا سعيد اعلم أنني قد وليتك على هذا

الجيش ولست بأخير منهم إلا أن تكون أتقاهم فإذا سرت فارفق بهم
ولا تحقر صغيرهم ولا تتبع هواك والله خليفتي عليك وعلى من
معك ثم أمره بالمسير وجعل سعيد بن عامر يجد في سيره ويتجنب
العمران ويسلك الفلاة إلى أن وافى واديًا كثير الشجر
وفيه عين ماء تجري فنزل المسلمون عليه وسقوا خيولهم وبتنا
تلك الليلة والمسلمون يقرؤون القرآن إذ سمعنا هاتفًا يقول
يا عصبة الهادي إلى الرشاد لا تفزعوا من هول هذا الوادي
ما فيه جن لا ولا معادي إلا الظفر من العزيز الهادي
ستعلموا يا معشر العباد لطف الذي يرفق بالأولاد

قال الواقدي حدث سعيد بن عامر قال فلما سمعت
كلام الهاتف سجدت شكرًا لله تعالى وسرنا حتى أشرفنا
على الوادي من بلد عمان فأشرفنا على قرية هناك فنظرت إلى
دهاقين تلك القرية وهم خارجون منها ومعهم الأهل والأولاد
فلما نظر المسلمون إليهم حملوا عليهم من غير أن أمرهم بذلك
فأخذوا بعضهم أسارى ورجع بعضهم إلى القرية وتحصنوا بها
وطلبوا منا الأمان فأمناهم واستخبرناهم عن الروم فقالوا
لنا اعلموا أن صاحب عمان لا بد أن تلقوا منه شدة لأنه
خرج بعسكره وهو يريد أن يقدم على جيش الملك هرقل باليرموك
وهو أمامكم بعسكره قال سعيد بن عامر فنزلنا في ذلك
الوادي وكمنا فيه يومًا وليلة لعلنا نظفر بالبطريق ومن معه
قال سعيد بن عامر فقلت لأصحابي الذي وجهنا إليه أمير المؤمنين
هو خير لنا من مقامنا فاخرجوا بنا نسير فبينما نحن نسير إذ أشرفنا
على جيش عمان فحمل المسلمون فيهم ووضعوا السيوف في أقفيتهم
فقتلوهم عن آخرهم وانهزم بطريقهم إلى عمان والمسلمون
في أثره إذ لحق البطريق أمامه خيلًا تسرع بركابها زهاء
عن ألف فارس يقدمهم فارسان كأنهما أسدان قال
سعيد فتأملتهما فإذا هما الفضل بن العباس والآخر الزبير بن
العوام فحمل الزبير على البطريق صاحب عمان وطعنه طعنة
جندله صريعًا وعجل الله بروحه إلى النار قال سعيد بن
عامر فما انفلت من جيش عمان أحد ثم أمر الزبير برؤوس
القتلى فسلخت وحملتها العرب على أسنة الرماح وكانت
الرؤوس أربعة آلاف رأس والأسارى ألف أسير وسار سعيد
ابن عامر بمن معه والزبير بن العوام والفضل ابن العباس بمن
معهما مؤيدين منصورين إلى أن وصلوا إلى جيش المسلمين

باليرموك ❁ فلما نظر ابو عبيدة اليهم سجد شكرا لله تعالى وامر
بالالف فارس لاسارى من الروم فاعرض عليهم الاسلام فابوا ذلك
فضرب اعناقهم **قال الواقدي** ولقد بلغني عن الثقات رضي الله
عنهم انه لما اسرت الروم الخمسة اصحاب رسول الله صلى الله عليه
وسلم اغتم المسلمون لذلك غما شديدا واكثرهم غما خالد
ابن الوليد وذلك ان الخمسة لما اسروهم الروم احضروا
بين يدي ماهان الارمني ❁ فلما نظر اليهم استحقرهم فقال
لهم جبلة ابن الايهم ايها الملك هؤلاء امراء جيوش المسلمين
وما بقي في جيش المسلمين الا رجل واحد وهو الذي فتح البلاد
فقال ماهان لا بد لي ان احتال عليه بحيلة حتى اجعله
عندي واقتله هو وهؤلاء الخمسة ❁ ثم ان ماهان ادعى بقس
من الروم اسمه جرجة وكان حكيما عارفا بدين النصرانية
وفصيحا بلسان العرب فقال له ماهان سر الى هؤلاء العرب
وقل لهم يبعثوا لنا رسولا وليكن خالد بن الوليد فسار جرجة
الى ان وقف بازاء جيوش المسلمين ونادى يا معاشر العرب ان
الملك ماهان يريد ان ترسلوا اليه خالد بن الوليد يعقد
معه الصلح ولعل الله يحقن دماءنا ودماءكم ❁ فقال خالد انا

ذلك الرجل الذي يشفي الغليل ويرضي الرب الجليل فعند ذلك
دخل خالد بن الوليد الى خيمته ولبس خفين حجازية وتعمم
بعمامة سودا وضم اليه ابو عبيدة مائة رجل من ابطال
المسلمين وفرسان الموحدين من المهاجرين والانصار كل
واحد يلقا جيشا بنفسه رضي الله عنهم وسار خالد بمن معه
حتى اشرفوا على عسكر المسلمين فودعوهم ودخلوا
عسكر الروم ورفعوا اصواتهم بقول لا اله الا الله محمد
رسول الله ❁ ثم استقبلهم جبلة ابن الايهم الغساني فقال
لهم من انتم ❁ فقالوا له ان هذا خالد ابن الوليد وقد
اتا رسولا يريد ماهان قال لهم جبلة قفوا في مواضعكم
حتى استاذن لكم الملك فدخل جبلة ابن الايهم على ماهان
وقال له ايها الملك ان صاحب العرب خالد بن الوليد
قد اقبل اليك ومعه مائة فارس ❁ قال خالد انما اردنا
ذلك ليكون لنا فيه صلاح فاقبل جبلة على خالد بن الوليد
وقال يا معاشر العرب ان الملك ماهان ما يريد الا خالدا
وحده ليساله عما يريد ❁ قال خالد لجبلة قل لصاحبكم
ان خالدا لا يدخل الى عسكركم الا ومعه اصحابه فانه

لا يستغنى عن رأيهم فرجع جبلة إلى ماهان وأخبره بذلك فقال ائذن لهم
أن يدخلوا فإذا صاروا بمضربي فأمروهم بالنزول عن خيولهم وخلع
سيوفهم فمضى جبلة وأمرهم بالمسير فساروا أصحاب رسول الله صلى الله
عليه وسلم ❀ فلما صاروا بإزاء مضرب ماهان ناداهم جبلة قد
وصلتم إلى سرادق الملك فانزلوا عن خيولكم واقلعوا سيوفكم
فقال خالد أما خيولنا فلا ننزل عنها وأما سيوفنا فإنها عزنا
وما كنا بالذي نخلع عزنا ❀ فأعلموا ماهان بذلك فقال ماهان
دعوهم يدخلوا كيف ما أرادوا **قال الواقدي**
فدخلت المسلمون يجرون حمايل سيوفهم وطرحت لهم كراسي
فلم يجلسوا عليها وجلسوا على الأرض فلما نظر ماهان إلى فعلهم
قال لهم تأبوا الكرامة قالوا إن بساط الله أطهر من بساطك
قال ماهان يا خالد إني أكره أن أبدأك بالكلام قال
خالد تكلم فيما تريد ولكل كلام جواب قال ماهان الحمد لله
الذي جعل سيدنا المسيح أفضل الأنبياء ❀ فقطع خالد كلامه
وقال الحمد لله الذي ابتلانا وأحسن البلا وجعلنا نؤمن
بنبينا ونبيكم وساير الأنبيا ❀ فاصفر وجه ماهان وقال
الحمد لله الذي عافانا من الفقر ولقد كانت طايفة منكم يا معاشر

العرب يغشوننا وكنا نظن أن العرب يعرفوا لنا ذلك فما
شعرنا حتى جيتمونا بالخيل والرجال والآن فاخرجوا من بلادنا
وإن أبيتم إلا انصرافا رددناكم على أعقابكم وإن أردتم
الصلح بيننا وبينكم أمرنا لكل واحد منكم أيتها الأمرا بمائة
دينار ولأمير جيشكم أبي عبيدة بألف دينار وللخليفة
نبيكم عمر بن الخطاب عشرة آلاف دينار على أنكم تحلفون لنا
أنكم لا تغزونا ولا نغزوكم ❀ ثم قال له ماهان لقد
أعجبني عقلك يا خالد وبصيرتك وأريد أن أواخيك فقال له
خالد وافرحاه إن تم الله مقالك فقال ماهان وكيف ذلك
قال خالد تشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدا
عبده ورسوله فإن فعلت ذلك كنت أخي ❀ فقال له
ماهان أما ما دعوتني إليه من ترك ديني والدخول في دينك
فما لي إلى ذلك من سبيل فقال له خالد وكذلك أنا ما لي
سبيل إلى مواخاتك وأنت مقيم على الكفر وإني أدعوك
إلى عبادة الله عز وجل ولا تعبد من دونه صنما ولا تتخذ
من دونه وليا ولا تجعل له صاحبة ولا ولدا ولا شريكا ولا ضدا
ولا ندا لا تأخذه سنة ولا نوم فمن اتبعها كان أخانا

وصار له ما لنا وعليه ما علينا ومن أبا الإسلام يؤدي الجزية
إلينا عن يد وأنتم صاغرون ۞ ونحن ندعوكم إلى هذه الثلاث
خصال ليس عندنا غيرها إما أن تقولوا لا إله إلا الله محمد رسول الله
أو أداء الجزية على كل رجل يحتلم دينارا وليس على من لا يحتلم
جزية ولا على راهب ولا على امرأة ۞ فقال ماهان ما بعد
لا إله إلا الله محمد رسول الله شيء من أمور دينكم قال
خالد نعم تقيمون الصلاة وتؤتون الزكاة وتحجون البيت ۞
وتجاهدون من كفر بالله وتأمرون بالمعروف وتنهون عن
المنكر وتوالون في الله وتعادون في الله فإن أبيتم ذلك
فالحرب بيننا وبينكم حتى يورث الله أرضه لمن يشاء
والعاقبة للمتقين ۞ فقال ماهان افعل ما تشاء فإننا لا نرجع عن
ديننا ولا نؤدي الجزية وأما ما ذكرت أن الأرض لله
يورثها من يشاء من عباده فلقد صدقت فإنها لم تكن لنا ولا
لكم بل كانت لقوم غيرنا وغيركم فقاتلناهم عليها حتى
ملكناها والحرب بيننا وبينكم ۞ فقال له خالد والله ما
أنتم بأشد منا إلى الحرب والقتال والطعن والنزال فلما سمع
ماهان كلام خالد غضب غضبا شديدا **قال الواقدي**

فلما نظرت الحجاب والهرقلية والقياصرة والأرمن إلى غضب
ماهان هاجوا على خالد إلا أنهم منتظرون أمره فقال ماهان
لخالد وقد استوثق منه غضبا لقد كنت أكلمك ولك في قلبي
رحمة وقد صار موضع ذلك غضبا شديدا ۞ فوحق المسيح
لأحضرن أصحابك الخمسة وأضرب أعناقهم ۞ فقال له
رضي الله عنه اسمع ما أقول لك اعلم أن أصحابي الخمسة
مناهم القتل ونحن مثلهم فوحق النبي محمد صاحب
الدعوة المجابة ووحق بيعة أبي بكر الصديق وخلافة
عمر بن الخطاب رضي الله عنه لئن قتلتهم لأقتلنك
بسيفي هذا ويقتلون أصحابي هؤلاء أعدادا من قومك
ثم وثب خالد من موضعه وامتشق سيفه من غمده وأصحابه
كذلك وهم يقولون لا إله إلا الله **قال الواقدي**
حدثني مسلم بن عبد الحميد عن جده مازن بن رافع
قال كنت مع خالد بن الوليد في سرادق ماهان الأرمني
فجذبنا السيوف وهممنا بالقوم وما في أعيننا شيء من القوم
وقد أيقنا أن الحشر في ذلك الموضع فلما رأى خالد الحقيقة
منا هم على أعداء الله فعند ذلك تبين لماهان الموت

من شفا سيوفنا عند ذلك ناداه مهلا يا خالد ولا تكن بهذه
العجلة فتهلك وإنني أعلم أنك رسول والرسول لا يقتل وإنما
تكلمت بهذا الكلام لأختبركم وأنظر ما عندكم والآن
فارجع إلى جيشك واعزم على القتال ويعطي الله النصر لمن يشا
فلما سمع خالد ذلك أغمد سيفه وقال يا ماهان ما تصنع
بهؤلاء الأسارى أصحابنا فقال ماهان أطلقهم كرامة لك
ليكونوا لك عونا وتجزونا في الحرب ففرح خالد بذلك ثم
إن ماهان ادعى بالأسارى فأطلقهم من وثاقهم وهم خالد
بالمسير ❁ فقال له ماهان يا أخا العرب إني أسألك أن
تهدي لي هذه الجبة الحمرا التي عليك لأنها قد أعجبتني وأي
شيء أعجبك في عسكري فأنا أعطيك ❁ فقال له خالد لقد
فرحتني حين طلبت مني ما أملكه فهي هدية لك ❁ وأما ما
عرضت علي من عسكرك فلا لي فيه حاجة فقال له ماهان والله
لقد تكرمت فأحسنت فقال خالد وأنت تكرمت علينا ❁
بخلاص أصحابنا ❁ ثم انثنا خالد راجعا من عند ماهان إلى
جيش المسلمين وأصحابه حوله فعند ذلك أمر ماهان أصحابه
أن يسيروا خالدا ومن معه إلى مأمنهم ففعل القوم ذلك

ووصل خالد إلى جيش المسلمين وسلم المسلمون على خالد وأصحابه
وفرحوا بخلاص أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وحدث
خالد أبا عبيدة بما جرا بينه وبين ماهان وقال خالد وحق
رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أطلق ماهان أصحابنا إلا مخافة
من سيوفنا ❁ فقال أبو عبيدة فما ذا افترقتم عليه قال خالد
على الحرب والقتال غدا فلما سمع أبو عبيدة ذلك جمع
المسلمين إليه وقام فيهم خطيبا فحمد الله وأثنى عليه وصلى
على النبي محمد صلى الله عليه وسلم وأخبرهم أن العدو صبحة
غد يباكرهم بالقتال وأمرهم بالأهبة وأخذ العدة وقال
توكلوا على ربكم واعتصموا بالله وأقبلت فرسان المسلمين
تحرض بعضها بعضا وأقبل خالد على أصحابه وهم في عسكر
الزحف وقال لهم اعلموا أن هؤلاء الكفرة الذي نصركم
الله عليهم في مواطن كثيرة ❁ وقد حشدوا لكم حشد بلادهم
وإني دخلت إلى عسكرهم فنظرت إليهم كأنهم النحل
وهم أصحاب عدد يملأ الأرض وأنتم أهل البأس والشدة
فما عندكم رحمكم الله ❁ فقالوا أصحاب خالد أما القتال
بغيتنا ولم نزل نصبر لهم على الطعن والضرب حتى يحكم الله.

وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ ❁ فَفَرِحَ خَالِدٌ بِقَوْلِهِمْ وَقَالَ لَهُمْ وَفَّقَكُمُ اللهُ
وَأَرْشَدَكُمْ فَلَمْ يَبْقَ أَحَدٌ فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ إِلَّا وَاسْتَعَدَّ بِآلَةِ
حَرْبِهِ وَبَاتَ الْمُسْلِمُونَ فَرِحِينَ بِالْجِهَادِ ❁ فِي طَاعَةِ رَبِّ الْعِبَادِ
فَلَمَّا أَصْبَحَ الصُّبْحُ وَلَاحَ الْفَجْرُ أَذَّنَ الْمُؤَذِّنُونَ فِي عَسْكَرِ الْمُسْلِمِينَ
ثُمَّ أَسْبَغُوا الْوُضُوءَ وَصَلَّى كُلُّ أَمِيرٍ بِقَوْمِهِ فَلَمَّا انْقَلَبَتِ
الْمُسْلِمُونَ مِنَ الصَّلَاةِ رَكِبُوا خُيُولَهُمْ وَاسْتَعَدُّوا لِقِتَالِ عَدُوِّهِمْ
وَصَفُّوا صُفُوفَهُمْ ثَلَاثَ صُفُوفٍ الَّذِي فِي أَوَّلِ الصَّفِّ لَا يَرَى
الَّذِي فِي آخِرِهِ وَأَقْبَلَ خَالِدٌ عَلَى أَبِي عُبَيْدَةَ وَقَالَ مَا تَأْمُرُ بِهِ أَيُّهَا
الْأَمِيرُ فَقَالَ اجْعَلْ عَلَى الْمَيْمَنَةِ مُعَاذَ بْنَ جَبَلٍ قَالَ خَالِدٌ هُوَ أَهْلٌ
لِذَلِكَ فَقَالَ خَالِدٌ يَا مُعَاذُ اقْصِدِ الْمَيْمَنَةَ ❁ فَسَارَ مُعَاذٌ نَحْوَ
الْمَيْمَنَةِ وَوَقَفَ هُنَاكَ بِرَايَتِهِ فَقَالَ خَالِدٌ أَيُّهَا الْأَمِيرُ مَنْ تَجْعَلُهُ
عَلَى الْمَيْسَرَةِ قَالَ كِنَانَةُ ابْنُ أَشْتَمَ الْكِنَانِيُّ فَأَمَرَهُ خَالِدٌ أَنْ تَمْضِيَ
عَلَى مَيْسَرَةِ الْمُسْلِمِينَ فَمَضَى هُنَاكَ وَوَقَفَ بِرَايَتِهِ **قَالَ
الْوَاقِدِيُّ** حَدَّثَنِي فَضَالَةُ بْنُ عَامِرٍ ❁ قَالَ حَدَّثَنِي مُوسَى بْنُ
عَوْفٍ عَنْ جَدِّهِ يُوسُفَ بْنِ مَعْنٍ ❁ قَالَ كَانَ كِنَانَةُ ابْنُ أَشْتَمَ
عَارِفًا بِالْحَرْبِ وَصَاحِبَ شَجَاعَةٍ وَقَدْ ذُكِرَ عَنْهُ أَنَّهُ كَانَ
مِنْ شَجَاعَتِهِ يَأْتِي أَحْيَاءَ الْعَرَبِ الْمُعَادِينَ لَهُ فَإِذَا أَشْرَفَ عَلَيْهِمْ

صَرَخَ بِهِمْ وَيَقُولُ أَنَا كِنَانَةُ ابْنُ أَشْتَمَ فَتَثُورُ إِلَيْهِ الرِّجَالُ عَلَى عِتَاقِ الْخَيْلِ
فَلَا يَزَالُ يُقَاتِلُهُمْ وَيُقَاتِلُونَهُ فَإِذَا ظَفِرَ بِهِمْ كَانَ مُرَادَهُ وَإِنْ رَأَى
مِنْهُمْ صَوْلَةً وَعَظُمَ عَلَيْهِ أَمْرُهُمْ نَزَلَ عَنْ فَرَسِهِ وَسَارَ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ
فَلَا يَلْحَقُونَ مِنْهُ إِلَّا الْغُبَارَ **قَالَ الْوَاقِدِيُّ** وَلَقَدْ بَلَغَنِي أَنَّهُ
لَمَّا وَلَّاهُ أَبُو عُبَيْدَةَ عَلَى مَيْسَرَةِ الْمُسْلِمِينَ الْتَفَتَ خَالِدٌ إِلَى الْمُسْلِمِينَ
وَنَظَرَ إِلَيْهِمْ وَالنُّورُ يَلْمَعُ مِنْ نَوَاصِي خُيُولِهِمْ قَالَ اللَّهُمَّ أَيِّدْهُمْ
بِنَصْرِكَ عَلَى عَدُوِّهِمْ فَعِنْدَ ذَلِكَ أَقْبَلَ أَبُو عُبَيْدَةَ عَلَى خَالِدٍ
وَقَالَ يَا أَبَا سُلَيْمَانَ قَدْ وَلَّيْتُكَ عَلَى الْخَيْلِ وَالرَّجَّالَةِ فَوَلِّ أَمْرَ
الرَّجَّالَةِ لِمَنْ شِئْتَ ❁ ثُمَّ نَادَى خَالِدٌ بِهَا شِمْرَ بْنَ عُتْبَةَ ابْنَ أَبِي
وَقَّاصٍ وَقَالَ لَهُ قَدْ وَلَّاكَ الْأَمِيرُ عَلَى الرَّجَّالَةِ فَانْزِلْ
وَكُنْ مَعَهُمْ **قَالَ الْوَاقِدِيُّ** فَلَمَّا رَتَّبَ أَبُو عُبَيْدَةَ صُفُوفَ
الْمُسْلِمِينَ ❁ قَالَ خَالِدٌ أَيُّهَا الْأَمِيرُ ابْعَثْ إِلَى أَصْحَابِ الرَّايَاتِ
وَقُلْ لَهُمْ يَسْمَعُونَ مِنِّي فَدَعَا أَبُو عُبَيْدَةَ بِالضَّحَّاكِ بْنِ قَيْسٍ وَقَالَ
لَهُ يَا ابْنَ قَيْسٍ أَسْرِعْ إِلَى أَصْحَابِ الرَّايَاتِ وَقُلْ لَهُمْ إِنَّ الْأَمِيرَ
أَبَا عُبَيْدَةَ يَقُولُ لَكُمْ وَيَأْمُرُكُمْ أَنْ تَسْمَعُوا لِخَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ
وَتُطِيعُوا أَمْرَهُ ❁ فَجَعَلَ الضَّحَّاكُ يَدُورُ عَلَى أَصْحَابِ الرَّايَاتِ
حَتَّى انْتَهَى إِلَى مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ وَأَخْبَرَهُ بِذَلِكَ قَالَ مُعَاذٌ سَمْعًا

وطاعة ثم أقبل الضحاك بن سفيان على المسلمين وقال لهم إنكم أمرتم
بطاعة رجل ميمون الغرة مبارك الطلعة فإن أمركم بأمر
ولا تخالفوه فيما يريد فإنه لا يريد بكم إلا خيرا قال الواقدي
فلما وافى الضحاك بقول أبي عبيدة بالطاعة لخالد بن الوليد
جعل خالد يسير بين الصفوف ويقف على كل راية ويقول
يا أهل الإسلام إن الصبر عزم والفشل غرم واعلموا أن
الصابرين هم الغالبون فمن صبر كان الله ناصره على عدوه
ومن صبر على حد السيف فإنه إذا قدم على ربه أكرم منزلته
وشكر له سعيه والله يحب الشاكرين قال الواقدي
وما زال خالد يقول هذا الكلام لكل راية ثم إن خالدا جمع
إليه جيش الزحف من أهل الشدة والصبر ومن شهد معه
الزحف فقسمهم على أربع فرق فجعل على الفرقة الأولى
قيس ابن هبيرة وجعل على الفرقة الثانية ميسرة بن مسروق
العبسي وعلى الفرقة الثالثة عامر بن الطفيل ووقف خالد
على الفرقة الرابعة قال الواقدي فلم تطلع الشمس إلا
وأبو عبيدة وخالد قد فرغوا من تعبية العسكر وأما
ماهان الأرمني فإنه أمر الروم بلبس السلاح والزينة

ففعلوا ذلك إلا أن المسلمين كانوا أسرع في التعبية وقدم ماهان
أمام عسكره العرب المتنصرة وقدم رجلة أمامه صليبا من الفضة
وزنه خمسة أرطال وهو مخرف بالذهب وفي أركانه أربع جواهر
تلمع قال الواقدي حدثني سنان بن قيس قال حدثني عدي
ابن الحارث الهمداني وهو ممن حضر فتوح الشام من أوله إلى آخره
قال كانت الصفوف التي صفها ماهان ثلاثين صفا الصف
الواحد من صفوف الروم مثل عسكر المسلمين فلما اصطفت
صفوف الروم وأرادوا الحملة وإذا ببطريق من البطارقة
قد برز بين الصفين عليه درع مذهب ولامة مليحة وفي عنقه
صليب من الذهب مرصع بالجوهر وتحته فرس أشهب وكان
البطريق من عظماء الروم من أصحاب سرير الملك فلما برز
جعل يطمطم بكلامه بصوت كأنه الرعد القاصف
فعلم المسلمون أنه طلب البراز فوقف المسلمون عن الخروج
إليه فصاح خالد بالمسلمين يا أبطال الإسلام إن هذا البطريق
يدعوكم لقتاله فإن لم تخرجوا له وإلا يخرج إليه خالد فهم
خالد بالخروج إليه وإذا بفارس قد خرج من عسكر المسلمين
ولم يكن أحد من أصحاب خالد يعرفه فقال خالد لعبد

همام انطلق إلى هذا الفارس وانظر من يكون فمضى همام إلى أن
قرب من الفارس وقال له من أنت يا هذا قال روماس صاحب بصرا
رحمه الله فرجع العبد وأعلم خالدا بذلك فقال خالد اللهم
بارك فيه قال فلما ساوى روماس البطريق في حومة الميدان
فجعل يكلمه بكلام الروم فنظر إليه البطريق فعرفه فقال له
يا روماس كيف تركت دينك ورجعت إلى دين هؤلاء العرب
قال له روماس إن دين هؤلاء العرب هو الدين الصحيح من دخل
فيه كان سعيدا ومن خالفه كان مأواه السعير فلما سمع
البطريق كلامه غضب غضبا شديدا وحمل بعضهما على بعض
وتقاتلا ساعة حتى تعجب الجمعان منهما فوجد البطريق من روماس
غفلة فضربه بها ضربة أسال بها دمه فلما أحس روماس
بالضربة وقد وصلت إليه انثنى راجعا نحو عسكر المسلمين والعلج
في أثره طالبا لا يقصر عنه وقد كاد أن يدركه فصاحت
عليه عساكر المسلمين فقصر العلج عن طلبه ودخل روماس عسكر
المسلمين والدم فائر على وجهه فأخذوه جماعة من المسلمين
وشدوا جراحه وشكروه على فعله وأوعدوه بالغفران
وهنوه بالجنة **قال الواقدي** ولما رجع روماس

منهزما عجب العلج بنفسه وطمطم في كلامه وطلب البراز فهم
أن تخرج إليه ميسرة بن مسروق العبسي فقال له خالد يا ميسرة
إن وقوفك في مكانك أحب إلينا من خروجك وأنت شيخ كبير
وهذا علج عظيم وشاب وشجاع ولا أحب أن تخرج إليه ولا
سيما أن شعرة من مسلم أحب إلى الله من جميع أهل الشرك
فرجع ميسرة إلى مكانه وهم أن تخرج إليه عامر بن الطفيل
الدوسي فقال له خالد يا غلام أنت حدث السن وإني
أخاف عليك فقال عامر أيها الأمير إنك عظمت أمر هذا العلج
الذميم وأدخلت في قلوب المسلمين الرعب منه فقال له خالد قف
مكانك فوقف عامر مكانه والعلج يدعو إلى البراز
فأقبل إلى خالد الحارث بن عبد الله الأزدي وقال أيها الأمير
أنا أخرج إليه فقال له خالد أخرج إليه ثم قال له قف حتى
أسألك هل بارزت أحدا قبله قال لا أيها الأمير قال له فارجع
إلى مكانك وما أحب أن تخرج إليه إلا رجل مثله وجعل خالد
يقول هذا وينظر إلى قيس بن هبيرة فقال قيس بن هبيرة أنا
أخرج إليه فقال له خالد فاخرج على اسم الله فإنك كفو له
والله يعينك عليه **قال الواقدي** فخرج قيس بن هبيرة

وأجرى جواده بين الصفين وأقبل إلى نحو البطريق وهو يقول
بسم الله وعلى بركة الله فلما نظر العلج إلى قيس بن هبيرة علم أنه
بطل من أبطال المسلمين فتحاملا والتقيا بضربتين كان السابق
بالضربة قيس بن هبيرة فوقعت الضربة على رأس البطريق فاشتبك
السيف في البيضة وهم قيس أن يخرج سيفه فلم يقدر فعند
ذلك رمى البطريق نفسه على قيس بن هبيرة وكان العلج
كالجبل من عظم خلقته وقيس بن هبيرة نحيف الجسم من
كثرة الصيام وقيام الليل فلما نظر قيس إلى العلج وقد
ظهر عليه انجذب من يد العلج وكان قد انفصل السيف من
يده فألوى عنان جواده يريد عسكر المسلمين ليأخذ سيفا
ويرجع إلى عدوه فلما نظر العلج إلى قيس وقد ألوى راجعا سعى
في طلبه فقصر قيس في مسيره وقال يا نفس مرادك الموت
وأنت تنهزمين منه فارجعي إلى العلج فصاح به خالد وقال
يا قيس سألتك بالله ورسوله إلا رجعت وتركت حديثها علي
فقال له قيس لقد أقسمت علي بعظيم إن رجعت إليك تزيد
في أجلي قال لا قال قيس فلم أختار الفرار وأكون من أصحاب
النبي المختار بل أصبر فأفوز بالعفو والغفران فعند ذلك

عطف قيس بن هبيرة على قرنه وليس في يده سيف بل انتضى خنجرا من
يده **قال الواقدي** ولما نظر خالد إلى قيس وليس في يده
فقال يا من يأخذ هذا السيف ويدفعه لقيس ويبتغي ثواب الله
فقال عبد الرحمن ابن أبي بكر الصديق أنا له يا أبا
سليمان فقال له خالد أنت لها يا ابن الصديق ثم انتضى
عبد الرحمن سيفه من غمده ولحق قيسا يريد أن يناوله السيف
فلما نظرت الروم إلى عبد الرحمن وقد لحق بصاحبه ظنوا أنه
قد خرج يعاونه على قتال صاحبهم فخرج إليه بطريق آخر ودفع
عبد الرحمن السيف لقيس بن هبيرة ووقف معه ولم يرجع عبد
الرحمن حين رأى البطريق الآخر برز فقال البطريق الثاني
يا معاشر العرب أنتم تقولون أنكم أصحاب نصفة قال عبد الرحمن
بلى قال البطريق فاثنين منكم لواحد منا فقال عبد الرحمن بل
خرجت أعطيت صاحبي سيفا ولكن يخرج منكم مائة فارس
إلى واحد منا وها أنتم اثنين وأنا واحد ثم قال
عبد الرحمن لقيس ابن هبيرة قف وتفرج ما يكون بيني وبينهم ثم
حمل عبد الرحمن على الذي كان يخاطبه وطعنه طعنة خرج السنان
يلمع من ظهره وعجل الله بروحه إلى النار فلما نظر الروم إلى

البطريق الذى قد خرج قتل خرج إليه ثالث وحمل على عبد الرحمن
وقصد إليه فعاونه قيس فقال له عبد الرحمن سألتك بالله ورسوله
إلا تركت عبد الرحمن يصطلى به فإن قتلت كنت في
الثواب شريكي وأقرى أختي عايشة منى السلام فتأخر قيس عنه
وقد عجب من فعاله وحمل عبد الرحمن على أحد العلجين وطعنه
برمحه فانشبك سنان رمح عبد الرحمن في زرديّة البطريق فرما
عبد الرحمن الرمح من يده وانتضا سيفه من غمده وضرب العلج
ضربة طرحه بها نصفين وعجل الله بروحه إلى النار فلما
نظر العلج الثالث غريم قيس بن هبيرة إلى فعل عبد الرحمن تعجب
من فعله فبقي حايرا ذليلا باهتا فتبين له غفلة منه حمل عليه
وضربه فقتله وسقط العلج إلى الأرض سريعا وعجل الله بروحه
إلى النار فلما نظر الروم إلى أصحابهم قتلوا قال بعضهم
لبعض ما هؤلاء العرب إلا شياطين **قال الواقدي**
فأخبر الروم ماهان بمن قتل من بطارقتهم فقال ماهان لهم
إن الملك هرقل كان أبصر بهؤلاء العرب وحق المسيح إني أعلم
لكم أمرا حتى نصرت هؤلاء العرب عليكم فاحملوا عليهم حملة
واحدة بأجمعكم وإلا فما يقوم لكم قائمة ثم أتا بطريق

إلى ماهان فساره في أذنه وقال أيها الملك إن هؤلاء العرب
منصورون واعلم أنني رأيت البارحة في مناى كأن رجالا نزلوا
من السماء إلى الأرض وهم راكبون على دواب شهب وبلق
وعليهم كامل السلاح وأخذ نوابها ولا العرب ونحن قيام
بإزائهم ولا يخرج من عسكرنا أحد إلا قتلوه حتى أتوا على آخرنا
فلما سمع ماهان كلام البطريق لم يرد عليه جوابا بل جمع عسكره
إليه وقام فيهم كالخطيب وقال يا أهل هذا الدين إن لم تقاتلوا
كنتم من الخاسرين وغضب عليكم المسيح وإن المسيح لم يزل
لدينكم ناصرا ومعزا وإن لله الحجة عليكم إنه بعث إليكم رسولا
وأنزل معه كتابا فلم يتبع رسولكم الدنيا وأمركم أن لا تتبعوها
وفي كتابه لا تظلمون إنه لا يحب الظالمين فلما خالفتموه نصر
أعداءكم عليكم فما عذركم غدا عند من خلقكم وهؤلاء
العرب بإزائكم يريدون قتل فرسانكم وسبي نسائكم وأخذ
أموالكم فذلك بحق وعز بحق **قال الواقدي** هذا ما كان
من أمر ماهان وقومه وأما ما كان من قيس بن هبيرة وعبد الرحمن
بن أبي بكر الصديق فإنهم لما قتلوا الثلاثة بطارقة رجعوا
إلى المسلمين ودفعوا أسلابهم للأمير أبي عبيدة فقال لهم أبو عبيدة

هذا السلب لكم ومن قتل فارسًا فله سلبه هكذا عهد الى عمر
ابن الخطاب رضي الله عنه ووقف قيس بن هبيرة في مكانه
الذى اقامه فيه ابو عبيدة ورجع عبد الرحمن بن ابى بكر الصديق
إلى موضع الضرب والطعان في حومة الميدان وجال بين الصفين
وحمل على ميمنة الروم فشوّش صفوفهم وقتل من الروم فارسين
ورجع فحمل على القلب ورجع ووقف فى وسط الميدان ودعا
إلى الحرب والقتال ❁ فخرج إليه علجٌ من الروم فما جال
مع عبد الرحمن غير ساعة حتى جندله قتيلا وعجّل الله بروحه إلى
النار وخرج إليه آخر فقتله فقال خالد اللهم انظر إليه
بعينك التى لا تنام واحفظه بحفظك الذى ❁ لا يضام فان
عبد الرحمن قد اصطلا بقتال الروم وحده ثم صاح يا عبد الرحمن
بحق شيبة ابيك ابى بكر وبيعته إلا رجعت إلى مكانك
ودع إخوانك المسلمين يقاتلون ❁ فرجع عبد الرحمن إلى مكانه
حين اقسم عليه خالد قال حذافة بن قشم لرجل ممن شهد
اليرموك أكانت فى اليرموك النساء معكم يشاهدن القتال
قال نعم إحداهن أسماء بنت ابى بكر الصديق زوجة الزبير
ابن العوام وخولة بنت الأزور وشيبة بنت كعب وأم أبان

ذوجة

زوجة عكرمة ابن ابى جهل ورملة بنت طلحة الزبيدي ودعكة
وأمامة وزينب وهند بنت عتبة ونعم وقيلة ولبنا وغيدا
ومثلهن كثير ولقد كانوا يقاتلون قتالا شديدًا يُرضين به الله
عز وجل **قال الواقدي** حدثني عبد الملك بن عبد
الحميد بن عمير عن من شهد معه وقعة اليرموك قال كان اولها
شر ونار وآخرها ضرامًا وكان كل يوم يأتي من القتال
أصعب من اليوم الثاني ❁ قال عمر بن جرير شهدت في اليوم
الأول حربًا شديدًا وفي اليوم الثاني حربا عسيرًا وذلك أن
ماهان أمر عشرة من الصفوف أن تحمل على جيوش المسلمين وذلك
في اليوم الثاني فلما نظر أبو عبيدة إلى عسكر ماهان وقد
حمل قال لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وعلم أنه سيصعب
عليه الأمر فقرأ أبو عبيدة الذين قال لهم الناس إن الناس
قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيمانا وقالوا حسبنا الله ونعم
الوكيل ❁ ولم يزل الحرب بين الفريقين من ارتفاع
الشمس في كبد السماء حتى همت بالغروب ولم ينفصلوا
الفريقان من ارتفاع الشمس حتى هجم الليل عليهم فلما افترقوا
رجع المسلمون الى اماكنهم فاستقبلوهم نساءهم فجعلن

المرأة تمسح وجه زوجها بمربطها وتقول أبشر يا ولي الله برضوان الله عز وجل وبات المسلمون في خير وأوقدوا نيرانهم وذلك أن المسلمين افتقدوا بعضهم ففقد منهم عشرة ومن المشركين يسير فأما الذين قتلوا من المسلمين فإنهم من حضرموت منهم مازن والآخر اسمه قادم وثلاثة من غسان وواحد من الأنصار وثلاثة من بجيلة وواحد من مراد وهو ابن أخي قيس بن هبيرة المرادي فقام قيس بن هبيرة وفتش على ابن أخيه فلم يره فعلم أنه مقتول فأخذ قيس معه نار وخرج هو وجماعة من قومه حتى أتوا موضع المعركة وأقبلوا يفتشون عليه فلم يروه فلما هم قيس بالرجوع إذ نظر إلى نار قد أقبلت من جانب الروم يريدون موضع الوقعة لأجل بطريق لهم وكان عظيم الشأن عندهم قال قيس بن هبيرة فقلت لأصحابي أخمدوا نيرانكم فوالله لأخذن ثاري من هؤلاء الأعلاج فأخمدوا أصحاب قيس نيرانهم وانضجعوا على الأرض بين القتلى وإذا بالروم الذين خرجوا يريدون الوقعة نحو مائة فارس وهم في آلة وعدة وقيس بن هبيرة معه سبع نفر وقد مسنا التعب من

القتال فقال قيس لهم ارجعوا أنتم فإني أطلب الموت لا أريد غيره أو أخذ الثأر فلما سمعوا ذلك منه وقفوا معه وقفة الكرام وأقبلت الأعلاج يدورون حول القتلى حتى وقفوا بالبطريق وهو الذي كان بردا أولا وقتله قيس بن هبيرة فلما ولوا يريدون عسكرهم صاح بهم قيس بن هبيرة من ورائهم وتابعوه أصحابه بالصياح فرموا البطريق عن أكتافهم وتبعهم المسلمون ووضعوا فيهم السيف وجعلوا يقتلونهم قتلا ذريعا وكان قيس إذا ضرب فيهم بسيفه يقول هذا عن ابن أخي هذا عن ثاره فقتل قيس بيده ستة عشر رجلا وقتلوا أصحابه أكثر القوم وردوا الباقون منهزمين إلى عسكرهم فلما انهزم الروم رجع قيس يطلب ابن أخيه بين القتلى فسمع أنينا فأقبل نحوه وإذا هو ابن أخيه بين القتلى اسمه سويدان بن [بسام] فلما نظر إليه قيس عرفه فبكا وقال ما أصابك يا ابن أخي قال يا عماه إننا لما انهزمت الروم تبعت المنهزمين فرجع واحد منهم إلي وطعنني طعنة في صدري طلع السنان يلمع من ظهري وإنني أعالج منها أمرا عظيما وهؤلاء الحور العين حولي ينتظرون خروج روحي فلما سمع قيس كلامه بكا وقال يا ابن أخي لكل أجل كتاب ولعل أن يكون لك أجل طويل قال فيها قد قرب والله الأمر افتقدوا

أن تحملني إلى عسكر المسلمين فأموت هناك فحمله قيس على ظهره وأقبل به
إلى عسكر المسلمين وقصد به خيمته وسجّاه فيها وسمع أبو عبيدة أن
قيس بن هبيرة أقبل بابن أخيه حتى أتى إليه ونظر إلى الغلام يجود
بنفسه فسلم عليه وجلس عند رأسه وبكى بكاءً شديدًا فقال له أبو
عبيدة كيف تجد نفسك يا ابن أخي قال بخير جزا الله محمدًا عنا خيرًا
فلقد صدقنا في قوله فبينما الغلام يخاطب أبا عبيدة إذ مات رحمة الله
عليه قال قيس وما برح أبو عبيدة حتى واراه في حفرته وأخبر قيس
أبا عبيدة بمن قتله من المشركين ففرح أبو عبيدة بذلك وبات
المسلمون بقية ليلتهم وهم يتلون القرآن ويسألون الله عز وجل النصر
على الأعداء قال الواقدي هذا ما كان من أمر المسلمين وأما ما كان
من ماهان الأرمني فإنه لما رجع عسكره منهزمًا مقهورًا جمع بطارقته
وحجّابه والرهبان والقسيسين وقدم لماهان الطعام فلم يأكل منه
شيئًا مما وقع في نفسه من الرؤيا التي رآها البطريق وكان ماهان
مراده لو ترك الأمر إلى الصلح وأداء الجزية لكنه مغلوب على رأيه
لمخالفة الروم له وذلك ليقضي الله أمرًا كان مفعولا فعند ذلك
أقبلت البطارقة والرهبان إلى ماهان وقالوا أيها الملك ما بالك
قد امتنعت من أكل الطعام فإن ذلك من عملنا ما جرا بيننا من الحرب

ابن

وبين العرب فإن الحرب دول يوم لك ويوم عليك واعلم أيها الملك
أنهم إن برز لنا واحد منهم بعد واحد فإنهم يهلكونا عن آخرنا وما بقي
لنا إلا أن نحمل عليهم حملة واحدة فبينما هم في المخاطبة إذ قام بطريق
من بطارقة الروم وقال أيها الملك إن العرب ما نصرت عليكم إلا
بجوركم علينا وذلك أني كان لي مائة رأس من الغنم وكان لي ولد يرعاها
فتصوّب علينا بطريق من عظماء القسطاس ثم أغار عليها فأخذها بجملتها
امرأتي إليه تشكوا إليه أمرنا فلما رآها أمر بها فأدخلت إليه فطالبها
نكحها عنوة فلما رأى ذلك ولدي أتى من باب القسطاس فاطلع فإذا
هو يضاجع أمه فصاح الغلام فأمر البطريق بضرب رقبة الغلام
فأقبلت أريد خلاص ولدي فأمر بطارقته فضربوني بالسيوف
فاتقيت الضرب بالسيف فقطعت يدي ثم أخرج الرجل يده فإذا
هي مقطوعة فلما سمع ماهان ذلك غضب غضبًا شديدًا ثم قال له
ماهان تعرف هذا العلج الذي فعل بك هذا قال نعم هو هذا الذي
بإزائك فنظر ماهان إلى البطريق وغضب غضبًا شديدًا وغضبت
البطارقة من الرجل لأجل صاحبهم ومالوا على المشتكي فضربوه بأسيافهم
حتى مات وماهان ينظر إليهم فازداد غضب ماهان وقال خذلتم ورب
المسيح يا ويلكم كيف ترجون النصر وأنتم تفعلون هذه الأفعال لما تخافون

فيهم

القصاص غدا لا جرم أن الله تعالى ينتقم منكم وينزع عنكم صالح ما أعطاكم
ويعطيه لغيركم ممن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر فأنتم الآن عندي مثل
الكلاب وأشر من البهائم وسوف ترون عاجلا عاقبة ظلمكم إلى ما يؤديكم
وأي مصير تصيرون إليه وقيل إنه قام وتركهم فلما انصرف تومة من عنده
تقدم منهم بطريق عند ماهان وقال أيها الملك والله إن القوم كما
تقول وما نظن إلا أننا مغلوبون بظلمنا واعلم أيها الملك إنني رأيت
في منامي هذه الليلة كأن رجالا نزلوا من السماء وأخذوا قوابها وألوية
العرب ونحن وقوف بإزائهم ولا يخرج أحد من عسكرنا إلا
قتلوه حتى أتوا على آخرنا وذكر لنا ماهان كما ذكر البطريق الأول وأقبل
ماهان يفكر طول ليلته فيما يصنع في أمر المسلمين فلما أصبح الصباح
عبأ المسلمون صفوفهم ونظروا إلى ذلك الروم إذ هم عاج في عسكرهم
فعلموا أن لهم أمرا فقال أبو عبيدة لا تبغوا عليهم **قال الواقدي**
فاجتمعت البطارقة والملوك إلى ماهان وهم قناطر وجرجير
والديرجان وقورين وهم أصحاب الجيش فأقبلوا إليه يعنفونه
في أداء الجزية من شدة ما عاينوا من الأمر فأبى بعضهم إلا الحرب
والقتال فقال ماهان وكيف لي أن أقاتل بقوم يظلمون ثم قال ماهان
إن كنتم أحرارا فقاتلوا عن سلطانكم وامنعوا عن حريمكم فقالوا

وحق المسيح لا نقاتلهم حتى نردهم عن الشام إلى بلادهم أو يقتلونا
أو نقتلهم فثق بقولنا والنصر إليهم فإذا عزمت على القتال فدع
كل ملك منا يقاتل بعسكره يوما فإن غلبونا جمعنا أموالنا وأولادنا
في السفن وركبنا البحر وسرنا إلى القسطنطينية وإن غلبناهم
كنا في بلادنا آمنين فقال ماهان لعنه الله هذا هو الرأي ثم إن ماهان
كتب إلى الملك هرقل أما بعد فنسأل الله العظيم أن ينصرك أيها الملك
قد بعثتني في جيش لا يحصى عدده وإني قد قدمت على هؤلاء العرب
ونزلت بساحتهم ومنيتهم وأطمعتهم فلم يطمعوا وسألتهم الصلح فلم
يقبلوا وجعلت لهم الجعل على أن يرحلوا عنا فلم يفعلوا وقد فزع منهم
جيش الملك فزعا شديدا وإني خشيت أن يكون الفشل قد عمهم والجزع
قد داخلهم لكثرة الظلم فيهم وقد جمعت أهل الرأي من أصحابك
وقد اجتمع رأينا أن نقاتلهم في يوم واحد حتى يحكم الله بيننا
وهو خير الحاكمين فلئن أظهر الله عدونا علينا فرضى بقضاء الله
واعلم أيها الملك إن الدنيا زائلة عنك ولا تتأسف على ما
فاتك منها ولا تغتبط منها بشيء في يدك والحق بدار ملكك
القسطنطينية وأحسن إلى رعيتك وارحم ترحم وتواضع لله
فإنه لا يحب المتكبرين ولقد أسرنا خمسة من أمراء العرب وعملت

بحيلة على أمير العرب خالد بن الوليد إلى أن حضر عندي ونصبته
وأنطقته وسألته الصلح فلم يقبل إلا الإسلام أو الجزية أو القتال
ورأيته على الحق مقيم فأردت أن أفتك وأمكر به وما نصروا
هاؤلاء العرب إلا بالعدل واتباع شريعة نبيهم محمد والسلام عليك
ثم طوى الكتاب وبعثه إلى هرقل مع بعض أصحابه من العلوج قال
الواقدي وأقام ماهان سبعة أيام بعد الوقعة الأولى لم يقاتل
المسلمين وأبو عبيدة قد غاب عنه خبرهم فبعث جاسوسا ينظر
ما الذي أخر القوم عن القتال فغاب الجاسوس يوما وليلة ثم
أقبل إلى أبي عبيدة وقال له إن الملك ماهان قد كاتب الملك
هرقل وهو منتظر الجواب فقال خالد أيها الأمير والله ما أخر
ماهان عن قتالنا إلا وقد حصل رعبنا في قلوبهم لما زحف بنا
إليهم بجمعنا فقال أبو عبيدة لا تعجل فالعجلة من الشيطان قال
الواقدي فلما كان في اليوم الثامن نظر ماهان إلى عسكره
يتلهف على الحرب والقتال فعزم على أن يلقى بهم المسلمين وقد
فرح بنشاطهم ثم إنه دعا ماهان برجل من العرب المتنصرة وقال
له امض إلى عسكر العرب وتجسس لنا أخبارهم وانظر ما
عندهم من أخبارنا فمضى اللخمي ودخل عسكر المسلمين وغاب فيه

يوما

يوما وليلة فنظر إلى المسلمين وليس لهم همة إلا إصلاح سلاحهم والصلوة
والقرآن وليس بينهم عدوان ولا ظلم ولا أحد يتعدى على أحد وقصد
إلى الموضع الذي فيه أبو عبيدة فنظر إليه كأنه أضعف من في العرب
ساعة يجلس على الأرض وساعة ينام عليها فإذا كان وقت الصلاة
قام وأذن وصلى بالمسلمين فنظر اللخمي إلى المسلمين وهم يصنعون
كصنعته فقال اللخمي إن هذه طاعة حسنة يوشك أن هؤلاء العرب
ينصرون علينا ثم رجع إلى ماهان وحدثه بالذي نظره من عسكر
المسلمين وقال أيها الملك إني جئت من عند قوم يصومون النهار
ويقومون الليل ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر رهبان
بالليل ليوث بالنهار إذا سرق أحد منهم قطعوه وإن زنا رجموه
ولا يغلب هواهم على الحق بل الحق لهم غالب وأميرهم
كأضعف من فيهم إلا أنه يطاع في قوله بينهم إن قاموا أو قعدوا
منا هم القتل فقال ماهان ألست زعمت أنهم لا يقاتلونا
حتى نقاتلهم لنكون نحن الباغون عليهم فقال بل أريد أن أكبس
عليهم على حين غفلة وهم دون عدة ولا آلة فعسى أن أظفر
قال الواقدي ثم إن ماهان جمع البطارقة والملوك
إليه وجعل يعقد لهم الرايات والصلبان حتى عقد مائة

وستين صليبا تحت كل صليب عشرة آلاف فارس فكان أول صليب
عقده لقناطر وكان نظير ماهان في المرتبة وأمره أن يكون في
ميمنة عسكره ثم عقد للديرجان وأمره أن يكون في ميسرة عسكره
ثم عقد لجرجير وضم إليه الأرمن والنوبة ✿ والرودسية
والصقالبة وعقد لقورين ابن أخت الملك هرقل وضم إليه
الأفرنج والهرقلية والقياصرة والبرغلة والدوقس وعقد
لجبلة ابن الأيهم عقدا على العرب المتنصرة من غايلة ولخم وجذام
وغسان ثم فرق الأعلاج في جنبات عسكره وكان عسكره
ثلاثين صفا ولم يزل ماهان يعبي جيوشه ويرتبهم إلى أن طلع الفجر
ثم أمر بمضربه فضربت له على كثيب عالي على جانب اليرموك
ليشرف منه على العسكرين وأوقف عن يمينه ألف فارس
من حماة الروم عليهم سابغ السلاح وألقى عن يساره مثلهم
ثم أمرهم بلبس الديباج الأحمر المنسوج بالذهب ✿ وهم
الملكية أصحاب سرير الملك وأمرهم باليقظة وقال إني
أكيد العرب بهذه المكيدة لأنهم على غير تعبية وما هم في
عسكرنا إلا كالشامة البيضاء في جانب البعير الأسود قال
الواقدي هكذا سمعت أبان بن غالب يذكر ذلك

وكان من المعتمرين قال الواقدي حدثني خولان بن
أسعد عن أبيه أسيد بن علقمة وكان من أصحاب عياض بن
غنم قال لما رتب ماهان عسكره كنا في عسكرنا وليس عندنا
مما صنعوا الروم خبرا ✿ قال أسيد بن علقمة فلما انشق الفجر
أذن المؤذنون في عسكرنا وتقدم كل أمير صلى بأصحابه
والمسلمون لا يعلمون بمكيدة ماهان فقرأ أبو عبيدة في أول
ركعة والفجر وليال عشر إلى أن وصل إلى قوله تعالى إن ربك
لبالمرصاد فهتف به هاتف وهو يقول نصرتم ورب الكعبة
وما يغني كيدهم شيئا وأجرى الله تعالى هذه البشارة على
لسان أميركم في حال الصلاة ✿ فلما سمع المسلمون عجبوا
ثم قرأ أبو عبيدة في الركعة الثانية والشمس وضحاها إلى أن
بلغ فدمدم عليهم ربهم بذنبهم فسواها ولا يخاف عقباها
وإذا بالهاتف يقول تم المقال وصح الزجر هذه والله علامة
النصر ✿ فلما فرغ أبو عبيدة من صلاته قال معاشر المسلمين
هل سمعتم الهاتف قالوا نعم سمعناه يقول كذا وكذا
فقال أبو عبيدة هذا والله هاتف النصر وبلوغ الأمر فابشروا
بنصر الله فوالله لينصرنكم الله على عدوكم وليرسلن عليهم

شواظ عذاب كما نزل فى القرآن فى الركعة الأولى ثم قال أبو
عبيدة يا معاشر المسلمين ❁ إعلموا أننى رأيت البارحة رؤيا
تدل على النصر على الأعداء والمعونة من العلى الأعلى فقالوا ❁
أصلح الله الأمير ما الذى رأيت قال رأيت كأننا بإزاء عدونا
حتى حفتنا رجال عليهم ثياب بيض لبياضهن إشراق وعلى
رؤسهم العمايم الخضر وبأيديهم رايات صفر وهم راكبون
على خيول بيض وبلق ❁ فلما أخذوا مصافهم حولنا
قال لى يا أبا عبيدة تقدم على عدوك ولا تهابهم فإنكم منصورون
وادعوا برجال منكم وسقوهم من كاس كأن معهم فيه
شراب وكأننى أنظر إلى عسكرنا وقد دخل إلى عسكر الروم
فلما رأونا ولوا بين أيدينا منهزمين ❁ فقال المسلمون أصلح الله
الأمير هذه بشارة قد أقر الله بها أعيننا فقام رجل من خولان
وقال أصلح الله الأمير وأنا أيضا رأيت البارحة قال أبو عبيدة
خيرا تكون إن شاء الله تعالى فما الذى رأيت يرحمك الله وإيانا
قال ــــــــ رأيت كأننا خرجنا نحو عدونا فصافقناهم
فى الحرب وإذا قد انقض عليهم من السماء طيور بيض لها أجنحة
خضر ومخاليب كمخاليب النسور فجعلت تنقض عليهم كانقضاض

العقبان فتضرب الرجل من الروم فتقطعه قطعا ففرح المسلمون
تلك الرؤيا وقال بعضهم لبعض لا تخافوا وأبشروا بنصر الله
وإن الله عز وجل قد أيدكم بالملائكة الكرام تقاتل معكم
كما فعل الله بكم يوم بدر ❁ قال خالد بن الوليد أيها الأمير
ما توقفنا عن قتال عدونا فأين التطاول بالحرب وعدو الله
قد كادنا بمطاولته وما تأخرعنا إلا لمكيدة يريد
أن يوقعها بنا قال سعيد بن رفاعة فبينما نحن كذلك إذ
سمعنا الأصوات قد علت والزعقات قد ارتفعت من كل مكان
يهتفون بالقتال وزحفت الروم من كل مكان يهتفون
بالقتال فظن أبو عبيدة أن المسلمين قد كبسوا فى وقت
السحر فقام وقام المسلمون معه وكان على حرس المسلمين
فى تلك الليلة سعيد بن زيد إذ أقبل سعيد بن زيد ❁ وهو
ينادى النفير النفير حتى وقف أمام أبى عبيدة ومعه
رجل من المتنصرة فقال أيها الأمير إن هذا الرجل قد
أقبل إلينا راغبا فى الإسلام وقد أخبرنا أن ماهان
كاد المسلمين بتخليته عن الحرب وقد عبا عساكره
وصف جيوشه ونحن على غير أهبة وهذا الرجل قد أقبل إلينا

يحذرنا وقد اتفق ماهان مع بطارقته أن كل ملك يقاتل
بعسكره يوما كاملا وهذا أصعب القتال فنظر المسلمون إلى
الصلبان وهي تدنوا منهم فقال أبو عبيدة لا حول ولا قوة
إلا بالله العلي العظيم ❁ ثم ادعا بخالد بن الوليد فأجابه
بالتلبية فقال أنت لها يا أبا سليمان ابرز إليهم في أبطال
المسلمين وصد عن الحريم إلى أن تأخذ الرجال صفوفها
وتستعد إلى حربها فقال حبا وكرامة فقام خالد وصاح
أين هشام المرقال أين الزبير بن العوام أين عبد الرحمن بن
أبي بكر الصديق رضي الله عنه أين الفضل ابن العباس أين يزيد
ابن أبي سفيان أين ربيعة بن عامر أين ميسرة ابن مسروق
العبسي أين قيس بن هبيرة أين أبو سفيان صخر بن حرب ❁
أين عمارة الدوسي ❁ أين سلامة بن عشم الغنوي
أين المقداد بن الأسود الكندي أين أبو ذر الغفاري
أين عمرو بن معدي كرب الزبيدي أين عمار بن ياسر
أين ضرار ابن الأزور ❁ أين عامر بن الطفيل أين أبان ابن
عثمان بن عفان وجعل خالد يدعو رجلا بعد رجل ❁ حتى
استنفر ألفا وخمسمائة فارس كل فارس منهم يعد

بجيوش

بجيوش فحمل خالد بمن معه واستقبل جيش المشركين واشتعلت
نار الحرب بينهم واشتغل أبو عبيدة بترتيب الصفوف وتعبية
العسكر ❁ فعند ذلك أتى أبو سفيان إلى أبي عبيدة وقال له
أيها الأمير أمر النسا أن تعلن على التل فأمر أبو عبيدة النسا أن
تعلن على التل وحصنوا أنفسهن ومعهم الأطفال والأولاد فقال
لهم أبو عبيدة خذوا بأيديكن أعمدة البيوت والحجارة وحرضوا
المؤمنين على القتال وإن رأيتن أحدا من المسلمين فاضربن وجه
جواده بأعمدتكن وادفعن إليهن أولادهن وقلن له قاتل
عن أهلك وولدك وعن بيضة الإسلام ❁ فقالت النساء
أيها الأمير أبشر بما يسرك **قال الواقدي** رحمة الله عليه
فلما تحصنت النساء في التل أقبل يعبي جيشه وقد ابتدرت
المسلمون للقتال بعد أن عباهم ميمنة وميسرة وقلبا
وجناحين وقدم أصحاب الرايات وكانت راية المهاجرين
صفرا وساير القبايل رايا لهم مختلفة ووقف المسلمون
تحت راياتهم ووقف أبو عبيدة في القلب تحت رايته العقاب
وجعل أبو عبيدة على الرجالة شرحبيل بن حسنة وعلى الجناح
الأيمن يزيد بن أبي سفيان وعلى الجناح الأيسر قيس بن هبيرة

وكانت الأزد في قلب العسكر وحمير وهمدان ومذحج
وجذام وكندة وحضرموت ميمنة وميسرة ولم يكن فيهم
يشم ولا ربيعة لأنهم كانوا مع سعيد بن أبي وقاص في
العراق ❁ فلما ترتبت الصفوف سار أبو عبيدة بين الصفوف
وجعل يحرض الناس على القتال ويقول إن تنصروا الله ❁
ينصركم ويثبت أقدامكم فالزموا الصبر فهو منجاة
للكرب ومرضاة للرب ❁ ولا تبدؤهم بالقتال حتى يبدؤكم
ثم رجع فوقف في القلب وخرج معاذ بن جبل وجعل يمشي بين
الصفوف ويقول أيها الناس غضوا أبصاركم وشرعوا الرماح
ولا يهولنكم جمعهم ولا عددهم فإنكم إن صدقتموهم
الحرب فإنكم تنصرون إن شاء الله تعالى ❁ ثم رجع ووقف
في موضعه وخرج من بعده أبو سفيان صخر بن حرب ❁ وهو
شاك في السلاح متقلد بسيفه معتقل برمحه وهو يقول
يا معاشر المسلمين ❁ أنتم العرب الكرام ❁ والسادة
العظام وقد أصبحتم اليوم في ديار الأعلاج والله لن
ينجيكم اليوم إلا الطعن الصايب في أعينهم والضرب
المتدارك في هاماتهم واصبروا فإن النصر مقرون

بالصبر فإن صبرتم ملكتم بلادهم واستعبدتم نساءهم وأولادهم
ثم خرج أبو سفيان من بين الصفوف وأقبل إلى النساء على التل
وقال لهن إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إن النساء
ناقصات عقل ودين فكن ممن احتفظن بأذيالهن وحرضن
أزواجكن على القتال ومن رجع منهن منهزما فاخضبن
وجهه بالحجارة واضربن وجه جواده بالعمد وأظهرن
أولادكن له حتى يرجع إلى القتال فوقفن النساء مستعدات
للقتال وهن متجردات مرتجزات بأشعارهن ورجع أبو
سفيان إلى موقفه **قال الواقدي** فلما رأت الروم
خالد بن الوليد وقد زحف إليهم يطلب القتال رجعوا إلى
أماكنهم فعند ذلك زعق خالد بن الوليد بأبطال المسلمين
وقال احملوا بارك الله فيكم ❁ فحمل على ميمنة المسلمين
من الروم ثلاثون ألفا وخرج من الروم عشرون ألفا وحفروا
لهم حفاير وراء ظهورهم وشدوا أرجلهم بالسلاسل واقترن
كل عشرة في سلسلة وحلفوا بالمسيح والقساقسة والرهبان
أنهم لا ينهزمون ولا يولون أو يقتلون عن آخرهم ❁ فلما
نظر خالد بن الوليد إلى ما صنع الروم قال لمن حوله من جيش

الزحف يوشك أن يكون هذا يوم عظيم ثم قال خالد اللهم أيد
المسلمين بالنصر وأفرغ عليهم الصبر ❁ ثم أقبل إلى أبي عبيدة
وقال أيها الأمير إن القوم قد اقترنوا بالسلاسل وزحفوا
إلينا بالعمد والقواضب ويوشك أن يكون هذا يوم عظيم
قال الواقدي وكان ماهان قد قدم أمام عسكر
من الروم من ذكرت شجاعته وعرفت براعته وعددهم
مائة ألف ❁ فلما رآهم خالد وشهد تعبيتهم فقال لأبي
عبيدة إن من الرأي أن توقف مكانك سعيد بن يزيد
وتقف أنت من وراء الناس فإذا علم المسلمون أنك من ورائهم
استحيوا من الله ومنك فلا ينهزمون فقال أبو عبيدة إن هذا
رأي مليح فانتخب أبو عبيدة مائتي فارس ووقف من وراء
صفوف المسلمين **قال الواقدي** حدثني ورقة بن
مهلل التنوخي وكان صاحب راية أبي عبيدة يوم اليرموك
قال كان أول من استفتح الحرب يوم السلاسل غلام من
الأزد حدث السن ❁ فقال لأبي عبيدة أيها الأمير إني
أردت أن أشفي قلبي وأجاهد عدوي وعدو الله ورسوله
ولعلي أرزق الشهادة وأفوز بها فهل تأذن لي بذلك

وإن كانت لك حاجة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرني
بها ❁ فلما سمع أبو عبيدة كلامه بكا وقال اقرئ محمدا
منا السلام وخبره أنا قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا فعند
ذلك ألوى الأزدي عنان جواده وحمل يريد الحرب
والقتال ❁ فخرج إليه علج من العلوج راكب على فرس
أشهب فلما رآه الأزدي فاندلق عليه وحمل كل منهما على
صاحبه فابتدر الغلام الأزدي وطعن العلج جندله صريعا
وعجل الله بروحه إلى النار وأخذ سلب العلج ودفعه
إلى قومه وعاد إلى البراز ودعا إلى الحرب والقتال
فخرج إليه علج ثان فقتله وثالث فقتله ورابع حتى جندل أربعة
فخرج إليه علج خامس فحمل على الأزدي فقتله سريعا ❁
وعجل الله بروحه إلى الجنة ❁ فلما قتل الأزدي غضبت
الأزد ودنت من صفوف الروم فلما رأت الروم إلى صفوف
ميمنة المسلمين قد حملوا أقبلت الروم كالجراد المنتشر
حتى دنا طرفهم من طرف ميمنة المسلمين فقال أبو عبيدة إن
أعداء الله قد تأهبوا للحملة فاعلموا أن الله معكم فثبتوا
أنفسكم بالصبر وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم

ثم إن أبا عبيدة رفع طرفه إلى السما وقال إياك نعبد وبك
نستعين ولك نوحد ولا نشرك بك شيا ثم إن هاولا الأعدا
يكفرون بك ويتخذون لك ولدا اللهم انصرنا عليهم
اللهم زلزل أقدامهم وارعب قلوبهم **قال الواقدي**
فبينما المسلمون كذلك إذ حملت الروم على ميمنة المسلمين
وكان فيها الأزد ومذحج وحضرموت وحمير وخولان
فحملت الروم حملة منكرة فصبر لها المسلمون وقاتلوهم
قتالا شديدا وثبتوا ثباتا حسنا ❁ فحملت من الروم
كتيبة ثانية فصبر لهم المسلمون صبرا جميلا فحملت عليهم
من الروم كتيبة ثالثة فأزالوا ميمنة المسلمين وطايفة
ثبتت ثباتا حسنا ❁ فلما انكشفت زبيد وهم في الميمنة
ابتدر منهم عمرو بن معدي كرب الزبيدي وهو الأمير
عليهم وكان يوم اليرموك قد عمر من العمر ماية
وعشرين سنة فلما نظر إلى قومه قد انكشفوا صاح بهم
يا آل زبيد تفرون من الأعدا تفرون من كاس الردا
أترضون لأنفسكم بالعار والمذلة والشنار أرضيتم بغضب
الجبار ❁ فلما سمعت زبيد كلام سيدهم عمرو بن معدي

كرب تراجعوا إليه كعطفة البهايم على أولادها واجتمعوا تحت
رايته وكان عدتهم خمسماية فارس وحملوا على الروم
حملة منكرة وحملت معهم حمير وحضرموت وخولان
فأزالوا الروم عن مواضعهم وحملت دوس على ميسرة المشركين
وكان على دوس مقدما أبو هريرة رضي الله عنه فهز
رايته وحرض قومه على القتال وجعل يقول يا أيها الناس
سارعوا إلى معانقة الحور العين في جوار رب العالمين
في جنات النعيم ❁ وما من موطن أحب إلى الله من هذا
الموطن ألا وإن الصابرين فضلهم الله على غيرهم الذين
لم يشهدوا مشهدهم فلما سمعت دوس مقالة سيدهم أبي
هريرة رضي الله عنهم حملوا على الروم وحملت الروم
حملة منكرة وصبر لهم المسلمون صبرا جميلا ❁ ثم دفعت
عليهم كتيبة أخرى فانهزمت ميمنة المسلمين راجعة على
أعقابها والخيل تنكص بأذنابها ❁ فلما نظر النسوان
إلى خيل المسلمين منهزمة نادت النسا يا بنات العرب دونكم
والرجال ردوهن عن الهزيمة ❁ قالت سعيدة بنت عاصم
الخولانية كنت يومئذ في جملة النسا على التل فلما

انكشفت ميمنة المسلمين ❁ صاحت عفيرة بنت غفار وكانت
من المترجلات البارزات ونادت يا للنساء بنات العربان
دونكن والرجال واحملن اولادكن على أيديكن واستقبلوهن
بالتحريض وأقبلن النسوة يرجمن وجوه الخيل بالحجارة
وجعلت ابنة العاص تنادي قبح الله وجه رجل نيهزم عن
حليلته وجعلن النساء يقلن لأزواجهن لستن لنا ببعولة إذا
لم تمنعوا عنا الأعلاج ❁ قال العباس ابن سهل بن سعيد الشاعر
كانت خولة بنت الأزور وخولة بنت ثعلبة وكعوب
بنت مالك بن عاصم وسلمة بنت هشام ونعم بنت فياض
وهند بنت عتبة بن ربيعة ولبنا بنت جرير الحميرية وهن
أمام النساء والمزاهر بأيديهن وهن **ينشدن**

نحن نساء من بنات طارق ❁ نمشي إلى الموت على المهارق ❁
تناؤنا كالمسك في المفارق ❁ ونترك السيف على المفارق ❁

ثم استقبلت خيل ميمنة المسلمين فرأتهم منهزمين فصاحت
بهم إلى أين تفرون من الله ومن جنته وهو مطلع عليكم
فنظرت إلى أبي سفيان منهزما فضربت وجه جواده بعمود
وقالت إلى أين يا بن حرب ارجع إلى القتال

وابدل

وأبدل مهجتك لعل يمحص الله عنك ما سبق من تحريضك على رسول الله
صلى الله عليه وسلم ❁ قال الزبير بن العوام فلما سمعت كلام
هند لأبي سفيان تذكرت يوم أحد ونحن بين يدي رسول الله
صلى الله عليه وسلم فعطف أبو سفيان عند ما سمع من كلامها
وعطف المسلمون معه ونظرت إلى النساء وقد حملن معه ولقد
رأيتهن وهن يسابقن الرجال وهن بين أرجل الدواب ولقد
رأيت المرأة منهن تقبل إلى العلج العظيم وهو على فرسه
فتتعلق به ولا تفارقه حتى تنكسه عن فرسه وتقتله ❁
وتقول هذا شأن الله تعالى للمسلمين ❁ قال الزبير وحمل
المسلمون حملة صعبة لا يريدون بها غير وجه الله عز وجل
وقاتلت الأزد مع أبي هريرة قتالا شديدا حتى فشا بينهم القتل
وأصيب منهم خلق كثير لأنهم لقوا الصدمة الأولى ❁
فاستشهد منهم ما لم يستشهد من غيرهم من القبائل ❁ قال سعيد بن
زيد بن عمرو بن نفيل وكان القتال في الميمنة وكنا فيهم
ننهزم مرة ونرجع أخرى وساعة نصبر وساعة نتأخر
فلما نظر خالد بن الوليد إلى الميمنة وقد وصلت إلى القلب
فصاح بمن معه من الخيل ومال على الروم في ستة آلاف

فارس فكبر وحمل حتى كشف أعدا الله عن الميمنة والقلب
وردهم على أعقابهم ❁ ثم زحف حتى رد الميمنة والقلب إلى
موضعهم ووقف خالد أمامهم يطارد عن الميمنة وانكسرت
الروم أمام خالد كسرة أعظم من الأولى ونظر خالد إلى
فرسان الروم وهم مبدد دون فنادا خالد يا أهل الإسلام
والإيمان ويا حملة القرآن ويا أصحاب النبي محمد عليه السلم
قد ثبتت في الروم كسرة ولم يبق عند القوم جلد
ولا قتال إلا ما رأيتم فردوا عليهم الكسرة وشدوا
عليهم رحمكم الله فوالذي نفس خالد بيده إني لأرجو أن
يمنحكم الله أكتافهم ❁ فنادته المسلمون يا خالد
احمل حتى نحمل معك فانتضا خالد سيفه من غمده وحمل وحملت
أصحابه قال عبد الرحمن اللخمي كنت فيمن حمل مع خالد ❁
فوالله لقد انكشفت الروم من بين أيدينا وولت كما تولي
الغنم من زئير الأسد وتبعهم المسلمون ❁ وكانت الحملة
على ميمنة الروم فانكشفوا انكشافا عظيما وأما المسلسلة
فإنهم ما برحوا من أماكنهم وكانوا يرمون بالنشاب وهم
حماة القوم ❁ قال عبد الرحمن وكان خالد أمامنا ونحن من

ورائه وكان شعارنا يومئذ يا محمد يا منصور أمت أمت ولم
يزل خالد في الذي أقامه فيه أبو عبيدة وهو في حملته إلى أن
وصل إلى الديرجان وكان الديرجان في موضعه الذي أقامه
فيه ماهان ومعه صليب من الجوهر وأصحابه ينظرون حملته
فلما وصلت خيل المسلمين إليه قالت له البطارقة أيها الملك
إما أن تحمل وإما أن تولي ❁ فقد خالطتنا خيل المسلمين فقال
الديرجان لأصحابه اعلموا أن يوم الشر ما لي فيه شيء ولا أحب
أن أراه وإن الملك أحضرني في هذا الموضع وأنا كاره
ولكن لفوا وجهي ورأسي في هذا الثوب حتى لا أرى الحرب فلفوا
رأسه ووجهه في ثوب من الديباج ❁ والناس يقتتلون حتى
انهزمت الروم من بين أيدي المسلمين ووصل خيل المسلمين إلى
الديرجان وهو ملفوف الرأس فحمل عليه ضرار ابن الأزور
فطعنه طعنة جندله قتيلا وعجل الله بروحه إلى النار **قال
الواقدي** وكان من صنع الله للمسلمين أن جرجير
وقناطر في الميمنة والميسرة كل واحد منهم في جهة
فقال جرجير لقناطر احمل في العرب ما هذا الوقوف قال
قناطر أتأمرني أن أحمل قال وكيف لا آمرك ما أنا أمير

عليك قال قناطر كذبت أنا أمير وأنت أمير إلا أنني أرفع
درجة منك عند الملك هرقل وقد أمرت لي بالطاعة فاختلفا
وغضب جرجير من كلام قناطر فحمل جرجير على المسلمين حملة
شديدة وكانت حملته على كنانة وقيس وجعشم
وجذام وقضاعة وهم يومئذ ما بين الميسرة والقلب
وكشفت الروم المسلمين ولم يبق إلا أصحاب الرايات
فقاتلوهم قتالا شديدا وركبت الروم أكتاف
المسلمين إلى أن دخلوا معهم عسكرهم فالتقتهم النساء
بالعمد يضربون وجوه الخيل ويرمونهم بالحجارة وينادونهم
أين تفرون يا أهل الإسلام عن الأمهات والإخوان
والبنين والبنات أتريدون أن تسلموهن للأعلاج قال
منهال الدوسي فأقسم بالله إنه كان كلام النساء
أصعب علينا من القتال في ذلك اليوم فعند ذلك تراجع
الناس عن الهزيمة ونادى بعضهم بعضا وترامو بالحفائظ
والصبر وعطفوا على الروم عطفة عظيمة وكنانة بن أشتم
أمام المسلمين وهو يضرب في أعراض المشركين تارة
بالسيف وتارة بالرمح حتى كسر ثلاثة أرماح وقطع سيفين

وهو ينشد ويقول

ساحمل في الروم الكلاب النوابح ❁ وأضربهم ضربا بحد الصفايح
وأرضي رسول الله خير مؤمل ❁ نبي الهدى المبعوث للدين ناصح

قال الواقدي ثم حمل كنانة حتى كسر سيفين آخرين
وجعل كلما كسر رمحا أو سيفا يقول من يهبني سيفا أو رمحا
أجاهد به في سبيل الله وجزاؤه على الله ثم نادى يا معاشر
قيس خذوا نصيبكم من الصبر والأجر فإن الصبر في الدنيا
عز ومكرمة وفي الآخرة رحمة وفضيلة فاصبروا
وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون ❁
فأجابوه قومه ونشطوا معه في القتال ❁ قال كنانة
ابن أشتم الكناني فما رأيت مثل حملات قناطر وقومه
ولقد اختلط بعضنا في بعض ورجع خالد من حملاته
والمسلمون يقولون جزا الله كنانة بن أشتم خيرا فلقد
أغنا غناء حسنا ❁ فلما سمع خالد ذلك أقبل إليه وقبل
ما بين عينيه وقال يا كنانة جزاك الله عن الإسلام خيرا
وأقبلت ربيعة بنت الحارث وهي تقول قبح الله وجه
رجل ينظر إلى أميره ثابتا ثم ينهزم عنه قال الواقدي

فلما نظر ماهان إلى ميمنة عسكره قد انهزمت بعث إليهم
من يحرضهم على القتال فعند ذلك خرج علج من الميمنة
وعليه سابغ السلاح كأنه قطعة من جبل راكب على
شهري عظيم الخلقة فبرز بين الصفين وطلب البراز
فخرج إليه غلام من الأزد فما جال معه غير ساعة
واختلف بينهما ضربتان كان السابق بالضربة البطريق
فقتل الأزدي وعجل الله بروحه إلى الجنة فلما نظرت
المسلمون إلى الأزدي وقد قتل خرج إليه معاذ بن جبل
رضي الله عنه فقال له أبو عبيدة يا معاذ سألتك
بحق رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا ثبت في موضعك
ولزمت رايتك فلزومك الراية أحب إلي من خروجك
فوقف معاذ بالراية ثم نادا يا معاشر المسلمين
من أراد فرسا يركب عليه في سبيل الله عز وجل فهذه
فرسي فخرج إليه ولده عبد الرحمن وقال أنا يا أبت
وكان غلاما حين احتلم ثم عمد إلى السلاح فلبسه
وأخذ فرس أبيه فركبه وقال يا أبت أنا خارج إلى
هذا العلج فإن صبرت له فبمنة من الله عز وجل وإن قتلني

فعليك مني السلام وإن كانت لك حاجة عند رسول الله
صلى الله عليه وسلم فأعلمني بها فقال معاذ يا بني وفقني الله
وإياك لما يحب ويرضى فخرج عبد الرحمن بن معاذ بن جبل
إلى البطريق كأنه شعلة نار فتجاولا طويلا والتقيا
بضربتين كان السابق بالضربة البطريق فوقعت
الضربة على البيضا فقطع السيف البيضا وما تحتها وجرح
عبد الرحمن جرحا بالغا وسال الدم على وجهه فلما نظر
عدو الله إلى الدم وهو فاير على وجهه ظن أنه قتله
فتأخر البطريق إلى ورايه لينظر كيف يسقط
عبد الرحمن عن جواده فلما نظر عبد الرحمن إلى
العلج وقد تأخر إلى ورايه ألوى راجعا إلى جيش
المسلمين فقال له أبوه معاذ يا بني ما بك قال
قتلني العلج قال له يا بني ما تريد من الدنيا
ثم شد جراحه فإذا الضربة سالمة ثم إن العلج
طغا وتمرد وحمل ثلاث حملات والأزد تردده
فقال أبو عبيدة يا معاشر المسلمين من له منكم
فخرج إليه عامر بن الطفيل الدوسي رحمة الله عليه

وكان من أصحاب الرايات ممن شهد اليمامة مع رسول الله صلى الله
عليه وسلم ومعه خالد بن الوليد وكان قد رأى يوم اليمامة
رؤيا فرأى أن امرأة لقيته ففتحت له فرجها فدخل فيه ونظر
إليه ابنه جندب وأسرع ليدخل مكانا دخل فيه أبوه
فاستيقظ عامر بن الطفيل وقص الرؤيا على المسلمين فلم يدري
أحد تأويلها قالوا وما تأويلها قال عامر بن الطفيل أنا
أعلم تأويلها وذلك أني أقتل لأن المرأة هي الأرض وأن
ابني سيصيب جراحات يوشك أن يلحق بي فقاتل عامر
ابن الطفيل يوم اليمامة قتالا شديدا وسلم ولم يلحقه
أذا فلما كان يوم اليرموك شهد فيه الحرب وخرج إلى
قتال البطريق وحمل عليه بعد أن أقلبت ميمنة الروم
ثم انثنا على البطريق كالصاعقة وطعنه طعنة
وكان رمحه قد شهد معه الوقايع فانقصف الرمح
فرماه من يده وامتشق سيفه وضرب البطريق جندله
صريعا وعجل الله بروحه إلى النار وأسرع عامر بن
الطفيل فأخذ سلبه ورمى به إلى المسلمين وانثنى راجعا
نحو الروم وحمل على الميمنة حملة وعلى الميسرة حملة وعلى القلب

حملة وطلب بحملته المتنصرة من غسان فقتل من المتنصرة فارسين
ودعا إلى البراز فخرج إليه جبلة ابن الأيهم وعليه ذراعة
من الديباج الأحمر منسوجة بالذهب من تحتها درع من
دروع التبابعة وعلى رأسه بيضة تلمع في شعاع الشمس
كمقابس النيران وتحته فرس من نسل خيول العرب
فخرج جبلة إلى عامر بن الطفيل وقال له من أي الناس
أنت قال أنا من دوس قال له جبلة ابن الأيهم أنت من
القرابة فابق على نفسك وارجع إلى قومك ودع عنك
الطمع فقال عامر بن الطفيل قد أخبرتك من أنا ومن قبيلتي
فأخبرني من أنت قال جبلة أنا من غسان وأنا سيدها
جميعا أنا جبلة ابن الأيهم وإنما خرجت إليك حين نظرتك
قتلت هذا البطريق الشديد وهو نظير ماهان وجرجير
في الشجاعة فعلمت أنك كفو فخرجت إليك لأقتلك
وأحظى بقتلك عند الملك ماهان وعند الملك هرقل
قال له عامر بن الطفيل أما ما ذكرت أنك تحظى بقتلي
عند الملك هرقل فإني لا أطلب أن أحظا بقتالي
عند مخلوق وإنما أريد أن أحظى بجهادي عند رب العالمين

ثم حملا على بعضهما بعضا والتقيا بضربتين سابقتين كان السابق بالضربة جبلة ابن الأيهم فوقعت الضربة على عاتق عامر بن الطفيل فقطع السيف من كتفه إلى شراريق صدره فسقط إلى الأرض ميتا وعجل الله بروحه إلى الجنة وحقق الله منام عامر بن الطفيل فعند ذلك فرحت الروم بما صنع جبلة وجال جبلة بن الأيهم بين الفريقين وطلب البراز فخرج إليه جندب بن عامر بن الطفيل وكان معه راية أبيه فأقبل بها إلى أبي عبيدة وقال أيها الأمير إن أبي قتل وأريد أن آخذ بثاره أو ألحق به فادفع رايتك لمن شئت من دوس فأخذ أبو عبيدة الراية من يده ودفعها إلى رجل من دوس فحملها وخرج إلى جبلة ابن الأيهم كأنه شعلة نار **وهو ينشد ويقول**

سأبذل مهجتي أبدا لأني ... أريد العفو من رب غفور
وأضرب في العدى جهرا بسيفي ... وأقتل كل جبار كفور
فإن الخلد في الجنات حقا ... مباح لكل مقدام صبور

قال الواقدي ودنا جندب بن عامر بن الطفيل رحمة الله عليه من جبلة ابن الأيهم وصاح به يثبت

يا قاتل أبي فإني قاتلك وأسلب مهجتك قال له جبلة ومن أنت من المقتول قال جندب أنا ولده قال جبلة ما الذي أجرأكم على قتل أولادكم وآبائكم والقتل عندنا محرم قال جندب إن قتل النفس في سبيل الله محمود ننال به الدرجة العالية في الجنة قال له جبلة إني لا أريد قتلك وأنت غلام حدث السن فارجع حتى يخرج إلي غيرك قال جندب وكيف أرجع وأنا المفجوع في أبيه والله لا رجعت حتى آخذ بثاره أو ألحق به ثم حملا على بعضهما بعضا وجعلا يقتتلان وشخصت نحوهما الأبصار هذا وغسان ترمق إلى سيدها ونظروا إلى جندب ابن عامر وقد ظهر على عدو الله جبلة وقاربه في الحرب نصاحت المتنصرة بسيدهم وتأهبوا للحملة وقالوا إن رأينا هذا الغلام غلب سيدنا حملنا عليه وخلصنا صاحبنا منه ونظر أبو عبد الله إلى جندب وما هو فيه من شدة الحرب والقتال فبكى وقال هكذا يكون من يبذل مهجته في سبيل الله اللهم لا تسلبنه فعاله **قال الواقدي** حدث جابر بن عبد الله الأنصاري

قال شهدت قتال اليرموك فما رأيت غلاماً أنجب من جندب
ابن عامر بن الطفيل على صغر سنه حين قاتل جبلة بن الأيهم
لعنه الله غير أنه إذا فرغ الأجل لم تنفع شدة القتال
ولا كثرة السلاح ❁ فتجاولا طويلاً وافترقا مليّاً ❁
والتقيا بضربتين كان السابق بالضربة جبلة بن الأيهم
فقتل جندب بن عامر بن الطفيل وعجل الله بروحه إلى الجنة
فصاح به قومه أيها السيد ارجع إلى مقامك فقد قضيت
ما يجب عليك ❁ فرجع جبلة وهو متعجب بما صنع جندب
على صغر سنه وبعث إليه ماهان يشكره على فعله
وأصيب المسلمون في عامر بن الطفيل وولده جندب
رحمة الله عليهما ❁ فعند ذلك صاحت دوس الجنة الجنة
خذوا بثار سيدكم وولده من أعداء الله قال
الواقدي فخرجت دوس إلى القتال وساعدتها الأوس
والأزد وكانوا أحلافاً لهم وحملوا على جيش المتنصرة
فعند ذلك صاح أبو عبيدة بالمسلمين وقال أيها الناس
سارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات
والأرض أعدت للمتقين ومعانقة الحور العين في جوار رب

العالمين

العالمين ❁ ألا وإن الصابرين فضلهم الله على غيرهم ممن لم يشهد
مشهدهم ❁ فلما سمعت الأزد ذلك حملت مع دوس على
جيوش المشركين وكانت حملة عظيمة وجعلوا ينادون
الجنة الجنة قال الواقدي حدثني موسى بن محمد
عن عطاء بن مروان قال سألت رجالاً عدة ما كان شعار
المسلمين يوم اليرموك ❁ فأخبروني أنه كان شعارهم
يوم اليرموك أمت أمت قال الواقدي ولما حملت
دوس وتبعتها الأزد وقصدت بحملتها العرب من
غسان وطلبت موضع صليبهم فطعن رجل من الأزد الذي
كان حامل الصليب على رأس جبلة فجندله قتيلاً وسقط
الصليب من يده منكساً إلى الأرض فعند ذلك حملت
غسان تريد أخذ الصليب فاقتتلوا عند الصليب ساعة
من النهار وقتل خلق كثير من المتنصرة ومن المسلمين
إلا أن المسلمين كانوا في المتنصرة مثل الشامة البيضاء
في جنب البعير الأسود ❁ ثم خرجت المسلمون من وسط
عسكر المتنصرة قال الواقدي حدثني هشام
ابن عمارة عن أبي الحويرث عن نافع بن جبير عن عبد الله

ابن عدي قال شهدت يوم اليرموك فكان جيش المسلمين خمسة وعشرين
ألفا فغضب الحويرث منه وقال يكذب من حدثك أن جيش المسلمين
يوم اليرموك أحد وأربعون ألفا وقد أديت لكم ما سمعت
ممن أثق به من الرواة رضي الله عنهم وهذا أثبت الأقوال لأن
المسلمين كانوا بأجنادين اثنين وثلاثين ألفا ثم جاءت الأمداد
بعد ذلك **قال الواقدي** حدثني أبو سمرة بن عبد الحميد
ابن سهل عن جده قال لما حملت الأزد على الروم وتبعتها دوس
وحملت المشركون حملة واحدة حتى كشفت المسلمين
وكان صاحب لواء المسلمين يوم اليرموك عياض بن غانم الأشعري
فهرب منهزما فقال له المسلمون إنما ثبات المسلمين على الحرب
إلا بلوائهم فابتدر فأخذه عمرو بن العاصي وخالد بن الوليد كلاهما
فأخذه عمرو بن العاصي وجعل يقاتل به حتى انهزمت الروم
وفتح الله على المسلمين وكان يوم الثالث من اليرموك يوما شديدا
انهزمت فيه فرسان المسلمين ثلاث مرات كل مرة تردهم
النساء بالحجارة والعمد ويلوحن بالأطفال إليهن فترجع المسلمون
إلى القتال ولم يزل القتال بين الفريقين إلى أن ولى النهار وأقبل
الليل والناس تحت الحرب والقتال والقتل في المشركين كثير

وفي المسلمين قليل إلا أن الجراح في المسلمين فاشية من النشاب فلما أقبل
الليل عليهم رجعت كل طائفة إلى مكانها وباتوا تحت السلاح
وكذلك المسلمون وما كان للمسلمين همة غير الصلاة وبعد
ذلك شدوا الجراحات ثم إن أبا عبيدة لما فرغ من صلاته قال أيها
الناس إذا عظم البلاء فانتظروا الفرج واضرموا نيرانكم وتحارسوا
وأكثروا من التهليل والتكبير وقام أبو عبيدة يمشي بين الناس
ومعه خالد بن الوليد وجعل يفتقد الناس ويشد جراحاتهم بيده
ويقول أيها الناس إن عدوكم يؤمل كما تؤملون ويرجون من الله
ما ترجون وسار أبو عبيدة هو وخالد بن الوليد يتخلل خيام المسلمين
طول الليلة إلى الصباح وانحازت الروم إلى جانب اليرموك
مع ماهان فعند ذلك جمع ماهان بطارقته فوبخهم وقال لهم
قد علمت أن هذا يكون منكم مع ما علمت من فشلكم وجزعكم من العرب
فاعتذروا له وقالوا أيها الملك في غد نبارزهم وإن فرساننا
وشجعاننا إلى الآن لم يقاتلوا وغدا ننصب لهم الحرب فسكت
ماهان من توبيخه لهم وقال لهم اصلحوا سلاحكم ففعلوا ما أمرهم
به وباتت الفريقان يتحارسون وقد رعبت قلوب الروم من
كثرة القتل فيهم وأما المسلمين فإنهم أقووا قلوبا لدينهم وصحة

بياتهم فلما أصبح الصباح صلى أبو عبيدة بالمسلمين صلاة الصبح وإذا
بالصلبان قد ابتدرت ورايات القوم قد طلعت في عدد الشوك
والشجر كأنهم لم يلاقوا عدوا ولا قتالا ولا حربا فوقفوا عند
مصافهم ونصب لماهان سرير على الكثيب الذي كان يجلس
فيه يشرف على العساكر وأمرهم أن يعبئوا مصافهم وإلا لا
يبرزوا للقتال حتى يبارزوهم المسلمون فلما نظر أمراء
المسلمين إلى الروم وقد عبوا صفوفهم صاح كل أمير برجاله
وحرضهم على القتال فأقبلوا من الصلاة إلى السلاح فلبسوه
وإلى الخيل فركبوها ورجع كل أمير إلى مكانه يعظ أصحابه
ويوعدهم من الله النصر وسار أبو عبيدة بين الصفوف
وجعل يصف لهم فضل الجهاد وما أعد الله عز وجل للمجاهدين
الصابرين وخلف على حرس الداري والأثقال عمير بن سعيد
الأنصاري وعلى الرجالة سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل
وقدم من الرماة في الميمنة خمسمائة وفي الميسرة خمسمائة
وفي قلب العسكر خمسمائة وطاف أبو عبيدة عليهم وقال
معاشر الرماة ألزموا مراتبكم فإن رأيتم القوم قد زحفوا
إلينا فارشقوهم بالنبال واذكروا اسم الله عليها ولا

تتركوها

تتركوها متفرقة ولتخرج سهامكم من قسيكم كأنها خرجت من
كبد قوس واحد ففعلوا ما أمرهم الأمير أبو عبيدة ابن الجراح
رضي الله عنه وتقدم أبو سفيان إلى ولده يزيد والراية بيده
وحوله أصحابه وقد عزم يزيد على الحملة والجهاد وقال يا بني
أحسن يحسن الله إليك وعليك بتقوى الله عز وجل والصبر فإن
ليس في هذا الوادي أعني اليرموك أحد إلا وهو يريد النصر
واتق الله حق تقاته وانصر دين الله وشريعة نبيه محمد
صلى الله عليه وسلم وإياك والجزع مما قضاه الله تعالى قد
أمضاه واصبر مع أصحابك صبر أولي العزم وإياك أن يراك الله
منهزما فتبوأ بغضب من الله قال يزيد سأصبر جهدي
وطاقتي والله عز وجل يكون لي معينا وناصرا ثم صاح يزيد
وهز رايته وندب أصحابه إلى القتال وحمل على من يليه
من العدو ومعه قومه فقاتلوا قتالا شديدا حتى تعجبت
الناس منه ولم يزالوا كذلك حتى انكبوا على الروم نكاية
عظيمة وأبلوا بلاء حسنا وكان قتالهم من جانب القلب
ولم يزل يزيد كذلك حتى برز إليه بطريق من البطارقة
ذو منعة وشدة وبأس وبيده رمح عليه صليب من ذهب

وحوله عشرة ألاف فارس من الروم فحملوا على ميسرة المسلمين
وكان في الميسرة عمرو بن العاصي فأزالوا ميسرة المسلمين
منكشفين حتى دخلوا الروم في عسكر المسلمين وعمرو بن العاصي
ومن معه يتراجعون على الروم فيكرون تارة ويتأخرون
تارة حتى تكاثرت عليهم الروم فهزموهم حتى وصلوا الى
التل الذى عليه النسوان فصاحت إمرأة من نساء الأنصار
أين أنصار الدين حماة الإسلام **قال الواقدي** وكان
الزبير ابن العوام جالسا عند زوجته أسما بنت أبى بكر
الصديق رضى الله عنه يداوي عينه وكان رمدانا
إذ سمع صياح المرأة وهى تقول أين أنصار الدين أين حماة
الإسلام فقال لزوجته ما لهذه المرأة تصيح أين أنصار الدين
قالت له يا ابن عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم
هذه عفيرة بنت غفار وقد انهزمت ميمنة المسلمين حتى
ألجؤهم المشركون إلينا واختلطت بنا الأعلاج فقال الزبير
ابن العوام أنا والله من أنصار الدين ولا يراني الله جالسا ثم
طرح الخرقة عن عينه واستوى على متن جواده وأخذ
قناته واشتهر بسيفه وقال أنا الزبير بن العوام ابن عمة

رسول الله صلى الله عليه وسلم وجعل يطعن في الروم طعنا متداركا
حتى ردهم على أعقابهم وخيلهم تنكص بأذنابها قال ليث بن
جابر لله در الزبير بن العوام لقد رد الروم بنفسه وما
كان معه من العرب أحد حتى ألجأ الروم إلى عسكرهم
وتراجعت خيل عمرو بن العاصي ورجاله وهو ينادي الرجعة
الرجعة الجنة الجنة الحرم الحرم يا أهل الإسلام الصبر الصبر
ثم حمل عمرو بن العاصي بمن معه وجلاها بعد انهزامهم
قال الواقدي فلما انهزمت الروم من عمرو بن العاصي
برز من جيش الروم بطريق اسمه جرجس الأرمني في ثلاثين
ألفا وحمل على شرحبيل بن حسنة رضي الله عنه كاتب وحي
رسول الله صلى الله عليه وسلم فانكشف أصحاب شرحبيل
ولم يثبت سوى شرحبيل وناس قليل من أصحابه دون الخمسمائة
وجعل شرحبيل يحمل على الروم ويرجع إلى أصحابه وينادي
يا أهل الإسلام أفرارا من الموت الصبر الصبر فتراجعت
أصحابه وحمل شرحبيل عند رجوع أصحابه على الأرمن
فردهم على أعقابهم وجعلوا يضربون وجوههم بالسيف
ويطعنوهم بالرماح ويرشقونهم بالسهام حتى أصاب

الأرمن ما لم يصب المسلمين من الأرمن شيء ثم رجع شرحبيل إلى مكانه
ودار بأصحابه وأقبل يعنفهم بالعتاب ويقول ما الذي أصابكم
حتى انهزمتم أما هؤلاء إلا الأعلاج الكفرة وأنتم الحماة
البررة أهل القرآن وعباد الرحمن أما سمعتم قوله تعالى في
كتابه العزيز ومن يولهم يومئذ دبره إلا متحرفا لقتال
أو متحيزا إلى فئة فقد باء بغضب من الله الآية أما سمعتم
قوله تعالى إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم
بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون الآية
فهل أنتم تفرون من الموت أم من الجنة تهربون قالوا يا صاحب
رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك زلة كانت من الشيطان
مثل أحد وحنين وها نحن معك فاحمل حتى نحمل معك
فجزاهم خيرا ووقف مكانه مما يلي سعيد بن عمرو
ابن نفيل وقد لزم المسلمون مواقفهم ولم يتحركوا من
مكانهم قال الواقدي فلما نظر قيس بن
هبيرة رضي الله عنه إلى خيل شرحبيل بن حسنة وقد لزمت
مصافها خرج إلى العدو بمن معه وحمل وهو ينادي
بشعاره فسمعه خالد بن الوليد فخرج خالد بن الوليد من وراء الصفوف

التي هي للروم ونادى هو وأصحابه بشعارهم وكان شعارهم
يا نصر الله انزل يا منصور أمت أمت وكان هذا شعار المسلمين
يوم بدر وأحد وحمل خالد على الروم من ذات اليمين وحمل قيس
ابن هبيرة من ذات الشمال وقاتلوا قتالا شديدا وجالت الروم
حوله متنكرة فلله در الزبير بن العوام وهشام بن المرقال
وخالد بن الوليد لقد حملوا حملة شديدة حتى قربوا من خيام ماهان
فلما نظر ماهان إلى خيل المسلمين وقد أدركته نزل عن
سريره وولى هاربا وصاح بالروم وعنفهم فعند ذلك تراجعت
الروم إلى القتال وصاح أبو عبيدة بسعيد بن زيد فحمل بمن معه
وهو ينادي لا إله إلا الله محمد رسول الله يا منصور يا نصر الله
فأقبلت المسلمون يقتلون قتلا ذريعا فبينما المسلمون في حملتهم
إذ سمعوا قائلا يقول يا نصر الله اقترب أيها الناس الثبات
الثبات فقابلنا الصارخ وإذا هو أبو سفيان وهو تحت راية ابنه
يزيد واشتد الأمر وقاتلوا قتالا حسنا ولم يكن في الروم أثبت
من أصحاب السلاسل فإنهم ثبتوا في مواضعهم يمنعون عن أنفسهم
كل من أتاهم وأما الرماة من الأرمن فإنهم كانوا في
القلب في عسكر الروم وعدتهم مائة ألف رام وكانوا

إذا رشقوا بسهامهم يسترون ضوء الشمس ولولا النصر والمعونة من الله
عز وجل لكانت المسلمون هالكين وانفصل المسلمون منصورين
والمشركون هالكون **قال الواقدي** فلما رجعت المسلمون
إلى مواضعهم خرج من عسكر المسلمين علج عظيم الخلقة راكب
على سهري عال وعليه زرد الحديد وبيده رمح فجال العلج وأشهر
نفسه وطلب البراز فلما نظر المسلمون إليه أهالهم حاله فقال
لهم أبو عبيدة لا يهولكم حاله فلا قلب له فاستعينوا بالله واخرجوا
إليه فخرج إليه عبد من عبيد العرب وكان أسود اللون
وبيده سيف وحجفة وهو راجل فلما هم أن يدنو من
العلج صاح به مولاه ذو الكلاع الحميري فلما رد عبده
خرج ذو الكلاع الحميري إلى العلج مبادرا وقصد نحوه
وجال جولة منكرة وكان ذو الكلاع الحميري من أهل
الشجاعة فجال عليه العلج برمحه وكلاهما رامحان ثم التقيا
وتطاعنا طعنا شديدا حتى كلا من الطعان ثم انفصلا ساعة ثم
انجدبا بالسيوف والتقيا بهما وتضاربا ساعة ثم انفصلا والتقيا
بضربتين كان السابق بالضربة العلج فقطع سيفه ذرع
ذو الكلاع الحميري وما تحته من الثياب ووصلت

الضربة إلى عضده الأيسر فجرح جرحا عظيما فلما نظر ذو الكلاع
إلى ما لحقه عطف برأس جواده يريد عسكر المسلمين فلما نظر
العلج إلى ذلك طمع فيه عند رجوعه يريد أن يلحقه وكان
فرس ذو الكلاع سابقا فلم يلحقه العلج حتى لحق بجيش المسلمين
وأتى إلى راية قومه من حمير فقالوا له قومه ما ورائك
أيها الأمير فقال يا فرسان حمير إياكم والعجب ولا تتكلون في
قتالكم على سلاحكم ومنعته ولكن توكلوا على الله عز وجل
فقالوا له وكيف أيها السيد قال لأني رددت عبدي عن القتال
شفقة عليه إذ ليس عليه لامة حرب وقلت أنا أفرس من عبدي
وأجود عدة فصنع بي ما ترون ووالله ما لحقني مثلها في حرب
قبل ذلك فشدت حمير جرح سيدهم ووقف ذو الكلاع
الحميري ونادى يا آل حمير يا آل حمير كان سيدكم رجع
كليلا فما منكم من يأخذ له بالثار فابتدر فارس من فرسان
حمير عليه سابل السلاح كأنه شعلة نار وحمل على البطريق
وتجاولا طويلا فعند ذلك عطف الحميري على العلج
وطعنه طعنة جندله بها صريعا وعجل الله بروحه إلى النار
وهم الحميري أن يأخذ سلبه فهجم عليه كردوس من

الروم فأبعدوه عنه فعند ذلك حمل الحميري عليهم فكشفهم
عنه فعند ذلك أخذ سلب العلج ورمى به إلى قومه ورجع إلى
حومة الميدان ودعا إلى الحرب والقتال فخرج إليه علج آخر فقتله
وثالث فقتله ورابع فقتل الحميري رحمة الله عليه وكانت
الروح في الحميري فهمّ العلج أن يأخذ سلبه فرماه الحميري
بنبلة فوقعت في نحره فخرّ له صريعا وعجّل الله بروحه إلى النار
وسقطا جميعا إلى الأرض ❀ فلما نظر الروم إلى ذلك هابوا
وكان ذلك البطريق الذي قتل بالنبلة من عظماء الروم
وقيل إنه كان صاحب نابلس فصاح ما هان بهم وقال
دونكم والقتال فعند ذلك خرج إلى القتال ملك اللان
وكان اسمه مربولس وكان عليه آلة الملوك وقد أظهر
في وسطه جوهرة فبرز بين الصفين وعرّف بنفسه بين الفريقين
وقال أنا ملك اللان ولا يخرج إليّ إلا أميركم فخرج إليه
شرحبيل بن حسنة كاتب وحي رسول الله صلى الله عليه وسلم
وبيده الراية وعليه درع من فوقه كبر ممنطق بمنطقة
من الأديم وهو راكب على فرس ❀ فقال أبو عبيدة من هذا
الذي خرج إلى هذا البطريق قالوا شرحبيل بن حسنة قال

أبو عبيدة ادفع الراية يا شرحبيل لمن شئت واخرج بغير راية فلما
بلغه ذلك أعطى الراية لرجل من أصحابه وقال له قف بها مكاني
فإن قدر على هذا العلج سلم الراية إلى الأمير أبي عبيدة يسلمها
لمن يختار وإن رجعت سالما أخذتها فأخذ الرجل الراية وخرج
شرحبيل بن حسنة إلى حومة الميدان ولسانه لا يفتر عن قراءة
القرآن فلما سار إلى العلج جعل **يقول**

❀ سأحمل في اللئام وفي الأعادي ❀ بكل مثقف لدن حداد ❀
❀ ليا بوسا لقيصر يوم يأتي ❀ وجمع الروم شرد في البلاد ❀

قال الواقدي فلما سمع ملك اللان كلام شرحبيل
وكان يحسن قليلا بلسان العربي ❀ فقال يا عربي ما هذا
الذي تقوله قال أقول الكلام الذي تقوله العرب عند
برازها تشجع بها أنفسها وتبوء بوعد الله الذي وعدنا به على لسان
نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فقال ملك اللان وما الذي
وعدكم نبيكم ❀ قال شرحبيل وعدنا نبينا صلى الله عليه
وسلم أن الله عز وجل يفتح لنا الأرض في الطول والعرض
ونملك الشام والعراق وخراسان وإنا نقاتل في البر والبحر
والآن فنكون من الظافرين بنصر الله لنا فقال ملك اللان

اللهم لا تنصر من يبغي وانتم تعنيتم علينا تطلبون منا ما ليس لكم
بحق ❁ قال شرحبيل نحن قوم امرنا الله عز وجل ان نقاتلك
والارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين واني
اراك تعرف بلغات العرب فلو تركت ما انت عليه من عبادة
الصليب ودخلت في دين الاسلام لكنت من اهل الجنة
فقال ملك اللان ما اترك دين سيدنا المسيح فان
دينه حق فقال شرحبيل لا تقل انه اله معبود ولا تقل انه
قتل ولا صلب ❁ فان الله سبحانه وتعالى احياه متى شاء
ورفعه متى شاء وهو عبد الله ورسوله فقال ملك اللان لست
ارجع عن قولي ثم ان ملك اللان اخرج صليبا من عنقه
فقبله وتركه على عينيه واقبل يستنصر به فلما نظر
شرحبيل الى ذلك من فعاله قال له يا ويلك تبا لك ولمن
معك ولمن يقولوا بقولك ❁ ثم حملا على بعضهما بعضا
وتجاولا طويلا ولم يزالا في الجهاد لهما ساعة من النهار وقد رمقتهما
الفريقان بالابصار والمسلمون يدعون لشرحبيل بالنصر
فلما نظر شرحبيل الى شدة المشرك وباسه وجودة مراسه
فانطرد شرحبيل بين يدي البطريق كالمنهزم فظن

البطريق انه منهزم فتبعه وقصر شرحبيل حتى قاربه وطعن
المشرك طعنة فزاغ المشرك عن الطعنة ونجا سالما ثم قال
يا معشر العرب لا تدعون المكر والخديعة قال له شرحبيل مه
يا عدو الله اما علمت ان الحرب خدعة ومكر ثم رجعا الى
الحملة وتضاربا بالسيوف حتى انقطعت السيوف من ايديهما
واعتنقا معانقة شديدة وكان عدو الله اعظم جثة واشد
منعة من شرحبيل ❁ وكان شرحبيل نحيف الجسم من كثرة
الصيام وقيام الليل فهم البطريق ان يقلع شرحبيل من
سرجه والفريقان ينظران اليهما ❁ قال ضرار بن الازور
رضي الله عنهما فداخلني والله غيظا عظيما وقلت والله ان كان
هذا المشرك يقتل كاتب رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقلت في نفسي ما الذي يمنعك عن نصرته فخرج ضرار بن
الازور اليه راجلا يسعى على رجليه حتى قرب منهما وهما
لا يعلمان به وكان مع ضرار خنجرا فضرب به العلج
من ورائه طلع الخنجر يلمع من صدره وعجل الله بروحه الى
النار وخلص ضرار شرحبيلا واخذ اسلبه وما كان عليه
وركب ضرار جواد البطريق وانثنا هو وشرحبيل راجعين نحو

المسلمين وهنوهم بالسلامة وشكروا ضرارا على فعله ثم ان
شرحبيلا اخذ سلب العلج اليه فنازعه فيه ضرار ابن الازور
وقال ان السلب لي لاني انا القاتل وقال شرحبيل بل انا
قتلته فاختصما في ذلك لابي عبيدة فجا ابو عبيدة يحكم
بينهما في ذلك فلم يرضيا بحكمه فكتب ابو عبيدة الى
امير المؤمنين عمر بن الخطاب ان يا امير المؤمنين اننا على اليرموك
وجرا بيننا وبين الروم حرب عسير وانا على الحرب والقتال
وان رجلا من المسلمين خرج اليه رجل من المشركين ولقي
الرجل المسلم من المشرك شدة عظيمة فخرج اليه رجل من المسلمين
وساعده عليه وقتله فهل السلب للاول او للثاني فجا
الجواب من عمر بن الخطاب ان السلب للقاتل فاخذ ابو عبيدة
السلب من شرحبيل واعطاه لضرار بن الازور فقال رجل
من المسلمين لشرحبيل كيف فاز ضرار ابن الازور بسلب
العلج قال شرحبيل ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء **قال
الواقدي** ولما قتل ضرار بن الازور البطريق
وهو ملك اللان غضبت الروم غضبا شديدا فعند ذلك
خرج بطريق من بطارقة الروم وطلب البراز فخرج اليه الزبير

ابن ال

ابن العوام فقتله واخذ سلبه فخرج اليه اخر فقتله واخذ سلبه
فخرج اليه علج اخر فقتله واخذ سلبه فخرج اليه رابع فقتله
واخذ سلب الجميع فقال خالد بن الوليد ان الزبير قد تجرد
لقتال الروم وبذل نفسه في الجهاد في طاعة رب العباد
واني اخاف عليه من التعب فعزم ابو عبيدة اليه وقال له
يا ابن عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم بطلعة رسول الله ارجع
الى مكانك فرجع الزبير الى مكانه **قال الواقدي**
ولما رجع الزبير الى مكانه خرج بطريق من الروم وهو
ملك الرودسية وهو زوج بنت ملك اللان وطمطم في
كلامه وجال في حومة الميدان فخرج اليه خالد بن الوليد
فقتله فقوموا تاجه ومنطقته ودرعه وصليبه بخمسة عشر
الفا من الذهب ولما قتل ملك الرودسية اعلموا ماهان
بان ملك اللان قتل وقتل زوج ابنته ملك الرودسية
غضب غضبا شديدا وقال ان هذين الملكين قد قتلا
منا وان المسيح لا ينصرنا ثم ان ماهان جمع الرماة اليه
وقال لهم ارموا سهامكم عن يد واحدة وكان عدة
الرماة مائة الف وكان النشاب يقع في جيش المسلمين

كسقوط البرد من السماء فارموا الرماة سهامهم نحو المسلمين ثم
في رمية واحدة فقتلوا من المسلمين خلقا كثيرا وعوروا سبعمائة
عين فسمي ذلك اليوم يوم التعوير وكان ممن أصيب
بعينه ذلك اليوم المغيرة بن شعبة وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل
وبكر بن عبد الله التميمي وأبو سفيان صخر بن حرب وراشد
ابن سعيد وكان الرجل الآخر يلقى صاحبه بعد تلك الوقعة
فيقول ما الذي أصاب عينك فيقول من وقعة اليرموك وعظم
الأمر في جيش المسلمين من وقع النشاب حتى ما كنت تسمع إلا
من يصيح واعيناه وابصراه واحدقتاه ووجدت العرب أعنتها
راجعة على أعقابها فلما نظر ماهان اللعين إلى اضطراب
الجيش حرض الرماة على الرمي وصاح برجاله وزحفت
المسلسلة نحو جيش المسلمين وحمل جرجير وقناطر وقورين
بمن معهم وزحفت المسلسلة بحديدها والبيارق تلمع
في أيدي الرجال كمقابيس النيران والحرب دائرة على
ساق وأخذ المسلمين الإشفاق من ألم قلع الأحداق
قال عياد بن عامر فنظرت جيوش الروم نحونا سايرة
والمسلمون متأخرون وخيلهم ناكصة فقلت لا حول

ولا قوة إلا بالله العلي العظيم اللهم أنزل علينا النصر الذي نصرتنا
به في المواطن كلها ثم صحت في رجال حمير تهربون من
الجنة إلى النار فما هذا الفرار أترضون بغضب الجبار أما
تخافون من العار ومن من يعلم الأسرار أفرغتم من قتال
الكفار قال عياد بن عامر فما أجابني أحد كأنهم صم
لا يتكلمون فقلت إن كانت قبيلتك حمير قد صمت فما
بال غيرها فجعلت أهتف بقبائل العرب وكل أحد منهم
قد اشتغل بنفسه فجعلت أكثر من قول لا حول ولا قوة إلا
بالله العلي العظيم فما كان غير بعيد حتى نزل النصر من
عند الله عز وجل وذلك أن المسلمين انقلبوا راجعين نحو
التل الذي عليه النساء ولم يثبت مع المشركين في القتال
إلا أصحاب الرايات قال عبد الله بن قرط الأسدي
شهدت قتال الشام فلم أر أشد ولا أعظم على المسلمين من
قتال اليرموك ولم أر في يوم اليرموك أشد من يوم التعوير
رجعت خيل المسلمين ناكصة على أذنابها وقاتلت
الأمراء بأنفسها والراية بأيديها حتى أن أبا عبيدة ويزيد
ابن أبي سفيان وعمرو بن العاص قاتلوا قتال الموت

ونظرت إلى شرحبيل وضرار بن الأزور وهشام المرقال والمسيب بن
نجبة الفزاري وعبد الرحمن بن أبي بكر الصديق رضي الله
عنه والفضل ابن العباس والزبير بن العوام قاتلوا قتالا شديدا
قلت في نفسي وكم مقدار ما يقاتلون هؤلاء وهم نفر
يسير حتى أسعدنا الله بجملة النسا التي شهدت المواطن كلها
مع رسول الله صلى الله عليه وسلم روى راشد الزهري قال
كانت النسا يشهدن المواطن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
فيداوين الجراحات ويسقين الما ويبرزن إلى القتال فلم أر امرأة
من قريش قاتلت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا في يوم اليمامة
مع خالد بن الوليد مثل ما قاتلت نسا قريش يوم اليرموك
حين خالطن بالسيف جيوش الروم وضربن ضربا وجيعا وذلك
في خلافة عمر بن الخطاب وكان قد انضم إلى نساء
المهاجرين والأنصار نساء من لخم وجذام من المؤمنات وقام
الحرب على ساق فضربن النساء وجوه الروم وجعلن يقاتلن
قتال الموت ويضربن وجوه خيل المسلمين بالحجارة ويلوحن
إلى أزواجهن بالأطفال وجعلن بعضهن يرد بعضا وبعضهن
يقاتل الروم وبعضهن يسقين الما وبعضهن يشددن الجراح

فبينما هو كذلك إذ انهزمت النسا فتبعتهن خولة بنت الأزور
وأم حكيم ابنة الحارث ولبنا ابنة سالم وسلما ابنة لؤي ابن
عاصم اليربوعي وجعلن يضربن وجوه الروم ورؤوسهن بالعمد
ويقلن أخرجن من بيننا فرجعت نسا لخم وجذام يقاتلن قتال
الموت وقاتلت أم حكيم ابنة الحارث بالسيف أمام الخيل قال
واقد بن أبي عون نظرت إلى هند بنت عتبة ابن ربيعة
وبيدها سيف من سيوف الهند وهي تضرب في المشركين
وتنادي بعلو صوتها يا معاشر العرب أحصدوا الغلفان
بالسيوف فجعل أبو سفيان يعظ المسلمين ويقول يا معاشر المسلمين
إنه يوم من أيام الله فابلوا بلا حسنا وأما أسما بنت أبي بكر
الصديق فإنها اقترنت عنانها بعنان زوجها الزبير بن العوام وما
كان يضرب ضربة إلا وهي تضرب مثله وتراجعت المسلمون
إلى القتال حين نظروا إلى النسا يقاتلن قتال الموت ويقول
الرجل لصاحبه إن لم تقاتل فنحن أحق بالخدور من النسا فلله
در النسا يوم اليرموك قال الواقدي حدثني
عبد الرحمن عن الفضل عن يزيد بن أبي سفيان عن مكحول
كانت وقعة اليرموك في رجب الفرد سنة خمسة عشر من

الجبرة ۞ قال ابن عامر فعند ذلك حملت خولة بنت الأزور على
علج من علوج الروم وجعلت تشالقه بالسيف حتى طار السيف من
يدها فهجم عليها العلج وضربها بالسيف على قمتها سال دمها
وسقطت إلى الأرض ۞ فلما نظرت إليها عفيرة بنت غفار
صريعة نادت فجع ضرار والله في أخته ثم حملت عفيرة على
العلج وضربته ضربة بالسيف أبانت رأسه عن جسده وعجل الله
بروحه إلى النار وأقبلت عفيرة نحو خولة ورفعت رأسها
والدم قد صبغ شعرها حتى صار كالشقائق ثم قالت كيف
أنت قالت إنني بخير ولكنني أظن أني هالكة فهل لكي
علم بأخي ضرار قالت عفيرة ما لي علم به قالت خولة اللهم
اجعلني فداه ولا تفجع فيه الإسلام ۞ قالت عفيرة فجهدت أن
تقوم فلم تقم فحملناها إلى موضعها فما أقبل الليل حتى رأيناها
تدور وتسقي الرجال الماء وكأن لم يصبها أذى قط فنظر إليها
أخوها ضرار والضربة في رأسها فقال لها ما بك قالت علج من
علوج الروم فعل بي هذا الفعال وقتلته عفيرة قال لها يا أختاه
أبشري بالجنة فقد أخذت بثار الضربة مرارا وقتلت منهم
أعدادا ولم يزل الحرب من أول النهار وكلما قرب

الليل زاد وأبو عبيدة يقاتل بنفسه والأمراء يفعلون كفعله ۞
قال الواقدي وقد قتل يوم التعوير من الروم أربعون
ألفا أو يزيدون ولقد أخبرونا الثقات عن خالد بن الوليد أنه
انقطع من يده [illegible] أسياف قال الواقدي
ولقد حدثني من حضر وقعة اليرموك وشاهدها من الثقات
قال كان [illegible] قتل خالد يوم اليرموك مائة بطل من شجعان
الفرسان وحماة الفتيان ۞ قال حازم بن معن فعند ذلك
برز من جيش المشركين في قلب الوقعة أصحاب الديباج
والجميل والخالفين على الخيول العربية والبنود كأنهم الجبال
الراسيات ۞ فلما [illegible] غاصوا في وسط القتال وقد رفعوا
في [illegible] صليبا من الجوهر وحملت ميسرة [illegible] على ميسرة
الروم [illegible] على جيش المسلمين [illegible] ۞ قال حازم بن معن
[illegible] كأنما [illegible] في فلاة [illegible] مستوفية
[illegible] فلما نظر أبو عبيدة بن الجراح إلى المسلمين
وقد شردوا من أيدي الكفار إلى أن وصلوا إلى التل
الذي عليه النساء فاستقبلوهم النسوان وجعلن يضربن وجوه
الخيل بالعمد وجعلن النسوان يردونهم إلى القتال

فصاح أبو عبيدة الله الله لا تتلوا الإسلام وتفضحوا جمعكم واتقوا الله
ربكم قال الواقدي وكان بين يدي أبي عبيدة
رجل من بني محارب اسمه نجم بن مفرج وكان من خطباء
العصر وأفصح العرب لسانا وأجرأهم جنانا وكان يرفع الصوت
ثم تبعا لي بني محارب تفضيل ما العرب الفصحاء ليسمعوا ما ينطقوا به
من نظمه ونثره قال الواقدي حدثني عبد الملك
عن أبيه عن حسان بن كليب عن عبد الواحد بن عون
عن موسى بن عمران اليساري قال رأيت نظيم بن مازن يحدث
عن المصطفى النبي وسئل عن وقعة اليرموك فقال لما رد المسلمين
عن الهزيمة بعد قضاء الله ونصره إلا رجل من بني محارب
اسمه نجم بن مفرج ولقد حفظنا منه يوم هزيمة
المسلمين يوم اليرموك ما نحن نذكر عنه ولقد بلغنا عن
الفصحاء المتأخرين مثل الأصمعي وأبي عبيدة معمر قالوا وكان
من جملة ما وعظه يوم اليرموك أنه قال أيها الناس
هذا يوم له ما بعده ولقد علمتم بعده من قربه ولن
تنالوا الجنة إلا بالصبر على المكاره وبالله ما يدخلها
من هو في الجنة كارها ولله في عرض السموات جنته

ولكنها محفوفة بالمكاره وأعلا الدرجات درجات السعادة
فأرضوا عالم الغيب والشهادة وهذا الجهاد قد قام على ساقه
وبدا النفاق في أسواقه واختفا نفاقه في إنفاقه أما أنتم من أصحاب
نبي العصر أفأيستم من الثواب والنصر بشروا روح المصطفى
بثباتكم وقدموا العزم بصفا نياتكم وإياكم تولون
الأدبار فتستوجبون عذاب النار أما والذي قدر الأقدار
وأجرى الفلك الدوار وكل شيء عنده بمقدار لقد
تزينت لكم الحور العين بأيديهم أباريق وكأس من معين
فمن طلب دار البقا هان عليه اليوم ما يلقا فصححوا نطتكم
تنالوا من ربكم وحققوا حملتكم تنالوا بغيتكم واطعنوا في
الصدور تنالوا الخلد والسرور وشرعوا الأسنة تنالوا الجنة
واعتمدوا الصبر يكتب لكم الأجر ولا توافقوا الكفار في
فعلهم واعدلوا عن قولهم ووافقوا من سلف من آبائكم في
فعلهم واسمعوا ما قال في القرآن من أجلهم وعد الله الذين
آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما
استخلف الذين من قبلهم ثم قال مبينا وليمكنن لهم
دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا

يعبدونني لا يشركون بي شيئا ومن كفر بعد ذلك فأولئك
هم الفاسقون ۝ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن
إلا وأنتم مسلمون **قال الواقدي** فعند ذلك حمل خالد
ابن الوليد على جيوش الروم وردهم إلى أماكنهم وبرز
بين الصفين وأشهر نفسه بين الفريقين ۝ فعند ذلك برز
إلى خالد بطريق من الروم اسمه النسطور وعليه الديباج
وأقبل يدعو خالدا إلى البراز ۝ فعند ذلك أقبل إليه خالد
وحمل عليه واقتتلا قتالا عظيما فبينما هم في أشد
القتال إذ كبا جواد خالد ووقع خالد إلى الأرض على
رأسه فلما نظر المسلمون إلى خالد وقد هوى إلى الأرض
قالوا لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ولم يكن على
المسلمين أشد من تلك الساعة لما هوى خالد إلى الأرض
وهو ركن الإسلام وخالد يقول هي هي فعند ذلك علاه
عدو الله بالسيف على ظهره ولم يقطع سيف عدو الله في خالد
شيئا بقدرة الله عز وجل وكان قد سقطت قلنسوته عن
رأسه فصاح قلنسوتي قال لهم خالد اعطوني قلنسوتي فأخذها
رجل من بني مخزوم وأتى بها فأخذها خالد وجعلها على

رأسه ۝ فقيل له يا أبا سليمان أنت في هذه الحال من الحرب
والقتال وأنت تصيح قلنسوتي قال لهم خالد إن رسول الله صلى الله
عليه وسلم حلق رأسه في حجة الوداع فأخذت منها شعرات
فقال لي المصطفى صلى الله عليه وسلم ما تصنع يا خالد بهذه
الشعرات قلت أتبارك بها يا رسول الله وأستعين بها على
عدوي ۝ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تزال ۝
منصورا ما دامت معك فجعلتها في مقدم قلنسوتي فلم ألق
جمعا قط إلا انهزم وهي على رأسي إلا هزمتها وكل ذلك
ببركة رسول الله صلى الله عليه وسلم **قال الواقدي**
فعند ذلك حمل خالد على البطريق وضربه ضربة على عاتقه
فحمل عليه كردوس من الروم وحازوه إليهم فأمكنهم
الله منهم بمدد نبيه وأركسهم ومن بني من ملوكهم وكرهت
الروم بعد ذلك البراز ولقد كان خالد يدعوهم إلى
البراز فلم يخرج إليه أحد ۝ ولم يزل خالد يضرب في
الروم بسيفه حتى كل ساعده فأشفق عليه الحارث بن هشام
المخزومي فقال لأبي عبيدة إن خالدا قد قضى ما وجب عليه
أداؤه في السيف حتى إنه لقد ضعف ساعده فلو أمرته أن يستريح

نفسه فأقبل أبو عبيدة على خالد بن الوليد وعزم عليه أن يرجع
فقال خالد أيها الأمير إني لأرجو الشهادة وحمل خالد وتبعه
المسلمون والنساء أمام المسلمين في القتال ولم تزل الحرب
بين الفريقين حتى انقلبت الروم على أعقابها وقد قتل منهم
ألوف عدة وأما أصحاب السلاسل فأعظم أكثرهم
ووطئتهم الخيل بسنابكها ❁ ولم يزل الحرب بينهم
إلى أن ولت الشمس للغروب ولا انفصل بعضهم من بعض
وقد جرى الدم بينهم وافترشت الأرض بالقتلى والجراح
فاشية في العسكرين ❁ إلا أن في الروم أكثر
ورجع كل قوم إلى إصلاح شأنهم ومداواة
جراحاتهم ولم يقتل الأكثر إلا من أكابر الروم ولم
يغفل أبو عبيدة في تلك الليلة لأحد من أمراء المسلمين ❁
على حرس بل تولى الحرس بنفسه فبينما أبو عبيدة يدور
حول العسكر إذ نظر إلى فارسين يدوران معه حول
العسكر وكلما قال لا إله إلا الله قالا محمد رسول الله
فقرب أبو عبيدة منهما وقال من أنتما وإذا أحدهما
الزبير بن العوام والآخر زوجته أسماء بنت أبي بكر الصديق

رضي الله عنهم

رضي الله عنهم فسلم أبو عبيدة عليهم وقال يا ابن عمة رسول الله صلى
الله عليه وسلم ما الذي أخرجكما قال خرجنا لحرس المسلمين ❁
وذلك أن زوجتي هذه قالت يا ابن عمة رسول الله صلى الله
عليه وسلم يوشك أن المسلمين في هذه الليلة يشتغلون عن
الحرس لما لحقهم من التعب في الجهاد طول يومهم فهل لك
أن تساعدني الليلة على حرس المسلمين فأجبتها إلى ذلك
فشكرهما أبو عبيدة وجعلا يطوفان طول ليلتهم إلى
الصباح ❁ قال الواقدي حدثني أبو عبيدة عن
صفوان بن عامر عن عبد الرحمن بن حميد اللخمي عن أبيه عن جده
قال كان رجل في عسكر الروم من أهل حمص يقال
له أبو الجعيد وكان رئيسا من رؤساء حمص فلما انجمعت الروم
على اليرموك لحرب المسلمين ونزلت الروم في الزراعة
وكان أبو الجعيد قد جعل مسكنه هناك لطيب هوائها
ونزل عسكر الروم في الزراعة عنده وكان في الزراعة
عرس لأبي الجعيد وزوجته تزف عليه فعمل أبو الجعيد
ضيافة لعسكر الروم وأكرمهم وأطعمهم فلما فرغ من جميع
أمورهم قال له الروم هات لنا امرأتك إلينا فأبى ذلك

وسبقهم ليعمدوا إلى العروس فأخذوها وعبثوا بها تلك الليلة
إلى أن أصبح الصباح وكان لأبي الجعيد ولد فقتلوه فأخذت
أم الفتى رأس ولدها فلفتها في خلخالها وأقبلت بها إلى مقدم
العسكر ماهان وشكت ذلك إليه فلم يلتفت لها بحقها
من ظالمها فقد عتت عليهم وقالت لقد بالله لينصرن العرب
عليكم فما كان غير يسير حتى أهلكهم الله على أيدي المسلمين
قال الواقدي فلما كان يوم اليرموك
وقتل خالد بن الوليد البطريق الذي اسمه النسطورس
وكان نزل اللعين زنكا من أركان الروم إذا أقبل
أبو الجعيد إلى عسكر المسلمين وقال يا معاشر المسلمين
إن هذا البطريق النازل بإزائكم جيش عظيم ولو سلموا
أنفسهم إليكم للقتل لما فرغتم منهم فأنا أكيدهم لكم في هذه
الليلة بمكيدة تظفرون عليهم بها فما أنتم فاعلون
معي وتعطوني فقال له المسلمون أيها البطريق نعطيك
كذا وكذا ونرفع عنك كذا وكذا ولا نأخذ
منك جزية أبدا ولا من عقبك ونكتب لك بذلك
عهدا قال الواقدي فلما استوثق أبو الجعيد

من المسلمين مضى إلى الروم وهم لا يعلمون بالياقوصة وأتى الياقوصة
وادٍ عظيم فأنزلوهم إلى جانبها وقال لهم أنا أكيد لكم
بمكيدة تهلكون بها وجعل الياقوصة فيما بينه وبين العرب
قال الواقدي فلما كان يوم العروبة جاء أبو الجعيد
إلى أبي عبيدة فوجده يطوف تلك الليلة هو وجماعة
من المهاجرين حول جيش المسلمين فقال أبو الجعيد أيها
الأمير فما قعودك عن هؤلاء الروم فقال له أبو عبيدة وما
الذي تطيع فقال إذا كان ليلة غد أكثروا من النيران
ثم رجع أبو الجعيد لينصب على الروم فلما كانت تلك
الليلة أوقد المسلمون النيران فلما اشتعلت أقبل
أبو الجعيد إلى المسلمين فقالوا له قد أشعلنا النيران كما
أمرتنا فما بعد ذلك قال أريد خمسمائة فارس يكونوا من
أبطالكم حتى أشير عليهم بما يصنعون قال
الواقدي فانتخب أبو الجعيد من أبطال المسلمين
خمسمائة بطل مثل عياض بن غنم وابن طارق الهلالي
ورافع بن عميرة الطائي وضرار بن الأزور وعبد الله بن
قرط وعبد الله بن ياسر وعبد الله بن أوس وعبد الله بن

عمر بن الخطاب وعبد الرحمن بن أبي بكر الصديق رضي الله
عنه وغانم بن عبد الله الليثي ومثلها ولاة السادة رضي الله عنهم
فلما اجتمعوا سار بهم أبو الجعيد على غير الجادة وقصد بهم
عسكر الروم ودلهم على المخاض ولم يكن يعلم به سوى
أبو الجعيد أو من سكن اليرموك ثم قال للمسلمين ناوشوهم
الحرب وانهزموا ودعوني وإياهم فهجم المسلمون على عسكر
الروم وأعلنوا بقول لا إله إلا الله محمد رسول الله ❁ ثم
إن المسلمين طلبوا المخاض فعند ذلك صاح أبو الجعيد يا معاشر
الروم دونكم أوائل المسلمين فإنهم انهزموا فأقبل الروم
على خيل العجلة يظنون أن ذلك حقا فبعضهم ركب جواده
عريانا وبعضهم ولا كبه وبعضهم راجل وبعضهم عريانا مجدا
وساروا في طلب المنهزمين من المسلمين وأبو الجعيد
يعدو أمامهم حتى أوقفهم على الياقوصة وقال لهم
دونكم والمخاض ❁ فأقبلت الروم يتهافتون في الماء
ويتساقطون كتساقط الجراد حتى غرق في الياقوصة
ما لا يحصيه لسان ولا جنان قال الواقدي
هذا ما جرى للروم ولأحد لا يعلم ما الأمر إلى أن أصبح

الصباح فسمع الروم أن المسلمين في عسكرهم فعلموا أنهم
دهموا في تلك الليلة وقل عددهم وقال بعضهم لبعض ما
كان الصائح في ليلتنا فقالوا إن الرجل الذي غنم بزوجته
في تلك الليلة وقتلتم ولده لقد أخذ بثاره منكم فلما
أصبح الصباح أعلموا ماهان ما نزل بأصحابه فعلم أنه هالك
وأن العرب عليه ظافرون فبعث إلى قورين وقال له ما
ترى أن أصنع وقد تظاهرت العرب علينا وإن حملوا
علينا حملة واحدة لم يبق منا أحد فهل لك أن تسألهم
أن يؤخروا القتال إلى غد حتى نعمل حيلة في خلاص أنفسنا
فقال له قورين افعل ما تريد ❁ فدعا ماهان برجل من لخم
وبعثه إلى العرب يقول إن الحرب سجال والدنيا دول
وقد مكنتم بنا فلا تبغون فالباغي له مصرع وأخروا
الحرب بيننا يومنا هذا فإذا كان غداة غد كان
الفصل بيننا ❁ قال الواقدي فأقبل اللخمي إلى أبي
عبيدة وبلغ الرسالة فهم أن يجيبه إلى ذلك فمنعه
من ذلك خالد بن الوليد وقال لا تفعل أيها الأمير
فعند ذلك قال أبو عبيدة للخمي ارجع إلى صاحبك

ماهان وقل له ما نؤخر عنه ذلك وإنا على عجل من أمرنا فرجع الرسول
إلى ماهان وأعلمه بجواب أبي عبيدة فعظم ذلك عليه وكبر لديه
وكفر ونخر وقال وحق الصليب لا يبرز إليهم إلا أنا بنفسي
ثم صاح بالروم وأصحاب سرير الملك ومن كان يتكل عليهم
في الشدائد وأمرهم أن يأخذوا أهبتهم للحرب والقتال
فاستعدوا وخرج ماهان في مقدمة الجيش والصليب أمامه
وإذا المسلمون قد أخذوا مصافهم للقتال وذلك أن أبا عبيدة
صلى بالمسلمين صلاة الفجر وأمرهم بالسرعة للقتال فأخذوا
مواضعهم للحرب وقد أيقنوا أنهم منصورون ❁ فعند ذلك
صف أبو عبيدة أصحاب الرايات ووقف هو وخالد في الجيش
المعروف بجيش الزحف وطلعت الشمس فخرج بطريق من ملوك
الروم اسمه جرجير ودعا إلى البراز وقال لا يبرز إلي إلا أمير
الجيش فسمعه أبو عبيدة فخرج وسلم الراية إلى خالد وقال له
أنت لها يا أبا سليمان وإن عدت فهي لي وإن قتلت فأمسك
إمارتك حتى يرى عمر رأيه في ذلك فقال خالد أنا لقتاله
دونك فقال أبو عبيدة يطلبني أو أقعد فليس أرجع ولا بد لي
من الخروج إليه وأنت شريكي في الأجر ثم خرج أبو عبيدة

وما أحد من المسلمين إلا وهو كاره خروجه فلما قرب أبو عبيدة
من جرجير وعاينه قال له جرجير أنت أمير الجيش قال نعم وقد
أجبت إلى ما دعوتني إليه فدونك وعرصة الميدان فما بعثني
لمبارزتك إلا أني أقتلك وأقتل ماهان بعدك فقال جرجير
إن أمة الصليب تغلب ثم حملا على بعضهما بعضا وطال بينهما
القتال وبقي خالد ينظر إلى أبي عبيدة ويدعو له بالنصر على
عدوه وكذلك المسلمون ❁ فانطرد جرجير أمام أبي عبيدة
وأخذ في أعراض الجيش وطلب في انطراده ميمنة المشركين
وتبعه أبو عبيدة وهو مع ذلك واثق بالنصر والسلامة من الله
فعندما عطف جرجير [illegible] كالبرق والتقيا بضربتين كان
السابق بالضربة أبو عبيدة رضي الله عنه فوقعت الضربة على
عاتق جرجير فخرج السيف من الجانب الآخر فوقف [illegible] أبو
عبيدة متعجب من خلقته ولم يأخذ من سلبه شيئا [illegible]
[illegible] أيها الأمير ارجع إلى مكانك والزم رايتك فرجع
وأخذ الراية فلما نظر ماهان إلى جرجير وقد قتل [illegible] ذلك
عليه لأنه كان ركنا من أركانهم ❁ وتيقن بالهزيمة ثم قال
ماهان لم أر لي بعد ذلك عذرا عند الملك هرقل إلا أني أبرز

إلى الحرب فإن قتلت استرحت من العار وإن سلمت كان لي عذر
عند الملك هرقل أحسن مما أولى الدبر فعند ذلك أعلم ماهان
أبطاله بأنه يريد المبارزة بنفسه ثم إن ماهان أخذ
عدته ولبس لامة حربه وخرج كأنه ذهب يلمع ثم جمع
إليه البطارقة والقسيسين وقال لهم إن الملك هرقل كان
أبصر بها ولا العرب وأراد أن يصالح القوم فخالفتموه وها أنا
أبرز إليهم بنفسي فتقدم إليه بطريق من بطارقته وكان
يقرب من جرجير في النسب فلما علم بقتل جرجير عظم عليه وقال وحق الإنجيل
لا يبرز إلى المسلمين إلا أنا وآخذ الثار فإما أن ألحق به أو أقتل
قاتله فعند ذلك خرج البطريق وكان اسمه جرجسا وكان
من أبطال الروم فبرز جرجس بعد أن دعوا له الرهبان
وبخروه ببخور كنائسهم وأقبل إليه راهب عمورية
وأعطاه صليبا كان في عنقه وقال له اعلم أن هذا الصليب
من أيام المسيح تتوارثه الرهبان فخذه إليك فهو ينصرك
فأخذه جرجس فتبارك به فخرج ونادى البراز بلسان فصيح عربي
حتى ظن المسلمون أنه من العرب المتنصرة فخرج إليه ضرار
ابن الأزور ثم رجع ضرار موليا فظن المسلمون أنه جزع

ثم قالوا والله ما عرفنا هذا من ضرار قط ولا هو ممن يهرب لو أن ضرار
لا يكلم أحدا إلى أن أتى إلى خيمته ونزع ثيابه وعمد
وبقي في سراويله ولبس [illegible] قوسه وتقلد بسيفه وحجفته ثم
عاد إلى الحرب [illegible] فنادى البطريق فوجد مالكا النخعي قد
سبقه وكان لما [illegible] من الخطيطة إذا ركب تحتجب رجلاه على
الأرض فنظر ضرار إليه ومالك النخعي يقول ابرز يا عابد
الصليب فقال له البطل النجيب لينصرن محمد الحبيب
فلم يجبه العلج على كلامه لما داخله من الجزع فجال مالك عليه
وهم أن يطعنه فلم يتجلد للرمح لحصانة مما على عدو الله من
الحديد فتطبق جواده [illegible] وجذب مالك الرمح
فانقصف وسقط الجواد بالبطريق إلى الأرض ولم يقدر
العلج أن يتحول لما هو مزرد في السلاح فنظر المسلمون إلى
ضرار بن الأزور وقد أسرع إليه لقتل البطريق حتى وصل إلى العلج
وضربه بسيفه على رأسه فقسمه نصفين وأخذ سلبه وأقبل إليه
مالك النخعي وقال له ما هذا يا ضرار تشاركني في صيدي
أنا ما شاركتك وإنما لنا صاحبه الجميع لي فقال له مالك
أنا قتلت جواده قال ضرار [illegible]

فتبسم لها ما لك وقال نحن لك بارك الله لك فيه ۞ قال ضرار إنما
أنا فارح بجوادك لا [illegible] إليك والله ما يأخذ ضرار منه
شيئا أو مولاك وأنت أحق به مني ۞ قال سعيد بن عامر فلقد رأيتهم
وكل منهم يؤثر به وهو [illegible] ما للك فالبس حتى أوصله إلى رحاله
[illegible] رضي الله عنهم فقال أبو عبيدة بارك الله فيكم والله قوم وهبوا
أنفسهم لله وما يريدون الدنيا قال الواقدي ولما
قتل البطريق انقص جناح ماهان [illegible] لقومه وضمهم
إليه وقال اسمعوا يا [illegible] الملك [illegible] إني ما تركت
[illegible] هذا اللعين [illegible] عن [illegible] وقاتلت عن
نفسه ولما [illegible] الأكل [illegible] أرجع بعد
إلى الملك حتى أبرز إلى الحرب بنفسي فإن قتلته استرحت
من العار وتوبيخ الملك [illegible] وإن نصرني الله على العرب [illegible]
علم الملك أني لم أقصر ۞ قالوا له أيها الملك لا تخرج إلى
الحرب حتى نخرج نحن قبلك فإن قتلنا اصنع بعدنا ما أردت
فحلف ماهان بالكتب الأربع لا يبرز اليوم إلى القتال
إلا أنا ۞ فلما حلف أمسكوا عن مراجعته ثم دعا بابن [illegible] فدفع
إليه [illegible] وقال [illegible] وقدم لماهان [illegible]

فأفرغها

فأفرغها على نفسه قال الواقدي ولقد بلغنا أن عدة ماهان
التي خرج بها إلى الحرب قومت بستين ألفا إلا أنها كانت
مرصعة بالدر واليواقيت ولما عزم على الخروج إلى القتال تقدم
إليه راهب من الرهبان وقال له أيها الملك البراز البراز لا
أريد لك اليوم البراز ۞ قال له ولم ذلك قال له لأني رأيت
البارحة لك رؤيا فارجع ودع عنك الخروج ودع غيرك يخرج
قال له ماهان لست أفعل والبراز أحب إلي من العار فعند
ذلك بخروه الأقسة ورشوا عليه من ماء المعمودية ۞
ودعوا له بالنصر وخرج ماهان اللعين إلى القتال كأنه
جبل من ذهب وأقبل حتى وقف بين الصفين ودعا إلى البراز
وخوف بنفسه وكان أول من عرفه خالد بن الوليد وقال
هذا ماهان صاحب القوم ۞ فعند ذلك برز لماهان رجل من
المسلمين من دوس وقال والله أنا مشتاق إلى الجنة فحمل
عليه ماهان وبيده عمود من ذهب فخفق به الدوسي خفقة
فقتله وعجل الله بروحه إلى الجنة ۞ قال أبو هريرة
رضي الله عنه فرأيت الغلام وهو يشير بإصبعه نحو السماء
ولم يطو له ما لحقه فعلمت أن ذلك فرحة لما عاين الحور

اللعين وجال ماهان عليه وقوي قلبه بقتله ودعا إلى البراز
فسارعت المسلمون كل يقول اللهم اجعل قتله على يدي
وكان أول من برز من المسلمين مالك النخعي وقال أيها
العلج اللعين لا تعجب بمن قتلته وإنما صاحبنا كان مشتاقا
إلى الجنة وإلى لقاء ربه وما منا إلا من هو مشتاق إلى
الجنة ❁ فإن أردت مجاورتنا في جنات النعيم فأطلق
لسانك بكلمة الشهادة أو أداء الجزية وإلا فأنت هالك
لا محالة قال له ماهان أنت صاحبي خالد قال له لا أنا مالك
النخعي صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ❁ فعند ذلك حمل
ماهان اللعين على مالك النخعي وكان عدو الله من أهل الشجاعة
واعتمد على عموده وضرب مالكا على رأسه فغاصت البيضة
في جبهته فمن ذلك اليوم سمي مالك الأشتر لما اشترت عيناه
وهم ماهان أن يقع من عظم الضربة من على جواده وحمل
مالك الأشتر والدم فاير على جبهته وضرب ماهان
ضربة جرحه جرحا موهنا فلما حس عدو الله بالضربة ولى على
وجهه هاربا ودخل عسكره قال الواقدي
ولما ولى ماهان هاربا بين يدي مالك الأشتر صاح خالد

ابن الوليد بالمسلمين يا أهل الشدة والبأس احملوا على أعداء الله
ما داموا في دهشتهم ❁ ثم حمل خالد بجيش الزحف وحمل
كل أمير بمن معه وتبعتهم جماعة المسلمين بالتهليل والتكبير
فصبر لهم الروم بعض الصبر إلى أن غابت الشمس وأظلم
الأفق انكشفت الروم منهزمين وأقبل المسلمون يقتلون
ويأسرون فقتلوا منهم مقتلة عظيمة زها عن مائة ألف
وأسروا منهم أربعين ألفا ❁ وغرق منهم في الياقوصة
ما لم يعلمه إلا الله عز وجل وتفرقوا في الأودية والجبال
والمسلمون وراهم يأتون بهم أسارى من الجبال ولم تزل
المسلمون يقتلون ويأسرون حتى مضى من الليل أكثره فبعث
أبو عبيدة إلى المسلمين أن اتركوهم إلى الصباح ❁ فجعل
المسلمون يتراجعون وقد امتلأت أيديهم من الغنايم
والأموال والسرادقات وأواني الذهب والفضة
فعند ذلك وكل أبو عبيدة قال الواقدي
رجالا تجمع الغنايم وأنت المسلمون مستبشرين بنصر الله
حتى إذا أصبح الصباح فإذا ليس للروم خبر قال الواقدي
حدثني عمار بن أسلم قال حدثني نوفل بن عدي عن جابر

ابن نصر عن حامد بن حميد قال أراد أبو عبيدة أن يحصي القتلى
من المشركين فلم يحصهم إلا بالقضيب وذلك أن أبا عبيدة
أمر بقطع قضب من الوادي وجعل كل قضيب على قتيل
وعد القضب فإذا قد قتل من الأعداء مائة ألف وخمسة
آلاف والأسارى أربعون ألفا وقتل من المسلمين أربعة
آلاف ووجد أبو عبيدة رؤوسا باليرموك فلم يدر من أين هم
من المتنصرة أو من المسلمين فأمر بها فغسلت ثم صلى عليها
وعلى القتلى وأمر بدفنهم وافترقت خيل المسلمين في طلب
الروم في الجبال والأودية فإذا هم براع فقالوا له مر بك
أحد من عسكر الروم فقال نعم مر بي بطريق معه عسكر
زهاء عن أربعين ألف فارس **قال الواقدي** وكان
ذلك ماهان لعنه الله فتبعهم خالد رضي الله عنه وجعل
يقفوا أثرهم ومعه عسكر الزحف فأدركهم على دمشق
فلما أشرف عليهم خالد بمن معه كبر وكبر المسلمون معه
وحملوا على الروم ووضعوا السيف فيهم فقتل منهم مقتلة
عظيمة وكان ماهان قد ترجل عن جواده فحمل عليه
رجل من المسلمين فضربه ضربة قتله وعجل الله بروحه

إلى النار وكان القاتل النعمان بن جبلة الأزدي أو عاصم
بن خوال اليربوعي واختلفوا في قاتل ماهان والله تعالى أعلم
قال الواقدي فعند ذلك خرج أهل دمشق إلى خالد
بن الوليد وقالوا أيها الأمير نحن على العهد الذي بيننا وبينكم
قال لهم خالد أنتم على عهدكم ثم مضى خالد خلف
الروم يقتلهم حيث وجدهم إلى أن انتهى إلى ثنية العقاب
وأقام بها يوما ثم عاد بها على طريقه إلى حمص فنزل بها وبلغ
ذلك إلى أبي عبيدة فأمر الناس بالركوب وسار إلى أن لحقه
فلما اجتمعوا عادوا إلى دمشق فجمع أبو عبيدة الأموال
والغنائم وأخرج منها الخمس وكتب إلى عمر بن الخطاب
كتابا يقول فيه بسم الله الرحمن الرحيم وصلواته على محمد المصطفى
نبيه المختار من أبي عبيدة عامر بن الجراح إلى أمير المؤمنين
عمر بن الخطاب سلام عليك فإني أحمد الله الذي لا إله
إلا هو وأصلي على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وأشكر
الله عز وجل منا على ما أولانا من نعمه وخصنا بمزيد كرمه
ببركة نبي الرحمة وشفيع الأمة محمد صلى الله عليه وسلم
وأعلمك يا أمير المؤمنين أنا نزلنا باليرموك ونزل ماهان

بالغوث منا ولم تر المسلمون أكثر من تلك الجيوش ونصرنا
الله عز وجل عليهم وقتل منهم مائة ألف وخمسة آلاف
وقتل من المسلمين أربعة آلاف ختم الله لهم بالشهادة وإني
وجدت رؤسا باليرموك ولم نعلم أصحابها فصلينا عليها ودفناها
وقتل ما هان على دمشق قتله عاصم بن خوالد اليربوعي وقد
كان قبل الوقعة نصب على الروم رجل يقال له أبو الجعيد
فغرق منهم في الياقوصة ما لا يحصى عددهم إلا الله تعالى
وأما من قتل في الأودية والجبال من المنهزمين وغيرهم
فوجدت عدتهم تسعين ألفا وقد ملكنا الله أموالهم وأحوالهم
وحصونهم وبلادهم وقد جمعت الغنائم وخمستها وأنا
منتظر أمرك في الغنائم والسلام عليك ورحمة الله وبركاته
وعلى جميع المسلمين ❁ وطوى الكتاب وختمه بخاتمه وادعا
بحذيفة بن اليمان رضي الله عنه فدفع إليه الكتاب
وضم إليه عشرة من المهاجرين والأنصار وقال يا حذيفة
بشر بكتاب الفتح والبشارة إلى أمير المؤمنين أجرك الله فأخذ
حذيفة الكتاب وسار من وقته وساعته والعشرة الصحابة
معه يجدون السير ليلا ونهارا حتى قربوا من مدينة

رسول الله صلى الله عليه وسلم **قال الواقدي** ❁ حدثنا
عبد الله بن عوف المالكي عن أبيه قال لما هزم الله الروم
يوم اليرموك وكان من أمرهم ما قدره الله عز وجل رأى
عمر بن الخطاب في منامه رسول الله صلى الله عليه وسلم في
الروضة ومعه أبو بكر الصديق وكان عمر يسلم عليه
وهو يقول له يا رسول الله قلبي مشتغل بالمسلمين وما أدري
ما فعل الله بهم وقد أخبرت أن الروم ثمان مائة ألف
غير أتباعهم وغير العرب المتنصرة وهم خلق كثير ❁ فقال
له رسول الله صلى الله عليه وسلم يا عمر أبشر فقد هزمهم الله
وفتح الله على المسلمين وقد قتل منهم كذا وكذا **ثم قرأ**
رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك الدار الآخرة نجعلها
للذين لا يريدون علوا في الأرض ولا فسادا والعاقبة للمتقين
فلما كان بالغداة صلى عمر بالمسلمين صلاة الفجر وأعلمهم
بما رآه في منامه ففرح المسلمون فرحا شديدا واستبشروا
وعلموا أن الشيطان لا يتمثل بصورة النبي صلى الله عليه وسلم
قال الواقدي ❁ ولما ورد حذيفة بن اليمان والعشرة
الذين معه إلى المدينة أقبل إلى عمر بن الخطاب وناوله الكتاب

فأخذ عمر الكتاب وقرأه على المسلمين وكان الذي في الكتاب هو الذي
أخبره به النبي صلى الله عليه وسلم فخر عمر ساجدا لله عز وجل
وارتفعت أصوات المسلمين بالتهليل والتكبير والصلاة
على البشير النذير ❁ ثم قال عمر علي بدواة وقرطاس
وكتب إلى أبي عبيدة بن الجراح كتابا يقول فيه
بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله عمر بن الخطاب أمير المؤمنين
إلى أبي عبيدة بن الجراح سلام عليك فإني أحمد الله الذي
لا إله إلا هو وأصلي على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وقد
فرحت بما فتح الله على المسلمين من نصره وأنجز لهم ما وعدهم
فإذا وصل إليك كتابي هذا فاقسم الغنيمة على المسلمين ❁
وفضل أهل السبق منهم وأعط كل ذي حق حقه واحفظ
المسلمين كلهم والشكر لمن صبر منهم وأقم مكانك حتى
يأتيك كتابي والسلام عليك ورحمة الله وبركاته وعلى
من معك من المسلمين ❁ وطوى الكتاب وختمه وأعطاه ل
لحذيفة بن اليمان وسار حتى ورد على أبي عبيدة بن الجراح
فوجده على دمشق فسلم إليه كتاب أمير المؤمنين عمر
ابن الخطاب بعد أن سلم هو ومن معه على أبي عبيدة وعلى

المسلمين رضي الله عنهم أجمعين ❁ فلما قرأ أبو عبيدة الكتاب
أمر بالغنائم فمثلت بين يديه فجعل يقسمها على المسلمين فأصاب
الفارس أربعة وعشرين ألف دينار والراجل ثمانية آلاف
والفرس العربية سهمين والفرس الهجين سهما واحدا وألحق
البراذين بالعراب ❁ قال رجل من أصحاب الهجن ألحقنا
بالعراب قال أبو عبيدة إني قسمت عليكم كما قسم رسول الله
صلى الله عليه وسلم بين أصحابه الغنيمة فلم يقبلوا قوله
وكتب إلى أمير المؤمنين يعلمه باختلاف الناس في الخيل
والهجن والعراب ❁ فلما وصل الكتاب إلى عمر وقرأه كتب
جوابه وأرسله إلى أبي عبيدة أما بعد فإنك عملت
بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم تتعد حكمه فأعطي
الفرس العربي سهمين والهجين سهما واحدا واعلم أن رسول الله
صلى الله عليه وسلم هجن الهجين وعرب العربي يوم حنين
فلما ورد الجواب على أبي عبيدة وقرأه على المسلمين قال
عند ذلك والله ما أراد أبو عبيدة أن يحتقر أحدا منكم
وإنما اتبعت سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
الواقدي ❁ فلما قسم أبو عبيدة الغنائم على المسلمين

قال له خالد بن الوليد إن رجلا من المسلمين يتشفع بي إليك أن تلحق
فرسه بفرس عربي فقال أبو عبيدة والله إن سف التراب أهون
علي من ذلك ❁ وروى عامر بن عبد الله بن الزبير قال شهد
جدي الزبير اليرموك ومعه فرسان يتعاقب عليهما يركب هذا
يوما وهذا يوما فلما كان يوم الغنيمة أعطاه أبو عبيدة ثلاثة
أسهم لفرسيه سهمين وله سهم ❁ فقال له الزبير ما تصنع بي كما
صنع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين كان معي فرسان
فأسهمني رسول الله خمسة أسهم لفرسي أربعة ولي سهم واحد
فقال له المقداد بن عمرو وقد كنت أنا وأنت يوم بدر
ومعنا فرسان أعطانا رسول الله صلى الله عليه وسلم خمسة
أسهم لكل فرس سهمين ولنا سهما فقال أبو عبيدة إنكما
لصادقان ❁ قال جابر بن عبد الله فشهدت عند أبي عبيدة
أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أعطا الزبير خمسة أسهم
فلما فعل أبو عبيدة ذلك أتت رجال من العرب لكل واحد
منهم خمسة أفراس وأربعة أفراس فقالوا ألحقنا بالزبير
فاستأذن أبو عبيدة في ذلك عمر بن الخطاب فقال
صدق الزبير إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أعطا الزبير يوم

حنين خمسة أسهم فلا يعطى غيره مثله **قال الواقدي** حدثني
لؤي بن عبد ربه عن سالم مولى حذيفة عن القاسط بن سلمة عن عدي
ابن عاصم عن من حدثه عن فتوح الشام قال لما هزم الله الروم في
وقعة اليرموك على يدي المسلمين وبلغ الخبر إلى الملك هرقل
بهزيمة جيشه وقتل ماهان وولد حمران قال هرقل قد
علمت أن الأمر يجري على مثل هذا ❁ ثم أقام الملك هرقل ينتظر
ما يكون من أمر المسلمين **قال الواقدي** هذا ما كان
من أمر الملك وأما ما كان من أمر المسلمين فإنهم أقاموا على
دمشق شهرا

ذكر فتوح بيت المقدس ❁

قال الواقدي ❁ فعند ذلك جمع أبو عبيدة أمراء المسلمين
إليه وقال أيها الناس أشير عليكم برأيي وأستخبركم إلى أين
أتوجه فإني قد اتفق رأيي على المسير إما إلى قيسارية أو إلى بيت
المقدس وأنا منتظر أمركم ❁ فقالوا له إما أن تسير إلى قيسارية
أو إلى البيت المقدس فقالوا له أيها الأمير ما تسير من موضع إلى
موضع إلا ونحن بين يديك فقال له معاذ بن جبل أيها الأمير
اكتب إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب فأين وجهك توجه
فقال له أبو عبيدة أصبت الرأي يا معاذ وفقنا الله وإياك

ثم كتب أبو عبيدة إلى عمر بن الخطاب أنني قد عزمت أن أسير إلى
قيسارية أو إلى البيت المقدس وأنا منتظر أمرك والسلام وأنفذ
الكتاب مع عرفجة بن ناصح النخعي وسار حتى بلغ المدينة وسلم
الكتاب إلى أمير المؤمنين فقرأه عمر على المسلمين واستشارهم في
ذلك ❁ فقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه أأمر أبا عبيدة أن
ينزل بجيوش المسلمين على البيت المقدس ويحدقون به ويقاتلون
أهله فإنه خير رأي فإذا فتح الله البيت المقدس يتوجه إلى
قيسارية فإنها تفتح بعدها إن شاء الله تعالى هكذا أخبرنا
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عمر صدق المصطفى وصدقت
أنت يا أبا الحسن ❁ ثم ادعا عمر بدواة وقرطاس فكتب
يقول بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله عمر بن الخطاب أمير
المؤمنين إلى عامله بالشام أبي عبيدة بن الجراح أما بعد فإني
أحمد الله الذي لا إله إلا هو وأصلي على نبيه محمد صلى الله
عليه وسلم وقد وصل إلي كتابك تستشيرني أين تتوجه ❁
وقد أشار ابن عم النبي صلى الله عليه وسلم بالمسير إلى البيت
المقدس فإن الله عز وجل يفتحها على يديك والسلام عليك وعلى
من معك من المسلمين ورحمة الله وبركاته ثم طوى الكتاب

وختمه وأعطاه لعرفجة فأخذه وسار إلى أن وصل إلى أبي عبيدة
فوجده على باب الجابية بدمشق فدفع إليه الكتاب فقرأه على
المسلمين ففرحوا بالمسير إلى البيت المقدس ❁ فعند ذلك
ادعا أبو عبيدة بيزيد بن أبي سفيان وعقد له راية حمرا ودفعها
له وضم إليه خمسة آلاف فارس من المسلمين وأمره أن يسير
إلى البيت المقدس وقال له يا ابن أبي سفيان ما علمتك إلا
ناصحا فإذا وصلت إلى بلد إيليا فارفعوا أصواتكم بالتهليل
والتكبير ونسأل الله عز وجل بجاه محمد ومن سكنها من
النبيين والصالحين أن يسهل فتحها على يدي المسلمين
فأخذ يزيد وسار بمن معه إلى البيت المقدس ثم ادعا
أبو عبيدة بشرحبيل بن حسنة كاتب رسول الله صلى الله عليه
وسلم وعقد له راية سودا مكتوبا عليها ببياض لا إله
إلا الله محمد رسول الله وسلمها إليه وضم إليه خمسة آلاف
فارس وقال له سر بمن معك حتى تقدم البيت المقدس ولا
تختلط بأصحاب يزيد ❁ ثم عقد راية رابعة وسلمها إلى المسيب
بن نجبة الفزاري وضم إليه خمسة آلاف فارس وقال له
الحق بإخوانك المسلمين ولا تختلط بأصحاب يزيد قال ثم

عقد راية خامسة وسلمها إلى قيس بن هبيرة وضم إليه خمسة آلاف
فارس من قومه وعقد له راية سادسة وسلمها إلى عروة بن مهلهل
وضم إليه خمسة آلاف فارس وأمره أن يلحق بأصحابه **قال
الواقدي** وكان جملة من سرحه أبو عبيدة من جيوش
المسلمين إلى البيت المقدس ثلاثين ألف فارس وست أمراء
وكان أول من نزل على البيت المقدس يزيد بن أبي سفيان
فلما أشرف كبر وكبر أصحابه فسمع أهل بيت المقدس ضجيجهم
فزعزعت قلوبهم وصعدوا على سور المدينة فلما نظروا إلى
جيش يزيد بن أبي سفيان استحقروهم وظنوا أنهم جميع العسكر
فنزل يزيد بن أبي سفيان بمن معه مما يلي باب أريحا
وأقبل في اليوم الثاني شرحبيل بن حسنة وفي اليوم
الثالث هشام بن عتبة بن أبي وقاص فنزل على الباب
الغربي وأقبل في اليوم الرابع المسيب بن نجبة الفزاري
فنزل مما يلي الشمال وأقبل من بعده قيس بن هبيرة المرادي
فنزل في قبلتها وأقبل عروة بن مهلهل بن يزيد الخيل
فنزل مما يلي الرملة بجانب محراب داود عليه السلام قال
عبد الله بن ربيعة الغطفاني ما نزل أحد من المسلمين على

بيت

بيت المقدس إلا ونزل أو صلى بإزائها وكبر ودعا بالنصر والظفر
بالأعداء وأقام أبو عبيدة بن الجراح وخالد بن الوليد ومن معهم
من المسلمين والذراري والأموال والغنائم وما أفاء الله على
المسلمين بدمشق ولم يبرح من مكانه ثم أقام المسلمون على البيت
المقدس ثلاثة أيام لم يبادروهم أهله بحرب إلا أنهم
قد حصنوا سورهم بالمناجيق والعرادات والسيوف والدرق
والزينة الفاخرة قال المسيب بن نجبة الفزاري
لما نزلنا بالشام ما رأينا زينة ولا عدة أحسن من زينة
البيت المقدس فنزلنا بإزائهم ثلاثة أيام ولم يكلمنا
أحد منهم فلما كان في اليوم الرابع قال رجل من أهل
البادية لشرحبيل بن حسنة هؤلاء صم لا يسمعون أم خرس
لا يتكلمون ازحفوا بنا إليهم واهجموا بنا عليهم فلما
كان في اليوم الرابع قال رجل من أهل البادية
لشرحبيل بن حسنة إن هؤلاء لقوم أخذوا حذرهم فعند
ذلك صلى المسلمون صلاة الصبح كان أول من ركب من
الأمراء إلى حرب البيت المقدس يزيد بن أبي سفيان وأشهر
من سلاحه وجعل يدنو من سورهم وقد أخذ معه ترجمانا

يبلغه ما يقولون ❁ فلما قرب يزيد من سور المدينة نادى برفيع
من صوته يا أهل بيت المقدس إن أمير العرب يقول لكم
ما تقولون في ديننا وفي الإجابة إلى دعوة الحق وكلمة
الصدق وهي لا إله إلا الله محمد رسول الله إن قلتم ذلك
يغفر لكم ربكم ما سلف من ذنوبكم وتحقنون دماءكم
وإن أبيتم ذلك فصالحوا على بلدكم كما صالح غيركم
ممن هو أعظم منكم شدة وعدة وإن أبيتم هاتين الحالتين
حل بكم الدمار ❁ وكان مصيركم إلى النار فتقدم إليه قس من
قسوس البيت المقدس وقال لترجمان المسلمين أنا المخاطب
عن أهل البلد فما الذي تريدون قال الترجمان إن أمير
القبيلة يقول كذا وكذا ويدعوكم إلى الدخول
في دين الإسلام فإن أبيتم أن تصالحوا على بلدكم كما صالح
غيركم ممن هو منكم أشد قوة وأكثر عدة وإلا أعطوا
الجزية عن رؤوسكم فإن لم تفعلوا ذلك فالقتال بيننا وبينكم
فبلغ القس لأهل بيت المقدس ما قالوه المسلمون فضجوا بكلمة
الكفر وقالوا إننا لا نرجع عن دين العذراء البتول
وإن القتل أهون علينا من ذلك ❁ فبلغ الترجمان ليزيد

الذي

الذي قالوه أهل بيت المقدس فمشى يزيد إلى الأمراء وأخبرهم
بذلك ❁ ثم قال لهم ما انتظاركم قالوا إن الأمير أبا عبيدة
ما أمرنا بقتال بل أمرنا بالنزول عليهم ولكن نكتب إلى الأمير
كتابا فإن أمرنا بالزحف مع القتال فعلنا ذلك فكتب
يزيد بن أبي سفيان يعلم أبا عبيدة بما كان من جواب أهل
بيت المقدس فكتب أبو عبيدة يأمرهم بالزحف والقتال
وأنه في إثر الكتاب قادم عليهم ❁ ثم نفذ الكتاب مع ميسرة
بن ناجح فلما قرأ المسلمون كتاب أبي عبيدة فرحوا واستبشروا
وباتوا طول ليلتهم ينتظرون الصباح **قال الواقدي**
ثم إن المسلمين تلك الليلة كأن قد قدم عليهم بشدة
فرحهم بقتال أهل بيت المقدس وكل أمير يريد أن
يكون فتحها على يديه ❁ فلما أضاء الفجر أذن المؤذنون
وصلى المسلمون صلاة الفجر فقرأ يزيد في صلاته يا قوم ادخلوا
الأرض المقدسة التي كتب الله لكم الآية ❁ ويقال
إن جميع الأمراء الستة قرأوا هذه الآية كأنهم
كانوا على ميعاد ❁ فلما فرغوا من الصلاة نادوا النفير النفير
يا خيل الله قال وأول من برز إلى القتال بنو حمير ورجال

اليمن وبرز المسلمون إلى القتال كأنهم أسود ضارية فلما
نظر إليهم أهل بيت المقدس وقد أشرفوا عليهم أوتروا
قسيهم ورشقوا المسلمين بسهامهم وكانت سهامهم كالجراد
المنتشر ❁ فجعل المسلمون يلتقطونها بالدرق والجحف
ولم يزل الحرب بينهم من الصبح إلى الغروب وهم يقاتلون
قتالا شديدا والروم لم يظهروا للمسلمين فلما غربت
المسلمون نحو غرب البلد ثم غربت الشمس رجع المسلمون إلى
عن خيولهم وصلوا ما افترض الله عليهم وأخذوا في إصلاح
شأنهم فلما فرغوا من ذلك أوقدوا النيران وأكثروا
منها فلما كان من الغد ركب المسلمون للقتال وذكروا
الله كثيرا وأثنوا عليه وصلوا على رسول الله صلى الله
عليه وسلم وتقدم الرماة يرمون بالنبل ويذكرون الله
ويضجون بالتوحيد ❁ قال الواقدي ولم يزل
المسلمون في القتال عشرة أيام فلما كان في اليوم
الحادي عشر أشرفت على المسلمين راية لأبي عبيدة يحملها
غلام له سالم ومن ورائها فرسان المسلمين وأبطال الموحدين
وقد أحدقوا بأبي عبيدة رضي الله عنه وخالد عن يمينه

وعبد الرحمن بن أبي بكر الصديق عن يساره وجاءت النساء والأولاد
والأموال فضج المسلمون ضجة عظيمة بقول لا إله إلا الله محمد رسول الله
أجابتهم سائر القبائل ووقع الرعب في قلوب أهل بيت
المقدس وانقلب كبارهم وبطارقتهم إلى البيعة المعظمة
عندهم ❁ فلما وقفوا بين يدي بطريقهم سلموا عليه
وصفوا بين يديه فقال لهم ما هذه الضجة التي نسمعها قالوا له
يا أبانا هذا أمير القوم قد وصل فيمن بقي معه من المسلمين
وهذه الضجة لقدومه فلما سمع منهم ذلك انخطف لونه
وقال هي هي بعد أن وصل أميرهم دنا هلاككم فقالوا
له وكيف ذلك ❁ قال لأني وجدت في الكتب الذي
ورثتهم من المتقدمين إن الذي يفتح في الطول والعرض هو
الرجل الأحور صاحب نبيهم فإن كان قد قدم عليكم
فلا سبيل إلى قتاله ولا طاقة لكم بقتاله ولا بد لي أن أشرف
عليه وأنظر صفته فإن كان هو علمت في مصالحته
وكيف ما أراد فعلت له وإن كان غيره فلا أسلم له أبدا
لأن هذا البلد لا تفتح له إلا كما ذكرت لكم ❁ ثم
وثب البترك قائما والقسيسون والرهبان والشمامسة حوله

وقد رفعوا الصلبان على رأسه وفتحوا الإنجيل بين يديه ودارت
البطارقة من حوله وقد ارتفعوا على السور فنظروا إلى المسلمين
يسلمون على أبي عبيدة ويعظمونه ويدورون حوله ❀ ثم
يرجعون إلى القتال فناداهم رجل من الروم ممن كان يمشي
بين يدي البترك وقال يا معاشر المسلمين كفوا عن القتال
حتى نستخبركم ونسأل لكم فأمسك المسلمون أيديهم
عن القتال فنادى الرجل يا معاشر المسلمين إن الذي يفتح
بلدنا هذه وجميع البلاد صفته عندنا فإن كانت
الصفة في هذا الرجل الذي قدم عليكم فما نقاتلكم
ونسلم لكم المدينة وإن لم يكن هو فما لكم عندنا إلا
القتال **قال الواقدي** ❀ فلما سمع المسلمون
كلام ترجمان الروم أقبلوا إلى أبي عبيدة وحدثوه بما
سمعوا منهم فأقبل أبو عبيدة يسعى إلى أن حاذاهم ❀ فلما
نظر الروم إليه وحققوه قال لهم البترك ليس هذا هو
الرجل فأبشروا وقاتلوا عن حريمكم ❀ فلما سمعوا
قوله أعلنوا بكلمة الكفر وأقبلوا يقاتلون وعاد البترك
ولم يخاطب أبا عبيدة وعاد أبو عبيدة إلى أصحابه فقال له

خالد بن الوليد ما الذي كان منك أيها الأمير قال إنه لم يكن
إلا أنني دنوت من القوم وجعل شيطان من شياطينهم ينظر إلي
ساعة ثم ولى عني وضجوا بعد ذلك بكلمة الكفر ولم يكلمني
بشيء أن يكون لهم في ذلك رأي ❀ ثم قال خالد انصب
عليهم الحرب والقتال فأمر أبو عبيدة وخالد بالقتال **قال
الواقدي** وكان نزول المسلمين على بيت المقدس
في أيام الشتاء والبرد فظن الروم أن المسلمين لا يقيمون
عندهم من شدة البرد فعند ذلك زحف المسلمون وبرزت
النبالة من أهل اليمن وهم أصحاب قسي السرخطة وكانت
الروم غير محترزين من النبال لقلة أكثرهم حتى رأوا
النبال تنكسهم على رؤوسهم ❀ قال عون بن مهلهل
فلله در عرب اليمن لقد رأيتهم يرمون بالنبل والروم
يتهافتون عن سورهم فلما نظر الروم إلى النبل وما تصنع
بهم احترزوا وزرفنوا سورهم بالجحف والجلود
واللبود فنظرت ضرار ابن الأزور وقد قصد إلى الباب
الأعظم وعليه بطريق كبير على رأسه صليب من
الجوهر وحوله الغلمان ❀ وبأيديهم الأعمدة والقسي

وهو يحرضهم على القتال ۞ قال عون فنظرت إلى ضرار بن الأزور
وهو يهرول وهو مختفي تحت جحفته إلى أن قرب من الباب الذى
عليه البطريق ثم أطلق نبلة إليه وكان البرج عاليا فسمع
لقد وقعت النبلة فيه فوقع العلج من على البرج وسمعت له عند
وقوعه صيحة عظيمة فعلمنا أنه قتل بالنبلة ۞ ولم يزل
أبو عبيدة مبارزا لأهل بيت المقدس أربعة أشهر وما
من يوم إلا يقاتلهم القتال الشديد والمسلمون صابرون
على الحرب والقتال فلما نظر أهل بيت المقدس إلى ما حل
بهم من شدة الحصار وما نزل بهم من المسلمين قصدوا
البترك وكان اسمه قمامة ۞ فلما وقفوا بين يديه
أومؤوا بالسجود إليه وقالوا يا سيدهم قد دام علينا حصار
هؤلاء العرب ورجونا أن يأتينا مدد من عند الملك
هرقل ولا شك أن الملك قد اشتغل بنفسه لأجل هزيمة ۞
جيشه وما من يوم يمر علينا إلا ويقتل منا خلق كثير ۞
إلا أنهم أشها منا إلى القتال ۞ ومن يوم نزلوا علينا
لم نخاطبهم بكلمة واحدة والآن قد عظم الأمر علينا
ونريد منك أن تشرف على القوم وتنظر ما الذى

يريدون منا فإن كان أمرا عظيما فتحنا الأبواب وخرجنا إليهم فإن قدرنا
على هزيمتهم وإلا فنقتل عن آخرنا فأجابهم البترك إلى ذلك وأشهر
لباسه وصعد إلى السور وحمل الصليب بين يديه واجتمعوا
القساقسة والرهبان والأناجيل مفتحة والبخور وأشرف البترك
على الموضع الذى فيه أبو عبيدة فعند ذلك نادى رجل من أهل بيت
المقدس يا معاشر العرب إن عمدة دين النصرانية قد خرج إليكم
يخاطبكم فليدن منا أميركم فأخبروا أبا عبيدة بذلك فقام أبو
عبيدة يمشي نحوهم ومعه جماعة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه
وسلم ومعه ترجمان فلما وقف بإزائهم قال ما الذى تريدون منا
هذا أمير جيش المسلمين قد أقبل إليكم قال البترك للترجمان
ما الذى يريدون منا لأن هذه البلد هي الأرض المقدسة ومن
قصدها بسوء يوشك أن الله يغضب عليه فأخبر الترجمان أبا عبيدة
بما قالوا ۞ فقال أبو عبيدة قل لهم نحن نعلم أنها بلد شريف
منها أسري بنبينا صلى الله عليه وسلم إلى السماء ودنا من ربه وأنها
معدن الأنبيا وقبورهم فيها ونحن أحق منكم بها ولا نزال
عليها حتى يملكنا الله إياها ۞ قال البترك فما الذى تريدون منا قال
أبو عبيدة أريد منكم ثلاث خصال إما أن تقولوا لا إله إلا الله

محمد رسول الله قال البترك هذه كلمة علينا عظيمة ونحن نقولها الا
ان نبيكم محمد لم نقر له بالرسالة قالوا له كذبت يا ملعون وانك
لم توحد الله قط ولقد اخبرنا الله في كتابه العزيز انكم تقولون
ان المسيح ابن الله لا اله الا الله سبحانه عما يقول الظالمون علوا كبيرا
قال البترك هذه خصلة لم نجبكم عليها ابدا فما الخصلة الثانية
قال تصالحونا عن بلدكم كما صالح غيركم حتى تعطوا الجزية عن
يد وانتم صاغرون كما اداها غيركم قال البترك هذه
اصعب علينا من الاولى وما كنا ندخل في الذل والصغار ابدا
قال له ابو عبيدة فما نبرح نقاتلكم حتى يظفرنا الله بكم ونستعبد
نساءكم واولادكم ونقتل منكم من خالف كلمة الحق واعتكف
على كلمة الكفر قال البترك انا لا نسلم لكم بلدنا ولو قتلنا
عن اخرنا وحق المسيح لو اقمتم عليها عشرين سنة ما سلمناها اليكم
والمدن التي اذعنوا لكم بالجزية انما غضب عليهم المسيح
ونحن في بلدنا من اذا دعا وسال المسيح شيئا اعطاه ❁ قال
له ابو عبيدة كذبت يا عدو الله ما المسيح ابن مريم الا رسول قد
خلت من قبله الرسل وامه صديقة كانا ياكلان الطعام ❁
خلقه الله من تراب ثم قال له كن فيكون ❁ وانا اذا نزلنا

بساحة قوم فساء صباح المنذرين قال البترك لم تفتحوا بلدنا ابدا وان
الذي يفتح بلدنا رجل صفته عندنا وليس الرجل معكم قال له ابو عبيدة
وما صفة الذي يفتح بلدكم ❁ قال البترك ان الذي يفتح بلدنا
رجل من اصحاب محمد اسمه عمر بن الخطاب ويعرف بالفاروق
وهو رجل شديد لا تاخذه في الله لومة لائم ولسنا نرى صفته فيكم
فلما سمع ابو عبيدة كلام البترك تبسم ضاحكا وقال فتحنا البلد
ورب الكعبة ❁ ثم اقبل عليهم وقال للبترك ان رايت الرجل تعرفه
قال نعم قال اعلم انه خليفة نبينا صلى الله عليه وسلم قال
البترك اذا كان الامر على ذلك فقد علمت صحة قولنا فاحقن
دماء الناس وارسل اعلم صاحبك فان اتا ورايناه وعرفنا صفته
فتحنا له الباب واعطيناه الجزية قال ابو عبيدة فاني ابعث اليه
ان شاء الله تعالى افتحبون القتال ان يكف عنكم قال البترك قد
صدقناكم في الكلام لحقن الدماء بيننا وبينكم ❁ ثم امر
ابو عبيدة ان يكفوا عنهم القتال وجمع المسلمين واعلمهم بذلك
رفع المسلمون اصواتهم بالتهليل والتكبير وقالوا ايها الامير
كتب الى امير المؤمنين كتابا نعلمه بذلك عسى ان يسير الينا
عندها كتب ابو عبيدة بن الجراح كتابا يقول فيه

بسم الله الرحمن الرحيم من أبي عبيدة عامر بن الجراح إلى أمير المؤمنين عمر
ابن الخطاب سلام عليك فإني أحمد الله الذي لا إله إلا هو وأصلي على
نبيه محمد صلى الله عليه وسلم واعلم يا أمير المؤمنين أننا نازلون
على إيليا ونحن كل يوم نقاتل أهلها ولقد لقيوا المسلمون مشقة
عظيمة من البرد والأمطار إلا أنهم صابرون على ذلك يرجون
رحمة الله فلما كان يوم كتبت إليك أشرف علينا بطريقهم
وأخبر بأن هذى البلد لا يفتحها إلا صاحب أمرنا وأنه يعرفه
بصفته وقد سألنا حقن الدماء وأنك تسير إلينا وتنجدنا بنفسك
يا أمير المؤمنين ❁ فلعل الله عز وجل أن يفتح هذه البلدة على
يدك والسلام عليك ورحمة الله وبركاته وعلى جميع
المسلمين ثم قال أبو عبيدة أيها الناس أيكم ينطلق بكتابي هذا إلى
أمير المؤمنين وأجره على الله فأسرع بالإجابة ميسرة بن مسروق
العبسي ❁ وقال أيها الأمير أنا أكون الرسول وأرجع مع أمير
المؤمنين إن شاء الله تعالى فأخذ ميسرة الكتاب واستوى على ناقته
ولم يزل يجد المسير حتى أتى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم
ندخله ليلا وقال لا دخلت على أحد حتى يصبح الصباح ❁ فلما
دخلت المدينة عقلت ناقتي ودخلت المسجد فصليت فيه ركعتين

وسلمت على قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى قبر أبي بكر الصديق ونمت
لم أستيقظ إلا بأذان عمر بن الخطاب ❁ فلما فرغ من أذانه دخل المسجد
وهو يقول الصلاة يرحمكم الله قال ميسرة بن مسروق فقمت توضأت
وصليت خلف عمر رضي الله عنه صلاة الصبح فلما انحرف من صلاته
قمت إليه وسلمت عليه ❁ فلما نظر إلي صافحني وعرفني وقال ميسرة
ورب الكعبة ثم قال ما وراءك قلت الخير والسلامة يا أمير المؤمنين
ثم ناولته كتاب أبي عبيدة فقبله وقرأه على المسلمين فاستبشروا
وقال أيها الناس ما ترون رحمكم الله فيما كتب إلينا
أمين الأمة أبو عبيدة فكان أول من تكلم عثمان بن عفان رضي الله
عنه وقال يا أمير المؤمنين إن الله عز وجل قد أذل الروم
وأخرجهم من الشام ونصر المسلمين عليهم وإن أصحابنا قد
حاصروا إيليا وضعف أمرهم عليهم وهم في كل يوم
يزدادون خزنا فإن أقمت ولم تسر إليهم رأوا أنك مستخف
بهم فلا يلبثون إلا يسيرا ❁ فلما سمع عمر ذلك من عثمان
ابن عفان جزاه خيرا وقال هل عند كم رأي غير هذا فقال
علي بن أبي طالب عندي رأي غير هذا وأنا أبديه لك ❁ قال
وما هو يا أبا الحسن ❁ قال إن القوم قد سألوك وفي سؤالهم

ذلك وهو على المسلمين فتح وقد أصاب المسلمين جهد من البرد والقتال
وطول المقام وإني أرى أنك إن سرت إليهم فتح الله على يديك المدينة
ولك في مسيرك الأجر العظيم في ظمأ ومخمصة وفي قطع كل
واد وصعود كل جبل لأن هذا البيت المقدس معظم عند أهل
دين الصليب وإليه يحجون ولا يتخلفون عنه والصواب
أن تسير إليهم ففرح عمر بمشورة علي رضي الله عنه وقال لقد
أحسن عثمان في المكيدة للعدو وأحسن علي في النظر للمسلمين
جزاهم الله خيرا ولست آخذ إلا بمشورة علي فما عرفناه إلا
محمود المشورة ميمون الطلعة ثم إن عمر رضي الله عنه
أمر الناس بأهبتهم للسير معه فتأهبوا فأسرع المسلمون إلى
ذلك فأتى عمر المسجد فصلى فيه أربع ركعات ثم قام إلى
قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم واستخلف على المدينة
علي بن أبي طالب كرم الله وجهه وخرج عمر بن الخطاب من
المدينة وأهلها يشيعونه ويودعونه وهو راكب على
بعير أحمر عليه غرارتان في إحداهما سويق والأخرى تمر
وبين يديه قربة من ماء وخلفه جفنة للزاد وخرج معه جماعة
من الصحابة رضي الله عنهم كانوا قد شهدوا اليرموك

ثم عادوا إلى المدينة منهم الزبير بن العوام وعبادة بن الصامت
وسار عمر بن الخطاب يريد بيت المقدس فكان لا ينزل منزلا
ويبرح منه حتى يصلي صلاة الغداة فإذا انفتل من صلاته يقبل
على المسلمين ويقول الحمد لله الذي هدانا للإسلام وجعلنا
بعد الشتات على كلمة التقوى وألف بين قلوبنا ونصرنا على
عدونا ومكن لنا في بلاده وجعلنا إخوانا متحابين فاحمدوا
الله عباد الله على هذه النعمة واسألوه المزيد منها والشكر
عليها وعلى ما أصبحتم متقلبون فيه من النعمة السابغة فإن الله
تعالى يزيد الشاكرين قال الواقدي ثم يأخذ
عمر الجفنة فيملأها سويقا ويصفف التمر حولها ويقول للمسلمين
كلوا هنيئا ويأكل مع المسلمين ثم يرحلون ولم يزل كذلك
مع مسيره قال ابن مالك العبسي كنت مع عمر بن الخطاب
حين سار إلى الشام فمر على ماء لبني جذام وعليه طائفة منهم
والماء يدعى ذات المنار فنزل المسلمون عليه فبينما هو كذلك
وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من حوله إذ أقبل عليه
قوم من جذام فقالوا يا أمير المؤمنين إن عندنا رجلا له امرأتان
وهما أختان لأم وأب فلما سمع عمر بن الخطاب ذلك

نغضب غضبا شديدا وقال علي بهما وأتي بالرجل فقال له عمر ما
هاتان المرأتان قال زوجتي قال عمر ما بينهما قرابة قال إنهما
أختان لأب وأم قال عمر وما دينك ألست مسلما قال نعم
قال أوما علمت أن ذلك حرام أوما سمعت أن الله عز وجل
يقول وأن تجمعوا بين الأختين إلا ما قد سلف ❀ قال الرجل والله
ما علمت وما هو علي حرام فغضب عمر من ذلك وقال كذبت
وإنهما عليك حرام ولتخلين سبيل أحدهما وإلا ضربت عنقك
قال الرجل أتحكم علي في زوجتي إن هذا دين ما صبت فيه
خيرا ولقد كنت غنيا أن أدخل فيه فقال له عمر أدن مني
فدنا منه فخفق رأسه بالدرة وقال له أتتهم الإسلام يا عدو الله
وعدو نفسه وهو الدين الذي ارتضاه الله لملائكته
ورسله وخيرته من خلقه ويلك خل إحداهما وإلا جلدتك
جلد المفتري ❀ فقال الرجل وكيف أصنع بهما وأنا أحبهما
ولكن أقرعوا بينهما فمن وقعت عليها القرعة فهي لي وأنا
لها فأمر بهما فاقترعا فوقعت القرعة على إحداهما فأخذها
إليه وأطلق سبيل الثانية ثم قال له عمر اسمع يا هذا
ما أقول لك إنه من دخل في ديننا ثم رجع عنه فإننا

نقتله

نقتله وإياك أن تفارق الإسلام وإياك أن يبلغني عنك أنك ألطت
بأخت امرأتك التي فارقتها فإنك إن فعلت ذلك رجمتك
قال الواقدي وسار عمر حتى مر على حي بني مرة فإذا
قوم بينهم قد أقيموا في الشمس وهم يعذبون فقال عمر ما بال
هؤلاء يعذبون قال عليهم خراج وهم يعذبون عليه قال
وما يقولون قال ما يجدون ما يؤدون قال عمر دعوهم
ولا تكلفوهم ما لا يطيقون فإني سمعت رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقول إن الذين يعذبون الناس في الدنيا يعذبهم
الله يوم القيامة ثم أمر بتخلي سبيلهم قال الواقدي
ثم سار عمر حتى إذا كان بوادي القرى فأخبروه
أن شيخا له امرأة وله صديق يوده فقال له صديقه ألا
تجعل لي من امرأتك نصيبا فرضي الشيخ بذلك وجعل له
نصيبا من زوجته ❀ فقال له صديقه أنا أكفيك ❀
رعي إبلك وسقيها ويكون لي في امرأتك يوم وليلة ولك
يوم وليلة فقال الشيخ قد فعلت لك ذلك فأخبروا
عمر بذلك فأمر بهما فأحضرا ❀ فقال لهما عمر يا ويلكما
ما دينكما قالا مسلمان قال عمر فما هذا الذي بلغني

عنكما قالا وما هو فأخبرهما بما سمع عنهما فقال له الشيخ نعم قد كان ذلك ❁ قال لهما أوما علمتما أن هذا حرام في دين الإسلام قال لا قال له ويحك ما دعاك إلى هذا الأمر القبيح قال أنا شيخ كبير ولم يكن لي ولد أثق به ولا أتكل عليه فقلت هذا يعينني في إبلي وعلى زمانى وأجعل له نصيباً من امرأتي ومن حين علمت منك أنه حرام فلا أفعله ❁ فقال له عمر خذ بيد امرأتك فليس لأحد عليك سبيل ثم قال للشاب إياك أن تقربها فإن بلغني عنك ذلك ضربت عنقك **قال الواقدي** ثم ارتحل عمر يريد بيت المقدس حتى دنا من أول الشام وأشرف عليه قال أسلم ابن برقان وبرقان مولى عمر بن الخطاب قال فلما أشرفنا على الشام إذ نظرنا إلى كبكبة من خيل المسلمين فقال عمر للزبير يا أبا عبد الله أسرع فانظر هذه الخيل ❁ فأسرع الزبير إليها فلما دنا منها رأى خيولاً من المسلمين قد بعث بها أبو عبيدة يأخذون له خبر عمر رضي الله عنه ❁ قال الزبير بن العوام فسلموا علي وقالوا لي يا فتى من أين أقبلت قلت من المدينة قالوا كيف أهلها قلت بخير قالوا فما فعل عمر هل أتى إلينا أم لا قال الزبير من أين أنتم قالوا نحن من العرب أرسلنا أبو عبيدة نأخذ له خبر عمر فرجع

الزبير إلى عمر وأخبره بذلك قال أصبت يا أبا عبد الله فأقبلوا إلى عمر رضي الله عنه فسلموا عليه وانقلبوا على أعقابهم حتى أشرفوا على عسكر المسلمين ❁ فنادوا برفيع أصواتهم معاشر المسلمين أبشروا بقدوم أمير المؤمنين ففرح المسلمون حتى هموا أن يركبوا يتلقونه فقال أبو عبيدة عزمت على كل رجل منكم أن لا يترك مركزه ثم سار أبو عبيدة ومن معه من المهاجرين والأنصار حتى أشرف على عمر رضي الله عنه ❁ فلما نظر عمر إلى أبي عبيدة وإذا هو راكب على قلوص موطأ له بعباءة قطوانية وخطامه قلوصه من شعر وأبو عبيدة لابس سلاحه فلما نظر أبو عبيدة إلى عمر أناخ قلوصه وترجل ومد أبو عبيدة يده فصافح أمير المؤمنين واعتنقا جميعاً وأقبل المسلمون يسلمون على عمر رضي الله عنه ❁ ثم إن عمر وأبا عبيدة جعلا يتسايران أمام المسلمين ولم يزالا كذلك حتى نزلا ❁ فلما نزلا صلى عمر بالناس صلاة الفجر ثم خطب خطبة يقول فيها الحمد لله القوي المجيد الفعال لما يريد ثم قال أيها الناس إن الله تعالى قد أكرمنا بالإسلام وهدانا بمحمد عليه السلام وأزاح عنا الضلالة وجمعنا بعد الفرقة وألف بيننا فاحمدوه على هذه النعم

تستوجبون عنده المزيد ❁ قال الله عز وجل ولئن شكرتم لأزيدنكم
ثم قرأ من يهد الله فهو المهتدي ومن يضلل فلن تجد له وليا
مرشدا ❁ فلما تلا عمر ذلك قال قس من النصارى إن الله لا يضل
أحدا فلما كررها قال عمر إن رجع قالها فاضربوا عنقه فلما
عرف القس ما قال عمر أمسك ومضى عمر في خطبته فقال
أوصيكم بتقوى الله الذي يبقى ويفنى ما سواه الذي بطاعته
ينتفع أولياؤه وبمعصيته يشقى أعداؤه أيها الناس أدوا
زكاة أموالكم طيبة بها نفوسكم لا تريدون بها جزاء
من مخلوق ولا شكرا وافهموا ما توعظون به ❁ وإن
الكيس من أحرز دينه وإن السعيد من وعظ بغيره ألا وإن
شر الأمور مبتدعاتها وعليكم بسنة نبيكم فالزموها
وإن الاقتصار في السنة خير من الاجتهاد في البدعة والزموا
القرآن فإنكم تجدون فيه الشفا ❁ أيها الناس إنه قام
فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بمقامي فيكم وقال أكرموا
أصحابي ثم الذين يلونهم ثم يظهر الكذب حتى يشهد من
لا يستشهد ويحلف من لا يستحلف فمن أراد الجنة فليلزم
الجماعة ثم الصلاة **قال الواقدي** فلما فرغ عمر من خطبته

جلس وجعل أبو عبيدة يحدثه بما لقي من الروم وعمر ناصت له
يسمع كلامه ولم يزل كذلك حتى حضرت صلاة الظهر فقال
الناس يا أمير المؤمنين أمر بلالا أن يؤذن لنا وكان بلال
مقيما بالمدينة ❁ فلما بلغه أن الناس نزلوا على بيت
المقدس أتا إليهم وشهد فتحها فلما بلغه أن عمر قد قدم
إلى أبي عبيدة أتا حتى يسلم عليه فقال عمر يا بلال إن
أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يسألونك أن تؤذن لهم
وتذكرهم أوقات نبيهم قال بلال سمعا وطاعة فلما قال
الله أكبر خشعت جوارحهم واقشعرت أبدانهم فلما قال
أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله بكا الناس
بكاء شديدا حتى كادت قلوبهم أن تتصدع لعظيم ذكر الله
عز وجل وذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم وكاد
بلال أن يقطع الأذان مما لقي المسلمون من الخوف والحزن
على رسول الله صلى الله عليه وسلم ❁ فلما فرغ بلال
من الأذان صلى عمر بالمسلمين فلما فرغ من صلاته جا رجل
من المسلمين وقال يا أمير المؤمنين إن أمرا أجناد الشام
يأكلون لحم الطير والخبز النقي وما لا يلحقه ضعفا

المسلمين ولا تنالهم أيديهم فقال له يزيد بن أبي سفيان إن
سعر هذه البلاد رخيص وإننا لنصيب ما قال بلال ها هنا بمثل ما
قال بلال وكنا نقوت به أنفسنا في بلاد الحجاز فقال عمر إن
كان الأمر على ما ذكرت فكلوا هنيئا مريئا ولست أبرح حتى
تعمدوا إلى سائر القبائل وتكتبوا إلى أسماء فقرائهم وأغنيائهم
وأفرض لكل بيت ما يكفيهم من البر والشعير ومن
العسل والزيت والعدس والخل وما لا بد لهم منه ثم قال عمر
هكذا الكرم من أمرائكم غير ما يأتيكم مني من بيت مال المسلمين
وإن قتلتم عنكم أمراؤكم فلوموني حتى أعزلهم ثم إن عمر
أمر أبا عبيدة والأمراء بالرحيل ❁ فلما هم عمر بالركوب على
بعيره وعليه مرقعته وهي من الصوف وفيها أربعة عشر
رقعة أحدها بأديم أحمر **قال الواقدي** ولقد
بلغني ممن أثق به أن عمر لما لبس مرقعته قال له المسلمون
يا أمير المؤمنين لو لبست غير مرقعتك ثيابا بيضا وركبت غير
بعيرك فرسا فإنه يكون أعظم لك وتكون لك الهيبة
في القلوب أعدائك وأقبلوا يسألونه ويتلطفون به إلى أن
ألجأوه إلى ذلك ❁ فعند ذلك قلع مرقعته ولبس ثيابا بيضا

قال الزبير

قال الزبير إنها كانت من ثياب مصر تساوي خمسة عشر درهما
وطرح على كتفيه منديلا من الكتان كان دفعه له أبو عبيدة
وقدم له برذونا أشهب من براذين الروم ❁ فلما سار عمر فوقه
جعل البرذون يهملج به فلما نظر عمر إلى فعاله نزل مسرعا وقال
لأصحابه أقيلوا عثرتي أقالكم الله عثراتكم يوم القيامة لقد
كاد صاحبكم أن يهلك لما داخل قلبي من الكبر ❁ إني سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا يدخل الجنة من في
قلبه مثقال حبة خردل من كبر ولا يدخل النار من في قلبه
مثقال حبة خردل من إيمان وقد يهلكني [illegible]
الضخم ❁ ثم إن عمر نزع ما كان عليه ولبس مرقعته ❁
قال الواقدي كان يوما نقرأ فتوح الشام في بيت
المقدس عند قبر أبي حنيفة وكان يقرأ على عباد بن عمر
الدينوري وكان من أهل الفضل وكان يسمع كلامه في
فلما وصلنا إلى ما ذكرناه من لبس مرقعته قال قد أتى خاطر
ما أنا قائله ❁ قال الراوي قلت له قل ولا تخالف
فتهوي في النار فإن الصدق أمانة والكذب خيانة ❁ فقال
لما لبس عمر مرقعته جعل يتخطر في شمائل فقره والكائنات

تعجب من فقره وصبره ۞ عند ما زينت له الدنيا بملابسها ۞ وقد
أزوت عنه مصايد لهواتها ولباسها ۞ وترات في حلل ملبسها
بواسطة حدثان تشنيها ۞ وقد جعلت تاج شهواتها على قمة
بفرق واستنادها ۞ واقبلت راكضة في حيلة مراودته
مطلقة اعنة زمامها في طلب زوال مجاهدته ۞ معرضة
ملابس تشنيها على شرف معاوضته ۞ صاقلة مرآة بهرجها
في أعين مشاهدته ۞ واقفة على قدم الاستعداد راج الى
ترك مجاهدته ۞ باذية بوادها ذريعة الى وصلته ۞
وعمر يمسك عنها بيد عصمته ۞ فلما نصبت له
حبايل بلاها ۞ ولم تره وقع في اشراك هواها ۞ اسمعته
خطابا في معناها ۞ قد شغفها حبا إنا لنراها ۞ فقال
لها عمر اذهبي فلست من رجالك ۞ ولا ممن يقع في أوحالك
أما تعلمي أني قد تجردت لمعاندتك ۞ ولا حاجة لي
في مشاهدتك **قال الواقدي** فبينما عمر صاعدا في
عقبة بيت المقدس فلقيه قوم من المسلمين عليهم ثياب
الديباج مما اخذوا من الروم فأمر عمر أن يحثوا التراب
على رؤسهم وأن يخرق عليهم ثيابهم ولم يزل عمر متعلقا

بالعقبة حتى أشرف على بيت المقدس ۞ فلما نظر إليها قال الله أكبر
الله أكبر اللهم افتح لنا فتحا يسيرا ۞ واجعل لنا من لدنك
سلطانا نصيرا ۞ فعند ذلك استقبلته القبايل والعشاير وأصحاب
العقود والرايات وسار عمر حتى نزل بموضع كان فيه
أبو عبيدة فضربت له خيمة من الشعر ۞ ثم قام فصلى أربع
ركعات ۞ وضج المسلمون بالتهليل والتكبير فسمع
أهل بيت المقدس ضجيج المسلمين قالوا ما بال العرب
فأشرف على المسلمين رجال من العرب المتنصرة وقالوا يا معاشر
المسلمين أخبرونا ما شأنكم قالوا لهم إن أمير المؤمنين عمر
ابن الخطاب قد قدم علينا من مدينة رسول الله صلى الله عليه
وسلم ۞ فرجعت المتنصرة وأعلموا البترك بذلك فأطرق
البترك ولم يتكلم فلما كان من الغد وقد صلى عمر
بالمسلمين صلاة الفجر ۞ قال يا ابن الجراح تقدم
إلى أهل بيت المقدس وأعلمهم أنني قد منت إليهم
فتقدم أبو عبيدة وقال يا أهل هذه البلدة إن صاحبنا
عمر بن الخطاب أمير المؤمنين قد أتا فما تصنعون ۞
فأعلموا البطريق بذلك ۞ فخرج البترك من كنيسته

وعليه المسوح وسار معه الناطليق والنصارى حوله وهم يقولون له
إن كنت تعرف صفته وإلا فلا تفتح له قال لهم البترك إني فاعل
ذلك ثم إن البترك علا فوق السور ووقف الناطليق إلى
جانبه والصليب الأعظم على رأسه وقال ما تشاء أيها الشيخ
البهي قال له أبو عبيدة هذا أمير المؤمنين قد أقبل
فاخرجوا إليه واطلبوا منه الأمان وألزموه وأذعنوا له
بالجزية قال له البترك يا هذا الرجل إن كان هذا صاحبكم
فيدنو منا حتى نراه ونرى صفته فإن كان هو نزلنا إليه
وعقدنا له الأمان والذمة وأقررنا له الجزية وإن كان
غيره فما لكم عندنا إلا القتال فرجع أبو عبيدة إلى عمر بن الخطاب
وأعلمه بذلك فهم عمر بالقيام فقالوا له أصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم يا أمير المؤمنين تمضي إلى هاؤلاء وليس
عليك آلة السلاح وإنا نخاف أن يكيدوك فقال عمر
قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا هو مولانا وعلى الله
فليتوكل المؤمنون ثم إن عمر أمر ببعيره فقدم إليه
فاستوى على كوره وعليه مرقعته وليس عليه غيرها وعلى
رأسه قطعة عباءة قطوانية قد عصب بها رأسه ولبس

معه غير أبي عبيدة وهو سائر بين يديه حتى قرب من الحصن ووقف
بإزاء البترك والناطليق فقال أبو عبيدة يا هاؤلاء هذا أمير
المؤمنين قد أتى فمد البترك عينه فنظر إلى عمر بن الخطاب
فلما حققه صاح وقال هذا هو والله الذي نجد صفاته مكتوبة
عندنا ثم قال البترك يا أهل بيت المقدس انزلوا إليه
واعقدوا معه الأمان والذمة هذا والله صاحب محمد
فلما سمع أهل بيت المقدس ذلك نزلوا إليه مسرعين وفتحوا
الأبواب وخرجوا إلى عمر يسألونه العهد والذمة فلما نظر
عمر إليهم على تلك الحالة خر ساجدا لله تعالى على قتب بعيره
ثم أقبل عليهم وقال لهم ارجعوا إلى بلدكم ولكم الذمة
والعهد إن سألتمونا وأقررتم لنا الجزية فرجع القوم إلى
حصنهم ولم يغلقوا الباب ورجع عمر بن الخطاب إلى عسكره
فبات فيه تلك الليلة فلما أصبح دخل إليها قال الواقدي
وكان دخول عمر إلى بيت المقدس يوم الاثنين
وخرج منها يوم الجمعة وخط بها محرابا وهو موضع
مسجد وتقدم فصلى ركعتين بالمسلمين وهي صلاة
الجمعة فهم الروم أن تغدر بهم وكان أبو الجعيد

الذي نصب على الروم باليرموك نازلة في بيت المقدس بأهله وماله
فقالوا له ما ترى من غدرنا لهؤلاء العرب إذ اشتغلوا بصلاتهم
وسجدوا وليس معهم آلة السلاح ❁ فقال لهم أبو الجعيد يا قوم
لا تفعلوا ولا تغدروهم ولكن اتركوهم فإن كانوا ممن
يريد الدنيا وحظا منها فاغدروهم وإن لم يكن لهم
قصد إلى ذلك ورأوا متاعكم ولم يعارضوه فما لكم إلى
غدرهم من سبيل ❁ فأقبل القوم إلى ما كانوا يقدرون
عليه من المتاع والمال فأخرجوه في شوارع المدينة وصفوه
في طريق المسلمين فأقبل المسلمون ينظرون إلى ذلك
ويقولون الحمد لله الذي ملكنا ديار قوم يقدرون على مثل ذلك
قال أيوب بن سالم ما رأى المسلمين من مد يده إلى شيء من ذلك
فقال أبو الجعيد هؤلاء القوم الذي وصفهم الله تعالى في
التوراة والإنجيل وإنهم لا يزالون على مثل ذلك وما
داموا عليه لا يقوم أحد بحربهم ❁

ذكر إسلام كعب الأحبار رضي الله عنه

قال الواقدي حدثني بشر بن حوشب قال
سمعت كعب الأحبار يقول إن عمر بن الخطاب لما صالح أهل
بيت المقدس ودخل فيها أقام فيها عشرا فأقبلت نحوه وكنت في
قرية من قرى فلسطين ❁ فقدمت إليه لأسلم على يديه وذلك
أن أبي كان أعلم الناس بما أنزل الله على عيسى وموسى عليهما
السلام وكان لي محبا وعلي مشفقا ولم يكتمني شيئا من علمه
الذي علمه الله له فلما حضرته الوفاة دعاني إليه وقال يا بني إنك
تعلم أني ما ادخرت عنك شيئا إلا أعلمتك به إلا أني خشيت
عليك أن تخرج لك بعض الكذابين فتتبعه وقد جعلت
هاتين الورقتين في تلك الكوة فلا تتعرض لهما ولا تنظر فيهما
حتى تسمع بنبي يبعث في الأرض علامته اسمه محمد فإن يرد الله بك
خيرا فأنت تدخل في دينه ❁ ثم مات أبي بعد وصيته إياي
قال كعب ولم يكن شيء أحب إلي من أن تنقضي المواسم
والمآتم فلما انقضت المآتم أقبلت إلى تلك الكوة ففتحتها
وأخرجت الورقتين فنشرتهما فإذا فيهما مكتوب لا إله
إلا الله محمد رسول الله لا نبي بعده مولده بمكة
وهاجرته يثرب الطيبة المدينة الأمينة ليس بفظ ولا
غليظ أمته الحامدون الذين يحمدون الله على كل حال
ألسنتهم رطبة بالتهليل والتكبير وهو منصور على كل

من عاداه يبترون فروجهم وأوساطهم مطهرون أناجيلهم
في صدورهم وتراحمهم بينهم كتراحم الأنبياء بين الأمم
وهم أول من يدخل الجنة يوم القيامة من الأمم ۞ قال
فلما قرأت ذلك قلت في نفسي وهل شيء خير من ذلك ۞ ثم
مكثت بعد ذلك ما شاء الله إلا أن النبي صلى الله عليه وسلم
قد ظهر بمكة وهو يظهر أمره مرة بعد أخرى قلت هو والله لا
محالة ولم أزل في أمري متفكرا حتى خرج من مكة ونزل
بيثرب فجعلت أتربص أمره حتى غزا غزواته ونصره الله على
أعدائه فتجهزت أريد المسير إليه فبلغني أنه قبض صلى الله
عليه وسلم ۞ فقلت في نفسي لعله ليس الذي أنتظره
حتى رأيته في منامي أبواب السماء قد فتحت والملائكة
زمرا ينزلون وقائل يقول قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم
وانقطع الوحي من السماء ۞ عن أهل الأرض فرجعت إلى بلاد
قومي فجاء الخبر أنه قد قام من بعده خليفة من أمته أحدهم
أبو بكر الصديق رضي الله عنه فقلت أريد أقدم عليه
فلم ألبث إلا يسيرا إذ جاءتنا جنوده وجيوشه إلى الشام
ثم جاءنا أنه توفي إلى رحمة الله تعالى واستخلف من

بعده

بعده رجل يقال له عمر بن الخطاب فقلت لا أدخل في هذا الدين حتى
أعرف حقيقته ولم أزل متوقفا حتى قدم عمر إلى بيت المقدس
وصالح أهله ورأيت وفاءهم بعهدهم وما صنع الله بعدوهم
فعلمت أنهم أمة النبي الأمي وحدثت نفسي بالدخول في دينهم
فوالله إني فلان ليلة نائم على سطح داري وإذا برجل يقرأ
يا أيها الذين أوتوا الكتاب آمنوا بما نزلنا مصدقا لما معكم من
قبل أن نطمس وجوها فنردها على أدبارها أو نلعنهم كما
لعنا أصحاب السبت وكان أمر الله مفعولا ۞ قال كعب
فلما سمعت هذه الآية فما كان شيء أحب إلي من الصباح فلما
أصبحت غدوت من منزلي وسألت عن عمر بن الخطاب فقيل لي
أنه في بيت المقدس فقصدت نحوه وسرعت إليه فإذا هو قد
صلى بأصحابه صلاة الفجر فسلمت عليه فقال وعليك السلام من
أنت قال أنا كعب الأحبار أريد الإسلام أدخل فيه لأني وجدت
في الكتب السالفة أن الله عز وجل يقول يا موسى ما خلقت
خلقا أكرم من محمد ولا أحسن منه ولولاه ما خلقت جنة ولا ۞
نارا ولا شمسا ولا قمرا أمته خير الأمم ودينه خير الأديان
أبعثه في آخر الزمان أمته خير أمة وهو نبي الرحمة النبي الأمي

التهامي القرشي الرحيم بالمؤمنين الشديد على الكافرين سريرته
مثل علانيته وقوله لا يخالف فعله القريب والبعيد عنده سواء
أصحابه متراحمون متواصلون ۞ فقال عمر الحمد لله الذي أعزنا
وأكرمنا وشرفنا ورحمنا برحمته التي وسعت كل شيء وهدانا
بمحمد صلى الله عليه وسلم ۞ فقال كعب يا أمير المؤمنين أفي
كتابكم الذي أنزل عليكم ذكر نبيكم قال عمر نعم ۞ ثم قرأ
عمر ووصى بها إبراهيم بنيه ويعقوب يا بني إن الله اصطفى
لكم الدين فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون ۞ أم كنتم
شهداء إذ حضر يعقوب الموت إذ قال لبنيه ما تعبدون من
بعدي قالوا نعبد إلهك وإله آبائك إبراهيم وإسماعيل وإسحاق
إلها واحدا ونحن له مسلمون ۞ ثم قرأ ومن يبتغ غير الإسلام
دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين ۞ ثم قرأ اليوم
أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم
الإسلام دينا ۞ ثم قرأ وما جعل عليكم في الدين من حرج
ملة أبيكم إبراهيم هو سماكم المسلمين من قبل ۞ قال
كعب لما سمعت ذلك قلت يا أمير المؤمنين أشهد أن لا إله إلا الله
وأشهد أن محمدا رسول الله ففرح عمر بإسلام كعب الأحبار

ثم قال كعب هل لك أن تسير معي إلى المدينة إلى قبر محمد صلى الله عليه
وسلم وتتمتع بزيارته ۞ قلت نعم يا أمير المؤمنين إني
فاعل ذلك ۞ فكتب عمر لأهل بيت المقدس عهدا وأقرهم
في بلادهم على عهدهم وارتحل وسار بعساكره إلى
الجابية ودون الدواوين وأخذ الخمس الذي فيه لله
عز وجل مما أفاء الله على المسلمين ۞ ثم قسم الشام
فأعطى أبا عبيدة من حوران إلى حلب وما يليها ۞ وأمره
بالمسير إلى حلب وأن يقاتل أهلها حتى يفتحها الله على يديه
وأعطى أرض فلسطين وأرض القدس والساحل ليزيد بن أبي
سفيان وجعل أبا عبيدة واليا عليه وأمره أن يجاهد
أهلها وأهل قيسارية حتى يفتحها الله على يديه ۞ وكان
قد أعطى أكثر الجيش لأبي عبيدة وسير إلى مصر
عمرو بن العاص ۞ واستعمل على قضاء حمص عمير بن سعيد
الأنصاري ۞ ثم سار عمر بن الخطاب يريد مدينة
رسول الله صلى الله عليه وسلم ۞ وأخذ كعب الأحبار
معه وكانت الناس يظنون أن عمر يقيم بالشام
لما فيها من الخير والرخص ۞ ولما فيها من بركات لـ

الأنبياء وبركة بيت المقدس فلم يشعر الناس إلا وعمر
قد قدم عليهم في المدينة ❁ فاستبشر الناس بقدومه وفرحت
الصحابة وسلموا عليه وهنوه بالفتح ❁ فأول
ما بدأ بالمسجد فصلى فيه ركعتين ثم سلم على قبر رسول الله
صلى الله عليه وسلم ❁ ودعا كعب الأحبار وقال يا كعب
الأحبار حدث المسلمين بما رأيت في التوراة فحدث
الناس فازداد المؤمنون يقينا وإيمانا رضي الله عنهم أجمعين
قال الواقدي حدثني أحمد بن الحسين عن العباس المحرز وعن
ابن أبي سفيان الثوري ❁ قال حدثنا عبد الله بن جعفر
بن عبد الله بن يحيى عمن حدثه ممن تقدم ذكرهم
في أول الكتاب وحديث القوم قريب بعضه من بعض
والله يعيذنا من الزيادة والنقصان لأن الصدق
أمانة والكذب خيانة قال الواقدي والله الذي
لا إله إلا هو ما اعتمدت في هذه الفتوح إلا الصدق وما أحدث
إلا عن الثقات ❁ لأبين فضائل أصحاب رسول الله صلى الله
عليه وسلم وأرغم أهل الرفض والخارجين فلله درهم لقد
جاهدوا وصبروا وثبتوا للقاء العدو وما قصروا حتى زحزحوا الكفر

عن سريرهم وأقاموا المسلمين وأذلوا كسرى حتى علا الإسلام وظهر
وذل الكفر وقهر الأعداء وأن الله تعالى قال فيهم فمنهم من قضى
نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا ❁

❁ ذكر فتوح حلب وما جرى فيها ❁

قال الواقدي ❁ وذلك أن أبا عبيدة لما بعثه عمر بن
الخطاب إلى حلب والمعرة وما يليهم من الحصون وبعث يزيد
ابن أبي سفيان إلى الساحل وكانت قيسارية أهلة
بالخلق وكثرة الجند وكان المتولي عليها قسطنطين ابن
الملك هرقل ومعه ثمانون ألفا من الروم ومن العرب
المتنصرة ❁ فلما نظر قسطنطين إلى جيش يزيد بن أبي
سفيان وقد نزل عليه يريد القتال والحرب بعث قسطنطين
إلى أبيه هرقل أن ينجده بالعدد والرجال فبعث إليه
بطريق اسمه ميخائيل في عشرين ألفا ونفذ إليه المراكب
بالعلوفات والزاد ❁ فلما نظر يزيد بن أبي سفيان إلى ذلك
وأن لا قدرة له على قيسارية كتب كتابا إلى عمر بن الخطاب
يقول فيه بسم الله الرحمن الرحيم من يزيد بن أبي سفيان
إلى أمير المؤمنين سلام عليك فإني أحمد الله الذي لا إله إلا هو

وأصلي على محمد صلى الله عليه وسلم ❀ أما بعد يا أمير
المؤمنين فإني نزلت قيسارية فوجدت أهلها كثيرا وهي موثقة
بالرجال والعدد وليس لنا إليها من سبيل وإن قسطنطين بن
الملك هرقل قد أنجده أبوه بصاحب من عنده ميخائيل في عشرين
ألف من الروم ومن العرب المتنصرة والمراكب تورد عليه
بالعلوفة والطعام وأريد النجدة والسلام وطوى الكتاب
وبعثه إلى عمر بن الخطاب مع سالم بن مخيل النخعي فلما ورد سالم
المدينة سلم على عمر وناوله الكتاب فقال من أين هذا الكتاب
قال من عاملك يزيد بن أبي سفيان فقرأ الكتاب وبكى من فيه
وإذا علي بن أبي طالب رضي الله عنه قد أقبل وسلم على عمر
وجلس يحدثه فقال عمر هذا كتاب يزيد بن أبي سفيان من
على قيسارية يطلب النجدة ❀ فقال له علي لا تفتتن على الذليل
فإن الله يفتحها على يديه فأنجد يزيد بن أبي سفيان بما
قد ورد فكتب عمر بن الخطاب إلى أبي عبيدة كتابا
يأمره أن ينجد يزيد بن أبي سفيان قال الواقدي
وكان مع أبي عبيدة عشرون ألفا ومع يزيد ستة آلاف
ومع عمرو بن العاص عشرة آلاف قال الواقدي

ولما وصل الكتاب إلى أبي عبيدة نفذ إلى يزيد ثلاثة آلاف
فارس وبقي أبو عبيدة في سبعة عشر ألفا أكثرهم من اليمن
وذلك أن أبا عبيدة كان قد صالح أهل قنسرين والحاضر
عنوة على خمسة آلاف أوقية من الذهب ومثلها من الفضة
وألفي ثوب من أصناف الديباج وخمسمائة وقر من التين
والزبيب ❀ فلما تم صلحهم وجاءوا بما ضمنوا ومن بينهم
وحاضرتهم كتب لهم كتاب الصلح واشترط لهم الشروط
ودخل أبو عبيدة وخالد بن الوليد في حصنهم ومعهم رجال
من المؤمنين ومن سادات المسلمين فخطوا فيها مسجدا وبلغ
الخبر إلى أهل حلب أن المسلمين قد صالحوهم أهل قنسرين
فاضطرب أهل حلب اضطرابا شديدا ❀ وكان المتولي على حلب
بطريقان وكانا أخوين لأم وأب وكانا يسكنان
في القلعة وكانت المدينة منفردة بذاتها وكان أحدهما
يسمى يوقنا والآخر يوحنا وكان أبوهما ملك البلد
وأعمالها وضياعها إلى حدود الدلوك وإلى حد
الفرات وقد ملك حلب سنينا لأنها زعموا فيها منازع وكان
هرقل طاغية الروم قد أقطعه إياها فرقا من شره ومكره

وكانت ملوك الروم تهابه وتخاف من شره فلما هلك ملك
الامر من بعده ولداه يوقنا وكان الكبير وكان شجاعا
بطلا جامعا للاموال متقلدا ما في الحرب لا يصطلى له بنار
وكان اخوه يوحنا لينا وكان قد نزع يده من الملك
وترهب وكان اعلم اهل زمانه ❁ فلما بلغه الخبر
ان ابا عبيدة قد قصد اليهم بجيوش الاسلام قال لاخيه
يوقنا ما ذا عولت عليه تصنع قال يوقنا على قتال العرب
ولا ادعهم يتشربون ارضنا وبلدنا واني لست مثل
بطارقة الشام ولا مثل غيرهم قال له اخوه يوحنا
وكان قد درس الانجيل وقرا المزامير وليس له همة ❁
الا عمارة الكنائس وبناء الاديرة وتشييد الصوامع
وكسوة الرهبان والقسوس والشمامسة والقيام بامورهم
ولما بلغهم فتح الحاضر وقنسرين وصلحها وان العرب نازلون
عليها وخيلهم تضرب الى المعرة والعواصم والقلاع الى حد
الفرات اقبل يوحنا الى اخيه الاكبر يوقنا وقال له
يا اخي اريد ان تخلو بي ليلة من الليالي واشاورك
واطلعك على رايي فانعم له بذلك فلما اجتمعا في الليل

للمشو

للمشورة اقبل يوقنا على اخيه يوحنا وقال اخي ما ترى ما نزل
بالملوك من هؤلاء العرب الجياع الاكباد ❁ العراة الاجساد
وما حل باهل الشام منهم من القتل والنهب واخذ الاموال
قهرا وما ينزلون مدينة الا يفتحونها ويملكون اهلها فما ترانا
نصنع في امرهم وكاني بهم وقد اشرفوا علينا ❁ فقال
يوحنا يا اخي انك اذا استشرتني في امرك فاني انصحك ولا
اغشك ان قبلت النصيحة وان كنت اصغر منك سنا
واقل بالحروب منك بصيرة فوحق المسيح والصلبان لئن
قبلت مني ما اقول لك سلم اليك ملكك فقال له يوقنا يا اخي
ما علمتك الا ناصحا فما عندك من الراي قال ان ترسل
رسولا الى العرب وتصالحهم على شيء من المال تحمله اليهم في كل
عام ما دام الامر لهم ❁ فلما سمع يوقنا ذلك من كلام
اخيه يوحنا استوثق منه غضبا وقال له قبحك المسيح وانما
ولدتك امك راهبا ولم تلدك ملكا ولا محاربا
ما اقبح رايك لان الرهبان لا قلوب لهم لان اكلهم
العدس وغيره لا ياكلون اللحم ولا يعرفون النعيم
وليس لهم بالحروب معرفة ولئن بيني وبين العرب

إلا الحرب والقتال ❀ فلما سمع يوحنا كلام أخيه يوقنا قال
يا أخي وحق المسيح إني أظن أن أجلك قد اقترب لأنك صاحب
بغي تريد سفك الدما وقتل النفس وما أظن جموعك بأكثر
من جموع الملك هرقل الذي جمعها يوم اليرموك
ومع ورد ان على اجنادين وها أولا القوم قد أدين لهم
علينا فاتق الله ولا تعين على نفسك ❀ فقال له أخوه يوقنا
أكثرت الكلام ومدحت العرب ولم أر أحدا من ملوك
الروم سلم مدينته إليهم إلا بعد القتال وإنما جمعت
الأموال لأدفع بها الأذا عني وإني قد عولت على الحرب
والحصار لنفسي بعد قتالهم فإن كانت الغلبة لهم علي
دخلت قلعتي وإن نصرني المسيح عليهم تممت خلفهم إلى
الحجاز وإن كانت لهم الغلبة علي فإني قد أوعيت
في قلعتي من الزاد ما يكفيني طول عمري وأكون فيها
عزيزا إلى أن أموت ولا أسلم نفسي للعرب ولئن عاودتني
بكلام بعد هذا يكون في صلح العرب لأبطشن بك قبلهم
قال الواقدي واستحوا الشيطان على عقله وقد
زين له سوء عمله فلما سمع يوحنا كلام أخيه يوقنا

قال له كلامك علي حرام بعد هذا ثم قام عنه مغضبا فلما
كان من الغد جمع إليه كل من لجأ إليه من عسكر الروم
ومن العرب المتنصرة وأعرضهم فمن أراد سلاحا
أعطاه ❀ وفرق فيهم الأموال وجعل يهون عليهم أمر العرب
ويقول إنما هم قليل وقد نلتوا بالكثير وإن جموعهم
قد افترقت منهم من توجه إلى قيسارية ومنهم من توجه
إلى مصر **قال الواقدي** وعزم يوقنا على قتال
أبي عبيدة قبل أن يصل إليه وإلى بلده ثم عهد يوقنا إلى
بطريق من بطارقته اسمه إسطخر الكبير وضم إليه ألف
لابس ووكله بحفظ بلده وسار يوقنا بمن معه يريد يلقا
أبا عبيدة والمسلمين ويوقنا يومئذ في اثني عشر ألف
غير من كان بلا لباس ❀ ويسير وا إلا ما نهموا الأعلام والصلبان
وكان مقام أبو عبيدة على قنسرين لما فتحها فعند ذلك
عزم أبو عبيدة على المسير إلى حلب فدعا برجل من بني
ضمرة يقال له كعب بن ضمرة الضمري وكان بطلا محاربا
شديد البأس كثير الاختلاس وكان إذا نهمت على
وجه الأرض لا يبالي بالأبطال إن قاتله أو كثر ثم

فضم إليه ألف فارس وسرحه على مقدمة العسكر وقال له
يا كعب لا تقاتل جيشا لا تطيقه واختبر أمر هذا البطريق
يوقنا واعلم خبره وإنا في العسكر وراءك إن شاء الله تعالى
فسار كعب بالألف فارس وكان يوقنا قد قدم أمامه طلائع
عسكره عيونا يأتونه بالأخبار * فأخبروه بأن رجلا من
العرب معه ألف فارس قد تقدموا يريدون البلد والقتال
وإنهم نزول على ستة أميال من بلدك فكمن لهم يوقنا كمينا
ثم سار بجيشه حتى أشرف على القوم وهم في أماكنهم
نزول على الماء يسقون خيولهم فلما أشرف يوقنا على المسلمين
والصليب أمامه نادى المسلمون بعضهم لبعض واستووا
على متون سروج خيلهم وركب كعب فرسه وسار في أول
القوم نحو عسكر يوقنا فصح عنده أنهم خمسة
آلاف فارس ولم يدر كعب بالكمين لأن يوقنا كان قد
أكمن نصف عسكره وتظاهر للمسلمين في النصف
الآخر * فأسرع كعب إلى أصحابه وقال يا أنصار المسلمين
إني قد أسرعت حتى أشرفت على عسكر يوقنا وقد
حزرته خمسة آلاف فارس فأقبل يشجع بعضهم بعضا

وصاح

وصاح يوقنا برجاله وحملوا على المسلمين حملة صعبة وحمل
المسلمون عليهم واشتد الحرب وقاتل المسلمون قتال الموت *
وأيقنوا بالغنيمة وإذا الكمين قد طلع على المسلمين من وراء
ظهورهم وحملوا على المسلمين * قال مسعود بن عون
اللخمي شهدت الخيل الذي بعثها أبو عبيدة مع كعب بن
ضمرة طليعة وكنت فيها يوم التقا الجمعان وقد خرج
علينا الكمين ونحن في القتال لا نظن أن لهم كمينا وإذا
نحن بحوافر الخيل نسمعها والخيل قد كبست علينا فأيقنا
بالهلاك وصرنا في وسط عسكر الأعلاج فلم يكن لنا
بد من القتال * فعند ذلك افترق المسلمون ثلاث
فرق فرقة منهزمة وفرقة تقاتل الكمين وفرقة مع
كعب وقد جهد المسلمون في قتال البطريق يوقنا ومن
معه من عباد الصليب فلله در رجال كندة لقد قاتلوا
قتالا شديدا ووهبوا لله تعالى أنفسهم حتى قتل منهم
ذلك اليوم مائة رجل وعمل أهل الكمين عملا عظيما
وكعب بن ضمرة قد قلق على المسلمين قلقا شديدا
وهو يقاتل والراية بيده وهو ينادي يا محمد يا محمد

بنصر الله أنزل يا معاشر المسلمين الثبات الثبات فإنما هي
ساعة ويأتي النصر من عند الله تعالى وأنتم الأعلون ❁ فجعل
المسلمون يأتون إليه وقد داروا حوله والجراح فاشية فيهم
وقد قتل من المسلمين مائة وسبعون رجلاً ❁ فأما الأعيان
فمنهم عباد بن عاصم التجيبي وزفر بن عاصم البياضي من بني
بياضة وحازم بن شهاب وسهيم بن أشيم البجلي ورفاعة
ابن محصن الظفري وغانم بن دراج الضمري وعنان
ابن سيف الضمري ❁ وعويلم بن ناهد الضمري وقيس
ابن طالب وثحية بن دارم الضمري ونجام بن ضميرة
الضمري ومحكم بن ماجد اليشكري وسنان بن عروة
أحد بني طهية بن عامر اليشكري وسعيد **قال الواقدي**
رحمة الله عليه وكان في جملة من قتل في ذلك اليوم سعد
ابن مفلح مولى لبني ساعدة وكان ممن شهد يوم السلاسل
وتبوك مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وشهد يوم اليمامة
مع خالد بن الوليد رضي الله عنه ❁ قال مسعود بن عون
فوالله لقد حزنا على قتله حزناً شديداً ووجدنا فيه
أربعون ضربة كلها في صدره ولم نجد واحدة في

ظهره ❁ وكانت الأعيان أربعة عشر رجلاً إلا أن الرجل ما
قتل حتى قتل أعداداً من المشركين وظهر الفشل فيهم لما رأوا
من ثبات المسلمين ولا يهولهم من قتل منهم فهمت الروم
بالهزيمة فسبهم يوقنا ❁ وقال لهم يا ويلكم أن العرب
مثل الذئاب إن صدقت الحرب ولت وإن تركت طمعت
فلما نظر نكبته إلا من قتل تحت رايته اغتم لذلك غماً
شديداً ونزل عن فرسه ولبس درعاً فوق درعه وشد
وسطه بمنطقته ومسح وجه فرسه ومناخره وكان الفرس
قد شهد معه المواقع وجاهد عليه بين يدي رسول الله
صلى الله عليه وسلم وكان قد سماه البطال فاستوى على
متن جواده ووقف أمام المسلمين وهو ينظر إلى القتلى
ويفكر في ذلك وينظر لعل طليعة تأتي من نحو أبي
عبيدة فلم ير أثراً ولا خبراً **قال الواقدي**
وذلك أن أبا عبيدة قطعه عن المسير إليهم قدوم أهل
حلب إليه وذلك أن يوقنا لما خرج من قلعته إلى حرب
المسلمين اجتمعت مشايخ أهل حلب ومشوا إلى بعضهم
بعضاً وقالوا يا قوم ألستم تعلمون أن هؤلاء العرب

قد أطاعوهم أهل دين الصليب ودخلوا معهم ومنهم من دخل
في دينهم ومن قاتلهم خسر فهل لكم أن نسير إلى أمير العرب
ونسأله الصلح لنا وعلى مدينتنا وندفع له من المال ما أراد فإن
ظفروا ببيوتنا فنكون نحن آمنين منهم وقد سبقنا إلى
الصلح وإن غلب وربح سالما لم نعبأ بذلك واتفق رأيهم
على ذلك ❁ فخرج منهم ثلاثون رجلا من رؤسائهم وسلكوا
طريقا غير طريق بوقنا حتى أشرفوا على عسكر أبي عبيدة
وهو نازل على قنسرين وقد عزم أبو عبيدة على الرحيل
إلى حلب وإذا هم قد أشرفوا عليه فلما أشرفوا على المسلمين
نادوا الفوز الفوز وهذه الكلمة الفوز بلسان الروم
يطلبون بها الأمان فإذا سمعتموها منهم فلا تعجلوا عليهم
القتل وكان عمر بن الخطاب قد أوصاهم بذلك فلما
سمع المسلمون ذلك أسرعوا إلى الثلاثين رجلا وأوقفوهم
أمام أبي عبيدة ❁ فقال خالد يوشك أن هؤلاء القوم
يطلبون الصلح والأمان لأنفسهم وهم أهل حلب
قال أبو عبيدة أرجو ذلك أن يكون إن شاء الله تعالى وإن
صالحوني صالحتهم وأبو عبيدة لا يعلم ما أصحابه فيه وكانوا

اهل

أهل حلب قد أقبلوا على المسلمين ليلا والنار توقد ومن المسلمين رجال
يقرؤون القرآن ومنهم من هو معتكف في صلاته رضي الله عنهم
فجعلوا أهل حلب يقولون لبعضهم بهذا الفعل نصرت العرب
علينا ❁ فلما سمع أبو عبيدة ما قالوا سأل أبو عبيدة الترجمان
فأخبرهم بما قالوا فقال أبو عبيدة إننا قوم قد سبقت لنا
العناية وإننا لا نريد من الله ورسوله بدلا ولا نجزع من قتال
الأعداء فقال لهم الترجمان من أنتم قالوا نحن من تجارها
وسكانها وسوقها وقد جئناكم نطلب الصلح والأمان
منكم قال لهم أبو عبيدة وكيف نصالحكم وقد بلغنا
أن بطريقكم قد صمم على قتالنا وقد حصن قلعته وجعل
فيها ما يقوته سنين وجند الجنود وأكثر من ذلك وما لكم
عنده ما صلح ❁ قالوا أيها الأمير بطريقنا قد خرج من
عندنا يريد حربكم وقتالكم قال لهم أبو عبيدة ومتى
خرج قالوا خرج سحيرا وخرجنا نحن من بعده وسلكنا طريقا
غير طريقه وإننا نرجو أنه هالك لا محالة لأنه ركب
طالبا للبغي ولم يرض بالصلح فلما سمع أبو عبيدة بخروج
البطريق خاف على طليعته ❁ وقال لا حول ولا قوة إلا

بالله العلي العظيم هلك كعب ومن معه إنا لله وإنا إليه راجعون
ثم أطرق إلى الأرض ❀ فقالت شيوخ حلب للترجمان كلم لنا
الأمير في الصلح فقال أبو عبيدة لا صلح لهم عندنا فقالوا ❀
أهل حلب اعلم أيها الأمير أنه اجتمع إلينا خلق كثير من القرا
التي حولنا ❀ وإن صالحتمونا عمرنا لكم القرا وكنا لكم عونا
على عمارتها وعشنا في ظلكم وأيام عدلكم وإن
أنتم أبيتم ذلك نفرت الناس عنكم إلى أقصا بلاد
الروم وشاع الخبر أنكم لا تصالحون أحدا فلا يبقى
أحد حولكم ❀ فأعلم الترجمان ما قالوا أهل حلب
وإذا قد برز من أهل حلب رجل دخل من الرجال
وكان حكيما حسن الوجه فصيح اللسان بالعربية
فقال أيها الأمير اسمع ما أقوله لك من العلم
الذي أنزله الله على أنبيائه ❀ فقال أبو عبيدة قل
يسمع فإن كان حقا علمناه وإن كان غير الحق
لم نسمعه ❀ قال الرجل يقول الله عز وجل
أنا الرب الرحيم خلقت الرحمة وأسكنتها في قلوب
عبادي المؤمنين وإني لا أرحم من لا يرحم فمن أحسن

أحسن الله إليه ومن تجاوز تجاوز الله عنه ومن طلبني وجدني
ومن أغاث ملهوفا أمنته يوم القيامة وبسطت له في رزقه
وباركت له في عمره وكثرت له أهله ونصرته على أعدائه
ومن شكر المحسن على إحسانه فقد شكرني وإننا قد
أتيناك ملهوفين خائفين فأقل عثرتنا وأمن روعتنا وأحسن
إلينا ❀ فلما سمع أبو عبيدة كلامهم بكا من قوله وقرا
إن الله يحب المحسنين ❀ ثم قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم وعلى جميع النبيين بهذا والله أرسل نبينا إلى جميع
الخلق والحمد لله الذي هدانا به ثم أقبل أبو عبيدة
على جميع المسلمين وهم من حوله وفيهم المهاجرون
والأنصار وقال يا معاشر المسلمين إن هؤلاء أهل ضياع
وسوق وهم مستضعفون فنحسن إليهم ونطيب قلوبهم
فإنه من كان من أهل المدينة من السوقة فهم يعينونا
بالميرة والعلوفة ويعلمونا بما يقدم عليه عدونا ويكونون
عونا لنا ❀ فقال رجل من المسلمين أصلح الله الأمير
إن المدينة قريبة من القلعة وإننا لا نأمن أن يدلوا
هؤلاء الروم على عوراتنا ويخبروهم بأحوالنا وربما

أتوا القوم يخدعونا وما ترى بطريقهم قد خرج إلى قتالنا
وكيف يطلبون هذا ولا إن القوم الصلح منا قال له أبو عبيدة أحسن
ظنك بالله عز وجل فإن الله لا يخذلنا ولا يسلط علينا عدوا
فرحم الله عبدا قال خيرا أو صمت وأنا أشترط عليهم النصيحة
للمسلمين في صلحهم ثم أقبل أبو عبيدة على أهل حلب وقال لهم
إني أريد أن أشترط عليكم في الصلح أن تبذلوا لنا ما بذل لنا أهل
قنسرين ✿ قالوا أيها الأمير إن قنسرين أقدم من مدينتنا
وأكثر خلقا ومدينتنا مخلية من الناس بجور بطريقنا
علينا لأنه قد أخذ أموالنا وصعد بها إلى القلعة وما بقي في
المدينة إلا الضعفاء من الرجال ومن لا مال له وإنا نسألك
أن ترفق بنا وتعدل فينا قال لهم أبو عبيدة فما الذي تريدون
أن تبذلوا من المال في صلحكم قالوا نعطي نصف ما أعطى أهل
قنسرين قال أبو عبيدة قد قبلت منكم ذلك على أننا إذا نزلنا
بساحتكم تعينونا بالميرة وتبيعونا وتشتروا منا ولا تكتمونا
خبرا تعلمونه من أعدائنا ولا تمكنوا جاسوسا يتجسس في
عسكرنا وإن رجع بطريقكم منهزما تمنعوه من الصعود
إلى القلعة ✿ قالوا أيها الأمير أما هذا فلا نقدر عليه

ولا نقدر نمنعه من القلعة قال لهم أبو عبيدة لا تمنعوه من
القلعة ولكن تعقدوا ولنا الشرط عليكم فحلف القوم بالأيمان
التي يعرفونها وقال لهم اعرفوا أنكم قد حلفتم بأيمانكم
التي تعتقدونها فمن كان منكم على خبر من البطريق ولم
يعلمنا به وجب لنا عليه القتال وأخذنا ماله وولده حلالا لا
طيبا ومتى ما نقضتم ما اشترطنا عليكم فلا عهد لكم عندنا ولا
ذمة ولنا عليكم الجزية من العام المقبل ✿ قال سعيد بن عامر
ورضوا أهل حلب بما اشترط عليهم أبو عبيدة وكتب أسماءهم
وعزم القوم على المسير فقال لهم أبو عبيدة هل لكم أن نسير
معكم أحدا من المسلمين إلى أن تصلوا إلى مأمنكم فقد وجب
حقكم علينا لدخولكم تحت ذمتنا ✿ قال الدحداح أيها
الأمير إنما نسير في الطريق الذي أتينا فيه ولا نريد معنا
أحدا فسار أهل حلب وبات أبو عبيدة تلك الليلة قلقا على
كعب بن ضمرة ومن معه من المسلمين **قال الواقدي**
ورجع أهل حلب من ليلتهم إلى المدينة وانفجر الصبح ولم يصلوا
إلى مدينتهم فنظر إليهم بعض الأعلاج فأشرف عليهم وقال لهم
أين كنتم وما صنعتم فعلموا أنه من أهل حلب فأخبروه بالذي

عملوه من الصلح بينهم وبين المسلمين فسار العلج إلى أن وصل إلى
يوقنا وأخبره بذلك وربما أنك لا تلحق القلعة أن يملكوها
فلما سمع يوقنا ما قاله العلج خاف على القلعة أن يملكوها في
غيبته فانفسخ عليه ما كان يؤمله وكان قد قتل من المسلمين
مايتا فارس وكعب بن ضمرة قد شمر نفسه على الحرب والموت
وعلم أنهم هالكون لا محالة قال كعب وكنت صاحب
الحرب اليوم بنفسي أمنع عنهم وأفديهم بمهجتي ❁ وأنا مع ذلك
أتوقع فرجا من الله عز وجل ولم يزل الحرب بيننا يوما وليلة
إلى الصباح من اليوم الثاني فأقسم كعب بالله عز وجل أنه
أحد منا صلى صلاة ولا وصل إلى زاد يأكله ولا ماء يشربه
وأنا بين اليأس والخوف وأترقب طريق قنسرين أن تطلع
علينا راية الإسلام فما أرى شيئا فبينما أنا كذلك إذ رأيت
جيش العدو وقد انطرد من بين أيدينا وقد علت لهم
ضجة عظيمة ❁ فقلت ما هذا إلا مدد لحقهم من مدينتهم
أو من الملك فالتجأت إلى كلمة الشدائد وقلت
لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم قال كعب بن ضمرة فما
قلتها وحق رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا وجيش العدو قد

انكشف عنا ورجع على عقبه فقلت الحمد لله حمد الشاكرين
وهممت أن أتبعهم فصاح بي المسلمون إلى أين يا كعب ارجع فما
كفاك ما نحن فيه من التعب والنصب فدعنا نؤدي الفرض
الذي علينا ونريح خيلنا ❁ فما رد الله عنا هذا القوم إلا
بمشيئته فنزل كعب بن ضمرة بمن معه مكانه فشرب الناس
الماء الصافي وأسبغوا الوضوء وصلوا ما فاتهم وأكلوا وشربوا
واستقبلوا الراحة **قال الواقدي** وأبطأ خبر
كعب بن ضمرة عن أبي عبيدة فلما صلى أبو عبيدة صلاة الصبح
انفتل من صلاته وأقبل على المسلمين وخاطب من بينهم خالد بن
الوليد وقال له يا أبا سليمان إن أخاك أبا عبيدة ما رقد
البارحة مع أن الواجب علينا الشكر لله تعالى بما فتح الله
علينا ولكني أظن الذين مع كعب قد ذهبوا لما أخبرني
أهل حلب أن البطريق يوقنا قد خرج ولا أعلم لكعب ولا لمن
معه خبرا وأظنهم قتلوا قال خالد بن الوليد وأنا أيضا ما
نمت من الفكر في شأنهم فما الذي عزمت تصنع أيها الأمير
قال على الترحيل ثم إن أبا عبيدة أمر الناس بالترحيل فسارت
المسلمون يريدون حلبا وعلى مقدمة جيش المسلمين خالد

ابن الوليد رضي الله عنه وعلى الساقة أبو عبيدة فما كان غير
بعيد حتى أشرف خالد بن الوليد على كعب بن ضمرة ومن معه
وهم نيام وقد أقاموا لهم من يحرسهم فصاح بهم خالد النفير
النفير يا أنصار الدين ❁ فتبادر المسلمون من أماكنهم كأنهم
أسود واستووا على متن سروجهم وبشروا أصحابهم بقدوم
جيش المسلمين وخالد أمام المسلمين يحمل راية الإسلام وسلم
المسلمون على بعضهم بعضا ❁ وأقبل أبو عبيدة فنظر إلى كعب
ابن ضمرة وهو سالم فحمد الله وأثنى عليه ونظر إلى موضع
المعركة وإذا القتلى مطروحين فلما نظر إلى ذلك
صارت فرحته ترحا وقال لا حول ولا قوة إلا بالله العلي
العظيم فدعا بكعب وقال له كيف تقتل أصحابك ❁
فأخبره كعب بما جرى لهم مع يوقنا وأنه أشرف هو ومن معه
على الهلاك ❁ فبينما نحن كذلك إذا انقلبت الروم
عنا راجعين فقال أبو عبيدة سبحان مسبب الأسباب
ليت أبا عبيدة قتل أمامهم ولا يقتلوا تحت رايته ثم
أمر المسلمين أن يحفروا لهم فحفروا لهم وصلى عليهم
ودفنهم رضي الله عنهم ودماؤهم سائلة من أبدانهم

ثم قال أبو عبيدة سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يحشر
الشهداء يوم القيامة الذين قتلوا في سبيل الله ودماؤهم على
نحورهم اللون لون دم والريح ريح مسك والنور عليهم يتلألأ
يدخلون الجنة بغير حساب قال الواقدي فلما واروا
أبو عبيدة القتلى في قبورهم قال خالد بن الوليد إن
كان عدو الله رجع إلى قلعته وسمع بأهل حلب أنهم
اصطلحوا معنا فسيلقون منه تعبا شديدا فالحق بهم فقد
وجب علينا أن نحامي عنهم لأنهم تحت ذمتنا قال
الواقدي ❁ وارتحل أبو عبيدة بمن معه من ساعته فلما
ورد حلبا نظر إلى البطريق يوقنا بمن معه قد أحدق
بأهل حلب وهو يريد قتلهم ويقول لهم صالحتم العرب
لأنفسكم وصرتم عونا علينا قالوا له قد فعلنا ذلك
لأننا نعلم أنكم قوم قاهرون قال لهم يا ويلكم
إن المسيح لا يرضى بفعلكم هذا وحق المسيح لأقتلنكم عن
آخركم أو تخرجوا معي إلى قتال العرب وتنقضون
ما بينهم وبينكم من العهد وتخرجوا إلى من كان السبب
في ذلك فيعلموه به فقال يوقنا لعبيده أخرجوهم

واحدا واحدا فجعل العبيد يقتلونهم على فرشهم حتى قتلوا
ثلاثمائة رجل فلما سمع أخوه يوحنا بأنه قتل أهل البلد نزل
إليه من القلعة وقال له لا تفعل فإن المسيح يغضب عليك وقد
نهى عن قتل العدو فكيف بمن هو على ملتنا ✿ فقال له يوقنا
يا أخي إنهم قد صالحوا العرب وصاروا لهم عونا علينا
فقال له يوحنا وما عليهم في ذلك وإنهم أرادوا الإصلاح
لأنفسهم لأنهم لم يلقوا أهل حرب ولا قتل فقال له يوقنا
وحق المسيح لا أبقيت منهم أحدا وأنت الذي حملتهم على صلح
العرب فلأبطشن بك قبلهم ✿ ثم عمد إلى أخيه يوحنا
وقبض عليه وجرد سيفه فلما أيقن بالهلاك رفع طرفه إلى
السماء وقال اللهم إني أشهدك أني مسلم إليك وقد
خالفت دين هؤلاء القوم وإني أشهد أن لا إله إلا الله ✿
وأشهد أن محمدا رسول الله وأن المسيح نبي الله ورسوله
ثم قال لأخيه يوقنا اصنع ما أنت صانع فإن كنت قاتلي
فإني سائر إلى جنات النعيم ✿ فلما سمع يوقنا بإسلام أخيه
أمر عظيم ومن أهل بلده وممن في عمله من المسلمين فزاد به
الغيظ فضرب أخاه يوحنا أزاح رأسه عن جسده فعجل الله

بروحه إلى الجنة ✿ وابتدر يوقنا إلى قتال أهل البلد وهم
يستغيثون فلا يغاثون فبينما هم كذلك وإذا الفرج قد
أتاهم إذ أشرفت عليهم رايات المسلمين ومن حولها أبطال
المؤمنين وهم ينادون بكلمة التوحيد يقدمهم خالد بن
الوليد وإلى جانبه أبو عبيدة ✿ فلما سمع خالد أهل البلد
وهم في الضجيج والبكا والنحيب قالوا يا أبا عبيدة ذهبوا أهل
صلحنا وذمامنا كما ذكرنا ثم حمل فيهم خالد وحمل معه
أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وبذلوا فيهم السيف
فلما نظر يوقنا إلى ذلك حصل مع بطارقته وانهزم إلى
قلعته ✿ قال مخصن بن عميرة العدوي فمن انهزم مع يوقنا
إلى القلعة سلم ومن التجأ البر قتل وقتل يوقنا من أهل
صلحنا ثلاثمائة رجل وقتلنا نحن من بطارقته ثلاثمائة إلا
رجل وكانت وقعة عجيبة فرج الله بها عن أهل حلب الكربة
وأخبروا أبا عبيدة كيف قتل يوقنا أخاه يوحنا ✿
قال الواقدي ثم لما سلم يوقنا من سيوف المسلمين
ودخل إلى قلعته واستعد للحصار ونصب المنجنيقات
والعرادات ونشر السلاح على الأسوار قال الواقدي

هذا ما كان من أمر يوقنا وأما ما كان من أهل حلب فإنهم
أخرجوا إلى أبي عبيدة أربعين شيخًا من بطارقة يوقنا فقال
أبو عبيدة للترجمان قل لهم لأي شيء أتيتم فقالوا له أهل
حلب إنا لسنا من أصحاب يوقنا ولا كانوا معنا في القتال ولا
يمكننا إلا الغنا وهم عندكم فأعرض أبو عبيدة الإسلام
عليهم فأسلم سبعة وأما الباقون فضرب أعناقهم ثم قال
أبو عبيدة لأهل حلب والله لقد نصحتم في صلحكم
وتبرون منا ما يسركم وهذا بطريقكم قد تحصن ❁
في قلعته أفتعرفون للقلعة موضعًا فنقاتل منه فإن
فتح الله علينا جعلنا لكم جزءًا مما نغنمه منه فقالوا أيها
الأمير والله ما نعرف لها موضعًا وإن يوقنا قد سد
مسالكها وقلع طرقاتها وهذا ما نعلمه من ذلك
وثب رجل من المسلمين إلى أبي عبيدة يسمى يونس بن عمرو
الغساني وكان له بصيرة بالشام ومدنها وكان
لا تخفى عليه المسالك من طرق الشام فقال أصلح الله الأمير
إنهم بما أعرف فهل لك تتكلم يا ابن عمرو فأنت عندنا ناصح
للمسلمين ❁ فقال يونس أيها الأمير إن الله عز وجل فتح أكثر

البلاد على يديك وقتل طاغية الكفر ولم يبق إلا ناس من وراء الدروب
فاصبر هذه القلعة ورتب الخيل وشن الغارة فيا لظفر زاد يقوم
بهم ❁ فلما سمع خالد كلام الغساني تبسم ضاحكًا وقال والله
هذا هو الرأي وأنا أشير عليك برأي آخر أنك ترحف نحو القلعة
لعل الله عز وجل أن يفتحها في وقتنا هذا فإننا نخشى إن طال
بنا المقام عليها أن تعطف علينا جيوش الروم فيحولون بيننا
وبينها قال له أبو عبيدة لقد أشرت برأي سديد ❁ ثم أمر
أبو عبيدة بالزحف إلى القلعة وتجردت الفرسان واختلطت
العبيد والسادات وافترقت القبائل وجاءوا بالأشعار
ونادوا بالأنساب ❁ قال مسروق بن مالك اليربوعي
والله ما رأيت في قتال الشام في حصونهم يومًا كان
أشد من ذلك اليوم ولقد برز لنا البطريق في أول الحرب
وقد تنادت أبطال اليمن وسادات ربيعة ومضر ❁
وقصدوا بعضهم بعضًا وجعلوا يطلبون القلعة من حيث لا
يطرقون لها فإذا علوا نحوها أخذتهم الحجارة من كل
جانب ومكان ورموهم بالمجانيق والعرادات وكنت
أنا وأصحابي أقرب الناس إلى الأرض فأسرعنا راجعين على

أعقابنا وبعضنا يدفع بعضا لا نظن أن ينجو منا أحدا وقد وقعت
الحجارة في المسلمين فجرحت خلقا وقتلت آخرين وكان من
جملة من قتل يوم حصار قلعة حلب عامر ابن الأسقع الزجي
ومروان بن عتيك الربعي وحسان بن حنظلة الربعي ❁ وسلمان
ابن عوف العامري وعطاف بن نائل الكلابي وسراقة
ابن مسلم العدوي وعاصم بن قنداح العدوي وسوار بن
مالك العدوي وجملة من قتل ذلك اليوم من بني ربيعة
ورجل من آل عامر ورجل من بني كلاب ❁ وسبعون من
بني عدي ❁ قال مسروق بن مالك والله لقد كنا بعد
ذلك بسنين نرى كثيرا من الناس بعرج وشلل من قذفهم
من قلعة حلب فعند ذلك نصب أبو عبيدة رايته بإزاء
المدينة وجعل ينادي بالمسلمين اجتمعوا إلي رحمكم الله
فلما اجتمعوا من حوله قال أيها الناس إنكم قاتلتموهم
اليوم على غرة فادفنوا الشهداء وشدوا كل من به جرح
فابتدر الناس لدفن الشهداء إذ قد رجعت الروم بهزيمة
الحرب وما تحقق الخبر لبطلر لنعمد ذلك قال يوقنا
لأصحابه ابن العقرب لا تدنوا من القلعة بعد هذا اليوم

وحق المسيح لأكيدنهم ولأهبطن إلى عسكرهم قال
الواقدي ولقد حدثني عبد الله ابن سليمان الدينوري
وكان ينقل أخبار الشام وفتوحه وكان من ثقات المسلمين
قال حدثني أن يوقنا انتخب ألفين رجلا من أبطال قومه وأمرهم
بالنزول ليلا فنزلوا من القلعة فنظروا إلى عسكر المسلمين
والنار تشتعل في جوانبه فجعل يدور حول المسلمين حتى نظر
طرفا من المسلمين قد خمدت نيرانهم وكانوا بادية
اليمن مثل مراد وبني كعب ❁ قال صفوان بن عبد الله وكا
نت الليلة عارفين من عدونا آمنين بكثرتنا وقد غفل
حرسنا فلم نشعر إلا بغطمطم الروم وقد هجموا علينا ووضعوا
فينا السيف وكان النجيب منا من استوى على ظهر جواده
وطلب البر وقد وقعت الحيلة على عسكر المسلمين ❁
والقوم ينادون النفير النفير دهينا ورب الكعبة والناس
يهرعون إلى خيمة أبي عبيدة وهم يقولون كبسنا
يوقنا في ظلام الليل ❁ فعند ذلك ركب أبو عبيدة في
الرجال وجعل يدور حول العسكر فظن صاحب الروم
أن المسلمين قد لحقوه فنادى من أخذ شيئا يرميه ويطلب

التجاة لنفسه ❁ قال عبد الله بن صفوان فأخذت الروم من المسلمين
خمسين رجلا من أخلاط اليمن وأكثرهم من حمير وأقبلت الروم
يحملون بعضهم بعضا وهم يطلبون القلعة فلما نظر خالد إلى ذلك
حمل وحمل معه أصحابه فانقطع من الروم مائة رجل ووضع فيهم
السيف فقتلهم ولما وصلوا أصحاب يوقنا إلى القلعة فتح لهم
وأدخلهم فلما أضاء الفجر وطلعت الشمس إذ علا يوقنا بالخمسين
الأسارى من المسلمين فعرضهم إلى موضع يسمعونهم المسلمون
وينظرونهم وهم موثوقون بالكتاف فلما أوقفهم أمام
المسلمين ضرب أعناقهم وعجل الله بأرواحهم إلى الجنة رضي الله
عنهم فلما نظر أبو عبيدة إلى ذلك أمر مناديا ينادي في
عسكره عزيمة من الله ورسوله ومن أبي عبيدة على رجل
وكل حرسه لغيره ولا يحرس الرجل إلا نفسه ولا يتوكل
أحد على أحد فأخذ القوم حذرهم وأقبل يوقنا يريد مكيدة
أخرى بالمسلمين وكانت جواسيسه يأتونه بالأخبار
وهم من العرب المتنصرة ❁ فبينما يوقنا مع أصحابه
إذ أقبل عليه رجل من جواسيسه وقال له أيها البطريق
إن أردت أن تكيد المسلمين فهذا يومك قال

يوقنا وما عندك قال إن العرب لهم علوفة في وادي قطنان وقد صالحوا
أهله وقد رأيت معهم جمالا وبغالا ومعهم طائفة منهم وعليهم العدد
وبأيديهم الرماح وهم يقصدون الوادي في طلب العلوفة وهم
قليلون ❁ فلما سمع يوقنا ذلك من جاسوسه اختار له ألف
فارس من أصحابه ومن أبطال قومه وقال لهم أصلحوا سلاحكم
وحق المسيح لا أطبقن على العرب الآفاق ❁ فلما أظلم الليل فتح لهم
يوقنا باب السر فخرجوا والجاسوس أمامهم يدلهم على الطريق
إلى أن مروا بمراعي الأبقار فقالوا له مر بك أحد من العرب قال
نعم قد مضوا والشمس قد أشرقت وهم مائة فارس ومعهم بغال
وحمير وجمال فقالوا له كيف سلمت بقرك منهم قال لأن راعي
إنا من أهل هذا الوادي وأهل هذا الوادي صلح مع العرب
قالوا له أخبرنا على أي الطريق أخذوا قال هكذا وأومأ بيده إلى
الشرق وسار البطريق بمن معه إلى أن أصبح الصبح وقد أشرفوا
على خيل المسلمين وكان على خيل المسلمين أمير يقال له مناوش
ابن الضحاك الطائي ❁ فلما نظر مناوش إلى الروم قال لأصحابه
يا بني العرب إن هذا بطريق من بطارقة الروم أقبل إلينا
فجاهدوا في أعداء الله واصبروا واثبتوا فلكم على الله الجنة ❁

ثم حملوا عليهم وركبهم العدو بخيله ورجله واقتتلوا قتالا شديدا
وقتل منا مناوش بن الضحاك وغيلان بن مشاور والغطريف بن ثابت
وربيع بن عاصم وكهلان بن مرة ومطرف بن حمير وسنان بن عوف
وبشر بن سراقة وشيبة بن الاسلع ومنهال بن شكر والجام بن
عقيل وميسرة بن نافع وحنظلة بن حاجب وهلوش بن سليط
وربيعة بن رافع ومرة بن ماهن ونوفل بن عدي وعطا بن يسار
وعقال بن جماهر وسليم بن حفاف وفضيل بن ثابت والاقرع
ابن زارع ومعيط بن عامر وكان من جملة من قتل من المائة
ثلاثون رجلا وملكت الروم ما كان مع المسلمين من الدواب
والابل ورجعت المسلمون منهزمين فقال البطريق
لاصحابه هذه الطوال الاعناق انحروها وخذوا الدواب وما
عليها ثم قال لهم اطلعوا الجبل واختفوا عن اعين العرب
فاذا اظلم الليل طلعنا القلعة فعند ذلك عمدت الروم الى
الابل فنحروها وارموا ما كان على ظهرها وعطفوا بالدواب
وهي محملة نحو الجبل الى قرية فاقاموا بها بقية نهارهم
الى الليل وجعلوا لهم ديدبانا يحرسهم من العرب قال معون
ابن الصباح الطائي وكنت في القوم لما قتل عمي مناوش

وبقينا في قلة وقد دهمتنا خيل الروم فلما نظروا الى كثرة الروم
اخذنا انفسنا ورجعنا الى جيش المسلمين والخيل تتقاطر في اثرنا
فابتدر الينا ابو عبيدة وقال لنا ما وراءكم قلنا له والله وراءنا الحرب
والقتال والله لقد قتل الامير مناوش ومعه خلق كثير واخذ
الروم ما كان معنا من الدواب والزاد قال ابو عبيدة ومن هذا
الذي دهاكم وقد حاصرنا الروم قالوا لا علم لنا غير ان بطريقا
اشرف علينا في خلق كثير ولا نعرف من اين اتانا فقتل
ابطالنا واخذ ما كان معنا فقال ابو عبيدة يا ابا سليمان
انت لها والمعد لمثلها واني واثق بالله وبك مع اني استخير الله
في كل الامور فخذ معك من اردت من المسلمين وسر الى موضع
المعركة وقص اثار القوم الذين قتلوا ابطالنا وفرساننا فلعلك
ان تاخذ بثار المسلمين وانا قد صالحنا اهل هذا الوادي
وانا لا نؤذيهم الا ان مكروا بنا ولا ننقض عهدهم الا بمكر
فعند ذلك اسرع خالد بن الوليد الى خيمته ولبس سلاحه
واستوى على متن جواده وهم بالمسير وحده فقال ابو عبيدة الى
اين يا ابا سليمان قال خالد اسارع الى ما امرتني به قال تمضي
وحدك بل خذ معك من المسلمين من اردت فاخذ خالد معه من

فرسان المسلمين مائة فارس وساروا إلى أن وصلوا إلى موضع المعركة
ونظروا إلى القتلى مطروحين وحولهم أهل ذلك الوادي وهم يبكون
خوفا على أنفسهم من العرب بأن يطلبوهم بالذين قتلوا في واديهم
فلما أشرف عليهم خالد تصارخوا إليه وألقوا أنفسهم بين يديه
فقال خالد للترجمان كان معه ما يقولون هؤلاء قال له
الترجمان إنهم لما يخافون من دم أصحابك ولم يعلموا من قتلهم
فاستحلفهم خالد أنهم لم يعلموا من قتلهم فحلفوا له فقال فمن الذي
وقع على أصحابنا قالوا بطريق من أصحاب يوقنا في ألف فارس
وإن ليوقنا في عسكركم عيونا يأتونه بأخباركم في كل
يوم قال خالد فالبطريق أي طريق أخذ قالوا أخذ الطريق
المتعالية ورأيناهم يطلبون الجبل قال خالد إن القوم علموا
أن خيلنا تطلبهم فانحرفوا عن الطريق حتى يظلم الليل فرجعوا
إلى القلعة فأرخوا الأعنة وخالد يتقدمهم وقد أخذ معه رجلا من
المعاهدين يدلهم على الطريق ويقفوا أثرهم فلما دخل
خالد في الطريق قال للمعاهدي هل لهم طريق غير هذا
قال لا فنزل خالد ومن معه في الوادي وهم يرقبون الطريق
فلما ذهب من الليل قليل أحسوا بوقع حوافر الخيل التي للروم

والبطريق

والبطريق أمامهم والخيل من ورائهم وهو يحثهم على المسير والمشي السريع
فعند ذلك صاح خالد بن الوليد ومن معه صيحة شديدة ونادى أنا
خالد الأسد وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من ورائه
وما كان لخالد طلب غير بطريقهم وظن أنه يوقنا واستقبله
وضربه ضربة شقه بها نصفين وعجل الله بروحه إلى النار ووضع
المسلمون السيف في أصحابه فلم ينج منهم أحد وخلص المسلمون
الأسارى و[illegible] والغنم وما كان معهم ورجعوا إلى أبي عبيدة
وكان منتظرا لقدومهم فلم يشعر إلا والمسلمون قد
أقبلوا عليه والأسارى معهم وهم يهللون ويكبرون
فتلقاهم المسلمون بالتهليل والتكبير وكان عدة الأسارى
من الروم ثلاثمائة أسير وعدة الروم تسعمائة رأس فأعرض
أبو عبيدة على الأسارى الإسلام فأبوا وقالوا نعطيك الفداء
فقال خالد ضرب رقابهم مصلحة وتوهين عدونا فسمع أبو عبيدة
كلام خالد وضرب رقابهم ويوقنا وأصحابه ينظرون إليهم
من على سور القلعة فلما ضربت أعناقهم قال خالد لأبي
عبيدة إننا كنا نظن أننا نحن محاصرون وإذا نحن المحاصرون
والرأي أن تأمر المسلمين بالتيقظ وأن نجعل على كل طريق

حرسا وأن تضيق عليهم ما استطعت فيها ولا لا يرقون إلا عرفتنا وعلمتنا
قال له أبو عبيدة جزاك الله خيرا يا أبا سليمان عن مشورتك ❀ فلما
كان بالغداة صلى أبو عبيدة بالناس صلاة الصبح وانفتل من صلاته
وادعا بعبد الرحمن بن أبي بكر الصديق وبضرار ابن الأزور
وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل وقيس بن هبيرة وميسرة بن
مسروق وفرقهم من حول القلعة وأمرهم بحفظ الطرق
والمسالك حتى لو طار طائر لم يخبر علم وابد ❀ فلما طال حصارهم
للروم ضجرت الناس من طول مقامهم فأمر أبو عبيدة الناس
بالرحيل أميالا عن القلعة فبعد جيش المسلمين عن المدينة أميالا
ويوقنا لا ينزل من القلعة ولا يخرج منها ❀ قال أبو عبيدة
يا أبا سليمان إني أظن أن لعدو الله عيونا في عسكرنا
يأتونه بأخبارنا فلعلك أن تجول جولة فإنه لا يخفى عليك
أمرهم إن شاء الله وعسى أن تقع بجاسوس الروم فركب خالد
وأمر الناس أن يديروا ويفتشوا ويطوفوا معهم وأمرهم أن
يقبضوا كل من لقوه فبينما خالد في طوافه إذ نظر إلى رجل
جالس من العرب وبين يديه عباءة يرفوها فجعل خالد
يلاحظه فاستراب به وأنكر عليه فسلم عليه وقال يا أخا العرب

من أي الناس تكون فأراد أن ينكر فبلته بحر لسانه بالحق وقال
أنا من غسان فقبض عليه خالد وقال يا عدو الله أنت من متنصرة العرب
قال لا والله ما أنا إلا مسلم فأقبل به خالد إلى أبي عبيدة وقال له
أيها الأمير قد رابني أمر هذا وما رأيته قبل هذا اليوم إلا هذه
الساعة ❀ قال أخبرني يا أبا سليمان قال كيف أخبرته قال
بالصلاة والقرآن ❀ قال له خالد قم فصل ركعتين واجهر
بالقراءة فيهما فلم يدر المتحير ما يقول له خالد قال له أنت جاسوس
عدونا واستخبره فأخبرهم أنه عين عليهم قال له خالد أنت وحدك
قال لا نحن ثلاثة تمضي أثنان إلى القلعة وأنا بقيت أنظر ما
يكون منكم قال له أبو عبيدة فانظر أيما أحب إليك القتل
أو الإسلام ليس غيرهما شيء ❀ فقال الرجل أنا أشهد أن لا إله
إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله ورجع أبو عبيدة إلى
حصار قلعة حلب ❀ وأقام عليها أربعة أشهر وقيل خمسة
أشهر تما من يوم إلا ويلقوا المسلمون حربا شديدا ❀
وأبطأ خبر أبي عبيدة عن عمر بن الخطاب ❀ فكتب إلى
أبي عبيدة كتابا يقول فيه بسم الله الرحمن الرحيم من
عبد الله عمر بن الخطاب إلى عامله أبي عبيدة عامر بن الجراح

سلام عليك فإني أحمد الله الذي لا إله إلا هو وأصلي على نبيه
محمد صلى الله عليه وسلم واعلم يا أبا عبيدة لقد أبطأ خبرك
وقلة مواصلتك إلي بكثرة قلقي وبضيق صدري على إخواني
المسلمين وما يتولى لي ولا لقائي إلا وقلبي عندك ولم يأت
منك خبر ولا رسول وكتبت إليك يا أمين الأمة لا تكتب
لي إلا بالفتح والغنيمة واعلم يا أمين الأمة أني داع لكم
وقلبي متعلق بكم كما المرأة الحزينة على ولدها والسلام
عليك وعلى من معك من المؤمنين ورحمة الله وبركاته
وبعث الكتاب إلى أبي عبيدة فقرأه وقال يا معاشر المسلمين
إن كتاب أمير المؤمنين داعيا لكم وراضيا عنكم فإن الله تعالى
ينصركم ثم إن أبا عبيدة كتب جواب الكتاب يقول فيه
بسم الله الرحمن الرحيم من أبي عبيدة عامر بن الجراح إلى أمير المؤمنين عمر بن
الخطاب سلام عليك فإني أحمد الله الذي لا إله إلا هو وأصلي
على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم واعلم يا أمير المؤمنين أن الله عز وجل
قد فتح علينا قنسرين وشننا الغارة على أرض العواصم وقد
فتح الله مدينة حلب صلحا وقد عصى بطريقها يوقنا إلى قلعته
وفي القلعة خلق كثير وقد كاد ثائرا وقتل منا رجالا

رزقهم الله الشهادة وقد أردت الرحيل عنه وأطلب البلاد الذي
بينه وبين إنطاكية وأنا منتظر أمرك والسلام عليك ورحمة
الله وبركاته ثم طوى الكتاب وبعثه مع رجلين أحدهما
عبد الله بن قرط اليماني والآخر جعدة بن خيران اليشكري
وجعلا يسيران سيرا حثيثا أياما وليالي وجعلوا يجدون في السير
إلى أن قطعوا أرض حفان إلى صكاصكة وهي حصون العرب
قريبة من سماء فلما وصلوا إليها عارضهم فارس راكب على فرس
وعليه درع سابغ وبيضة عادية تلمع في شعاع الشمس معتقلا
برمح كأنه قد برز إلى القتال فلما نظر إليهما قصدهما قال
عبد الله بن قرط لجعدة بن خيران يا ويل عدوك ما تنظر إلى هذا
الفارس الذي عارضنا في مثل هذه الطريق قال له جعدة بن
خيران ليس في هذه الأرض من رفع عمدا ولا دق وتدا إلا وهو
معنا في شريعة محمد صلى الله عليه وسلم فلما قرب الفارس منهما
سلم عليهما وقال لهما من أين أنتما وإلى أين قصدكما قالا له أما
نحن فرسولان من عند أبي عبيدة بن الجراح إلى أمير المؤمنين
عمر بن الخطاب فمن أنت أيها الرجل قال أنا هلال بن زيد الطائي
فقالا له ما لنا نرى عليك آلة الحرب قال إني خرجت في قومي وجماعة

أنصارنا يريدون الشام للجهاد في طاعة رب العباد طائعين لكتاب
وورد علينا من أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ❁ فلما رأيتكما من بطن
البرية فصدقتكما لأنظر ما أمركما ولي أصحاب من ورائي مقبلين ثم
سلم عليهما وسار وإذا بالخيل قد أشرفت والإبل قد أقبلت
تتبع هلال بن زيد أو سالما إلى أن لحقا به وأخبرهم بقصة صاحبي
رسول الله صلى الله عليه وسلم ففرحوا بذلك وسار القوم يريدون
الشام ❁ وأما عبد الله بن قرط وجعدة بن خيران فإنهما وصلا
إلى المدينة ودخلوا مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وسلما
على عمر بن الخطاب رضي الله عنه وعلى المسلمين وناولاه كتاب
أبي عبيدة فلما قرأه استبشر وقال اللهم اكف المسلمين شره
فعند ذلك أمر عمر مناديه أن ينادي في الناس الصلاة جامعة فلما
اجتمعوا قرأ عمر عليهم كتاب أبي عبيدة فبينما هو يقرأ إذ وفد
عليه ركب من حضرموت وأقيال اليمن من حمير ذات وسبأ ❁
ومأرب يسألون عمر أن ينفذهم إلى الشام قال لهم عمر كم
عددكم قالوا نحن أربعمائة فارس وثلاثمائة مطية مردفين
ومعنا أناس يمشون وليس لهم ركائب فإن أحضر أمير المؤمنين
لهم ركائب يركبون عليها ويحملون أثقالهم حتى نصل

الى

إلى عدونا فقال عمر رضي الله عنه ويحكم يبلغ الذي معكم ما يبغي
وأن يعوزن رجلا قال عرب قالوا عرب وموالي لهم نواله حرسا وانصبهم
بالجهاد والمسير إلى عدوهم ❁ فعند ذلك دعا عمر بعبد الله ❁
وقال له امض إلى إبل الصدقة وسلم لهم منها سبعين بعيرا وقل
لهم جدوا إلى عدوكم ولا تفرقوا إخوانكم ❁ ثم إن عمر بن
الخطاب كتب إلى أبي عبيدة كتابا يقول فيه بسم الله الرحمن الرحيم
من عمر بن الخطاب إلى أبي عبيدة عامر بن الجراح سلام عليك
إني أحمد الله الذي لا إله إلا هو وأصلي على نبيه محمد صلى الله
عليه وسلم ❁ أما بعد فقد ورد كتابك علي مع رسلك فسرني ما
سمعت من الفتح وعلمت من قتل من الشهداء وأما ما ذكرت من
انصرافك عن قلعة حلب إلى النواحي التي قرب انطاكية
فمن الذي رأى أن تترك رجلا ملكت قريته وبلده ثم ترحل
عنه فتسمع أهل النواحي والبلاد بأنك ما قدرت عليه فيقعا
مذا رأى فيضعف رأيك ويغلو ذكرهم مما صنع ويطمع من لم
يطمع وترجع إليك الجيوش وتكاتب ملوكها فإياك أن
تبرح حتى يحكم الله وهو خير الحاكمين ❁ وبث الخيل في السهل
والسعة واكنفها في المضايق والجبال وعن الغيرات إلى الجهة

الله حوب ومن صالحك منهم فاقبل صلحه ومن سالك بالمهلة فامهله والله خليفتي
عليك وعلى جميع المسلمين وقد بعثت اليك كتابي هذا ومعه
أهل مشارق اليمن اصلي وهب نفسه لله ولرسوله ورغب في
الجهاد في سبيل الله وهم خيل وموال ورجال وفرسان والمدد
يأتيك منا الينا إن شاء الله تعالى ❀ ثم طوى الكتاب وختمه
بخاتمه ودفعه إلى عبد الله بن قرط اليمانية وأمر المسلمين
الواردين أن يخرجوا معه ولما رغب عبد الله بن قرط وجعل
ابن حنبل وجعل القوم تبعه وابتدأ المسير ومع ذلك يسألون
عبد الله بن قرط وصاحبه عن بلاد الشام وفتح البلدان
وقتال الروم إلى أن سألوهم عن مستقر المسلمين وأين
عسكرهم ❀ فقال لهم عبد الله بن قرط إن المسلمين محاصرون
قلعة حلب وفيها عظيم من عظماء الروم ومعه أعلاج من قومه
وقد تحصن في قلعته اعلموا أنه يا ابن قرط كيف يعجز عنها المسلمون
ولم يخلوا هل يعرف صالح من أصحابهم قال لهم عبد الله بن قرط
يا معاشر العرب إنه لم يفتر من دينه وقتله الملوك رجلا شجعا
من هذا وقد قتل رجالا ومنا ابطالا وإنه يغير على العسكر
في أوقات الغفلة فيقتل وينهب ويرجع إلى قلعته ودابه

أن المسلمين له محاصرون ومنهم من هو خائف منه البطل وكان له
يسمع كلامه ولهم خطة به يقولون إنه بطل شديد يتحسس البلد
دامس ويكنى بأبي الهول مشهور باسمه وكنيته ولو كان ايكة
كثيرا الشر لجعلنا مثله كأنه القلعة الشرقية تجارها وشيله
شامخ بمكره وغلا الأمر وحلال قلعته في بلاد وحلس وقنو وأوديتهم
حضر حمص وحماة ومعرة وأرض الشجرة والطالقا لا نبال
وذهب أموال الحاجر وهكذا قائع قبل الكعب الأمر وكذا الحبل
الإيمان ❀ فلما سمع الهاشمي ذلك عجب وهمه ثم انبعث المسلمون
قال فعند ذلك التفت إلى قرط بن الشريك أخا العاقوب كيف لي لن كان المسلمون على
بلاد بن ربيعة أما الله تبارك فلما سمع عبد الله بن قرط كلامه يقول له
هذا الملعون كيف في تقية يا ابن الفقهاء لتتبلج في تفصيل
أما لا تعلمنا وشيئا الأبلغه وبحسبك ما تسمع أذناك بعثالك
المسلمين وأن كان الموحدين لا يسلكن طريق ولا محلته منا بالولد
ومع ذلك لا ينتهي ولما لمع على الشرقية إذا كان ملوك
الروم ولم يصر بها الأرض لقال كاطعن أو قتل الأمر عظيم
قال عبد الله بن قرط والله لولا كان ليزعني للمسلمين بدفة الإسلام
لكنت أرك بيك فقلت له ما أحد لأن تحتمي ترى أحدا من الرجال ❀

فقال الشيخ فصل لي من رأيته من أهل حضرموت من طعنا وكيف قاتلتها
وتحمل لعنة فرقتها ورجال قاتلوا والموالي أفنيتها فلا قطعتها
ولا يلحقنا لو حل حامد ولا يدخل لي بثار ولا ألحقني عجف لمولى
والنبي محمد بأنني حكم الرحمن فنزل ❀ ثم تركهم ملتمسا
وعدا وأمانا للناجين وبات قوما من العرب قالوا العهد لنا أنه
أبو قرط يا أيها الملك نحن قد شفعنا علينا وعون لنا إنك لمحافظ
لرجل لتحرك منه للبعيد ويعين لنا عليه الأمر البعيد
لا يقوله الرجال ولا يمنعهم عن الأبطال من يطلب
ولا يقومون لنا يوم حرب قال لهم حبيب الله فما لقينا الحرب لهم
في وقتل كيف نرجو أن يجعل الله فينا خير المسلمين وفرحا
ثم أخذ القوم محلتة وربط المنبر حتى قتلوا قولا من قبلنا
ومنى الله بعقبه حتى لنا ذلك بحيث المسلمين لعل ملك حلب لا
فيما أنتم هذا القوم على جيش المسلمين أخذ لواء فيه نحو
واشهروا على الأخيل ونفروا ... وكبروا بأجمعهم
فأجابهم المسلمون فوق لأصوات التكبير والتهليل من كل جانب
وناحية وما استقبلهم أبو عبيدة وسلم عليهم وقربهم لكل
قوم عند ... وبنى خيامهم وذلك أن يوقنا ملكا يقاتل المسلمين

لا يخرج إليهم إلا في الليل وما كان نجم على المسلمين إلا في وقت
غفلاتهم ❀ فلما نظر المسلمون الواقفون إلى غلق الحرس وصحت
بالتكبير وشدة حذرهم أقبل دارس ثم أصله إلى بني عمه من الطريق
وقال لهم والله أنتم الحاضرون لا محالة قالوا وكيف ذلك
قال دارس لأن قد وكتم في قلعتي وأنتم في فضاء من الأرض
لا عدو يقبل إليكم ولا عنكم بإزائكم ❀ فما هذا الخوف
وما هذا القلق قالوا العم يا أبا الهول إن صاحب هذه القلعة
علج مشؤوم قد غرتنا ما يغير علينا ويقتل منا بينما هو في
الخطاب مع دارس إذا بضجة عظيمة قد وقعت في عسكر
المسلمين فوثب دارس وقد انتضى سيفه وتنكب جحفته
وطلب الموضع الذي فيه الضجة وإذا بيوقنا قد وجد غفلة
وقد هجم على المسلمين بجيش قومه فلما نظره دارس إلى
الروم حمل على الروم وجعل يقول ❀
أنا أبو الهول والسلمي دارس ❀ أكر في جمعهم مداعس ❀
قال الواقدي وجعل دارس يضرب في أعراض الروم وما
كان يتبعه رجال من قومه من بني طريقة ❀ فلما
نظر يوقنا إلى ما نزل بهم تقهقر إلى ورائه وقد قتل من رجاله

بابه دخلوا الى الباب التي كان دامس رضي الله عنه يذكر فيهم مكرا
وتبعهم الى دامس المقاتلة وكعدة من ورائهم فنادى فيهم ابو عبيدة
عزيمة مني عليكم لا يتبعهم احد منكم ۞ فقالت الناس
يا ابا الهول الامير يقسم عليك وعلى من معك ويامرك
بالرجوع فرجع دامس ورجعت الناس وقد قتلوا اهل
كنيسة قتلا كثيرا والناس قد فرحوا بقتل من المشركين
فلما اصبحوا اجتمعت الناس للصلاة مع ابي عبيدة فلما قضيت
الصلاة وتفرق الناس ولم يبق الا نفر يسير فعلوا
يتذاكرون ابطالهم فقال خالد بن الوليد اصلح الله
الامير لقد رايت البارحة خندقة وقد ابليت بلاء حسنا
وقد تقدمت رجالها وتعلقت بحيطانها وان الذي فعله حيلة
الروم وما اقد عنهم فيقولون ان [illegible] دامس الجاهل ابو الهول
فقام الى ابي عبيدة رجل من اهل حضرموت يقال له سراقة
ابن مرداس بن مكرب الحضرمي ۞ فقال اصلح الله الامير
ان دامسا ابو الهول وهو مولى ابن ظالم بن بدر مع مولاه
للموفقين الذين قدموا بالامس علينا وهو بطل تعرفه الرجال
وتعرف له صنايع الابطال وبه لنا الاقران فلا يقولوا [illegible] لا يضعفه

عليه عادية قال ابو عبيدة فلا ما نسمع [illegible] لامرئ [illegible] بن عمرو بن فراس
في عبد منه ۞ قال له انعم الله الامير انه الصادق وقد
سمعت بذكره اي اخبرت عن شجاعته ولقد اخبرني رجل
يقال له مسعود بن عمرو الهمداني انه واليا معه اغار عليهم مرة
وعلى ساحل البحر حلة فيها [illegible] رجلا من اهل مهرة وعند الله
دامس [illegible] الابطال [illegible] القوم وكانوا
يخافون منه [illegible] فكانوا مع ذلك [illegible]
[illegible] البحر [illegible] الى الشرف [illegible] الجبال [illegible] ساحل البحر
[illegible] وكان مع ذلك يسأل عن اخبارهم
فلما [illegible] على البحر استصرخ قومه
[illegible] عليهم فلم يفعلوا وكان مع ذلك [illegible]
[illegible] ۞ فلما كان [illegible] داخل
الى [illegible] على ما [illegible] فلما [illegible] اهل
[illegible] الى [illegible] على [illegible] اقبل [illegible] وقالوا له
الى اين يا ابا الهول [illegible] معك فقال يا قوم
اريد المخاطرة على [illegible] الثار [illegible] عني
[illegible] ۞ فقلنا له [illegible] ما رأينا اعجب من [illegible]

أَنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ بَنِي الشُّعَرَاءِ فِي سِتِّينَ رَجُلًا فَمَنْ يُرِيدُ بِغَيْرِهِمْ عَلَيْهِمْ يَأْخُذُ
مَعَهُ رِزْمَةً وَثِيَابًا مِمَّا سَمِعْنَا هَذَا الْإِمْسَاكَ فِي هَذِهِ السَّاعَةِ
وَإِنَّمَا نَرَاكَ أَنْ تَقْضِيَ هَذَا حَوَائِجَنَا وَكَانَتْ جَوْدَةُ الْأَمَةِ لِبَنِي حَسَّاسٍ
مِنَ الْحَطَبِ رَمَقَهُ وَكَانَتْ بِقَرْيَةٍ مِنْ قُرَى حَضْرَمَوْتَ يُقَالُ
لَهَا السَّقَلَةُ وَكَانَ ذَا مَالٍ يَضِيقُ بِهَا وَكَانَ كُلَّمَا يَأْخُذُ مِنَ
الْأَمْوَالِ وَالْخَيْلِ وَغَيْرِهَا بَيْنَ ظَهْرِ جَمِيلَةَ إِلَيْهَا وَلَا يُظْهِرُ عَلَيْهِ
حِكْرَتَهُ فَظَنَّ الْقَوْمُ أَنَّهُ مَاضٍ إِلَيْهَا ✿ فَقَالَ لَهُمْ إِنَّهُ
بَاطِلٌ مَا تَظُنُّونَ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ أَنِّي لِمَا أَقُولُ إِلَّا الْحَقَّ
فَتَرَكَهُ قَوْمُهُ وَرَحَلُوا وَسَارَ وَحْدَهُ حَتَّى مَرَّ عَلَى مَرَاعِي قَوْمِهِ
فَأَخَذَ رَاحِلَتَهُ مِنْ إِبِلِهِ وَأَخَذَ سَيْفَهُ وَجَحْفَتَهُ وَوَطَّنَهَا
بِالرِّزْمَةِ عَلَى كُورِ النَّاقَةِ مِنْ تَحْتِهِ وَجَعَلَ يَسِيرُ يَوْمَهُ وَلَيْلَتَهُ
حَتَّى إِذَا كَانَ فِي آخِرِ اللَّيْلِ عَطَفَ بِالرَّاحِلَةِ إِلَى بَعْضِ
الْأَوْدِيَةِ فَحَلَّ عَنْهَا رَحْلَهَا وَأَبْرَكَهَا وَعَقَلَهَا بِفَاضِلِ زِمَامِهَا
وَتَرَكَهَا تَرْتَعُ وَهِيَ مَعْقُولَةٌ ثُمَّ انْصَرَفَ مِنْ بَيْنِ حِجَارَةٍ مِنْ ✿
وَكَانَ قَرِيبًا مِنَ الْحَيِّ وَكَانَ لَا يَخَافُ أَنْ يَدْرِيَهُ
أَحَدٌ فَلَمَّا مَضَى النَّهَارُ وَأَقْبَلَ اللَّيْلُ أَقْبَلَ إِلَى رَاحِلَتِهِ
فَحَلَّهَا وَاسْتَوَى عَلَى كُورِهَا وَسَارَ حَتَّى مَضَى مِنَ اللَّيْلِ

أكثره

أَكْثَرُهُ أَشْرَفَ عَلَى إِبِلِ الْقَوْمِ فَعَدَلَ بِهَا قُدُمًا إِلَى جَانِبِ الْوَادِي وَكَانَ
فِي ذَلِكَ الْوَادِي شَجَرٌ مِنَ الطَّلْحِ وَالسِّدْرِ وَإِنَّمَا بَعُدَ لَمْ يَأْتِهِ نَاقَتُهُ وَجَرَتْ مِنْ
شِدَّةٍ فَمَا لَبِثَتْ أَنْ تَرْعَى فَهَيَّجَ الْقَوْمَ ✿ فَلَمَّا عَقَلَهَا عَمَدَ إِلَى الرِّزْمَةِ
فَحَلَّهَا وَأَخَذَ مِنْهَا أَعْوَادًا وَأَخَذَ مِنْ تِلْكَ الشَّجَرِ قُضُبًا فَنَصَبَ
لَهَا سَاقَةً وَيَشُدُّهَا بِالْجُلُودِ وَيَلْبِسُ عَلَيْهَا بِمِقْدَارِ قَامَةِ الرَّجُلِ وَلَمْ
يَزَلْ حَتَّى أَقَامَ أَرْبَعِينَ عُودًا وَجَعَلَهَا صَفًّا وَاحِدًا لِمُقَابِلِ الْبُيُوتِ
أَبْوَابِ الْبُيُوتِ مِنْهُ ✿ ثُمَّ إِنَّهُ لَبِسَ سِلَاحَهُ وَتَنَكَّبَ جَحْفَتَهُ وَالتُّرْسَ
إِلَى الرَّمْلِ الْأَحْمَرِ وَهَبَطَ مِنْ ذَلِكَ التَّلِّ وَقَصَدَ الْحَيَّ وَكَانَ
رِيحًا مِنْهُمْ بَيْنَ تَفَصُّلٍ مِنَ اللَّيْلِ أَكْثَرُهُ ثُمَّ أَقَامَ إِلَى
طُلُوعِ الْفَجْرِ فَلَمَّا قَرُبَ مِنْهُمْ صَاحَ فِيهِمْ وَقَالَ قَدْ أَتَاكُمُ
الصُّعْلُوكُ وَلَقَدْ أَخَذْتُمْ مِنَ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ✿ ثُمَّ جَعَلَ لَهُ
دَأْبُهُ يَصِيحُ بِأَعْلَى صَوْتِهِ يَا آلَ كِنْدَةَ فَلَمَّا وَقَعَ صَوْتُهُ فِي
مَسَامِعِهِمْ [illegible] وَوَلَّى الْقَوْمُ
مِنْ خَيْلٍ [illegible] عَنِ الْبُيُوتِ هَارِبًا إِلَى نَحْوِ الْجِبَالِ وَهُوَ مِنْ
خَلْفِهِمْ فَلَمَّا رَأَوْهُ وَجَعَلَ يُشَجِّعُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا [illegible]
يُقَاتِلُونَهُ وَقَدْ ظَنُّوا أَنَّهُ [illegible] وَحْدَهُ [illegible]
عَلَيْهِمْ وَيَرْجِعُ عَنْهُمْ وَيَقْتُلُ مِنْهُمْ رَجُلًا بَعْدَ رَجُلٍ ✿ فَلَمَّا

نظروا الى عدة بأسه وقوة مرابطه أراد وأن يلجئوه الى البحر ليلقوه
فوقه فلما نظر إليهم وقد قاربوا الأعواد جعل يخاطبهم ويقول يا آل
كندة يا آل طريف تقولون أنا لكم أنا أكفيكم في القوم فقد رأيت
القوم أبصارهم فنظروا الى الثياب على الأعواد فظنوا أنهم رجال
ولوا راجعين نحو البحر ❁ ودامس يقول لولا عوالج الآبية خرج أحد
منكم من مكانه وأنا أكفيكم في القوم ومروا الى مهرة الكثيب
نحو البحر فهذا قد أردف زوجته وهذا أخته وهذا أمه قال فعليهم
ورجع دامس الى الحي فلم يلق الا شيخا كبيرا والعبيد والصبيان
فأمر العبيد أن يقربوا الجمال فقربوا ذلك له وحمل على الجمال
الأثقال وعلق النساء والعبيد وأخذ كلما في الحي وقال لهم
فلما اقتحم على الجادة تأخر عنهم وتركها لما الريح العاصف إلى
ورائه وأخذ ما كان على الأعواد من الثياب لكيلا يرجعوا
أهل الحي فيه وما فعلوا الا حيلة عليهم وسار دامس حتى لحق
بقومه ❁ فلما نظر أهله فعاله وما صنع فرحوا بعينه فلما سمع
أبو عبيدة بذلك من خالد بن الوليد قال يا ابن مرة كلما لقي أخيار
بعيد كل شيء نزاله وتسمع خطابه فما كان غير بعيد حتى
أتى به سراقة ابن مرة وابن فقال له أبو عبيدة أنت ذا مس

فقال نصر أصلح الله الأمير قال له أبو عبيدة لقد بلغني عنك عجائب وأنت
أهل لذلك لأنك رجل من الرجال والعلم أنك وقومك تقاتلون
في بلاد وسهلة لا تعرفون الجبال ولا القلاع ولقد اقتحمت البارحة
نار أعداء الله فلا دلت نفسك من هذا الخطر يقين يوقنا قال
دامس أصلح الله الأمير اعلم أنني قد عزمت على آل مهرة مرات
أخذت أموالها وهي جبال عاليات وعرات وما هذا الجبل
أمنع من تلك الجبال ❁ فقال أبو عبيدة قد أراني أراك عجبا فهل
حدثتك نفسك بشيء من أمر هذه القلعة فقال دامس أصلح الله
الأمير اعلم أنني لما قدمت عليك رأيت في طريقي رؤيا فقال له
أبو عبيدة وما الذي رأيت قال رأيت كأنني سائر في وطاة
من الأرض وأنا الحجة لقومي وكأني قد انقطعت عنهم وقد
سبقوني إلى مغارة أرادوها على قوم فبينما أنا مجد في سيري
إذ أشرفت عليهم وإذا هم حائرون لا يتقدمون ولا
يتأخرون ❁ فناديتهم يا قوم ما شأنكم فقالوا إلى القوم
أما تنظر إلى هذا الجبل الذي عارضنا في أمر هذه
الطريق وليس لنا فيه مطلع ولا منفذ فقلت لهم أما ترون
إلى قلة الجبل قالوا فيها نت وليس لنا وصول إليها تلتمس من

أي شيء قالوا إن فيها ثعبانا عظيما لا يقربه أحد إلا قتله فقلت ألا
تهجموا إليه بأجمعكم فقالوا إننا لا نقدر لأن النار تخرج من
أنفاسه ❁ قلت لهم فالتمسوا طريقا من غير طريقه فقالوا إننا
لا نقدر لأنه عظيم الخلقة فتركتهم والتمست مكانا فلم أر إلا
مكانا صعبا فاقتحمته وما ملكته إلا بعد مشقة عظيمة وأتيت
من وراء الثعبان فقتلته وأشرفت إلى قومي فتبعوني فما وصلوا
إلا بعد جهد عظيم فاستيقظت من منامي فرحا مسرورا فقال
أبو عبيدة خير رأيته وخيرا يكون يا دامس رؤياك للمسلمين
بشارة وللكافرين خسارة ❁ ثم إن أبا عبيدة قام قائما
ونادى بأرفع من صوته الله أكبر الله أكبر رؤيا حسنة
فمن أراد أن يسمعها فإن تفسيرها فتح للمسلمين إن شاء الله تعالى
فلما اجتمع الناس قام أبو عبيدة فحمد الله وأثنى عليه وصلى
على النبي صلى الله عليه وسلم وقال معاشر المسلمين إن الله
عز وجل قد وعدنا في كتابه وعلى لسان نبيه بالنصر
والظفر على الأعداء وما كان الله مخلف وعده رسله وإني
نذرت إن فتح الله هذه القلعة على يدي أن أصنع من البر
ما استطعت وإني وقع في قلبي أننا ظافرون بهذه القلعة ومن

فيها

فيها إن شاء الله تعالى ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ودليلي على ذلك
رؤيا هذا الغلام دامس أبي الهول ❁ ثم قبض أبو عبيدة بكفه
على زند دامس وقال حدث إخوانك بما رأيت فقام دامس وقال
اعلموا يا معاشر السادات أني رأيت في منامي كذا وكذا وجعل
يقص على الناس رؤياه فلما فرغ منها أقبلت المسلمون على أبي عبيدة
وقالوا أيها الأمير قد سمعنا رؤياه فما تفسيرها فقال أبو عبيدة إن
الجبل الذي ذكر أنه عال شامخ شديد الامتناع فهو دين
الإسلام وأما الثعبان الذي رآه وهجم عليه فهو فرج وفتح
يكون على يديه ففرحت الناس بتأويل أبي عبيدة رضي الله
عنه ❁ ثم قال أيها الأمير فما الذي تأمرنا به قال آمركم
بتقوى الله سرا وجهرا ثم المكيدة لأعداء الله وأعدائكم
ارجعوا رحمكم الله إلى رحالكم فأصلحوا ما تحتاجون إليه
فإني أريد غداة غد أنفذكم إلى أعدائكم ثم تفرقوا
بأجمعهم إلى رحالهم فجعل هذا يحد سيفه وهذا يصلح
قوسه وهذا يفتقد درعه وهذا يتعاهد فرسه ❁
ولم يزالوا على هذا بقية يومهم وليلتهم فلما أصبحوا دعا
أبو عبيدة بدامس وقال أيها الرجل المجتهد ما ترى من أمر

هذه القلعة وما الذي عندك من الحيلة فقال داميس أيها الأمير إنها قلعة
عالية مانعة حصينة لا ينفع في أهلها محاصرة ولا تضيق صدورهم
من قتال غير أني أفكرت في حيلة وأرجو أن تتم عليهم قال
أبو عبيدة وما هي قال داميس أصلح الله الأمير أنت تعلم أنه من كتم
سره ملك أمره وكانت الخيرة على يديه ۞ فقال له أبو عبيدة
وما الذي تشير به وتعتمد عليه قال داميس تزحف أنت بجميع
العسكر وتنزل بإزاء القلعة ليظهر لهم منك الحرص والهيبة
واهتم أنا فيما أحتال به وأرجو من الله الفتح والنصر ولا حول
ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ۞ فأمر أبو عبيدة مناديه فنادى
في الناس بالرحيل فرحلوا ونزلوا بباب القلعة فوقع في
قلوب المشركين الرعب ومشوا إلى بعضهم البعض فقال قوم
تقاتلون ۞ وقال آخرون نقعد في قلعتنا فلا يصلون إلينا
فاتفق رأيهم على القتال فقاتلوا المسلمين وهم على السور
بالمنجنيقات والحجارة وأقاموا على ذلك يقاتلون ليلا ونهارا
وأقام المسلمون بإزاء القلعة في حصارها بعد أن مر على داميس
سبعة وأربعون يوما وداميس يعمل في كل يوم حيلة
فما وصل إلى ما يؤمله ۞ فلما كان بعد السبعة والأربعين

يوما

يوما أقبل داميس إلى أبي عبيدة وقال أيها الأمير قد عملت في
كل يوم حيلة أن أصل إلى القلعة فلم أجد إلى ذلك سبيلا وقد
أفكرت في شيء نرجو من الله أن يظفرنا به قال له أبو عبيدة
وما الذي تحتاج إليه قال داميس أريد من رجالك من صناديدهم
ثلاثين رجلا وتأمرهم لي بالطاعة وقلة المخالفة ۞ قال
أبو عبيدة حبا وكرامة ثم جمع إليه ثلاثين رجلا من أبطال
المسلمين ۞ فلما حضروا قال أبو عبيدة يا معاشر المسلمين اعلموا
أني قد أمرت عليكم داميسا أن تطيعوه ولا تخالفوه ولم يكن
هذا احتقارا بحقكم أن تقولوا أمر علينا عبدا والله لولا ما
يلزمني من تدبير هذا الجيش لكنت أنا أول من يطيعه فقالوا
أيها الأمير إننا نعلم موضعنا منك ولا نشك في اعتزازك
بنا وإن كلامك الأول أثر في قلوبنا وها نحن بين يديك
ولو أمرت علينا علجا أغلفا أطعناه إذا كان في طاعته
نفع للمسلمين فالسمع والطاعة لله ثم لك أيها الأمير ففرح
أبو عبيدة بمقالتهم ووثق بكلامهم وقال لهم اعلموا أن
نفسي تحدثني أن فتح هذه القلعة يكون على يدي هذا العبد
لأنه دقيق الحيلة حسن البصيرة شديد المنعة و[illegible] بالله

وتوكلوا عليه وقد تعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد ولاه

تولاه على سائر العرب والأشراف ثم قال أبو عبيدة يا دامس ما

الذي تحب بعد هذا قال ترحل أنت وجيشك في وقتك هذا بشرط

تكون منا على مسيرة فرسخ فتنزل بالمسلمين هناك وتأمرهم بقلة

الحركة وليخفوا أمرهم ما استطاعوا وتأمر أنت رجلين من النجبا

يتجسسون أخبارنا من غير أن يعلم بنا أحد ولا يكون معهما سلاح إلا

خناجر فإذا عاينوا منا ظفرا فليأتيا إليك ويعلموك بخبرنا

وليأتونا بالخيل عاجلا وليكونا متفرقين ولا يكونا في موضع واحد

فذلك أسلم لهما والله المستعان ثم إن دامسا قال لأصحابه يا

معاشر الفتيان امضوا بنا حتى نكون في هذا الجبل ما دام المسلمون

يسيرون للروم والروم مشرفة عليهم وليكن كل واحد منكم

معه سيفه وحجفته ولا يكن معه قوس ولا رمح فلما كملوا بين

يديه لبس لأمة حربه وأخذ مزاوده وساروا وهم يخفون

أمرهم حتى وجدوا مغارة فدخلوا فيها وجلس دامس على باب

المغارة قال الواقدي رحمه الله ثم إن أبا عبيدة أمر المسلمين

بالرحيل وكانت لهم ضجة عظيمة وضجة بالتهليل وأشرفت

عليهم الروم من فوق القلعة فنظروا إليهم يرحلون ففرحوا

بذلك

بذلك وأخذت المسلمين الزعقات من كل جانب وسار أبو عبيدة

حتى غاب عن حلب فتزوحت الروم بذلك فقالوا لبطريقهم أيها

السيد افتح لنا الأبواب حتى نحمل على العرب فلعلنا أن نأسر منهم

أو نقتل فنأخذ ثأرنا ولم يزل القوم كذلك بقية

يومهم فلما كان وقت صلاة العتمة أقبل دامس على أصحابه

وقال من منكم ينطلق إلى القلعة ويأتينا منها بخبر أو بأسير رجلا

حتى نستخبره فلم يجبه أحد فنادى فيهم ثانية وثالثة فلم يجبه أحد

فقال دامس أنا أعلم أن ما في الجماعة إلا من هو ضنين بنفسه

ثم قال دامس لهم لا كسر الله لكم فانتظروا ولكن تكونون

ثم تركهم وغاب عنهم ساعة وأقبل إليهم وقال أنا وحدي علي فقال لأصحابه

دونكم ومكانكم فقالوا نحن كذلك وهم لا يعلمون ما يقول ثم غاب

دامس وأتى إليهم بآخر فجعل يكلمهم وهم لا يعلمون ما يقول

ثم غاب دامس وأتى إليهم بآخر بعده فما أتوهم فلم يعلموا ما يقول له

ثم غاب دامس وأتاهم بثالث لأنه أسر فلم يكن فيهم من يعرف

بالعربي شيئا فقال لهم دامس لعن الله هذا ولا إلها أشنع لعنهم ثم

تركهم دامس وغاب إلى نصف الليل ولم يأت فقلقوا أصحابه

عليه قلقا شديدا وقال بعضهم لبعض إننا نظن دامسا قد قتل

وأرادوا الرجوع إلى عسكرهم وهم آيسون مما أملوا وإذا بدامس
قد أقبل إليهم ومعه علج يقودونه فتواثبوا إليه يقبلونه ويسألونه
عن إبطائه وقالوا لقد حدثتنا أنفسنا بالعظائم لإبطائك عنا
فما الذي أبطأك عنا ❁ قال لهم لما خرجت عنكم قربت من سور
القلعة فجعلوا يطمطمون بلغاتهم ويرمون بالحجارة وأنا لا
أتعرض لهم كل ذلك وأنا أطلب من يتكلم بلسان العربي حتى أيست
فهممت بالرجوع فلم أدر إلا بخبطة عظيمة تتقدم ووقعت من أعلى
السور فأسرعت إليها لأنظر ما هي وإذا به مثل العلج
قد وقع من أعلا السور فأخذته وأتيت به فتكلم ولم يدروا
ما يقول لهم وإذا به قد انفتلت رجله وانفضت الجبهة فقال لهم
دامس علي بالملك فأنا أتيتكم بمن يتكلم فأسرع دامس وغاب
ساعة وأتى برجل يقوده بعمامته حتى لمثله بين أيديهم
قالوا له أنت من المكمنة أو من القلعة فقال لا أنا من العرب
المتنصرة قال له دامس هل لك أن تطلعنا على عورة القلعة
لعل نلحق أعداءنا فيها ❁ فقال يا هؤلاء إنما أعرف لها عورة
ولو علمت لها عورة لما يمكنني ديني أن أفعل ذلك
فعند ذلك اضرب أعناق الجميع وعمد دامس إلى مزاوده

فأخرج منها جلدا أملس فألقاه على ظهره وأخرج كعكا يابسا وقال
لأصحابه بسم الله استعينوا بالله وتوكلوا على الله واخفوا أمركم
ما استطعتم وقدموا الخيرة في أمركم فإني معول على فتح هذه القلعة
إن شاء الله تعالى قالوا يا دامس عزمنا ولا حول ولا قوة إلا بالله
العلي العظيم ❁ ثم قام القوم المسلمين يقدمهم دامس ثم بعث
رجلين إلى أبي عبيدة يخبرانه بشأنهم ويبعث لهم الخيل عند
طلوع الشمس ❁ فانطلق الرجلان وصعد دامس ومن معه في ظلام
الليل ودامس على المقدمة يتنسم لهم الأخبار وهو يمشي
على أربع وقد جعل الجلد على ظهره وكلما أحس بشيء قرض الكعكة
كأنه كلب يقرض عظما والمسلمون من ورائه يخفون أثرهم
تارة ويمشون تارة ويستترون بالحجارة ولم يزالوا كذلك
حتى قاربوا القلعة فسمعوا الحرس وزعقات الرجال والحرس تدور
فجعل دامس يدور حتى أتى هو وأصحابه إلى برج من أبراج القلعة
وإذا بقصر عند ذلك البرج والموكل بحرسه قد نام ولا في
القلعة أقصر من ذلك البرج ❁ فقال دامس لأصحابه ما ترون
إلى هذه القلعة وعلوها وتحصينها وليس لنا حيلة إلى الوصول
إليها فما الرأي عندكم قالوا له يا دامس الأمر أمرك

والرأي رأيك وما فينا أحد يخالف لك قولا والقتل عندنا أهون
من الرجوع بلا فائدة ولا فينا أحد يتأخر عنك ولا نموت إلا
تحت ظلال السيوف في طاعة الله ورضا إخواننا المسلمين
فقال لهم دامس شكر الله لكم فعالكم وإذا تكاملت الظلمة
وإذا كان ذلك بعينكم فاطلبوا السور ثم إن دامسا حمل
إختار من أصحابه ستة رجال كالأسود فالغيور أري بهم
إن دامسا جلس وأخذ واحدا منهم على كتفيه وأمر كل واحد
وأخذ أنه يطلع على منكب صاحبه ويمسك الجدار إلى أن
تكاملت السبعة على مناكب بعضهم بعضا فعند ذلك قام الأول
وقام الثاني إلى أن قامت السبعة ودامس تحتهم حاملهم
حتى وصل أعلاهم إلى شراريف البرج وتعلق بها ثم قفز
فصار في أعلا السور ونزل داخله فنظر إلى حارس في البرج
وإذا هو نائم فأخذه بيديه ورجليه ورمى به إلى أسفل
فلما نظروه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قطعوه
بالسيوف وصادف له صاحبين رقودا فذبحهما بخنجره ورماهما
إلى أسفل الأرض ثم أرخى عمامته إلى صاحبه الذي كان
على منكبه فتعلق بها فإذا هو معه على السور وجعلا

يفعلان كذلك بأصحابهما إلى أن مضى الأمر لدامس فدلوا
حمائلهم وتعاونوا عليه حتى صار معهم ثم قال لا يتحرك منكم
أحد حتى أعرف لكم خبر القوم ثم أقبل دامس مستترا فا
على وسط القلعة فإذا هو بسادات الروم وقوادهم وسادتهم
في مجلس واحد وهم بين أيديهم بواطي الذهب والفضة ويوقنا
جالس في أوسطهم على بساط من الديباج الأحمر وعلى
رأسه تريكة من اللؤلؤ الرطب متعصب بعصابة من الجوهر
والقوم يأكلون ويشربون والمسك يتنشر عليهم فأقبل
دامس إلى أصحابه وقال لهم إن الروم خلق كثير وإن نحن
هجمنا عليهم لم نأمن من الغلبة لكثرتهم ولكن ندعهم في
أكلهم وشربهم فإذا كان وقت السحر هجمنا عليهم
بسيوفنا وتكون الرجلان قد وصلا إلى أبي عبيدة وأعلماه
بخبرنا فعسى أن تدركنا الخيل فقالوا له ما نخالف لك
أمرا وقد حصلنا في قلعة الروم ولن ينجينا إلا الله والشدة
والحزم فلما سمع دامس ذلك منهم قال قفوا حتى أقتل
البوابين وكان للقلعة بابان بينهما دهليز يغلق
الباب من داخل والرجال من داخل بالعدد والسلاح كلهم

كل لسلك على ثلاثة رجال بالنوبة فأقبل دامس إلى الباب
فوجده مغلوقا من داخله فلما علم ذلك عليه فقصد دامس إلى
ركن الباب فقلع عنه حجرا عظيما ودخل من موضع الحجر ومعه
البوابين وقوموا فقتلهم وفتح البابين الذي داخل القلعة
والذي خارج منها وترك البابين مفتوحين ورجع إلى
أصحابه فأعلمهم بذلك وقد صار الوقت سحرا فقربوا لــ
دامس يا فتيان العرب قد قتلت لكم البوابين وفتحت لكم
البابين فدونكم والأبواب فاملكوها من أعداء الله تعالى
الصحابة رضي الله عنهم وامتشقوا سيوفهم وتنكبوا حجفهم
وجعلوا يخفون أشخاصهم ويكتمون أمرهم إلى أن وصلوا إلى
باب القلعة وأخذ كل واحد منهم مكانه فعند ذلك
هجمت عليهم الروم وقصد لهم الأبطال وصاحت
الروم كيف تمت هذه الحيلة علينا وصرخ بعضهم يونقنا
واختلطت الروم المواضب وعلا التكبير من المسلمين
قال ابن أوس القرشي لقد قاتلت الرجال
وقاتلت الأبطال فما رأيت منا لا أشد بأسا ولا أقوى
مراسا في ذلك اليوم من دامس رحمة الله عليه ولقد عددنا

في بدنه بعد انفصالنا من الوقعة ثلاثة وسبعين جرحا فبينما
نحن في أشد الحرب وقد جرحت رجالنا وأشرفنا على الهلاك
وأيقنا بالموت بددا وواحدا وكنا يومئذ ثمانية وعشرين رجلا
فقتل منا ثمانية منهم أوس بن عامر الجرهمي وأبو ماجد بن سراقة
الحميري والبارع بن المسيب التميمي ومرارة بن مراد الغنوي
والربيع بن خالد العبدي من بني عبد الدار وهلال بن تغرب
الخثعمي وأمية بن فادع الداري والأسود بن ملاعبة بن
مقدام بن عروة الحضرمي **قال الواقدي** ولقد
حدثني نوفل بن سالم عن جده عويلمة بن جارح وكان ممن
حضر مع دامس في قلعة حلب لما قتل منا ثمانية من أصحابنا
وبقي منا عشرون رجلا وتكاثرت الروم علينا في أزيد من
أربعة آلاف فارس إذا أشرف علينا خالد بن الوليد في
ألف فارس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك
أن الأمير أبا عبيدة كان قلقا علينا متشوقا إلى أخبارنا
وكان قد ألقى خالدا بالقرب منا فأول ما لاقاه الرجلان
أخبراه بصعودنا إلى القلعة فأقبل إلينا مسرعا فوجدنا في
القتال الشديد فلما وقع الصايح بقدوم خالد بن الوليد

صعدت الروم على سور القلعة وأشرفوا على الخيل الذي فيها خالد ❁ قال أوس فلما سمعنا تكبير المسلمين قويت قلوبنا
واشتد بأسنا على القتال وضربنا في الروم ضربا شديدا
فعند ذلك دخل خالد بمن معه إلى القلعة فلما نظرت الروم
إلى المسلمين علموا أن لا طاقة لهم عليهم فحطوا السلاح وصاحوا
الفوز الفوز فكف المسلمون عنهم القتال فبينما هم كذلك
إذ أشرف عليهم أبو عبيدة بعساكر المسلمين وأبطال
الموحدين فقال المسلمون له أيها الأمير إن الروم طلبوا الأمان
وإن المسلمين كفوا عنهم القتال ثم أمر أبو عبيدة بإحضار
رجالهم ونسائهم وأعرض عليهم الإسلام فكان أول
من أجاب إلى الإسلام بطريقهم يوقنا رحمة الله عليه وجماعة
من ساداتهم فرد عليهم أبو عبيدة أموالهم وأهاليهم ثم
أطلق منهم فلاحين وأخذ عليهم العهود والمواثيق أن لا
يتعرضوا إلى أحد من المسلمين ❁ ثم أطلق شيوخهم وعجائزهم
فانطلقوا يريدون الدروب وأخرجت المسلمون من
الذهب والفضة وأواني الذهب والفضة ما لا يقع عليه
العدد فأخذ أبو عبيدة منه الخمس وفرق الباقي على

المسلمين وأخذت الناس في حديث دامس وحيلته وأقاموا يومهم ذلك
وهم يعالجون جروح دامس إلى أن برئ من جراحاته ❁ ومن كان
جرح من المسلمين ❁ ثم إن أبا عبيدة دعا المسلمين إليه وشاورهم
وقال إن الله عز وجل قد فتح هذه القلعة على أيدينا
وما بقي موضع نطلبه إلا إنطاكية ❁ وهي دار ملكهم
وكرسي عزهم ❁ وفيها بقية ملوكهم فما ترون من الرأي
الرشيد ❁ فقام إليه البطريق يوقنا وقال بلسان عربي أيها
الأمير إن الله عز وجل أيدكم ونصركم على عدوكم وما
ذلك إلا أن دينكم هو الدين المعروف إنه الدين القديم
ونبيكم هو المشهور في الإنجيل ❁ وهو الذي بشر به المسيح
لا شك فيه ❁ وهو الفاروق الذي يفرق بين الحق والباطل
وهو النبي اليتيم الذي يموت أبوه وأمه ويكفله جده
وعمه ❁ فهل كان ذلك قال نعم هو نبينا صلى الله عليه وسلم
ثم قال أبو عبيدة يا يوقنا إنك ما كنت تعرف
قبل هذا اليوم بلسان العربي فمن أين لك حفظه ❁ فقال يوقنا
لا إله إلا الله محمد رسول الله أتعجب من هذا أيها الأمير
قال نعم ❁ قال يوقنا إعلم أنني كنت البارحة متفكرا

في أمركم وكيف نصرتم علينا فلما توسوست في أمركم نمت
ورأيت في منامي شخصاً وجهه أبها من القمر فسألت عنه
فقيل لي هذا محمد صلى الله عليه وسلم فقلت إن كان نبياً
صادقاً فيسأل ربه أن يعلمني بلسان العربي فاستيقظت
وأنا أتكلم بلسان العربي ثم قمت إلى منزل أخي يوحنا
وفتحت خزانة كتبه وطالعت فيها فوجدت في بعض كتبه
صفة محمد صلى الله عليه وسلم وما يكون من أمره وإن أبغض
الناس إليه اليهود أكان ذلك فقال أبو عبيدة نعم كانت
اليهود تطلبه أشد الطلب حتى نصره الله عليهم وأخذ
حصونهم وقتل أبطالهم وملك ديارهم وكان الله عز
وجل يوصيه على أصحابه فقال يوقنا وما وصيته فقال
أبو عبيدة قال الله تعالى واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين
وقال تعالى وأما السائل فلا تنهر قال
الواقدي فلما سمع يوقنا هذا الكلام من أبي عبيدة
تهلل وجهه فرحاً وقال الآن رسخ دين الإسلام في قلبي
وعلمت أنه الحق وسوف أقاتل أعداءكم وأمحوا
ما قد سلف في دين الجاهلية وهذا ما جرى من فتح قلعة حلب

ذكر فتح حصن أعزاز وفتح منبج وبزاعة وجسر منبج ودستاقها

قال الراوي ثم إن أبا عبيدة نظر إلى يوقنا وقد زاد إيماناً ويقيناً
قال له يا عبد الله دلنا إلى أين نسير فقال يوقنا أيها الأمير
اعلم أن حصن أعزاز قوي حصين منيع بالرجال والعدد والزاد
والمتولي عليه ابن عمي واسمه دراديس وهو ذو شدة
ومنعة ومرام شديد في الحرب وإن أنتم تركتموه
ومضيتم إلى إنطاكية غار على حلب وقنسرين فقال أبو عبيدة
فكيف الحيلة عليه والوصول إليه قال يوقنا قد دبرت حيلة
وأرجو من الله عز وجل أن يتمها فقال له أبو عبيدة فما
دبرت من الرأي قال يوقنا دبرت من الرأي أن أركب
جوادي وتضم لي مائة رجل من المسلمين وهم لابسون زي
الروم وتنفذ أميراً من المسلمين ومعه ألف فارس راكبين
على عتاق الخيل وأنا والمسلمون المائة كأننا هاربون
بقدر فرسخ منكم والأمير بألف فارس ورانا في طلبنا فإذا
أشرفنا على إعزاز ألقينا الصائح فإذا خرج إلينا صاحب
إعزاز وأطلعنا في قلعته صبرنا إلى الليل ونزلنا في وسط

الحصن ووضعنا السيف في أعدائنا ويكون صاحبك بالألف
فارس قريبا منا فلما سمع أبو عبيدة ذلك من يوقنا استشار
خالدا ومعاذ بن جبل فقالوا يا أمين الأمة إنه رأي سديد إن لم
يغدر هذا الرجل ويرجع إلى دينه فقال أبو عبيدة إن ربك
لبالمرصاد فقال لهم يوقنا والله ما رجعت إلى دينكم إلا وقد
ذهب من قلبي ما كنت أعظمه من الصور والصلبان
وما بقي في قلبي إلا محبة الله عز وجل الذي لا إله إلا هو ومحبة
رسوله محمد صلى الله عليه وسلم الذي رأيته في النوم
وعاينت معجزاته فإن كنتم تظنون في ظنا كاذبا
فلا تتركوني لما ذكرت فقال له أبو عبيدة يا عبد الله
إن أنت نصحت المسلمين ولم تغدر كان الله لك معينا في
كل ما تحاوله فاتبع الصدق تنجو به وإن ديننا ما
بني إلا على الصدق واتبع سنن إخوانك المسلمين لأن المؤمن
الصادق قوته ما وجد ولباسه ما وجد وسكنه أين
ما وجد فلا يغرنك ما تركته من ملكك وزينتك وحكمك
وأمارتك فإن الذي تركته فان والذي أنت تطلبه باق
لأن نعيم الدنيا يفنى والآخرة خير وأبقى واعلم أنك في يومك

هذا عار من الذنوب كيوم ولدتك أمك واعلم أن الدنيا سجن
المؤمن والقبر مضجعه والخلوة مجلسه والاعتبار فكرته والقرآن
حديثه والذكر أنيسه والزهد قرينه والحزن شأنه والحياء
شعاره والجوع إدامه والحكمة كلامه والتراب فراشه
والتقوى زاده والصمت غنيمته والصبر معتمده والتوكل
حسبه والعقل دليله والعبادة حرفته والجنة داره واعلم
يا يوقنا أن المسيح عليه السلام قال عجبت لثلاث غافل وليس
بمغفول عنه ومؤمل دنيا والموت يطلبه وباني قصر والقبر
يسكنه وقال نبينا محمد صلى الله عليه وسلم من أعطي أربعا
لم يحرم أربعا وتفسير ذلك في كتاب الله العزيز أولهم الذكر
قوله تعالى اذكروني أذكركم ومن أعطي الدعاء أعطي
الإجابة لقوله ادعوني أستجب لكم ومن أعطي الشكر أعطي
الزيادة لقوله ولئن شكرتم لأزيدنكم ومن أعطي الاستغفار
أعطي المغفرة لقوله استغفروا ربكم إنه كان غفارا قال
الواقدي أخبرنا يونس بن عبد الأعلى قراءة عليه قال
حدثنا شهر بن حوشب عن جده عامر بن أوس قال كنت
ممن شهد فتوح قنسرين وحلب مع أبي عبيدة وكنت كثيرا

أصحب الروم الذين أسلموا ودخلوا في ديننا فلم أر في قتال
الروم أشد اجتهادا ولا أخلص نية ولا أبلغ في الجهاد ولا أعظم
في قتال من يوقنا رحمة الله عليه والله لقد نصح المسلمين وجاهد
في المشركين وأرضى رب العالمين ولقد فعل في الروم ما لم
يفعله أحد قبله من أبناء جنسه قال الواقدي ولما وعظ
أبو عبيدة يوقنا وفرغ من ذلك ضم إليه مائة رجل من المسلمين
وألبسهم زي الروم وكان كل عشرة منهم من قبيلة وأقام
على كل عشرة نقيبا وكانت القبائل طيئا ونهدا وخزاعة
وسنبسا ونميرا والحضارمة وحمير وباهلة وتميما ومرادا
فأما نقيب طيء فهو خزعل بن عاصم وعلى نهد مرة بن مزاحم
وعلى خزاعة سالم بن عدي وعلى سنبس مسروق بن سنان
وعلى نمير أسد بن دارم وعلى الحضارمة ماجد بن عميرة
وعلى حمير ملكهم ذو الكلاع الحميري وعلى باهلة سيف بن
قارع وعلى تميم سعيد بن جبير وعلى مراد مالك ابن فياض
قال الواقدي فلما رتبهم أبو عبيدة هذا الترتيب قال
لهم اعلموا رحمكم الله إني مرسلكم مع هذا العبد الذي وهب
نفسه لله ولرسوله وكل طائفة منكم عليها نقيب وقد وليته

عليكم

عليكم فاسمعوا لقوله ما دام على مرضات الله تعالى قال الواقدي
فركبوا وسار يوقنا على المقدمة فلما بعد يوقنا بمن معه مقدار
فرسخ أنفذ أبو عبيدة مالك بن الحارث الأشتر النخعي وضم إليه
ألف فارس وقال له يا ابن الحارث سر في أثر هذه العصبة وانظر
ما يؤول أمرهم إليه فإذا قربت من إعزاز اكمن إلى وقت
السحر ثم اظهر لإخوانك ثم قال له سر وفقك الله وأرشدك
فسار مالك الأشتر على مقدمة الألف إلى أن غابوا عن
عسكر المسلمين وحين جن عليهم الليل وإذا هم في قرية اسمها
ميرخ فوجدوها خالية من الساكن فكمنوا فيها
ولما ما كان من يوقنا فإنه سار على طريق الجادة
وسار مع المائة القطابية وهو طالب بهم إعزازا قال
الواقدي حدثني [illegible] عن جده خزعل بن
عاصم قال [illegible] يوقنا لما وجهنا أبو عبيدة معه إلى
إعزاز قال لما شارفناها أقبل علينا يوقنا وقال يا فتيان العرب
قد وصلنا إلى إعزاز فإياكم أن يتكلم أحد منكم فإن
الروم لا تخفى عليهم لغة العرب وأنا المترجم عنكم وكونوا
على تيقظ من أمركم فإذا رأيتموني قد بطشت بصاحب

هذا الحصن فتوروا على بسم الله ۞ فسار يوقنا وليس عنده خبر
من الغدر قال الواقدي حدثني سليمان بن عبد الله اليشكري
قال حدثنا نعيم بن عبد الرحمن المزني وكان ممن حضر فتوح الشام
قال أخبرنا الأكوع المازني قال كنت في جيش مالك بن
الأشتر النخعي حين سرنا في طلب يوقنا حتى إذا كنا بقرية
ميرة وأقمنا ننتظر الصباح وإذا بجيش من ورائنا قد قاربنا ورأينا
مالكا الأشتر قد قصد الجيش وغاب عنا غير بعيد وعاد إلينا
ومعه رجل من متنصرة العرب ۞ فلما توسط الكمين قال
يا فتيان العرب اسمعوا ما يقول هذا الرجل قالوا له من أي الناس
أنت قال من غسان من بني عم جبلة بن الأيهم قال له ما
اسمك قال اسمي طارق بن سنان قال له يا طارق بحق ذمة العرب
لا تكتمنا أمرا تعرفه فقال والله لا أكتمكم أمرا
أعرفه ولكن على أن أفرقكم وخذوا [illegible] قبل
قدوم عدوكم عليكم فقال له مالك وكيف ذلك قال
لأن البارحة ورد على الملك داديس صاحب أعزاز جاسوسه
وكان عندكم في عسكركم واسمه عصمة بن عرفطة
التيمي وكان قد سمع ما ناجاكم به يوقنا من الحيلة التي

دبرها

دبرها لكم على صاحب أعزاز ۞ فلما سمع الجاسوس منكم ذلك
كتبه في رقعة وربطه في ذنب حمام فلما أتاه الخبر بعثني
الملك داديس إلى لوقا بن ماهر صاحب الراوندان ۞
أستنجد به عليكم فوصلت إليه وقد بعثني وورائي خمسمائة فارس
وكأنكم وقد أقبل صاحب الراوندان في الخمسمائة فارس
هذا ما كان أمرت قال الواقدي فانا نحو اللقا نصل
ذلك وأما ما كان من يوقنا رحمة الله عليه فإنه سلك حتى
وصل حصن أعزاز فوجد صاحبها داديس خارج الحصن وكان
الملك ركب في بلاد الأعجم فارسا من الروم والعرب
المتنصرة سوى من لجأ إليه من أهل بلده ۞ فلما نظر يوقنا عليه
وكان في يد الملعون سكين ماضية فأراد يوقنا أن يسلم عليه
وقطع جران جواده وكسره ارماه من على ظهر الجواد وذعر
إلى أبطاله فأخذ يوقنا والمائة فارس أسرى وشدوهم
وثاقا وأقبل داديس وبزق في وجه يوقنا وقال لقد
غضب عليك الصليب الأكبر إذ فارقت دينك ورجعت
مع أعدائه فوحق المسيح وحافر الحمار لا بد لي أن أبعث بك
إلى الملك هرقل يصلبك على باب أنطاكية ۞ بعد أن

أضرب رقابهما ولا العرب الذين معك ثم صعد بهم إلى قلعته
قال الواقدي ومن خيرة الله للمسلمين لما ركب الجاسوس
إلى داد ريس أن وراء يوقنا أميرا لو معه ألف فارس وهو نازل بهم
في قرية منه **قال الواقدي** هذا ما كان من أمر يوقنا
وأصحابه وأما ما كان من مالك الأشتر فإنه لما سمع قول
المتنصر طارق بن سنان أخذ على نفسه هو وأصحابه وأقام ينتظر
قدوم صاحب الداوندان فلما مضى ساعة سمع المسلمون
قعقعة اللجم ودوي الخيل فلم يكلمهم مالك حتى توسطوا
الكمين فعندها أطبق عليهم مالك بمن معه وصار كل
اثنين من المسلمين على فارس من الروم فأخذوهم أخذا ❀
بالكف ثم أوثقوهم كتافا وأخذوا ثيابهم ولباسهم
والتفت مالك الأشتر إلى المتنصر طارق بن سنان وقال له هل
لك أن ترجع إلى دين الإسلام ويمحا عنك ما سلف من الكفر
بالإيمان وتصبح لنا من جملة الإخوان ❀ قال له طارق
والله إن قلبي عندكم وراغب في دينكم وأنا كنت أول
من أسلم على يد عمر بن الخطاب مع ملكنا جبلة بن الأيهم وقد
سمعنا عن محمد صلى الله عليه وسلم أنه قال من بدل دينه

فاقتلوه قال مالك الأشتر لقد صدقت في قولك إلا أن هذا الحديث
نسخه قوله تعالى إلا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا فأولئك يبدل
الله سيئاتهم حسنات ❀ فلما سمع الغساني كلام مالك الأشتر
قال له أنا أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله قال له
مالك قبل الله توبتك وثبت إيمانك ثم قال له مالك يا عبد الله
إنا نريد منك الآن تذهب إلى صاحب إعزاز وتبشره بقدوم
صاحب الداوندان قال له إن كنت تشك في أمري فأرسل
معي من تثق به من أصحابك حتى يسمع ما أقول لهم لأن الحرس
شديد وأبواب القلعة مغلقة وأنا أخاطبهم من شفير الخندق
فنفذ معه مالك الأشتر ابن عمه وكان اسمه راشد بن قيس
وقال له كن مستيقظا وسار هو وطارق ابن سنان إلى أن
وصلا إلى إعزاز وكان الحرس شديدا والروم تضرب
ببوقاتها والصوت عال وسط الحصن ❀ فقال طارق لراشد
وحق أبي ما هذا إلا صوت قتال وحرب ثم نطلبنا وإذا الأمر
على ما قال طارق بن سنان **قال الواقدي** وكان
الأمر في ذلك أن صاحب إعزاز كان له ابن وكان اسمه
لاون وكان أبوه داد ريس يبعثه إلى يوقنا بالهدايا

والحبس وكان يقيم عند يوقنا في القلعة الشهر والشهرين وإن
لاون حضر عنده يوقنا فنظر إلى ابنة يوقنا وهي ماشية بين جواريها
وخدمها فوقع حبها في قلبه فكتم أمره إلى أن وصل إلى إعزاز
وشكا حاله إلى أبيه وأمه فبينما هم كذلك وقد اشتغلت
قلوب الروم بالمسلمين وتجهيزهم إليهم ❁ فلما قدم يوقنا إلى صاحب
إعزاز وكان من أمره ما كان وبعث إليه صاحب إعزاز وعلى
المائة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم سلمهم إلى ولده
لاون وقال له احفظهم حتى نرسلهم إلى الملك هرقل فيرى
رأيه فيهم قال لاون وحق ديني إن هذا يوقنا أعلم من أبي
بالأديان ولولا أنه رأى الحق معهم ولا العرب ما تبعهم وأيضا
إن الملوك ما قاومتهم وإن الله نصرهم على ضعفهم وقلبي
متعلق بابنته وإني أرى من الرأي الرشيد أن أطلق هؤلاء
القوم وأرجع إلى دينهم وهو دين الحق وأنال بذلك
الأجر العظيم والتزويج بابنته ❁ فلما حدثته نفسه بذلك
أقبل إلى يوقنا وجلس بين يديه وقال يا عم إني عزمت
على أني أحلك من وثاقك وأحل هؤلاء أصحابك وقد اخترتكم
على نفسي وأهلي وملكي وأنت تعلم أن فراق الأهل صعب إلا أن

الإيمان أوثق من الكفر وقد علمت أن دين هؤلاء القوم دين صحيح
ولكن على شرط تزوجني بابنتك ❁ والمهر الذي تأخذه مني
عتق رقبتك وعتق أصحابك ❁ فقال له يوقنا يا بني إن كنت
معولا على الإسلام فلا تركن لغرض من أغراض الدنيا ولكن
خلصها لله تعالى يجازيك على ما تفعله وأنا إن شاء الله أبلغك
ما تريد وتنال عز الآخرة ❁ فقال لاون امدد يدك
أنا أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ثم حل
يوقنا وأصحابه من وثاقهم وناولهم سلاحهم وقال لهم توكلوا
على اسم الله عز وجل وها أنا أمضي إلى أبي فأقتله وهو سكران
في رضى الله عز وجل ❁ ثم أسرع لاون إلى دار إمارة
أبيه فوجد أباه مقتولا وهو بلا رأس ووجد أمه
وإخوته عنده ❁ فقال لهم من فعل هذا بأبي قالوا نحن
قال لهم ولم ذلك فقالوا أردنا بذلك وجه الله عز وجل
ولقد سمعنا ما تحدثت به مع يوقنا وأصحابه فخفنا عليك أن لا يتم
لك ما تريد وتشاورنا ثم عدنا بالرجوع على القوم ويبلغ خبرك إلى
أبيك فيقتلك فعجلنا به قبلك ففرح لاون بذلك ورجع إلى
يوقنا وأصحابه وأخبرهم بذلك فرفعوا أصواتهم بقول

لا إله إلا الله محمد رسول الله ووضعوا السيف في الروم ووقع
الصايح في الحصن وأقبلوا يقاتلون قتال الموت وفي تلك
الساعة قدم طارق بن سنان وراشد بن عم مالك الأشتر
فلما نصحا وعلما أمر القتال عادا إلى مالك الأشتر وأخبراه بما سمعا
في إعزاز قال مالك لأصحابه اركضوا الخيل ولا حول
ولا قوة إلا بالله العلي العظيم فركضوا الخيل إلى
أن وصلوا إلى باب إعزاز فنظر إليهم لاون ففتح لهم باب
السر بعد أن قال لأهل الحصن هذا صاحب الرأي وقد آن
أقبل لنصرتنا فلما حصل مالك الأشتر ومن معه في داخل
إعزاز أعلنوا بالتهليل والتكبير فلما نظر أهل إعزاز
إلى ما حل بهم وأفهمها لكون لا محالة ورموا السلاح
من أيديهم ونادوا الفوز الفوز يعني الأمان الأمان
فرجع مالك الأشتر عنهم ورفع السيف وأخذ جميع ما في الحصن
والأسارى وشكر ليوقنا ومن معه فقال يوقنا اشكروا
الله ثم اشكروا هذا الغلام فيما فعل معنا فقال
مالك إذا أراد الله أمرا هيأ أسبابه على من يشاء قال
الواقدي حدثنا أبو عتبة عن صفوان عن عبد الرحمن

ابن جبير عن أبيه قال سألت أبا لبابة بن المنذر وكان ممن
حضر فتوح الشام كيف كان قتل داد رديس صاحب إعزاز
فإن نفسي تأبى هذا الحديث وأريد صحته قال لما وضعت
الحرب أوزارها وضم مالك الأسارى والمال والثياب
وآنية الذهب والفضة وأمر بإخراج ذلك كله إلى ظاهر
إعزاز ووكل به قيس بن سعيد وكان ممن حضر اليرموك
فأصابه سهم فعوره وكذلك أبو لبابة بن المنذر وكلاهما
حضرا بدرا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما لم يبق أحد
بإعزاز قام مالك الأشتر يمشي [illegible] فرأى داد رديس
مقتولا فقال من قتل الملعون فقال له ولده لاون قتله
ابنه لوقا وهو أكبر مني سنا فأمر مالك بإحضار لوقا وقال
له لم قتلت أباك وما سمعنا أن ابنا قتل أباه من الروم سواك
فقال لوقا حملني على قتل أبي محبة دينكم وسبب ذلك أن في
بيعة هذا الحصن قس من المعمرين وكنا نقرأ عليه الإنجيل
ويعلمنا بقلم الرومي وإنني جالس عنده في بعض الأيام وليس
عنده سواي فقلت له يا أبانا ألا تنظر إلى بلاد الشام وقد
استولت عليها العرب وملكوا أكثرها وهزموا جيوش الملك

وما نظن أن العرب تقدر على ذلك لأنه ليس في الأمم أضعف
منهم وإن الله عز وجل قد نصرهم على ضعفهم فهل رأيت ذلك
في كتب الروم وملاحم دانيال واليونانية أم لا فقال
لي يا بني نعم قرأنا ذلك ولقد أخبرنا الملك هرقل بذلك
قبل وقوع هذا الأمر وقد جمع إليه الملوك والبطارقة
والرهبان والأساقفة وأخبرهم أن العرب لا بد لهم أن
يملكوا ما تحت سريره ولقد بلغنا عن نبي القوم أنه قال
زويت لي الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها وسيبلغ ملك
أمتي ما زوي لي منها [illegible] لت له يا أبانا ما تقول في نبي
العرب فقال القس يا بني في كتبنا أن الله يبعث نبيا من الحجاز
وقد بشر به المسيح ولا ندري هل هو هذا أم لا فعلمت أن
القس يكتم عني الأمر مخافة أن أدينه عنه فكتمت
الأمر إلى الآن ❁ فلما كان البارحة رأيت يوقنا
وأصحابه أسارى فقلت لولا أن هذا يوقنا وقد قتل أخاه
يوحنا وعاند العرب ورجع إلى دينهم وما ذاك إلا أنه
علم أن دينهم هو الحق فقلت أقتل أبي وأخلص يوقنا ومن
معه وأرجع إلى دين العرب فهو الحق لا شك فيه ❁ فلما

نام أبي وهو ثمل من الخمرة فقتلته وسرت إلى خلاص يوقنا وأصحابه
فوجدت أخي لاوي قد خلصهم فقال له مالك الأشتر يا غلام لم
فعلت ذلك قال لمحبة في دينكم ومحبة نبيكم محمد صلى الله
عليه وسلم وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله
فقال له مالك الأشتر قبلك الله وثبتك ❁ ثم خرج مالك
الأشتر من حصن إعزاز وولى عليه سعيد بن عمرو قال الواقدي
حدثنا عبد الملك بن محمد عن حسان بن كعب عن عبد الواحد
ابن أبي عون عن موسى بن عمران اليشكري عن حميد الطويل
قال هكذا حدثني عبد الله ابن قرط الأسدي أن حصن
إعزاز كان فتحه هكذا والذي ذكر أن المرأة وبناتها
قتلت داريوس لم يصح قال الواقدي ثم إن
مالكا الأشتر بعد أن ولى على إعزاز سعيد بن عمرو الغنوي ❁
أراد أن يرحل إلى حلب إلى أبي عبيدة بمن معه من الغنائم
ثم أعرض سبي إعزاز وكان ألف رجل من شباب ومائتين وخمسا
وأربعين رجلا من الشيوخ والرهبان وألفا من البنات وغيرهم
ومائة وثمانين عجوزا ونظر مالك إلى شيخ من الرهبان صالح
الشيبة فقال له مالك إن صدق حزري هذا هو القس الذي

معه نحن يحدثه لوقا نصرانى ما لكما ما تقدما عليه فلوقا وقال له هذا هو الفتى
الذى حدثتك عنه بحديثه قال نعم ❀ فقال مالك للفتى
إذا كنت من علماء أهل دينك فكيف تكتموا الحق فقال
الفتى لم أكتمه عن مستحقه ولكن خفت من الروم أن يقتلونى
لأن الحق يقتل ❀ قال مالك أفترجع إلى ديننا قال لست
أرجع إلى دينكم إلا أن تخبرونى عن مسألة وجدتها فى
إنجيل لوقا قال له مالك هات المسألة لأتممها فلما أراد
الفتى أن يتكلم بها وإذا بزعقات عظيمة فى وسط حصن
إعزاز فلما سمع المسلمون ذلك وثب مالك الأشتر
لينظر ما بالمسلمين فلحق أن الروم الذى فى إعزاز قد
غدرت بالمسلمين وإذا بجماعة من المسلمين يقولون
يا معاشر المسلمين خذوا على أنفسكم بالحذر فإنا نرى غبرة
قد علت من صوب طريق منبج وبراعة ولا ندرى ما تحتها
قال الواقدى فركب مالك الأشتر ومن معه وأقبلوا ينظرون
إلى تلك الغبرة وإذا بالغبرة قد انكشفت من تحتها خيول
المسلمين وأمامهم السبى والأموال والرجال مشدودين
فنظر مالك إلى العسكر وإذا هو ألف فارس من أصحاب

رسول الله صلى الله عليه وسلم والمقدم عليهم الفضل ابن العباس بن
عم رسول الله وكان قد بعثه أبو عبيدة حتى غار على منبج وبراعة
وجسر منبج وربضهما فوقع التكبير من الفريقين وسلم مالك
الأشتر على الفضل ابن العباس وسلم المسلمون بعضهم على بعض
وسأل الفضل ابن العباس مالكا الأشتر عن قصته فحكى له
مالك إن الله عز وجل قد فتح إعزاز وبدل لنا بطارقتها وقيل
عك وإنه داد ودعيس وأسلما ولولا ذلك لأتون ولوقا وحدثه
بحديث لوقا وما جرى له ثم قال لهما مالك يا ابن عم رسول الله ما
منعنا من الرحيل إلا هذا الفتى وسؤاله ❀ فقال له الفضل ابن
العباس أيها الفتى هات ما معك من المسائل ❀ فقال له الفتى
أخبرونى عن شىء خلقه الله قبل السموات والأرض من مخلوقاته
قال الفضل بن العباس أول ما خلق الله اللوح والقلم
ويقال العرش والكرسى ❀ ويقال الوقت والزمان
ويقال العدد والحساب ويقال خلق الله عز وجل أولا
جوهرة فصيرها ما أشبه العقل لأنه أراد أن ينتفع الخلق بعقله
وقيل أول ما خلق الله عز وجل نور وظلمة ثم دعاهما
إلى الإقرار به فأنكرت الظلمة وأقر النور ❀ فخلق الله عز وجل

الجنة من النور لرضايه عنده ❁ وخلق الله عز وجل النار من الظلمة
لسخطه عليها وخلق أرواح السعداء من النور وأرواح الأشقياء
من الظلمة ❁ ويقال أول ما خلق الله عز وجل نقطة فنظر
إليها بعين الهيبة فتضعضعت ومالت فصيرها ألفا فجعلها مبتدأ
كتابه فسبحان من ألف كتابه من نقطة وخلق خلقه من نقطة ثم
يميتهم بقبضة ثم يحييهم بنفخة ❁ فلما سمع المترجم ذلك من كلام
الفضل ابن العباس قال أشهد أن هذا هو العلم الذي يستأثر
به أنبياؤه وأمناؤه وبعد ذلك أنا أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا
عبده ورسوله ❁ فلما نظر أهل الحوار إليه وقد أسلم ودخل
في دين الإسلام فأسلموا عن آخرهم إلا قليلا منهم ❁

ذكر حديث يوقنا مع الملك هرقل

قال الواقدي حدثني علي بن يحيى عن أسيد بن أسلم عن داره
ابن عباس عن جده قال لما أسلموا أهل اعزاز بإسلام وسيرهم
الفضل ابن العباس ومالك الأشتر ومن معهم على المسير
إلى حلب ❁ فقال يوقنا رحمة الله عليه ما لي والله وجه
ألقى به المسلمين لأني كنت قد قلت قولا ودبرت حيلة
لم تتم على أعداء الله وإني قد عزمت على الرحيل إلى انطاكية

لعل الله

لعل الله ينصرني ❁ فقال له الفضل ابن العباس رضي الله عنه إن الله
عز وجل قال لنبيه ليس لك من الأمر شيء فلا تحمل على نفسك فقال
يوقنا والذي أنا على دينه لا رجعت إلا بأمر يبيض الله به وجهي
عند المسلمين ❁ ثم نظر يوقنا إلى عسكر الفضل ابن العباس
فوجد فيه من بني عمه مائتي فارس ممن دخل في الإسلام والإيمان
في قلوبهم ولهم الأولاد والعيال في حلب فأخذهم يوقنا
رحمة الله عليه وسار يريد انطاكية ❁ فلما كان من
الليل سار بهم ثم اختار من المائتين أربعة من بني عمه
ثم قال للباقين خذوا على عمق وإعزاز كأنكم هاربين
من العرب وأمضي أنا وهؤلاء الأربعة على هذه الطريق وهي
طريق الأرحام ودير سمعان المشرف على البحر الأسود
فلما وصل يوقنا إلى دير سمعان وجد هناك خيلا ورجالا
فلما نظروا إلى يوقنا والأربعة معه أسرعوا إليهم واستخبروهم
عن حالهم ❁ فقال لهم يوقنا أنا صاحب حلب وقد هربت
من العرب فتوكل به صاحب الحرس فرسانا من أصحابه
وقال لهم أوقفوهم بين يدي الملك هرقل فأخذتهم الخيل
وأتوا بهم إلى الملك فوجدوه في كنيسة وهو يصلي

فلما فرغ من صلاته أوقفوهم بين يديه وصفعوا للملك وقالوا
أيها الملك إن يوطس صاحب الطرسوس بجير سمعان قد وجه بهؤلاء
إليك وهذا يزعم أنه صاحب حلب فلما سمع الملك هرقل
بذلك التفت إلى يوقنا وقال له أنت يوقنا قال نعم قال الملك
وما أتى بك إلينا وقد بلغني عنك أنك رجعت إلى دين العرب
فقال يوقنا أيها الملك لقد بلغك غير الحق إلا أني لم أسلم إلا
كيدا للعرب حتى تخلصت من شرهم وقلت لهم إني أسلم
لكم أعزاز وأقتل صاحبها دارديس فأخذت منهم
مائة سيد من ساداتهم وأمرت أميرهم أن يسير في أثري
ألف فارس حتى إذا خلصت من داخل إعزاز أمكنهم
فلم يمهل علي داريس ووثق بجاسوسه وقبض علينا ولما
انتصبت العرب على حصن أعزاز ووضعوا السيف في أهلها
وذلك أن لوقا قتل أباه وحل العرب وخلاني في الجملة
فلما اشتغلوا في القتال والنهب هربت أنا وهؤلاء إليك
ولولا محبتي لديني ما قتلت أخي يوحنا وأصبر على قتال
العرب وحصارهم قريبا من سنة وأعاندهم البطارقة
والملوك وقالوا أيها الملك صدق يوقنا ولا فينا أصدق

من المجتهد ثم قال يوقنا أيها الملك سيظهر لك فعلي وجهادي
فعند ذلك اهتدى الملك لقوله وخلع عليه خلعة من خلع
الملوك وسواره ومنطقته وتوجه وقال إن كانت حلب
أخذت منك قهرا فأنا أوليك إنطاكية فبينما هم كذلك
وإذا الموكل بجسر الحديد قد بعث إلى الملك يقول له أيها
الملك إنه قدم علينا مائتا بطريق من فرسان حلب يزعمون
أنهم من بيت واحد من الروسية وهم بنو عم يوقنا وقد
هربوا من العرب فلما سمع الملك بذلك قال ليوقنا
أيها البطريق اركب وأشرف على هؤلاء القوم فإن كانوا
من بني عمك فأقبل بهم وضمهم إليك ليكونوا في ركابك
وإن كانوا لغيرهم فأنزل بهم الأذى وأي فيهم وإياك
أن يكونوا من العرب ممن رجعوا إلى دينهم فقال يوقنا نعم
أيها الملك ثم ركب يوقنا وركبت معه الهرقلية والسرية
ووصلوا إلى جسر الحديد فوقفوا هنالك وأمر يوقنا بالمائتين
أن يعرضوا عليه فلما رآهم رحب بهم وقال لهم كيف خلصتم
من أيدي العرب فقالوا إنا خرجنا مع أمير من أمرائهم وعزنا
إلى منبج وبزاعة فلما رجعنا نريد حلبا أخذنا على طريق

حصن إعزاز فوجدناها ملكت ❁ فلما كان في الليل هربنا
وحجاب الملك يسمعون ذلك فأمرهم يوقنا بالركوب فركبوا
وساروا بهم إلى إنطاكية فأقبلت الحجاب على الملك وحدثوه
بما سمعوا منهم فخلع الملك عليهم وأعطى ليوقنا دارا بإزاء قصره
فعند ذلك قال يوقنا أيها الملك أنت تعلم أن هذه الدنيا لا
يدوم نعيمها وإن المسيح شبهها بالجيفة وطلابها بمنزلة الكلاب
كما روي أن المسيح رأى طيرا حسنا وهو متزين فنزع جلده
فرآه أقبح ما يكون فقال له من أنت قال أنا الدنيا ظاهري مليح
وباطني قبيح ❁ وأنا ضربت لك أيها الملك هذا المثل لأنه ما
خلا جسد من حسد وإذا أقبلت الدنيا على أحد كثرت حساده
وإني أخاف من الحساد أن يتكلموا في عرضي ويغيروني بشيء لا
أفعله فيسمعه مني الملك فأسأل الملك أن يولي غيري هذا
الأمر وكنت أبرح من ركاب الملك ❁ فقال هرقل
أيها الدمستق ما وليتك هذا الأمر إلا عزا وإني واثق بك
ومن تكلم فيك بشيء أسلمته إليك تفعل به ما تشاء فباس
يوقنا الأرض بين يديه وأراد الخروج إلى خدمته التي ولي
عليها وإذا بخيل المسرعين قد أقبلت إلى الملك هرقل من

من مدينة مرعش يذكرون أنهم رسل من عند ابنة الملك
هرقل وكان اسمها زيتونة وأنها خائفة من العرب وأنها
تريد العبور على الملك وأنها تسأل الملك جيشا يسيره إليها ❁ فلما
سمع الملك هرقل بذلك الأمر قال ليس لها غير الدمستق يوقنا
فباس يوقنا الأرض قدام الملك وقال السمع والطاعة فعند
ذلك ضم إليه الملك ألفي فارس من المدبجة والقياصرة
فسار يوقنا بالألفين فارس والمائتين من بني عمه وقد رفع
على رأسه صليب من الجوهر وجنب الجنائب عليها أجلة
الديباج وجعل يجد السير إلى أن أتى مرعشا وأخذ زيتونة
ابنة الملك هرقل وهي الصغرى وكان الملك قد ولاها
على تلك الأرض وزوجها لبطريق اسمه نسطوريس وكانوا
يسمونه [illegible] النصرانية لشدة تعبده ❁ وكان
قد أهلكه الله في اليرموك بحرب أحاطت أصابته قال
الواقدي فلما أخذ يوقنا ابنة الملك عاد يطلب بها
إنطاكية ثم أخذ طريقه على الجادة العظمى لعل أن
يلقى أحدا من جواسيس المسلمين أو يجد أحدا من أهل مدينة
فيبعث معه الخبر إلى أبي عبيدة أنه قد تمكن من إنطاكية

فلما كان في بعض الليالي وقد أشرف يوقنا ومن معه على
مرج دابق وذلك في نصف الليل وإذا بالخيل الذي على
المقدمة قد عادت كالبرق الخاطف ❁ قال لهم يوقنا
ما وراءكم قالوا أيها السيد مستوق العظيم إننا أشرفنا على وسط
المرج ونظرنا وإذا بعسكر نازل وإذا هم عرب وهم نيام
وخيلهم تأكل علايقها ولا نعلم إلا أنهم من المسلمين فلما
سمع يوقنا ذلك قال لأصحابه خذوا على أنفسكم وأيقظوا
خواطركم وقاتلوا عن حرمة الملك ولا تسلموها
إلى أعدائها وكونوا خير جند فإذا اشتبكت الحرب بيننا
وبينهم فاعتمدوا على الأسارى وإياكم والقتل
واعلموا أن العرب مع أميرها ولا بد لهم أن يتصلوا
الملك ويقاتلوه فإن أسروا منا أحدا كان عندنا
من نفادي به ❁ ثم قال لهم قوموا الأعنة وشرعوا
الأسنة واقصدوا المرج فلما أقبلوا على المرج استيقظت
العرب فعند ذلك ركبوا واستقبلوا يوقنا وقالوا من
أنتم قالوا نحن من أصحاب الملك الرحيم هرقل وكان
ملك العرب جبلة ابن الأيهم سيد اليمن وهذا المقدم علينا

الهايم ولد جبلة ابن الأيهم ❁ فلما سمع يوقنا ذلك ترجل
إعظاما له وسلم عليه فقال الهايم ليوقنا من أين طريقك من
مرعش أتيت بابنة الملك فمن أين أتيت من طريقك قال
من الميرة وإني حملت ميرتي إلى أهلها فلما رجعت أريد الملك
عبرت بمرج دابق وإذا أنا بكتيبة من الخيل قدر مائتي فارس
فلما رأينا ما هم برزوا إلينا ووقع بيننا حرب شديد وإذا
مقدمها لا يصطلى له بنار ولقد أباد منا رجالا وجدل
أبطالا ونحن في ألف فارس ❁ فما كان فينا إلا قتيل وصريع
فلم نزل كذلك ونقتتل إلى أن أسرنا المائتي فارس وقتل الفارس
منهم الفارسين والثلاثة وبقي أميرهم فعجزنا عنه فقصدنا
جواده بالسهام فتقنطر بنا وأخذناه أسيرا وإذا هم من
أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ومقدمهم ضرار بن الأزور
ابن طارق وها هم معنا نسير بهم إلى الملك وقد كفيناه
شرهم ❁ ثم إن القوم يسيرون يريدون الملك هرقل

❁ ذكر حديث ضرار ابن الأزور وما جرى له ❁
❁ مع الملك هرقل ومناظرته للبترك ❁

حدثنا سنان بن عوف عن صالح ابن عبد الله عن جده

ميسرة ❁ قال حدثنا بهذا الحديث عياد ابن مازن عن عمران بن حصين
قال لما فتح المسلمون أعزاز ونزل مالك الأشتر عليها سعيد بن
عمرو الغنوي والتقا بالفضل ابن العباس ورجعوا إلى حلب بالغنايم
واستبشر أبو عبيدة بسلامة المسلمين وفتوح أعزاز فسال عن
يوقنا فحدثه مالك في السير بقصته وأنه لم يلق له وجها
يلقا به المسلمين وأنه سار إلى إنطاكية ليتمكن من كلب
الروم فقال أبو عبيدة اللهم الطف عليه ❁ ثم إن أبا عبيدة
كتب كتابا إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول فيه
بسم الله الرحمن الرحيم لمن عامر ابن الجراح عامل أمير
المومنين على الشام وقايد جيوش الإسلام سلام عليك فإني
أحمد الله الذي لا إله إلا هو وأصلي على نبيه محمد
صلى الله عليه وسلم أما بعد فإن الله عز وجل له الحمد
والشكر إذ فتح علينا ما صعب من قلاع الكفار وأذل
لنا ملوكهم وأورثنا الأرض وفتح الله حلب وأعزاز فهما
بحصن أعزاز ❁ وإن البطريق صاحب حلب قد أسلم
وحسن إسلامه وأرجع عونا للمسلمين على الكافرين
وقد كتبت إليك هذه الكتابة ونحن معولون على المسير

إلى إنطاكية ونقصد طاغية الروم ونحن طامعون بأخذ سريره وكنوزه
كما وعدنا نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فردنا بالدعا فإنه لنا نعم المويد
ودمار للكافرين والسلام عليك وعلى من معك من المسلمين ورحمة الله
وبركاته ❁ ثم استخرج الخمس وسلمه إلى رياح بن عثمان
اليشكري وضم إليه مائة فارس من الأنصار فيهم قتادة بن معمر
وسلمة بن الأكوع وعدي بن بشار وجابر بن عبد الله ومثلهما ولاء
فأخذوا الخمس وساروا ❁ ثم إن أبا عبيدة دعا بضرار ابن الأزور
وضم إليه مائتي فارس وأمره أن يقصد شمالي الشام ويشن
الغارة على الروم فركب ضرار ابن الأزور والمائتا فارس وسار
معهم سفينة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يزل ضرار
يسير هو ومن معه وقد قدم رجلا من المعاهدين يدلهم على
الطريق ❁ فلما وصلوا إلى مرج دابق قال لهم المعاهد انزلوا
ها هنا وعلقوا على خيولكم فإن الروم قريب منكم فإذا كان
وقت السحر غزتم عليهم فنزلوا هنالك وعلقوا على خيولهم فما شعروا
إلا والهايم بن جبلة قد كبسهم فلما وقع الصايح ركب ضرار
جواده ومائة فارس قريب منه والمائة الأخرى فما استيقظوا حتى
داستهم الخيل وتفرقت خيولهم من الصايح وقاتلوا رجالة وما

وصل إليهم عدوهم حتى قتل كل واحد منهم خصمه ثم أسروا المائة
وأما ضرار ابن الأزور فإنه صاح بالمائة الذين معه وقال يا فتيان
العرب هاولاء أعداؤكم قد هاجموكم على حين غفلة وهذه
أفضل الساعات عند الله عز وجل فقووا عزمكم فأنتم تعلمون
أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الجنة تحت ظلال السيوف
وقال تعالى كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله والله مع
الصابرين قال سمرة بن عامر وكان من جملة من كان معنا
في مرج دابق ربيعة بن معمر بن أبي عوف وكان ينظم
بشعر ينظم لكلامه ويحسن نظامه وكنا نصغا إلى شعره ونحفظه
عنه فلما سمع ضرار وهو يحرضنا على القتال بدر من أوساطنا
وقال يا فتيان ربيعة ومضر هذا يوم له ما بعده وقد علمتم
بعده من قربه ولن تنالوا الجنة إلا بالصبر على المكاره
وبالله ما يدخلها من هو في الجهاد كاره وأعلا
الدرجات درجات الشهادة فارضوا عالم الغيب والشهادة
أما أنتم أصحاب يوم العصر أفأيستم من الثبات والنصر
بشروا روح المصطفى بشأنكم وقدموا العزم أمامكم ولا
تولوا الأدبار فتستوجبوا عذاب النار واعلموا أن الصبر

في الثبات فمن أراد دار البقا هان عليه اللقا فصححوا ظنكم
تنالوا من ربكم وحققوا أملكم تنالوا بغيتكم وأطعنوا
الصدور وار[illegible] تنالوا الخلود ورد وشرعوا الأسنة تنالوا الجنة
واعتمدوا الصبر تنالوا النصر وإياكم أن توافقوا الكفار
في فعلهم واعدلوا عن طريق قولهم فقد قال تعالى
وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في
الأرض كما استخلف الذين من قبلهم ثم قال تعالى وليمكنن
لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا
يعبدونني لا يشركون بي شيئا ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم
الفاسقون يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا
وأنتم مسلمون قال سمرة والله لقد اشتاقت أنفسنا لقوله
وحملنا على المتنصرة حملة منكرة وضرار ابن الأزور أمامنا
وهو ينشد **ويقول**

ألا فاحملوا نحو اللئام الكواذب ... وأرووا سيوفا من دماء المناكب

وذبوا عن الدين المعظم في الورى ... وأرضوا إله الحق رب المواهب

فمن كان منكم يبتغي عتق رقبة   من النار في يوم الجزاء وانما ربه
فيحمل هذا اليوم حملة ضيغم   ويرضى رسولا في الورى عز كاذبه
قال سمره ثم حمل ضرار ونحن من ورائه وبذلنا سيوفنا واسنتنا
ورماحنا في الحرب المشتهرة وجرا بيننا وبينهم في الحرب ما لا يوصف
وضرار فيهم كالنار في الحطب والهايم بن جبلة يتعجب من ضرار ومن
حملاته   فامر قومه ان يقصدوا جواد ضرار بالاسنة والسهام
ففعلوا ذلك فانصرع الجواد من تحت ضرار ووقع ضرار من جواده
وتكاثرت عليه المتنصرة فاخذوه اسيرا وشدوا وثاقه واخذوا
بقية اصحابه وساروا يريدون بطن انطاكية فالتقوا بسوقتنا
وابنة الملك هرقل كما ذكرنا قال الواقدي ولقد
حدثني معمر بن رواحة عن موسى بن عمران اليشكري عن حزام
ابن عمر عن ابن المنكدر ان سفينة مولى رسول الله صلى الله عليه
وسلم كان حاضرا حرب ضرار ابن الازور واسره فلما كان في
الليل انطلق سفينة هاربا يريد الوصول الى جيش المسلمين فبينما
هو ساير واذا باسد عظيم قد عارضه في الطريق   فقال له
سفينة يا ابا الحارث انا مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان
من امري كيت وكيت فاقبل الاسد يبصبص بذنبه حتى قام الى

جانبه قال سفينة فسرت وهو معي حتى اتيت موضع صلحنا ثم مضى وتركني
قال الواقدي ووصل سفينة الى جيش المسلمين وحدث ابا
عبيدة باسر ضرار ابن الازور ومن معه فصعب ذلك على المسلمين
وبكا ابو عبيدة وخالد على اسر ضرار ابن الازور وقال لا حول ولا قوة
الا بالله العلي العظيم وبلغ الخبر الى اخته خولة بنت الازور فقالت
انا لله وانا اليه راجعون وانشدت تقول
الا مخبر بعد التفرق يخبرنا   فما ذا الذي يا قوم اشغلكم عنا
ولو كنت ادري انه اخر اللقا   لكنا وقفنا للوداع وودعنا
الا يا غراب البين هل انت مخبري   وهل بقدوم الغايبين تبشرنا
لقد كانت الايام تزهو بقربهم   وكنا بهم نزهو وكانوا كما كنا
الا قاتل الله النوى ما امره   واقتله ماذا يريد النوى منا
ذكرت ليالينا ونحن جماعة   ففرقنا ريب الزمان وشتتنا
لين رجعوا يوما الى دار عزهم   لثمنا خفافا للمطي وقبلنا
ولم انس اذ قالوا ضرار مطرح   تركناه في ايدي العداة وودعنا
وما هذه الايام الا مفازة   وما نحن الا مثل لفظ بلا معنى
سلام على الاحباب في كل ساعة   وان بعدوا عنا وان منعوا منا
قال الواقدي ولقد بلغني عن واحد بن ابي عون قال

وجمعن نساء العرب مع خولة بنت الأزور ممن أسر لها ولد مع ضرار
ابن الأزور وكان في جملتهن مزروعة بنت عملوق الحميرية
وكانت أفصح أهل زمانها وكان ولدها صار ابن أخي قد
أسر مع ضرار فجعلت تندب ولدها بقصيدة من الشعر وتقول
أيا ولدي قد زاد شوقي تلهفا ۞ وقد أحرقت مني الخدود المدامع
وقد أضرمت نار المصيبة شعلة ۞ وقد أحرقت مني الحشا والأضالع
وأسأل عنك الركب أن يخبروا بما ۞ بحالك كيما تستكن المواجع
فلم يك فيهم مخبر عنك صادق ۞ ولا فيهم من قال إنك راجع
بني ولكني منذ غبت كدرت عيشتي ۞ وقلبي مصدوع وطرفي دامع
وفكري مقسوم وعقلي موله ۞ ودمعي مسفوح وداري بلاقع
فإن كنت حيا عمت لله حجة ۞ وإن تكن الأخرى فما المرء صانع
فقالت لها سليمى بنت سعيد وكانت من الزاهدات
العابدات أيا هذه أمركن الله عز وجل إنما أمركن بالصبر ووعد
على ذلك الأجر ۞ أما سمعتن قوله وبشر الصابرين الذين إذا
أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون أولئك عليهم صلوات
من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون ۞ فعند ذلك
سكن ما كان بهن من البكاء والنحيب قال الواقدي

ولما ورد الخمس على عمر بن الخطاب رضي الله عنه وكتاب أبي عبيدة
مع دياج بن غانم اليشكري ۞ فقرأه عمر على المسلمين فضجوا بالتهليل
والتكبير وصلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فكتب
عمر بن الخطاب إلى أبي عبيدة يأمره بالمسير إلى إنطاكية وورد
الجواب مع دياج بن غانم اليشكري فقرأه عمر على المسلمين
قال الواقدي أخبرني مازن بن عبد ربه عن مالك بن
أسيد عن جده مروان بن الحريش إن الجواب لما ورد على أبي عبيدة
سار من يومه يطلب إنطاكية قال الواقدي هذا ما كان
من أمر المسلمين وأما ما كان من يوقنا رحمة الله عليه وعدو الله
الأيهم بن جبلة ومن معهم فإنهم ساروا إلى إنطاكية وسبق
البشير إلى الملك هرقل يبشره بقدوم ابنته وقدوم الأيهم بن
جبلة وأنه أسر مايتين فارس من أصحاب رسول الله صلى الله
عليه وسلم ۞ فأمر الملك بالبيع أن يزينوها ووقعت
الصدقات والخلع على فقراء الروم وخرج الملك إلى لقائهم
وقد ترجلت الملكية وأصحاب سرير الملك بين يدي ابنة
الملك وخرج كل من في إنطاكية وكان يوما مشهودا ۞
وقدمت أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم والروم تلطمهم

عليهم وقد دارت بهم رجال الهائم بن جبلة وزفت ابنة الملك الى
قصر ابيها ودخل الهائم بن جبلة على الملك وصقع بين يديه وخلع
على الهائم وعلى يوقنا وأمر بأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
فمثلوا بين يديه وهم موثوقون بالحبال ❁ فلما وقفوا بين يديه
صاحت بهم البطارقة والحجاب الارض للملك فلم يفعلوا شيئا من ذلك
ولا التفتوا الى كلامهم فقال لهم الحاجب الكبير ما لكم لا
تعظمون بساط الملك بالسجود قال اصحاب رسول الله صلى الله
عليه وسلم نحن لا نسجد لمخلوق وقد نهانا نبينا محمد صلى الله
عليه وسلم عن ذلك **قال الواقدي** حدثني سهل بن قادم
قال حدثني الشليل بن حازم قال حدثني الحكم بن مازن قال
لما وقفت اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم خاطبهم الملك
بغير ترجمان اراد بذلك ان تسمع بطارقته وحجابه ما كان
يحدثهم به حتى بعث محمد صلى الله عليه وسلم وذلك ان الملك
هرقل جمعهم اليه وقال هذا هو النبي المبعوث الذي بشر به
المسيح وهو صاحب الوقت ولا بد له ان يظهر حتى يملأ المشرق
والمغرب عدلا ❁ ثم دعاهم الملك الى اداء الجزية
فأرادوا قتله فأراد الملك في يومه ذلك ان يختبر لهم

حقيقة

حقيقة قوله وانه ما اراد بذلك الا اصلاح شأنهم فقال الملك
للصحابة من يخاطبني منكم عما اسأله عنه من العلم فأشاروا
الى قيس بن عامر الانصاري وكان شيخا معمرا شهد جميع احوال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعجزاته ❁ فلما اشارت الصحابة
اليه قال للملك قل ما انت قائله فقال هرقل كيف نزل
على نبيكم الوحي في مبتدأ امره ❁ قال قيس بن عامر سأل
هذا السؤال لنبينا رجل من اهل مكة اسمه الحارث بن هشام
فقال يا رسول الله كيف يأتيك الوحي فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم احيانا يأتيني مثل صلصلة الجرس ❁ وهو
اشد علي فينفصم عني وقد وعيت عنه ما قال واحيانا يتمثل
لي الملك رجلا فيكلمني وانا اعي ما يقول قالت عائشة
رضي الله عنها ولقد ينزل عليه في اليوم الشديد البرد فينفصم
عنه وان جبينه ليرفض عرقا ❁ واول ما بدأ به رسول الله
صلى الله عليه وسلم الرؤيا الصالحة في النوم وكان لا يرى
رؤيا الا جاءت مثل فلق الصبح ثم حبب اليه الخلا وكان
يخلو بغار في حراء فجاءه الملك فقال له اقرأ قال ما انا
بقارئ قال فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد ثم ارسلني

فقال له اقرأ باسم ربك الذي خلق خلق الإنسان من علق اقرأ وربك
الأكرم الذي علم بالقلم فرجع بها رسول الله صلى الله عليه وسلم
يرجف فؤاده فدخل على خديجة ابنة خويلد فقال زملوني زملوني
فزملوه حتى ذهب عنه الروع وأخبر خديجة الخبر فقالت
كلا والله ما يخزيك الله أبدا إنك لتصل الرحم وتحمل الكل
وتكسب المعدوم وتقري الضيف وذكر الحديث كله
ولقد حدث صلى الله عليه وسلم قال فبينما أنا أمشي إذ سمعت
صوتا من السماء فرفعت طرفي فإذا الملك الذي جاءني بحراء
وهو جالس على كرسي بين السماء والأرض فرعبت منه ورجعت
وقلت دثروني فأنزل الله عز وجل يا أيها المدثر إلى قوله
والرجز فاهجر ❁ ثم تتابع الوحي من بعد ذلك ثم قال قيس بن
عامر لهرقل اعلم أني كنت جالسا مع النبي صلى الله عليه وسلم
في المسجد إذ أتاه رجل راكب على جمل فأناخه ثم عقله ثم
قال أيكم محمد ❁ فقلنا له هذا الرجل الأبيض المتكئ
فقال يا ابن عبد المطلب فقال النبي صلى الله عليه وسلم قد
أجبتك فقال الرجل للنبي إني مسائلك ومشدد عليك في
المسألة ❁ فقال سل عما بدا لك فقال أسألك بربك

ورب من قبلك آلله الذي أرسلك إلى الناس كلهم قال اللهم نعم
قال الرجل أنشدك بالله آلله أمرك أن تصلي الصلوات الخمس في
اليوم والليلة قال اللهم نعم قال الرجل أنشدك بالله آلله أمرك
أن تصوم شهرا في السنة ❁ قال اللهم نعم قال الرجل أنشدك
بالله ربك آلله أمرك أن تأخذ من أغنيائنا هذه الصدقة فتردها
على فقرائنا قال اللهم نعم ❁ قال الرجل آمنت بما جئت به
ومن ورائي من قومي وأنا رسولهم وأنا ضمام ابن ثعلبة أحد
بني سعد بن بكر قال هرقل لقيس بن عامر بحق دينك
ما الذي رأيت من معجزاته قال قيس كنت معه في سفر
فأقبل إليه أعرابي ودنا منه ❁ فقال له المصطفى صلى الله
عليه وسلم قل أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله
قال الأعرابي ومن يشهد على ما تقول قال صلى الله عليه وسلم
هذه السلمة يعني الشجرة فدعاها رسول الله صلى الله عليه
وسلم وهي بشاطئ الوادي فأقبلت تخد الأرض الى
بين يديه فاستشهدها ثلاثا ❁ فقالت الشجرة أنت
محمد رسول الله ثم رجعت إلى منبتها فقال هرقل وإنا نجد في
كتبنا أنه من عمل منكم سيئة كتبت عليه سيئة

واحدة ومن عمل حسنة كتبت له عشر حسنات ❁ قال له قيس بن عامر
إن ذلك في كتابنا ثم قرأ من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها ومن جاء
بالسيئة فلا يجزى إلا مثلها ❁ فقال هرقل إن النبي الذي بشر
به المسيح هو الشاهد على الناس في الدنيا وهو الشاهد عليهم يوم
القيامة ❁ قال قيس بن عامر ذلك أنزل في كتابنا ثم قرأ
يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا إلى الله
بإذنه وسراجا منيرا ❁ فقال هرقل إن النبي الذي وصفته
لك يأمر الله العباد أن يصلوا إليه ويصلوا في حياته وبعد مماته عليه
قال قيس لقوله عز وجل إن الله وملائكته يصلون
على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما ❁ قال
هرقل إن النبي الذي بشر به المسيح يعرج به إلى السماء إلى العلي
الأعلى قال قيس قال الله عز وجل سبحان الذي أسرى بعبده ليلا
من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله ❁ قال
هرقل إن النبي الذي بشر به المسيح فرض الله عليه شهرا في السنة
يصومه يقال له رمضان ❁ قال قيس نعم قال الله عز وجل
شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من
الهدى والفرقان فمن شهد منكم الشهر فليصمه ومن كان مريضا

أو على سفر فعدة من أيام أخر ❁ قال قيس بن عامر وكان بترك الروم
حاضرا يسمع كلامنا وهو رأس دينهم ❁ فقال أيها الملك إن هذا
النبي الذي ذكرته لم يبعث بعد فقال له ضرار ابن الأزور كذبت
هذه اللحية الخنزيرية يا كلب النصرانية وإنما هو النبي المبعوث
المشهور وهو نبينا إلا أن حجاب الكفر منعكم من معرفته فقال له هرقل
لقد أسأت الأدب إذ أنت أخرقت بحرمة ديننا فمن أنت قال أنا
ضرار ابن الأزور فقال هذا الذي بلغني عنه أنه يقاتل راجلا
وفارسا وعريانا ولابسا قال نعم **قال الواقدي** ولقد بلغني
أن البترك لما كذبه ضرار ابن الأزور غضب غضبا شديدا وغضبت
الحجاب والمماليك والبطارقة فلما نظر هرقل إلى غضبهم خاف على
نفسه ❁ فقال للبطارقة دونكم وإياه فقطعوه بسيوفكم
فضربوه بالسيوف أربعة عشر ضربة بالسيف إلا أنها غير قاتلة
لما يريد الله من حياته فلما رأى ذلك البترك جلس وقال
اقطعوا لسانه ❁ فلما سمع يوقنا ذلك قال لهرقل والله لا تركت
هذا الملعون يتمكن من أحد من أصحاب رسول الله صلى الله عليه
وسلم فتقدم يوقنا رحمة الله عليه وقبل الأرض بين يدي الملك
هرقل وقال أيها الملك ليس هذا بالصواب والرأي عندي أن

تتركه من الغلام فإن عاش إلى غد أخرجناه إلى باب المدينة ونشفي
قلوب الروم بضرب عنقه وتبلغ الخبر إلى العرب فيتقهقرون لذلك
قال الواقدي وإنما أراد يوقنا بذلك خلاص ضرار من أيدي
الكفار وقال إذا بات الليلة انكسر عنه غيظ القوم فاستصوب
الملك رأيه وقال أيها البطريق خذه وتسلمه فأخذه يوقنا
هو وولده وأتيا به إلى دارهما واعتبرا جسده وإذا بالضربات
مشطبة لم تقطع عرقا ولا عصبا رفقا من الله عز وجل ❀ فخاطا
جراحاته وطرحا فيه الذرور وأطعماه أطيب طعام وأسقياه
أفخر شراب ففتح ضرار عينيه ولم يكن له علم بيوقنا أنه قد أم
ينصب على الروم وإنما ظن أنه ارتد فقال لهما ضرار إن كنتما
كافرين فلا بد عجل الله لي حتى داويتما جراحي وإن كنتما مؤمنين ❀
فمرحبا بكما وهنيئا لكما ولعل الله يجمع شملي بحوري في الجنان إذ
ببركتكما ولقد كانت تحب هذا الجناب لأنني بقية من
لها من الأحباب ❀ وإن أختي في العسكر الذي لنا وقد
خفي أمري عليها فإن قدرتما تبلغان أختي سلامي وتبلغاها
بمقامي وكيف كان للكافرين كلامي فمن تعلم أمي وكما تبنها
بأمري تموت صبرا إلى الليل وقال بالله بلغا عني لأختي ما أقول

❀ وأنشد يقول ❀

ألا أيها الشخصان بالله خبرا ❀ سلامي على أطلال مكة والحجر ❀

قال الواقدي ولما كتب يوقنا هذا البيت عن ضرار ابن
الأزور وختم الكتاب وسلمه إلى من يثق به وبعثه إلى عسكر المسلمين
قال حدثني جابر بن عمر الدوسي عن عامر بن سهل الدوسي عن أبي
هريرة الدوسي ❀ قال كنا في عسكر أبي عبيدة ونحن في أرض
يقال لها الاسلاطية إذ جاءنا معن ابن أوس المخزومي وكان ❀
أبو عبيدة قد تركه على حرس المسلمين فجاء برجل من الروم فقال
لأبي عبيدة خذ هذا إليك فهو يزعم أنه رسول فاستخبره أبو عبيدة
فقال أنا رسول إليك من عند أسيركم بانطاكية اسمه ضرار بن
الأزور فأخذ أبو عبيدة الكتاب وقرأه على المسلمين فتباكت الناس
فسمعت أخته خولة بذلك فأتت إلى أبي عبيدة وقالت أيها الأمير
اسمعني كلام أخي فقرأه عليها فشهقت ثم رجعت وقالت
إنا لله وإنا إليه راجعون والله لألحقن بأخي قال الواقدي
وكان أشد الناس حزنا عليه خالد بن الوليد ❀ قال حدثني
عبد الملك بن محمد عن أبيه عن حسان بن كعب بن عبيد الواحد
ابن أبي عوف عن موسى بن عمران اليشكري عن عمه

ابن يحيى عن أبي أسد بن مسلم عن دارم وكلهم حدثوا عن أهل حازم والراوند
وعمان وأزباح وقورص وباسطوا فتحت المسلمون حصونهم صلحا
ولم يزل أبو عبيدة سائرا بجيش المسلمين حتى نزل على جسر الحديد
فبلغ الخبر إلى هرقل أن جيوش المسلمين نزلوا على جسر الحديد
فتمكن الخوف من قلبه فأمر بطارقته بالتأهب للقتال ونصب
سرادقه متصلا بجسر الحديد وفتح الملك خزائن السلاح وفرقها
على الرجال ❁ وخلع على يوقنا وقال له أيها الدمستق قد وليتك
على جيشي هذا لكن مدبره ثم سلم إليه صليبا كان في كنيسة
القسيان وكانت الروم لا يظهرونه إلا في يوم عظيم وقال له أيها
الدمستق قدم هذا الصليب بين يديك واعتمد عليه فإنه ينصرك
فأخذه يوقنا وسلمه إلى وليه ❁ ثم إن الملك هرقل لما خلع على
يوقنا ركب إلى كنيسة القسيان وركبت معه الملوك
والحجاب وأرباب الدولة والقسوس والرهبان فأمر بإحضار
المائتين من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يأتوا بهم
ليقربهم تقربا بالأصنام ❁ فلما سمع يوقنا بذلك قبل
الأرض بين يدي الملك وقال يا عظيم الروم ما ولاك الله أمر
العباد إلا وقد علم أن حلمك يحمل ذلك وقال دريسقوس بن الحكم

وأرسطاليس الحكيم العقل مرقاة جليلة وتصابيه نبيل لا تدعه الأجسام
ومصباح الأنام ❁ واعلم أيها الملك أن العرب قد قصدتنا ❁
بعددها وعديدها ولا بد لنا من القتال ولا نعلم على من تكون الدائرة
فإن قتلت هؤلاء الأسارى وأوقع أحد منا في أيدي العرب
فإنهم لا يقتلون منا والصواب أنك تتركهم إلى أن ترى على من تكون
الدائرة ❁ فإن أسرت العرب من أصحاب الملك أحدا وجدنا
من نفادي به فقال أرباب الدولة صدق والله هذا الدمستق
في قوله وتكلم البترك وقال أيها الملك أمرنا بإخراجهم إلى
هذه الكنيسة فإنها أحسن كنائسنا وقد امتلأت بالنساء والبنات
لتعرض عليهم التنصر فإذا نظروا إلى بناتنا وحسنهن وجمالهن عسى
أن تميل أنفسهن إلى الدنيا فيرجعوا إلى ديننا ويكون ذلك وهنا
للمسلمين ❁ فأمر الملك بإحضارهم فلما حضروا إلى البيعة
رفعت الأقسة أصواتهم بقراءة الإنجيل وأطلقوا البخور بالند
والعود وأظهروا زينتهم وحليهم ودنانيرهم فلما عاين المسلمون
رضي الله عنهم ذلك رفعوا أصواتهم بالتكبير والتهليل ❁ وقالوا
كذب العادلون بالله وضلوا ضلالا بعيدا وخسروا خسرانا
مبينا ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله إذا لذهب كل إله

بما خلق وتعالى بعضهم على بعض سبحان الله عما يصفون **قال الواقدي**
وكان في الصحابة رجل من فصحاء العرب اسمه رفاعة بن زهير رضي الله
عنه وكان يقول الشعر وينظم القول وكان من علماء اليمن
قد اطلع على الكتب السالفة فلما نظر إلى الكنيسة وأهلها بالكفر
ورآهم يعظمون الصور والصلبان قال الله أكبر الله أكبر
لا إله إلا الله محمد رسول الله ❁ كذب أصحاب الشيطان
ولا إله إلا الرحمن الذي ليس كمثله شيء في عدده محسوب وإنه
فرد لا إلى شيء منسوب ليس له ضد ولا ند ولا قد ولا حلية ❁
أوجد الموجودات ❁ وصور المصنوعات وخلق المخلوقات
ودبر الكائنات ❁ أول لا افتتاح لوجوده وآخر لا عدم لشهوده
لا يموت ولا يفنى ❁ ولا يزول ولا يبلى ❁ لا شريك له ولا
وزير ولا صاحبة ولا مشير ❁ ليس كمثله شيء وهو السميع البصير
قال الواقدي فاضطربت الكنيسة لقوله ومالت
الرهبان فقال له الملك هرقل ما اسمك قال اسمي رفاعة
ابن زهير فقال البترك إن الحكمة نبعت من حكمائنا بعث من اليونانيين
ورجالها صدورا لسريانيين ومن أين للعرب حكمة يتوارثونها
أو علم يتدارسونه وإن الفضائل كلها من علمائنا والعدل

في ملوكها ❁ منهم الإسكندر بن دارم الرومي وبطلموس وأرمويل
وأسطاليس وفينا باغور ابن يوحيد وهو الذي بنا انطاكية ❁
وقليوس وأرميا وكان نبيا ملكا وأرباتس وجرجس وهما الذي
بنيا عين الرسطاوس ❁ وقلموس وطاغوس وهو الذي بنا منبجا
وجسر منبج ❁ وأسطاليس وكان كاهنا وهو الذي قد أخبر
ملك زمانه أنه قد ولد مولود يخاطب الرب ويكون له شأن وشأن
عظيم وتهلك على يديه فلاطون بالرومية وهو فرعون ❁
وفينا فليطس وكان حكيما ومعناه بحر العلم ❁ ومنا نيتون
وهو الذي بنا أرومة الكبرا ❁ ومنا سطولس وهو الذي
وضع الكتاب الأول الذي فيه صورة الدنيا بجبالها وبحارها
وأشجارها وثمارها وحيواناتها ووصف كل إقليم بما فيه
من المعادن من الذهب والفضة وجوهر ولؤلؤ وإحصاء
عيون الأرض جميعا ومنا السودريس الحكيم الذي بنا
هيكل الإسكندر الذي في كتابه لا حشرني الله مع الذين
يقول الله لهم في المعاد ادبروا إبليس وجنوده في النار
قال الواقدي فلما تكلم البترك بهذا الكلام
بين يدي الملك قليطس وهو الملك هرقل طمعا في العرب

ليسمع جبلة ابن الأيهم وكان حاضراً وكان سبب العداوة بين البترك
وبين جبلة بن الأيهم أن البترك كان قد بنا ديراً عظيماً وجعل له
عيداً في السنة تقصد إليه الروم من كل مكان بالنذور والهدايا
والشمع والبخور وذلك برسم البترك واتفق أن الملك هرقل
أقطع جبلة تلك الأرض فبنا حول الدير مدينة وسماها باسمه
دمى جبلة **قال الواقدي** حدثنا سليمان ابن عامر
عن أبي منصور الخولي قال حدثني حجاج بن جريج قال لما سمع رفاعة
ابن زهير قول البترك تبسم من قوله وقال أيها البترك قد مدحت
قوماً ليس لهم إلى الفضل من سبيل ولا فيهم فاضل ولا نبيل إلا من
وحد الملك الجليل الذي ليس له مثيل ولا عديل وإنما الفضل
للعرب من ولد إسماعيل ابن إبراهيم الخليل الذي لهم البيت
الحرام وزمزم والمقام والمشعر الحرام ومنهم التبابعة
الأقيال والحماة الأشبال الذين ملكوا الأرض في الطول
والعرض منهم الملك الصعب من مرزاد وهو الإسكندر
الأول الذي ملك قرى الدنيا ودخل الظلمات ودخل
تحت طاعته أهل الأرض وبلغ مغرب الشمس ومطلعها
وأذل ملوكهم وجعلهم له أعواناً وهو الذي سماه الله ذا القرنين

ومنهم سبا ابن يعرب بن قحطان وشداد بن عاد والنمرود بن كنعان
وهزاز بن سكسك وشيعان بن إكسير بن شوخ والصيسع
ابن تاخود وعاد بن رقم وهازيل ابن عيان وكان يتكلم بالحكمة
ومنا جاموس بن جلهم بن علجان بن يافث بن نوح وثمود بن كنعان
ابن ماديح وسبا ابن يخشب وهو أول متوج ثم ولي من بعده
ولده حمير ومالك بن حمير ثم عامر بن حمير ثم منا نبي الله حنظلة بن
صفوان نبي أهل الرس ثم منا ثعلبة ابن عبد الملك بن جرهم بن
قحطان بن يعقوب النبي عليه السلام عاش خمس مائة سنة وهو الذي
بنا المصانع واستخرج الكنوز ورتب الجيوش وورثه الله علم نبيه
حنظلة بن صفوان وقد ختم الله شرفنا ورفع قدرنا إذ جعل محمداً
صلى الله عليه وسلم منا فنحن السادات وأنتم العبيد **قال الواقدي**
حدثني سفيان بن عبد ربه قال حدثنا الوليد بن زياد عن حكيم
ابن حزام قال إن هذا رفاعة ابن زهير لما تكلم بهذا الكلام
بين يدي الملك هرقل صعب ذلك على البترك فقال للبطارقة اضربوهم
واحبسوهم ولا تطعموهم ولا تسقوهم **قال الواقدي**
وكان لرفاعة ابن زهير ولد عايق وكان قد أسر معه وكان
قلبه يميل إلى الكفر وكان أبوه يدعو عليه فلما حضرت الصحابة

كنيسة القسيان واشتغل رفاعة مع البترك بالمناظرة نظر ولده الى الكنيسة وزينتها وصورها وصلبانها والى نساء الروم وزينتهن أسرع الى تقبيل الأصنام وأشرك بالله الملك الديان فلما نظر أبوه الى ذلك بكى وقال يا ولدي كفرت بعد الايمان يا طريد القدرة يا بعيد من الحضرة يا ويلك كفرت بصاحب القدرة والله ما بكائي على فراقك في الدنيا وانما بكائي على فراقك غدا في الآخرة اذا سلكت أنت طريقا وأنا طريقا اذا ذهبت أنت الى دار الأباليس وحشرت مع هؤلاء الرهبان والقساقيس وتكون في طبقة النار وأكون أنا مع النبي محمد المختار الى دار القرار يا بني لقد خاب أملي فيك والرجا يا بني كيف طاب قلبك تتبرا من أمة محمد المصطفى يا بني من تطلبه غدا يشفع فيك ثم جعل أبوه يرثيه **بهذه الأبيات**

يا بني غرتك الحياة * فصرت تكفر بالعليم

يا بني صرت الى الشقا * من كونك في النعيم

أبني ما تخشى العذاب * اذا عبرت الى الجحيم

ما تستحي من أحمد * يوم القيامة هو الخصيم

أما أبوك فقد غدا * من أجل كفرك في هموم

أسألك يا ولدي بما * قد كان في الزمن القديم

من حسرتي وتقطعي * حال الرضاعة والفطيم

الا رجعت الى الذي * غطاك بالستر العميم

قال الواقدي فلما سمع ولده كلام أبيه قال يا أبت قد أسبل الحجاب * وأغلق الباب * وسبق ذلك في الكتاب *

قال الواقدي فلما عاينه البترك وهو يقبل الصلبان أمر به فحلوه من وثاقه ودارت به الأقساء والشمامسة وبخروه وورقت عليه الخلع وأدخلوه الى ماء المعمودية ووهبوا له مالا ومركوبا وجارية ومنزلا وضمه الهامان بن جبلة اليه * ثم التفت البترك الى الأسارى من الصحابة وقال لهم يا هؤلاء ما يمنعكم أن تعودوا الى ديننا كما فعل صاحبكم قالوا يمنعنا من ذلك صحة ديننا * وثبات يقيننا * وما كنا بالذي نبدل بالايمان كفرا ولو قتلنا بالصوارم قال لهم البترك * لقد طرد كم المسيح عن بابه * وأبعدكم عن جنابه * فقال له هرقل يا معاشر العرب قد وصل الينا أن خليفتكم والأمير عليكم يلبس مرقعة وقد وصل اليه من أموالنا وذخائرنا ما يجل الوصف عنه فما يمنعه أن يتزيا بزي الملوك وكان لهم رفاعة

يمنعه من ذلك الآخرة ❁ والفزع من جبار الجبابرة ❁ فقال
هرقل ما صفة دار إمارته ❁ قال رفاعة مبنية بالطين ❁ قال
هرقل ما صفة حجابه ❁ قال رفاعة ذوو الفقراء والمساكين
قال هرقل فما بساطه ❁ قال رفاعة العدل والتمكين ❁ قال
هرقل فما سريره ❁ قال رفاعة العفة واليقين ❁ قال هرقل
فما مدينة ملكه ❁ قال رفاعة الزهد والدين ❁ قال
هرقل فما خزائنه ❁ قال رفاعة الثقة برب العالمين ❁ قال
هرقل فما جنده ❁ قال رفاعة أبطال الموحدين ❁ ثم قال
رفاعة أما علمت أيها الملك أن جماعة قالوا يا عمر كيف
ملكت كنوز الأرض والقياصرة ❁ ودانت لك رقاب
البطارقة والأكاسرة ❁ وهلا لبست ثيابا فاخرة
قال لهم عمر أنتم تريدون الزينة الظاهرة ❁ وأنا أريد
رجاء الدنيا والآخرة ❁ كما قال تعالى وهو أصدق القائلين
ثم قرأ الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة
وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ❁ فلما سمع الملك
كلام رفاعة بن زهير اغتاظ غيظا شديدا وقال للبطارقة
اسجنوهم إلى السجن ❁ ثم خرج الملك هرقل إلى عسكره ليشرف عليه

فتوح انطاكية وخلاص ضرار ابن الأزور قال الواقدي

فلما خرج الملك هرقل إلى عسكره ليشرف عليه وعلى سرادقاته فرأى
سرادقات الملك قد نصبت وبإزاء سرادقه كنيسة من الخشب فيها
صور وتماثيل وكان زي الروم ذلك تكون هذه البيع الخشب معبية
لأسفارهم فطاف الملك عسكره بأجمعه وأراد الدخول
إلى انطاكية وإذا بفوارس تركض إليه فقالوا لهم الحجاب ❁ ما
وراءكم قالوا قد ملكت العرب جسر الحديد وحصلوا معنا فعند ذلك
تيقن الملك بزوال ملكه قال الملك وكيف ملكت العرب جسر
الحديد وفي البرجين ثلاثمائة مقاتل فقالوا أيها الملك إن المقدم
عليهم هو الذي سلم الباب إلى العرب قال الواقدي
وكان من صنع الله للمسلمين أن الحاجب الكبير كان يمضي كل
يوم في موكبه إلى [illegible] ويتفقد رجاله ويوصيهم بالحرس
فمضى يوما من الأ[illegible] على جري عادته فوجدهم يشربون الخمر
وليس عندهم حف[illegible] حر[illegible] فضرب كل واحد منهم خمسين
مقرعة ❁ وهم أن ي[illegible] المقدم عليهم أمسك عنه خيفة
من الملك ❁ ثم تركهم وعاد إلى انطاكية فمل الحقد
في قلوبهم قال الواقدي فلما قدم أبو عبيدة بجيشه

أخذوا منه أمانًا وفتحوا لهم الباب فدخل جيش المسلمين ❁ فعند
ذلك دخل الملك سرادقه ولبس سلاحه وأمر جيشه بلبس السلاح
ففعلوا ذلك **قال الواقدي** حدثني ياسر بن عبد الرحمن
قال أخبرني مبارك الصيدلاني وكان أخبر الناس بفتوح
الشام قال بلغني أنه لما صار المسلمون بأرض نطاكية قال أبو عبيدة
لخالد يا أبا سليمان قد صرنا في أرض كلب الروم والساعة نشرف
على عسكرهم فما الرأي عندك قال خالد يا أمين الأمة أنت تعلم
أن الله عز وجل قال وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط
الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم والآن أأمر أصحابك أن يتأهبوا
ويلبسوا ويظهروا السلاح وقوة الإيمان ويتقدم كل أمير بجيش
والكتائب تتلو الكتائب والمواكب تتلو المواكب [illegible] راياتهم
ففعل أبو عبيدة ذلك **قال الواقدي** وأول ما عقد أبو عبيدة
راية لسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل العدوي رضي الله
عنه وضم إليه ثلاثة آلاف فارس [illegible] من المهاجرين
والأنصار وسيره على المقدمة [illegible] ثم عقد راية
أخرى وسلمها إلى رافع بن عميرة الطائي رضي الله عنه
وضم إليه ألفي فارس من طي وغيرها ثم بعثه في أثر سعيد

ثم

ثم عقد راية ثالثة وسلمها لميسرة بن مسروق العبسي رضي الله عنه وضم
إليه ثلاثة آلاف فارس من النخع وغيرهم وبعثه في أثر رافع بن عميرة
ثم عقد راية رابعة وسلمها إلى مالك النخعي وضم إليه ثلاثة آلاف
فارس وبعثه في أثر ميسرة بن مسروق العبسي ثم عقد راية خامسة
وهي العقاب وسلمها إلى خالد بن الوليد رضي الله عنه وهي الراية
التي عقدها له أبو بكر الصديق رضي الله عنه وسار خالد في
أثر مالك الأشتر ❁ فلما أبعد خالد رحل أبو عبيدة في أثر
خالد بمن بقي معه من الجيش وكان جملة من بقي مع أبي عبيدة
من أمراء المسلمين عمرو بن معدي كرب الزبيدي وذو الكلاع
الحميري وعبد الرحمن بن أبي بكر الصديق رضي الله عنه ❁
وعبد الله بن عمر بن الخطاب وأبان بن عثمان بن عفان والفضل
ابن العباس وعبد الله بن جعفر وأبو سفيان صخر بن حرب وراشد
ابن سعيد ورافع بن سهل وزيد بن عامر وعقبة بن أوس وعبد الله
ابن ظفر وأبو لبابة بن المنذر وعوف بن ساعدة وعابس بن
قيس وعابد بن عيينة ورافع بن عميرة وسمرة بن عامر وعبد الله بن
قرط الأسدي وماجد بن عقيل ومازن بن أوس وكعب بن ضمرة
ومسعود بن عون رضي الله عنهم ومن ورائهم من النسوان التي

لهم الأسارى في إنطاكية وفيهن خولة بنت الأزور وعفيرة بنت
غفار وأم زرعة بنت عملوق الحميرية وأم أبان بنت عتبة وليس
فيهن أشد حزناً من خولة بنت الأزور وهي أمامهم تقول

أبكي ما حييت على شقيقي ❁ أحب إليّ من عيني اليمين ❁
فلو أني لحقت به قتيلاً ❁ لهان وإنه عين المهين ❁
وكنت إلى السلو أرى طريقاً ❁ وأعلق منه بالحبل المتين ❁
وإنا معشر من مات منا ❁ فليس يموت موت المستكين ❁
وأنف أن أقول مضى ضرار ❁ ولم تفصم عرى الحرب الزبون ❁
وقالوا إذ بكا قلت مهلاً ❁ ألا أبكي حتى يخفى أنيني ❁

قال الواقدي وسار أبو عبيدة كما ذكرنا والروم في
خيامها وعسكرها إذ وقع الصايح في عسكر الروم بقدوم
العرب فركبوا خيولهم وصفوا صفوفهم فأول من قدم على عسكر
الروم سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل ❁ ثم طلع من بعده
رافع بن عميرة الطائي ثم طلع من بعده ميسرة بن مسروق
العبسي ❁ ثم طلع من بعده مالك الأشتر النخعي ثم طلع من بعده
خالد بن الوليد ثم طلع من بعده أبو عبيدة في موكبه وبقية
عسكره رضي الله عنهم أجمعين ❁ ونزل كل أمير بقومه فلما نظر

الملك هرقل إلى جيش المسلمين بإزاء جيشه ترك على جيشه حاجبه الكبير
وكان اسم الحاجب نيطاروس ❁ وكان شجاعاً بطلاً ودخل الملك
إلى كنيسة القسيان وجمع إليه الملوك والبطارقة والحجاب
والقسوس والرهبان وقال يا أهل دين النصرانية قد قرب ما تعده
من ذهاب عزكم من أهل سورية ولقد كنت أحذركم من هذا المقام
فلم تقبلوا مني وأردتم قتلي وها هؤلاء القوم قد دخلوا دار عزكم
فقاتلوا عن حريمكم وأموالكم ❁ وإياكم والفشل ولا يلحقكم في
الجهاد كسل ❁ فقد جاهدت بكم جهدي وطاقتي وأنفقت
مالي وإن تسلموا وتنقادوا عصيتم فيقتلوكم ويأخذوا أموالكم ويستعبدوا
أولادكم وإن اعتزمتم على الجهاد تجردوا ولولا العرب سوف
العزم وإلا كانت الغارة عليكم ولا بقية تصل إليكم أين آباؤكم
ومن سلف ماتوا كلهم غير لئام وكانت يا رهطهم العرب الضعاف
وجعلوا كنائسهم جوامع ❁ وخربوا البيع والصوامع
ولكن كان حكمي ألا تعقد المصالحة بينكم وبين هؤلاء
العرب لكن ظلمة جهلكم لم تقبل منور الحكمة أما علمتم أنه وجد
لوح من حجر على قبر طيمارث مكتوب عليه الحكمة سلم العالم الأعلا
من عدمها فقد عدم القرب من باريه ❁ الحكمة جناب

القلوب ونعيم الأبدان ونزهة النفوس وأنوار العقول من لم يرحكيما لم يزل سقيما ❁ فعند ذلك قام إليه جبلة ابن الأيهم وقال أيها الملك دع عنك قال هاؤلاء العرب وابعث لنا رجلا من عندك يقتل لنا خليفة نبيهم عمر ابن الخطاب فإذا قتلته انهزم جمعهم وقتلنا هم عن آخرهم قال له الملك هرقل ابعث أنت من عندك رجلا من العرب فبعث جبلة لعنه الله رجلا من بني عمه اسمه واثق بن مسافر الغساني وكان جريا مقداما في الحرب وقال له انطلق إلى يثرب ولعل أن تقتل لنا عمر ابن الخطاب وأعطيك دية ما تختار ❁ فسار واثق بن مسافر إلى أن دخل المدينة وقدمها مسا فلما كان من الغد صلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه بالمسلمين صلاة الصبح ثم خرج من المدينة يتنسم أخبار المسلمين والمجاهدين بالشام فخرج المتنصر سبقه وجلس على شجرة في طريقه بإزاء حديقة أبي الدحداح الأنصاري واستتر بأغصان الشجرة وإن عمر رضي الله عنه أقام ظاهر المدينة إلى أن حميت الرمضاء ثم عاد عمر وحده وقرب من الشجرة ونام في حديقة الدحداح فلما نام عمر هم المتنصر أن ينزل من الشجرة ليقتل عمر بن الخطاب وجرد خنجره وإذا بأسد عظيم قد أقبل من صدر البرية فطاف

الأسد حول عمر وجلس تحت رجليه وأقام يحرسه حتى استيقظ ثم مضى الأسد وتركه ❁ فعند ذلك نزل المتنصر من على الشجرة وقبل يديه ورجليه وقال يا عمر عدلت فأمنت ثم نمت بأبي والله من الكائنات تحفظه السباع وتحرسه الملائكة والجن تعرفه ❁ ثم حدث عمر بأمره وما كان منه وأسلم المتنصر على يد عمر بن الخطاب قال الواقدي حدثنا أبو محمد قال أخبرني أبي قال حدثنا حسان قال حدثنا السيد بن يحيى بهذا الحديث وهو صحيح قال الواقدي وحدثني سهل بن عباس النوري عن من حدثه بنزول أبي عبيدة بجيش المسلمين على انطاكية ووعظ هرقل قومه بكنيسة القسيان واستحلفهم أن لا يموتوا إلا يدا واحدة ❁ وخرج الملك إلى عسكره ورفعت الصلبان على رأسه وقرأت القساقسة والرهبان الأناجيل بين يديه ووقعت لهم ضجة عظيمة من أهل الكفر والطغيان وزحفت الروم للقتال ❁ فعند ذلك ركب أبو عبيدة والمسلمون ووقف كل أمير في موكبه ونشرت رايات المسلمين وأشار إلى ربيعة بن عامر وهو أبو عمر الشاعر وكان فصيحا أديبا لا يتكلم إلا بالكلام المنظم كما ذكرنا من قبل فقال له يا ربيعة فوق سهام وعظك إلى

قلوب المسلمين وحرض المهاجرين على المشركين ❁
فتقدم ربيعة أمام الصفوف وكان جهوري الصوت يسمعه القريب
والبعيد ❁ فقال أيها الناس إلى متى هذه المهلة ❁ فما هبوا الحملة
فهذه طيور الأرواح ❁ قد عولت على فراق أقفاص الأشباح ❁
وقد أجابت إلى بارئها ❁ وأجابت صوت مناديها ❁ وها هي
تخاطبنا بصوت إشاراتها ❁ عن نطق عباراتها ❁ ما هذا التوقف
عن بذل أنفسكم أتخلدون ❁ ثم إلى حب الحياة الفانية والأنفس
الواهية ❁ فهذه أوقاتكم بالنصر مؤيدة ❁ وهممكم عن طلب زينة
الدنيا محيدة ❁ والمواعظ الصادقة بكلام الحق مفيدة ❁ أينما
تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة ❁ وهذه
طوالع سعودنا بالإقبال طالعة ❁ ونجوم آمالنا بالتأييد يانعة
فلله درهم ❁ لقد زهرت نجوم الجنة في أفلاك آرائهم وتبلج
فجر الأسف في سماء أشوارهم وأشرقت شموس المعرفة في مشارق
عشقهم ❁ فلما هموا بالحملة وحققوا وقدموا همم النفوس ❁
واشتغلوا وزاحموا بعضهم بعضا ولم يفترقوا ❁ نودوا من صفاء
سرائرهم من المؤمنين رجال صدقوا قال الواقدي
حدثنا يزيد بن إسمعيل قال حدثنا معمر بن عون قال أخبرنا

عياش بن أبان عن جابر بن أوس قال كنت حاضرا في مصاف أبي عبيدة
على إنطاكية حين وعظنا ربيعة بن معمر فكان أول من خرج من عسكر
الروم إلى قتال المسلمين نسطورس وهو كأنه برج حديد ❁ فلما
توسط الميدان طلب البراز فخرج إليه دامس أبو الهول الفاتح لقلعة
حلب وهو يومئذ فارس فحملا على بعضهما بعضا ❁ فلما اشتعلت
نار الحرب بينهما عثر جواد دامس فسقط من على ظهره إلى الأرض
فمال عليه نسطورس فأخذه أسيرا وقاده حقيرا إلى سرادقه ❁ ثم
عاد نسطورس وطلب البراز فخرج إليه الضحاك بن حسان الطائي
وكان يشبه خالدا في صفته وركوبه قال قائل من الروم هذا
فارس المسلمين وهو الذي فتح بلادنا وقتل أبطالنا وكان القائل
ممن شهد قتال خالد فتطاول جيش إنطاكية ينظرون إلى
المبارزة فازدحمت الخيل وقطعت حبال السرادقات وكان
من جملة ما انقطع سرادق نسطورس اللعين الذي في القتال
فقال الفراشون إن عاد نسطورس من القتال ونظر إلى سرادقه
هكذا فهو يقتلهم ولم يجدوا من يعينهم على رفع السرادق لأن كل من
في العسكر مشغول بنسطورس وهو في القتال فاتفق رأي
الفراشين وكانوا ثلاثة وقالوا للدامس نحن نخلصك من وثاقك

وتعيننا على رفع هذا السرادق وإذا جاء البطريق سألناه فيك فيخلي
سبيلك على شرط أننا نردك إلى الأسر ❁ فقال لهم دارس افعلوا ذلك
فحلوه من وثاقه فلما حلوه ووجد الراحة هجم على الاثنين فأخذ
الواحد بيمينه والآخر بشماله وصدم بهما الثالث فقتلهم جميعا
ثم فتح صندوقا من الصناديق فإذا فيه ثياب نسطورس فلبسها
وركب جوادا من الخيل وقصد عسكر المتنصرة ووقف بإزاء
❁
حازم بن عبد يغوث الغساني وهو ابن عم جبلة بن الأيهم وكان
قد قدمه جبلة بن الأيهم على عسكر المتنصرة **قال الواقدي**
ولم يزل الحرب بين نسطورس والضحاك إلى أن تعبت الجواد إن
ولم يقدر أحد منهم على خصمه فافترقا وطلب نسطورس سرادقه
ليستريح فيه من التعب فوجد سرادقه على الأرض والفراشين
قتلى ونظر إلى دارس فلم يره فعلم أن المصيبة على يديه
فأما نسطورس إلى الملك هرقل وأخبره بذلك فقال
وحق ديني ما هذه إلا العرب إلا شياطين وما جاء العسكر فيما
صنع أبو الهول وما لوا ما قصد إلا الجيش المتنصرة لأنه من جنسهم
فلما نظر دارس إلى العسكر وتموجه فهم أن ذلك من سببه
فانتضا سيفه من غمده على حين غفلة وضرب به حازم بن عبد

يغوث أبان رأسه عن جسده وعجل الله بروحه إلى النار فهتف المتنصرة
من ذلك وأمسك الله أيديهم عنه فهي حالة دهشة القوم أطلق
دارس عنان جواده وطلب جيش المسلمين فلما رآه المسلمون أطلقوا
التكبير والتهليل وسلموا عليه وهنوه بالسلامة ووقف بإزاء أبي
عبيدة وأخبره بما جرى له فقال له أبو عبيدة لا شلت يد السلف ❁
ونصرك الله على أعدائك **قال الواقدي** ولما سمع جبلة بن
الأيهم بقتل ابن عمه حازم بن عبد يغوث غضب غضبا شديدا
وأقبل إلى الملك وصفع بين يديه وقال له يا عظيم الروم إننا
لا نقدر على الصبر ولا بد لنا من الحملة عليها ولا الذين تقدموا
علينا ❁ فهم الملك أن يأمر بالحملة وبطارقته بالحملة وإذا أقبلت
خيل تركض إليه قال لهم ما وراءكم فقالوا أيها الملك قد قدم
إليك خدمنا منك قسطنطينوس صاحب أرومة الكبرى فإنها باسم
جده سميت وكان جده قد صنع في أرومة الكبرى هيكلا
عظيما وصورة من نحاس مطلي بالذهب وله سبعة أبواب من
ذهب وعلى كل باب هيكل يدور على رأسه رجل بيده عدة
ألواح من ذهب في كل ما يتلوا أحدهم على الهيكل يلقا
الشمس فينظرونها من ذلك الهيكل في ذلك اللوح فيعلم ما ❁

يجرا في ذلك الإقليم المختص بذلك اللوح وكذلك كل لوح من تلك
الهياكل السبعة فيعلمون أهل أرومة أكثر ما يجري في العالم
بعلومهم وحكايهم الأقدابين وفي وسط تلك الهياكل قبة مبنية على
أعمدة من نحاس مطلية بالذهب الأحمر على رأس القبة صورة من
حجر عا يعلم ما هو بل هو أسود منقط ببياض فإذا كان استوا
الزيتون في مشارق الأرض ومغاربها سمعوا من ذلك الحجر
صوتاً هائلاً تكاد العقول أن تنفطر منه فإذا كان من غد يقبل
من آفاق الأرض زرازير في مناقيرها وأرجلها الزيتون
فيضعونه على رأس ذلك الهيكل ولم يزالوا كذلك حتى
يمتلأ ذلك البستان الذي من حول الهياكل فيعصرون منه من
الزيت ما يكفيهم إلى عامهم القابل وكان في ذلك
الهيكل باب مقفول لم يفتح منذ بنيت أرومة فلما أراد
فيلطانوس النهوض إلى هرقل احتاج إلى ما ينفقه في عسكره
فأتى إلى البيت وهم بفتحه ❁ فقال له عماطوس وهو الموكل
بأمر الهياكل أيها الملك إن هذا البيت منذ قفل سبع مائة سنة
وذلك قبل ظهور المسيح عليه السلم بمائة وسبعين سنة وما أحد
من الملوك تولى هذه الهياكل إلا وهو يوصي عليها وعلى هذا البيت

أن لا يفتح فلا تبدل حكمة قد أسسها غيرك من الحكما والملوك
ونعتد بناها من المدينة وأشهر هذه الهياكل حد لك ربوا فلا تبدل
حكمة أسسها غيرك ولا سيما صنعوها الحكما السالفون فما سمع
له فيلطانوس شيئاً وتحرى في فتح البيت ففتحه فلم يجد فيه شيئاً
إلا ما دار بالبيت من صور مدن الشام وأبنية المقدس وصفة
ملوكهم وعددهم وفي آخرهم صورة فيلطس وهو قائم قد
وكأنه ينظر إلى لوح بين يديه مكتوب باليونانية يا طالب
العلم عليك بكثرة القراءة فإنه كلما طال على السامع كثرة التكرار
لعلمها وإنما استرحت بالقياس والتدبير والعلم موضع العقل
والعقل هو المتمم لأشكال العلوم وقد رأينا في الحكمة
والأسرار الخفية ❁ بشكان الصبابة وطول الطلا له إذا جمعت
على صفحة الأرض خرج مصباح الهداية من أرض تهامة فبددت
بظلام الجهل المظلم للحين ويدعوا الناس إلى دينه بتوحيد
الشارع وهو صاحب الجمل الأورق يتبدا بالأذيار والملك
وتطيق دعوته السهل والجبل فإذا غلبت لطايف بدره
على كثيفه وانتقل روحه إلى العالم الروحاني يتقدم بعده
رجل نحيف الصورة قلبه منور بنور الصدق فيشتد ركنه

ويصدق شريعته فويل للشام مما يحل بها من الوجل الأخوار الذاهب
بملك قيصر هو الرجل الأكيفة صولته المريعة صورته والحق منجه
قال الواقدي فلما قرأ فيلطانوس ما في اللوح أخذه التعجب
وقال لفطانوس صاحب الهياكل والقيم بأمرها أيها الأخ الشفيق
ما تقول في هذه الحكمة فقال فطانوس أيها الملك وما ذا أقول في حكمة
صنعها الحكماء المتقدمون وتكلمت بها العلماء وإنما العلوم غامضة
تصل إلى الحس الجوهري بقوة العقل ⁂ وأن فليطس وهو هرقل قد
وها عمود عقوته وانقدحت نبة ممالكه من أرض سورية واستقل
ملك الروم إلى بيلينوك يعني القسطنطينية وبقي لك أخبر هرابس
الحكيم بحكمتنا به الذي صنعه وسماه أسلاونس في جواهر
الحكمة ومن جملتها إذا طلع نور التمييز المختار من الأناس فلناد
بصفائه الأسود هان النور أن يشفه ويعرف به الظلمة المتكاثفة في سماء
الجهل بقوة عزمته وقد علا الله ترثيلها لطف صنعته وقال ففسر بأن معنا
لطا فيه ويعلو على الأفلاك ⁂ وبل أرض سورية وأهلها من صولة
صاحبه المتوسم بوشايح الهيبة والمتوج بتاج الفضل صاحب فتوح
الأرض ومبيد ملوكها بالعدل قسطاسه والمرقعة لباسه في
زمانه ينكسر الصليب وتخرب الهياكل وتندرس المواهب

ونزل

وتذل أهل الديانة العمودية فلا نجاة من صولته إلا باتباع شريعة صاحبه
قال الواقدي فلما سمع فيلطانوس ذلك من أمر القائم
بأمر الهياكل كتم الأمر في نفسه وقال لا بد لي من الهرب والنظر
إليهم ثم المسير لنفترق للملك هرقل ⁂ ثم إن فيلطانوس اختار من
عسكره ما يريد ثم نصب وكان أسطوس كاتبه في نمل كتبه ونصب في
بيت الحكمة رايات الإسكندر اليوناني وكانت منسوجة بالذهب
الأحمر وكانت لا تنشر إلا يومين في السنة في بيعة أم
سوقنا وهو يوم عيد الصليب ويوم عيد الشعانين ولما رفعت الرايات
على رأس فيلطانوس سار رحلي ورحل انطاكية ونزل على باب
فارس وهو كرسي الملك وقيل للقائم ونصب سرادقه بإزاء سرادق
الملك وفرحت الروم وضربت بالأجراس وارتفعت أصوات الروم
وإذا العيون من المسلمين قد أتوا إلى أبي عبيدة وأخبروه بقدوم
فيلطانوس ملك أرومية الكبرى فقال أبو عبيدة اللهم شتت
شملهم وخالف كلمتهم واجعل كلمتنا هي العليا وكلمتهم السفلى
وانصرنا عليهم وأمنت المسلمون على دعائه قال الواقدي
أخبرني إبراهيم بن العلاء قال أخبرنا أبو يوسف الكندي عن أبي جعفر
الرازي عن الربيع بن أنس قال أخبرني حفص بن ميسرة بن مسروق

العبسي قال لها قيام فبلطانوس صاحب أرومة الكبرا إلى أنطاكية
خافت المسلمون ولكن الله ثبتهم ❁ ثم إن أبا عبيدة بعث معاذ بن
جبل ومعه ثلاثة آلاف فارس من طيء وغيرها وقال يا صاحب
رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الروم قد جمعت من سواحل الشام
لنصرة دينها فانهض وشن الغارة على بلاد الساحل واحتفظ ❁
بالمسلمين فسار معاذ بن جبل رضي الله عنه وشن الغارة على جبلة
واللاذقية فاحتوش أموالها وأخذ غنائمها ووجد على باب جبلة
واليها وكان اسمه غلفان بن جرهم الغساني وكان قد تنصر وأتاه
على جبلة لعنه الله وكان معه ألف فارس من المتنصرة ومعه
ألف جمل من بر وشعير وهو سائر إلى عسكر الملك هرقل
وكان قد بعثها قسطنطينية ابن الملك هرقل إلى أبيه وحملت
القافلة إلى مدينة جبلة وسلمها صاحب قسطنطينية إلى غلفان بن
جرهم المتولي على جبلة فوقع بها معاذ بن جبل فأخذها معاذ
وعاد إلى عسكر المسلمين فلما وصل إلى جيش المسلمين ارتفع للمسلمين
ضجيج بالتهليل والتكبير فلما سمع الملك ضجيج المسلمين أنفذ
جواسيسه فأخبروه بالخبر ❁ فصعب عليه أخذ الميرة التي كان
يعتمد عليها وقال لقومه ما بقي ينفعني دبيرها ولا التقوم إلا المصاف

وينصر الله من يشاء ❁ ثم إن الملك هرقل ركب وركب إلى جانبه قبلطانوس
وصاحب مرعش وصاحب اسكندرية وصاحب طرسوس قال
الواقدي وأقبل يوقنا يرتب الصفوف ويعبيها تعبية الحرب
فلما وقف كل ملك بجيشه أراد قبلطانوس صاحب أرومة الكبرا
أن يتقرب إلى الملك هرقل بمبارزته إلى العرب فتقدم بين يدي
الملك هرقل وقال أيها الملك ما تركت ملكي وأقبلت إليك
إلا لنصرة المسيح وأريد أن أبرد قلبي بمبارزة العرب فقال له هرقل
إلهنا يكلأك ويبقي عليك حرمتك ويدفع غيرك يكون له هذا الأمر
فقال قبلطانوس أراني الهاجرة في عقلي أن أحدا من العرب يصلحوا
عليكم أو تنكرون أنكم الأولى نظر إليكم ولكن أنفسكم
بحبائل الغفلة إلى طلب ما يفنى فسلط عليكم أضعف أمة فأخرجوكم
عن دياركم وأبعدوكم عن أوطانكم لأنكم حكمتم بغير الحق
وجرتم على الرعية وطلبتم ما ليس لكم بحق في الأخذ
أموالهم وصلاح أموالهم وأكثرتم الزنا واتبعتم الخنا
فبذلك لم تنصروا وكانت دائرة السوء عليكم فعند ذلك
صرخ عليه حاجب الملك الكبير صرخة عظيمة وقال لا تخل
قلب الملك من الغضب فإنه لا طاقة له به وإنه أكبر منه وقوتها

قال الواقدي فغضب فيلطانوس لما صاح عليه الحاجب
وكتم الأمر إلى الليل فلما مضى قليل من الليل ادعا فيلطانوس
بحجابه وخواص قومه ممن يعلم مجالسه وممن يثق لمودته ويحبون الحياة
فلما اجتمعوا قال لهم أترضون لي أن يصيح علي حاجب الملك هرقل
ويوبخني بين الملوك وأنتم تعلمون أني أعلا منه بيته وحكمي أوسع
من حكمه وإني قد عولت أن أسير إلى هؤلاء العرب وأدخل في دينهم
وأنصر ملتهم فإنها الملة الواضحة بالحق المؤيدة بالصدق فنحن
كما رد علينا أمن في معاده من الهول الأكبر فقالوا له
يا لولا أنه أيها الملك كيف يطيب على قلبك أن تزول ملكك وملكك
وتتبع قوما لا نصلي عندهم ولا نخدمنا فقال لهم فيلطانوس
إنما الحكمة البالغة عندهم مقلوبها وفي نفوسهم لحظها لأن أرض
التوحيد يصفي أذهانهم ببركة نبيهم المسمى بعلم الغيوب
لأن معنا طيس حكمة الربانية بما ستر جوهر قلوبهم وعمق لهم
إلى مقابلته والاقتدا بشريعته ومن أراد أن يرتقي إلى أعلا
عليين فلا يقعد على أرض الجهل أما علمتم أن المولد لنفوس الظلمة
والموت غاية الحياة قالوا له قوم لم يعملوا فقوله أيها
الملك نحن ما تبعناك لتطلب عز الآخرة الذل فإذا كنت

تطلب

تطلب بنا طريقا تؤدينا إلى دار البقا وتذهب بالبقا فالأحق اتباع
الحق ونحن لك وبين يديك فقال لهم عدوا على أنفسكم فإذا
كانت ليلة غد ركبنا سكتا أتينا نطوف بجيش الملك ثم نطلب
جيش المسلمين ففعل القوم ذلك وافترقوا وأخذ فيلطانوس
أمواله وذخايره وعول على ما ذكرنا قال الواقدي
أخبرني ابن عبد الأعلا قال أخبرني ابن وهب قال أخبرني معاوية بن
صالح عن موسى الديوعي قال لما عزم فيلطانوس أن يسير إلى جيش
المسلمين جاء يوقنا برسالة من عند الملك هرقل فلما أعطا يوقنا
الرسالة وهم بالقيام قال له فيلطانوس من أنت من حجاب
الملك قال له أنا يوقنا صاحب حلب قال كيف تركت ملكك
حتى استولت عليه العرب فحدثه يوقنا بحديثه قال له فيلطانوس
فما الذي ظهر لك من هؤلاء العرب قال أيها الملك إني رجعت
إلى دينهم حين شارفت أحوالهم وكشفت سرهم ورأيت
القوم لا يتبعون الباطل ولا يحيدون عن الحق ولا ينامون
الليل ولا يتكلمون بغير ذكر ربهم ينصفون المظلوم من الظالم
ويواسي غنيهم فقيرهم أميرهم في زي المساكين والعزيز
والذليل عندهم سوا فقال له فيلطانوس فإذا وقفت على

سترهم ورأيت فضلهم ما منعك أن تقيم عندهم فقال له يوقنا منعني من
ذلك محبة ديني ومحبتي لقومي ❁ فقال له فيلطانوس إن النفوس
الزاكية والألباب الباقية إذا رأت الحق جذبها جاذب
النفوس إلى طلب الخلاص من العيشة الذميمة إلى أن ترقا إلى أعلا
عليين ❁ فعند ذلك خرج يوقنا من عند فيلطانوس وقد لاح
نور له في قلب يوقنا وقال والله ما تكلم فيلطانوس لشيء ❁ إلا
وهو منقوش على صفيحة ذهنه وكلامه يشهد بقبول عقله ❁
لصحة دين الإسلام وأقام يوقنا على قلق من ذلك حتى جن عليه الليل
ثم تسبب على حال الخفا ودخل على فيلطانوس فوجده على نية
الركوب إلى ما ذكرنا ❁ فلما وقف بين يديه صفع له فقال
له فيلطانوس الحق واضح لمن طلبه والباطل خفيف على من
اتبعه فقال له يوقنا أيها الملك وما معنى الكلام الذي أشرت
به إلي قال له فيلطانوس لولا أنك رأيت بعين البصيرة ما رجعت
أنت عن ملتهم ولا طلبت بدلا بغيرهم وإنما طلبت أنت
النعيم الذي يؤول إلى الزوال ويفضي بصاحبه إلى النكال ❁
فنكت يوقنا وخرج من عنده وجعل يتجسس عليه ووقفت
له على طريق المسلمين ❁ فلما ركب فيلطانوس وخرج من دار

سرادقهم وانتقل قوم منهم قد أخذوا على أنفسهم عدتهم أربعة آلاف
فارس لم يحسن تنوي عن ملتهم وقد انخرطوا أبدا والحق يريد وله جيش المسلمين
وعقد فادوا ملكهم ولم يرصدوا الحق منهم فلما ظهر وأمن جيش المشركين ظهر
لهم يوحنا خلف بني عمه الماتين فقال له يوقنا أيها الملك عولت على
أنك تحتلي جيش المسلمين قال لا والمسيح وإنما أنا قاصد لهم أدخل في
دينهم وأكون أنا وأولادي وعجمي من خواصهم فمن نظر إلى الدنيا بعين الفنا
عمل للآخرة فقال الذي يملك غايتها أن نتوافقنا على ما نحن عليه فقال
له يوقنا أيها الملك أعدل حجة إليك جاذب الحق عن طريق الضلالة ثم
حدثه بحديثه وإنه عازم على أن يغدر بالروم فقال له فيلطانوس ❁
فكيف التقينا وعلى ذلك وما أرى معك إلا نفرا يسيرا فقال له يوقنا أيها
الملك إن معي في داخل المدينة من المسلمين مائتي فارس أبطالا أشداء
وهم أسرا وإنني عازم على خلاصهم وإن قتلهم معنا مرهوبون الصف
فارس من عسكر الروم والرأي عندي أن تعود ولا تستعجل وتبعث
نحن جميعا رجلا إلى الأمير أبي عبيدة نخبره بما نحن فيه ونعولون عليه ❁
فإذا كان غدا وقف أنت في جيشك حول هرقل وانحل أنا إلى المدينة
وأخلص أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ويحمل جيش المسلمين كله
وتحمل أنت بعسكرك على عسكر هرقل وتقبض على الملك هرقل

وأجمل أنا ومن معي داخل المدينة فيبقى علي وعلى الكثير من أصحابه مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم فتملكها إن شاء الله تعالى وإن أردت أن ترجع إلى
ملكك ويكون أمرك مكتوما عن غيرك قال فلنطانوس لا ولكن ما دخلت
في دين الإسلام ولا رغبة لي في مملكة الدنيا وإنما قصدي هذا الأمر ونصرة
الإسلام وأهله قصدت بيت المقدس لأقيم فيه حتى أموت فمن يأمرني أن
ينهض خبرنا إلى المسلمين فقال له اعلم أن للمسلمين عندنا جواسيس من
أهل حلب ممن أوتيت الذمة فبينما هو كذلك وإذا بعمرو
ابن أمية الضمري صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم فسلم على يوقنا
ومن معه وقال له اعلم أن أبا عبيدة يسلم عليك ويقول لك جزاك الله
عن الإسلام خيرا فإنه رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه
الليلة وهو يخبره بما كان من أمر رومية الكبرى وما تحدثت فيه
مع قومك وما هم عليه وقد بشر رسول الله صلى الله عليه وسلم
إن غدا نفتح إنطاكية إن شاء الله تعالى وأعزه الله قال
الواقدي أخبرني أبو جعفر أحمد بن عبيد بن ناصح قال أخبرني
أبو عبد الله محمد بن عمر السلمي قال حدثني محمد بن عبد الله ابن مسلم
الزهري عن عبد الله بن يزيد الهذلي عن أسامة بن زيد عن عبد الله بن
الحارث وكل حدث بما سمع وبلغه من أخبار القتال وقتلاه

زاد بعضهم على بعض في الرواية واختصروا أخبارهم وكل أخبر قد رجعت من
رواية صاحبه قال الواقدي حدثني صابر بن عامر عن حلة بن عياض
ابن مزاحم أن أبا عبيدة رضي الله عنه رأى ليلة فتح إنطاكية كأن
رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقول له يا أبا عبيدة أبشر بفضل الله
تعالى ورحمته وغدا تفتح المدينة على يديك وإن فلنطانوس صاحب
رومية الكبرى جاء راغبا ولكن لوهم بالقرب من جيشك فانفذ إليهم بجا
الأمر فانتبه أبو عبيدة وقص الرؤيا على خالد بن الوليد وأنفذ عمرو بن أمية
الضمري كما ذكرنا قال الواقدي فلما سمع فلنطانوس بذلك
اقشعر بدنه والمتعبدات في جسمه وقال أشهد أن هذا هو الدين المستقيم
والنبي محمد في الإنجيل والتوراة فأخذ فلنطانوس ويوقنا قطافوا بالجيش إلى
الملك كما تقدم بجماعته فبينما هم كذلك قد انفصل بموكبه إذ فلنطانوس
وإذا الحاجب الملك قد لقيهم والمشاعل بين يديه وقد خرج من إنطاكية
وأما ابن الأرود ورفاعة بن زهير رضي الله عنهما صحبا رسول
الله صلى الله عليه وسلم وقد عزم الملك على قتلهم في تلك الليلة فلما
رآهم يوقنا قال للحاجب ما عزم الملك أن يصنع فقال الحاجب
عزم الملك على قتلهم ويخرج رؤوسهم إلى المسلمين فلما سمع يوقنا
ذلك أظلمت الدنيا في عينيه وقال إلينا لنا حاجة إلى الملك وأنت تعلم

أن المصاف غدا ولو التقى بيننا وبين العرب فإذا أتيتم [illegible] وطرحتموهم
ودفعتموهم إليهم لا يقع أحد منا إليهم إلا قتلوه فابقوا عليهم فإذا وقع أحد
منا إلى العرب وجاءنا عندنا من نفادي به فعند ذلك ترك
الحاجب الأسرى عند يوقنا وتحدث مع الملك في أمرهم فقال له الملك
دعهم في بلد الدمستق فرجع الحاجب إلى يوقنا وقال له يقول لك الملك
احتفظ بهم يا أخي يوقنا ولما نزل إلى خيمته وصعب على يوقنا
إنما أخذهم من بطارقته لأنه كان عولا على أنه يأخذ بهم بطارقة
فلما طلع عنده علمهم يوقنا من كان بعضهم وسلم لهم لأمة الحرب
وحدثهم بما عزم عليه عند الناموس من قتلهم بحضرة الملك فقال ضرار بن
الأزور لأطعن أعداء الله [illegible] وفي طاعة رب العباد قال [illegible]
يكلمهم يوقنا [illegible] بل فرقهم على بني عمه لكل رجل من بني عمه
رجلا من المسلمين **قال الواقدي** حدثني سعيد بن أبي [illegible]
قال أخبرني يحيى بن [illegible] قال حدثني عبد الله بن مسعود قال
إن الذي أمر بإخراج أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
من السجن بطارقة ابن [illegible] ملوك الأسبان هرقل وكان
الملك في تلك الليلة قد رأى في منامه شخصا نزل من السماء وقلبه من على
سريره وكان التاج قد طار من على رأسه وكأن شخصا يقول له

قد قرب ما بعدك من زوال ملكك من سورية وقد ذهبت دولة الشقاق
وجاء الله بمذهب الوفاق وكأن شخصا قد نفخ في عسكره نارا فأشعله
فانتبه هرقل مرعوبا وفسر ذلك على خواص قومه فأخبروه بزوال
ملكه وكان قد عبأ الخزائن والذخائر وجميع ما يعتمد عليه وألقى
الكل في المراكب قبل نزول الشمس وأكثر من الزاد والعدة وآلة
الحرب فلما رأى [illegible] المراكب [illegible] بعث إلى بطارقته وجميع حرمه
إلى المراكب لتردد على مملوكه في السفن [illegible] الحلق [illegible] فألبسه
زيه وتوجه بتاجه وقال له اقعد في موقفي فإني أريد أن أكشف
العرب [illegible] [illegible] الملك جماعة [illegible]
الملك بإخراج أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم والتقاهم يوقنا
وكان من أمرهم ما ذكرناه **قال الواقدي** حدثني سليمان
بن عبد الواحد عن صفوان بن بشر عن عروة بن [illegible] قال حدثني
محمد بن أبي عدي عن سعيد عن قتادة عن أبي [illegible] عن أبي
سعيد قال لما ترجع هرقل من أنطاكية [illegible] وتبقى ذلك
أنه [illegible] إلى [illegible] ابن الخطاب [illegible] في السر من قومه إن [illegible]
لا [illegible] فبعث بها إليه عمر رضي الله عنه فلبسها فكان
إذا وضعها على رأسه [illegible] وإذا وضعها عن رأسه

عاد الصندوق إليه فتعجب هرقل من ذلك وأمر بتفتيشها فإذا فيها رقعة مكتوب
فيها بسم الله الرحمن الرحيم فقال هرقل ما أكرم هذا الدين وأعزه
حيث شفاني الله بآية واحدة منه قال الواقدي ولما كان
من الغد ركب جيش الملك هرقل وركب جيش المسلمين وتقدم خالد
ابن الوليد ومعه عسكر الزحف وركب فيلطانوس ويوقنا
ونيرا وصبيه البطالين وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم
ينتظرون متى يقع السلاح فكان أول من حمل خالد بن الوليد ❁
بجيش الزحف وتبعه سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل وحمل من بعده
قيس بن هبيرة وحمل من بعده ميسرة بن مسروق العبسي ثم [illegible] بن
بني عبس وحمل من بعده عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق وحمل من
بعده ذو الكلاع الحميري وحمل الفضل بن العباس ابن عم
رسول الله صلى الله عليه وسلم وحمل مالك الأشتر النخعي وعمرو
ابن معدي كرب الزبيدي وحمل عبد الله بن جعفر ابن عم
رسول الله صلى الله عليه وسلم وحمل أبو حذيفة بميمنة العسكر
وأطبق الناس بعضهم على بعض ❁ فلما اشتد القتال بينهم حمل يوقنا
ببني عمه والمائتين من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
وحمل ضرار بن الأزور بأصحابه وتقدم [illegible] أعطى السيف

حق

حقه ولكنا أخذ بثاره من الروم وكلما قتل فارسا صاح وا ثاراه [illegible]
ضرار وكان يقطع عسكر المشركين وأصحابه لا يفارقونه ورافعه
ابن زهير يشجعهم ويعظهم ويقول لهم احملوا وإياكم أن تفشلوا واعلموا
أن الجنة تحت ظلال السيوف والجنان قد زخرفت قصورها وأشرفت
حورها ولم يحضر ولدانها ثم ما كسبا فيها أن العرب الكريم يرغب في جوار
الجنة ومن يبذل نفسه سار في الجنة ويحب أن يقوم على رأسه الولدان
يرغب فيما قال الله تعالى ❁ متكئين على رفرف خضر وعبقري
حسان ❁ فنعم أجر العاملين الأعداء ❁ وهو يريد يسقيهم شرابه كأس
الردى ❁ والله إلى الفارس يطلع الكتائب وهو يحمل بين [illegible]
فأتى ضرار إلى الفارس وإذا هي أخته خولة بنت الأزور فقال لها
لله درك يا بنت الأزور إذ أقبلت تسلم عليه فسلم عليها فقال لها
إليك عني [illegible] أنكار أعمل [illegible] يا بنت
أمي اخرجي عنا بالله مع عياري وملنا [illegible] فإن ملكنا أحق بنا
التعابير الأخرى في الحشر عند حوض سيد البشر قال الواقدي
فبينما هو يخاطبها وإذا بجيوش الروم قد تهشموا إليه ورأيتهم
وكأنهم [illegible] قال الواقدي وكان الأصل في
ذلك فيلطانوس صاحب أوقلعة الكبرى رحمة الله عليه وكان

قد نقض على الملك فلما نقض على الملك ولت الروم الأدبار وركنوا إلى
الفرار وقيل أن من الروم مقتلة عظيمة لم يقتل مثلها إلا بأجنادين
واليرموك وقتل من الحرب المغطس زها من اثني عشر ألفا وطلب
المسلمون جبلة بن الأيهم ولم يلحقوا الطاغية فلم يروه والكفار نهزموا قال
الواقدي فلما انهزمت الروم النصارى وجبلة وولوا ولحقوا إلى
البحر وركبوا في مراكب هرقل ومعه من هرب من القسطنطينية مع
جبلة بن الأيهم خمس مائة رجل من سادات قومه من جملتهم عمر بن نضيفة
ابن عصمة وعروة بن حدابق ومرهب بن واقد وحباس بن سالم ومثل
هؤلاء عليهم اللعنة لشيء من تسليم الله وأخذ المسلمون في السراد قات
والخيام والغار وما سبوا ثلاثين ألفا وقيل لم يعدون الغار ما لم
بقي من الأولاد فمنهم من أخذ نحو دروب انطاكية ومنهم من طلب
قيسارية إلى قسطنطين ابن الملك هرقل [illegible]
أموالهم وجمعت الأموال والغنائم والأسارى بين يدي أبي عبيدة
رضي الله عنه ❁ فلما نظروا إلى ذلك سجدوا لشكر الله عز وجل
وجاء ضرار وأصحابه ويوقنا وبنو عمه فسلم المسلمون عليهم وفرحوا
بخلاصهم من أيدي أعدائهم وشكروا ليوقنا رحمة الله عليه
وتبشروا برسول الله صلى الله عليه وسلم فجاء فيلطانوس صاحب أرقة فسلم

المسلمون عليهم وبشروه بالحق وقال له أبو عبيدة الآخرة خير لك من
الأولى فلما نظر فيلطانوس إلى تواضع المسلمين وحسن سيرتهم فقال
والله ما أولا القوم الذي بشر بهم المسيح ثم أسلم وحسن إسلامه
وأسلم قومه وحسن إسلامهم رضي الله عنهم ثم نظر أبو عبيدة إلى
حصن انطاكية وما فيها من الأمم فقال اللهم اجعل لنا عليهم سبيلا
وافتحها لنا فتحا مبينا قال الواقدي وكان على انطاكية
من قبل الملك هرقل وال اسمه صليب بن قسطنطين وكان رجلا
في قومه فعزموا على القتال من باطن السور ما جمعتهن أكابر
انطاكية إلى البترك في الليل وقالوا له اخرج إلى هؤلاء العرب
وأصلح بيننا وبينهم فخرج البترك إلى أبي عبيدة وتحدث معه في
الصلح فأجابه أبو عبيدة إلى ذلك وصالحه على ثلاثمائة ألف دينار
فلما تقرر الصلح قال أبو عبيدة احلفوا لنا أن لا تغدروا بنا فإن
بد بينكم ما بلغه كثيرة الوعر والجبال قال أبو عبيدة من
يحلفه قال يوقنا أنا أحلفه ❁ ثم إن يوقنا وضع يده في يد البترك
ثم قال له قل والله والله وأعين علينا وإلا قطعت زناري وكسرت
صليبي ولعنني الشماميس والديانيون وخلعت من دين النصرانية
ووضعت الجل في ماء المعمودية ❁ وجحدتها بقول المعاليم وقلت

على الشهود والا حرقت بيت ادم [illegible] ولو عصبت بها راسى والا ذبحت
القسوس ووضعت بين يديهم ثوب عروس والا جعلت فى المذبح
زعفران وكذبت ما فى الانجيل من البيان والا جعلت
المسيح ميتا لا يقوم والا جعلت مريم زانية به والا تركت على المذبح
حنطة يطؤونها والا طليت قناديل كنيسة جرجس والا
تزوجت بيهودية تبغضه والا غسلت اثوابى صبيحة يوم الجمعة
والا هدمت الكنايس والبيع واخفيت الاعياد والجمع
والا عبدت اللاهوت ومحوت الناسوت والا اكلت
لحم الجمل فى عيد الشعانين والا صمت رمضان عاطشا واكلت
لحم الجمل نايما والا صليت فى ثياب اليهود وقلت
ان المسيح عبد مملوك لا اعانكم (?) ولا من معكم قال
الواقدى وكان دخول ابى عبيدة انطاكية لخمسة ايام
خلت من شعبان سنة سبع وعشرين من الهجرة [illegible] وبين يديه
اللواء الذى عقده له ابو بكر الصديق رضى الله عنه وعن
يمينه خالد بن الوليد وعن يساره ميسرة بن مسروق العبسى
والقارى يقرا امامه سورة الفتح ولم يزل يسير الى ان وصل
الى باب [illegible] فنزل هناك [illegible] الى يومنا هذا

الى

الى وقتنا هذا قال المغيرة بن مسروق بن [illegible] الخزاعى فنظرنا الى بلد
طيبة كثيرة الخير والخيرات فما احد من المسلمين الا استطابها وود
لو اقام بها ولو ثلاثة ايام ثم ان ابا عبيدة كتب كتابا الى عمر بن الخطاب
رضى الله عنه يقول فيه بسم الله الرحمن الرحيم من ابى عبيدة عامر بن
الجراح الى امير المؤمنين عمر بن الخطاب سلام عليك فانى احمد الله
الذى لا اله الا هو واصلى على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وله
الحمد على ما رزقنا من النعمة والنصر واعلم يا امير المؤمنين ان الله
عز وجل فتح على المسلمين حصون النصرانية مدينة انطاكية [illegible]
[illegible] علينا وهرب
هرقل الى القسطنطينية وانى لم اقم فيها بالمسلمين لطيبها وانى خفت على
المسلمين ان يقيموا فيها لطيب هواها وان يغلب حب الدنيا على هواهم
فيقطعهم ذلك عن طاعة ربهم وانى عازم على المسير الى حلب
وانا منتظر امرك فان امرتنى ان اسير الى داخل الدروب
فعلت وان امرتنى بالمقام اقمت واعلم يا امير المؤمنين ان العرب
نظروا الى نساء الروم فتاقت انفسهم الى التزويج فمنهم من
ذلك وانى اخشى عليهم الفتنة الا من عصمه الله وشرح صدره
فعل ما يجب [illegible] والسلام عليك وعلى من معك من المسلمين ورحمة الله

وَبَرَكَاتُهُ ثُمَّ طَوَى الْكِتَابَ وَخَتَمَهُ وَقَالَ مَعَاشِرَ الْمُسْلِمِينَ مَنْ يُسْرِعُ
بِهَذَا الْكِتَابِ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ فَأَسْرَعَ بِالْجَوَابِ زَيْدُ بْنُ وَهْبٍ مَوْلَى عُمَيْرِ بْنِ
سَعِيدٍ الْأَنْصَارِيِّ مَوْلَى بَنِي عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ وَقَالَ أَنَا أَيُّهَا الْأَمِيرُ أَمْضِي
بِهِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى فَقَالَ لَهُ أَبُو عُبَيْدَةَ يَا زَيْدُ إِنَّكَ لَسْتَ تَمْلِكُ
أَمْرَكَ وَإِنَّمَا أَنْتَ مَمْلُوكٌ وَإِنْ أَرَدْتَ الْمَسِيرَ فَمَوْلَاكَ عُمَيْرٌ يَأْذَنُ لَكَ
بِذَلِكَ فَأَسْرَعَ زَيْدٌ إِلَى مَوْلَاهُ عُمَيْرٍ وَانْكَبَّ عَلَى رَأْسِهِ يُقَبِّلُهُ فَمَنَعَهُ
مِنْ ذَلِكَ وَكَانَ عُمَيْرٌ رَجُلًا زَاهِدًا مَا يَمْلِكُ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا
سَيْفًا وَرُمْحًا وَفَرَسًا وَبَعِيرًا وَمَزَادَةً وَمُصْحَفًا وَقَطِيعَةً وَكَانَ
الَّذِي يَنُوبُهُمْ مِنَ الْمَغْنَمِ لَا يَدَّخِرُ لَهُ شَيْئًا وَلَا يَأْخُذُ مِنْهُ إِلَّا مَا
يَقْتَاتُونَ وَكَانَ يُفَرِّقُهُ عَلَى أَهْلِهِ وَجِيرَانِهِ وَيَبْعَثُ بِالْبَاقِي
إِلَى عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ فَقَالَ عُمَيْرٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لِعَبْدِهِ زَيْدٍ أَتُرِيدُ
أَنْ تَكُونَ بَشِيرَ الْمُسْلِمِينَ وَأَمْنَعَكَ مِنْ ذَلِكَ انْطَلِقْ فَأَنْتَ حُرٌّ
لِوَجْهِ اللَّهِ فَفَرِحَ زَيْدُ بْنُ وَهْبٍ بِذَلِكَ وَأَخَذَ الْكِتَابَ مِنْ أَبِي
عُبَيْدَةَ بَعْدَ أَنْ أَخَذَ تَحِيَّتَهُ مَعَ سَيِّدِهِ ثُمَّ اسْتَوَى زَيْدٌ عَلَى
ظَهْرِ نَاقَتِهِ وَجَعَلَ يَسِيرُ وَيَطْلُبُ أَقْرَبَ طَرِيقٍ قَالَ زَيْدُ بْنُ
وَهْبٍ قَدِمْتُ مَدِينَةَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَافَى فِي
الْقَعْدَةِ خَمْسَةٌ وَعِشْرُونَ يَوْمًا فَلَمَّا قَدِمْتُ الْمَدِينَةَ وَجَدْتُهَا

منقلبة

مُنْقَلِبَةً وَلِأَهْلِهَا قَاصِدَةً عَظِيمَةً وَهُمْ يَخْرُجُونَ إِلَى بَابِ الْبَقِيعِ فَتَبِعْتُهُمْ
لِأَنْظُرَ شَأْنَهُمْ وَأَنَا أَظُنُّ أَنَّهُمْ يَطْلُبُونَ عَرَبًا وَرَدُوا إِلَّا فَسَأَلْتُ عَلَى
رَجُلٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ فَرَدَّ عَلَيَّ السَّلَامَ وَنَظَرَ إِلَيَّ فَعَرَفَنِي وَقَالَ يَا زَيْدُ بْنُ
وَهْبٍ قُلْتُ نَعَمْ قَالَ اللَّهُ أَكْبَرُ مَا وَرَاءَكَ يَا زَيْدُ مِنْ أَخْبَارِ الْمُسْلِمِينَ قَدْ
قُلْتُ الْبِشَارَةُ وَالْفَتْحُ وَالْغَنِيمَةُ فَأَيْنَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عُمَرُ قَالَ الرَّجُلُ إِنَّ
أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ يُرِيدُ الْحَجَّ إِلَى بَيْتِ اللَّهِ الْحَرَامِ بِأَزْوَاجِ النَّبِيِّ عَلَيْهِ
السَّلَامُ وَالنَّاسُ لَهُ مُشَيِّعُونَ قَالَ زَيْدُ بْنُ وَهْبٍ فَنَزَلْتُ عَنْ رَاحِلَتِي
وَعَقَلْتُهَا بِفَاضِلِ زِمَامِهَا وَأَسْرَعْتُ لِعُمَرَ وَلِأَلْحَقَ وَوَقَفْتُ بَيْنَ يَدَيْ عُمَرَ بْنِ
الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَهُوَ يَمْشِي رَاجِلًا قُدَّامَ رَاحِلَتِهِ مَوْلَاهُ لِرِدْفِهَا
يَسُوقُ بَعِيرًا قَدْ حَمَلَهُ بِعَبَاءَةٍ قَطَوَانِيَّةٍ وَزَادَهُ وَجَفْنَتُهُ عَلَيْهَا
وَالْهَوَادِجُ عَلَى يَمِينِهِ سَائِرَةٌ وَعَنْ يَمِينِهِ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ
عَنْهُ وَعَنْ شِمَالِهِ الْعَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ وَمِنْ وَرَائِهِ جَمَاعَةٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ
وَالْأَنْصَارِ وَهُوَ يُوَصِّيهِمْ عَلَى الْمَدِينَةِ قَالَ زَيْدٌ فَلَمَّا وَقَفْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ
نَادَيْتُ السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ فَقَالَ
وَعَلَيْكَ السَّلَامُ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ مِنْ أَيْنَ أَقْبَلْتَ وَمَنْ أَنْتَ
قُلْتُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَنَا زَيْدُ بْنُ وَهْبٍ مَوْلَى عُمَيْرِ بْنِ سَعِيدٍ أَتَيْتُكَ الْبَارِحَةَ
بَشِيرًا قَالَ عُمَرُ أَتَى لَكَ اللَّهُ بِخَيْرٍ فَمَا شَأْنُكَ قُلْتُ هَذَا كِتَابٌ أَعْلَمَكَ

عامر بن الجراح يخبرك أن الله عز وجل قد فتح [illegible] قال زيد بن
وهب فلما سمع عمر بذلك خر ساجدا شكرا لله تعالى ومرغ خديه
على التراب ثم رفع وجهه من السجود وقد تترب وجهه ولحيته رضي الله
عنه وقال اللهم لك الحمد والشكر على نعمك السابغة ثم قال عمر
هلم الكتاب يا زيد رحمك الله قال زيد فسلمت إليه الكتاب فلما قرأ ما فيه بكى
فقال له علي بن أبي طالب رضي الله عنه يا أمير المؤمنين ما يبكيك ولم
قال لما صنع أبو عبيدة وإن النفس لأمارة بالسوء ثم دفع الكتاب
إلى علي بن أبي طالب فقرأ ما فيه قال زيد ثم رأيت عمر بعد أن هدأ
من بكائه رأيت الفرح من وجهه ثم أقبل على علي وقال يا [illegible]
وأمعنت في أكل تبعه وأعابها فأنعم الله كثيرا فقلت
يا أمير المؤمنين ما هذا الزمان فعند ذلك جلس عمر بن الخطاب
على التراب وهو [illegible] بدواة وقرطاس وكتب إلى أبي عبيدة جواب
الكتاب يقول فيه بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله عمر بن الخطاب
إلى أبي عبيدة عامر بن الجراح سلام عليك فإني أحمد الله الذي
لا إله إلا هو وأصلي على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وأشكره
مليا على ما وهب من النصر للمسلمين والعاقبة للمتقين ولم نزل معينا الطيبات
عز وجل
وأما قولك إنك لم تقدم بانطاكية لطيبها [illegible] فإن الله لم

يحرم الطيبات على المؤمنين الذين يعملون الصالحات قال تعالى في كتابه
العزيز يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما أحل الله لكم وكان يجب
عليك أن تريح المسلمين من تعبهم وتدعهم يرغدوا في مطعمهم ويرجون
الأبدان التعبة في قتال من كفر بالله وأما قولك إنك تنتظر أمري
الذي أمرتك به ولم لا تدخل الدروب خلف العدو فأنت الشاهد
وأنا الغائب والشاهد يرى ما لا يراه الغائب ولست [illegible] عدو ولك
وعيونك يأتونك بالأخبار فإن رأيت الدخول إلى الدروب
صوابا فابعث إليهم السرايا فيغلبهم بلادهم وضيق عليهم مسالكهم
وإن طلبوا منك الصلح فصالحهم وأما قولك إن العرب أنه لم تطب
نساء الروم وما أرادوا التزويج فلمن أراد التزويج فدعه إن لم يكن له
في الحجاز أهل ومن أراد أن يشتري الإماء فدعه وهذا أصون
لفروجهم والسلام عليك وعلى جميع من معك من المسلمين
ورحمة الله وبركاته وطوى الكتاب وختمه بخاتم رسول الله
صلى الله عليه وسلم ودفعه إلى زيد بن وهب وقال له انطلق رحمك الله
والشوق عمر في ثوابك فأخذ زيد الكتاب من يد عمر رضي الله
عنه وهم أن يسير فقال عمر يا زيد قف حتى نزودك ثم إن
عمر أناخ بعيره وأخرج له من تمره صاعا ومن سويقه صاعا

ثم قال خذ هذا واعذر عمر فهذا ما أمكنه ثم إن عمر قبل رأس زيد
ابن وهب فبكى زيد وقال يا أمير المؤمنين بلغ من قدري أن تقبل
رأسي وأنت أمير المؤمنين وصاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم
ختم الله بك الأربعين فبكى عمر وقال أرجو الآن يغفر الله لعمر
بشها ويلك يا زيد ۞ قال زيد بن وهب فاستويت على ظهر ناقتي
وهممت أن أسير فسمعت عمر يقول اللهم احمله عليها واطو له البعيد
وسهل له القريب إنك على كل شيء قدير ۞ قال زيد فخرجت
بدعوة عمر بن الخطاب لأن الله تعالى استجاب له دعوة إنما كان
له طاويا والبعيد طاويا قال زيد فجعلت أسير والأرض تخفى وتطوى
تحت مطيتي فكنت في اليوم الثالث عند أبي عبيدة وكان قد
رحل من انطاكية ونزل على حازم قال زيد بن وهب فلما أتيت
عسكر المسلمين سألت عن أبي عبيدة فقالوا إنه في خيمته
وسمعت ضجة عظيمة فسألت عن ذلك فقالوا إن المسلمين فرحون
بما فتح الله على المسلمين وذلك أن خالد بن الوليد سار إلى شاطئ
الفرات وغار على بزاغة ومنبج بخيله ورجله فأخذ أموالها
وغنائمها وقد صالحوا الأمير أبا عبيدة ورد أموالهم وغنائمهم
عليهم وقد فتح الله منبجا وبزاعة وبالس وقلعة نجم وجسر منبج في

العشر الأوسط من محرم سنة عشرة من الهجرة وصالح أهلها بعد أن
رد عليهم أموالهم على مائة ألف وخمسين ألفا وما كان متولي على
تلك إلا بطريق اسمه جرفياس ۞ فلما صالح على أرضه أعطاه أمواله
بعد ذلك وولى أبو عبيدة على منبج عبادة بن رافع التميمي وعلى
الجسر نجم بن مفرج الفهري وبنا قلعة وسماها باسمه قلعة نجم
وولى على بزاعة أوس بن جابر الربعي وعلى بالس داود بن عون
الحميري وسماها باسمه وادعا أبو عبيدة خالد بن الوليد يوم
قدوم زيد بن وهب فقدم له الأموال والغنايم قال زيد بن وهب
فأتيت قبة أبي عبيدة فرأيته جالسا وإلى جانبه خالد بن الوليد
وقد تقدم مال الصلح فأنخت ناقتي وناولته الكتاب ففضه وقرأه على
المسلمين

ذكر دخول المسلمين دروب انطاكية

وما جرا فيهم لأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال رحمة الله
عليه فلما قرأ أبو عبيدة كتاب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه
قال معاشر المسلمين إن أمير المؤمنين قد ترك أمر هذه الدروب
وقال أنت الشاهد وأنا الغايب وأنا لا أعمل شيئا إلا عن إذنكم
ورأيكم فما تشيرون به علي رحمكم الله فسكت المسلمون ۞ ولم
يردوا جوابا فأعاد أبو عبيدة الكلام ثانيا وقال يا معاشر المسلمين

إِنَّ الشَّامَ قَدْ مَلَّكَكُمُ اللهُ إِيَّاهُ وَأَخْرَجَ عَدُوَّكُمْ مِنْهُ بِالْمَذَلَّةِ وَالْقَهْرِ
وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ كَمَا ضَمِنَ لَنَا نَبِيُّ اللهِ وَرَسُولُهُ
صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْجَنَّةَ فَمَا تُشِيرُونَ وَتَرَوْنَ أَنْ تَدْخُلُوا هَذِهِ الدُّرُوبَ
إِلَى عَدُوِّكُمْ فَسَكَتَ الْمُسْلِمُونَ وَلَمْ يُجِيبُوا جَوَابًا فَأَعَادَ أَبُو عُبَيْدَةَ
الْكَلَامَ ثَالِثَةً وَقَالَ يَا مَعَاشِرَ الْمُسْلِمِينَ مَا هَذَا السُّكُوتُ أَفَشَلٌ لَحِقَكُمْ
بَعْدَ الشَّجَاعَةِ أَمْ كَسَلٌ بَعْدَ النَّشَاطَةِ أَمْ قَدِ اكْتَفَيْتُمْ مِنَ الْحَسَنَاتِ
أَمْ لَمْ تَبْقَ عَلَيْكُمْ سَيِّئَاتٌ وَإِنَّ الْحَسَنَاتِ [illegible] لَكُمْ وَلَيْسَ خَطِيئَةٌ فِي الرَّغْبَةِ
إِلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ وَإِنَّ الْجِهَادَ خَيْرٌ لَكُمْ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا ❁ فَكَانَ أَوَّلَ
مَنْ تَكَلَّمَ مِنْ أُمَرَاءِ الْمُسْلِمِينَ مَيْسَرَةُ بْنُ مَسْرُوقٍ الْعَبْسِيُّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ
وَقَالَ أَيُّهَا الْأَمِيرُ لَمْ نَسْكُتْ لِجَزَعٍ لَحِقَنَا وَلَا فَزَعٍ وَلَا خَوْفٍ
أَرْهَقَنَا وَإِنَّمَا بَعْضُنَا يَنْظُرُ إِلَى بَعْضٍ وَاعْلَمْ أَيُّهَا الْأَمِيرُ مَا لَنَا حِيلَةٌ
غَيْرَ الْجِهَادِ فِي أَعْدَاءِ اللهِ وَطَلَبِ مَا عِنْدَ اللهِ وَهَا نَحْنُ بَيْنَ يَدَيْكَ
فَمَا أَمَرْتَنَا بِهِ فَمِنْكَ الْأَمْرُ وَمِنَّا السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ وَأَمَّا
أَنَا فَمَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي فَوَجِّهْنِي حَيْثُ شِئْتَ تَجِدْنِي طَائِعًا مُسَارِعًا
فِي رَحْمَةِ اللهِ ❁ ثُمَّ قَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ مَعَاشِرَ الْمُسْلِمِينَ مَنْ لَهُ
رَأْيٌ وَحَضَرَتْ عِنْدَهُ مَشُورَةٌ فَلْيَقُلْهَا وَيُظْهِرْهَا عِنْدَهُ ❁ فَقَالَ
خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ لِأَبِي عُبَيْدَةَ يَا أَمِينَ الْأُمَّةِ إِنَّ إِقَامَتَنَا عَنْ طَلَبِ

عَدُوِّنَا وَهْنٌ وَعَجْزٌ عَلَيْنَا وَطَعْنٌ فِي دِينِنَا وَطَلَبُ الْعَدُوِّ وَهْنٌ عَلَيْهِمْ
وَغَنِيمَةٌ لِلْمُسْلِمِينَ وَالَّذِي أُشِيرُ عَلَيْكَ أَيُّهَا الْأَمِيرُ أَنْ تَبْعَثَ الْجُيُوشَ إِلَى
الدُّرُوبِ فَذَلِكَ وَهْنٌ لِلْعَدُوِّ وَتَقَرُّ بِهِ أَعْيُنُ الْمُسْلِمِينَ ❁ فَجَزَاهُ
أَبُو عُبَيْدَةَ خَيْرًا وَقَالَ يَا أَبَا سُلَيْمَانَ إِنِّي عَوَّلْتُ أَنْ أَعْقِدَ لِمَيْسَرَةَ
ابْنِ مَسْرُوقٍ عَقْدًا وَأُسَيِّرَ مَعَهُ رِجَالًا مِنَ الْيَمَنِ لِأَنَّهُ أَوَّلُ مَنْ سَارَعَ
إِلَى ذَلِكَ ❁ فَيَقْتَحِمُ الدُّرُوبَ وَيُغِيرُ عَلَى مَا قَرُبَ مِنْ بِلَادِ الرُّومِ
وَيَرْجِعُ إِلَيْنَا إِنْ شَاءَ اللهُ وَيُخْبِرُنَا بِخَبَرِ الْبِلَادِ فَقَالَ لَهُ خَالِدُ بْنُ
الْوَلِيدِ أَصَبْتَ الرَّأْيَ فَأَخَذَ أَبُو عُبَيْدَةَ قَنَاةً تَامَّةً وَعَقَدَ عَلَيْهَا رَايَةً
سَوْدَاءَ مَكْتُوبٌ عَلَيْهَا بِبَيَاضٍ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ ❁ وَهَزَّ
الرَّايَةَ فِي يَمِينِهِ ثُمَّ سَلَّمَهَا إِلَى مَيْسَرَةَ بْنِ مَسْرُوقٍ وَقَالَ يَا مَيْسَرَةُ أَنْتَ
كُنْتَ أَوَّلَ مُشِيرٍ عَلَى الْمُسْلِمِينَ بِالْمَسِيرِ إِلَى الدُّرُوبِ فَخُذْ [illegible]
الرَّايَةَ عَسَى تَكُونُ أَنْتَ الْمُتَوَلِّيَ بِعَقْدِ الْأَمْرِ وَالْفَتْحِ فَيَكُونُ لَكَ ذُخْرًا
فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ❁ وَانْتَخَبَ أَبُو [illegible] مِنْ أَبْطَالِ الْيَمَنِ وَمِنْ
أَبْطَالِ حِمْيَرَ ثَلَاثَةَ آلَافِ فَارِسٍ وَمِنَ الْعَبِيدِ أَلْفَ عَبْدٍ ❁ وَمِنْ
كِنَانَةَ وَكَهْلَانَ وَ[illegible] وَسِنْبِسٍ وَالْأَزْدِ وَمَذْحِجٍ وَ[illegible]
وَخَثْعَمَ وَخَوْلَانَ وَ[illegible] وَلَخْمٍ وَجُذَامٍ وَفِيهِمُ الْفُرْسَانُ
وَالنُّجَبَاءُ قَدْ لَبِسُوا الْكُلَّ سِلَاحَهُمْ وَالْعَبِيدُ لَبِسُوا [illegible] الْحُمْرَ وَ[illegible]

رؤوسهم الحمائم الصفر وكل عبد منهم يقول إنه بطل في كتيبته
وجعل أبو عبيدة دامسا أبا الهول مقدما على العبيد وجعله تحت راية
ميسرة بن مسروق العبسي وقال له يا أبا الهول كن في أول هذه العبيد
فهم تحت رايتك وأنت تحت راية ميسرة بن مسروق ولا تخالفه
فيما يشير به عليك قال له دامس السمع والطاعة واعتزل أبو الهول
ومن معه من العبيد وأجابت الرجال أبا عبيدة إلا رجال طي فإنهم
كرهوا المسير تحت راية ميسرة فقال بعضهم لبعض كيف
عقد أبو عبيدة لرجل من عبس وترك سادات طي وملوكها
وملوك اليمن قال الواقدي فبلغ الخبر إلى أبي عبيدة فدعا بهم
وقال يا آل طي إنكم متكبرون وقد [illegible] لكم إبليس [illegible] المسلمين
فلا يدخلكم الكبر فتهلكوا واعلموا أنه لا نصر بكثرة عدد ولا
بشدة وجلد وإنما تغلبوا بنصر الله قال الله عز وجل إن ينصركم
الله فلا غالب لكم وإن أكرمكم عند الله أتقاكم ❁ والله إن
ميسرة لأقدم منا سبقا إلى الإسلام وصحبة لرسول الله صلى الله
عليه وسلم فسكتت طي عند ذلك وأسرعوا إلى الحق وصاروا تحت راية
ميسرة فلما تكاملوا للمسير أقبل ميسرة إلى أبي عبيدة وقال أيها الأمير
إني [illegible] هذه الطريق والأرض قليلة على جهلها وإني أسير

المؤمنين أمرك أن تبعث معنا الأدلاء ليرشدونا على الطريق قال أبو عبيدة
لقد ذكرتني ما كنت ناسيا ثم أحضر أبو عبيدة الأدلاء من المعاهدين ممن
كان تحت الذمة فاختار أبو عبيدة منهم أربعة وضمن لهم جعلا وطرح
عنهم الجزية واستقصاهم في أي درب يكون دخول المسلمين فيه فأشاروا
كلهم بالدرب الأعظم من بلد قورص وقالوا أيها الأمير إن هذه الدروب
ليست كالبلاد التي فتحوها وهذه بلاد كثيرة البرد شديدة الجليد
كثيرة الحجر وفيها مضايق وشعاب وكهوف وأودية فقال له ميسرة
سر أمامنا فإنك سترى عجبا منا فسار ميسرة أمام قومه بعد أن سلم على
أبي عبيدة وعلى المسلمين وهم يضجون بالتهليل والتكبير ❁ قال عطاء بن جعفر
الغفاري وسرنا جد السير والدليل أمامنا فأقبلنا على قورص فنزلنا بها
وبتنا فلما أصبحنا سرنا ودخلنا الدروب ولم يزل الدليل يسير بنا في طريق
وحشة وعرة وأشجار مشتبكة ومياه جارية ومضايق ليس فيها مجال
فقلت في نفسي إذ طال علينا مد هذه الأودية خشيت على المسلمين
أن يظفر بهم عدوهم وتعلقوا بهم الأدلاء في جبال شاهقة صعبة على
الخيل الصعود إليها ولم يبق أحد من المسلمين إلا ترجل عن فرسه وقاده
وراءه ❁ قال عبد الرحمن بن ميسرة بن عبيد كنت مع سرية ابن مسروق
وقد اخترق بنا الدروب فنظرت إلى جبال شاهقة وشجر متكاثفة

قال عبد الرحمن وكان لي خفان من أديم اليمن فلما نزلت من على الجواد
لبستهما فما كان إلا قليل حتى تقطعا وبقيت رجلاي تسيل دما وما
زال كذلك ثلاثة أيام وما من يوم يسير إلا والدليل يقول كونوا على
حذر فإن أخذت الروم عليكم المجاز والطريق هلكتم فلما كان في اليوم
الرابع خرجنا إلى زهوة واسعة ❀ قال عبد الكريم وكان دخولنا إلى
الدروب في أول الصيف وما أحد من المسلمين إلا وقد نزع فروته عن
جسده فلما خرجنا إلى تلك الأرض رجع كل أحد منا يلبس ما كان عليه
في الشام من شدة البرد الذي في ذلك الموضع قال عبد الرحمن وكان
داميس ليس عليه آلة الحرب ولا معه إلا بردتان فلما دخل أرض الزهوة
لسعه البرد ولم يكن معه ما يكفيه للبرد ثم جعل يرتعد فنظر إليه رجل
من المسلمين فقال يا أبا الهول ما لك ترتعد فقال أخذني البرد فأخبر
ميسرة بذلك فدفع له ميسرة فروة من على جسده فلما لبسها أبو الهول
ودعا له وقال كساك الله يا ميسرة من قطوف الجنة **قال الواقدي**
وسار بهم الدليل ولم تزل الناس يسيرون في بلاد الروم إلى أن وصلوا إلى
أرض طيبة كثيرة الماء قليلة الحجر فأمر ميسرة المسلمين بالنزول فيها ❀
وذلك أن المسلمين لم يروا أحدا من الروم في طريقهم حتى تكامل الجيش
فلما تكامل الجيش رحل بهم ميسرة وسار يقدمهم الجيش قال سعيد بن

عامر

عامر فوالله ما رأينا أحدا من الروم فلما كان في اليوم الخامس ونحن سائرون
إذ لاح للمسلمين سواد في لحف جبل فأسرعت خيل المسلمين إلى نحو الجبل فلما
قربوا منه وإذا هي قرية من قرى الروم خالية من أهلها إلا أنهم سمعوا أصوات
الديوك ولغا الغنم وليس فيها دافع ولا مانع قال سعيد بن عامر فلما نظرنا
إلى ذلك علمنا أنهم هربوا فصاح بنا ميسرة وقال الحذر والله على أنفسكم
فإن الروم قد علموا بنا فابتدرت المسلمون إلى القرية وأخذوا ما كان
فيها من الطعام والثياب والأموال والمواشي قال سعيد بن عامر فنظرت
إلى أبي الهول وهو يحمل على عاتقه ثلاثة [illegible] وقطيفة فقلت يا أبا
الهول إن هذا الذي معك يثقلك فقال دعني كأني أرد هذه البلاد
قبلي ❀ ثم [illegible] ميسرة [illegible] ❀

ذكر وقعة مرج القبائل وأسر داميس وأبي الهول

وجماعة معه [illegible] على يد رسول الله صلى الله عليه وسلم [illegible]
عبد الله بن حذافة وخلاصه أيضا [illegible] عمر بن الخطاب من أيدي [illegible]
[illegible] بالقسطنطينية [illegible] **قال الواقدي** ولما وصلت
خيل المسلمين إلى مرج القبائل وكان مرجا عظيما كثير الطول والعرض فيه
المسلمون يمينا وشمالا فأقبل ميسرة بجيشه [illegible] وهو يأمر نفسه بالرجوع
إلى أبي عبيدة وكان أبو عبيدة [illegible] لا يبطئ عنه فبينما هو

كذلك والخيل سابحة في المرج وإذا قد أقبل رجل من المسلمين ومعه علج
يسوقه كأنه دابة ولم يزل به حتى أوقفه بين يدي ميسرة بن مسروق
فقال له من أين لك هذا العلج قال أيها الأمير إني أسرعت فرأيت هذا
العلج فأسرته فدعا ميسرة برجل من المعاهدين ممن يعرف بكلام الروم
وقال له اسأل هذا العلج أيش عنده من أخبار الروم فسأله المعاهدي
وقال أيها الأمير إن هذا العلج يقول إن الملك هرقل لما ركب في البحر
قصد القسطنطينية بأهله وحريمه وكل المنهزمين قد التجأوا إليه
واجتمعوا عنده وتهيئوا لأن بطارقته قد فتحت وقيل والها صليبا
فقال الملك السلام عليك يا أرض سورية ثم بكا بكاء شديدا ثم جمع
إليه بطارقته وتهيأ إلى حربهم من العرب أن يلحقوا بنا فجهز ثلاثين
ألفا من بطارقته يحفظون الدروب له قال كم بيننا وبينهم
قال العلج بينكم وبينهم فرسخان فلما سمع ميسرة بن مسروق
ذلك أطرق إلى الأرض لا يحير جوابا فقال له رجل من أهل
سهم يقال له عبد الله بن حذافة السهمي رضي الله عنه وكان
من أبطال المسلمين وشجعانهم وكان له عمود من حديد
يقاتل به في الحرب لا يقله سواه فقال لميسرة بن مسروق ما لي
أراك مطرقا إلى الأرض كما أطرق الحصان لتلحم اللجام

والرجل

والرجل منا يقاتل ألفا من الروم قال والله يا عبد الله ما أطرقت خوفا
ولا جزعا إلا أنني خفت أن تصاب المسلمون تحت رايتي وهي أول
راية دخلت الدروب فيلومني عمر بن الخطاب وكل راع مسؤول
عن رعيته فقالت المسلمون والله ما نبالي بالموت ولا نخاف الموت
فقال ميسرة يا معشر المسلمين أشيروا علي هل نسير إلى الروم أو نلقاهم
في موضعنا هذا فقال لهم العلج إن أدركتم أن تلقوا العسكر فاثبتوا
في أماكنكم وإن تحملوا فهو خير لكم فعند ذلك عرض ميسرة
الإسلام على العلج [illegible] إذ أشرف عليهم
جيش المشركين مقبلة نحو الروم [illegible] وهم كالجراد المنتشر
وكان الليل قد أقبل فلما كان [illegible] صلى ميسرة بالمسلمين صلاة
الفجر وأقبل من صلاته وقام فيهم خطيبا وقال أيها الناس هذا يوم ما
بعده يوم وقد علمتم بعدكم من قريب [illegible] دخلتم في الدروب
واعلموا أن [illegible] المسلمين [illegible] واعلموا رحمكم الله
أن الدنيا دار [illegible] والآخرة دار خير والتموا ما قال نبينا صلى الله
عليه وسلم الجنة تحت ظلال السيوف فلا تنظروا إلى قلة عددكم
وكثرة أعدائكم كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة
بإذن الله والله مع الصابرين فقال المسلمون أيها الأمير لذ كيف

بنا إلى لقائهم وإنما نرجو النصر عليهم فإن تبشر لقولهم وركب ميسرة
وركب الجيش لركوبه وانفصلت العبيد من العرب ووقفت تحت راية
أبي الهول وانحازت العرب تحت راية ميسرة بن مسروق العبسي
رحمة الله عليه وقد أخذوا على أنفسهم القتال غدا وهم قد استعانوا
بالله ❁ فقال ميسرة قبل أن يحمل أيها الناس إني أوصيكم بتقوى الله
وحده لا شريك له وكونوا كقوم أشرف عليهم الموت فلم يجدوا
منه مخلصا ولا تحطم الجنة بعد ليفرها وانظروا ما أعد الله
لكم فيها فاحبوا الشريعة للدخول إليها وهذه الجنة أمامكم وأنتم
اليوم مطيش الإسلام ❁ ثم عبأهم ميمنة وميسرة وقلبا وجناحين
فجعل في الميمنة عبد الله بن حذافة السهمي وعلى الميسرة سعيد بن
أبي مليح وقدم العبيد وهم بالعباء والحجر وهم بالجراب
والسيوف وأوقفهم أمام العسكر والراية بيد أبي الهول

قال الواقدي ثم تقدم أبو الهول بين الصفوف
فخرج إليه فارس من الروم فقتله ثم خرج إليه آخر فقتله فقالت
الروم إن هذا عبد من عبيد العرب فمن هذا فلم يخرج إليه
أحد فعند ذلك حمل على جيش الروم وكان راجلا فقتل
فارسا من الفرسان فعند ذلك تحت الروم بعضهم بعضا

إذ حمل عليه عشرة آلاف من الروم وهموا بالخيل فلما نظرت المسلمون
إلى المشركين وقد حملوا عليه فصاح ميسرة الحملة الحملة يا معاشر
المسلمين فحمل المسلمون والتقى الجمعان فما زال الجيش حتى التحموا بالأسنة
واستبشقوا أن لا الخوف من الهالكة والحد وإلى حربهم وهم يصدون
كأنه الأسد **قال الواقدي** ولم تزل الحرب تعمل بينهم إلى أن زالت
الشمس للغروب واشتد الكرب والمسلمون موقنون بالنصر وبات
المسلمون تلك الليلة فلما كان من غداة غد وقد طلع الفجر صلى
ميسرة بالمسلمين صلاة الفجر ❁ وانفتل من صلاته ونظر إلى جيش
الروم وقد صفوا صفوفهم وهم عليهم الحديد والقسطنطين فهم
في عدة حسنة فعند ذلك خرج من عسكر الروم فارس وهو من
العرب المتنصرة فقرب من عسكر المسلمين وقال إن الباغي يرديه
بغيه أما يكفيكم ما ملكتموه من الشام العظيم حتى أقحمتم الدروب
إنما ساقتكم آجالكم وهذه ثلاثون ألف عنان قد حلفوا بالصليب
أنهم لا ينهزمون أبدا أو يقعوا موتا فإن أردتم أن نبقي عليكم ❁
فاستسلموا للأمر فنحملكم إلى الملك هرقل فيحكم فيكم بما يريد
فخرج إليه دامس أبو الهول والراية بيده فحضرها وقال صدقت إنما
الباغي يرديه بغيه وأما قولك أن نلقي بأيدينا إليكم حتى تبقوا علينا

وكلامك هذا هو البغي وانني عبد من عبيد العرب ليس علي قدر عند ذوي
الرتب ادن مني حتى ابتذل لك ضربا تحوز في دمك ثم انه ذلمسا طعن المنتصر
طعنة جندله بها صريعا وعجل الله بروحه الى النار ولما نظرت الروم
المنتصر وقد قتل حملوا الحملة والحادة على المسلمين والتحم القتال وعمل الموت
الزوام وتكاثرت الاهوال وكثرت العيطات وقويت الضجات
ولم يزل القتال بعضا الى ان ولت الشمس الى الغروب فعند ذلك انفصل
الفريقان وافتقد المسلمون بعضهم بعضا ففقد من المسلمين ستون رجلا
خمسون قتلوا وعجل الله بارواحهم الى الجنة وعشرة منهم اسروا فاما
العشرة الذين اسروا منهم راشد بن زهير ومالك بن حاتم وسالم بن
مفرج وعامر بن صادم وعون بن مازن ومسعود بن حسان وخزعل
ابن عاصم ونبهان بن مرة وعدي بن شهاب واما الخمسون الذين
قتلوا من جملتهم الحارث بن ابي بوع التيمي وعبد الله بن ساعدة وجرير
ابن صباح والاغيد بن نابهز والنعمان بن نحية وزيد بن ارقم ومرارة
ابن حاتم وواحة بن سهل رضي الله عنهم قال الواقدي واما
الروم فاسر المسلمون منهم تسعمائة رجل وقتل منهم الف وماية
رجل وافتقد المسلمون دامسا ابا الهول فلم يروه فعلموا انه اسر
فحزنوا عليه حزنا شديدا فقال ميسرة بن مسروق ان كان ابو الهول

قتل او اسر فقد نجحت فيه المسلمون ثم قال ميسرة معاشر المسلمين من
يطلق ويستخبر لنا خبر ابي الهول دامس ومن اسر معه فلم يجبه احد من المسلمين
الى ذلك قال الواقدي فلما عادت الروم الى الحملة على المسلمين
واقتتلوا قتالا شديدا حتى كان المسلم يجتمع عليه العشرة من الروم
والمائة فيقتلوه ويأسروه وكان ميسرة في اربعة الاف من العرب
ومواليهم والروم في ثلاثين الفا ولقد جاهدت المسلمون في الله حق
جهاده وميسرة ينادي ويقول ايها الناس اني اذكركم دار الاخرة
واعلمكم انها اقرب اليكم من رجوعكم الى اهلكم فاستقبلوا الاخرة
استقبال الوالدة لولدها ولا تولوا كما يولوا العنز من هدير الاسد
ثم نادى ميسرة معاشر المسلمين حطوا جفون سيوفكم واقطعوا على
نصالها بما نكم فعند ذلك حطم بني النجاة ❁ قال زيد بن وهب فلم يبق احد
من المسلمين الا رمى جفير سيفه فلما نظرت الروم الى فعل المسلمين فعلوا
كفعلهم فسميت تلك الوقعة بلاسمي وقعة مرج القبايل ووقعة الحطمة
لما حطموا من جفون السيوف قال الواقدي واقتتلوا بالسيوف
حتى ظنوا انها لا تنقطع والمسلمون متوكلون على الله عز وجل والمشركون
يضجون بكلمة الكفر ويقولون مع ذلك غلب الصليب والمسلمون
منتظرون فرجا يأتيهم والمسلمون يقاتلون قتال الموت وكان اشتغال

المسلمين يومئذ النصر النصر ❁ قال عطية بن ثابت فأخذني على المسلمين
الهم ونحن في كرب عظيم إذ سمعت للروم صيحة عظيمة وإذا بغبرة
من وراء عسكرهم فأطلقت فرسي واقتحمت الغبرة لأنظر ما هي وإذا بالروم
في قتال شديد مع طائفة من المسلمين والمسلمون في وسط عسكر الروم
والزعقات منهم علت وسمعت قائلا يقول لا إله إلا الله محمد رسول الله
فقلت هذا الصوت دامس فنظرت إليه وهو بارك تحت جحفته ومن
حوله عشرة من المسلمين والروم منكبة عليهم وأبو الهول يجاهد الروم
وحده ويمنع عن أصحابه وكلما حملت عليه كتيبة من الروم ردهم
على أعقابهم وهو يقاتل قتال الموت ❁ قال عطية فناديته
يا دامس ما وراءك وأين كنت فقد اغتمت المسلمون لفقدك فقال لي
يا أخي بينما نحن في القتال إذ هجمت كتيبة من الروم فأخذوني أنا
وأصحابي هؤلاء أسرا وليس هذا وقت السؤال قال عطية بن عامر ❁
فأسرعت إلى الأمير ميسرة وأخبرته بذلك قال عطية فبينما أنا
أخاطب الأمير ميسرة وإذا نحن بأبي الهول وأصحابه قد أقبلوا وكأنهم
قد غمسوا في بحر دم وافترقت الفئتان فوالله ما قتل من المسلمين أكثر
من الخمسين رجلا أو أقل باثنين وقتل من الروم ثلاثة آلاف سوى ما
قتله أبو الهول من الكتيبة التي هجمت عليه ❁ فلما نظر إليه

ميسرة هم أن يترجل من على جواده ليسلم عليه فأقسم عليه أبو الهول
أن لا يفعل فقال له ميسرة يا دامس كيف كان أمرك فقال دامس
أيها الأمير اعلم أن الروم كبسونا وأسروني أنا وأصحابي هؤلاء وكانوا
وغلوني في القيود ويئسنا من أنفسنا فلما جن الليل نمت فرأيت
النبي صلى الله عليه وسلم وكأنه يقول لا بأس عليك يا أبا الهول
وأن لك منزلة عند الله عظيمة ❁ ثم مر بيده الكريمة
على القيود فانطلقت من الأغلال فالتفت وكذلك فعل بأصحابي
وقال أبشروا بنصر الله فأنا محمد رسول الله ثم غاب عنا فأخذنا
سيوفا وجعلنا نقاتل بها الروم إلى أن نصرنا الله عليهم وهذا حالنا
فضجت المسلمون بالتهليل والتكبير والصلاة على البشير النذير قال
الواقدي وكان للروم بطريق متولي أمرهم من قبل الملك
هرقل اسمه جلوس ولكنه لما نزل بمدينة جمعهم إليه وقال وحق المسيح
حين أملك أنتم حماة ديني ولكن لم تقاتلوا بصدق عزم ولا قتلتم ولا جرحتم
الملك يقتلكم قد كلمت الروم لم انصر لا ينهزمون أو يقتلون عن
آخرهم ❁ فلما استقر لي ظنهم أمرهم أن يضرموا النيران على الجبال
والمراقب وجعل يستنفر الروم من البلاد والضياع والروم تأتي
من كل ناحية ومكان حتى امتلأ المنقب فلما مر ذلك بيوسنس الملا

وجاء من الروم والارمن عشرون الفا فلما كان من الغد صلى ميسرة
بالمسلمين صلاة الفجر ۞ فلما فرغ من صلاته قام في الناس خطيبا
وقال ايها الناس اثبتوا لما نزل بكم فنعم الصبر عند نزول المصايب
وهذه رحمة من الله عز وجل بنا اذ نحن في صدور الاعدا وقد
دار بنا جيش عظيم ولقد رايت من الراي ان انفذ الى الامير ابي عبيدة
لعله يمدنا قال له سعيد بن زيد نعم ما قلت فانما نلتمس برجل من
اهل الذمة ونعده بكل خير وقال له امض الى الامير ابي عبيدة ۞
وحدثه بخبرنا وقل له ان الروم قد احدقوا بنا وقد التمسنا وان
علينا الروم من البلاهط او الضيع فلبس المعاهد زي الروم وخرج
من المسلمين على حين غفلة وسار يريد عسكر ابي عبيدة ۞
وجعل يجد في السير الى ان وصل الى جيش المسلمين وكان
ابو عبيدة نازلا بجيش المسلمين على حلب فقصد المعاهد خيمة
ابي عبيدة حتى وقف بين يديه يرتكب الهرم لما اصابه من التعب
فلما راه ابو عبيدة على تلك الحالة قدم اليه ما يشرب وياكل فاكل
فعند ذلك قال له ابو عبيدة ما وراك يا اخا الذمة اهلكت الكتيبة
قال لا ولكن والله قد تكاثر عليهم العدو من كل قلعة وقد
احاطت بهم الجيوش من كل جانب ثم اخبره بما جرى لهم من الحرب والقتال

وكم قتل من الروم والمسلمين وباسر دامس واخلاصه وحطم جفون السيوف
فقلق ابو عبيدة قلقا عظيما على ابطال الموحدين لما سمع من المعاهدي
ذلك ثم قام مسرعا الى خيمته ونهض الى خيمة خالد بن الوليد رضي الله
عنه فوجده يصلح في سلاحه فسلم عليه فقال ابو عبيدة للمعاهدي قم
وحدثه بما سمعت وعاينت فقام المعاهدي وحدثه فقال خالد ان الله
له الحمد منذ نصرنا ما اخذلنا فلله الحمد على ذلك كثيرا وقد امرنا
بالصبر على الشدايد ۞ قال الله عز وجل يا ايها الذين امنوا اصبروا وا
وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون واني قد جعلت نفسي
حبسا في الجهاد ولا ابخل بنفسي على الله ورسوله ثم نهض خالد الى خيمته
ولبس سلاحه والقى القلنسوة المباركة على راسه وركب جواده
واعتقل برمحه وندب ابو عبيدة اليه الخيل ووقع النفير في المسلمين
فاقبلوا اسراعا اليها زاعقين طوعا لله ورسوله رضي الله عنهم فلولا منعهم
ابو عبيدة لساروا جميعهم ثم انتخب ابو عبيدة منهم ثلاثة الاف
فارس واردفه بعياض بن غنم في الف فارس قال الواقدي
حدثني محمد بن هشام قال حدثني عياض بن مالك عن من حدثه
قال لما سار خالد ابن الوليد بالجيش نحو الى ميسرة ابن مسروق ۞
قال خالد اللهم اجعل لنا اليهم سبيلا واطو لنا البعيد ولا تسلط

وقف

علينا من لا يرحمنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به ثم دخلوا الدروب ❁
هذا اما ما كان من امر خالد ومن معه واما ما كان من امر ميسرة بن مسروق
فانه داروت به الروم وكانوا يحملون كل يوم ويقتتلون قتالا
شديدا ولا يفترقون الا حتى يحجز عليهم الظلام وكل يوم يزيد عليهم العدو
عددا من غير ما يقتل منهم ❁ قال حدثني معمر بن راشد عن الزبير
ابن العوام قال لما سار خالد بن الوليد ليلحق ميسرة بن مسروق ❁
سجد ابو عبيدة سجدة واطال فيها وقال اللهم اني اسالك بمن جعلت
اسمه مع اسمك وعرفت فضله للانبياء ايك الا ألويت لهم العنيد ❁
وهونت عليهم كل صعب شديد قال الواقدي ولما ميسرة
ابن مسروق ومن معه فانهم ينتظرون فرجا يأتيهم عن عبد الله بن
ابن الوليد الانصاري حدثنا ثابت بن عجلان عن سليم بن عامر
الانصاري قال كنت مع ميسرة بن مسروق العبسي في وقعة
مرج القبائل والروم تأتي الى المسلمين من كل جانب ونحن نباركهم
في القتال ولا ننصرف الى ان يحجز بيننا وبينهم الظلام قال
سليمان بن عامر فخرج في بعض الايام بطريق من بطارقة الروم
وقد لبس درعين وعلى رأسه بيضة كأنها الذهب من فوقها
صليب من الجوهر وبين عموده من حديد كأنه زند بعير وقد

وفي

برز بين الصفين ودعا الى البراز وكان ذلك البطريق احد البطارقة
الذي بعثهم هرقل وجعل يطمطم كلامه فقال ميسرة ما يقول هذا
العلج قال انه يقول لا يخرج الي الا شجعانكم وابطالكم فقال ميسرة معاشر
المسلمين من يبرز اليه ويكفي المسلمين شره ❁ فتسرع بالاجابة رجل من
قبيلة النخع عليه دراع من دروع الروم فلما نظر الى البطريق حسبه
البطريق من المتنصرة وقد اسلم وخرج يريد القتال فجعل العلج يكلمه
ويظن انه يفهم بكلامه فلما رأى انه لا يفهم ما يقول حمل عليه وضربه
ضربة بالعمود تراجع لها النخعي وتحطم الجواد الى ورائه ووقعت
الضربة على رأس الجواد فسرح الجواد وقام النخعي على قدميه وهم
ان يداخل العلج بصولته فاشفق عليه لسطوته فنادوا يا اخا النخع ارجع
الي ورائك ولا تلقي بيدك الى التهلكة فرجع النخعي على عقبه ❁
والعلج تابعه يريد ان يضربه فما لحق راجلا والعلج فارس فلما هم
ان يضربه تسارع عبد الله بن حذافة السهمي وصاح صيحة عظيمة
ادهش البطريق بها فالتفت البطريق اليه وسلم منه النخعي ودخل
عسكر المسلمين وحمل عبد الله على البطريق وصعب بينهما المجال
وكان عبد الله يضرب العلج لا يعمل فيه السيف مما عليه من الحديد
وكان رحمه الله يأخذ ضربة البطريق بحجفته فتوهنه من ثقل

عدو الله فالتقيا بضربتين كان السابق بالضربة لعبد الله بن حذافة
فوقع سيف عبد الله تحت لحية البطريق فرمى رأسه عن جسده وعجل الله
بروحه إلى النار وأسرع فأخذ سلبه ورجع عبد الله إلى المسلمين ❁
فعظم ذلك على الروم وكان ذلك البطريق له منزلة عالية عند
الملك فعند ذلك برز بطريق ثاني وقال إن كان صاحب الملك
قد قتل فلا بد ما آخذ بثاره وأقبل البطريق إلى المسلمين بلسان فصيح
وقال إنكم بغيتم علينا فليبرز إلي قاتل البطريق ❁ فلما سمع ذلك
عبد الله بن حذافة هم بالخروج إليه فمنعه ميسرة من ذلك شفقة
عليه لأنه تعب في قتال البطريق الأول وهم ميسرة أن يقاتله
بنفسه فقال له عبد الله أيها الأمير أتدعوني باسمي وأتخلف عنه
إني إذا لعاجز فقال له ميسرة إني أشفقت عليك من تعبك فتشكر
له عبد الله وقال وحق رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يبرز
إليه إلا أنا **قال الواقدي** ثم خرج عبد الله بن حذافة
وتحته فرس البطريق الذي قتله وما غير عبد الله من لامته شيئا
وبيده سيفه وحجفته فلما نظر البطريق إلى فرس صاحبه علم البطريق
أنه هو الذي قتل صاحبه فحمل البطريق على عبد الله بن حذافة
كأنه جبل انصدم من علو واجتذب عبد الله من سرجه فاقتلعه

إليه

إليه والحقه أسيرا وأتى به إلى قومه فسلمه إليهم وعاد البطريق وقد عاد
إلى البراز بعد أن أسر عبد الله بن حذافة السهمي فكبلوه في الحديد
وحملوه على خيل البريد وساروا به إلى عند الملك هرقل
بالقسطنطينية فلما برز البطريق قال ميسرة بن مسروق أما تستحي
من الله عز وجل يقول عن نفسه أن تقدم براية المسلمين وأنت
تتفرج عليهم وتتخلف عن القتال فما عذرك عند الله يوم الحساب
ثم استدعا بسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل العدوي وسلم إليه
الراية وقال له كن للراية لازما حتى أخرج إلى هذا العلج فإن هو
قتلني فأجري واقع على الله عز وجل وإن قتلته كان بدلا
لعبد الله بن حذافة فأخذ سعيد بن زيد الراية وبرز ميسرة بن
مسروق إلى قتال البطريق ❁ فلما رآه البطريق علم أنه خرج
يأخذ بثار صاحبه فحمل ميسرة على البطريق وطال بينهما الحرب
والقتال إلى أن ضجت الفريقان منهما فقال البطريق لميسرة بالترجمان
أليس هذه الراية التي قد كانت إلى نحو عسكركم فقال ميسرة نعم
بكر به ثم قال البطريق الحق دينى إلى مثل الراية أتبدلت نحو ❁
عسكركم فحمل ميسرة على البطريق وأراد أن يقتلعه من سرجه
وإذا الملعون قد لزق في السرج فضرب العلج بيد ميسرة

لهذا

يريد أن يقطعها ويتخلص منه فسقط السيف على يد العلج الشمال
فقطعها فلما حس الملعون بالسيف قطع يده جذب يده ورجع هاربا
إلى عسكره وهو يضج ضجيجا عظيما قال الواقدي وأما الراية
التي رآها عبد الله وأخبر بها ميسرة فإنها راية خالد وقد
لحق بالمسلمين فلما رجع ميسرة من قتال البطريق سلم خالد على
ميسرة وسلم ميسرة على خالد وحدثه بما جرى له مع الروم وبأسر
عبد الله بن حذافة فصفق خالد على يديه وقال مثل عبد الله بن
حذافة تأسره الروم والله لا فارق خالد حتى يخلصه الله عز
وجل ❁ فلما كان في الغد خرج من عسكر الروم شيخ وعليه
المسوح وأقبل إلى عسكر المسلمين وأومأ بالسجود إلى خالد فمنعه
خالد من ذلك وقال له ما الذي تريد قال إن بطريق الملك
مذعن بالطاعة وإنه لما رأى هذا الجيش المقبل إليكم علم أنه
لا طاقة له بقتالكم وإنه يقول هل لكم في صلحنا ونرد عليكم أسيركم
ونحمل لكم من المال ما أردتم وترجعون عن بلدنا قال أما
الرجوع فلا نرجع إلا بانفصال وأما الأسير فإن أطلقتموه
طوعا وإلا أطلقتموه كرها قال الشيخ أنت أمير العرب ❁
قال نعم قال إن رأيت أن تؤخر القتال عنا يومنا هذا

فانفذ

فانفذ لتدبر الأمر بيننا وبين هذا البطريق فيجيبكم إلى ما تريدون فقال
لهم خالد قد أجبتكم إلى ذلك فرجع الشيخ وأخبر البطريق بذلك فلما
كان ذلك وأقبل الليل أمر البطريق عسكره أن يضرموا النيران على
أبواب الخيام في أول الليل فلما أوقدوا الروم النيران هربوا
وخلوا الخيام والسرادقات فلما أصبح الصباح ركب المسلمون
وانتظروا أحدا يخرج إليهم من الروم فلم يروا أحدا فعلموا أنهم
هربوا فعض خالد على أنامله وقال إنا لله وإنا إليه راجعون
فهم خالد أن يتبعهم فمنعه ميسرة من ذلك وقال إنما نرجع إلى
عسكر المسلمين لأن هذه البلاد بلاد وعرة ❁ فأخذ المسلمون
خيام الروم ورجعوا منصورين إلا أنهم حزنوا حزنا شديدا
على عبد الله بن حذافة قال الواقدي فلما وصل خالد
وميسرة إلى عسكر المسلمين فالتقاهم أبو عبيدة وفرح بسلامتهم
وعلم أن ما قتل من المسلمين غير خمسين رجلا فأعلموه بأسر
عبد الله بن حذافة قال أبو عبيدة إنا لله وإنا إليه راجعون
اللهم اجعل له من أمره فرجا ❁ ثم كتب أبو عبيدة كتابا
إلى عمر بن الخطاب بالقضية التي دخلت إلى الدروب
وبأسر عبد الله بن حذافة فلما وصل الكتاب إلى عمر بن الخطاب

فرح بشر المسلمين إلا انهم حزنوا على أسر عبد الله بن حذافة وقال انا اكتب
إلى هرقل كتابا إن لم يطلق عبد الله بن حذافة لابعثن إليه الجيوش
ولاطبقن عليه الارض ثم كتب إليه عمر بن الخطاب كتابا يقول فيه
بسم الله الرحمن الرحيم والحمد لله رب العالمين الذي لم يتخذ صاحبة
ولا ولدا وصلى الله على سيدنا محمد وسلم اما بعد فاذا وصل اليك
كتابي هذا ابعث الي الاسير الذي عندك وهو عبد الله بن حذافة
فان فعلت ذلك رجوت لك الهدى وان ابيت ذلك بعثت
اليك رجالا لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله والسلم على من
اتبع الهدى ثم طوى الكتاب وختمه وبعث به الى ابي عبيدة
ليبعث به الى هرقل ❀ فلما وصل الكتاب الى ابي عبيدة دعا
برجل من المجاهدين واعطاه دية رقبته وقال له انطلق بهذا
الكتاب الى هرقل بالقسطنطينية العظمى وائتني بالجواب
سريعا فاخذ المجاهد الكتاب وسار الى ان وصل الى ❀
القسطنطينية ودخل على هرقل وناوله الكتاب فاخذ هرقل
الكتاب وقراه فلما فهم ما فيه ادعا بالاسير وهو عبد الله بن
حذافة فلما وقف بين يديه قال له من انت قال رجل من قريش
قال انت من بيت نبيك قلت نعم قال فهل لك ان تتبع

ديني وازوجك ابنة بطريق منها ولا البطارقة واجعلك اكبر من في
عسكري واجعل لك من المال كذا وكذا ثم ان هرقل احضر سفطا فيه جوهر
وقال له يكون هذا كله لك وكل من لحم الخنزير واشرب الخمر فقال لا
كان ذلك ابدا فاقض ما انت قاض **قال الواقدي** وان هرقل كان
قد مات يوم حر وجد من انطاكية وان الذي يخاطب عبد الله بن حذافة
بهذا الكلام ابن الملك هرقل وكان قد سماه باسمه وان هرقل
قد مات مسلما **قال الواقدي** فلما ورد على هرقل كتاب عمر بن
الخطاب وقراه اعطا لعبد الله بن حذافة مالا وقال له توصل هذا لعمر
ابن الخطاب وارسل معه خيلا توصله الى ان يخرج من الدروب ووصل
الى جيش ابي عبيدة ففرح بقدومه وبعثه ابو عبيدة الى المدينة مع
عشر فوارس من المسلمين ❀ فلما قدم عبد الله بن حذافة على عمر بن
الخطاب سلم عليه وفرحوا بسلامته وقدم عبد الله المال الى عمر وكان في
المال لولو فاعرضه عمر على تجار المدينة فلم يعرفوا له ثمنا وقالوا يا امير
المومنين ان الله عز وجل قد حباك به فخذ بارك الله لك فيه فعند ذلك
امر عمر الناس ان يجتمعوا اليه فاجتمعوا حتى امتلا بهم المسجد فرقا عمر
المنبر خطيبا ❀ وقال ايها الناس ان كلب الروم قد وجه الي بهذا اللولو
وقد جعلني المسلمون منها في حل فما تقولون قالوا بارك الله لك فيه فقال

عمر لا إله إلا الله إن كنتم أنتم حاللتموني فكيف لي بالغائبين من
والمجاهدين من المسلمين والذي في الأصلاب والبطون من أولاد
المهاجرين والأنصار فلا طاقة لعمر بمطالبتهم يوم القيامة ❁ ثم
إن عمر باعه وجعله في بيت مال المسلمين قال عمر بن سالم أخبرني
عبد الله بن عامر قالوا جميعا إنه لما فتح أبو عبيدة أنطاكية وكان من أمر
ميسرة بن مسروق ما كان وأقام أبو عبيدة على حلب ينتظر ما يكون
من أمر عمرو بن العاصي على قيسارية فجاءت أهل المعرة وكفرطاب
وفامية وجبل أبي قبيس وما والاه من الحصون إلى أبي عبيدة ❁
وصالحوه على حصونهم ومد إليهم قصد الجمهور أبو عبيدة على ذلك وكتب
لهم كتاب الصلح وانصرفوا إلى بلادهم ❁

ذكر فتح قيسارية وعمرو بن العاصي

وما جرى له مع قسطنطين بن الملك من الحرب والقتال قال الواقدي
ولقد بلغني أن عمرو بن العاصي سار إلى قيسارية في خمسة آلاف
فارس من المسلمين منهم عبادة بن الصامت وعمر بن ربيعة وبلال بن
حمامة وربيعة بن عامر ومثلها ولا رضي الله عنهم قال شيبان بن
جحرمة الخزاعي كنت مع عمرو بن العاصي فارتحل بنا حتى نزل
بموضع يقال له نخل وبلغ الخبر إلى قسطنطين بن الملك هرقل وكان

كلمن أنصحهم من جيش أبيه لتأتي إليه واجتمع عنده من البطارقة والدنجة
والسرية بأنية حتى بلغ جيشه ثمانين ألفا فدعا قسطنطين برجل من المتنصرة
وقال له انطلق وتجسس لنا أخبار العرب واحزر لنا جيشهم وأتني بالخبر ❁
فمضى الجاسوس حتى دخل عسكر عمرو بن العاصي فمر بقوم من أهل اليمن
يصطلون بالنار فأتى إليهم وجلس بينهم ليسمع حديثهم فلما أراد القيام
عثر في ذيله فقال كلمة في لسانه فلما سمع المسلمون كلامه علموا أنه
متنصر وجاسوس الروم فوثبوا إليه فقتلوه فوقع الصايح في العسكر
حتى سمع عمرو ضجة هائلة فقال ما الخبر قالوا إن قوما من اليمن قتلوا جاسوسا
فقتلوه فصعب ذلك على عمرو بن العاصي فاستدعى بأهل العسكر
إليه وقال لهم من منكم جاسوس فليأتني به قال الواقدي
هذا ما كان من أمر المسلمين وأما ما كان من عدو الله قسطنطين
ابن الملك هرقل فإنه استبطأ جاسوسه فعلم أنه قتل فبعث غيره ليأتيه
بالخبر فأشرف الجاسوس على نخل وعاين جيش المسلمين وجوده وعاد
إلى الملك قسطنطين وقال أيها الملك إني حزرت عسكر المسلمين ❁
فوجدتهم خمسة آلاف فارس إلا أنهم أشد ضراغم ونسور قشاعم يرون
الموت غنيمة والحياة مغرما فلما سمع قسطنطين ذلك من جاسوسه
قال لا بد لي من قتالهم ثم جمع البطارقة والأراجنة والدنجة ❁

واختار منهم عشرة آلاف فارس وعقد راية على قناة تامة وجعل في
أعلاها صليبا من الذهب وسلمها إلى بطريق يقال له تملا وقال له قد
وليتك على مقدمة الجيش فسر بهم فأنت طليعة القوم فأخذ البطريق العشرة
الآلاف فارس وسار من يومه ثم إن قسطنطين عقد صليبا ثانيا وسلمه
إلى بطريق العسكر واسمه جرجيس وضم إليه عشرة آلاف فارس
وأمره أن يلحق البطريق الأول ❁ فلما كان في اليوم الثاني خرج
قسطنطين في بقية العسكر وترك على حفظ قيسارية ولده وترك عنده
عشرين ألفا قال سنان بن عوف فبينما نحن كذلك إذ أشرف علينا
البطريق الأول في عشرة آلاف ففرحنا بذلك وقلنا نحن في خمسة
آلاف كل واحد منا يقاتل اثنين من الروم فبينما نحن كذلك إذ
طلع علينا البطريق الثاني في عشرة آلاف أخرى فقال عمرو بن العاص
أيها الناس اعلموا أنه من أراد الله والدار الآخرة فلا يرتاع من كثرة
العدد ولا من تزايد المدد ثم جمع إليه أبطال المسلمين وقال إني
رأيت من الرأي أن أنفذ إلى الأمير أبي عبيدة أن يمدنا بالخيل والرجال
فإن هذا الجيش عظيم ❁ ثم أمر الناس بالتأهب إلى لقاء العدو
فركب المسلمون وقد رفعوا أصواتهم بالتهليل والتكبير فأجابتهم
التلال والجبال والأودية والحوالي والأوعار ومكان تلك الأرض

فارتاعت

فارتاعت المشركون عند سماع أصوات المسلمين فبينما هم كذلك
إذ أشرف قسطنطين بجميع جيشه ثم ادعا قسطنطين ابن الملك هرقل
يريد أن يبعثه وقال له رجلا يكون أفصحكم لسانا وأجراكم جنانا فلبس القس
ثوبا أسود له وبرنسا من شعر وركب على بغلة شهبا وأخذ بيده صليبا
من الجوهر وسار حتى وصل إلى عسكر المسلمين ❁ ثم وقف بحيث يسمعون
كلامه وقال يا معاشر المسلمين إني رسول الملك إليكم وإنه يريد
صلحكم ولا يبغي قتالكم لأنه قد علم بدينه بصير بأمره وإن الملك
يريد أن تنفذوا إليه رجلا يكون أفصحكم لسانا وأجراكم جنانا فلما
سمع عمرو بن العاص كلامه قال أيها الناس سمعتم ما قال هذا
الأغلف فمن يبادر في مرضات الله تعالى وينظر ما يتكلم به كلب الروم
فقال بلال بن حمامة مؤذن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا أجيبه
إلى ذلك وكان بلال رضي الله عنه رجلا أسود طويلا كالنخلة
السحوق بصاص السواد عيناه حمر كأنهما علق جمر في الضوء
فخرج بلال نحو القس فلما نظر إليه القس خافه وهابه وكان بلال
يلبس قميصا أبيض من الشام وعلى رأسه عمامة صوف متقلدا بسيفه
ومزوده على عاتقه وبيده عصابة ❁ فلما برز بلال من عسكر
المسلمين ونظر إليه القس قال إن العرب قد قدمنا إليهم فبعثوا إليه

عبداً أسود من عبيدهم ثم قال القس لبلال بن حمامة أيها العبد بلغ
مولاك وقل له إن الأمير يرسل إلى الملك أميراً منكم حتى يخاطبه بما
يريد فقال أيها القس إني بلال بن حمامة مؤذن رسول الله صلى الله
عليه وسلم ولست بعاجز عن جوابك وجواب صاحبك فقال له
القس قف مكانك حتى أعلم الملك بذلك ثم عاد القس ووقف
بين يدي الملك قسطنطين وقال أيها الملك إن العرب قد بعثوا
لنا عبداً من عبيدهم ليخاطبك فقال له ارجع إليهم وقل لهم
يبعث إليكم ملك النصرانية يقول لكم رجلاً يخاطبه ولا تبعثوا إليه
عبداً من عبيدكم ثم رجع القس إلى بلال وقال له يا أسود إن الملك
يقول لك لسنا نخاطب العبيد بل نخاطب صاحب جيشكم أو الذي
عليكم فرجع بلال إلى عمرو بن العاص وأخبره بذلك فسمعه شرحبيل
ابن حسنة فقال لعمرو بن العاص أنا أمضي إليه فقال عمرو
ويدعوني وتخرج أنت إليه ⁂ ثم خرج عمرو بن العاص وقد
لبس من فوق درعه جبة حمراء وعلى رأسه عمامة من صناعة
اليمن أدارها على رأسه كوراً وأرخى لها عذبة وفي وسطه
منطقة بسيور وتقلد بسيفه وسار حتى وقف بإزاء الترجمان
ثم عطف القس إلى الملك قسطنطين وقال أيها الملك إن أمير

العرب

العرب قد قدم عليك فقال له ائت به وأخذ الملك في زينة ملكه
وأوقف بطارقته والمدبجة عن يمينه وعن شماله والحجاب بين يديه
فأقبل القس إلى عمرو وقال له إن الملك أذن لك فسر معي فسار عمرو
ابن العاص وهو يخوض في عسكر قيسارية إلى أن وقف على باب
سرادق الملك فسلم بتحية العرب فقربه الملك وأدناه وقال له
مرحباً يا أمير قومه ووسع له وأراد أن يجلسه على السرير فامتنع عمرو
من ذلك وقال بساط الله أطيب من بساطك ثم جلس عمرو على
الأرض باركاً وترك سيفه على فخذه وقال للملك قل ما شئت
يا عظيم قومه واسأل عما تريد فقال له ما اسمك قال اسمي عمرو
ابن العاص وأنا من العرب الكرام فقال له الملك قسطنطين
إن كنت من العرب فنحن من الروم وبيننا قرابة ورحم ونحن وأنت
في النسب متصلون فلم تكونوا متصلين في النسب ما لهم يبغض الدما
مع بعضهم بعضاً ⁂ فقال عمرو وأنسابنا لاحقة بآبائنا وما نسبنا
إلا دين الإسلام وإذا كان الأخ وأخاه واختلفا على دين
الإسلام له أن يقتل أخاه إذا لم يدخل معه في الإسلام ⁂ وقد
ذكرت أن نسبنا لاحق بك ⁂ كيف يكون نسبنا ونسبك واحداً
ونحن من قريش الكرام ⁂ وأنتم من الروم اللئام فقال

قسطنطين يا عمرو أبونا آدم ثم حوى ثم إبرهيم أبو العيص ابن إسحق
وإسحق أخو إسماعيل وكلاهما أولاد إبرهيم فلا يجب على الأخ
أن يبغى على أخيه ولا يجور عليه في قسمته فقال عمرو وإنك لصادق
في قولك الذي قلته وإن العيص ولد إسحق وإسمعيل عم العيص
ونحن بنو أب وجد أبونا نوح وإن كان نوح قسم الأرض
فإنه قسمها شطاطا حين غضب على ولده حام واعلم أن أولاد
نوح لم يرضوا بها واقتتلوا عليها زمانا وغلب بعضهم على بعض
وهذه الأرض الذي أنتم عليها ليست لكم بل هي أرض العمالقة
من قبلكم ❁ فلما سمع قسطنطين كلامه قال صدقت وإنكم
باغون علينا ونحن نعلم أن ما أخرجكم من بلادكم إلا الجهد
والقحط فقال عمرو أيها الملك ما زعمت أن الضر أخرجنا من بلادنا
فنعم كنا نأكل خبز الشعير ❁ فلما صرنا إلى هذه البلاد
ورأينا طعامكم وأكلناه استطبناه ❁ فلم نزل نقاتلكم
حتى نأخذ منكم البلاد ونصيركم لنا عبيدا ❁ فعند ذلك
رفع قسطنطين إلى قومه وقال لهم ❁ وحق المسيح ما لنا
معهم ثبات ❁ فقال عمرو بن العاصي ❁
فوجدت السبيل إلى وعظهم ❁ فقلت اعلموا يا معاشر الروم

إن الله سبحانه قد قرب عليكم ما تطلبون فإن كنتم تريدون بلادكم
تدوم لكم فادخلوا في ديننا وصدقوا قولنا وأن الدين عند الله الإسلام
تقولوا لا إله إلا الله محمد رسول الله قال قسطنطين يا عمرو وإننا لا
نفارق ديننا وما عليه ماتوا آباؤنا وأجدادنا ❁ قال له عمرو فإن
كنت كرهت الإسلام فأعطنا الجزية منك ومن قومك وأنتم صاغرون
فقال قسطنطين لما أجيب إلى ذلك إلا أن الروم لا تطاوعني ولقد
قلت لهم أبي هرقل ذلك فأرادوا قتله قال له عمرو وهذا ما
عندي من الإعذار والإنذار ولقد حذرتكم ما استطعت ولم
يبق بيننا وبينكم إلا السيف حكما والله يعلم أنني دعوتكم إلى
أمر يكون فيه النجاة فعصيتم كما عصى أبوكم عيص على أخيه
فدخلت هيبة عمرو في قلب قسطنطين لما سمع من كلامه وقال له
امض إلى قومك حتى يحكم الله بيننا بما يريد ثم إن عمرو بن العاصي
وثب من مكانه وأتى إلى جواده فركبه وسار إلى أن وصل إلى
جيش المسلمين ففرحت المسلمون بسلامته وباتوا تلك الليلة
يتحارسون فلما أصبح الصبح وأمرهم بالركوب إلى قتال عدوهم
فأسرعوا إلى ذلك واستووا في سروج خيولهم واصطفوا
للحرب والقتال قال الواقدي حدثني قودة بن زيد

عن موسى مولى الحصين قال لما كان يوم قتال قيسارية صف
قسطنطين جيشه ميمنة وميسرة وقدم أمامه الرايات والصلبان
وكذلك عمرو بن العاصي أمر بترتيب العسكر فبينما عمرو وقد
عبا عسكره وإذا قد برز من الروم بطريق وعليه ديباجة حمراء وتحتها
درع حصين ومن تحت الدرع جوشن منيع وفي عنقه صليب من
الجوهر فلما نظرت المسلمون إليه لم يخرج إليه أحد منهم فقال
عمرو أيها الناس من يخرج إليه ويهب نفسه لله ولرسوله فخرج إليه
رجل من العرب وقال أنا ذلك الرجل وحمل على البطريق وجعلوا
يتضاربون بالسيوف إلى أن اختلف بينهما ضربتان وكان
السابق بالضربة البطريق فالتقاها المسلم بالدرقة وكانت
الدرقة جلد بعير ولم يصل إلى المسلم من الضربة شيء وضرب المسلم
البطريق في أثر الضربة على رأسه فقطع السيف البيضة ولم
يصل إلى البطريق شيء فلما أفاق البطريق حمل على المسلم
وضربه ضربة جرحه جرحا عظيما فطلب المسلم عسكر المسلمين
فشد جراحه ثم خرج إلى الحرب وحمل على عزيمه وضربه
على عاتقه طلع السيف يلمع من علايقه وعجل الله بروحه
إلى النار ثم حمل في جيش المشركين فقتل رجالا وجندل

أبطالا ولم يزل كذلك حتى قتل رحمة الله عليه قال عمرو وهذا رجل اشترى من الله
الجنة بنفسه اللهم أعطه ما يتمنا قال الواقدي وكان قسطنطين بعث إلى
أبيه قبل فتوح إنطاكية أن يمده برجال وأبطال فبعث إليه بطريقا
اسمه فيدمون ويقال إنه من فرسان الروم ويقال إنه خال الملك وكان قد
قاتل عسكر الفرس وعسكر الترك وكان اللعين يحفظ بسائر الألسن فقال
لقسطنطين أيها الملك لا بد لي من قتال أميرها ولا العرب والجهاد على فرض
فلم يقدر قسطنطين أن يرده فلبس فيدمون لأمة حربه وخرج إلى القتال
وكلما عليه يلمع من الجوهر وغيره فضج المسلمون بقول لا إله إلا الله محمد رسول الله
ولما برز عدو الله أقبلت العرب يسرعون إليه من كل جانب كل ذلك
للذي عليه فقال عمرو إن ثواب الله خير لكم مما عليه ولا يخرج أحد يطلب
سلبه فيكون خروجه لأجل ذلك فإن قتل مات في سبيل ما يطلبه فإني
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من كانت هجرته إلى الله ورسوله
فهجرته إلى الله ورسوله ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة
يتزوجها فهجرته إلى ما هاجر إليه فعند ذلك خرج غلام من اليمن ومعه
أمه وأخته يريدون الشام وأخته تقول له جد بنا في المسير حتى نصل إلى بلاد
الخصب ونأكل من خيرات الشام فقال لها أخوها إنما أسير إلى بلاد
الشام أطلب الجهاد وأقاتل في طاعة رب العباد لأني سمعت معاذ بن

جل يقول إن الشهداء عند ربهم يرزقون فقالت أخته كيف يرزقون وهم
أموات قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إن الله عز وجل يجعل
أرواحهم في حواصل طيور في الجنة فتأكل تلك الطيور من فواكه الجنة
وتشرب من أنهارها فتغذوا أرواحهم من حواصل تلك الطيور فهو الرزق
الذي جعله الله لهم فلما كان يوم قتال قيسارية خرج الغلام إلى القتال
بعد أن ودع أمه وأخته وداع الموت وقال لهما اجتماعنا عند حوض
المصطفى صلى الله عليه وسلم ثم خرج وبيده قناة تامة طويلة فحمل على البطريق
وطعنه فاشتبك السنان في ذراعه فأراد انتزاعه من ذراع البطريق
فضرب البطريق القناة بسيفه فطيرها بنصفين وحمل على الغلام فضربه
على هامته شقها بنصفين ووقع الغلام ميتا رحمة الله عليه وجال الملعون
على مصرعه وطلب البراز فخرج إليه رجل من المسلمين فقتله

ذكر قتال شرحبيل مع قيدمون

وما جرى له معه وخلاصه على يد طليحة بن خويلد قال الواقدي
فلما نظر شرحبيل ابن حسنة إلى ذلك أقبل يعاتب نفسه ويقول إني تفرجت
على قتل المسلمين ثم خرج والراية بيده التي عقدها له أبو بكر الصديق
يوم خروجه إلى الشام فلما نظر إليه عمرو وقد عول على القتال قال له
يا عبد الله اركز الراية واخرج فركزها شرحبيل فوقفت كالنخلة

وغاصت في حجر كأنها منه وخرج إلى قتال قيدمون والناس يدعون له
بالنصر على عدوه فلما رآه البطريق ضحك وكان للملعون صوت كالرعد القاصف
وشرحبيل نحيف الجسم من كثرة صيامه وقيامه فلما صار الملعون في حومة
الميدان حمل كل منهما على صاحبه واستبقا بضربتين كان السابق بالضربة شرحبيل
رضي الله عنه فلم يعمل سيف شرحبيل في عدو الله شيئا ثم تواخذا بالأطواق
قال سعيد بن زوج وكان ذلك اليوم كثير البرد والسحاب فبينما هما في المعركة
إذ نزل المطر كأنه أفواه القرب فسقطا عن الخيل إلى الأرض وجعلا
يصطرعان في وسط الطين غير أن عدو الله حمل على شرحبيل وضرب بيده على
تراق بطنه فاقتلعه من الأرض ودحا به على ظهره ثم استوى على صدره وهم
أن ينحره عدو الله فصاح شرحبيل يا غياث المستغيثين فما استتم شرحبيل كلامه
حتى خرج من عسكر الروم فارس عليه لامة حرب ومن تحته جواد من عتاق
الخيل فقصد موضع البطريق وشرحبيل فلما نظر إليه البطريق ظن أنه
خرج يغطي جواده من المطر فلما قرب الفارس منهما ترجل عن جواده ومال
على البطريق ورفسه برجله أرماه عن صدر شرحبيل بن حسنة وقال
يا عبد الله قم فقد أتاك الغوث من غياث المستغيثين فنظر إليه شرحبيل
متعجبا من قوله والفارس ملثم وقد جرد سيفه وضرب البطريق فقتله
فقال له شرحبيل واقسما رأيت أعجب من أمرك وقد رأيتك خرجت من

جيش المشركين فمن أنت قال أنا الشقي أنا طليحة ابن خويلد الأزدي الذي
ادعيت النبوة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وكذبت على الله عز وجل
وزعمت أن الوحي كان ينزل علي من السماء فقال له شرحبيل إن رحمة الله تعالى
وسعت كل شيء ومن تاب وأقلع وأناب قبل الله توبته وغفر ما كان من
ذنوبه لأني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال التوبة تجب ما قبلها
أما علمت أن الله عز وجل أنزل على عبده ورحمتي وسعت كل شيء فطمع
كل أحد حتى إبليس طمع فلما أنزل الله فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون
الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون قالت اليهود نحن نؤتي الزكاة
ونؤمن بالآيات فأراد الله عز وجل أن يعرفهم فضل هذه الأمة فقال
الذين يتبعون الرسول النبي الأمي فقال طليحة والله ما لي وجه ألقى به
المسلمين فقال له شرحبيل لست أدعك إلى أن ترجع معي إلى عسكر المسلمين
فقال له طليحة ما يمنعني من المسير معك إلا الفظ الغليظ يعني خالد بن الوليد
وإني أخاف أن يقتلني قال شرحبيل إن خالدا ليس هو معنا وإن هذا
الجيش لعمرو بن العاصي فرجع معه فلما قربنا من المسلمين تبادروا إلينا
وقالوا يا عبد الله من هذا الرجل الذي معك ولقد صنع بك معروفا
فقال شرحبيل هذا طليحة بن خويلد الأسدي وقد تاب ورجع إلى الله
سبحانه وتعالى قال شرحبيل فأتيت به إلى عمرو بن العاصي فسلم عليه ورحب

حديث طليحة بن خويلد

وما كان منه قال حدثني سالم بن عمر المزيدي قال أخبرني صالح بن عون النحوي
قال حدثني حسان بن عامر الرقي عن جده قال بلغني أن طليحة بن خويلد
الأسدي لما كان من أمره ما كان وادعى النبوة وما جرى له من
الحروب مع خالد بن الوليد وسمع أن خالد بن الوليد قتل مسيلمة بن
قيس الكلابي وشجاع الذي ادعا النبوة وقتل الأسود العنسي لأنه
قال أنه نبي فخاف طليحة على نفسه فهرب في الليل ومعه زوجته
إلى الشام واستجار برجل من آل كلب وكان الكلبي مؤمنا فأجاره
وطلب منه إلى أن استخبر عن خالد فحدثه طليحة بجميع أمره وما جرى
له مع خالد بن الوليد من الحرب وأنه ادعا النبوة فغضب الكلبي غضبا
شديدا ثم طرده من جواره فأقام طليحة بالشام وقد تاب من أمره
فلما بلغه موت أبي بكر الصديق قال ذهب من جردت السيف في وجهه
فقال من تولى الأمر من بعده قالوا عمر بن الخطاب قال الفظ الغليظ
وخاف أن يمضي إلى عمر وفزع من خالد بن الوليد أن يراه بالشام
فقصد قيسارية وركب في مركب قسطنطين فلما كان من أمر شرحبيل
ما فعله الله له ودخل عسكر المسلمين قال يا عمرو إني أخاف من خالد أن
يراني فيقتلني فقال له عمرو أنا أشير عليك بشيء تصنعه وتفوز بنفسك

في الدنيا والآخرة قال وما هو قال له عمرو أكتب لك كتابا بما صنعته مع
شرحبيل وآخذ لك عليه شهادة المسلمين وتنطلق به إلى عمر بن الخطاب
وتدفعه له وتظهر له التوبة فأجابه طليحة إلى ذلك فكتب عمرو
كتابا إلى أمير المؤمنين بما صنع طليحة مع شرحبيل وأنه أناب إلى الله
وأخذ عليه شهادة المسلمين ثم طواه وأعطاه لطليحة فأخذه طليحة
وسار إلى أن قدم مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يجد أمير
المؤمنين عمر بن الخطاب في المدينة فسأل عنه فقالوا إنه بمكة
فمضى طليحة إلى مكة ودخل الحرم فوجد عمر بن الخطاب متعلقا
بأستار الكعبة فتعلق به طليحة وقال يا أمير المؤمنين إني تائب إلى الله
عز وجل مما جنيته فقال له عمر ابن الخطاب ومن أنت قال أنا طليحة
ابن خويلد فنفر منه عمر وقال له يا ويلك إن أنا عفوت عنك فكيف
تصنع غدا بدم عكاشة ابن محصن الأسدي قال طليحة يا أمير المؤمنين
إن طليحة رجل أسعده الله على يدي وشقيت أنا بسببه وأرجو أن
يغفر الله لي بما عملته ثم أخرج إليه كتاب عمرو بن العاص فلما قرأه عمر
وفهم ما فيه فرح وقال أبشر يا طليحة فإن الله غفور رحيم
ثم أمره عمر أن يقيم معه بمكة حتى يرجع إلى المدينة فأقام معه
أياما فلما رجع عمر بن الخطاب إلى المدينة وجه به إلى قتال أهل فارس

قال الواقدي

قال الواقدي ولنرجع إلى الحديث وذلك أنه لما قتل الله البطريق
قيدمون على يد طليحة ونجا شرحبيل من خديعته بما كان فيه ورجع
إلى عسكر المسلمين وكان الأمر شديدا وقطع المسلمون القتال [illegible]
فلما نظر البطليوس قيدمون وقد قتل وكان ركن الملك قسطنطين
هم بالرجوع إلى قيسارية وخاف أن يقتل مثله وهو خائف منهم قال سعيد
ابن جابر وكان ذلك بوحشة من التميمي وخيل فلما كان في اليوم الثاني
ارتفع المطعن وطلعت الشمس وخرجنا إلى الحرب ثم حملنا على الروم فلم
نرهم فعند ذلك كتب عمرو بن العاص كتابا إلى أبي عبيدة يقول فيه
بسم الله الرحمن الرحيم من عمرو ابن العاص والي الشام إلى أبي عبيدة
عامر بن الجراح عامل أمير المؤمنين على الشام وقائد جيوش الإسلام
سلام عليك فإني أحمد الله الذي لا إله إلا هو وأصلي على نبيه محمد
صلى الله عليه وسلم تسليما كثيرا أما بعد فاعلم أن قسطنطين بن هرقل
قد خرج إلى لقائنا في ثمانين ألفا وشرح في الحديث أمر شرحبيل
وخلاصه وأن ذلك بعون الله ثم عاد إلى المدينة والسلام ثم طوى الكتاب
وأعطاه لسعيد بن جابر فأخذه وسار إلى أن قدم إلى أبي عبيدة وهو
على حلب فأخذه وقرأه فلما فهم ما فيه كتب له جوابه بأنه يحمد الله
على سلامة المسلمين ويأمره بالنزول على قيسارية فإني واصل إليك

وان كان لي يد اصل ان شاء الله الى صور وعكة وطرابلس قال الواقدي
فلما هم ابو عبيدة بالنزول على جنب الساحل وقال لهلي ان افواج من الروم
فوثب يوقنا والتفت اليه اصحابه وبنو اعمامه وكانوا اربعة الاف
فارس وفي عسكر المسلمين ممن اسلم من بطارقة الروم ازيد من ثلاثة
الاف فارس غير اصحاب يوقنا قال الواقدي حدثني جعفر
ابن عبيد بن ناصح قال اخبرني ابو سعيد اقيسم محمد بن عمر السلمي عن اسامة
ابن يزيد الليثي قالوا جميعا انه لما انهزم قسطنطين الى قيسارية
بعث اليه اهل طرابلس يطلبون منه النجدة فانفذ اليهم ثلاثة
الاف فارس وجعل عليهم بطريقا يقال له [illegible] فلما كانوا
بالقرب من طرابلس نزلوا في مرج ليعلقوا على خيلهم ويلبسوا سلاحهم
فبينما هم كذلك اذ اشرف عليهم يوقنا واصحابه وكان في صحبته
يوقنا وفيلطانوس صاحب ارومة الكبرى رحمه الله وكان معولا
على زيارة بيت المقدس والمقام بها هو واهله فلما اشرفوا على
المرج وهم لابسون زي الروم فلما نظر اليهم خرفاس ركب
بنفسه ليستخبر حالهم فسلم عليهم وقال لهم من انتم قال له يوقنا
نحن لجأنا الى ما ولاء العرب لنستكفي شرهم ونحسب انهم على شيء
واذا هم طاغية لا دين عندهم فتركناهم بدينهم ونحن واصحابنا

ونحن سايرون

ونحن سائرون الى الملك قسطنطين نكون تحت ركابه فلما سمع خرفاس
ذلك انس بالقوم ورحب بهم وقال ليوقنا اخي متى نحن الامن العرب
فقال له يوقنا واين انتم قاصدون فقال خرفاس بعثنا الملك نجدة
لاهل طرابلس فقال له يوقنا كونوا متيقظين على حذر فان امير العرب
ابو عبيدة قد نزل بكم وهو يريد المسير الى الساحل فقال يوقنا لاصحابه
دونكم ساعة وقد لهم من ازوادهم وودعهم يوقنا وسار
قال الواقدي حدثني سليم بن عامر عن نوفل بن عبد الله
عن جريح بن المكحل وكان اعرف الناس بفتوح الشام قال ان
يوقنا ما دخل الساحل الا وقد انفق الحيلة وذلك انه اخذ
طريقه على وادي الابطح وكان ذلك الوادي في وسط
المسلمين وكان قد نزل فيه الحارث بن عمه ارعون ليسلم
فنادى عليهم يوقنا فاسلموا وانزلهم في بلاد الساحل فلما اجن
الليل قال لهم يوقنا في الجنة لا تخونوا اني رجعت عن دينه
الاسلام مرة انما فعلت هذا ليسمع الروم فقال له الحارث
واصحابه ان كنت تريد نصر الله تعالى فالله ينصرك فلما نظر
خرفاس الى ذلك اطمأن وركب يوقنا واصحابه يريدون خرفاس
انضم طالبون قيسارية ثم طلبها واطرق طرابلس وكمنوا بالليل

في طغورين جرقاس وركب جرقاس وطلب طرابلس فلما توسط المركبين
انطبق عليه يوقنا واصحابه وقلطانوس واصحابه فلم يفلت من
اصحاب جرقاس ولا واحد بل اخذ وهم قبضا باليد واراد يوقنا
ان يقتل الحارث واصحابه فقال له الحارث انه ليس من الرأي ان
تقتلوا على ما تحوم فيه ويقول ما اتيتم بنا من بلاد هما لساحل فان الله يفتحه
فقال يوقنا نعم الرأي ثم ان يوقنا اخذ الاسارى من الروم وجرقاس
معهم وبعث اصحابهم من اهل قيسارية وساروا الى ان وصلوا الى طرابلس
فخرجوا اهلها الى لقائهم وظنوا انهم رسول قسطنطين قد وصل
الى اهل طرابلس واخبرهم ان الملك ارسل اليكم ثلاثة
الاف مع بطريق اسمه جرقاس فلما دخل يوقنا طرابلس باصحابه
واستقر في دار الامارة ثم دخلوا اليه جموع طرابلس البطارقة
فلما حصلوا عنده قبض عليهم وقال يا اهل طرابلس ان الله عز وجل
قد اعز الاسلام وانا كنا نخبط في الضلال ونسجد
للصور والصلبان ونجعل لله زوجة وولدا وقد هدانا الله
لها ولاء المسلمين ونبيهم وهو النبي المبعوث الذي بشر
به المسيح وان دين الاسلام هو الحق وان كنتم تؤمنون
بالله ورسوله والا فالجزية وهذا امامكم غيره فلما اهل

طرابلس ان يوقنا قد احتال عليهم واسند البطارقة ومن معه الذين بعثهم اليه
الملك قسطنطين فمنهم من اسلم ومنهم من اذعن بالجزية وعدل فيهم يوقنا
وبعث يوقنا الى المركبين فجاؤوا بجرقاس البطريق ومن معه وهم موثقون
بالحديد فاعرض عليهم الاسلام فابوا فقال انصرف اغنيا قتلهم وحل الحارث
ومن معه وكتب كتابا الى ابي عبيدة بما جرى له وارسله مع الحارث
فسار الحارث بالكتاب الى ابي عبيدة واخبره بذلك فتعجب ابو عبيدة
من ذلك وقال اللهم ايدنا بالنصر قال الواقدي حدثني عامر
ابن اوس قال اخبرني صالح ابن سالم قال حدثني موسى بن مالك
قال ان عمرو بن العاص لما فتح المطر سار ونزل على قيسارية
فاما يوقنا فانه لما ملك طرابلس واحتوا عليها واستوثق من صورها
ترك اصحابه على الابواب وقال لا تدعون احدا يخرج من المدينة
وكان في المينة مراكب كثيرة فاخذ عددها ورجالها
حتى لا يعلم اهل الساحل بما عمل يوقنا فلما كان في الليل
سلم يوقنا طرابلس الى ابي الحارث ولقلطانوس صاحب
ارومة واخذ رجاله وهم ان ينزل في المراكب وكان عند غروب
الشمس اذ اقبل خالد بن الوليد ومعه الف فارس فسجد يوقنا
شكرا لله وسلم اليه المدينة وحدثه بما جرى وبما عزم عليه

فقال له خالد نصرك الله وأيدك ثم ركب يوقنا في المراكب وسار إلى صور
وكان يرى سوره من جيش الملك أربعة آلاف فارس ثم أصبح يوقنا إلا
على صور ونظر الملك يستخبرهم فقال يوقنا للرسول ارجع إلى الملك
هرقل وقل له نحن أهل قبرص وصلوا إلى الملك بالميرة فلما رجع الرسول
إلى الملك وأخبره بذلك أمر الملك بإحضارهم وترحيبهم وإكرامهم
فلما صار يوقنا بمن معه في دار الضيافة وكان رجل من بني عمه
يوقنا قلبه يميل إلى الملك فأخبر الملك أن هذا يوقنا أخذ طرابلس
وجاء يحتال عليك وإن من أمره كيت وكيت قال الواقدي
حدثني معبد بن عامر عن عباد بن أسد قال لما دخل يوقنا وأصحابه
إلى صور وحضروا ضيافة الدمستق أقبل اللعين ابن عم يوقنا
وأخبر الدمستق بخبر يوقنا فخرج الدمستق في الجيش الذي معه
ولم يكذب الخبر وقبض على يوقنا وأصحابه وأراد أن يبعثهم إلى
الملك قسطنطين إلى قيسارية وإذا بضجة عظيمة قد وقعت
فسأل عنها الدمستق فقالوا له إن العرب أقبلوا يحاصرونك
وذلك أن عمرو بن العاص لما نزل على قيسارية ليحاصرها
فلما سمعوا بذلك غلقوا الأبواب وأشرفوا على السور بآلة الحرب
واستقبلوا المسلمين وقال الدمستق وحق المسيح لأخرجن إليهم

ولبس سلاحه هو وعسكره وترك على حفظ يوقنا ومن معه ابن عمه وكان
اسمه باسيل قد قرأ الكتب السالفة والأخبار الماضية وكان قد رأى
محمدا صلى الله عليه وسلم في دير بحيرا الراهب وكان على أيام بحيرا الراهب
جاءت قافلة من الحجاز من أهل قريش فنظر الراهب بحيرا إلى المصطفى
والغمامة على رأسه تظلله من حر الشمس قال الراهب والله هذه صفة
النبي صلى الله عليه وسلم وإذا القافلة نزلت والنبي وحده جالس
تحت شجرة يابسة واستند النبي صلى الله عليه وسلم إليها بظهره
فأورقت وأثمرت في الوقت فلما عاين بحيرا ذلك صنع طعاما
واستند على قريش فلما حضروا وعندهم لم يرى النبي صلى الله عليه وسلم
فيهم قال يا قريش بقي منكم أحد قالوا بقي معنا صبي خلفناه يرعى
إبلنا قال ما اسمه قالوا اسمه محمد بن عبد الله قال بحيرا أهل مات
أبوه وأمه قالوا نعم قال بحيرا أجلوه وعظموه فهو والله سيد كريم
وبه يحفظ الله في الورى قد ذكر قال الواقدي وكان
من حسن تدبير الله لعباده المؤمنين أن الدمستق لما خرج إلى قتال
يزيد بن أبي سفيان لم يدع أحدا من شباب المدينة إلا أخذه معه
ولم يدع في المدينة إلا الشيوخ والأطفال فلما نظر باسيل ابن عم
يوقنا إلى المدينة وخلوها اجتمع أمره على خلاص يوقنا وأصحابه

فأقبل عليهم بالليل وقال يوقنا أيها البطريق كيف تركت دين آبائك
وأجدادك فقال له يوقنا ظهر لي ما ظهر لك من الحق فعرفته وهتف بي
هاتف وأعلمني أن الله قد هداك وبشرني بخلاصي أنا وأصحابي على يديك
فلما سمع باسيل مقالة يوقنا قال لقد أنطق الله لسانك بالحق ولقد
اتبعت طريق الصدق وإن الله قد كشف حجاب الغفلة عن قلبك وقلبي
وإني رأيت نبي هؤلاء العرب في دير بحيرا الراهب ❁ قال له يوقنا وما
الذي عزمت عليه قال عزمت أن أفارق ديني وأتبع الحق حتى
أن يوقنا وأصحابه بدونا وهم العشرة وقال له اعلم أن مفاتيح القلعة
عندي والعسكر خارج البلد ❁ وليس في هذه البلد إلا من قد [illegible]
شدة فقال له يوقنا يجب علينا أن نبعث إلى أصحابنا الذين في
المراكب حتى يطلعوا إلينا فنكون نحن وإياهم يدا واحدة قال له
باسيل سأفعل لك ذلك على حال الخفاء وفتح باب البحر وركب
في زورق ومعه رجل من بني عمه يوقنا ووصل إلى المراكب وعرفت
أهلها بما كان وأقبل كل من في المراكب وأعمى الله أبصار
الظالمين عنهم فلما هموا أن يتبعوا قال يوقنا ليس هذا صوابا
ولكن نبعث رجلا منا إلى الأمير يزيد فيخبره بأمرنا ثم إن يوقنا
بعث رجلا إلى يزيد بن أبي سفيان وأخبره بما كان من يوقنا

فلما أخبره رجع إلى يوقنا سالما ❁ فقال يوقنا لأصحابه اصعدوا إلى
السور وأعلنوا بكلمة التوحيد فلما صعد أصحاب يوقنا على السور
ضجوا بالتهليل والتكبير فسمع يزيد تكبير المسلمين فحمل بمن معه على
الدمستق فلما سمع الدمستق ضجة المسلمين في المدينة علم أن يوقنا
قد تخلص من الأسر فوقع الرعب في قلوب الروم فولوا الأدبار
وركنوا إلى الفرار ❁ وتبعهم أصحاب النبي المختار وملكوا
خيامهم وكان ذلك كله في الليل فلما أصبح الصباح فتح يوقنا
باب المدينة ودخل يزيد بن أبي سفيان وأخذ أموال الروم
ونادى من كان على السور الغوث الغوث يعني الأمان الأمان
فأمنهم ونزلوا فقال لهم يزيد اعلموا أن الله عز وجل فتح مدينتكم
هذه عنوة وأنتم الآن عبيد لنا فإن شئنا حكمنا فيكم ونحن قوم
إذا عهدنا وفينا وقد أعطيناكم الأمان من أنفسنا ولكن
نأخذ الجزية ممن لا يدخل في ديننا ومن أسلم منكم فله ما لنا وعليه
ما علينا فأجابوه إلى ذلك وأسلم أكثرهم **قال الواقدي**
وبلغ الخبر إلى الملك قسطنطين بأن صور قد ملكها العرب
فعلم أن ما بقي له مع العرب يد فأخذ خزائنه وذخائره وحريمه
وركب بهم في المراكب بالليل وأقلع يريد القسطنطينية

العظما فلما نظر أهل قيسارية إلى ذلك خافوا على أنفسهم وخرجوا إلى
عمرو بن العاصي وصالحوه على تسليم المدينة وأقروا له بمائتي ألف
درهم وكتب لهم كتاب الصلح ودخل عمرو بن العاصي إلى قيسارية
وضرب الجزية عليهم أربعة دنانير وبعث ياسر بن عوف إلى صور
ومعه مائة من الصحابة ✿ قال حدثنا زياد بن عامر قال حدثنا
هشام بن عبد الله الغنوي قال حدثنا سالم مولى عروة بن نعيم ✿
اليشكري قال لما فتح عمرو بن العاصي قيسارية صلحا على مائة
ألف درهم من الفضة وكان دخوله إليها في يوم الأربعا
في العشر الأوسط من رجب الفرد سنة سبع وعشرين من الهجرة
ولعمر بن الخطاب في الخلافة أربعة أعوام ونصف قال الواقدي
وبلغ الخبر إلى أهل الرملة وعسقلان وغزة ونابلس وطبرية
أن قسطنطين ابن الملك هرب إلى القسطنطينية وأن العرب قد
ملكوا طرابلس وصور وقيسارية وأخذوا أموالهم وذخايرهم
فلما سمعوا بذلك أقبلوا إلى المسلمين وعقدوا معهم الصلح وكذلك
أهل جبلة واللاذقية عقدوا مع المسلمين صلحا وردت المسلمون
إلى أبي عبيدة منصورين وملك الله الشام والعراق والساحل
إلى المسلمين وذلك كله ببركة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ✿

342

عمرو وابن العاصي إلى مصر بعشرة آلاف فارس من أصحاب رسول الله
✿ ✿ صلى الله عليه وسلم ✿ ✿

تم فتوح الشام ✿ بحمد الله ✿ وعونه وحسن توفيقه

على يد كاتبه العبد الفقير إلى الله تعالى
محمد بن احمد بن يوسف المكتب الغزنوي
الحسني غفر الله له ولوالديه ولمن استكتبه
ورسم له بكتابته ولمن قرا فيه ودعا
لهم بالمغفرة ولجميع المسلمين
وكان الفراغ من كتابته في عاشر
شهر رجب الفرد سنة سبع وثمانين
وثمان ماية ✿ من الهجرة
وصلى الله على سيدنا محمد وآله
وصحبه ✿ وسلم
حسبنا الله ونعم الوكيل

وان تجد عيبا فسد الخللا فجل من لا فيه عيب وعلا

الحمد لله رب العالمين وقف مولانا المقام الشريف المالك الملك الاشرف ابو النصر قايتباي نصر الله

نصره اعز الله انصاره هذا الجزء المسمى بفتوح مصر على طلبة العلم الشريف ينتفع به وجعل مقره بمدرسته التي انشاها بالصحرا

وشرط ان لا يخرج من المدرسة المذكورة الا برهن يوثق به وبه شهد بتاريخه

كتاب فتوح مصر للواقدي

برسم خزانة
مولانا المقام الشريف
المالك الملك الاشرف
ابي النصر قايتباي
عز نصره

وقف

وقف

الملك الاشرف قايتباي

بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر يا كريم

قال حدثنا يونس بن عبد الأعلى

قراءة عليه بالحضرا بمدينة عسقلان قال حدثنا الليث بن سعد
قال حدثنا نوفل بن عامر قال أخبرني يحيى بن شاكر المزني
قراءة عليه بحلحول يوم الجمعة ونحن عند قبر يونس بن متى عليه
السلام قال لما فتح الله عز وجل ساحل الشام في سنة تسع عشرة من
هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم كتب عمرو بن العاصي بن وائل
السهمي رضي الله عنه كتابا إلى أمين الأمة أبو عبيدة بن الجراح
رضي الله عنه وهو يقول فيه بسم الله الرحمن الرحيم من عمرو بن
العاص إلى أمين هذه الأمة أما بعد فإني أحمد الله إليك
الذي لا إله إلا هو وأصلي على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم
وأخبرك أن الله عز وجل قد فتح علينا ما قد كان بقي من ساحل
الشام وأخذناها صلحا وقد هرب منا قسطنطين بن هرقل بماله
وعياله ونحن اليوم نازلين بقيسارية ننتظر أمرك والسلام
وكتب أيضا يزيد بن أبي سفين كتابا بما قد تم لهم
بيوقنا يقول فيه بسم الله الرحمن الرحيم من يزيد بن أبي سفين
إلى أمين هذه الأمة اعلم أن الله عز وجل قد عضد المسلمين

343

بيوقنا صاحب حلب وقد فتح صور وطرابلس وإن الله عضد بيه
الدين والمسلمين توصلت الكتب إلى أبي عبيدة وقد رحل
من حلب يطلب طبرية فوافاه الخبر وكان قد وصل إلى الزراعة
فلما قرأ الكتابين تهلل وجهه فرحا وضج المسلمون بالتهليل والتكبير
وكتب من وقته وساعته كتابا إلى أمير المؤمنين عمر بن
الخطاب رضي الله عنه يهنيه ويبشره بما فتح الله عز وجل به على
المسلمين من الفتوح وبما صنع بيوقنا ووجه الكتاب مع عرفجة
ابن مازن فركب ناقته وسار متوجها حتى وصل المدينة الشريفة
على ساكنها أفضل الصلاة والسلام قال مازن وعلي ثوب ديباج
الروم والخمرة وعلى رأسي مطرف خز مذهب قال فلما أتيت
المدينة الشريفة دخلتها يوم الجمعة في أول ليلة من شهر
رمضان المعظم قبل مغيب الشمس وعمر رضي الله عنه يريد الجامع
فلما رأيته أبركت ناقتي وعقلتها وأتيته لأسلم عليه فنظر
إلي شزرا وقال من الرجل فقلت أنا عرفجة بن مازن فقال
يا ابن مازن أما كان لك في رسول الله أسوة حسنة وإن هذه
ثياب الجبابرة ومن جعل الله لهم الديباج وهذا الديباج حرام
على الرجال منا لأنه لا يصلح إلا للنساء وهذا الذي عليك نصدق

به على فقراء المدينة أما والله لقد دخلت يوما على رسول الله
صلى الله عليه وسلم وهو نائم على سرير مرمل بشريط وليس بين
جلده وبين الشريط شيء وقد أثر ذلك في نعومة جلده صلى الله
عليه وسلم فلما نظرت إليه في تلك الحال بكيت فقال لي
يا عمر ما الذي يبكيك فقلت والله إني أعلم أنك عند الله
أكرم من كسرى وقيصر وهما يعيشان في ملك الدنيا
وأنت يا رسول الله صلى الله عليك وسلم بهذه المثابة قال
لي يا عمر أما ترضى أن تكون لهم الدنيا ولنا الآخرة قال
فسلمت إليه الكتاب فلما قرأه تهلل وجهه وحسا
واستبشر بذلك قال عرفجة ثم إني مضيت إلى منزل خالتي
وهي عفرا بنت أبي أيوب الأنصاري فبت عندها ليلتي فلما
كان من الغد لم أقدر أن أسير إلى عمر بن الخطاب رضي الله
عنه في ذلك الزي الذي رآني فيه فأهديت لخالتي الثوب
والعمامة فباعتهما وتصدقت بثمنهما على فقراء المدينة
وسرت إلى عمر رضي الله عنه وعلي ثوب من ثياب الشام كان
تحت ثوبي الديباج فأتيته فلما رآني تبسم وقال
يا ابن مازن ما فعلت بديباجك بالأمس فقلت يا أمير

المؤمنين أعطيتهما لخالتي وقد تصدقت بثمنه على الفقراء والمساكين
فقرأ عمر رضي الله عنه وما تفعلوا من خير فإن الله به عليم
وكان قد قرأ كتاب الفتح على المسلمين فشكروا الله
عز وجل على ذلك ثم كتب إلى أبي عبيدة عامر بن الجراح
كتابا يقول فيه بسم الله الرحمن الرحيم والعاقبة للمتقين من
عمر بن الخطاب إلى أبي عبيدة بن الجراح أما بعد فإني
أحمد الله الذي لا إله إلا هو وأصلي على محمد صلى الله عليه وسلم
وقد فرحنا بما فتح الله على المسلمين وما وعدنا به رسول الله
صلى الله عليه وسلم من كنوز قيصر وسيفتح علينا كنوز كسرى
والحمد لله على ذلك كثيرا وقد بلغني أن قوما من الأعراب
من بوادیهم قد أسندوا إلى الدنيا وزينتها وقد نصبت
لهم زينتها ببهجتها وقد تمسكوا بذيل غرورها ونسوا نعيم
الجنة وقصورها ورفلوا في الثياب الديباج والخز والبز
وأكلوا الحلوى وما طعموا من خبز الحنطة فألهاهم ذلك عن
الآخرة وقد بلغني يا ابن الجراح أنهم تهاونوا بالصلوات
ونسوا ما كلفوا من أداء المفترضات فجرد لهم عن ساق
العزم والهمة واغلظ عليهم ولا تكن لهم حامدا ولا تلن

لهم جانبك فيطمعون فيك ومن أخل منهم بشيء مما فرض عليه فأقم
فيه حدود الله عز وجل واعلم أنك راع وكل راع مسؤول
عن رعيته قال الله تعالى الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا
الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر
ولله عاقبة الأمور وقد قال فيك رسول الله صلى الله عليه
وسلم أبو عبيدة أمين هذه الأمة فأعط الأمانة حقها فيمن
ترك الصلاة ولقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحدثنا
ونحدثه فإذا حضرت الصلاة فكأنه لم يعرفنا ولم نعرفه
اشتغالا بعظمة الله سبحانه وتعالى وعنه صلى الله عليه وسلم
أنه قال إن الله عز وجل يقول إن بيوتي في الأرض المساجد
وإن زواري فيها عمارها فطوبى لعبد تطهر في بيته ثم زارني
فحق على المزور أن يكرم زائره وعنه صلى الله عليه وسلم
اتقوا الله في الصلاة وقد سمعت رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقول جميع المفترضات افترضها في الأرض إلا الصلاة
فإن الله عز وجل افترضها علي في السماء قال فإذا قرأت
كتابي هذا فمر عمرو بن العاص أن يتوجه إلى مصر بعسكره
وأنفذ عامر بن ربيعة العامري ويكونون معهم مفاتيح من أصحاب

رسول الله صلى الله عليه وسلم يقتصدون بهم ويعتمد عليهم عند مشورتها
وأنفذ من يعتمد عليه إلى أرض ربيعة وديار الحور بن صالح والله
أسأله أن يكون لكم عونا ومعينا والسلام عليكم ورحمة
الله وبركاته قال وسلم الكتاب إلى عرفجة بن مازن
وأمر له بنفقة من بيت مال المسلمين قال عرفجة فأخذت
الكتاب وسرت به على طريق تيما فلما أن كنت لعند
آبار نجد لقيني ركب من أهل وادي القرى فسألتهم عن أبي
عبيدة فأخبروني أنه نازل على غياغب بعساكر المسلمين وهو
يطلب طبرية قال عرفجة فخرجت من آبار نجد أطلب
الغور والجولان وأقصد طبرية فالتقيت مع أبي عبيدة رضي الله
عنه على الأردن فأقبلت إليه وسلمت عليه وناولته كتاب
أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه فلما رآه وجمع
المسلمين إليه وقرأه عليهم فلما أتى على آخر الكتاب
قال عزيمة مني على رجل ترك الصلاة وأخل بشيء مما افترضه
الله عليه لأجلدنه قال فلما كان من الغد جاء خالد بن
الوليد رضي الله عنه من طرابلس فقرأ عليه الكتاب
ثم نفذ به إلى عمرو بن العاص فقرأه فلقيا فيه أنه يستحثه على

أن على بطرق ثم أخذ على نفسه بالمسير وسار معه يزيد بن أبي سفيان
وعامر بن ربيعة العامري وجماعة من أصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم وسار معه يوقنا في أربعة آلاف فارس من
أصحابه وقد وهبوا أنفسهم لله عز وجل ولرسول الله صلى الله عليه
وسلم ولم يرحل عمرو على الخطاب بل ترك البلد وسار من
رفح والعريش والعلاد والبكاره والفرما عن يمينه وطلب
أيلة يطلب الحجاز وسنذكر فتوح منه فيما بعد حتى إذا
كان بموضع يقال له العوير بالقريب من أيلة بالزمان
عرج يطلب أرض مصر قال وكانت أرض مصر إلى حدود
النوبة إلى عيذاب وإلى ساحل بحر الإسكندرية إلى العقبة
الكبرى والصعابس ودير الزجاج في مملكة القبط
وكان ملكهم يومئذ المقوقس بن راعيل وكان
هذا الملك من أهل الرأي والتدبير والفضل وكان تلميذ
الحكيم أغاثاذيمون وهو الذي صنع الجلاجل لما غلبت
الحيات على أرض مصر وأنوبتها فصنع هذه الجلاجل وكان
إذا حركها لهم من رمية سهم فتخرج الحيات من الأحجار
فمن سمعه تجف ومن وقفت الحجر يكسه تأتيه فتلك وكان المـ

المقوقس من أعلم أهل زمانه وكانت القبط معه في عدته
مرضية وأمور سنية فلما كان في وقت ظهور رسول الله صلى الله
عليه وسلم وكان حكيم ذلك الزمان في مصر رجل يقال
له غطاريس وهو الذي عمل دولاب الريح وأراحي الهوى وكان
قد تحكم في الأعمال واطلع على مكنون الحكم والأسرار
وعرف صنعة الذهب والفضة والحركات المتحركة في
أنفسها لهبوب الرياح وأجناس الأهوية في أجسامها وكان
يجد في علمه أن الله يبعث نبيا في أرض الحجاز لينشر دينه
ويعلوا كلمته ويملك هو وأصحابه البلاد فعمل في أيام
راعيل بن قطماديس أبو المقوقس حجرا عظيما على أعمدة من
النحاس بموضع يعرف بعين شمس وجعل على أعلا الحجر أشخاصا
مجوفة وجعل وجوهها إلى مصر مكتوب عليها بالقبطية إذا
دارت وجوهها إلى الحجاز فقد قرب ملك العرب
فبينما الملك المقوقس في بعض الأيام وهو راكب للصيد
والقنص في الطير في وقت هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقد انتهى به المسير إلى عين شمس وإذا بالأصوات قد علت من
تلك الأشخاص وقد تولت وجوهها نحو الحجاز فلما نظر تلاف

ملكه فعاد وهو قلق لاجل ذلك ودخل قصر الجمع واستوى
على سرير ملكه وجمع الاقسة والرهبان وارباب
الدولة وكبراء القبط اليه **وقال** يا اهل دين النصرانية
اعلموا ان زمانكم قد مضى وملككم قد انقضى وهذا
النبي صلى الله عليه وسلم المبعوث لا شك فيه قد ظهر بارض الحجاز
وهو اخر الانبياء لا نبي بعده وقد بعث بالرعب ولا بد
لرجل من اصحابه ما يملك تحت سريري هذا فانظروا في
ملككم واصلحوا ذات بينكم وارفقوا برعيتكم
ولا تجوروا في احكامكم وامنوا ضعفاءكم وواسوهم
واياكم واتباع الظلم فان الظلم وبال واعطوا الحق
من انفسكم ولا يستطيل قويكم على ضعيفكم فما دامت
الدنيا على احد حتى تدوم لكم وكما ملكتموها
عمن كان قبلكم كذلك يأخذها منكم من يأتي
بعدكم فاصلحوا نياتكم فيما بينكم وبين خالقكم
فان انتم فعلتم ذلك رجوت لكم النصر على اعدائكم
ومن يريدكم وان اتبعتم اهواءكم فتبين هلاككم
قال حدثنا ابو عبد الله محمد اخبرنا عبد الملك

ابن محمد عن ابيه عن حسان بن كعب عن عبد الواحد بن ابي
عون عن موسى بن عمران عن حميد يرفع الحديث الى ابن اسحق
الراوي لمغازي رسول الله صلى الله عليه وسلم **قال** لما
هاجر المصطفى صلى الله عليه وسلم من مكة الى المدينة
وبايعه الاوس والخزرج كتب الكتب الى ملوك
الارض وفي الجملة كتبه الى المقوقس ملك مصر ها
والاسكندرية وكان الذي كتب الكتاب ابو
بكر الصديق رضي الله عنه **وكانت** نسخة
الكتاب بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله الى
صاحب مصر **اما بعد** فان الله تعالى ارسلني رسولا
وانزل علي قرآنا مبينا وامرني بالانذار والاعذار
ومقاتلة الكفار حتى يدينوا بديني ويدخلوا في ملتي
وقد دعوتك بالاقرار بوحدانية الله تعالى فان انت
فعلت سعدت وان انت ابيت شقيت والسلام
على من اتبع الهدى **ثم** طوى الكتاب وختمه
بخاتمه الشريف **قال** انس بن مالك رضي الله عنه اصطنع
رسول الله صلى الله عليه وسلم الخاتم من فضة وكان

من فضة عليه ثلاثة أسطر الأول محمد والثاني رسول
والثالث الله وفي نسخة أخرى الأول لا إله إلا الله والثاني محمد
رسول الله والثالث الملك لله ولا ينقش أحد على خاتمه نقشه
قال سمرة بن عون قلت لحميد الطويل كان لخاتم رسول الله
صلى الله عليه وسلم فص أم لا فقال لا أدري قال وسأل رجل جابر
ابن عبد الله الأنصاري قال في أي يد كان يختم رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال في يده اليمنى قال ابن عباس رضي الله
عنهما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يتختم في يمينه ويقول
اليمين أحق بالزينة من الشمال وجعل الخاتم في يمينه وحدث
أيضا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال رأيت رسول الله صلى الله
عليه وسلم يتختم في يمينه ثم حوله إلى يساره قال وروى
أنس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يتختم
في يساره وروى جعفر بن محمد عن أبيه قال كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر وعثمان وعلي كلهم
يتختمون في اليسار قال لما طبع الكتاب بخاتمه قال
أيها الناس من ينطلق بكتابي هذا إلى صاحب مصر وأجره
على الله قال فوثب حاطب بن أبي بلتعة القرشي وقال أنا يا رسول الله

فقال بارك الله فيك يا حاطب قال فأخذت الكتاب من رسول الله
صلى الله عليه وسلم وودعته وأصحابه وسرت إلى منزلي وشددت
على راحلتي وودعت أهلي واستقمت على طريق جادة مصر
فلما ابتعدت عن المدينة ثلاثة أيام أشرفت على ماء لبني بدر
فأردت أن أورد ناقتي الماء وإذا أنا برجلين على الماء راكبين
على ناقتين ومعهما رجل على جواد أحمر فلما رأيتهم مضيت
وإذا بالفارس قد لحق بي وقال لي من أين أقبلت وإلى أين
تريد فقلت له يا هذا لا تسأل عما لا يعنيك فتقع فيما
يحزنك ويرديك أنا رجل عابر سبيل وسالك طريق
قال الفارس ما إياك أردنا ولا إلى نحوك قصدنا بل قوم
لنا دم وثار عند محمد بن عبد الله وقد جئنا وتحالفنا على أننا
ندخل مدينة يثرب على حين غفلة فلعلنا نجد منه غرة فنقتله
قال حاطب والله لئن أمكنني من الجهاد لأجعلن جهادي
فيهم وليس لي إلا الخديعة فقد سمعت رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقول الحرب خدعة قال فبينما أنا أخاطب الفارس
وإذا أنا براكبين على ناقتين قد قصدا نحوي وقالا لي
بغلظة وحنق وفظاظة ويحك لعلك من أصحاب محمد

فقلت لهما لقد كاد أن تزل بكما الطريق عن سبيل التحقيق
وإني رجل مثلكما أطلب ما تطلبا وإني قاصد يثرب فأكون معكما
وقد عولت على صحبتكما لأكون معكم ولكني سمعت في
طريقي هذا ممن أثق به أن محمدا قد وجه من أصحابه إلى مصر
بكتابه ولعله في هذا الوادي مكمنا قال حاطب
وأشرت إلى واد بالبعد مني يقال له وادي الأراك وكثيرا
ما كنت أكمن فيه وأعرفه ثم قلت أرسلوا معي أثبتكم
جنانا وأحدكم سنانا حتى نقصد هذا الوادي فإن وجدناه قتلناه
وإلا أقمنا به مكمنين إلى أن يأتي فقد قيل لي إنه لا بد منه
حتما قال حاطب فقال صاحب الفرس أنا أسير معك
ثم تقدم أمامي وترك صاحبيه واقفين قال حاطب
فلما أبعدت به عن صاحبيه وغبنا عنهما التفت إليه وقلت له
ما اسمك قال سلاب قلت ابن من قال ابن عاصم فقلت ممن
قال من همدان قلت يا سلاب اعلم أن أحدا لا يقدر يدخل
يثرب ويريد أن يقتل محمدا إلا من له جنان وقلب وثبات
لأن فيها سادات العرب وفرسان وأقران لا سيما مثل عمر
وعثمان وعلي بن أبي طالب بن عم رسول الله صلى الله عليه

وسلم

وسلم وفلان وفلان وأهل المدينة قوم قد قهروا الأبطال
وساقات الأمير بالحزم ولكن كيف سيفك قال سيف
ماض حسن قلت له أرني إياه قال فاستله من غمده وسلمه إلي
قال حاطب فأخذت السيف من يده وهززته وقلت سيف
ماض ولكن له قال القائل
سيوف حداد يا لؤي بن غالب ❁ مواض ولكن أين بالسيف ضارب
فقال لي ما معنى هذا الكلام فقلت له يا ابن عاصم إن سيفك
هذا من ضرب قوم عاد من ولد شداد وما ملكت العرب
مثل هذا السيف ولكن قد وجب علي إكرامك وأريد أن
أتقرب إليك بحيلة أعلمك إياها تقتل بها عدوك فقال بذمة
العرب إلا فعلت فقلت إذا كنت في مقام الحرب والقتال
وخصمك بين يديك وتريد قتله فهز هذا السيف في يدك
حتى يهتز ويلين مضربه واضرب به عدوك على حرف فإنه أسرع
للقطع وأمكن للقتل ثم هززت السيف وملت به على
عنقه وإذا برأسه طائر فأسرعت بالنزول عن ناقتي ومسكت
جواده وربطته في شجرة أم غيلان لئلا يعير فينفر على
صاحبيه وأسرعت إليهما وإذا هما ينتظراني فلما رأياني

أقبل أحدهما إلي فقال لي ما وراءك وأين سلاب فقلت له البشر
بأخذ الثار وكشف العار وأعلمناه أنا وجدنا رجلين من أصحاب
محمد وهما نائمان وقد وجهني صاحبكما ليقدم أحدكما
ويكون الآخر ديدبانا لنا لأن هذا الوادي لا يخلو ساعة
من أصحاب محمد فقال لا نعم الرأي رأيت وسار معي الثاني
فلما غيبته عن صاحبه قلت له ما اسمك قال عبد اللات بن
قلت ابن من قال ابن غويلب فقلت له كن رجلا وإياك
والخوف وإذا رأيتنا قد هجمنا على هذين الرجلين فلا ينقبض خاطرك
ونبه سيفك ثم نظرت يمينا وشمالا فقال ما بك أفلت
أرى غبرة ولا شك أن تحتها قوم ممن صبا إلى دين محمد فجعل
يتأمل كالواله الحيران فعاجلته بضربة على عاتقه ألقيت برأسه
إلى الأرض ثم أبركت هجينه وعقلته بفاضل زمامه
وأسرعت إلى الثالث فلما رآني وحيدا أيقن بالشر فنازعني
ونازعته وضاربني وضاربته وصادمني وصادمته إلا أن الله
تعالى أعانني عليه فقتلته وأخذت الراحلتين والفرس وتركت
الكل عند رجل من آل عبد شمس كان خلا لي من زمان الجاهلية
ثم توجهت أريد مصر ولم أزل حتى أتيت مصر فرآني القبط

قالوا

قالوا من أين جئت قلت أنا رسول إلى صاحبكم قالوا فمن قلت
من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما سمعوا ذلك مني أحاطوا
بي من كل مكان وأتوا بي إلى قصر الشمع وأوقفوني على
باب قصر الملك واستأذنوا لي المقوقس فأمر بإحضاري إلى بين
يديه فقالوا لي انزل فنزلت عن راحلتي وسارت الحجاب
بين يدي إلى أن وصلت ووقفت بين يدي الملك فإذا هو في
قبة يتلألأ الجوهر من جوانبها ويلمع اليواقيت من أركانها
والحجاب بين يديه فأومأت بتحية السلام فأمروني بالجلوس
فجلست حيث أخذني المجلس فقال حاجبه يا أخا العرب
أين كتاب صاحبك قال فسلمت الكتاب من يدي إلى
يدي الملك فأخذه مني بقبول وقبله وجره على عينيه وقال
مرحبا بكتاب النبي العربي ثم سلمه إلى وزيره وقال له
اقرأه علي فإنه من عند رجل كريم قال فقرأه الوزير عليه
إلى أن أتى إلى آخره فقال الملك لحاجبه الكبير هات
السفط الذي سلمته إليك فأتاه الخادم بسفط فأخذ الملك
ففتحه واستخرج منه نمطا ففتحه بين يديه فإذا في النمط
صفة آدم صلوات الله عليه والأنبياء وفي آخرهم

صفة محمد صلى الله عليه وسلم فقال الملك لوزيره قل لهذا
البدوي يصف لنا صاحبه كأني أراه فقال له الوزير
الملك يقول لك كذا وكذا قال حاطب فقلت
ومن يقدر أن يصل أن يصف عضوًا من أعضاء رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقال الوزير لا بد أن تجيب الملك إلى ما سألك
عنه قال حاطب فقمت قائمًا على قدمي وقلت
إن صاحبي وسيم قسيم معتدل القامة بين كتفيه
شامة وهي له علامة كالقمر إذا أبدر صاحب
خشوع وديانة وأمانة وعفة وصيانة صادق اللهجة
واضح المحجة أشم العرنين واضح الجبين سهل الخدين
رقيق الشفتين بعينيه دعج وبحاجبيه أزج وبأسنانه
بلج وأنف غير ذي عوج وصدر يترجرج وبطن
كطي الثوب المدبج ذو لسان فصيح ونسب صحيح
وخلق مليح لا بالطويل العالي ولا بالقصير الداني
ولا بالطويل الشاهق ولا بالقصير اللاسق معتدل
القامة مدور العمامة ربع من الرجال
شعره مسبل إلى شحمة أذنيه منير الوجه أبيض مشرب

بحمره

بحمرة مليح الحدقتين لطيف الكفين صغير
القدمين أسخى الناس كفًا وأعظمهم ظرفًا وأعفهم
فرجًا وأصدق الناس لهجة وأحسنهم حجة لين العريكة
وقور شكور لربه ذكور حليم كريم عظيم
بوجه جميل ومنطق جليل وخد أسيل وطرف كحيل
سني الخطر عظيم الأثر صفوة البشر أكرم ربيعة
ومضر سيد أهل الشعر والوبر ينطق بالحق ويألف
الصدق يواسي الفقير ويعطي الكثير ويأكل خبز
الشعير ويصوم في الهجير وينام على الحصير فخمًا مفخمًا
يتلألأ وجهه بالأنوار كتلألؤ القمر ليلة الإبدار
أطول من المربوع وأقصر من المشذب عظيم الهامة
رجل الشعر لا يجاوز شعره شحمة أذنيه أزهر اللون
مليح الكون واضح الجبين أشم العرنين طويل الزندين
حسن الخلق كريم الكفين أشعر الذراعين والمنكبين
سبر الكفين والقدمين مائل الأطراف مليح
الأوصاف إذا مشى تظلله الغمامة وينظر من ورائه
كما ينظر أمامه ويبدأ من يلقاه بالسلام ويكثر

في الليل القيام وبالنهار الصيام ويدعو إلى السداد
ويأمر بالرشاد ودينه الإيمان وكتابه القرآن
وهو حبيب الرحمن مشفق على أمته رحيم بمن دخل في ملته
بهي نقي وفي رضي زكي مرضي سيد الأولين
والآخرين ليس مثله في الملائكة ولا في الآدميين
قال فصار المقوقس يتمايل يمينا وشمالا عند ذكر
صفات النبي صلى الله عليه وسلم قال صدقت يا عربي
هكذا صفته قال حاطب فبينما هو يخاطبني إذ نصبت
الموائد وجيء بالطعام فأمرني الملك أن أتقدم وآكل فامتنعت
من ذلك فتبسم وقال يا أخا العرب قد علمت ما أحل لكم
وما حرم عليكم ولو أقدم لك إلا لحم الطير فقلت له
إني لا آكل في هذه الصحاف الذهب والفضة فإن الله عز وجل
قد وعدنا أن نأكل فيها في الجنة قال فبدل الطعام في
صحاف فخار فأقبلت آكل فقال لي الملك يا أعرابي أي الطعام
أحب إلى صاحبك قلت ما عمل فيه الدبا يعني القرع وإنا إذا كان
عندنا منه شيء آثرناه به صلى الله عليه وسلم وإذا أتى إلى منزله
فقرب إليه قصعة فيها ثريد وعليه الدبا فجعل يتتبع الدبا فما

زلت

زلت أحبه لمحبته إياه وقال الملك يا أعرابي في أي شيء يشرب الماء
قلت في قعب من خشب قال أيحب الهدية قلت نعم قال
أيجيب من دعاه قلت نعم وإنه قال لو دعيت إلى كراع لأجبت
ولو أهدي إلي ذراع لقبلت قال أيقبل الصدقة قلت لا
بل يقبل الهدية وسمعته يقول لو أسلم الناس لتهادوا من غير
جوع قال المقوقس أيكتحل قلت نعم يكتحل بالإثمد في
عينه اليمنى ثلاثا وفي اليسرى اثنان وقال ربما اكتحل
أكثر من ذلك أو أقل وينظر في المرآة ويرجل شعره
ولا يفارق خمسا في سفر كان أو في حضر المرآة والمكحلة
والمشط والمدرى والسواك ولقد رأيته يتجمل لأصحابه فضلا
من تجمله لأهله ولقد قال ذات يوم لزوجته عائشة
رضي الله عنها وقد نظرت إليه وهو ينظر في ركوة فيها
ماء ويسوي شعره فقالت بأبي أنت وأمي يا رسول الله
تنظر في الركوة وتسوي شعرك في جمتك وأنت رسول الله وخيرة
خلقه قال يا عائشة إن الله تعالى يحب لعبده إذا خرج لإخوانه
أن يتزين لهم ويتجمل فقال المقوقس إذا ركب في جيشه
ما الذي يحمل على رأسه فقلت راية سوداء ولواء أبيض وعلى اللواء

مكتوب لا اله الا الله محمد رسول الله وأوردت عائشة رضي الله
عنها فقالت إن الراية كانت من مرط مرتبط مرحّل واسمها العقاب
وفي رواية سماك بن حرب كانت راية رسول الله صلى الله
عليه وسلم من مرط لعائشة رضي الله عنها قلت المقوقس
ألهُ كرسي يجلس عليه أو قبة قلت نعم رأيت له كرسيا
من خشب قوائمه من حديد وقبة من أديم تسع فيها نحو أربعين
رجلا قال فما الذي يحب من الخيل فقلت الأشقر الأغر
ثم الأقرح المحجل السابق وقد تركت عنده فرسا يقال له
المرتجز قال فلما سمع قولي انتخب من خيله فرسا من
خيول مصر الموصوفة فأمر به فأسرج وألجم وأعده هدية
للنبي صلى الله عليه وسلم وهو فرسه الميمون وحمارا مليحا يقال
له اليعفور وبغلة يقال لها الدلدل وجارية اسمها بريرة
وكانت سوداء وجارية بيضاء من أجمل بنات القبط اسمها
مارية وغلاما اسمه محبوب وطيبا وندّا وعودا
ومسكا وعمائم وقباطي وأمر وزيره أن يكتب إلى رسول الله
صلى الله عليه وسلم كتابا فكتب يقول باسمك اللهم من المقوقس
إلى محمد صلى الله عليه وسلم أما بعد فقد بلغني كتابك

فقرأته

فقرأته وفهمته وأنت تقول إن الله تعالى أرسلك رسولا
وفضلك تفضيلا وأنزل عليك قرآنا مبينا فكشفنا
عن خبرك فوجدناك أقرب داع دعا إلى الله تعالى وأصدق
من تكلم بالحق ولولا أني ملكت مصر وأخاف أن قومي
لا يطيعوني لكنت أول من آمن بك لعلمي بك أنك خاتم
النبيين وإمام المرسلين والسلام عليك ورحمة الله وبركاته
مني إلى يوم الدين وسلم إلي الكتاب والهدية وقبّل ما بين
عيني وقال بالله عليك هكذا قبّل بين عيني محمد صلى الله
عليه وسلم ثم بعث معي جيشا ولم يزالوا يسيرون معي حتى أدخلوني
بلاد العرب ووجدنا قافلة من الشام تريد المدينة
فرددت أصحاب الملك ووردت المدينة الشريفة وقصدت
المسجد الشريف وأنخت الناقة ودخلت وسلمت على رسول الله
صلى الله عليه وسلم ثم أنشأت أقول

أنعم صباحا يا وسيلة من يرجو النجاة غدا اليوم الموقف
إني مضيت إلى الذي أرسلتني أطوي المهامه كالجواد المعنف
حتى رأيت بمصر صاحب ملكهم فمضى إلى ما يقول قول المنصف
أخذ الكتاب وحين فك ختامه [illegible]

قالوا البطارقة الذين تجمعوا ... ماذا أراعك من كتاب المشرف
قال اسكتوا يا ويحكم وتيقنوا ... هذا كتاب نبي دين المصحف
قالوا وهمت فقال لست بواهم ... بل قد رأيت بيان خط الأحرف
من كل سطر من كتاب محمد ... خط يلوح لناظر متوقف
هذا الكتاب كتابه لك خاصا ... يا خير مولود بحقك يكتنف

قال حاطب فسلمت الكتاب إلى النبي صلى الله عليه وسلم
فدفعه لعلي كرم الله وجهه وقال له اقرأه علينا فلما قرأه
على النبي صلى الله عليه وسلم قال بارك الله للقبط في دنياهم
قد عرفوا الصواب وأوضحوا الخطاب ثم تزوج كل ذي
زوج لمولى الخصي بمارية القبطية وجعل مهرها عتق رقبتها
وتولد لها ولدا اسماه إبرهيم عاش سنتين أو أقل وما ت
فلما مات كسفت الشمس فقال المسلمون لعظم الله إنما
كسفت الشمس لموت ولدك إبرهيم فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم إنهما لا يكسفان لموت أحد ولا لحياته إنما هما آيتان
من آيات الله تعالى فإذا كسفتا فافزعوا إلى الصلاة عن
جابر بن عبد الله قال انكسفت الشمس في عهد رسول الله
صلى الله عليه وسلم يوم مات إبرهيم بن رسول الله صلى الله عليه

وسلم فقال الناس إنما انكسفت لموت إبرهيم فقام النبي
صلى الله عليه وسلم فصلى بالناس فانصرف حين انصرف
وقد أضاءت الشمس فقال أيها الناس إنما الشمس والقمر
آيتان من آيات الله وإنهما لا ينكسفان لموت أحد من الناس
فإذا رأيتم شيئا من ذلك فصلوا حتى تنجلي ما من شيء توعدونه
إلا قد رأيته في صلاتي هذه وذكر الحديث وفي
حديث عائشة رضي الله عنها إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله
لا يخسفان لموت أحد ولا لحياته فإذا رأيتموها فافزعوا إلى الصلاة
وقال أيضا فصلوا حتى يفرج عنكم ثم أخذ الغلام
والجارية والفرس والبغلة والحمار ثم قسم باقي الهدية
على الصحابة بالسوية قال الواقدي رجعنا إلى الفتوح قال حدثنا
أحمد بن عبيد الناصح قال أخبرنا أبو عبد الله محمد بن عمرو
السلمي عن محمد بن عبد الله بن مسلم الزهري عن عبد الله بن
يزيد الهذلي قال وحدثني به ابن إسحق الأموي وهو المعتمد
عليه في فتوح أرض مصر وأرض ربيعة والفرس قال
عمرو بن حفص ولم ينفرد بهذه الرواية سواه وكان
أصحاب النبي قد اشتغلوا بوقائع العراق وفتوحه وما جرى

بن سعد بن ابى وقاص وكسرى انوشروان وتركوا فتوح
الشام وارض مصر فيما بعد ۞ وكان اختلف عليهم كثير
من الوقايع فتركوه لاجل الزيادة والنقصان ۞ وانما تفرد
به ابن اسحق لانه اخذه من مشايخ ثقات وثق بهم من ال
مخزوم واجتمع بهم فى الرملة بعد الفتوح احدهم نوفل بن
مساحق المخزومى ۞ وكان بن عمة خالد بن الوليد وكان
من المعمرين شهد تبوك مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
وشهد قبل ذلك الحديبية وشهد يوم اليمامة ومسيلمة
وكان عمرو بن العاص بارض مصر فى جميع الفتوح
والثانى هو بن عمرو بن عاصم بن عمر وبن سهل بن عمرو
المخزومى وغيرهما من الثقات ممن شهد فتوح ارض
مصر والوقايع كلها ۞ قالوا جميعا ومن قال منهم ان
عمرو بن العاص رضى الله عنه لما انفصل من ساحل الشام
بعد ان ملكه الله المسلمين ۞ وسار متوجها يريد ارض
مصر وعلى اعنة خيله يوقنا صاحب حلب فلما كان بموضع
يقال له رفح انفصل يوقنا باصحابه وبنى عمه عنه وقال
انت تريد ان تدهم مصر على حين غفلة وانا ما يمكننى ا

ذلك لان الثواب من الله عز وجل اجل غنيمة وان قلبى مملوءة
بحب الدنيا وانى اشركت به سواه وانا اجتهد فى الخلاص
واقاتل من كنت انصره على الكفر وعبادة الصلبان والسجود
للصور من دون الله تعالى ۞ وقد اخذت الاسلام بنية
وقبول لانه الحق واريد ان اتقدم الى ارض مصر ولعلى اجد
اليهم بالحيلة سبيلا ۞ فقال وفقك الله واعانك وحفظك
وصانك ۞ وقوى ايمانك ثم انسلخ منه ليلا وسار على الغوار
وتوجه عمرو يريد ايلة ولم يزل يوقنا سايرا من رفح يطلب
الفرمة ولم يتعرض للعريش ولا الورادة ولا السوادة ۞
بكلها حصون عامرة قد سكنها قوم من العرب المختلفة
ممن كانوا يؤدون المال للمقوقس بن راعيل وسنذكر
فتوحها فيما بعد ان شاء الله تعالى قال الواقدى رحمه الله
وان يوقنا اشرف على الفرمة وكان عليها واليا من قبل
الملك اسمه المرمدان ۞ والفرمة على جانب بحيرة ۞
تنيس مما يلى المشرق وراى على الفرمة خياما وفساطيط
مضروبة فلما اشرف يوقنا باصحابه وقد وقع الصايح
وركب من كان هناك من جند المقوقس وكانت

الأخبار عندهم في كل يوم ترد بما صنع أصحاب رسول الله صلى الله
عليه وسلم فلما بلغهم أن قيسارية قد فتحت اغتموا لذلك غماً شديداً
وكان قسطنطين بن هرقل قد تزوج أرمانوسة ابنة الملك
المقوقس وكان قد جهزها أبوها بأموالها وغلمانها
وعسكرها إلى بلبيس على أنها تسير إليه فلما وصلت إلى
فاقوس بلغها الخبر بنزول أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
على ساحل البحر وبلاده فرجعت إلى بلبيس ووجهت حاجبها
الكبير نميلا طوس إلى الفرمة في ألفي فارس يحفظ ذلك
الموضع قال أخبرنا موسى بن محمد بن إبرهيم ابن الحارث
التيمي قال حدثنا أسامة بن زيد بن أسلم قال ابن إسحق
ولقد حدثني رجل من القبط التقيت به في لد وقد دخل في دين
الإسلام فتقربت إليه وسألته فأخبرني أنه من قبط مصر من جند
الملك المقوقس فقلت له كيف كان من أمركم لما سمعتم
بقدوم المسلمين إلى الشام وكسر جيوش هرقل قال نعم لما بلغنا
ذلك الخبر بعث الملك المقوقس رسله إلى جميع أطراف بلاده
مما يلي الشام أن لا يتركوا أحداً من الروم ولا غيرهم أن
يدخلوا أرض مصر كل ذلك حتى لا يتحدثوا بما صنع المسلمون

بجنود الملك هرقل فيدخل الرعب في قلوب الناس فلأجل ذلك
لما دخل يوقنا أرض مصر لم يعرف به أحد فلما ركبوا
إلى لقائه ونظروا إلى حشمة عسكره سألوه عن حاله وكان
قد أخذ الأخبار من طريقه بأحوالهم وكان يوقنا كل ما
نزل على حصن من حصون أرض الجفار أكرموه وخدموه وقالوا
له ما صنع الملك قسطنطين وما الذي أشغله عن زوجته
أرمانوسة فإن الملك قد جهزها وهي على مدينة بلبيس فقال
له يوقنا ومتى تزوجها فإني كنت قد بعثني الملك رسولاً إلى
أبيه بانطاكية قالوا تزوجها والمسلمون على حصار حلب
فقال يوقنا إنه قد ركب في البحر وطلب قيسارية وقد
أرسلني حتى آخذها في المراكب إليه قال فلما أركن
إليه حاجب ابنة الملك المقوقس وسألوه قال أنا قد جئت
رسولاً من الملك قسطنطين إلى الملك المقوقس حتى ينفذ
بابنته إليه في المراكب إلى قبرص فإن الملك قد ولى
وهرب من العرب فلما سمعوا قوله قالوا له إن الملكة
في بلبيس وقد نفذها إليه وما منعها من المسير إلا الخوف من
العرب وهروب الملك قسطنطين من قيسارية ثم ساروا

يومهم ذلك حتى وردوا فاقوس فنزلوا هناك وسار حاجب الملك
إليها بنفسه وحدثها بما قال يوقنا فأمرت الحاجب نميلاطوس
أن يرجع إليهم ويأتي بهم فركب نميلاطوس وأقبل إلى يوقنا
وأمره بالمسير فركب رحمه الله وركب أصحابه وأتوا إلى
عسكر أرمانوسة وإذا به عسكر كثير يزها على عشرة
آلاف فارس بأحسن زي وأجمل عدة قال فترجل يوقنا
ووجوه أصحابه فوقفوا على باب سرادقها حتى استأذنوا عليهم
فأمرت بإحضارهم فلما وقفوا بين يديها صفقوا لها فعند ذلك
أمرت لهم بكراسي من الحديد فوضعت لهم وأمرتهم
بالجلوس فقال يوقنا أيتها الملكة إنما الشرف الأكبر
والعز الأفخر والراحة الكبرى وقوفنا بين يديك فأقسمت
عليهم أن يجلسوا فجلسوا ووقفت الحجاب والمماليك والخدم
عن أيمانهم وعن شمائلهم فقالت الملكة أرمانوسة
من غير ترجمان كان بينهم وإن كانت لغة القبط لا تشبه
لغة الروم ولكن الملوك يحفظون أكثر اللغات ليستعملوه وقت
حاجتهم إليه فقالت لهم كم لكم عن الملك قالوا منذ
شهر قالت أكان دخل في مراكبه أم لا قال يوقنا لا بل

قبل أن يركب منهزما ولما وصلت إلى غزة سمعت الخبر بهروبه
ولكني كنت معه قبل هروبه فقال لي في السر من حجابه إنه
لا طاقة لي بقتال هؤلاء العرب وقد ولى أبي هاربا من انطاكية
من خوفهم وقد قاتلهم بجنوده واستنصر عليهم بجميع ملوك
الملة النصرانية ونفذ إليهم ماهان الأرمني إلى اليرموك
فهزموه وقتلوه وإني أريد آخذ خزائن أبي وخزائنه وأطلب
قبرص ثم وجهني إليك حتى تركبي في المراكب إليه
فلما سمعت ذلك منه أطرقت برأسها إلى الأرض ثم رفعت
رأسها وقالت له إني لا أقدر أصنع شيئا إلا بأمر الملك
أبي وإني مرسلة بك إليه فقام وصفق لها ودعا لها
وقال أنا بحكمك ثم خرج من عندها فوجد غلمانه
قد ضربوا خيامه وسرادقاته وأقبلت إليه الإقامات
والعلوفات والضيافات والافتقادات من الملكة
أرمانوسة قال ابن إسحق ولقد بلغني أنه ما جن الليل
من يومهم ذلك حتى وصلت جواسيس الملكة إليها
وحدثوها بفتح قيسارية ومداين الساحل وبمسير عمرو بن
العاص إلى أرض مصر وحديث يوقنا وانفصاله من

عسكر العرب وحذروها منه وقالوا لها إنه صاحب حلب وقد
أخذ دين العرب بقبوله وهو الذي فتح طرابلس وصور بحيلته
فلما سمعت ذلك دخل في قلبها الرعب وعلمت أن ما قالوه الجواسيس
حق وأنه ما أتى إلا ليمكر بها وإنها استدعت بحاجبها
وقالت له انهض إلى العسكر واستنهض وأيقظ من فيه وأمرهم
بلبس السلاح وليكونوا مستيقظين فقد جرى من الأمر كذا
وكذا ثم أوقفت مماليكها عن يمينها وعن شمالها
وقالت إذا جاء هذا الرجل وخواص أصحابه فاقبضوا
عليهم فإذا ملكناهم عدنا إلى بقية أصحابه وعسكره
وقبضنا عليهم فلما رتبت هذا الأمر بعثت خادمها إلى يوقنا
تستدعيه إليها هو وأصحابه الخواص فمضى الخادم من وقته
والليل معتكر بالظلام دخل على يوقنا في سرادقه
وقال أيها البطريق الكبير إن الملكة تستدعيك
إليها لتوصيك بما تحدث به عند أبيها فقال له يوقنا
ارجع إليها وقل لها السمع والطاعة فها أنا راكب مع خواص
أصحابي إليها فمضى الخادم ولم يتوقف فلما مضى الخادم
جمع أصحابه إليه وقال اعلموا أن ملكة هاؤلاء

القوم انفذت إلي أن أحضر أنا والخواص منكم وما وجهت
إلينا ليلا إلا وقد شعرت بحديثنا من عيونها واعلموا أن القوم
يقبضون علينا وإن حصلنا في أيديهم قتلونا لا محالة وطرحوا
ذلك الهيبة في قلوب من يأتي إليهم من المسلمين بعدنا
والرأي أننا نموت كراما ولا تلقوا بأيديكم إلى القتل
واعلموا أن ما تجردنا لنصرة هذا الدين إلا لنكون من المجاهدين
وما عسى أن نرجوا من هذه الدنيا الغدارة العقوق ما صفت
ودها لأحد إلا وكدرته وغدرت به وقد رأيتم ما
كنتم فيه من الملك والأمر والنهي ثم زال عنكم
ذلك واعلموا أن الدنيا دار فناء والآخرة دار بقاء فمن
طلب دار الفناء وقع في البؤس والعناء ومن عمل على دار
البقاء نال العز والارتقاء فجاهدوا هؤلاء الأعداء
واركبوا خيولكم وقدموا عزائمكم أمامكم
وقاتلوا عدوكم وارضوا ربكم بفعلكم قال
فأخذ القوم على أنفسهم وتأهبوا ولبسوا السلاح وركبوا
خيولهم واعتقلوا بالرماح واستندوا إلى سرادقاتهم
وتوكلوا على ربهم عز وجل في جميع أمورهم

وجلوا الجهاد فقتلتهم قال وأقامت الملكة
أو ما نوسة تنتظرهم لتنقض عليهم واستبطأت قدومهم
فبعثت إليهم رسولا ثانيا تستحثهم على القدوم فقال له يوحنا
ارجع إلى الملكة وقل لها ما جرت عادة الملوك أن تبعثوا
تستحثوا الرسل ليلا إلا لأمر حدث وقد كنت اليوم عندها
فما الذي تريد مني نصف الليل ارجع وليس لكم فينا
مطمع فعاد الرسول إلى الملكة وحدثها بما سمع من
الجواب قال فتحققت صدق القول فيه إنما جاء ليغصب
الحيلة على الملك المقوقس وعليها وكيف لي من ساعتها وأمرت
حاجبها أن يركب الجيش قال فبادرت فرسان
القبط إلى لبس السلاح وركبوا الخيول وداروا بيوحنا
وأصحابه ولم يجد ثوبا أحدا حتى ولى الليل بظلامه وأقبل
الصبح بضيائه فعند ذلك أقبل حاجب الملكة إلى يوحنا
وأصحابه وقالوا يا ويلكم تركتم دين آبائكم
وأجدادكم وهجرتم المسيح وأمه وجئتم تحتالون علينا
ألا وإن المسيح قد غضب عليكم وقد سلطنا على قتلكم
فقال يوحنا إن المسيح عبد من عبيد الله لا يتقدم على

شيء لأنه مأمور مكلف وقد أنطقه الله عز وجل بذلك وهو
في المهد وقد قال الله عز وجل في كتابه العزيز
إني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبيا وجعلني مباركا
أين ما كنت وأوصاني بالصلوة والزكوة ما دمت
حيا وبرا بوالدتي ولم يجعلني جبارا شقيا والسلام
علي يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حيا ومن يأمر
بالصلاة والزكاة ويموت فليس بإله إنما هو عبد مكلف
للعبادة مثل أحدنا وإنما المسيح نبي مرسل أمر الناس
بالتوحيد لله عز وجل وإن الله تعالى إله واحد لا إله إلا
هو ولقد أضلكم بولص وأغواكم وتحزبكم
وردكم عن طريق الحق بتقوله على الله سبحانه وتعالى
وعلى المسيح ما لا ينبغي ونحن كنا مثلكم نعبد المسيح
ونسجد للصور ونقبل الصلبان ونعظم القربان
ونبجل القسوس والرهبان ونجعل مع الله إلها آخر
سبحانه ليس له ثاني فلما جاء الله عز وجل بأصحاب
محمد صلى الله عليه وسلم إلينا وجاهدونا ورأينا ما هم
فيه على الحق والإخلاص وعلمنا حقيقة دينهم آمنا بنبيهم

صلى الله عليه وسلم ودخلنا في ملتهم ونصرنا بشريعتهم فابتغناها
ونصرنا الله عز وجل وهدانا بها من العمى وشرح صدورنا
بالهدى ولا دين إلا دين الإسلام وهو الدين الواضح والميزان
الراجح الذي كان عليه الأنبياء صلوات الله عليهم من قبل
وإنا كنا نقول كقولكم إن المسيح ابن الله وإن ابرهيم
وإسحق كانا نصارى فكذبنا الله عز وجل في كتابه
العزيز بذلك وقال عز وجل ما كان إبرهيم يهوديا ولا
نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين
وقال عز وجل ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل
منه وهو في الآخرة من الخاسرين وها نحن قد جئناكم
لنجاهدكم ونحاربكم حتى تقولوا لا إله إلا الله محمد
رسول الله وإلا القتال قال فلما سمع الحاجب قوله
قال لقومه دونكم وإياهم وهاولاء القوم الذين يريدون
قتلكم وملك دياركم ونهب أموالكم وسبي
حريمكم قال فحمل القبط على يوقنا وأصحابه وعمل
السيف بينهم وتصادمت الأبطال وعظم الأمر وأحاطت
القبط بيوقنا وأصحابه وأقبلت الرجال من القرى

والخوف وبلي يوقنا ومن معه بما لا طاقة لهم به وقتل جماعة
من أصحاب يوقنا وفشت فيهم الجراحات وقد أعطوا الضرب حقه
وصبروا صبر الكرام لأمر الله تعالى وقالوا والله لا نسلم
أنفسنا أو نموت كلنا فقد وقع لنا ما كنا نطلبه في رضى ربنا
سبحانه وتعالى قال حدثنا سيف بن جريج قال أخبرنا
يونس بن يزيد قال حدثنا عبد الله بن عمر بن حفص عن
عبد الله بن الحارث قال لما أخبرت الجواسيس لأرمانوسة بقصة
يوقنا نفذت من ساعتها كتابا إلى أبيها المقوقس تعلمه بذلك
وأنها معولة على حربهم وأن العرب متوجهة إلينا مع رجل من
أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم يقال له عمرو بن العاص وأنا
منتظرة جوابك فلما وصل الكتاب إليه دعا بأرباب دولته
وقال لهم قد تم من الأمر كذا وكذا فماذا تشيرون
به قالوا أيها الملك نرى من الرأي أنك تنفذ جيشا إلى
المدكة نصرة لها على عدوها وتنفذ إلى مكين بن جلباب
ملك النوبة تستنصر به على هؤلاء العرب وتنفذ أيضا إلى ملك
البجاة ماذريع بن قسير تستنجد به وينفذ لك جيشا
وانفذ إلى من يسكن بحيرة دمنهور من العرب

يُنجِدُ لك من عندك من العرب وتنفذ إلى الصعيد الأعلى واطلب
عربها تأتيك سراعا فإذا اجتمعت إليك هذه الأمم التي بهم
العرب ولا تُلين جانبك لهم فيسخروا منك ويطمعون في
ملكك قال فلما سمع المقوقس مقالتهم قال يا أهل دين
النصرانية ۞ ودين المعمودية ۞ اعلموا أن الملك
يحتاج إلى سياسة وتدبير ومن ملك عقله ملك رأيه
ومن ملك رأيه أمن من حوادث الدهر أن تصل إليه ۞
وليس الغلبة بالكثرة وإنما هي بحسن التدبير والله
لقد كان هرقل أكثر مني جندا وأعظم عدة وأمنع
معاقل وأوسع بلادا وأشد رجالا وقد جمع جيوش البلاد
من الروم واليونان والرومية ومن جنوه والقسطنطينية
إلى إقليم الأندلس واستنصر بنا وبغيرنا فما أغنى عنه
جمعه شيئا ولا قدر أن يرد القضا والقدر واعلموا
أن العقل هو أساس الآدمي المخاطب المكلف
المفضل على سائر ما على وجه الأرض من المخلوقات ۞ فمن
ملك عقله ملك أمره ومن لم ينل من العقل حظا كان
بجهله أرضى ولن تنال الحكمة إلا بالعقل وقد قال

الحكيم ماسيوس إن الحكمة مرقاها جليل وطالبها نبيل
وتاركها ذليل لأنها غذاء الأرواح ۞ ونور الأشباح ۞
وقوت القلوب ۞ واعلموا أني لست أتكلم بهوى ۞ غير أني أقول
الحق وأتكلم بمحض الصدق ۞ وأنتم تعلمون أن محمدا صلى الله ۞
عليه وسلم في أيامه بعث إلينا يدعونا إلى دينه فاستدللت
على صدق قوله بكتابه وما ظهر من معجزاته وقد سمعتم
أنه قد بعث بالرعب فلا يسمع أحد بذكره إلا خاف منه
وقد سمعتم أن القمر قد انشق له والذراع المسموم قد كلمه ۞
وقال يا رسول الله لا تأكل مني فإني مسموم وقد كلمه الضب
والحجر والمدر وسعت إلى خدمته الشجر ۞ وسجد له الشمس
والقمر ۞ وخاطبته أصول الشجر ۞ وانشق له القمر ۞
وعرج به إلى السماء وركب البراق ۞ واخترق السبع
الطباق ۞ وأدرك من عاداه وحاربه عشيرته حين أنكروا
قوله وجحدوا نبوته فنصر عليهم وقهرهم فلما ظهر لهم الحق
وبان ونصر على أهل الشرك والطغيان ۞ آمنت به سائر الطوائف
من العرب بادي ۞ فاتبعوه ونصروه وهم هاؤلاء الذين فتحوا الشام
وأذلوا الملوك والبطارقة واستولوا على ملك القياصرة

والآن ما أنكرتم من أمرهم إلا أنهم يأمرون بالمعروف و
وينهون عن المنكر ۞ ويقيمون حد وحد الله كما أمروا
وما في كتابهم شيء إلا وهو مسطور في التوراة والإنجيل
ولقد أضلكم بولص بما أغواكم به حين تحزبكم
وبدل ما في كتبكم ۞ وشرعكم وسماكم
باسم لا يليق بكم ۞ أترجون نصحاً ممن كان
يهودياً ثم انتقل إليكم حتى بعد بكم عن الطريق
الواضح وأحل لكم ما حرم عليكم من قبل ۞ هذا
هو عين الخلاف ۞ ودأبه الضلال أن تتبعوا ما قال
لكم بولص ودعوا ما قال نبيكم المسيح ۞ وكيف
ينبغي لروح الله المسيح بن مريم أن يكلم معكم
بغير ما أرسله الله إليكم ۞ ثم إن بولص قد قال
إن المسيح أخبرني في النوم أنه قد أحل لكم لحم الخنزير
وشرب الخمر وارتكاب المعاصي ما ظهر منها وما بطن
فأطعتم أمره وصدقتم قوله وحاشا المسيح أن يفعل ذلك
وما كان أحد من الأنبياء إلا على ما جاء به محمد صلى الله
عليه وسلم وهؤلاء الحكماء الأولون ما منهم من تكلم

إلا بوحدانية الله تعالى وهذا الحكيم ذو امرتا الذي صنعت تلامذته
بربي إخميم وهو الذي صنعوها مثالاً للأمم الآتية وذكروا
فيها وذكروا من يأتي إلى آخر الزمان وصوروا الحكماء
وصنعوا دائرة والنسر بعقدة رأس كالحمل ۞ والنسر يقيم في
كل برج ثلاثة آلاف سنة كما قدره المقدر الحكيم
وكان من جملة ما صوروا فيها صورة حكيمهم ذو امرتا
وكتبوا على رأسه بقلم اليونانيين أربعة أسطر **الأول**
من خاف الوعيد ۞ سلا عما يريد **والثاني** من خاف
ما بين يديه فلا تذعه عما في يديه **والثالث** إن كنت
تريد الجزيل فلا تنم ولا تقيل **والرابع** بادر قبل نزول ما ۞
تحاذر فمن كان هذا كلامهم فكيف تتبع سواهم
وهذا هو نص مذهب المحمديين **قال** فأطرقوا برؤوسهم
إلى الأرض خوفاً على الملك **قال** وما تكلم المقوقس بهذا
الكلام حتى استوثق من مماليكه وحجابه ورتب له ألف
غلام وأوقفهم على رأسه متقلدين بالسيوف لأنه كان سمع
ما جرى لهرقل مع بطارقته حين جمعهم إليه ونصحهم وأشار
عليهم باتباع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فوثبوا إليه

وهجموا عليه وأرادوا قتله فاستوثق المقوقس من غلمانه حتى لا يطمع
فيه طامع قال فلما تكلم المقوقس بما ذكرناه قال
له وزيره الناصح أيها الملك إنك ناصح لرعيتك فما ذا تأمرنا
به قال أيها الوزير اكتب إلى ابنتي كتابا وقل لها إنها
تتلطف بهم وتعطيهم الأمان وتنفذهم إلينا حتى نخلع
عليهم ونطيب قلوبهم ويكونوا معنا يدا واحدة على من
يريد قتالنا وإنما أراد الملك بذلك الإسلامة يوقنا
وأصحابه إذ هم على الحق قال فكتب الوزير الكتاب
كما قال الملك وشرح فيه ما ذكر الملك له من الرفق
بيوقنا وأصحابه ثم سيره إليها سرعة فلما وصل إليها كتاب
أبيها وقرئ عليها أمرت أصحابها أن يرجعوا عنهم ويكفوا
عن قتالهم فرجعوا وبعثت ليوقنا تعلمه بكتاب أبيها
وبعثت به إليه فلما قرأه قال لرسول الملكة امض إليها
حتى نشاور أنفسنا في ذلك قال فرجع الرسول إلى
الملكة أرمانوسة ثم إن يوقنا قال لأصحابه الآن
والله قد حقت الحقائق ولقد كشف الله حجاب الغفلة
عن قلب هذا الملك المقوقس وقد ظهر له ما ظهر لنا من

الحق

الحق فما الذي ترونه من الرأي فقالوا إنا لا نسمع إلا من قولك
فقال دعوني أدبر برأيي في هذه الليلة ثم تركوه وما
أراد قال فلما جن الليل قام يوقنا يصلي وقد أمر
أصحابه أن لا ينزلوا من على ظهور خيولهم مخافة من غدر
عدوهم فبينما هو يصلي وإذا هو بشخص قد دخل عليه
فارتاع منه يوقنا وإذا هو عمرو بن أمية الضمري ساعي
رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما رآه يوقنا قام له وفرح
به لأنه كان رآه مرارا حين سار إليه إلى إنطاكية
برسالة أبي عبيدة رضي الله عنه بسبب فليطا روس
صاحب رومية فلما رآه يوقنا قال يا عمرو من أين
قال من مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثني أمير
المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى عمرو بن
العاص حتى أحدثه على القدوم إلى مصر وإني التقيت به
ههنا قريبا قال وأين هو قال بينك وبينه ثلاث
فراسخ أو دونها وقد وجهني لأكشف له أخبارك وأقفوا
له آثارك فقال يوقنا يا عمرو عد إليه مسرعا وقل له يعجل
بقدومه حتى ننظر ما نعمل مع هؤلاء القوم وحدثه

يوقنا بجميع ما جرى له **قال** فأسرع عمرو راجعا مثل الريح
الهبوب إلى عمرو بن العاص رضي الله عنه حتى قدم عليه وأعلمه
بقصة يوقنا فترك عمرو ومع الأثقال التي حصلت لهم من بلاد
الشام من أموال الروم ألف ألف فارس وجعل عامر بن ربيعة
مقدما عليهم وجد في السير وكان قبل طلوع الفجر
عند القوم فداروا بالقبط من كل جانب وكان بعد ما كان
قد أحيط بيوقنا وأصحابه فلما علم يوقنا بقدوم عمرو
ابن العاص وأنه قد احتاط بالقوم أقبل عليه السلام هو وأصحابه
وكبر وكبر المسلمون ورفعوا أصواتهم بالتكبير
والتهليل وكبسوا على القوم ووضعوا فيهم السيف
فما طلعت الشمس حتى قتل من القوم زهاء عن ألف رجل وأسر
ثلاثة آلاف وولت الباقون يريدون مصر وأخذت
أرمانوسة بنت الملك أسيرة وجميع ما لها وخدمها
وجوارها فلما ارتفع النهار وملكت المسلمون السرادقات
والخيام ونزلوا وقد أمنوا ونزل عمرو بن العاص
واجتمع إليه وجوه أصحابه ويوقنا وخواص قومه وقد
فرحوا بنصر الله تعالى وتفاءلوا بالفتح والنصر وعلموا أن الله

ناصرهم **فقال** عمرو بن العاص يا أصحاب رسول الله صلى الله
عليه وسلم وكان قد حضر عندهم مثل يزيد بن أبي سفيان
وعامر بن سعد الطائي والقعقاع بن عمرو التميمي وخالد بن
سعيد بن العاص بن وائل السهمي وعبد الله بن جعفر الطيار
رضي الله عنه وصفوان بن سعد والنعمان بن مقرن ومثل
هؤلاء القوم **فقال** لهم عمرو رضي الله عنه اعلموا
أن الله سبحانه وتعالى قد قال في كتابه العزيز هل جزاء
الإحسان إلا الإحسان وهذا الملك الذي نحن متوجهون
إليه وإلى قتاله قد علمتم أن النبي صلى الله عليه وسلم
كاتبه فقبل كتابه وأكرم رسوله وبعث له هدية
ونحن أحق بمن كافاه عن نبيه وكان نبينا صلى الله
عليه وسلم يقبل الهدية ويثيب عليها وقد رأيت من الرأي
أن أهدي إلى المقوقس ابنته وما أخذنا معها من أموالها
وجوارها فإن الله تعالى قد أكرمنا بنبي الرحمة
محمد صلى الله عليه وسلم ونحن نتبع سنته وقد سمعته
يقول ارحموا عزيز قوم ذل وغني قوم افتقر
قال فاستصوبوا رأيه وبعث بها مكرمة في جميع ما

وقف

كان لها ونفد معها قيس بن سعيد رضي الله عنه قال أحمد بن إسحاق الأموي لما ورد المنهزمون على المقوقس وخبروه بما تم عليهم وبأسر ابنته ضاق صدره وعيل صبره لأجل ذلك وبقي يفكر فيما يصنع وليس له نية في قتال أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فبينما هو كذلك إذ جاءه البشير بقدوم ابنته ومن كان معها فسلا عنه ما كان يجد قال فلما قدمت ابنة الملك ونزلت بقصورها أحضر الملك المقوقس قيس بن سعيد ومجلسه قد احتفل بالحجاب وأرباب دولته والقسوس والرهبان والبطاريك القوم الذي يعتمدون إليه في دينهم لأنه صاحب شرعهم وعلمهم وتلامذته بين يديه وقد أقبلوا ليهنئوا الملك بجمع شمله بابنته فلما حضر قيس بن سعيد سأله الملك عن أشياء ليسمع قومه لعل أن تلين قلوبهم إلى دين الإسلام فقال يا أخا العرب ما اسمك قال اسمي قيس بن سعيد قال الملك أنت من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم قال نعم أنا من جملة من نصره ووازره وجاهد بين يديه فقال يا أخي العرب أخبرني عن

وقف

صاحبك محمد صلى الله عليه وسلم ما الذي كان يركبه من الخيل قال قيس الأشقر الأرثم المحجل في الشقر وكان اسمه المرتجز فقال البطريرك لقد بلغني أنه كان لا يركب إلا الجمل قال وما أراد البطريرك إلا ليكسر على قيس وإخفاض على رسول الله صلى الله عليه وسلم لأن أبغض الحيوانات عندهم الجمل قال قيس ابن سعد وما بالجمال وإن الله تعالى قد شرفها إذ قال لها كوني فكانت وأخرج ناقة صالح من صخرة وخص بالجمال العرب دون غيرهم من ولد آدم وكان يركبها أولياء الله وجعلها مباركة تقنع بما تجد وتصبر على الحمل الثقيل والسير الشديد وتصبر عن الماء أياما وقد ذكرها الله تعالى في كتابه العزيز فقال عز وجل والبدن جعلناها لكم من شعائر الله لكم فيها خير وقال عز وجل وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق وقد شرفها الله تعالى إذ يقول ناقة الله وسقياها وأول ما غزا نبينا محمد صلى الله عليه وسلم من غزواته كانت غزاة بدر الكبرى

الذي قاتل فيها قريشا بعددها وعديدها كان معه من الإبل
سبعون بعيرا وكان معه فرسان يركب أحدهما المقداد
ابن الأسود الكندي ويرتدف والآخر مصعب بن عمير
وإنا لقينا قريشا في عددها وعديدها نصرهم الله تعالى
ببركته صلى الله عليه وسلم وكانوا أصحابه يعتقبون في
الطريق النواضح وكان عليه الصلاة والسلام وعلي ابن أبي
طالب ويزيد بن أبي يزيد حليف حمزة بن عبد المطلب
يتعقبون ناضحا وقد كان أيها الملك يركب الحمار
الذي أهديته إليه ويردف وراءه صاحبا له اسمه معاذ
ابن جبل وكان على الحمار إكاف من ليف وخطامه
من ليف واعلم أيها الملك أنه كان يلبس الصوف
ويخصف النعل ويرقع القميص ويركب الحمار ويقول
صلى الله عليه وسلم من رغب عن سنتي فليس مني وكان
له قميص من القطن ۞ قصير الطول والكمين ليس به زر
وقد أهدى له ذو يزن حلة اشتريت بثلاثة وثلاثين
بعيرا فلبسها مرة واحدة وأهدى له جبة من الشام فلبسها
حتى تخرقت وخفين فلبسهما حتى تخرقا ۞ وكان له

رداء طوله أربعة أذرع وعرضه ذراعان ونصف وكان له ثوب
أخضر يلبسه للوفود إذا قدموا عليه وكان إذا اتزر يضع
طبقة إزاره على فخذه اليسرى ۞ وكان من أخلاقه إذا تكلم
بكلمة رددها ثلاثا ورأيته كلما تحدث تبسم في
حديثه وكان إذا اجتمع إليه أصحابه وأراد أن ينهض
قال سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا
أنت أستغفرك اللهم وأتوب إليك ۞ فقلنا يا رسول الله
صلى الله عليك وسلم إن هذه الكلمات أخذتهن عادة
فقال صلى الله عليه وسلم أتاني بهن جبريل عليه السلام
وأخرجت لنا زوجته حين قبض كساء ملبدا وإزارا غليظا
وقالت قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذين فقال
المقوقس هذه والله أخلاق الأنبياء فطوبى لمن اتبعه ۞
وإن أمته هي الأمة الموصوفة في الإنجيل فقال
البطريرك أيها الملك ما تكون أمة عبد الله أفضل من
هذه الأمة وهم نحن قال فغضب الملك من قوله
وقال بأي شيء أنتم أفضل عند الله بأكلكم الحرام
وارتكابكم الآثام ۞ وفعلكم المنكرات ۞

وتجنبكم الحسنات وظلمكم في الرعية وميلكم إلى
الدنيا الدنية أين أنتم من قوم عبر عليهم الإسكندر
ورآهم ليس لهم قاض حاكم ولا أمير بالإمارة قائم
ولا فيهم من يلحظ بالغنا ولا مزدري بالفقر الذي يثيبه نعم
إسوة في كل ما هم فيه مأكلهم ومشربهم واحد غير
متنافرين ولا متضادين قال فتعجب الإسكندر مما رأى
وأبصر وشاهد وعمد إلى العقلاء منهم والنبلاء من جماعتهم
وسألهم عن حالهم وما رأى منهم فقالوا أيها الملك
السعيد اعلم أنا وجدنا جمجمة وعليها مكتوب يا ابن آدم
غرك أملك حتى فاجأك أجلك نصرت إلى تراب حثاه
عليك الأحباب وخلوت بما قدمت من عمل إما صالحا
فسرك وإما طالحا فضرك فندمت حيث لم ينفعك الندم
ولم يكن لك إلى الدنيا مرجع فطوبى للكيس العاقل
الذي ليس بمقصر ولا غافل تزود لما إليه تصير
وأكثر البكاء على التقصير وبادر إلى الخير قبل الموت
واغتنم حياتك قبل الموت فكأنك بالحي قد هلك
وفارق كل ما ملك فاعتبرنا بهذه الموعظة البالغة

وتلبسنا بأثوابها السابغة فقال الإسكندر فما بال
مساجدكم شاسعة نائية ومقابركم قريبة دانية
قالوا أما مساجدنا وبعدها فلاكتساب الأجر عند نقل
الخطا إليها وأما مقابرنا وقربها منا حتى نذكر الموت
الذي لا بد منه قال الإسكندر فما لي أرى أبوابكم
بغير إغلاق قالوا ليس فينا سراق قال وما لي لا
أرى لكم أميرا ولا حاكما قالوا لأنا لا نجد فينا
متعديا ولا ظالما قال الإسكندر وليس فيكم
فقير قالوا رزق الله فينا إسوة للصغير والكبير ثم
أخرجوا له جمجمتين عظيمتين قديمتين وقالوا أيها الملك
اختر لك واحدة من هاؤلاء الاثنين فهذه جمجمة ملك
عادل سالم وهذه جمجمة ملك ظالم غاشم وكلاهما
صارا إلى [illegible]ر ولم يغن عنهما الجمع الكثير
ولا المال الغزير أما العادل فمسرور وريحان وأما
الظالم فنادم حيران فاز المتقي وخاب الظالم
الشقي فاختر ما تراه قبل الحين فإنك إحدى الجمجمتين
أيها الملك إنك قد ملكت النواصي وقد حكمك

ربك في الداني والقاصي ۞ والطايع والعاصي واستخلفك
الله في الأرض ۞ وأمرك بأداء النفل والفرض ۞ فتذكر
مضجعك في رمسك ۞ واعمل صالحا لنفسك ۞ واعلم
أنه لا ينفعك جندك إذا دخلت لحدك وفارقت
روحك ۞ فكن أيها الملك عادلا في أحكامك
وانظر ما تقدم أمامك ۞ وارفض الشيطان ودواعيه
وخذ بأوامر الرحمن ونواهيه ۞ ولا يستفزنك
الشيطان الرجيم فتبوأ بالإثم العظيم واذكر
أيها الملك ما فعل الشيطان بأبيك حين نصب عليه
مكيدته وأدار عليه حيلته فنصب له شرك العداوة
وغره في الجنة بحب البر قال فلما فرغ المقوقس من هذا
الكلام أقبل عليه قيس بن سعيد وقال أتدري
أيها الملك من أولئك قال لا قال هم قوم [illegible] عليه
السلام قال الله عز وجل إخبارا عنهم في كتابه العزيز
ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون ۞ وهم
الذين كثرت فيهم البدع وحرفوا التوراة فاعتزلوا عنهم
وقد رآهم نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج

فلما عاد أخبر أصحابه بهم ۞ فقال يا رسول الله إن قوم موسى
لخير فأراد الله تعالى أن يعلمهم أن أمة محمد أفضل منهم
فنزل قوله تعالى وممن خلقنا أمة يهدون بالحق وبه
يعدلون ۞ قال المقوقس لقيس بن سعيد يا أخا
العرب ارجع إلى صاحبك وأخبره بما سمعت وإني مقر
بنبوة محمد نبيكم صلى الله عليه وسلم ۞ فقال
قيس أيها الملك اعلم أنه لا بد لنا منكم ولن ينجيكم
منا إلا الإسلام أو أداء الجزية أو القتال ۞ فقال
المقوقس سأعرض ذلك على القبط وإني أعلم أنهم لا
يجيبون إلى الإسلام ۞ لأن قلوبهم قد قست من أكل
الحرام واتباع الآثام ۞ قال عبد الله بن سهل أخبرنا
عدي بن حاتم قال حدثنا سلمان بن يحيى عن من
حدثه أن الملك المقوقس كان إذا قدم شهر
رمضان لا يخرج إلى رعيته ولا يظهر لأحد من أرباب
دولته وكانت مخاطبته لقيس بن سعيد في أواخر
شهر شعبان من سنة ستة عشر من هجرة رسول الله
صلى الله عليه وسلم خرج قيس من عنده ومضى إلى عمرو

ابن العاص فحدثه بما كان قال ابن إسحق الأموي وكان
ولي عهد المقوقس ولده رسطودس وكان جبارا كافرا
وإنه لما سمع جميع ما تكلم به أبوه مع قيس بن سعيد
فعلم أن أباه لا يقاتل المسلمين وربما يسلم ويسلم الملك
للموحدين فترك ابن المقوقس أباه حتى دخل في خلوته
عند قدوم شهر رمضان التي كان يحتجب فيها وجمع
إليه أرباب دولة أبيه من كبراء القبط وذلك في السر
فقال لهم اعلموا أنكم أخذتم هذا الملك من بعد
الغرق والتعب وهول وذلك منذ بني يافث بن نوح ولم
يزل الملك فيكم وإن أبي يريد أن ينزعه من أيديكم
ويسلمه للعرب وإني رأيت فحوى كلامه مائلا إلى
ذلك فقالوا أنت تعلم أيها الملك أن هذا الأمر منوط
بك وأنت صاحب الأمر من بعده وولي عهده فاصنع أمرا
يعود صلاحه عليك وعلى رعيتك ثم خرجوا من عنده
وأقام يدبر في هلاك أبيه ثم استدعا بصاحب
شراب أبيه وضمن له ألف دينار وإقطاعا يكون
برسمه وحلف له بذلك أيمانا وقدم له خمسمائة دينار

فمضى الساقي وجعل سما في شراب الملك وسقاه إياه فمات
وأقبل الساقي إلى رسطودس ابن الملك وحدثه بموت أبيه
فمضى إليه ووقف على مصرعه وبكى ثم أمر ندامه بدفنه
فدفنوه في ثياب ملكه وأمر رسطودس بقتل الخدام والتابع
ثم ظهر للناس وقعد على سرير الملك كعادته الجارية
مع أبيه إذا غاب عن رعيته وليس عند أحد خبر أن الملك
المقوقس قد مات فهذا ما كان منه وأما
ما كان من عمرو بن العاص فإنه ارتحل من مدينة
بلبيس وسار يطلب مصر وإنه لما ارتحل ونزل
بموضع يعرف بقليوب فأقام بها وبعث إلى أهل الرساتيق
تطيب قلوبهم وقال لا يجفل أحد منكم ولكم الأمان
منا ونحن نقنع بما توصلوه إلينا من بركم فأجابوه
إلى ذلك وارتحل عمرو من قليوب فلم ينزل إلا بمجرى
الحصا وارتجت مصر بأركانها ووقع الصايح والتشويش
بهم وغلقوا الدكاكين والدروب ووقف أهل
كل درب على دربه بالسلاح ليحموا حريمهم قال
لما نزل عمرو بمجرى الحصا أمر من كان معه من الموالي

وأهل اليمن أن يحفروا لهم خندقاً ما دار بعسكرهم ففعلوا ذلك
وأقبلت الخيرات ترد إليهم من أهل القرى الذين صالحوهم
وإن عمرو بن العاص أراد أن يبعث رسولاً إلى صاحب مصر
وكان له غلام من أهل الرملة يقال له وردان وكان
يحفظ بسائر لغات الروم ولغة القبط فقال له عمرو رضي الله
عنه يا وردان أنت تحفظ بلغات القبط وإني أريد أن أنذرك
رسولاً إلى هاؤلاء القبط فقال له يا مولاي أنا بحكمك
ما أخالف لك قولاً فقال عمرو وإني أريد أن أكتب
معك كتاباً إليهم فهم بذلك وإذا برسول رسطوس
قد أقبل ووقف على شفير الخندق وقال يا معشر
العرب إن ولي عهد الملك يريد منكم أن تبعثوا إليه
رسولاً من عندكم ليخاطبه بما في نفسه ولعل الله سبحانه
وتعالى أن يصلح ذات ما بيننا فجاء قوم من العرب
وحدثوا عمراً بقصة الرسول وما نطق به فقال عمرو
ليزيد بن أبي سفين ولهاشم بن سعد الطائي ولعبد الله
ابن جعفر الطيار وللنعمان بن المنذر ولابن أخته
ولخالد بن سعيد بن وايل السهمي اعلموا أني قد استضربت

على خطاب ملوك الروم ولست أرى من ينصركم مثلي
ولا يخاطب القوم بخطابي ولست أرى من تيسير رسولاً
سواي فإني أريد أن أزور العلوج وأنظر حالهم وما هم
فيه من القوم ولن يخفى علي شيء من أمورهم إذا أنا باشرتهم
فقالوا له يا صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم قوى الله
عزمك ما عهدنا منك إلا النصيحة للدين والنظر في أحوال
المسلمين فافعل ما أراك الله عز وجل قال
فاستدعا عمرو بن العاص بشرحبيل بن حسنة كاتب
وحي رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال يا أبا عبد الله
كن مقيماً بأحوال المسلمين في موضعي هذا حتى أسير
بالرسالة إلى القوم وآتيك بأخبارهم قال
شرحبيل سيروا أرشدك الله وسدد لك ووفقك قال
وإن عمراً لبس ثوباً من كرابيس الشام ومن تحته
جبة من الصوف وتعمم بعمامة سوداء وتقلد بسيفه
وركب جواده وسار غلامه وردان أمامه
وسار عمرو ويريد مصر وليس حولها خندق وإنما
كانت محصنة بالدروب قال فوجد الخيل

والرجال على باب كل درب فتقدم وردان وخاطبهم
بلغتهم فقال يا هؤلاء القوم هذا رسول العرب
إلى صاحبكم كما أمرنا فافسحوا له عن الطريق فقالوا
إنا لا نقدر ندع أحدا أن يدخل إلا بأمر الملك فبينما
وردان يخاطب القوم وإذا برسول الملك رسطودس
قد أقبل وهو الذي جاء يطلب رسولا من أصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان لما وقف على
شفير الخندق الذي حفره المسلمون أصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم وطلب ذلك وقد مضى يوصي
الناس بحفظ الدروب وحفظ منازلهم ودورهم
ولا يدعون أحدا يتقرب إليهم ثم عاد فوجد
عمرا واقفا وغلامه وردان قائم يخاطب القوم
فسلم ثم تقدم وفتحوا لهما الدروب ودخل عمرو
ووردان وساروا القبط أمامهم إلى أن وصلوا قصر
الجمع وإذا بالمواكب مصطفة وأرباب
دولة الملك بالقصر محتفة وقد أظهروا زينتهم
واشتهروا بأسلحتهم وعددهم وقد لبسوا الحسن

الدروع والجواشن وأوتروا القسي والتراكيش
المملوءة بالنشاب وأشهروا السيوف وقد أظهر
عسكر مصر ما أمكنه من القوة قال الواقدي
رحمه الله فلما وصلوا إلى باب القصر وقفوا حتى يستأذنوا
لهم في الدخول قال ودخلوا الحجاب إلى الملك وأعلموه
بأن رسول العرب قد أقبل كما أمر الملك فقال
علي به فدخل عمرو وهو راكب فأرادوا الحجاب
أن يترجلوه عن جواده ويزيلوا سيفه عن عاتقه فقال
ما كنت بالذي أنزل من على حصاني فقالوا له أزل
سيفك هذا عن عاتقك فقال وما كنت بالذي
أزيل عزي عني وإن أمرني صاحبكم أن أدخل
كهذا وإلا رجعت من حيث جئت فإنا قوم أعزنا الله
تعالى بالإسلام ونصرنا بهذه السيوف فلا ننزل
بعد سموّنا ولا نذل من بعد عزنا والله تعالى أعزنا
بنبيه محمد صلى الله عليه وسلم وأنتم الذي طلبتمونا
ولم نطلبكم قال فأعلموا الملك بذلك فقال
دعوه يدخل كيف شاء قال فعادوا إليه وقالوا له

ادخل كيف شئت فدخل عمرو بن العاص على جواده
حتى توسط دار الملك ولاح له باب الملك وسريره
والحجاب قيام امامه وايديهم على مقابض سيوفهم
وقد لبسوا الديباج والاطلس وقد تمنطقوا بالمناطق
المرصعة وتسوروا بالاساور الذهب وتعصبوا بعصايب
الجوهر فلما راى عمرو ذلك تبسم ثم قرا
قوله تعالى وما اوتيتم من شيء فمتاع الحياة الدنيا
وما عند الله خير وابقى للذين امنوا وعلى ربهم
يتوكلون قال وكان قصر الشمع قد بناه
الريان بن الوليد بن ارشلاوس ثم انه خرب
واقام خرابا خمس مائة سنة ولم يبق منه الا اثره
فلما بعث عيسى عليه السلام وانتشرت دعوته
ورفعه الله اليه وافترقت امته فرقا وادعوا فيه
ما ادعوا من الالهية بقول بولص على الله الكذب
تولى مصر ارجانوس بن مقراطيس فبنى القصر
الخراب وهو في وسط قصر الشمع فلما بناه وشيده
بعث الى الحكماء الذين كانوا في برابي اخميم

فلما حضروا او حضر مقدمهم وكان اسم مقدمهم
قرناقس فقال اعلموا انى قد قرات كثيرا من
الكتب التي انزلها الله على انبيائه وصحف
موسى وقد رايت في جميع ما قرات ان الله سبحانه
وتعالى يبعث من جبال فاران نبيا عظيما دينه
الحق وقوله الصدق اخلاقه طاهرة وشريعته ظاهرة
وقد بشر به المسيح عليه السلام فما تقولون فقال
له قرنيالس الحكيم ان الذي قرات هو الصحيح
والقول الذي لا يبدل قال فمتى يكون وقته
ومتى يظهر قالوا لا نعلم ولكن نحن نصنع لك
تمثالا من الحكمة ويكون رصدا ثم نجعله
على اعلا قصرك هذا ونترك وجهه مما يلي كنيستك
المعظمة قال وكان قد بنا كنيسة سماها
ديرباليس معناه بيت العبادة ونجعل تمثالا
ايضا باعلا هيكل الكنيسة ويكون وجهه
مما يلي التمثال الذي باعلا قصرك فاذا جا
وقت بعث هذا الرسول حول كل تمثال وجهه عن

صاحبه ۞ فأما الذي على الكنيسة فإنه عند موت
هذا الرسول العربي يقع على وجهه ويكون موضع ۞
عبادة أصحاب هذا الرسول وإقامة شرعهم ۞ ثم إن
القوم اهتموا في ذلك لوقتهم وأخذوا في عمل
الحكمة وأقاموا التمثالين كما ذكرنا فلما
بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خر كل تمثال
وجهه عن صاحبه فلما قبض رسول الله صلى الله عليه
وسلم سقط التمثال من أعلا هيكل دير إبليس
وهو الجامع اليوم وأما التمثال الثاني فبقي على
حاله بأعلا قصر الشمع فلما دخل عمر على جواده
سمعوا من ذلك التمثال صوتا عظيما ۞ ثم سقط
على وجهه فارتاع الملك رسطوريس لذلك
وارتاعوا أرباب دولته وصلبوا على وجوههم
ودخل الرعب في قلوبهم وقالوا بالقبطية ما
وقع هذا التمثال عند دخول هذا البدوي
إلا لأمر عظيم ولا شك أنه هو الذي يكون
على يديه قلع دولتنا وهو الذي يأخذ ملكنا

قال فأشار الملك إلى حاجبه الكبير ليأمر عمر بالنزول
عن ظهر جواده قال فخاطبه الحاجب فترجل عن جواده
وقعد حيث أخذ المكان ومسك عنان جواده بيده اليسرى
واليمنى على قائم سيفه ونظر إلى ملكهم وزينتهم
والقصر كله مزخرف بالذهب وأنواع الجواهر
فقرأ عمرو رضي الله عنه قوله تعالى ولولا أن يكون
الناس أمة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم
سقفا من فضة ومعارج عليها يظهرون ۞ ولبيوتهم أبوابا
وسررا عليها يتكئون وزخرفا وإن كل ذلك لما متاع
الحيوة الدنيا والآخرة عند ربك للمتقين ثم قال إنكم
تحشرون حفاة عراة غرلا ثم قرأ قوله تعالى كما بدأنا
أول خلق نعيده وعدا علينا إنا كنا فاعلين ۞ فأول
من يكسى يوم القيامة إبرهيم الخليل عليه السلام والله ۞
لتسئلن يوم القيامة عما كنتم تعملون ۞ فاتقوا الله الذي
إليه مصيركم واعلموا أن الدنيا دار زوال وفناء والآخرة
دار البقاء وما أحد من أنبياء الله تعالى إلا وتركوها ولم
يلتفت إليها أما سمعتم ما كان من المسيح عليه السلام ۞

وزهده وفقره كان لباسه الشعر ووساده الحجر ۞
وسراجه القمر وظلاله الشجر وقد سمعتم نبينا صلى الله
عليه وسلم يقول إن الله تعالى أوحى إلى عيسى عليه السلام
يا عيسى نح على نفسك في الفلوات ۞ وعاتبها في الخلوات
وامدد كفيك إلي في الصلوات واستعمل الحسنات ۞
وتجنب السيئات ۞ فإن صنعي بك حسن يا عيسى ابك على
نفسك بكاء من ودع الأهل والأولاد وساد في
الفيافي والبلاد وكن يقظانا إذا نامت العيون ۞
خوفا من أمر لا بد أن يكون ۞ فإذا كان روح الله وكلمته
خوف بهذا التخويف ۞ فكيف يكون المكلف
الضعيف وأول ما تكلم في المهد قال إني عبد الله
أقر لله بالعبودية ۞ فلم تعتقدون فيه بالربوبية ۞
قال بطريرك القبط إن عيسى بن العذراء البتول
مريم القدس سيد لم ينطق بهذا ولم يتلفظ بالعبودية
ولو صح ذلك عندنا لم نعتقد فيه الربوبية قال
عمرو وقد صح ذلك عندنا بقوله تعالى ما اتخذ الله
من ولد ۞ ما اتخذ الله صاحبة ولا ولدا ولا يشرك في

حكمه أحدا ۞ جل عن الصاحبة والأولاد ۞ والشريك
والأضداد ۞ لا صاحبة له ولا ولد ولا شريك له ولا وزير
ليس لأوليته ابتداء ولا لآخريته انتهاء لا يحويه مكان
وهو في كل مكان من غير حلول في مكان ليس بجسم
فيحس ولا بجوهر فيلمس ولا يوصف بالحركات والسكون
ولا بالكيفيات والحلول ولا يجري عليه المنافع والمضرات
جل عن الأولاد والبنات ۞ ثم قرأ أعوذ بالله من الشيطان
الرجيم إن كل من في السموات والأرض إلا آتي الرحمن عبدا
لقد أحصاهم وعدهم عدا ۞ وكلهم آتيه يوم القيامة
فردا قال البطريرك أصح عندكم أن المسيح
تكلم في المهد قال عمرو نعم إنه تكلم في المهد
قال البطريرك هذه فضيلة كبيرة تفضل بها على
جميع الأنبياء قال عمرو بن العاص وقد تكلم
غيره في المهد قال البطريرك من هو الذي تكلم
غيره في المهد قال عمرو بن العاص وقد تكلم جريج
صاحب الأخدود وشاهد يوسف عليه السلام فقال
صاحب جريج وصاحب الأخدود قال البطريرك كيف

كيف كان ذلك قال عمرو كان في بني إسرائيل
رجل يقال له جريج واقفا إذ جاءته أمه فدعته فقال
لا أجيبها أو أصلي قالت اللهم لا تمته حتى تريه
وجوه المومسات وكان جريج في صومعته فتعرضت له

المومسات الزواني

امرأة وكلمته فأبى فأتت راعيا فأمكنته من نفسها
فولدت غلاما فقالت هو من جريج فأتوه فكسروا صومعته
وأنزلوه فتوضأ وصلى ثم أتى الغلام وقال له من أبوك
يا غلام فقال الراعي قالوا نبني صومعتك من ذهب قال
لا إلا من طين وكانت امرأة ترضع ابنا لها
من بني إسرائيل فمر بها رجل راكب ذو شيبة
فقالت اللهم اجعل ابني مثله فترك ثديها وأقبل
على الراكب وقال اللهم لا تجعلني مثله ثم أقبل
على ثديها يمصه قال أبو هريرة رضي الله عنه
كأني أنظر إلى النبي صلى الله عليه وسلم يمص إصبعه
ثم مرت بامرأة تضرب فقالت اللهم لا تجعل ابني
مثلها فترك ثديها وقال اللهم اجعلني مثلها
فقالت ولم ذلك فقال الراكب جبار من الجبابرة وهذه

الأمة يقولون سرقت وزنت ولم تفعل فقال وزير
الملك يا أخا العرب أنطق الله نبيكم بلسان غير العربية
فقال لا قال الله عز وجل في كتابنا وما أرسلنا
من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم فيضل الله من يشاء
ويهدي من يشاء قال الملك أبعث الله نبيا عربيا غير
نبيكم محمد صلى الله عليه وسلم قال عمرو نعم
قال من قال إسمعيل وهود وصالح وشعيب ومحمد
صلى الله عليه وسلم فقال الوزير وكان حكيما
اسمه قيطاس ومعناه بحر العلوم وكان يسكن بدير
القدس فلما ولي نسطورس بن المقوقس أنزله من
ديره وجعله وزيره وكان منجما فقال لعمرو
ابن العاص ما تقول في النجوم وتأثيرها قال عمرو
إن النجوم ليس لها تأثير ولا حكم لأنها مأمورة مستخدمة
لا حكم لها في أمرها فكيف لغيرها نحن لا بد لنا
من معرفة المنازل لأن القمر لا بد له من منزلة يسير
إليها قال الله جل وعلا والقمر قدرناه منازل حتى عاد
كالعرجون القديم فمنها المريخ والزهرة

وعطارد والمشتري وزحل والشمس والقمر والأبراج
اثني عشر برجا أولها الحمل والثور والجوزا
وعطارد والسرطان والأسد والسنبلة والميزان
والعقرب والقوس والجدي والدلو والحوت
فمن قال بالقطع والتأثير فقد خرج من شرع نبينا
ومعنى قولنا القطع والتأثير أن النجم لا بد أن ينزل
الغيث ويكون الغلا والرخص ويرخص السعر وتجدب
البلاد فهذا علم ما خص الله به أحدا إلا أن الله تعالى
بين لعباده أنه إذا التقا هذا النجم مع هذا النجم
يكون اقترانا وانعكاسا لصاحب ذلك النجم فقد
يجوز وقد لا يجوز ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم
من صدق كاهنا أو منجما فقد كفر بما جاء به أبو القاسم
وقال عليه السلام إذا غامت شامية يعني سحابة ثم
فتلك عين غديقة يعني إذا أقبلت السحاب من قبل
الشام إلى المدينة يكون المطر وكذلك البرق
إذا كان من قبل اليمن يقولون هذا برق خلب
يعنون لا مطر فيه ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم

أصبح في الناس مؤمن وكافر من قال برحمة الله مطرنا
فهو مؤمن بالله كافر بالكواكب ومن قال
بالكوكب الفلاني مطرنا فهو كافر بالله مؤمن
بالكواكب ثم قرأ عمرو رضي الله عنه قوله عز وجل
إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في
الأرحام وما تدري نفس ماذا تكسب غدا وما تدري
نفس بأي أرض تموت إن الله عليم خبير فلما سمع
الوزير ذلك ورأى فصاحته قال بالقبطية للملك
رسطودس أيها الملك إن هذا البدوي فصيح اللسان
جري الجنان وقد حزرت أنه مقدم العرب وصاحب
الجيش النازل علينا وفي بلدنا فلو قبضت عليه لانهزم
أصحابه عنا قال وغلام عمرو وردان يسمع ذلك
من الوزير وهم يظنون أنه لا يفهم ما يقولون بلسان
القبطية فقال الملك لوزيره إنه لا يجوز للملك
أن يغدر برسول ولا سيما نحن استدعيناه إلينا فقال
وردان لعمرو ما لي أراك فزعا مرعوبا أتظن أن الملك
رسطودس يريد قتلك وأنت في أمانه ولو أراد ذلك

لما أجابوه قومه فلما سمع عمرو كلام غلامه وردان وعلم
نجواه وأنه يحذره فالتفت إليه عمرو وكلمه بما يعلمه أنه
قد علم ما قال وأنه سيكافيه إن خلص ثم قرأ قوله
تعالى هل جزاء الإحسان إلا الإحسان فقال الملك
رسطورس يا أخا العرب ما الذي تريد منا ونحن أولوا
قوة وأولوا بأس شديد وما قصدنا أحد إلا رجع بالخيبة
والنوبة تسمع منا والبجاة تنصرنا وقد وجهت إليهم وكأنكم
بهم قد أقبلوا نحونا قال عمرو إنا لا نخاف من الجيوش
وكثرتها والأمم وقبائلها لأن الله تعالى وعدنا
النصر في كتابه وأنه يورثنا الأرض بعد من سكنها
فقال تعالى ولقد كتبنا في الزبور من بعد
الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون ۞
ونحن ندعوكم إلى شهادة أن لا إله إلا الله وحده
لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله فإن أبيتم
عن ذلك وغلبت عليكم الشقوة فتؤدون الجزية
وأنتم صاغرون وإن أبيتم فأذنوا بحرب من الله ورسوله
فلما سمع بذلك الملك قال يا أخا العرب اعلم أننا لا ۞

يمكننا أن نعمل إلا برأي الملك المقوقس ولكن يا أخا
العرب ما أظن في أصحابك أحدا مثلك أجرى منك جنانا
فقال له أنا أكل أصحابي لسانا وفيهم من لو كلمته
لعلمت أني لا أقاس به قال له الملك من المحال أن يكون
في أصحابك ولا واحد مثلك قال بلى أيها الملك وعشرة
فإن أحب الملك أن أبعث إليهم ليحضروا ليعلم ذلك قال
الملك افعل نعم قال لوزيره بالقبطية إن أردنا
القبض على هذا الرجل في العشرة بعده أولى وأحق من واحد ۞
ثم قال له لعلم وابعث إليهم حتى يحضروا إليك فقال
أيها الملك إنكم لا تؤتون برسول فإن أردت سرت
إليهم وأتيتك بهم فقال الملك افعل ذلك
ولا تبطئ علي فوثب عمرو قائما مبادرا وقال الملك
وحق ديني لئن أتاني بهم لأقتلنهم وهو معهم فقام
عمرو وأسرع في خطاه فلما خرج من مصر وأبعد
عنها قال لوردان غلامه والله لا عدت إلى مثلها
أبدا ۞ فلما وصل إلى الجيش أقبلت الصحابة
إليه يسلمون عليه ويقولون والله يا عمرو لقد أسأت

بك الظنون فأقبل يحدثهم بأمره وكيف حدث وردان
وأنه ضمن للملك أن يأتيه بعشرة من أصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم فتعجب القوم من ذلك وعظم عليهم
وحمدوا الله على خلاصه وكان قد أقبل الليل
فلما أصبح صلى عمرو بالمسلمين صلاة الفجر وأمر الناس
بالتأهب للحرب فأخذ الناس على أنفسهم وإذا برسول
الملك رسطورس قد أقبل ووقف أمام عمرو وقال
الملك ينتظرك وينتظر العشرة من أصحابك فقال
عمرو إن الغدر يهلك بأهله وإن على الباغي تدور
الدوائر يا ويلكم أيعتقد صاحبكم يطلب منا رسولا
فلما أتيته أراد أن يقبض علي وتكلم بكذا وكذا
ويلك من الذي يحميك منا إن أردنا قتلك ولكننا لا
نفعل ذلك لأننا نوفي بالوعد ولا ننقض العهد امض إلى
صاحبك وقل له إني سمعت ما قد هممت به بالأمس من
غدرك وإنك أردت قتلي وقد نجاني الله منك ومن
كيدك ومكرك وما كنت بالذي أرجع أبدا في
أيديكم أبدا قال ابن إسحق رضي الله عنه

هكذا جرى له مع ملك القبط رسطورس وكان عمرو إذا ذكر
ذلك من الغدر به وربما حلف وكان يقول لا والذي
نجاني من صاحب القبط قال وإن الرسول عاد إلى الملك
وأخبره بما قال عمرو وأنه قد فطن لما أردت من القبض
عليه وما كان من حديثك مع الوزير فقال الملك
ومن أين لهذا أن يحفظ بلغتنا وهو بدوي فقال
الرسول أظن الذي كان معه يحفظ بلغتنا فقال
الملك لوزيره قيطلس ما الذي ترى وكيف ندبر
في أمر هاؤلاء القوم فقال أيها الملك اعلم أن هاؤلاء
القوم مستيقظون لأنفسهم لا يكاد لأحد أن يصل
إليهم بغدر ولقد بلغني أن للقوم يوما يعظمونه كتعظيمنا
يوم الأحد وهو عندهم يوم الجمعة أرى لك من الرأي
أن تكمن لهم كمينا مما يلي جبل المقطم فإذا أخذوا
في صلاتهم وشغلوا بها خرج عليهم الكمين ويضع
السيف فيهم فأجابه إلى ذلك وأقام ينتظر ليلة
الجمعة ليبعث الكمين قال وإن عمرو بن العاص رضي الله
عنه لما تخلص من بين الملك رسطورس وصل إلى

إلى عسكره وادعانا بيوقنا إليهم فقال له يا عبد الله قد صار
هذا الخندق حولنا ونحن ننتظر الحرب من أعدائنا وليس لنا
زاد نرجع إليه وأريد منك أن تسير إلى القرى التي صالحنا
أهلها وتشتري لنا منهم طعاما وعلفا فليس لنا من الزاد
ما يقوم بأودنا ولا علف لخيلنا فقال يوقنا أنا أفعل
ذلك إن شاء الله تعالى ثم ركب في بني عمه ومن تبعه
وساروا يطلبون الريف واختلط بهم جواسيس
الملك وسمعوا بجميع ما تحدثوا به ثم انفصلوا منهم ورجعوا
إلى الملك وحدثوه بما سمعوا من يوقنا وأصحابه ففرح
الملك ودعا بابن عمه أرسيوس وهو المقدم على جيوش
مصر وقال له اختر من جيشنا أربعة آلاف فارس وأمرهم
أن يكمنوا بالليل قبالة الجبل المقطم وليكن لكم
ديادبة عليهم فإذا رأوهم وهم في صلاتهم يحملون
عليهم ففعل ابن عمه أرسيوس ذلك فلما كان
ليلة الجمعة أمرهم المقدم أن يركبوا ويمضوا نحو الجبل
من نحو مغارة السودان وهو بعيد عن عسكر الصحابة
لا يعرف بعضهم أحدا وأخذوا معهم بغالا وردوا عليها

الجمال

الجمال وقال إذا أشرفتم عليهم فقدموا الدواب بين أيديكم
فإذا نظروكم يظنونكم أصحاب هذا البطريق الذي
قد مضى إلى العلوفة يوقنا فيطمئنون إليكم فإذا لاحقتموهم
احملوا عليهم قال ففعلوا ما أمرهم به قال حدثنا عمار بن
وهب عن سعيد بن عاصم عن سليمان بن نوفل عن عروة عن
جابر عن ابن إسحق الأموي قال هكذا دبر عليهم القبط
وإنهم مسكوا من ناحية الحمرا إلى تل النور وهو اليوم
مسجد موسى ابن عمران عليه السلام وساروا من وراء
الجبل وليس بين الجبل ومجرى الماء إلا دون نصف
ميل قال ابن إسحق فلما كان يوم الجمعة
وقربت الصلاة صنع العسكر ولقتا بعضها فوق بعض وأخذ
الناس في الاجتماع إليه حتى يعظهم ويزيد رأيه في
قتال القوم وكيف يكون أمرهم وليس عنده
خبر من كمين أعداء الله بالقرب منهم فبينما هم
ينظرون وقت صلاة الجمعة وهو يشاور المسلمين
فيما يصنع فقال له سعيد بن زيد بن نوفل العدوي
رضي الله عنه ما الذي يمسكنا عن لقاء عدونا وما فتح الله

الشام وبلاده على أيدينا إلا بالحزم والجد والعزم الذي فينا وما
جئنا لنتفرج على مصر ونيلها وإنما جئنا لنجاهد في الله
حق جهاده فالجهاد أوفى تجارة للمجاهدين قال الله
جل ذكره يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على
تجارة تنجيكم من عذاب أليم تؤمنون بالله ورسوله
وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ذلكم
خير لكم إن كنتم تعلمون قال عمرو يا زيد
والله ما تأخرنا عن حرب القوم وقتالهم لجزع ولا
لفزع ولكن لأشاوركم في الأمر ولنتبع في
ذلك ما أمر الله به رسوله صلى الله عليه وسلم حيث
قال جل وعلا وشاورهم في الأمر فإذا عزمت
فتوكل على الله وأنا راعيكم وكل راع مسؤول
عن رعيته وقد علمتم قصة هذا الملك وما هو عليه
من حصافة العقل بالدين وهو معترف بنبوة نبينا محمد
صلى الله عليه وسلم وهو في خلوته التي استنسقها
لنفسه في هذا الشهر المعظم وقد بقي منه خمسة أيام
ويظهر إلى سرير ملكه ثم نبعث إليه رسولا ونرى

ما

380

ما يكون من جوابه فإما صلح أو قتال قال حدثنا ورقة
ابن عبد الله عن سلمان بن عوف عن جدي شداد بن أوس
قال لي يا بني فبينما نحن نتسمع ما يقول عمرو وسعيد
ابن زيادة إذ أقبل رسول اللعين نسطورس بن المقوقس
ووقف على شفير الخندق واستأذن عليهم فأذنوا
له بالوصول إليهم بعد أن رموا خشب الأرض ليسير به
لأن الخندق وإنما كفاهم من ناحية مصر وبهضابه أما
مما يلي الجبل المقطم فلا فلما وقف الرسول
سلم وقال يا معشر العرب إن الأمير عظيم القبط يسلم
عليكم ويقول إني لا أقدر أن أحدث حدثا من صلح
وغيره إلا بإذن الملك وهو كما علمتم في خلوته
في بيعته ولم يبق له إلا خمسة أيام ثم يجلس على سريره
ليدبر أمر رعيته لما قد شاء فقال عمرو وقد عرفنا
ذلك ولولا الملك وما نعلم من تقيته وأنه معترف
لنبينا صلى الله عليه وسلم بالرسالة لما أمهلناكم
طرفة عين والسلام فمضى الرسول قال ابن ...
إنما بعث اللعين هذا الرسول حتى يكيدنا به ملوك

المسلمين ونطمئنوا اليه ليقضي الله أمرا كان مفعولا ❁
وإذا جاء القضا لن ينفع الحذر وإذا اراد الله بأمر هيا
أسبابه قال وكان المسلمون اطمأنت قلوبهم للرسول
الذي جاءهم وقرب وقت صلاة الجمعة ❁ فقام
وخطب خطبة بليغة حذر من النار ورغب في الجهاد
وشوق إلى الجنة فلما فرغ من خطبته قام ليصلي
بالناس وتقدموا اموا اليهم ليرقبوا مخافة من
العدو أن يكبسهم في صلاتهم قال
جابر بن قبيل ونحن لا نرى أحدا من أهل مصر
يظهر لنا لا فارسا ولا راجلا قال فاصطففنا
خلف عمرو بن العاص للصلاة وليس يبان لنا عدو
نخاف منه ولا نتقي شره فلما أحرمنا وأخذ
عمرو يقرأ وركع وركعنا تبعا له وأومينا
بالسجود إذ أشرف البغال والدواب وعلى
ظهورها الأحمال والعسكر من ورائهم
وهم أهل الكمين الذي كمنهم عدو الله
وهم لهم عدد أصحابنا فلما نظر إليهم موالينا

ظنوا أنهم أصحابنا وقد أقبلوا بالعلوفة ورفعوا أصواتهم بالفرح ❁
وما لوا اجا يوقنا وأصحابه قال ولم يكلمهم العدو حتى لا حفوهم
وضيقوا عليهم وأطبقوا بالحملة على المسلمين وهم في الصلاة في
الركعة الأولى ووضعوا السيف فيهم وهم ساجدون بين يدي
الله تعالى قال والسيف يعمل في لحومهم وما أحد قام من سجوده
وكان آخر صف من المسلمين والذي يليه قوم من اليمن من بجيلة
وفيهم قوم من وادي القرى ومن الطايف ومن وادي نخلة قال
عاد بن عتبة وكنت قد شهدت وقايع الشام وحضرت اليرموك
فوالله ما قتل منا باليرموك ولا في وقعة من وقايع الشام ما قتل
يوم مجرى الحصا من أرض مصر بالحيلة التي دبرها ابن المقوقس
عدو الله علينا قال وما منا والله من انحرف عن صلاته ولا حول
وجهه عن ربه وقد أيقنا بالهلاك عن بكرة أبينا إذ أشرف
علينا يوقنا وأصحابه ❁ فلما نظروا إلى ما حل بالمسلمين صاح
بأصحابه ورمى ما كان على رأسه وزعق ببني عمه وقال
أما والله إنه من قصر منكم عن جهاد عدوه ولم يبذل نفسه
في ذات الله لا بد أن يطالب يوم القيامة وما أرى إلا أن أعداء
الله غدروا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه ونروا من

حولهم وتعلوا السيف فيهم وانحذوا ان ينفلت منهم احد قال
ثم حمل واطبقوا اصحابه عليهم ونظروا الى اعداء الله فردوهم
عن اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يزل القتال
بينهم الى ان فرغ عمرو من صلاته وقام الى جواده وركب
وركب معاذ بن جبل وسعيد بن زيد ويزيد بن ابي سفين
وجميع اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وحملوا على العدو
حملة واحدة طحنوهم بها طحنا قال جابر بن اوس وحلنا
بينهم وبين الوصول الى مصر فوالله ما نجا منهم احد وكانهم
كانوا طيورا وقعوا في شبكة صياد ولما وضعت الحرب
اوزارها هنا المسلمون بعضهم بعضا بالسلامة وشكروا الله
على ما اولاهم من نصره واثنوا خيرا على يوقنا وبني عمه
وافتقد المسلمون قتلاهم فكانوا اربعمائة رجل وستة
وثلاثين ختم الله لهم بالشهادة وكان الاعيان منهم
حمزة بن سالم اليشكري وربيعة بن صابر والمسيب
ابن خويلد ومازن بن عوف ومهند بن غالب ونصر
اليشكري وسابق بن مزيد العجلي وحران بن عمرو
واسامة بن بشر وقيس بن ماجد ويزيد بن عدي وعبد الله
ابن ابي رواحة وطلحة بن ثابت وميسرة بن مقدام ونضر بن
الاخيل مولى عياض بن العاص الطائي وكان فارس الخيل
ومطر بن عيم مياه بن عم ابي بكر الصديق رضي الله عنه
وكامل بن معن ومقدام بن سارية ومعن بن مرشد
ورافعة بن مسروق وجعفر بن دانية باسم امه وهو احد
بني عامر بن صعصعة ومرشد بن شامل ومعمر بن صاعن
ونوفل بن كعانة ورحمة بن علم ونفيل بن ساهم
ورافع بن سهل ومالك بن لقيط والمكرم بن غالب
وعابس بن سمرة وعبد الله بن ماجد ومعمر بن خليفة
واوس بن عياض وسنان بن الحارث وماجد بن مرة ودهمان
ابن عوض وطارق بن الاشعث وحفاف بن معن ووزعنا
ابن جرير ولبابة بن صاعن وسلامة بن ثابت وزاهر بن
مدركة وهياج بن عمر وعطاف بن بدر وساهم بن
الفرح والاحوص بن يربوع وياسر بن مفرج وعبادة
بن يزيد وعلقمة بن دارم والقداح بن مازن وهلال
ابن خويلد والهمام بن عيينة وطراف بن جبيب وكانت
جملة الاعيان ستين رجلا ختم الله لهم بالشهادة فصل

عليهم عمرو وأوتد فيهم في مواضعهم قبلة مجرى الحصا وشرقيًا منه وقبورهم هنالك إلى يوم القيامة رضي الله عنهم وأرضاهم

قال وأتصل الخبر بالملك المقوقس فصعب عليه قتل ابن عمه ورجاله وأيقن بزوال ملكه وادعى ببطارقته وأربابه وثقاته وشاورهم في أمره فقالوا أيها الملك أنت تعلم أن الدنيا ما دامت على أحد ممن كان قبلك حتى تدوم عليك وما زالت الملوك تنكسر ثم تعود تكسر وما أنت بأول من انهزم من ملوك الأرض وقد سمعنا أن دارا بن دارا بن أزدشير بن كنعان بن يزدجرد الفارسي هزمه الإسكندر الرومي سبعين مرة فاخرج إلى لقاء القوم واضرب معهم مصافًا ولا تيأس من النصر وها ولاء القسوس والرهبان والشمامسة والمطران يدعون لك بالنصر فعول على قتال المسلمين وفتح خزاين أبيه وفرق في الجند وأعطاهم من السلاح وبعث إلى شباب المحلات وأمرهم بالخروج معه إلى قتال المسلمين وبعث فيستنجد بملك النوبة وملك البجاوة وأقام ينتظر قدومهم

قال حدثنا محمد بن إسحق القرشي عن عقبة بن صفوان بن

ابن عمرو وعن عبد الرحمن بن جبير عن أبيه قال لما كان المسلمون ما ذكرنا من الأمر المقتدر عليهم من كبسة العدو ومن قتل منهم من المسلمين كتب عمرو بن العاص كتابًا وشرح فيه ذلك جميعه إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول في الكتاب بسم الله الرحمن الرحيم والعاقبة للمتقين من عمرو بن العاص بن وايل السهمي عامل الجيش بمصر إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب سلام عليك فإني أحمد الله الذي لا إله إلا هو وأصلي على نبيه المصطفى صلى الله عليه وسلم أما بعد فإني وصلت إلى مصر سالمًا وجرى لنا على بلد تسمى بلبيس مع ابنة المقوقس كذي وكذي ونصرنا عليهم وارتحلنا منها إلى مجرى الحصا وخندقنا حولنا خندقًا اقتداء بنبينا صلى الله عليه وسلم وقد كمنت صالحت قوم من الأطراف بموضع يقال له الحوف حتى يعينونا على عمارة الأرض ويجلبوا الطعام إلينا وإني بعثت عبد الله يوقنا ليشتري لنا طعامًا منهم ومضى في خيله وهربت بنفسي رسولًا لمخاطبة القوم وهموا لنا بالقبض علي فنجاني الله تعالى منهم وإنهم كمنوا لنا كمينًا من الليل وأشغلونا

برسول منهم وإلهم كمنوا الكمين من أجل جبل المقطم
فلما استوت صفوفنا للصلاة حملوا علينا ونحن على صلاتنا
ولم نشعر بالقوم حتى خالطونا وبذلوا سيوفهم فينا وقتلوا
منا أربعمائة وستة وثلاثين رجلا وأما الأعيان من القبائل
فستون رجلا ختم الله لهم بالشهادة ثم وأيدهم بالسعادة
ونحن الآن في بحر متلاطم أمواجه من كثرة القوم
فأنجدنا يا أمير المؤمنين لتداركنا بعسكر من المسلمين
ليعيننا على قتال الكافرين والسلام عليك وعلى جميع
المسلمين ورحمة الله وبركاته وطوى الكتاب
وختمه وسلمه إلى عبد الله بن قرط الأزدي وأمره بالمسير
من ساعته عنا وعبد الله يجد السير على راحلته على
الجادة فقدم المدينة في العشر الأوسط من شوال
سنة اثنتين وعشرين وقيل سنة تسع عشرة من هجرة
رسول الله صلى الله عليه وسلم فأناخ مطيته على باب
المسجد وإذا بأمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه
عند قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
عبد الله بن قرط فأتيت إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب

رضي الله عنه وسلمت عليه وسلمت الكتاب إليه فأخذه
وحقق النظر إلي وقال يا عبد الله قلت نعم يا أمير المؤمنين
قال لي من أين أتيت قلت من مصر من عند عمرو بن العاص
عاملك قال مرحبا بك يا ابن قرط ثم فك الختم وقرأ
الكتاب فلما أتى على آخره قال لا حول ولا قوة إلا بالله
العلي العظيم ثم قال من ترك الحزم وراء ظهره
قصرت عنه فسحات الخطا والله ما علمت عمرا إلا حازم
الرأي صحيح التدبير ضابط الأمر حسن السياسة ولكن
إذا جاء القضى عمي البصر ثم كتب من ساعته كتابا
إلى أمير جيوش المسلمين أبي عبيدة عامر بن الجراح بالشام
يذكر له في الكتاب ما جرى لعمرو بن العاص ويأمره
بأن ينفذ له جيشا عرمرما ونفذ الكتاب مع سالم مولى
أبي عبيدة قال عبد الله بن قرط فأقمت في المدينة يومين
واستأذنت عمر بن الخطاب في المسير فزودني من بيت
المال بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله عمر
ابن الخطاب إلى أبي عبيدة عامر بن الجراح أما بعد
فإن عمرو بن العاص قد جرى له بمصر كذى وكذى

وطلب مني النجدة فمعتد اليه جيشا عرمرما ثم ختم الكتاب
ونفذته مع سالم مولى أبي عبيدة قال عبد الله بن قرط
وأقمت في المدينة يومين واستأذنت عمر وأتى المسير
فزودني من بيت مال المسلمين وكتب كتابا إلى
عمرو بن العاص يقول فيه بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله
عمر بن الخطاب إلى عمرو بن العاص أما بعد
فإني أحمد الله الذي لا إله إلا هو وأصلي على نبيه صلى الله
عليه وسلم وقد بلغني ما جرى عليكم بمصر من غدر
عدوكم وذلك لما سبق في أم الكتاب وكان
يجب عليك يا ابن العاص أن لا تطمئن لعدوك
ولا تسمع منه حيلة وما كنت أعرفك إلا حسن الرأي
والتدبير ولكن ليقضي الله أمرا كان مفعولا
واستعمل النشاط في أمورك ولا تتوانا في مصالح
المسلمين واعلم أن كل راع مسئول عن رعيته فدبر
أمرك ولا تأمن لعدوك واستعمل الحذر جلبابا أمامك
والله ما بات الحازم إلا على حذر ولا كذب خبر
والله تعالى يعيننا وإياك على طاعته وقد نفذت إلى أبي عبيدة

عامر بن الجراح يسير لك جيشا والسلام عليك وعلى جميع المسلمين
ورحمة الله وبركاته والحمد لله خاتم رسول الله صلى الله عليه
وسلم وسلمه إلى عبد الله بن قرط قال عبد الله بن قرط فأخذته
وسرت أجد السير لكنني بعد عشرة أيام بمصر وسلمت
الكتاب إلى عمرو بن العاص فلما قرأه فرح بالكتاب
وقرأه على المسلمين ففرحوا به وأقاموا ينتظرون جيشا
من أبي عبيدة قال حدثني سهل بن عبد ربه عن موسى
ابن عبد الرزاق عن أبي مغراس قال لما كبس جلبس
رمطورس بن المقوقس على عسكر المسلمين [illegible]
ما يسره السوء على أعداء الله وقتلوا عن آخرهم وبلغ الخبر
إلى الملك بكا على ابن عمه أرمسيوس بن قسطيار
ابن راسيل وتطلع بما يعتقد من دينه أنه لا بد
أن يأخذ بثاره من المسلمين ثم أمر حجابه وغلمانه
أن يجمعوا أرباب دولته إليه في الكنيسة المعظمة
في داخل قصر الشمع ففعلوا ذلك فاجتمعوا إليه ونصب
سريره عند المذبح وقام عليه خطيبا وقال يا أهل دين
النصرانية وبني ملة المسيح اعلموا أن ملككم

عقيم ❁ وبلدكم عظيم ❁ وأهله ملأ الدنيا عزة ومن كان
قبلكم قد ملكها عدة ملوك ممن استوى على الأقاليم
وملك الملك العظيم من آل حمير وتبعان والتبعين ول
والحنجان فهو بابلي هذه الإسكندر ومارية بن عثمان
وشداد بن عاد والنعمان بن عاد وذو القرنين الملك
القسطسي وانتقل ملكهم منها ورجع إلى سبا وأرضها
وحضرموت وقصر غمدان ثم ولي على هذه الأرض
القبط من آبائكم وأجدادكم مثل اطليس وتيلوس
والريان بن الوليد الذي استخلص يوسف عليه السلم
لنفسه ثم الوليد بن قيطس المكتي فرعون ثم طنطهاوس
ثم جيلي راعيل ثم أبي المقوقس ❁ وما أحد من ملوك
الأرض إلا يحسدونا على ملك مصر وأهلها ولا العرب
طمعا عنه وليس لله أمة أطمع منهم فإن ذلك وكم
قد كلمتموه وقبلتم عن لقائهم كما طمعوا الحق الكم
كما طمعوا في ملك الشام وأقروا عقلهم ان في
القياصرة فقاتلوا عن أموالكم وحريمكم وأهل
فواحد منكم واعلموا أن الملك المقوقس وقبلنا

أمرني بلقائهما ولا العرب وقال لا تطمعوا إليهم حتى أرى ما
يكون من أمر قومي وأن ولي بعيد ولي إنما قولكم وما الذي
اجتمع عليه رأيكم في أمركم ❁ فقالوا أيها الملك إنما
نحن عبيد هذا الملك وله وعملنا فيها لا نطلق استعبد قاتلنا
بنعمتها وفضلها ونحن نقاتل عنها فإما نرزق النصر من المسيح
وإما نموت على سبيل واحد فشكر قولهم وخلع على
أمرائهم وقال اخرجوا واضربوا مضاربكم ظاهر البلد
واضربوا مصافا فلا معالم الموت وطاولوهم بالقتال إلى أن
تأتينا النجدة من ملك النوبة والبجاة فقالوا نفعل ذلك
أيها الملك ثم خرجوا من عنده وأمروا غلمانهم ❁ أن
يخرجوا لهم الفساطيط والخيام والسرادقات وأن يضربوها
لنا على تل النور والرصد ففعلوا ذلك قال ابن
محمد بن إسحق وفي يومهم ذلك جاءهم الخبر أنه وقع
بين النوبة والبجاة ولم يأت أحد منهم لا يأتي لنصرة
القبط وضرب الملك سرادقه في وسط سرادقات
أمرائه وحجابه قال وأخذ أصحاب رسول الله صلى الله عليه
وسلم على أنفسهم الحذر وأقبل كل واحد من الصحابة

يَحْرِصُ قَوْمَهُ بِالنَّوْبَةِ وَكَانَتْ نَوْبَتُهُ عُمَيْرٌ وَأَوَّلَ اللَّيْلِ يَطُوفُ حَوْلَ الْخَنْدَقِ وَصَوْتُ الْجِبِلِ ✿ وَمُعَاذٌ يَرْكَبُ إِذَا انْتَصَفَ اللَّيْلُ وَجَعَلُوا تِلْكَ النَّوْبَةَ كُلَّ لَيْلَةٍ وَالنُّورُ عَلَى عَسْكَرِهِمْ وَالْإِيمَانُ قَدْ حَلَّ بِصُدُورِهِمْ بِجَلِيدِهِمْ وَأَصْوَاتُهُمْ تَرْتَفِعُ بِذِكْرِ اللَّهِ تَعَالَى وَصَلَوَاتُهُمْ عَلَى نَبِيِّهِمْ قَالَ ابْنُ إِسْحَقَ فَلَمَّا وَصَلَ كِتَابُ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ إِلَى أَمِينِ الْأُمَّةِ أَبِي عُبَيْدَةَ ابْنِ الْجَرَّاحِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَقَرَأَهُ وَعَلِمَ مَا فِيهِ قَالَ لِخَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَا أَبَا سُلَيْمَانَ مَا تَرَى مِنَ الرَّأْيِ فَقَالَ خَالِدٌ يَا أَمِينَ الْأُمَّةِ إِذَا كَانَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَدْ أَمَرَكَ أَنْ تُنْجِدَ عَمْرَو بْنَ الْعَاصِ بِعَسْكَرٍ فَأَنْجِدْهُ فَقَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ يَا أَبَا سُلَيْمَانَ إِنَّ الطَّرِيقَ إِلَى مِصْرَ شَاقٌّ بَعِيدٌ وَإِنْ أَنَا بَعَثْتُ أَخَافُ عَلَيْهِمْ مِنْ بُعْدِ الطَّرِيقِ وَالْمَسَافَةِ وَالْعَطَشِ فَقَالَ خَالِدٌ يَا أَمِينَ الْأُمَّةِ وَكَمْ عَزْمُكَ أَنْ تَبْعَثَ جَيْشًا قَالَ أَرْبَعَةَ آلَافِ فَارِسٍ ✿ فَقَالَ إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى كَفَاكَ مَا تَخَافُ فِيهِ قَالَ وَكَيْفَ ذَلِكَ يَا أَبَا سُلَيْمَانَ قَالَ إِنْ عَزَمْتَ عَلَى مَا ذَكَرْتَ لَكَ فَابْعَثْ أَرْبَعَةً مِنَ الْمُسْلِمِينَ فَهُمْ مَقَامُ

أَرْبَعَةِ آلَافِ فَارِسٍ فَقَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ مَنِ الْأَرْبَعَةُ قَالَ أَنَا أَحَدُهُمْ وَالْمِقْدَادُ بْنُ الْأَسْوَدِ الْكِنْدِيُّ وَعَمَّارُ بْنُ يَاسِرٍ وَمَالِكُ بْنُ الْحَارِثِ النَّخَعِيُّ ✿ فَلَمَّا سَمِعَ أَبُو عُبَيْدَةَ ذَلِكَ تَهَلَّلَ وَجْهُهُ فَرَحًا وَقَالَ يَا أَبَا سُلَيْمَانَ افْعَلْ مَا تَرَاهُ قَالَ فَدَعَاهُمْ خَالِدٌ وَأَعْلَمَهُمْ بِمَا عَزَمَ عَلَيْهِ فَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ قَالَ فَخُذُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ قَالُوا نَحْنُ نَسِيرُ فِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ فَفَعَلَ الثَّلَاثَةُ ذَلِكَ وَتَأَهَّبُوا فَلَمَّا صَلَّى أَبُو عُبَيْدَةَ بِالْمُسْلِمِينَ صَلَاةَ الْمَغْرِبِ وَالثَّلَاثَةُ أَتَوْا إِلَى خَالِدٍ وَوَقَفُوا عَلَى قُبَّتِهِ وَرَكِبَ خَالِدٌ مَعَهُمْ وَوَدَّعُوا أَبَا عُبَيْدَةَ وَالْمُسْلِمِينَ وَأَخَذُوا مَعَهُمْ دَلِيلًا يَدُلُّ بِهِمْ عَلَى الشَّوْبَكِ وَوَادِي مُوسَى ثُمَّ رَكِبُوا وَسَارُوا يُرِيدُونَ مِصْرَ وَلَمْ يَزَالُوا مُجِدِّينَ إِلَى أَنْ قَرُبُوا مِنْ أَيْلَةَ وَإِذَا هُمْ بِخَيْلٍ وَمَطَايَا يَزِيدُونَ عَنْ أَلْفِ فَارِسٍ فَأَسْرَعُوا إِلَيْهِمْ وَإِذَا هُمْ مِنْ ثَقِيفٍ وَطَيٍّ وَمِرْدَاسٍ قَدْ وَجَّهَهُمْ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ✿ إِلَى مِصْرَ مَعَ رِفَاعَةَ بْنِ قَيْسٍ وَبَشَّارِ بْنِ عَوْفٍ فَسَلَّمُوا عَلَيْهِمْ وَرَحَّبُوا بِهِمْ وَاسْتَبْشَرُوا بِخَالِدٍ وَالْمِقْدَادِ

وعمار ومالك وارتفعت أصواتهم بالتهليل والتكبير وساروا
في جملتهم قال حدثني موسى بن يوسف بن يحيى المطسطي عن
دارم بن عدي عن نصر بن ثابت قال كنت في جملة الوفد
الذي بعثه عمر بن الخطاب رضي الله عنه مع رفاعة ومع لبنار
والتقينا بخالد وأصحابه عند عقبة أيلة وسرنا معهم فلما
وصلنا إلى أرض مصر وقربنا منها وبقي بيننا وبينها يومان
وإنا نسير في بعض الليالي وكانت ليلة مظلمة لا
يكاد الرجل أن يتبين صاحبه من شدة الظلام إذ سمعت
حسا بالبعد منا فقال خالد أيكم يا فتيان العرب
يأتينا بخبر هذا الجيش قال نصر بن ثابت وكنت غلاما
نجيبا وكنت راكبا فقفزت من ظهر الراحلة
وسعيت على قدمي وأخفيت حسي إلى أن تبين لي جيش
كبير فلطعت بالأرض وتحققت أمرهم وإذا هم
جيش من العرب يزيد على ثلاثة آلاف فارس وهم
ركاب المطايا والخيل فقلت والله لا عدت إلى أصحابي
إلا بالخبر اليقين قال فاتبعت أثرهم لأسمع
ما يتحدثون به قال فما مشيت معهم إلا مقدار فرسخ

حتى سمعتهم يقولون أما والله المدى أكلكم إنا قد أصابنا التعب
ولحقنا الجهد ومنذ خرجنا من تدمر لم نجد راحة ومصر قد
قربنا منها ولكن انزلوا بنا نأخذ راحة ونريح
مطايانا ونعلف خيلنا وإذا مقدمهم يقول وحق المسيح
ما أتعبنا أنفسنا إلا في طلب الخلع والمال من الملك
ارسطوليس ولكن إذا عولتم على الراحة فانزلوا قال
فنزل القوم على ماء يعرف بالعويد وأقبلوا يجمعون
الشيح وغيره ليصنعوا الزاد وعلقوا على خيولهم
وتركوا إبلهم ترعى قال نصر بن ثابت فعلمت أنهم
من متنصرة العرب من غسان ولخم وجذام وعاملة
وطيء فتركتهم وأتيت إلى أصحاب رسول الله صلى الله
عليه وسلم وحدثتهم بذلك فحمدوا الله كثيرا
وأثنوا عليه وقالوا لخالد يا أبا سليمان ما الذي ترى
من الرأي قال أرى أنكم تركبوا خيولكم
وتلبسوا لأمة حربكم وتسير إلى القوم وتكبسهم
فإنهم قوم ما أتوا إلا بكتاب من صاحب مصر ليستنجد
بهم مع أصحابه فقالوا له افعل ثم لبسوا وتركوا أموالهم

مع المطايا وساروا إلى أن تبين لهم نيران القوم فوقفوا
إلى أن خمدت نيرانهم فعلموا أنهم قد ناموا قال
فتسللوا إليهم كتسلل القطا ودوروا بهم ولا تدعوا أحدا
ينفلت منهم من أيديكم فينذر عليكم عدوكم
قال فداروا بهم كدوران البياض بسواد
الحدق وأعلنوا بالتهليل والتكبير ووضعوا السيف
فيهم فما استيقظوا أعداء الله إلا وقد تحكم السيف
فيهم ووقعت الدهشة في القوم وقاموا وهم نشاوى من النوم
وأقبل بعضهم يقتل بعضا ووقف رافع بن قيس
من البعد منهم ومعه جماعة وكذلك بشار بن عوف
فمن انفصل منهم أخذوه قال فلما أصبح الصباح
رأينا القتلى منهم ألفا ونيفا ممن قتلناهم وأسرنا
منهم خلقا كثيرا فاعرضهم خالد وقال لهم حدثوني
من أين جئتم وإلى أين مقصدكم قالوا إنا قوم
من متنصرة العرب من بني عم جبلة بن الأيهم
الغساني وكنا أصحاب بلاد بالشام وكان
حكمنا على الروم فلما هزم الروم وهرب

الملك هرقل رحلنا من أرض الشام وطلبنا أرض مدين
ونحن على خوف منكم وحذر ولم نزل لمكاسب مما جمعه
مصر الحاكم المقوقس فسألناه أن يأذن لنا أن نكون من أصحابه
ونكون له عونا عليكم فما أجابنا إلى ذلك فخشي كان
الحكم العربية والهدى الجليل وإن يهديه صاحب الأمر
من بعده فهمنا أن نكاتب في بلادنا الآن فأتانا جمعكم
ورسالة بالله خولد إلى مصر فدخلنا نحوهم فوقعتم
علينا قال فلما سمع خالد هذا الكلام منهم تبسم
ضاحكا وقال من خشي من المؤمنين قليبا أو قعد الله فيه أ
تقريبا لقيهم أعرض عليهم الإسلام فأبوا قال نصر بن
ثابت فأمرنا خالد بقتلهم فقتلناهم عن آخرهم
وفتشنا رحالهم فإذا فيها الخلع التي وجهها إليه الملك
أرسطوراس بن المقوقس فأخذها خالد وفرقها على
المسلمين ووجد خلعة منسوجة بالذهب التي كانت تنسج
لمقدم القوم فأعطاها لرافع بن قيس وساروا
حتى قربوا من الجبل ولاح لهم جيش الملك فقال أم
أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فنظر خالد

رضي الله عنه أن رجلا منهم تعجل وهو نصر بن ثابت وقال
اسعى إلى هذا الملك وقل له إن العرب أصحاب مدين
قد أقبلوا لنصرتك قال فمضى الرجل إلى أن قرب
من عسكر القبط فأخذه الحرس وقالوا من أنت
قال أنا جئت أبشر الملك بقدوم العرب لنصرته
قال ابن إسحق فأخذوا نصر بن ثابت وأتوا به إلى
سرادق الملك أرسطوليس واستأذنوا عليه فأذن
لهم فلما وقفوا بين يديه زعقت الحجاب به
أن يسجد للملك قال نصر فوالله ما التفت إلى صياحهم
وهممت أن لا أسجد ولكني خشيت أن تنفر قلوبهم
مني وكان قد صح عندهم أن كل من اتبع
رسول الله صلى الله عليه وسلم ودخل في دينه لا يسجد
لأحد من ملوك الكفر فقلت أسجد وأعقد النية
أن سجودي لله رب العالمين وكنت سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الأعمال بالنيات
ولكل امرئ ما نوى قال فسجدت لله فلما رفعت رأسي
قال لي وزير الملك يا أخا العرب أوصل أصحابك

إلى نصرة الملك فقلت له نعم وها هم في ذيل جبل المقطم
قال فلما سمع الوزير ذلك أمر الحجاب والمماليك أن
يخرجوا إلى لقائهم ويسيرون في جملتهم قال
وركب حجاب القبط وغلمانهم وقادوا الجنائب
وأظهروا زي الفراعنة الأول من المراكيب المرصعة
واللجم المحلاة والتخافيف المنسوجة بالذهب والبراقع
المحبوكة باللؤلؤ قال وركب معهم مقدم
الجيش أرسلاوس القبطي وخلع الملك على نصر بن
ثابت إذ هو صاحب البشارة وسار القوم ليلتقوا بمتنصرة
آل غسان قال حدثنا عسكر بن حسان عن رفاعة
ابن أوس عن موسى بن عوف عن جده نعيم بن مرة قال
كنت فيمن وجهه عمر بن الخطاب رضي الله عنه
من أهل وادي نخلة وكان خالد يحبني ويقربني
لأن أبي كان شريكا للعاص بن وائل السهمي وكان
يسافر له ببضاعته إلى سوق بصرى فلما رأى خالد
أصحاب الملك قد أقبلوا قال لي يا ابن مرة إني أريد
أن أوصيك بوصية فقلت وما هي يا أبا سليمان

فقال إني أعلم أن العدو قد أقبل لا يستقبلنا ليظن أننا من
متنصرة العرب ولا شك أن عمرو بن العاص وأصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم تتشوش قلوبهم منا
ولكن انزل عن فرسك واكمن خلف الحجارة فإذا
خلا لك تسلك نحو المسلمين وحدثهم بأمرنا وما قد
عزمنا عليه من غدرنا بالقوم فإن عمرو لا يطمئن إلى
غيرك لتثبت معرفتك واقرئه سلامي وقل له ليكون
على أهبة وحذر فإذا سمع تكبيرنا يأمر أصحابه أن
يرفعوا أصواتهم بالتهليل والتكبير فإن ذلك مما يزيد
في رعب قلوب أعدائنا قلت نعم أفعل ذلك ثم
ترجلت عن فرسي وفعلت ما أمرني خالد وسلمت فرسي
إلى غلامي دارم وتسببت نحو الجبل وتطيت خلف
الحجارة قال الراوي وإن خالدا أخذ الخلع التي وجدها
عند المتنصرة وفرقها على أصحاب رفاعة بن قيس وبشار
ابن عون وأمرهم أن يلبسوها حتى لا ينكر عليهم ولتطمئن
قلوب القبط من جانبهم قال فلبسوها وأظهروا
عددهم وأسلحتهم وغير خالد زيه وكذلك المقداد

وعمار

وعمار ومالك قال فلما أشرف مقدم جيش القبط
أرسلاوس وحجاب الملك قال لرفاعة بن قيس وليسار
ابن عون وأصحابهما ترجلوا لهم واصقعوا لهم بين أيديهم واحلفوا
بالمسيح والسيدة ولا يغلط أحد منكم فيذكر رسول الله
صلى الله عليه وسلم فيفطن القوم بنا واجعلوا همتكم نصب
أعينكم واتكلوا على الله في أموركم قال ففعل القوم
ذلك وإنهم ترجلوا وصقعوا للحجاب الذي للملك وللمقدم
ودعوا لهم بالنصر قال حدثنا نصر بن عبد الله قال
أخبرنا هبار التغلبي قال لي يا عمرو اعلم أن الله سبحانه وتعالى
إذا أراد أمرا هيأ أسبابه وذلك لما أشرفنا على أول ديار
مصر نزلنا على دير يقال له دير مرقص وكان ديرا
عامرا بالرهبان فلما نزلنا عليه أشرفوا علينا أهله وقالوا
من أنتم فقلنا نحن أصحاب الملك قيصر من ملوك الشام
وقد جئنا نريد نصرة صاحبكم رسطورس فإنه قد
استنصر بنا لأجل هؤلاء المحمديين قال ففرحوا بنا ودعوا
لنا وكان كبيرهم ومقدم ديرهم شيخا كبيرا وكان
من الشام من قسوسها وكان من أعلم القوم في دينهم

ومن أعرف الناس بآل غسان وكانت اللفيكة قد أقطعها
الملك هرقل للهايم بن جبلة وكان قد جعل على جبايته
ولد هذا القس وكان اسمه بولص وإن المسلمين لما فتحوا
بعلبك وحمص هرب هذا القس بأمواله إلى طرابلس
وركب البحر في مركب وتوصل إلى مصر وبلغ خبره للمقوقس
فأحضره وسأله عن حاله وحدثه بأمره فخلع الملك عليه وجعله
قيما في الكنيسة المعلقة التي في وسط قصر الجمع وصار
من أصحاب البابيوس وأقربهم إليه قال والبابيوس
عند القبط هو البطريرك الكبير المقدم في دين النصرانية
وكان يسكن في دير مرقيش وكان لا يدخل البابيوس
إلى مصر إلا لأمر مهم فلما نزل أصحاب رسول الله صلى الله عليه
وسلم على مصر واحتال رسطورس على أبيه المقوقس وسقاه
احتاج إلى رأي هذا البترك فبعث إليه وأنزله في الدير
وولى مكانه هذا اللعين يويكس بن لوقا فكان في الدير
حتى نزلنا عليه قال عامر بن مبارك التغلبي وأشرف
علينا ونظر إلينا وكان أعرف الناس بخالد بن الوليد
لأنه رآه في مواطن كثيرة في الشام مدلس صاحب حمص

قد بعثه رسولا إلى أبي عبيدة حين نزلوا عليهم وصالحوهم في المرة
الأولة قال فجعل يتفقد وجوهنا وينظر إلى لباسنا فقال
وحق المسيح ما أنتم من آل غسان ولكنكم من عرب
الحجاز وما خرجتم من بلادكم قبل هذا إلى أرض غير أرضكم
وكيف لغساني أن يشبه زيكم وهم كانوا ملوكا
وشاركوا الروم في زيهم ولبسوا ثياب الأطلس وركبوا
المراكيب المرصعة وقادوا الجنايب المبرقعة ورفعوا على
رؤوسهم الصلبان من الذهب والفضة ولا شك من المسلمين
أنتم وقد جئتم بحيلتكم لتصلوا بها إلى رسطورس كما
وصلتم إلى القياصرة والهراقلة فإني أرى بينكم الذي
فتح الشام وقتل ملوكه وأباد بطارقته وسوف
أكاتب الملك بقضيتكم ليقبض عليكم قال عامر
ابن هبار فقلت ما عندنا خبر من الذي تقول وقد خيل
لك ذلك أما علمت أن المسلمين ما تركوا لنا شيئا إلا نهبوه
وسلبوه فأصبحنا بعد العز في ذل وبعد الغنى في فقر
وكاتبنا الملك رسطورس أن نكون من جنده وقد
بعث إلينا الخلع وطيب قلوبنا قال فضحك اللعين

مِنْ قَوْلِي وَقَالَ إِنَّ جَمَاعَةَ غَسَّانَ أَكْثَرُهُمْ يَعْرِفُونَ بِلُغَةِ
الرُّومِ فَفِيكُمْ مَنْ يَعْرِفُ بِلُغَتِنَا فَقُلْنَا لَا فَقَالَ وَحَقِّ الْمَسِيحِ
أَنْتُمْ مِنْهُمْ وَقَدْ صَحَّ الْآنَ قَوْلِي عَنْكُمْ وَأَنَّكُمْ مِنْ أَصْحَابِ
مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقُلْنَا يَا وَيْلَكَ لَوْ كُنَّا مِمَّنْ ذَكَرْتَ
مَا كُنَّا نَجْسُرُ أَنْ نَظْهَرَ بِالنَّهَارِ وَكُنَّا نَكْمُنُ نَهَارًا
وَنَطْرُقُ لَيْلًا حَتَّى نَصِلَ إِلَى أَصْحَابِنَا وَلَكِنِ اسْتَغْفِرِ
الْمَسِيحَ إِذْ جَعَلْتَ أُمَّتَهُ مِنْ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
فَهَذَا ذَنْبٌ عَظِيمٌ ثُمَّ نَزَلْنَا بِالْقُرْبِ مِنْهُمْ فَقَالَ
أَصْحَابُ الدَّيْرِ يَا أَبُونَا لَيْسَ هَؤُلَاءِ الْقَوْمُ مِمَّنْ ذَكَرْتَ
وَلَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ لَمَا جَسَرُوا أَنْ يَدْخُلُوا أَرْضَ مِصْرَ فِي
ضَوْءِ النَّهَارِ وَلَا يَطْلُبُونَ الْعِمَارَةَ فَقَالَ وَحَقِّ دِينِي إِنَّنِي
أَعْرَفُ النَّاسِ بِهِمْ وَهَؤُلَاءِ الْقَوْمُ مِنْ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ
صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا شَكَّ فِيهِمْ فَامْتَنِعُوا مِنْهُمْ وَلَا تُخْرِجُوا
إِلَيْهِمْ طَعَامًا وَلَا غَيْرَهُ وَسَأَنْفُذُ إِلَى الْمَلِكِ وَأُعْلِمُهُ بِهِمْ
وَبِأَمْرِهِمْ لِيَكُونَ عَلَى حَذَرٍ **قَالَ** عَامِرُ بْنُ هَبَّارٍ
وَكَانَ مِنْ لُطْفِ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بِنَا أَنَّ الرُّهْبَانَ لَمَّا
سَمِعُوا كَلَامَهُ قَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ إِنْ كَانَ قَدْ عَرَفَهُمْ

هَذَا الْقَسُّ فَيَجِبُ عَلَيْنَا أَنْ نَعْتَقِبَ لَنَا مِنْهُمْ صُلْحًا فَنَكُونَ
آمِنِينَ مِنْ غَائِلَتِهِمْ وَلَا نَبْرَحُ مِنْ دَيْرِنَا فَقَالَ أَكْبَرُهُمْ فِي
السِّنِّ وَالْعَقْلِ إِنْ أَنْتُمْ فَعَلْتُمْ ذَلِكَ فَلَا نَدْرِي مَنْ يَنْصُرُ مِنَ
الْفَرِيقَيْنِ أَصْحَابُنَا أَمِ الْعَرَبُ فَإِنْ كَانَ النَّصْرُ لِصَاحِبِنَا
خِفْنَا مِنْ هَذَا الْقُسَيْسِ أَنْ يُعْلِمَ الْمَلِكَ أَنَّا صَالَحْنَا هَؤُلَاءِ
الْعَرَبَ بِغَيْرِ أَمْرِهِ فَيَقْتُلُنَا وَهَذَا اللَّعِينُ هُوَ عَلَى غَيْرِ مَذْهَبِنَا
وَهُوَ كُلَّ يَوْمٍ يُكَفِّرُنَا لِأَنَّهُ نَسْطُورِي وَنَحْنُ يَعَاقِبَةٌ وَإِنْ
كُنْتُمْ تُرِيدُونَ صُلْحَ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ فَدُونَكُمْ وَالْقَسَّ
فَاقْبِضُوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوهُ لِهَؤُلَاءِ الْعَرَبِ وَخُذُوا مِنْهُمْ أَمَانًا
قَالَ فَفَعَلَ الْقَوْمُ ذَلِكَ وَمَالُوا بِأَجْمَعِهِمْ عَلَى
الْقَسِّ وَقَبَضُوا عَلَيْهِ وَأَشْرَفُوا عَلَيْنَا وَقَالُوا بِحَقِّ مَا تَعْتَقِدُونَ
وَتُشِيرُونَ إِلَيْهِ مِنْ دِينِكُمْ أَنْتُمْ مِنْ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ
صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَمْ لَا فَإِنَّا قَدْ قَبَضْنَا عَلَى هَذَا اللَّعِينِ
وَنُرِيدُ أَنْ نُسَلِّمَهُ إِلَيْكُمْ وَنَأْخُذَ مِنْكُمْ عَهْدًا لَنَا
فَإِنَّا قَوْمٌ لَا نَعْرِفُ الْحَرْبَ وَلَا لَهُ خُلِقْنَا **قَالَ**
مَالِكُ بْنُ الْأَشْتَرِ النَّخَعِيُّ يَا هَؤُلَاءِ الْقَوْمُ أَمَّا مَا زَعَمْتُمْ مِنْ صُلْحِنَا
فَنَحْنُ نُصَالِحُكُمْ وَمَا كُنَّا بِالَّذِي يَخْفَى أَمْرُنَا وَلَا نَرْضَى

بالكذب لأنه أشنع شيء عند العرب ولا سيما أن الإسلام
يمنعنا من استعماله واتباعه ولو أن السيوف على رأس أحدنا
إذا سئل عن دينه إلا أباح به وتكلم بوحدانية ربه
ونحن من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكم الأمان
هذا أمان الله ورسوله صلى الله عليه وسلم قال
فلما سمع الرهبان هذا من مالك الأشتر نزلوا وفتحوا الباب
وسلموه لنا فقال خالد يا عدو الله أردت بنا أمرا وأراد
الله سبحانه وتعالى غير ذلك ثم أعرض عليه الإسلام فأبى
وقال هربت منكم من الشام ثم أوقعني المسيح في أيديكم
فلست أشك في أن المسيح مسلم وأنا كافر بدينكم
فضرب خالد عنقه قال عامر بن هبار وخرج إلينا
أهل الدير بأجمعهم ومعهم الطعام والعلف فأكلنا وأقمنا
عندهم إلى الليل فقال شيخهم الذي أشار بالقبض على
القس الرومي لخالد بن الوليد رضي الله عنه أيها السيد
إني قد تفرست فيك الشجاعة والبراعة فمن أنت من أصحاب
محمد صلى الله عليه وسلم قال أنا خالد بن الوليد
المخزومي فقال الراهب وحق ديني أنت الذي فتحت

الشام وذللت الملوك والبطارقة وإن صفتك عندي ثم
دخل غير بعيد وإذا به قد أقبل ومعه سفط ففتحه وإذا بين
أوراقه صفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه وصفة أبي عبيدة
وصفة خالد والسيف بيده مشهور ثم قال ما زلت أسمع
أخبارك كلها فلم عزلك عمر عن الجيش وولى غيرك
فقال خالد اعلم أن عمر رضي الله عنه هو الإمام
وهو الخليفة ومهما أمرنا فلن نرجع عنه وقد أمرنا الله تعالى
في كتابه العزيز بطاعة أولي الأمر فقال تعالى يا أيها
الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم
وطاعته علينا فرض يحكم بالعدل ويأمر بالمعروف
وينهى عن المنكر ومهما جبيت له من الأموال وفتح الفتوح
المشهورة لم يزل أمره مشكورا ولم يبرح من زهده ولا
عدل طويته ولا آثر الدنيا على الآخرة بل مجلسه على
التراب ولباسه المرقعة ويمشي في سوق المدينة راجلا
التواضع لباسه والتقوى أساسه والذكر شعاره
والعدل في الرعية مناره يتعطف على اليتيم ويرفق
بالأرملة ويجالس المساكين ويرفد أبناء السبيل

قط في دين الله غليظ على أعداء الله قائم بشعائر الله لا يستحيي في
الحق ولا يداهن في الخلق قال القس أكان له هذه
الهيبة على عهد نبيكم قال نعم سمعت سعد بن أبي وقاص
يقول استأذن عمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده
نساء من قريش يكلمنه ويستكثرن عالية أصواتهن فلما
استأذن عمر قمن يبتدرن الحجاب فأذن له رسول الله صلى الله
عليه وسلم فضحك فقال عمر أضحك الله سنك يا رسول الله
قال عجبت من هؤلاء اللواتي كن عندي فلما سمعن صوتك
ابتدرن الحجاب فقال عمر رضي الله عنه فأنت يا رسول الله
كنت أحق أن يهبن ثم قال أي عدوات أنفسهن
أتهبنني ولا تهبن رسول الله صلى الله عليه وسلم قلن نعم
أنت أفظ وأغلظ من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده ما لقيك
الشيطان يوما سالكا فجا إلا وسلك فجا غير فجك وقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم هو سراج أهل الجنة وكان
إسلامه فتحا وهجرته نصرا وخلافته رحمة وقال
عليه السلام جاءني جبريل عليه السلام فقلت يا جبريل

أخبرني عن فضائل عمر في السماء فقال يا محمد لو حدثتك
بما لبث نوح في قومه ما نفدت فضائل عمر وإن عمر حسنة
من حسنات أبي بكر وقال علي بن أبي طالب كرم الله
وجهه ناداني رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت لبيك
يا رسول الله فقال هذان المقبلان سيدا كهول أهل
الجنة من الأولين والآخرين إلا النبيين والمرسلين
لا تخبرهما يا علي قال فلما سمع القس ذلك قال
صلاة نبيكم وبركته رسالته عادت على إمامكم
وعليكم قال خالد رضي الله عنه وما يمنعك الدخول
في ديننا قال حتى يشاء صاحب هذه الخضراء فقال
خالد أردت من صلبان هذا الدير ومن زنانيركم
قال فأخرج له صليب المذبح الذي كان في مذبح
ديرهم وكان من الفضة وصلبانا كثيرة كانت
عنده فأعطاها خالد لرفاعة بن قيس وبشار بن عون
قال وتزيوا بزي الروم الذين قتلوهم من آل
غسان وارتحل خالد بعد أن وكل عليهم عشرة من أهل
وادي القرى لئلا يخرج أحد منهم بأخبارهم ليتقربوا

من الملك بذلك قال فلما أشرف أرسلاوس القبطي والحجاب
عليهم ولبسوا خلع الملك وعلقوا الصلبان وشدوا الزنانير
ورفعوا الصليب الذي أعطاهم الديراني ولما سلموا وصفعوا الحجاب
وساروا إلى سرادق الملك وترجلوا بين يدي سرادق الملك
واستأذنوا عليهم فأذن لهم فدخل رفاعة بن قيس وبشار
ابن عون وخدموا الملك وسجدوا له ولم يدخل خالد ولا
المقداد ولا عمار ولا مالك بل وقفوا مع بقية العرب خارج
السرادق وإن الملك أرطورس قال يا معاشر العرب أنتم
تعلمون محبتنا لكم وتقربنا إليكم وأنتم أهل النجدة
والشجاعة وقد استدعيتكم لتكونوا لنا يدا على هؤلاء
العرب المسلمين فإن نصحتم لنا في دولتنا كنا نحكمكم
وقاسمناكم ملكنا ونعمتنا فقال رفاعة أبشر أيها
الملك سوف تبصر ما نبذله من أنفسنا في القتال
يوم الحرب قال فخلع عليهم وخرجوا من عنده قال
ابن إسحق حدثنا عامر بن أوس قال أخبرنا جرير بن
صاعد عن نوفل بن غانم عن سهل بن مسروق قال
لما قدم الجيش الذي وجهه عمر بن الخطاب رضي الله عنه

من أهل وادي نخلة من وادي القرى ومن الطايف مع رفاعة
ابن زهير ومع بشار بن عون وكان من أمرهم ما ذكرنا
ونظر إليهم عمرو بن العاص ومن معه من أصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم أقبلوا ينظرون إليهم وإلى زيهم فقال
معاذ بن جبل لعمرو بن العاص والله ما هؤلاء من المتنصرة وإن
نفسي تنبأت بهلك فقال عمرو والله يا أبا عبد الرحمن لقد
رأيتها بنور الله تعالى ولقد نظرت إليهم واحدا واحدا
ورأيت فيهم زي أهل وادي نخلة والطايف ووادي
القرى قال شرحبيل بن حسنة كاتب رسول الله
صلى الله عليه وسلم وأحدثكم بأعجب من ذلك
إني رأيت خالد بن الوليد في جملتهم ولاحت لي عمته
وقلنسوته وثيابه التي كانت عليه يوم دخول طرابلس
فقال يزيد بن أبي سفين وأنا والله رأيت مالكا
الأشتر النخعي وعرفته بطول ركابه وقامته على
السرج كأنه البرج فقال عمرو وسنكشف
لكم الخبر إن شاء الله تعالى فلما جن الليل أقبل على
نعيم بن مرة وكان مما يلي الجبل المقطم يحفظ ذلك

الطريق سعيد بن زيد بن نوفل فلما رأى شخصه قصد إليه
وقال من أنت وأوجز قبل أن أعجل عليك فقال مهلاً أيها
الأمير أنا نعيم بن مرة ثم سلم عليه ورحب به وقال من أين
أتيت فقلت له وأوقفته على الخبر كله قال فأخذني
وأتا بي إلى عمرو بن العاص وأصحابه فسلمت عليهم وجلست
بين يديهم وحدثتهم بالخبر كله قال فسجدوا لله تعالى
شكرا وقال بعضهم لبعض اركبوا على بركة الله وأيقظوا
أصحابكم وكونوا على يقظة من أموركم حتى إذا
سمعتم التكبير في عسكر العدو بادروا إليهم على
بركة الله ورسوله قال ففعل القوم ذلك قال
ابن إسحق ولله في خلقه تدبير وهو على ما يشاء قدير
وذلك أنه لما جن الليل جمع الملك رسطورس بن
المقوقس الحجاب والأمراء وقال لهم قد ضاق صدري من
هاؤلاء العرب وقد غلا السعر عندنا لأنهم قد أمنوا
البلاد والفلاحين وأهل القرى وخيلهم تضرب
إلى الريف والصعيد من هذا الجانب والنوبة والبجاة
ما نصرنا منهم أحد وقد وقعت الفتنة بينهم والرأي

عندي أني أناجز هاؤلاء المسلمين الحرب صبيحة غد فقالوا أيها
الملك هذا هو الرأي فقال الملك اخرجوا وفرقوا العدد
على أجنادكم قال فخرج القوم من عنده وليس عنده
خبر بما جرى في قصره قال ابن إسحق وكان من حسن
تدبير الله تعالى وصنعه الحسن الجميل لعباده المؤمنين أنه
كان للمقوقس أخ من أبيه عاقل لبيب وكان اسمه
أرجانس وكان يحب المقوقس والمقوقس يحبه أيضا ولا
يقطع أمرا دونه وكانا إذا ركبا في الموكب لا يتفرقا
وإذا جلسا على السرير جلسا معا وكان المقوقس في خلوته
التي ذكرنا وكان أخاه من محبته له رتب هناك
من يرقب الملك المقوقس ليعلمه بخبر وجه من خلوته
فلما كانت هذه النوبة واستبطا خبر أخيه المقوقس وخروجه
أقبل إلى رسطورس بن أخيه فوجده على السرير قال
ما فعل الملك فقال إنه في خلوته وقد رأى أن طالعه
ضعيف مع هاؤلاء العرب وقد أمرني أن أكون مكانه حتى
يرى ما يدبر في قتالهم أو صلحهم قال فكتم أرجانس
الأمر في نفسه وعلم أن أخاه قد قتله ولده وكان

أرجاليس أيضًا ممن يعتقد في نبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم
ويعلم أن دعوته لا بد أن تطبق الأرض من الشرق إلى الغرب
وأن الملوك تضمحل في أيام أصحابه ويستولون على البلاد
فترك أرجانوس الأمر موقوفًا ولم يبد ما في نفسه لأحد
فلما خرج رسطورس مع العسكر إلى قتال أصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم مشى بالليل إلى منزل من ترك
ابن أخيه من الحجاب والأمراء على قصر الجمع ليحفظونه
وقال لهم اعلموا أن العقل هو قوام ابن آدم لأن الله تعالى
قد خصه به دون المخلوقات كلها وهذا الملك أخي
قد قتله ولده ولا محالة إذ كان مشفقًا عليكم ومدبرًا
لكم واعلموا أن هؤلاء العرب قد كان ملك قيصر أعتى
من ملككم وما ثبت بين أيديهم وليس بينكم وبين
دولتكم أن تزول وتضمحل إلا أن يلتقي الجيش بالجيش
وإن ظفروا بكم العرب قتلوكم ونهبوكم وسكنوا
مساكنكم وأيتموا أولادكم قالوا له أيها الملك
فما الرأي في ذلك قال أرى من الرأي تستيقظون
على أنفسكم وتستوثقون لأنفسكم وتغلقون

ابواب

أبواب القصر ولا تدعون أحدًا يعبر إليكم من جند الملك
ولا هو بنفسه فإنه لا يقدر أن يقاتلكم والعرب من ورائه
وإنه يعبر إلى الجانب الغربي ويدخل إلى الإسكندرية
وبعد ذلك نتعقب لنا صلحًا من هؤلاء العرب على أنفسنا وأموالنا
وأهلنا وحريمنا ونسلم لهم بعد ذلك فمن أراد أن يتبعهم
ومن أراد أعطاهم الجزية **قال الراوي** فاستصوبوا
رأيه وقوله وعلموا أن الحق معه وكان أرجانوس ترك
في مماليكه ورجاله ألفي فارس فاحتوى على قصر الملك
وأخذ الخزائن والأموال وغلق أبواب قصر الجمع وصعد
الرجال على صوره وليس عند الملك بن المقوقس من ذلك
خبر إلى أن مر من الليل ربعه فجاءه بعض خدمه وحدثه
بقصة عمه أرجانوس وما صنع فأيقن بتلاف ملكه
وخروجه من مصر من يده فبينما هو في حيرة من أمره إذ كبر
خالد بن الوليد من وسط العسكر وسمع عمرو بن العاص
وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم التكبير فكبروا
ووقعت الحملة على الكفار وعمل السيف فيهم فلما
نظر رسطورس إلى ما حل بهم وقد كبسه العسكر الذي

هو فيه فلم يكن له إلا أنه ركب وداروا حوله الحجاب
والأمراء ۞ فأمر خدمه أن يأخذوا الخزانة والأموال
ويعبروا إلى الجانب الغربي ويطلبون الإسكندرية ففعلوا
ذلك ولم يزل واقفا حتى عبرت الخزانة والمطبخ ورأى
الغلبة على عسكره فطلب نجاة نفسه ولم يزل
يتخرق مصر حتى عبر على الجسر الأول واخترق الجزيرة
إلى الجسر الثاني وسار يطلب مدينة ترنوطا
ومدينة بن لوط والإسكندرية ونزل عليها ۞
المرمدان الساقي في ثلاثة آلاف فارس قال
وصاح الصايح أن الملك قد انهزم وما ثبت أحد
من عسكره ووصلوا منهزمين والسيف يعمل في أقفيتهم
ونصر الله أصحاب نبيه صلى الله عليه وسلم قال
ابن إسحق وحدثني من أثق به أنه قتل في تلك الليلة
من عسكر القبط خمسة آلاف نفر وغنم المسلمون
خيامهم وما كان فيها من الأموال فلما أقبل الصباح
أقبل خالد وعمار ومالك يسلموا على عمرو بن العاص
وعلى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهنا بعضهم

بعضا ثم قاموا من تجر الحصا ودخلوا مصر وملكوا دورها ونزلوا
على قصر الجمع فأشرف عليهم أرجانوس بن راعيل أخو المقوقس
وقال لهم يا فتيان العرب اعلموا أن الله سبحانه وتعالى
قد أيدكم بالنصر وقد فعلت في حقكم كذى وحدثهم
بما كان فعله ولولا حيلتي على ابن أخي ما كان انهزم
منكم وقد أتيتم الآن ونحن نسلم إليكم على شرط
أن لا تتعرضون علينا ولا تمدوا أيديكم إلينا بسوء ومن
أراد أن يتبعكم يتبعكم فكلمه معاذ بن جبل رضي الله
عنه وقال إن الله تعالى نصرنا على الكفار بصدق نياتنا
وصالح أعمالنا واتباعنا الحق وإنا ما قلنا قولا إلا وفينا
به ولا استعملنا غدرا ولا مكرا ولكم الأمان
على أنفسكم وأموالكم وحريمكم ومن بقي
منكم على دينه فلن نكرهه ومن اتبع ديننا كان
له ما لنا وعليه ما علينا ۞ فلما سمع أرجانوس ذلك
نزل إليهم بالمفاتيح فأمنوه وأمنوا من كان معه في قصر
الجمع ۞ وجمعوا مشايخ مصر ومقدميها وقالوا لهم إن الله
قد نصرنا عليكم وقد انهزم ملككم منا وأنتم في قبضتنا

وقد صرتم مما ليكنا فمن اسلم منكم قبلناه ومن ابا
استعبدناه فقالوا ايها الامير ما هكذا سمعنا عنكم
قال وما الذي سمعتم قالوا سمعنا عنكم ان الله سبحانه
وتعالى اسكن الرحمة في قلوبكم وانكم تعفون
عن من ظلمكم وتحسنون الى من اساء اليكم وانت
تعلم اننا قوم رعايا مأمورة علينا ولو كان الامر الينا
لا تبعناكم بانفسنا فارفقوا بنا وانظروا الى حالنا
فقال عمرو لاصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
ما ترون من الراي في امر هؤلاء القوم فقال شرحبيل
ابن حسنة تصنع ما اراد الله من العدل فيهم وتحسن اليهم
وتطيب قلوبهم فانك لم تملك غير هذه المدينة وهذا اقليم
عظيم فاذا سمعوا اهل البلاد بصنعك سلموا اليك البلاد
دون منازعة ولا حرب ولا قتال قال معاذ وخالد
والمقداد ومالك وعمار وربيعة بن عامر ويزيد
ابن ابي سفيان القول الذي قاله كاتب رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال عمرو لاهل مصر قد
امناكم على انفسكم واموالكم وحريمكم

ومنا

ومننا عليكم وقد هدرت عنكم جزية هذه السنة وفي السنة
الثانية آخذ منكم الجزية من كل راس اربعة دنانير ممن
يبلغ الحلم ومن اسلم منكم قبلناه قال فلما سمع ارجانوس
ابن راعيل كلام عمرو قال والله انصفت وبهذا نصرتم
وقد وقفت الآن على صحة دينكم وانا اشهد ان لا اله الا
الله وحده لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله واشهد
ان كل ما ترك ابن اخي من الاموال والاحوال والثياب
هدية مني اليكم جزاء بما فعلتم باهل بلدي قال
فلما نظروا اهل مصر الى ارجانوس اسلم وامن دخل اكثرهم
في الاسلام وعمد عمرو رضي الله عنه الى كنيستهم
فصنعها جامعا وهو جامع عمرو وبه يعرف وعول
ان يتبع رسطورس حيث اخذ وجمع من معه وجمع
الاموال التي اخذها من خيام القبط المنهزمين ومن
منازلهم وما اخذ من قصر الملك واخرج الخمس لامير
المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه واعطى كل
ذي حق حقه ثم كتب كتابا الى امير المؤمنين عمر بن
الخطاب رضي الله عنه يخبره بفتح مصر وما كان من

أمرهم وبعث الكتاب والخمس مع محكم بن سارية أو علم بن سارية
بمن معه وضم إليه مائة فارس وأمره بالمسير إلى المدينة
الشريفة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام قال
فتسلم علم مال الخمس وسار ومن معه بعد أن أخذ الكتاب
حتى أتى مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم فسلم الكتاب
والمال إلى عمر بن الخطاب فلما قرأ الكتاب وعلم مضمونه
سجد شكرا لله تعالى ثم رفع رأسه وقرأه جهرا ثم
أمر بالمال إلى بيت مال المسلمين فقال علم بن سارية
أو محكم بن سارية يا أمير المؤمنين إن عمروا يسلم
عليك ويقول لك إن الكفار كانوا إذا أبطأ عليهم
النيل يأخذون جارية ويزينونها بأحسن زينة
ويرمونها في النيل فيأتي الماء فكتب أمير المؤمنين
عمر بن الخطاب رضي الله عنه بسم الله الرحمن الرحيم
من عبد الله عمر بن الخطاب إلى نيل مصر أما بعد
فإنك مخلوق مأمور لا تملك لك نفعا ولا ضرا فإن
كنت تجري بحولك وقوتك فانقطع فلا حاجة لنا بك
وإن كنت تجري بحول الله وقوته فاجر كما كنت

والسلام ثم كتب إلى عمرو بن العاص أما بعد
سلام عليك فإني أحمد الله الذي لا إله إلا هو وأصلي
على نبيه صلى الله عليه وسلم فإذا وصل إليك كتابي هذا فاطلب
أعداء الله حيث كانوا من البلاد وإياك أن تلين لهم جانبك
وانظر في أحوال الرعية واعدل فيهم ما استطعت واطلب
العفو من الله تعالى بالعفو عن الناس وأجري الناس على قوانينهم
وقرر لهم واجبا في دواوينهم واعف الرسوم العاتية
بالعدل فإنما هي أيام تمضي ومدة تنقضي فإما ذكر جميل
وإما خزي طويل والسلام ثم سلم الكتابين إلى علم بن سارية
وأمره بالمسير فسار ومن معه حتى قدم مصر وسلم الكتابين إلى
عمرو بن العاص رضي الله عنه فأما كتابه فقرأه على المسلمين
وأما الكتاب الثاني فإنه رماه في النيل وقد انقطع أياس
الناس من الزرع في سنتهم وانثنى عمرو راجعا فما أصبح إلا
والنيل قد أقبل كالبحر العجاج وسد الأرض قال حدثنا
محمد بن يحيى عن سالم بن عدي عن حجاج بن عاصم عن يحيى بن
سالم عن عويلم بن عوف قال فلما بلغنا أن عمرا افتتح
مصر وأقبل إلى كنيستهم المعظمة وجد في مذبحها

بيتا مقفلا ففتحه واذا فيه صورة من الفضة وامام الصورة شخص اخر
في يده ازلام وهي على صفة الصورة التي وجدها النبي صلى الله
عليه وسلم في الكعبة حين فتح مكة فدعى عمرو بالاقسة
وقال ما هذه الصورة فقالوا هذه صفة ابرهيم عليه السلام
وابيه فتبسم عمرو وقرا قوله تعالى ما كان ابرهيم
يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وما كان
من المشركين فقال معاذ بن جبل لما قدمت من اليمن
سمعت ابا هريرة رضي الله عنه يقول سمعت رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقول يلقى ابرهيم عليه السلام اباه آزر يوم القيامة
وعلى وجه آزر قترة وغبرة فيقول له ابرهيم الم اقل لك
لا تعصني فيقول له ابوه اليوم لا اعصيك فيقول ابرهيم يا رب
انك وعدتني انك لا تخزني يوم يبعثون فاي خزي اخزى
من هذا فيقول الله عز وجل اني حرمت الجنة على الكافرين
ثم يقول يا ابرهيم انظر ما تحت رجليك فينظر فاذا هو بذبح
فيؤخذ بقوايمه فيلقى في النار والذبح هو الضبع الذكر
فعند ذلك امر بالصورتين فكسرتا وعبر جيش المسلمين
الى الجانب الغربي وقد وفد عليه خالد بن الوليد وامر

بالرحيل الى نحو الاسكندرية فارتحل وكان على مقدمته يوقنا
وكان يسير على المقدمة يوما كاملا وبنوا عمه في احسن زي
واجمل شكل وهم بزي الروم قال ابن اسحق رحمه الله وان
الجواسيس اقبلت الى المرمدان الساقي وهو الذي ترك رسطورس
عنده ثلاثة الاف فارس فلما جاءه الخبر حصن المدينة
وزاد في خندقها واقام ينتظر قدوم اصحاب رسول الله صلى الله
عليه وسلم فلما كان بعد ايام نزل خالد عليه والمسلمون وبعث
يوقنا اليهم رسولا فقدم يوقنا ومن معه عشرون من بني عمه
فلما وصلوا مدينة برنوط او مدينة برلوط وقفوا امام المرمدان
الساقي فقال لهم المرمدان ما الذي تريدون منا وما اتى
بكم فقال يوقنا ان المسلمين وجهوني اليك وهم يحضونك
على خلاص نفسك ومن اتبعك ويامرونك بتسليم هذه المدينة
اليهم ولك الامان على نفسك ومالك واهلك ومن اردت
ولك الخيار في المقام تحت يد الاسلام فان اخترت المقام
فلا مانع يمنعك وان اردت المسير اوصلناك الى اي موضع اردت
فلما سمع المرمدان ذلك قهقه ضاحكا وقال وحق ديني
ان الغدر شعاركم والمكر دثاركم فلا افلح من امن

إليكم ولا دخل عليكم ولا أنا ممن أخون الملك في بلده وعمله
وأنا وإياه في أرض واحدة وسوف أبعث إلى الملك كتابا
يقدم إليكم وأساعده عليكم جزاء بما عاملتموه من الخديعة
وستعلمون على من تدور الدوائر ومن يكون المغبون منا
في الآخرة ثم إنكم يا معشر الروم كفرتم بالمسيح وجحدتم
السيدة أم النور وخرجتم عن ملة الحواريين وصرتم إلى
هؤلاء العرب الجياع الأكباد والعراة الأجساد ولن يغنوا
عنكم من الله شيئا وحق المسيح ليبعثوا بكم إلى الملك
فيقاتلكم على كفركم ثم أمر برجاله وغلمانه فقبضوا
عليهم وكان سلاحهم قد أخذ منهم حين دخلوا بسلاحهم
في دار الإمارة ثم أوثقهم في الحديد وعول على أن ينفذهم
إلى الملك إلى الإسكندرية وأرماهم في بيت مظلم في
دار إمارته وأقام ينتظر غفلة من أصحاب رسول الله صلى الله
عليه وسلم لينفذهم ووكل بحفظهم جارية وكان
اسمها زينا وهي أخت مارية زوجة النبي صلى الله عليه وسلم
وسلم إليها المفاتيح وقال لها احفظيهم حتى أرى ما أفعل في
حقهم قال فلما جن الليل واشتغل عدو الله المرمدان

بالطعام والشراب فأكل وشرب حتى سكر وسكر غلمانه وناموا
وأمنت الجارية على نفسها فأقبلت إلى الباب وفتحته وقالت
لهم لا خوف عليكم فإن الله قد جعل رحمتكم في قلبي أنا
أخت الجارية التي أهداها الملك المقوقس إلى نبيكم محمد
صلى الله عليه وسلم وإني أريد منكم أن توصلوني إلى المدينة
وأنا أحلكم من وثاقكم وأسلم إليكم لأمة حربكم
فقال يوقنا نفعل ذلك إن شاء الله تعالى ولكني أخاف
عليك من عدو الله أن يفطن بك فما نصل إلى طائل وربما
قتلك وقتلنا قالت والله ما جئت إليكم إلا وعدو الله قد
سكر وكل من في داره من المماليك والغلمان فقال
يوقنا يجب على العاقل أن يخاف في موضع الأمن عرفينا كيف
نسلك قالت نعم الطريق من وسط دار الإمارة إلى ظاهر
المدينة وقد بني على الموضع الذي يخرجوا منه قبة والقبة
على ثمانية أعمدة وفي وسطها صفة قبر فكل من يراه
يظنه قبر بعض ملوك الدنيا وإن الذي بنى هذه المدينة
ملك العادين يقال له قمقامان بن عاد وصنع هذه المغاير
التي في هذا الجبل وهي مصنعة متجوفة كأنها قصور

مشيدة وكان قومه يسكنونها وهي على حالها وكانت الفتنة
قائمة بينه وبين عمرو بن شداد وكان يخرج مما يلي أرض
الواحات وكان عمرو بن عاذ إذا أراد أن يغير على البلاد
كان يخرج من هذا السرب الذي حدثتك عنه من حيث
لا يشعر به وكانا يقتتلان إلى أن انتقل ملكهما إلى قصر
عمدان واليمن فقال لها يوقنا افعلي ما يقربك إلى الله
تعالى ولعل تنزلينا لنروح إلى عسكر محمد صلى الله عليه
وسلم وتخبرهم بخبرك ولعلهم يدخلون المدينة ما دام
المرمدان سكران وأصحابه فقالت سأفعل ذلك غير أني
أريد أن أمض إلى السرداب وأفتحه قال الراوي وإن
زينا أخت مارية خرجت من عندهم وقفلت عليهم ومضت
وأشرفت على المرمدان الساقي وعلى من في دار الإمارة وإذا هم
صرعى من الخمر فتركتهم على حالهم ومضت تريد أن
تنزل إلى السرداب وتفتحه وإذا هي بحس ففزعت ووقفت
تتسمع قال حدثنا عبد الرزاق بن يحيى قال
أخبرني سليمان بن عبد الحميد عن سفيان الأعمش عن بشر
ابن أوس عن ماجد وكان ممن شهد فتوح مصر وسكندرية

وكان

وكان حافظا بالوقايع وبما جرى قال كنت ممن صحب خالد بن
الوليد حين بعثه عمرو بن العاص إلى اسكندرية فلما وصلنا
إلى برنبوط بخيلنا نفذ خالد يوقنا برسالة إلى المرمدان الساقي
وأقام خالد منتظر الجواب فأبطأ عليه يوقنا فعلم أنه قد قبض
عليه فبات مهموما من أجله وكان خالد ذا عزيمة وهمة
لا ينام من خوفه على المسلمين وكان معه جواسيس يأخذهم
من كل مكان وإقليم ويصطنعهم فإذا توجه إلى إقليم
أو غيره أو إلى مدينة كانوا بين يديه يتجسسون ويأتون
بالأخبار فبينما هو في غم من غيبة يوقنا ونفسه تحدثه بأشياء
إذ وردت عيونه الذين أرسلهم وهم يخبرونه أن ولد
المرمدان الساقي قد أقبل من عند رسطورس بالخلع والتحف
وهم في خمس مائة فارس وإنه بلغه الخبر أنكم على حصار
هذه المدينة وقد ترك العسكر والأثقال بالبعد وقد
انفرد مع خادمين وقد أقبل ولا ندري ما الذي يريد
فلما سمع خالد ذلك من عيونه قام وأخذ معه غلامه همام
وأربعة من آل مخزوم وأبعد عن جيش المسلمين وقعد
مع سفح الجبل ولطوا بالأرض والطريق بين أيديهم وإذا

بولد المرزبان قد أقبل والخادمان معه وقد قصدوا إلى قبة
هناك فتهلل خالد وأصحابه وهمام غلامه وافترقوا عليهم
وكابسوهم في القبة وإذا هم يزيلون التراب من القبر
المصور فيها فلما أخذهم خالد وأصحابه ارتعدت فرايصهم
وخافوا واضطربوا فقال لهم خالد إن أنتم صدقتموني
أمنتكم وإن كذبتموني رميت برؤوسكم فقال
الغلام أنا هرمس ولد المرزبان وكنت عند الملك
وقد نفذ معي خمس مائة فارس لحفظ هذه المدينة فلما كنا
في بعض الطرق جاءتنا جواسيسنا أعلمونا بأخباركم
فتركت العسكر وأتيت هذه القبة فقال خالد
وما الذي تريد من هذه القبة التي لكم ها هنا فقال الغلام
إن أمنتني حدثتك فقال خالد قد أمنتك فباس يده
فقال يا مولاي أريد أمنا لأبي ومن يلوذ به
قال نعم قال اعلم أن هذه القبة على سرداب ينتهي إلى دار
الإمارة ودار الإمارة في وسط هذه المدينة فلما سمع
خالد ذلك تهلل وجهه فرحا وقبض على الغلام وعلى
الخادمين وأمر من كان معه بحفظهم ودخل في السرداب

وإذا قد بان له باب عليه صفيحة فلم يزالوا حتى انفتح قال
فعند ما بعث خالد إلى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
في السر يستدعي الأبطال الصناديد مثل عمار والمقداد
ومالك وربيعة وشرحبيل والغطريف وكهلان
وخزيمة ومعمر وجابر وسعيد ومثل هؤلاء واستكمل
من جماعته ثلثمائة نفر ثم أوقد المشاعل وكان
بين القبة والمدينة تل عال مرتفع إذا كان أحد في
المدينة لا يعاين ما يجري من وراء التل فدخل أصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم وساروا في السرداب
فكان وصولهم إلى الباب الثاني وأخت ماريهنيتا
تريد فتحه فقالت من أنتم فقال خالد للغلام كلمها
قال أنا ابن المرزبان قال افتحي ولا تعلمي أبي قال فلم
يبق لها بد أن تفتح ففتحت وصعد أصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم وقبضوا على الجارية فقالت يا قوم
دعوني فإني كنت أردت أن أخلص أصحابكم وأن
أفتح هذا الباب وأنزلهم إليكم حتى تملكوا هذه
المدينة من ها هنا والله سبحانه وتعالى قد أتى بكم

وأنا ربيبة أخت مارية زوجة نبيكم فلما سمع خالد ذلك فرح وقال أين أصحابنا فأتت بهم إلى البيت فدخلوا إليهم وسلموا أوثقهم واختر قوا دار الإمارة فوجد المرميدان لا يتقبل على نفسه من الخمر فوكل بموضعه وأمر أصحابه أن يملكوا السور ففعلوا ذلك وقبضوا على الحراس ونزلوا إلى باب المدينة وكان لها بابان فكسروا الأقفال وقطعوا السلاسل وبعث خالد إلى بقية أصحابه والجيش جاؤوا ودخلوا المدينة فلما كان من الغد استيقظ المرميدان والصحابة قد أعلنوا بالتهليل والتكبير فأفاق وجزع فنظر وإذا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حوله وكل من في المدينة قد مسك وهم لا يقدرون أن يتكلموا من الجزع الذي بهم فجاء خالد فقال يا عدو الله لولا أني أعطيت لولدك الأمان لقتلتك أشر قتلة ولكن خذ أهلك ومالك وانصرف فإنا قوم إذا قلنا قولا وفينا به فعلم المرميدان أن ولده قد دلهم على الترب فلما خرج المرميدان بأهله وماله قال ولده لخالد يا مولاي إني

إن مضيت مع أبي قتلني هو أو الملك ولست أريد لغيركم بدلا أنا أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله فقال خالد إذ أسلمت فلك قصر أبيك وما ترك وأعرض خالد الإسلام على أهل ترنوط فأسلم أكثرهم وقالوا ليوقنا أبشر من الله بالرضوان والثواب والغفران بصبرك على الشدائد فتح الله علينا هذه المدينة فقال يوقنا لا والله بل ببركتك وبركة نبيك قال وكتب خالد إلى عمرو بن العاص بفتح ترنوط كتابا وهو معول على المسير إلى الإسكندرية وبعث الكتاب إليه قال ابن إسحق وأقام خالد في ترنوط وهو يداوي ذو الكلاع الحميري عنده ما مرض المرض الشديد شهرا كاملا ولم يقدر أن يقعد حتى يبرئ مما يكون فيه فتوفاه الله أن ذو الكلاع الحميري مات فحزن عليه خالد والمسلمون حزنا عظيما وكان ذو الكلاع الحميري ملك حمير وكان قبل دخوله في الإسلام يركب في موكبه اثني عشر ألف مملوك من السواد لنفسه يشري ماله قال أبو هريرة الدوسي ولقد رأيته بعد ذلك الحشمة يمشي في سوق المدينة وجلد شاة على كتفيه

حين قدم من اليمن للجهاد في أيام أبي بكر الصديق رضي الله
عنه فلما مات رثاه ولده تسوخ بما رثى به حمير لأبيه شبا
ابن يخشب ۞ فقال ۞

عجبت ليومك ماذا فعل ۞ وسلطان عزك كيف انتقل
فأسلمت ملكك لا طائعا ۞ وسلمت للأمر لما نزل
فيومك يوم رفيع القذال ۞ ونورك في دنياك زور الجلل
فلا تبعدن وكل امرئ ۞ سيدركه بالمنون الأجل
لأن صحبتك صروف الزمان ۞ وشدت يد الدهر وجها مثل
لقد كنت بالملك ذا قوة ۞ لك الدهر بالعز عان وجل
بلغت من الملك أقصى المدى ۞ فنلت وعزك لم ينتقل
وطحطحت في الشرق آفاته ۞ وجئت من الغرب خوه الدول
حويت من الدهر إطلاقه ۞ ونلت من الملك ما لم ينل
وحملت عزك ثقل الأمور ۞ فقام بها حازما واستقل
صحبت الدهور وأفنيتها ۞ وما ساء شغلك فيما تعل
بنيت القصور كمثل الجبال ۞ ذهبت فلم يبق إلا الطلل
نعمنا بأيامك الصالحات ۞ سررنا بسحك وبلا وطل
يومك في الدهر أقصى المنى ۞ ولم ندر بالأمر حتى نزل

نزالت لعمرك شم الجبال ۞ ولم يك عزمك فيها هبل ۞

قال الواقدي رحمه الله ولما مات ذو الكلاع الحميري
حمله ابن عمه عجلان بن مضاض الحميري إلى مصر ۞ بعد أن
صبره وعول أن يسير به إلى اليمن قال ابن إسحق وعول
خالد على المسير إلى الإسكندرية قال حدثني زياد
ابن يونس الطائي عن معمر بن الشريد المازني قال
لما نزلنا بقرية تعرف بالشجرة قال لنا خالد اعلموا أنه
لما انهزم دسطورس بن المقوقس من مصر وعبر إلى الجانب
الغربي ونزل على ترنوط المرمداز واليا وفتحت وبلغ
الخبر إلى ابن المقوقس فصعب عليه وكانت سكندرية
غير عامرة وإنما كانت العمارة والخلق بمدينة أسلاروس
وكان بها كاهن من كهان القبط اسمه بوط وكانوا
إليه يشيرون وبما يقول يتمسكون وكان يحدث
قومه أنه لا بد له أن يظهر من الحجاز نبي يختم الله به
الرسل وتنتشر دعوته في الشرق والغرب فلما بعث صلى الله
عليه وسلم عمد بوط إلى ثلاثة أطيار من الحمام
فألقاها في منزله ثم ارتحل على حين غفلة من قومه ۞

وسار يطلب أقصى المغرب فلما كان يوم الدخول عليه
دخلوا فلم يجدوه ورأوا فراخ الحمام أحدهم كما نسل
والآخر كما ريش والآخر كما طار فقال العلماء منهم إنه
قد ضرب لكم مثلا وقال بلسان الحال إشارة يقول
فإنه من قدر منكم يرحل عن هذه المدينة فليفعل فإنه
يغنم سلامة نفسه ومن كان منكم ثقيلا بالعيال فليحذر
على نفسه شبيها بهذا الطائر الذي كما نسل وأما
الذي ما نسل فهو مثل الفقير المحتاج الذي لا يقدر على
المسير ولا قدرة له إن أقام هلك ثم خرجوا من عنده
وهم يقولون مربوط فتحول من اسم أسلاروس إلى مربوط
قال فارتحل أهلها بأجمعهم إلى الإسكندرية
وبلغه فتح مربوط فصعب عليه ذلك وقال وحق المسيح
لأغيظن العرب بكل ما أقدر عليه ثم بعث عشرين
مركبا فيها خيار قومه إلى الساحل ليطلب غدر المسلمين
وقال لمقدم المراكب إذا وردت الساحل
فلا تلصق بالبر إلا ليلا وانفذ جواسيس يأتوك بخبر حلل
العرب أين هي نازلة فاكبس عليهم ليلا فقال أفعل

ذلك

ذلك ثم إنهم خرجوا من ليلتهم وتوسطوا البحر ثم سألوا
القلاع وساروا ثلاثة أيام بلياليها فخرج بهم الريح
لموضع يعرف بيافا وخرجوا عن المدينة حتى إذا قربوا
من الرملة وإذا بحلل العرب قد لاحت لهم من بعد فألصقوا
مراكبهم بالبر ونزلوا بعددهم وسلاحهم وقصدوا
النار وإذا بحلة عرب من بني دوس وكانوا بني عم
أبي هريرة رضي الله عنه وكان معهم قوم من بجيلة
وقوم من بلي وفي جملتهم خولة بنت الأزور أخت
ضرار وكان ضرار جريحا مثقلا وأخته تداويه
وتعالجه وكان أبو عبيدة بن الجراح رضي الله عنه
قد أمرهم بسكنى تلك الأرض قريبة من البحر
نزلوا هناك ترعى دوابهم والقوم آمنون مطمئنين من
الروم وغيرهم لأن دولة الروم قد انصرمت وأيامهم
قد ولت قال فما فطن بهم أحد حتى كبسوهم القبط
ليلا ووضعوا السيف فيهم وقتلوا رجالا من القوم وأخذوا
وأسروا ضرارا وأخته وقلعوا الحي بمضاربهم ورجعوا إلى مراكبهم
وكان جملة الأسرى من الرجال والنساء والصبيان والإماء

والعبيد ألفا ومائة نفر وساروا من ليلتهم يطلبون الإسكندرية
قال ابن إسحق وكان أبو عبيدة بن الجراح رضي الله
عنه قد استوطن طبرية وسكن بها لكثرة خيرها
واعتدال هواها وكونها قريبة من الأردن ومن
دمشق ومن بلاد السواحل وإنه نفذ أبا هريرة ليزور قومه
ويسأل عن ضرار بن الأزور ويختبر حاله وكان ضرار بن
الأزور يحبونه المسلمون لدينه وشجاعته وما ظهر منه في
قتال الروم فمضى أبو هريرة رضي الله عنه مع حليف له من بجيلة
اسمه محارب بن ظاعن وأنهما سارا إلى موضع الحلل فوجدوا
البيوت مطروحة والقتلى وآثار المعمعة ووجدوا قوما
مجرحين وكان قدوم أبي هريرة وحليفه صبيحة
ليلة الوقعة فسألوهم فقالوا أما عندنا خبر حتى كبسونا
قوم من الروم بالليل فوقعوا علينا وهبروا بالسيوف
وأخذوا الحي بمن فيه فقال أبو هريرة رضي الله عنه لا حول
ولا قوة إلا بالله العلي العظيم أشهد أن الله على كل شيء
قدير ثم ساروا إلى أن وصلوا إلى الساحل فلم يروا لهم أثرا
فلما عولوا على الرجوع وإذا بلوح يلوح والأمواج تلعب به

وعلى اللوح شخص فوقفنا ساعة حتى لحق اللوح الساحل وخرج
الرجل قال فأخذ أبو هريرة رضي الله عنه يتأمله فإذا به
أمير دوس لحيان بن غنى وكان ابن عم أبي هريرة
رضي الله عنه فلما رآه ترجل له وعانقه وسلم عليه وقال
يا ابن العم ما ورائك فقال يا صاحب رسول الله صلى الله
عليه وسلم إن العدو هجم علينا ليلا وأسرنا وساروا
بنا في المراكب فلما صاروا في وسط اللجة بعث الله
عليهم ريحا عاصفة فغرقت منهم مركبين فكنت في أحدهما
فوالله ما نجا من المركبين إلا أنا وقد سلمني الله سبحانه
وتعالى ونجاني على هذا اللوح كما رأيت فقال
يا ابن عمي ومن أين هذا العدو فقال من القبط من قبط
مصر وإني سمعتهم يعرضون بذكر الإسكندرية قال
فخرج أبو هريرة يطلب طبرية ومضى رفيقه إلى من بقي من
المجرحين ومن هرب بالليل وما ترك فجمعه وارتحل إلى
الرملة وأما أبو هريرة فإنه وصل مع حليفه إلى أبي
عبيدة بن الجراح وحدثه بما جرى على القوم وعلى بجيلة
فاسترجع أبو عبيدة باكيا وقال لا حول ولا قوة إلا بالله

العلي العظيم إنا لله وإنا إليه راجعون أعوذ بالله من الآفات
الردية والله لئن وصلوا إلى الإسكندرية لم يبقهم صاحبها
طرفة عين ويموت ضرار ويمضي دمه هدرا ثم كتب
أبو عبيدة رضي الله عنه إلى عمرو بن العاصي يخبره بما جرى
على المسلمين من صاحب سكندرية وأنه قد أسر جملة
من المسلمين من دوس وبجيلة وكان نزيلهم وملتجي إليهم
ضرار بن الأزور وخولة أخته نزل عندهم لمرض لحقه
فإذا وصل كتابي هذا فاجهد في خلاصهم وإن وقع في
يدك أحد من القبط ممن يعز عليهم شأنه ففاد به وبعث
الكتاب مع أبو بديل الخيل أسض الركبان وأخذ الكتاب
وتوجه يريد مصر وكان بديل الخيل قد دخل مصر مرارا
كثيرة في أيام أبي بكر الصديق رضي الله عنه فلما
قدم بديل الخيل وأوصل الكتاب إلى عمرو بن العاصي
فلما قرأه وعلم معناه صعب ذلك عليه وكان يحب
ضرارا حبا شديدا فكتب إلى خالد بما جرى وحثه على
المسير إلى الإسكندرية لينظر ما يتجدد من حال الأسارى
ونفذ الكتاب إلى خالد فوجد رسول عمرو بن العاصي

قد

قد ارتحل عن بربوط ونزل على مغاير قوم عاد فلما قرأ خالد الكتاب
اشتد عليه أمر ضرار وأخته خولة قال حدثني عاصم بن منصور
عن أحمد المروزي عن سلمة قال أخبرنا عبد الله يعني ابن
المبارك قال أخبرنا سكين بن عبد العزيز عن أبيه قال
لما أخذت القبط دوسا وضرارا وأخته وغرق المركبان
ووصل الباقون إلى الإسكندرية ومثلوهم أمام رسطورس
همّ بقتلهم فقال أرباب دولته أيها الملك
لا تعجل عليهم إعلم أن العرب متوجهة إليك ولا بد لنا من
قتالهم فإن أسر أحد منا ممن يعز علينا شأنه وجدنا من نفادي
به ولعل أن نصالح العرب بسببهم فاستصوب رأيهم وبعث
بالأسارى إلى دير يعرف بدير الزجاج ونفذ معهم ألفي
فارس من القبط إلى أن يدخلوا إلى الدير قال وكان لخالد
جواسيس من أهل مصر وغيرهم يأتوه بأخبار الروم وغيرهم
وكان منهم جماعة في الإسكندرية فلما عاينوا ذلك
أسرعوا في المسير إلى خالد وحدثوه بالأمر فقال خالد لأصحابه
شدوا على أنفسكم ولا قوة إلا بالله ثم ركب وركب
الناس لركوبه وسارت الأدلاء بين يديه يريدون دير
الزجاز قال وكان وصولهم إلى الدير قبل وصول

أصحاب الملك إلى الدير والأسارى وكان مكان خالد
إلى الدير أقرب من الإسكندرية فلما أخذ قوابه أشرف
عليهم راهب كبير السن وكان اسمه مياح وكان
تلميذا لبحيرة الراهب وكان مؤمنا بالله وبأنبيائه
فقال له خالد يا راهب كيف ترى الدنيا قال تخلق
البدن وتجدد الأمل وتقرب المنية وتقطع الأمنية
قال فما حال أهلها قال من نال منها شيئا تغصه ومن
فاته منها شيء حسرته قال فما خير العمل فيها قال
العمل الصالح التقي قال فما شر الأصحاب قال اتباع النفس
والهوى قال خالد صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم الحكمة
ضالة المؤمن يأخذها حيث وجدها قال له خالد وكيف
طابت لك الوحدة قال ألفتها قال فهل نلت منها
فائدة قال نعم الراحة من مداراة الناس قال
ما أحسن هذا الاجتهاد لو كان في دين الإسلام
والتوحيد قال فما أعرف غيره قال فما تقول في دين
محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم قال سيد الرسل
وخاتم الأنبياء وصفي الأصفياء وحجة الجبار على الورى
قال فلم لا تكون في بلاد الإسلام أصلح لك

من ها

من ها هنا قال قلبي ملوث بحب الدنيا قال خالد أعندك
خبر من العرب الأسارى الذي بعثهم صاحب الملك إليك
قال لا والله ولكن مر بي البارحة بطريق وأسقف واستقوا الماء
من بئر هذا الدير وسألتهما من أين أتيا قالا إنهما وصلا
من الإسكندرية وإنهما رسلا من الملك كيماوس بن
روبيل صاحب أرض برقا وما والاها من أول بلاد العرب
فإني مضيت إلى صاحب القبط أسأله أن ينفذ له قوما من
أسارى العرب لينظر إليهم وإلى زيهم ويستخبرهم عن
دينهم وقد أديت الرسالة إلى الملك فأجاب أن يبعث له
قوما من العرب وأنا مار وأبشر الملك صاحب برقة بذلك
قال الراهب لعلكم من المسلمين الذين فتحوا الشام قال
نحن إياهم فقال الراهب الديراني إن أخباركم عندي
يوما بعد يوم ولقد رأيت محمدا صلى الله عليه وسلم وهو
في قافلة أقبلت من مكة وهو مقدمها وأنا في دير
بحيرا أخدمه فلما مات بحيرا انتقلت إلى هذا الدير
واعلموا أن ما بقي بأرض الكنايس ولا بأرض العقبة ولا
بأرض الرمادة إلى حدود دبابوس يعني بذلك راهب

ولا قس إلا وقد مر إلى زيارتي وإلى السؤال عنكم وعن نبيكم
وقالوا أنت كنت على طريقتهم ورأيت نبيهم وقد
شرحت لهم دينكم وأوصلتهم إلى ما ظهر من معجزات
نبيكم ولقد جرى بيني وبينهم وبين راهب اسمه ميشا
بالقرب منا مناظرة بالأمس وقال إن النبي الذي بشر
به المسيح ليس هو هذا فقلت بلى والله إنه هو النبي العربي
فقال لي إنا سمعنا في العلم أن الرسول الذي يظهر
من أرض الحجاز يعرج به إلى السماء وما سمعنا أنه عرج
به فقال خالد بلى والله عرج به إلى السماء وخاطب
ربه ولقد سمعت أباذر يقول ويحدث أن رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال فرج سقف بيتي وأنا بمكة فنزل
على جبريل عليه السلام ففرج صدري ثم غسله بماء زمزم
ثم جاء بطشت من ذهب مملوء حكمة وإيمانا فأفرغها
في صدري ثم أطبقه ثم أخذ بيدي فعرج بي إلى
السماء فلما جاء إلى سماء الدنيا قال جبريل لخازن السماء
افتح فقال من هذا معك قال معي محمد قال أرسل
إليه قال نعم ففتح فلما وصل بي إلى السماء إذا رجل عن

يمينه أسودة وعن يساره أسودة فإذا نظر عن يمينه ضحك
وإذا نظر عن شماله بكى قال مرحبا بالنبي الصالح والولد
الصالح فقلت من هذا يا جبريل قال هذا آدم وهذه
الأسودة هم بنوه فأما أهل اليمين فهم أهل الجنة وأما
أهل الشمال فهم أهل النار ثم عرج بي إلى السماء الثانية
فقال لخازنها افتح فقال له ما قال في الأول ففتح قال
أنس بن مالك رضي الله عنه فذكر أنه وجد آدم في
سماء الدنيا وإبرهيم عليه السلام في السماء السادسة
قال أنس فلما مر جبريل عليه السلام بإدريس عليه
السلام قال مرحبا بالنبي الصالح والأخ الصالح فقلت من
هذا قال هذا إدريس ثم مررت بموسى عليه السلام
فقال مرحبا بالنبي الصالح والأخ الصالح فقلت من هذا
قال هذا موسى ثم مررت بعيسى فقال مرحبا بالنبي الصالح
والأخ الصالح فقلت من هذا قال هذا عيسى ثم مررت
بإبرهيم فقال مرحبا بالنبي الصالح والابن الصالح فقلت
من هذا فقال هذا إبرهيم ثم انطلق بي إلى سدرة
المنتهى فغشيتها وفي رواية فلما غشيها من أمر الله ما غشي

تغيرت فما أحد من خلق الله يستطيع أن ينعتها من حسنها ألا وإني
لا أدري ما هي ثم دخلت الجنة فإذا فيها منابر من اللؤلؤ
وإذا ترابها المسك وقال صلى الله عليه وسلم رأيت
موسى وعيسى وإبرهيم فأما عيسى فأحمر جعد الشعر عريض
الصدر وأما موسى فإنه جسيم سبط قال ابن إسحق فالتفت
إليهم مياح رحمه الله وقال اعلموا أن في وسط هذا
الجبل رجلا مسلما أسر منذ زمان وهو من العرب من أصحاب
نبيكم صلى الله عليه وسلم بلغني أنه جاء بتجارة من
اليمن إلى مصر في أيام المقوقس فباع تجارته ثم
اشترى غيرها فانحدر بها من مصر إلى إسكندرية
وباعها ثم اشترى ما تخرج عنه بأرض برقة وأخرج
بضاعته مع قافلة كبيرة فلما كانوا من قرب هذا
الجبل خرج على القافلة بطريق من هذا الجبل مع
غلمانه فنهب القافلة وأخذ مالها وترك أهلها
فلما نظر إلى صاحبكم وعليه زي العرب أسره وهو في
وسط الجبل مع غلمانه في دير يقال له دير المسيح في رقبته
غل مربوط إلى شجرة وقد نبت العشب من دموعه وكل

يوم تطلع فيه الشمس لا يأكل فيه البطريق ولا يشرب
حتى يضربه وقد صار كأنه الخلال والبطريق يقول ما أخليك
حتى تقول الله ثالث ثلاثة وكلما ضربه سوطا يرفع رأسه
إلى السماء ويقول يا الله قد بذلت نفسي من أجلك فابذل
لي رحمتك فإذا كان في كل مساء أتاه البطريق بصورة
من نحاس على رأس الصورة عمامة سوداء وعلى جسد الصورة
مكتوب هذا محمد نبي المسلمين صلى الله عليه وسلم
فينصب الصورة بين يديه ويقول هذا نبيكم في مقابلة
صاحبكم ثم يشرب ويرمي فضلة كاسه على رأس
الصورة والمسلم يستجير بالله ورسوله فلما سمع خالد ذلك
أخذ معه شرحبيل بن حسنة وعامر بن ربيع ويزيد بن أبي
سفين وهاشم بن سعيد والقعقاع بن عمرو والمقداد
ورفاعة بن قيس وترك باقي الجيش عند الدير وصعد
خالد وأصحابه إلى رأس الجبل ولم يزالوا إلى أن لاح لهم الدير
وإذا بالبطريق قد أقبل ومعه وحش قد اصطاده وهو
مسمط على قربوص سرجه فقصد إلى شجرة هائلة كبيرة
وتحتها عين ماء فنزل الملعون هناك وصاح فخرج إليه الغلمان

من كل مكان فأضرموا النيران وجعل يشوى ويأكل ثم دعى بالخمر فحمل إليه ثم صاح هاتوا المجدى فجاؤا الغلمان برجل من العرب قد ركبه الذل وغلبه القهر وقال يا مسلم قد غلبتني بجلدك علي وحق ديني ما أرفع عنك العقوبة حتى ترجع إلى ديني وإلا قتلتك فقال له المسلم اصنع ما بدا لك فإن الأشيا بإرادته ومشيته والأشيا في قبضته والسموات مرفوعة بتدبيره والأرض مبسوطة بتمهيده وجوده في خلقه محيط وعلمه بالأشياء محيط له التدبير وليس له نظير له ملك وليس له وزير فلما سمع البطريق كلامه هم أن يجذب سيفه ويعلوه به فصاح به خالد بن الوليد ومن معه الله أكبر الله أكبر فتح ونصر وتبعه أصحابه وقالوا يا كلب الروم والنصرانية وأخس من غمس في ماء المعمودية نح عن ولي الله فنحن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فأول من سبق إلى البطريق خالد بن الوليد رضي الله عنه فطعنه بقناته أطلع السنان من وراء ظهره وأطبق أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم على غلمانه فقتلوهم ونزلوا على العين ولم يكن

لأهل الدير شرب إلا منه فأشرف عليهم أهل الدير من الرهبان وقالوا ما نحن من أهل السيف فنقاتلكم ونبيكم قد نهاكم عن قتل الرهبان قال خالد فسلموا لنا مال هذا البطريق وأنتم فلا نعارضكم قال فأخرجوا مال البطريق وعياله وأولاده فأخذهم خالد وفك الأسير من القيد وقال له من أنت قال أنا أمية بن حاتم أخو عدي بن حاتم الطائي أسرت في أواخر أيام أبي بكر الصديق رضي الله عنه وكنت أريد أرض برقا ببضاعتي فأسرني هذا العلج وكان أمر الله مفعولا فهنوه بالسلامة وبشروه من الله بالكرامة ثم نزلوا من الجبل من وقتهم وإذا بصوت صهيل الخيل وقعقعة اللجم وضجيج الأبطال واصطفاف الرماح وأنين الرجال وصراخ المأسورات وعويل العربيات وبكاء الدوسيات وتأوه المناديات وصياح الروم عليهم من خلفهم ومن بين أيديهم وهمير الفرسان وهفيف الصلبان وأبكار ينادين بالذل والهوان وخولة بنت الأزور على مقدمة

الأسارى وهي تقول

حل المصاب فعم الويل والحرب ۞ وكل دمع من
الأجفان ينسكب

وماجت الأرض مما قد رميت به ۞ حتى توهمت
أن الأرض تنقلب

جارت يد القبط فينا عند غفلتنا ۞ واستحكم الروم
لما ذلت العرب

لهفي على بطل قد كان عدتنا ۞ فيه العفاف وفيه
الدين والأدب

قد كان ناصرنا في وقت شدتنا ۞ أعني ضرار
الذي للحرب ينتدب

فيه الحمية والإحسان عادته ۞ فيه التعصب
والإنصاف والحسب

لو كان يقدر أن يرقا مراكبه ۞ كان العدو
بنار الحرب يلتهب

لو كان خالد فينا حاضرا لكفى ۞ وزال عنا
الذي نشكوا ونلتحب

أو كان يسمع صوتي صاح بي عجلا ۞ مهلا فقد زال
عنك البوس والعطب

قال فلما سمع خالد نداها قال لبيك لبيك قد جاءك
الفرج وذهب عنك البوس والحرج ثم حمل وحمل أصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم ووضعوا السيف في القبط
فما كان غير بعيد حتى قتلوا من القبط سبعمائة رجل
وأسروا ألفا وثلثمائة رجل وأخذ الصحابة سلب
القوم وخيولهم وخلصوا الأسارى وسلموا على ضرار
وهنوه بالسلامة وودعوا الديراني بعد أن كتب له
خالد كتابا أن له من كل طعام بالإسكندرية صاعا
ولكل من سكن الدير من أهله وقبيلته وألوى خالد
راجعا إلى إسكندرية وقدم الأسارى بين يديه وكان
الملك منذ سمع أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
معه في أرض واحدة خرج بعسكره إلى باب السدرة
وخيم هناك فلما قدم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
ووقع الصياح بقدومهم وقع الخوف في قلب الملك
والقبط جميعا واجتمع أمراؤهم وحجابهم وكبراؤهم

وقالوا أيها الملك ما الذي تدبر في هؤلاء العرب ۞ قال وما
عسى أن ندبر والخوف قد جللكم والفزع قد نزل
بقلوبكم وهؤلاء العرب قد طمعوا فيكم ۞ وفي
ملككم ورأوا أنكم لا تحامون عن دينكم عند
الهزيمة ولا تتقون بين الأمم شنارا وإذا قاتلتموهم
كانت أهواؤكم مفترقة وآراؤكم غير متفقة ۞ لا
جرم أنهم قد أسروا رجالكم ولم يرهبوا قتالكم
وقد أقبلوا إليكم قصدا فلا مانع يمنعهم ولو أن أصحابهم
الذين بعثت بهم إلى دير الزجاج عندي لكنت صالحتهم
بسببهم ودفعناهم عنا وقد فرطت أيضا في الألفي فارس
الذين بعثتهم معهم فلو كانوا معنا لقاتلناهم حسب طاقتنا
فقال الوزير أيها الملك هل لك أن تنفذ رسولا إلى هؤلاء
العرب تتحدث معهم في أمر الصلح وإنا نسلم إليهم أصحابهم
فقال الملك هؤلاء العرب لا يقبلون منكم رسلا
ولا يسمعون منكم منذ نصبنا عليهم بحجر الحصا بمصر
فقالوا أيها الملك إن القوم قد احتفظوا منا جهدهم
لأن الحذر شعارهم واليقظة دثارهم فهم أن ينفذ

رسولا إلى خالد وهو يعلل نفسه أن يصالحهم على أن يسلم
إليهم أصحابهم الذين نفذهم إلى دير الجزار فبينما
هو يفكر برأيه فيمن ينفذ إلى خالد رضي الله عنه
وإذا بأصحاب الحرس وهم حراس البحر الموكلون
بالمنارة قد أقبلوا إليه وأخبروه أن مركبا قد ظهر
من نحو الغرب ولا ندري من أين هو وارد قال
فتأهب الملك لقدوم من في المركب قال لا شك أنه من
صاحب أرض برقا الملك كيماوس فما كان إلا
ساعة ۞ حتى أرسى المركب في الميناء ونزل منه شيخ مهاب
مليح الشيبة ظاهر الهيبة عليه ثياب من الصوف الأسود
وعلى رأسه عمة حمرا ونزل معه عشرون شيخا من
الأقسة والرهبان فلما حصلوا على الأرض جاءتهم
المراكب المرصعة والغلمان والحجاب وعظموا شأنهم ۞
وأركبوهم وساروا بهم إلى قصر الملك وأنزلوهم
هناك وأقاموا لهم بالضيافة يومهم وليلتهم فلما كان
اليوم الثاني ركبوا إلى العسكر ودخلوا على
الملك فقام لهم وعظم شأنهم وأقعدهم على

سَرِيرِهِ قَالَ ابْنُ إِسْحٰقَ وَبَلَغَنِي مِمَّنْ أَثِقُ بِهِ أَنَّ ابْنَ الْمُتَوَقِّسِ صَاحِبَ
الْإِسْكَنْدَرِيَّةِ كَانَ قَدْ نَفَذَ هَدِيَّةً سَنِيَّةً إِلَى الْمَلِكِ
كِيمَاوِسِ صَاحِبِ أَرْضِ بَرْقَةَ إِلَى حُدُودِ قُسْطَنْطِينِيَّةَ وَهِيَ
الْمَعْرُوفَةُ فِي وَقْتِنَا هٰذَا بِجَزَايِرِ الْمَلِكِ وَالتَّمْرِ وَكَانَ
مَلِكًا كَبِيرًا كَثِيرَ الْجُنُودِ وَالْعَسَاكِرِ وَكَانَ قَدْ وَلَّى وَلَدَهُ
أَفْلَاغُورِسَ عَلَى قَرْطَاجَنَّةَ وَكَانَ جَيْشُهَا مِائَتَيْ أَلْفٍ مِنَ الرُّومِ
وَإِنَّ رَسْطُورِسَ نَفَذَ إِلَيْهِ هَدِيَّةً وَبَعَثَ لَهُ كِتَابًا
يُخَوِّفُهُ مِنَ الْعَرَبِ وَيَقُولُ أَيُّهَا الْمَلِكُ إِنَّ الدُّنْيَا دَارُ زَوَالٍ
وَانْتِقَالٍ وَمَا وَهَبَتْ لِأَحَدٍ شَيْئًا إِلَّا وَعَادَتْ وَاسْتَرَدَّتْهُ
وَلَا أَفْرَحَتْ أَحَدًا إِلَّا وَأَحْزَنَتْهُ وَلَا نَصَرَتْ مَلِكًا إِلَّا
وَخَذَلَتْهُ فَالْمَغْرُورُ مَنْ تَشَبَّثَ بِذَيْلِهَا وَاطْمَأَنَّ إِلَيْهَا
وَالسَّعِيدُ مَنْ لَبِسَ ثِيَابَ الْحَذَرِ وَالسَّفَرِ وَعَمِلَ لِدَارِ الْآخِرَةِ
وَالْمَقَرِّ أَمَا تَرَى أَيُّهَا الْمَلِكُ الْمُعَظَّمُ أَنَّ الْمَلِكَ الْمُعَظَّمَ
قَلِيطِسَ بْنَ قُوسْطِينُوسَ الْمُسَمَّى هِرَقْلَ صَاحِبَ الشَّامِ
وَأَرْضِ سُورِيَةَ إِلَى بِلَادِ الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ كَيْفَ زَالَ
عَنْ مُلْكِهِ وَبِلَادِهِ وَأَعْرَضَ عَنْ غِلْمَانِهِ وَأَجْنَادِهِ
وَذٰلِكَ عِنْدَمَا رَمَتْهُ الدُّنْيَا بِمَصَائِبِهَا وَرَشَقَتْهُ

بِسِهَامِ نِكَايَتِهَا بَعْدَ أَنْ كَانَتِ الدُّنْيَا فِي وَجْهِهِ تُشْرِقُ
هِمَّةَ الْأَعْدَا أَخْضَرَ لَيِّنَ الْجَنَا تَحْيَا بِهِ الْكَرَمُ وَالشِّيمَةُ
الَّتِي تَحْكِي مَحَاسِنَهَا النَّسِيمَ وَسَارَتِ الْأَفْلَاكُ مِنَ الْانْقِيَادِ
لِخِدْمَتِهِ ادَارَتْ مِنْهُ هَشَا هَشَةً أَعْشَبَتْ وَاحْسَنَتْ
مِنْهُ مُخْضَرَّةً أَجْدَبَتْ لَقَدْ كَانَتْ خَيْلُهُ الْعَرَبِيَّاتِ وَالْأَوْهَامُ
وَأَنْصَارُهُ اللَّيَالِي وَالْأَيَّامِ فَمَنْ ذَا يَقْدِرُ أَنْ يَدْفَعَ قَضَاهُ
وَتَبَرَّجَتِ الْبُرُوجُ لِعِبَادَتِهِ وَتَكَوَّنَتِ الْكَوَاكِبُ
لِهَيْبَتِهِ الَّذِي لَوْ شَاءَ عَقَدَ الْهَوَا وَجَسَّمَ الْمَا وَفَصَّلَ تَرَاكِيبَ
السَّمَا وَأَلَّفَ بَيْنَ النَّارِ وَالْمَا وَنَوَّرَ ضِيَا الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ
وَكَفَّهُمَا عَنِ الْمَسِيرِ وَالسَّفَرِ الَّذِي لَوْ شَاءَ سَدَّ
مَنَافِسَ الرِّيَاحِ الزَّعَازِعِ وَأَطْبَقَ جُفُونَ الْبُرُوقِ
اللَّوَامِعِ وَأَنْبَتَ الْعُشْبَ عَلَى الْبِحَارِ وَأَلْبَسَ اللَّيْلَ
ضَوْءَ النَّهَارِ وَإِنَّمَا ضَرَبْتُ لَكَ هٰذِهِ الْأَمْثَالَ لِتَعْلَمَ أَنَّ
الدُّنْيَا لَا تَبْقَى عَلَى حَالٍ وَهٰؤُلَاءِ الْمُحَمَّدِيُّونَ قَدِ اسْتَوْلَوْا
عَلَى الْبِلَادِ وَأَذَلُّوا بِسُيُوفِهِمُ الْعِبَادَ وَطَحْطَحُوا الْأَجْنَادَ
وَالْعَسَاكِرَ وَقَدْ أَقَامُوا شَرْعَ نَبِيِّهِمْ بِالسُّيُوفِ
الْحِدَادِ وَقَدْ مَلَكُوا الشَّامَ وَأَخَذُوا مِصْرَ مِنَّا

وقد أخذوا ملكنا وحكموا على بلادنا فلا بد لهم منك
ولا غنا لهم عنك والصواب أن تشمر عن ساق الهمم
وتنجدنا على من بغى وأجرم فنحن جيرانك وكلنا
جندك وأعوانك والسلام قال الراوى فلما
وصلت الهدية والكتاب إلى الملك كيماوس
أعرضه على جميع أرباب دولته وقال ما ترون فيما
كاتبكم به صاحب الإسكندرية فقالوا أيها
الملك ما زالت الملوك يستنصر بعضها ببعض والذى
أشار إليه فهو الحق لا دفاع عنه وإن العرب إذا ملكت
ملك القبط فلا بد لهم منا ومن الغزو إلى بلادنا فابعث إليه
نجدة منا يكونوا معه يدا واحدة والمسيح يعطى النصر لمن يشا
قال فلما سمع منهم قولهم استصوب رأيهم وخلع
على أخيه اصطفانوس وسلم إليه أربعة آلاف فارس
وأمره بالمسير إلى معاونة صاحب الإسكندرية
ثم إن الملك نفذ خادمه الخاص إلى عالم أرضهم
والمشار إليه فى العلم من بينهم وهو البطريك
المعظم وكان اسمه سطيس وكان يسكن فى

موضع يعرف بالكنايس وكان قد مر عليه من العمر
مائة وعشرون سنة وكان تلميذ الوزير وشا والوزير
وشا تلميذ المرقس ومرقس تلميذا ليوحنا الديلمى ويوحنا
الديلمى أخو حوارى المسيح وكان هذا البطريك
مؤمنا بالله موحدا وكان يسمع بأخبار رسول الله
صلى الله عليه وسلم ومعجزاته ومؤمن به حتى بلغه
أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد مات فبكا لموته
ولزم زاوية الحزن ولم يظهر لأحد من قومه ذلك
سنة كاملة وأورى أنه مشتغل بالعبادة ثم
خرج إلى تلامذته وظهر لهم ثم بنا له صومعة على
قارعة الطريق فما تمر به قافلة إلا استخبرها وجعل
يسأل عن من جلس للمسلمين خليفة بعد رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقيل له أبو بكر الصديق
رضى الله عنه ثم بلغه حال موته وولاية عمر
رضى الله عنه ثم بلغه فتوح الشأم وقدوم الصحابة
إلى مصر فلما كانت هذه النوبة بعث الملك
كيماوس مركبا إلى الملك دسطورس صاحب

الاسكندرية قال ابن إسحق رحمه الله فلما قدم
البطريرك سطيس يبشره بقدوم ابن أخي الملك
اصطفانوس في أربعة آلاف فارس وعن قريب
يصلون إليك ففرح الملك رسطورس بذلك وقال
يا أبانا أريد من إنعامك أن تسير إلى هؤلاء العرب
برسالتي وتستخبرهم عن دينهم ونبيهم وتجس لي
أمرهم وتستدعيهم إلى المصالح وتخبرهم أن في يدي
جماعة منهم وقد نفذت بهم إلى دير الجزار فإن
أرادوا أصحابهم سلمناهم إليهم وأعطيناهم
شيئا من مالنا وعقدنا معهم عقدا لا يرجعون إلينا
ولا يتعرضون لنا فقال البطريرك سأفعل ذلك
فإني لفي شك من القوم واعلم أني قرأت في الكتب
السالفة والأخبار الماضية فوجدت أن الله تعالى يبعث
نبيا من أرض تهامة تعرض عليه مفاتيح كنوز
الأرض فلا يلتفت إليها ولا يعول عليها ويختار
الفقر على الغنا وإن أصحابه يتبعون سنته وقد
أردت أن أستخبر حالهم قبل أن أسير إليهم

قال له الملك رسطورس بماذا تستخبر حالهم يا أبانا قال
نبعث أيها الملك بغلة من مراكيبك عليها من أنواع الجوهر
واليواقيت والذهب والفضة وتأمر غلامك أن يسير بها
ويرسلها نحو عسكرهم فإن أخذها القوم فاعلم أنهم
يريدون الدنيا ولا يريدون الآخرة وإن هم ردوها
عليكم فتعلمون أنهم يريدون ما عند الله عز وجل
فأمر الملك بعض سياسه أن يزين بعض مراكيبه بأحسن
زينة ويرسلها نحو عسكر العرب فقال السايس نعم
وفعل ما أمره الملك به وضرب البغلة إلى نحو العسكر
المحمدي وكان على الحرس شرحبيل بن حسنة كاتب
رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما رأى البغلة وما عليها
من الحلي والزينة والجواهر الكثيرة تبسم ضاحكا
وقال إن أعدانا يريدون بذلك
اختبار أحوالنا إن كنا نريد الدنيا أو الآخرة والله
ما منا من يميل إلى ما يفنى وإنما بغيتنا فيما يبقى ثم
قرأ قوله تعالى اعلموا أنما الحيوة الدنيا لعب ولهو وزينة
وتفاخر بينكم وتكاثر في الأموال والأولاد

كمثل غيث أعجب الكفار نباته ثم يهيج فتراه مصفرا ثم
يكون حطاما وفي الآخرة عذاب شديد ومغفرة من الله
ورضوان وما الحيوة الدنيا إلا متاع الغرور ثم مسك
بعنان البغلة وجاء بها إلى عسكر القبط ثم أرسلها فلما
نظر الملك إلى ذلك صلب على وجهه وقال بهذا نصروا
علينا ولقد كان أبي على بصيرة منهم ثم أمر البطريك
سطيس بالمسير قال فمضى نحو القوم المحمديين فلما
قرب منهم رأى قوما قد هجروا الدنيا فمنهم القارى
ومنهم المصلي ومنهم الذاكر ومنهم القايم لباسهم
الصوف الصغير منهم يوقر الكبير والكبير يرحم
الصغير وصوت أحدهم لا يعلوا على صوت الآخر
الذكر كلامهم والقرآن والتقوى لباسهم والخوف
من الله أنيسهم فلما توسط العسكر سأل عن أميره
وصاحبه فدلوه عليه بالإشارة إلى موضع خالد فقصد
جانبه وإذا هو على التراب جالس وليس له حاجب
ولا بواب والصحابة حوله وإذا هم في ذكر الدين
والقيامة فلما قرب منهم ترجل عن بغلته ووقف

أمامهم وسلم عليهم وقال أيكم الأمير فأشاروا إلى خالد
ابن الوليد المخزومي رضي الله عنه فقال له البطريك أنت
الأمير قال كذا يزعمون بأني أميرهم ما دمت على الحق
واتباع العدل والإنصاف والخوف من الله تعالى ومراعاتهم
والتشديد على مسيئهم والإحسان إلى محسنهم فمتى حدت عن
هذه الخصال فلا إمارة لي عليهم فقال البطريك
أنتم والله القوم الذين بشر بكم المسيح ابن البتول
وإن الحق معكم لا يفارقكم قال فأمره
المسلمون بالجلوس فجلس وقال يا معاشر العرب أخبروني
عن نبيكم فقال خالد إن الله تعالى اختار من ولد
آدم العرب واختار من العرب مضر واختار
من مضر كنانة واختار من كنانة قريشا واختار
من قريش هاشما واختار من هاشم عبد المطلب
واختار من عبد المطلب محمدا صلى الله عليه وسلم
ولقد سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قوله
كنت نبيا وآدم بين الماء والطين فلما خلق الله العرش
كتب عليه لا إله إلا الله محمد رسول الله فلما

وقع آدم في الزلة أخرج من الجنة فرأى على ساق العرش مكتوبا
لا إله إلا الله محمد رسول الله فقال يا رب من هذا محمد
قال ولدك يا آدم الذي لولاه ما خلقتك قال يا رب بحرمة
هذا الولد ارحم هذا الوالد قال الله تعالى يا آدم
لو تشفعت إلينا بمحمد صلى الله عليه وسلم في السموات
والأرض لشفعناك ثم إن الله تعالى جعل اسمه مقرونا باسمه
وذكره مع ذكره وسماه بما سمى به نفسه فقال
عز من قائل لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه
ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤف رحيم وقال
تعالى في حقه وكان بالمؤمنين رحيما وقال تعالى من يطع
الرسول فقد أطاع الله وقال تعالى النبي أولى بالمؤمنين
من أنفسهم وقال تعالى يا أيها الرسول بلغ ما أنزل
إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك
من الناس ۝ وإن الله عز وجل رفع ذكره وعظم
قدره وفخره ۝ وأعز أمره فقال تعالى ورفعنا
لك ذكرك وهذا غاية الشرف والتعظيم والتبجيل والتكريم
وقال تعالى يا محمد لا أذكر إلا وتذكر ولا

أعرف إلا وتعرف فمن سبك فقد سبني ومن جحدك فقد
جحدني ۝ ومن أنكر نبوتك فما عرفني وها أنا أقسم على
نبوتك إن جحدت وأحلف عليها إن كفرت ويقول
الذين كفروا لست مرسلا قل كفى بالله شهيدا بيني
وبينكم وقال تعالى وكفى بالله شهيدا محمد ۝
رسول الله قال ۝ فلما سمع البطريرك ذلك من خالد
رضي الله عنه فرح وقال والله لقد نجا من اتبعه وخسر
من فارقه ثم جدد إسلامه على يد خالد رضي الله عنه
ثم حدثهم بأمره من أوله إلى آخره ثم حذرهم من ابن
أخي الملك وأن صاحب برقة قد بعثه مع أربعة آلاف
فارس وإني قد سبقته في البحر وهذا الملك القبطي
يريد صلحكم ويقول لكم تصالحوه على أن يعطيكم
شيئا من المال ويسلم إليكم قوما من أصحابكم أخذوهم
من سواحل بحر الشام فقال له خالد رضي الله عنه
إذا أصحابنا قد فك الله أسرهم وجمع بيننا وبينهم وقد
نصرنا الله على القبط وقتلنا منهم سبع مائة فارس وأسرنا
ألفا وثلثمائة ثم أعرضهم عليه وأعرض عليهم الإسلام

فأبى أكثرهم وأسلم بعضهم فأمر خالد رضي الله عنه
بضرب أعناق من لم يسلم بمشهد من الملك وعسكره
قال وإن الملك عاد إلى الملك وقال
هاؤلاء القوم لا يصطلى بنارهم وإنهم قوم محذرون من
أعدائهم وعرفه بقصة أصحابه فقال يا أبانا ومن أين
لهم هذا الذي قتلوهم قال هاؤلاء الذين بعثتهم من
أصحابك مع الأسارى إلى دير الجزار وقعوا بهم وخلصوا
أصحابهم منهم وقتلوا أصحابك قال فلما سمع الملك ذلك
سقط ما كان بيده وأيقن بزوال ملكه وتلافه
فقال لأرباب دولته خذوا على أنفسكم للقاء
هاؤلاء العرب بقلوب قوية وأسرار نقية فكأنكم
بعسكر الملك كيماوس بن روبيل صاحب برقة
قد أقبل إليكم ويلقى هؤلاء العرب ويعطي المسيح
النصر لمن يشاء وبات رسطورس وهو معول على لقاء
أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما جن الليل
فرق الملك العدد على أصحابه وحجابه وأمرائه وأمرهم
أن يوصوا أصحابهم أن يكونوا على أهبة الحرب

والمصاف صبيحة غدهم قال فتفرق الحجاب والأمراء العدد
على أصحابهم وقالوا لهم إن المصاف صبيحة غد قال ابن إسحق
ولقد بلغني أن الملك رسطورس نام بقية ليلته فرأى في
منامه كأن شخصا أشقر عريض الصدر كأنه من رجال
شنوءة ومعه شخص آخر ظاهر الوضاءة مليح الوجه حسن الخلق
وسيم قسيم في عينيه دعج أزج الحاجبين سهل الخدين
أزهر اللون واسع الجبين أشم العرنين ضليع الفم
مفلج الأسنان رجل الشعر لا تجاوز شعره شحمة
أذنيه بعيد ما بين المنكبين له نور يعلوه إن صمت
فعليه الوقار وإن تكلم فعليه الهيبة والفخار
وكان الملك رسطورس يقول للشخص الأشقر من أنت
قال أنا ابن البكر البتول أنا المسيح ابن مريم
وهذا الذي بشرت به من قبل بعثه هذا محمد
النبي العربي والرسول الأمي من آمن به فقد اهتدى
ومن جحد بنبوته فقد ضل واعتدى وقد جئنا لنصرة أصحابه
ومقامنا على برج القبة الخضراء والباب الأخضر مما يلي
البحر قال ابن إسحق ولقد بلغني أن برج القبة كان

برجا مبنيا على باب الأخضر وقيل باب الخضر عليه السلم قال
والباب الأخضر هو مما يلي البحر وذلك أن الإسكندرية
لما بناها الإسكندر وسماها باسمه كان الخضر عليه
السلام عند بناء باب الأخضر وصنع تلك القبة عليه برسمه
وكان طول مقام الإسكندر بالإسكندرية بتلك
القبة ففضل ذلك الباب مشهور إلى يوم القيامة ❁ ثم
إن عيسى عليه السلام قال له للملك في حالة نومه إن كنت
من أمتي فاتبع شريعة هذا النبي ثم مضيا كلاهما فلما
كان من الغد جاء أصحاب الملك وحجابه فحدثهم
بما رأى في منامه فقالوا أيها الملك أضغاث أحلام وما
كان المسيح يماشي محمد العرب فهو عدوه وإنما ❁
الشيطان تمثل لك ذلك فلا تلتفت إليه قال
فأصغى الملك إلى كلامهم وركب وضربت كوساته
ونشرت أعلامه وراياته وخرج الملك بعسكره وأصحابه
إلى الحرب وركب خالد بن الوليد رضي الله عنه وأصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم ووقف مقابلة القوم وكان
مصافهم مما يلي الباب الأخضر والبحر قال والملك

ينظر إلى برج القبة وإذا بالنور هنالك يسطع فدخل الوهم
في قلبه من أجل الذي رأى في منامه قال والله ما
هذا النور الذي أراه إلا نور المسيح ومحمد صلى الله عليه
وسلم وإن الذي رأيته هو الحق لا شك فيه قال ابن إسحق
حدثنا عامر بن بشر عن الأخوص قال كنت في خيل
خالد بن الوليد يوم قتالنا على الإسكندرية قال لما
وقفنا في مقام الحرب وقف بالقرب منا بطريق عظيم
الخلقة عليه درع مذهب تلمع جواهره وتحته جواد
عربي فأومى إلينا بلسان عربي فصيح وقال بالعربية
يا هؤلاء القوم انصرفوا عنا فإنا لا نريد حربكم وقد
ملكتم منا مصر والصعيد وأكثر الريف ❁ وقد بقي
من ملكنا أقله ولسنا ننازعكم فيما أخذتم
منا ونحن نقاتلكم البغي والباغي أبدا مقهور ❁
والمبغى عليه منصور وما بيننا وبينكم إما نصلح
مع الله سرايرنا ونرجع عن ظلم أنفسنا ونعدل
في رعيتنا وإن أبيتم صلحنا لقيناكم بأسرار
نقية وقلوب للجهاد قوية فنردكم على أعقابكم

منهزمين وفى أذيال ذلكم هاربين لأنّ ما عادا أحد
هذا الدين إلا ذلّ وانهزم لأنّا نوم لنا الكنايس الأربع
والصوامع والبيع والقسوس والرهبان والجاثليق
والقربان والصلبان والمذبح والأسواق والميلاد
والهياكل والبطريرك الأفضل ثم سكت عن الكلام
قال الراوى وكان المتكلم بهذا الكلام
رسطورس بن المقوقس وكان أول من بادر إلى جوابه
شرحبيل بن حسنة كاتب رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال له لقد افتخرت بما يزرى بصاحبه إلى البوار ويعقبه
سوء الدار يا ويلكم تفتخرون علينا بالشرك والطغيان
وعبادة الصلبان والشرك بالرحمن ونحن أولوا التقى
والإيمان والفوز والرضوان والقبلة والقرآن
والحج والإحرام والصلاة والصيام والاجتهاد والجهاد
وديننا أفضل الأديان ونبينا المبعوث بالمعجزات
والبيان والآيات والبرهان والمنزل عليه الفرقان
ومن اتبعه نال الغفران ومن تنكب عن حجته فقد
باء بغضب من الديان الذى كان ولا مكان ولا دهر

ولا

ولا زمان شهد لنفسه بالربوبية ولصفاته بالأزلية
ولأزليته بالأحدية ولملكه بالأبدية وسلطانه قاهر
وكرمه ظاهر وتدبيره محكم وقضاؤه مبرم
وعرشه رفيع وصنعه بديع ليس بوالد ولا مولود ولا
لذاته حد محدود ولا لبقائه أجل معدود خضعت
الأعناق لعظمته وخشعت الأصوات والملوك لهيبته
وعنت الوجوه لعزته وذل الأقويا لقوته لا يحصى
كماله ولا يفنى نواله ولا يبيد إفضاله يا ويلكم
كيف طاب لكم الكفر بالإلهية والإشراك
بربوبيته وتجعلون له ولدا فى وحدانيته وتسجدون
للصلبان فى دائر مملكته لا تفزعون من مشيئته ثم
قرأ قوله تعالى ويوم يحشر أعداء الله إلى النار فهم
يوزعون حتى إذا ما جاؤها شهد عليهم سمعهم وأبصارهم
وجلودهم بما كانوا يعملون وقالوا لجلودهم
لم شهدتم علينا قالوا أنطقنا الله الذى أنطق كل شىء
وهو خلقكم أول مرة وإليه ترجعون وما كنتم
تستترون أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم

ولا جلودكم ولكن ظننتم أن الله لا يعلم كثيرا مما
تعملون ثم قال أيضا إن لله عبادا إذا أقسموا على الله أن
يدكدك لهم هذا السور لفعل وكان إشارته إلى سور
المدينة فلطى السور بالأرض وظهرت المنازل
والدور قال فارتعدت فرايس الملك عند ما عاين من
عظيم القدرة ثم ألوى عنان الجواد نحو عسكره
والأفئدة قد طارت وأركان الروم قد حارت
فلما كان من الليل أخذ الملك خزاينه وأمواله
وذخايره وحريمه وعياله وركب في المركب من ليلته
يريد جزيرة إقريطش فلما أصبح وقع الصايح في المدينة
بهروب الملك فاجتمع الكبراء بعضهم إلى بعض وقالوا
إن الملك قد ولى وما ثم من يدفعها ولا الجيش عنا
وفي بعض ما رأينا بالأمس من وقوع هذا السور
عند ما أشار إليه صاحبهم وقد أمسك القوم عنا
ولو أرادوا الوصول إلينا لوصلوا قال فخرجوا بأجمعهم
إلى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ووقفوا بين يدي
خالد رضي الله عنه وسلموا عليه وقالوا إن الله تعالى قد

نصركم علينا بحق وأيدكم علينا بصدق وإنا نريد
منكم أن تعاملونا بالنصفة وتنظرون إلينا بعين الرأفة
والعدل سنة من كان قبلنا معكم من الروم قال
خالد رضي الله عنه أما نحن فقد أسكن الله الرحمة
في قلوبنا وبصرنا معالم ديننا وأظهرنا على أعدائنا
وفضلنا على ساير من كان من ساير الأجناس فقال
تعالى كنتم خير أمة أخرجت للناس ونحن نجريكم
على حسن عوايدنا مع ساير من فتحنا بلادهم وقد
أمسكنا عنكم ولو أردنا أن نملك البلد
بالسيف لهان ذلك علينا ولكن خير الناس من قدر
وعفا ونريد منكم مائة ألف دينار من أطيب
أموالكم صلحا على أنفسكم وعيالكم وأهليكم
وندعوكم بعد ذلك إلى وحدانية الله تعالى
وشريعة رسوله فمن أجاب كان له ما لنا وعليه ما
علينا وكان أخانا في الإسلام ومن أبى عن ذلك
أخذنا الجزية منه من السنة الآتية من كل رجل
منكم أو غلام بلغ الحلم أو امرأة أربعة دنانير ونشرط

عَلَيْكُمْ شُرُوطًا ۞ أَنْ لَا تَرْكَبُوا دَابَّةً وَلَا تَعْلُوا دُورَكُمْ
عَلَى الْمُسْلِمِينَ ۞ وَلَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَبْنُوا فِي
الْإِسْلَامِ بِيعَةً وَلَا دَيْرًا ۞ وَلَا تُجَدِّدُوا مَا دَثَرَ مِنْ
دِينِكُمْ وَشَرِيعَتِكُمْ وَتَتَلَقَّوُا الْمُسْلِمِينَ بِالتَّذَلُّلِ
وَالْخُضُوعِ وَتُسَارِعُوا إِلَى قَضَاءِ حَوَائِجِهِمْ وَمَا يُرِيدُونَ
مِنْ صَلَاحِ شَأْنِهِمْ ۞ وَلَا تَعْدِلُوا عَنْ تَعْظِيمِ الْإِسْلَامِ وَأَهْلِهِ
وَمَنْ أَذْنَبَ مِنْكُمْ حَدَدْنَاهُ وَمَنِ ارْتَدَّ عَنْ قَوْلِنَا
قَتَلْنَاهُ وَأَنْ تَشُدُّوا الزَّنَانِيرَ عَلَى أَوْسَاطِكُمْ إِظْهَارًا
لِدِينِكُمْ وَعِرْفَانًا لِطَاعَتِكُمْ ۞ وَأَنْ لَا تُظْهِرُوا
نَاقُوسًا وَلَا صَلِيبًا وَلَا شَيْئًا مِنْ أُمُورِ دِينِكُمْ وَكُفْرِكُمْ
وَأَنْ تُصَلُّوا فِي بِيعَتِكُمْ وَلَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فِي
قِرَاءَتِكُمْ وَلَوْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ لَنَجَوْتُمْ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ
وَكُنْتُمْ مَعَنَا فِي الْجَنَّةِ ۞ فَقَالُوا أَيُّهَا الْأَمِيرُ إِنَّهُ صَعْبٌ
عَلَيْنَا أَنْ نَتْرُكَ مَا كَانَ عَلَيْهِ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ
فَتَبَسَّمَ مِنْ قَوْلِهِمْ وَقَرَأَ قَوْلَهُ تَعَالَى وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا
مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا
أَوَلَوْ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ ۞

وَمَنْ

وَمَنْ يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ
الْوُثْقَى وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ۞ وَمَنْ كَفَرَ فَلَا يَحْزُنْكَ كُفْرُهُ
إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ
نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَى عَذَابٍ غَلِيظٍ ۞ فَقَالُوا
أَيُّهَا الْأَمِيرُ نُرِيدُ مِنْكَ أَنْ تُوَلِّيَ عَلَيْنَا رَجُلًا مِنَّا حَتَّى يَجْمَعَ الْمَالَ
الَّذِي اسْتَقَرَّ بَيْنَنَا بِالْعَدْلِ وَلْيَكُنْ مَعَهُ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِكَ
فَقَالَ لَهُمْ خَالِدٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ نَحْنُ لَا نَعْلَمُ أَحَدًا مِنْ
كُبَرَائِكُمْ وَلَكِنِ اخْتَارُوا لِأَنْفُسِكُمْ بِرِضَاكُمْ
حَتَّى أُوَلِّيَهُ عَلَيْكُمْ قَالَ فَأَشَارُوا إِلَى رَئِيسٍ مِنْهُمْ عَظِيمِ
الْقَدْرِ اسْمُهُ شَعْيَا بْنُ شَامِسٍ وَكَانَ مُقَدَّمًا فِي الْقِبْطِ
فَوَلَّاهُ خَالِدٌ عَلَى جَمْعِ الْمَالِ وَرِيَاسَةِ الْبَلَدِ وَنَدَبَ
مَعَهُ قَيْسَ بْنَ سَعِيدٍ وَوَصَّاهُمَا وَقَالَ خُذُوا مِنْ كُلِّ
وَاحِدٍ مَا يَحْتَمِلُ حَالُهُ وَمَنْ كَانَ مُعْسِرًا ضَعِيفًا دَعُوهُ
وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ۞ وَلَا تَظْلِمُوا يَتِيمًا
وَلَا فَقِيرًا وَلَا أَرْمَلَةً قَالَ فَتَعَجَّبُوا مِنْ كَلَامِهِ
وَحُسْنِ وَصِيَّتِهِ ۞ وَدَخَلَ الْقَوْمُ وَاسْتَجْمَعُوا فِي قَصْرِ
الْمُقَوْقَسِ مِمَّا يَلِي بَابَ رَشِيدَ وَبَعَثَ شَعْيَا بْنُ شَامِسٍ

غلمانه يجمعون الناس إليه ففعلوا ذلك قال حدثنا جرير بن عاصم
ابن نعيم بن موسى الداراني قال حدثنا سليمان بن
عون عن جده مازن بن شبيب قال كنت حاضرا بالإسكندرية
مع قيس بن سعيد وقد وقع القسط على أهلها وكان
أكثرهم في الحشمة وأعزرهم في المال يزن عشرة
قراريط وأوسطهم حالا يزن قيراطين ولقد أتي برجل
من تفاتهم اسمه بوليس بن مرقس لا يدري ولا ندري ما
يملك من المال والكراع والغنم وكان أبخل أهل
زمانه فقال له رئيس البلد شعيا بن شامس قد وجب
عليك في هذا القسط دينار قال وحق المسيح ما كنت
بالذي أؤديه ولو مت وإن صدقتي به على البيعة أفضل
من عطيته للعرب فقال قيس بن سعيد إن الذي
نأخذ منكم صونا لأنفسكم وحقنا لدمائكم ولسنا
نأخذ على وجه الصدقة منكم بل نأخذ حلالا لا لنا حرام
عليكم يا ويلك احسب لو دخلنا مدينتكم بالسيف
ألست كنت أول من قتل وما لك أول من نهب قال له
شعيا ابن شامس خزاك الله ولعنك كل من بالإسكندرية

يعلم أنك كنت فقيرا لا تقدر على شيء من أمور الدنيا
وقد آتاك الله بفضله ووسع عليك رزقه فقال إني قد
ورثته عن آباء كرام وجدود عظام وما لله علي من فضل
قال فغضب قيس بن سعيد وقام إليه وقنعه بمقرعة كانت
معه وقال كذبت يا عدو الله ورسوله الفضل لله والمنة له
علينا وهو الواحد القهار لأنه رزقنا من فضله وأسبغ
علينا نعمه وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها ثم قال
اللهم إنه جحد نعمتك وكفر بها فأزلها عنه قال والله ما
مضى يومهم ذلك حتى جاء الخبر أن أغنامه قد هلكت
جميعها وبساتينه يبست وداره تهدمت وأمواله قد
مضت فقال قيس بن سعيد الله أكبر هذا والله بيان
حديث سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا
أسمعه وأبي هريرة من جانبي قال إن ثلاثة من بني
إسرائيل كان أحدهم أبرص والآخر أقرع
والآخر أعمى فبعث الله تعالى إليهم ملكا
فأتى الأبرص فقال له أي شيء أحب إليك فقال
يذهب الله عني البرص فذهب ما كان فيه وأعطي

لونا حسنا وجلدا حسنا قال فأي المال أحب إليك قال
الإبل أو قال البقر فأعطي ذلك ثم أتى الأقرع فقال أي
شيء أحب إليك قال شعر حسن ويذهب عني هذا فأعطي ذلك
ثم قال أي المال أحب إليك قال البقر فأعطي بقرة
حاملا وقال بارك الله لك فيها وأتى الأعمى فقال له
أي شيء أحب إليك قال يرد الله علي بصري قال فدعا له
فرد الله عليه بصره ثم قال أي المال أحب إليك
قال الغنم فأعطي شاة ولودا وكان لهذا واد من الإبل
ولهذا واد من البقر ولهذا واد من الغنم ثم إنه
أتى إلى الأبرص في صورته وهيئته وقال رجل مسكين
أسألك بالذي أعطاك هذا اللون الحسن والجلد
الحسن والمال اعطني بعيرا أتبلغ عليه في سفري فقال
له إن الحقوق كثيرة فقال له كأني أعرفك
ألم تكن أبرص فأعطاك الله هذا فقال لقد ورثت
كابرا عن كابر فقال إن كنت كاذبا
فصيرك الله كما كنت وأتى الأقرع في صورته وهيئته
وقال له مثل ما قال للأبرص فرد عليه مثل ما

رد عليه فقال إن كنت كاذبا فصيرك الله كما كنت
وأتى الأعمى فقال له صدقت أنا كنت أعمى ورد
الله علي بصري فخذ ما شئت والله لا أمنعك من شيء أخذته
فقال له امسك مالك فقد رضي الله عنك وغضب
على صاحبيك قال واجتمع المال وخرجوا به إلى خالد
رضي الله عنه ودخل المدينة وأخذ كنايسهم
فبنا في مواضعها مساجد تعرف إلى يومنا هذا وأخذ
كنيستهم المعظمة فبناها جامعا وترك لهم أربعة
كنايس لإقامة شرعهم وكتب إلى عمرو بن العاصي
بالفتح بذلك وانحدر من مصر بعد أن نزل عليهم أبا
ذر الغفاري رضي الله عنه ودخل عمرو الإسكندرية
وبنى فيها جامعا في الربض وهو أيضا معروف بجامع
عمرو بن العاصي إلى يومنا هذا قال ابن إسحق وبعد أيام
جا أهل رشيد وفوة والمحلة ودميره وجوجر وسمنود
والبحيرة واستعقبوا لهم صلحا فصالحهم ثم بعث
المقداد بن الأسود الكندي وضرار بن الأزور
ورافع بن عميرة الطائي وشاكر بن مزروع

ونوفل بن ضاعن ورداح بن عياض وعاصم بن عبد الله
وقداد بن معمر وفارس وعروة بن سالم وسهل بن
عدى وعمير الجهنى وكعب بن مالك وسعيد بن عبادة
ويزيد بن الخطاب وزيد بن عامر وعطية بن ماجد
ودخيم بن عاطل وصعصعة بن صوحان وهاشم
ابن سعيد وجبلة بن شديد ومزروع بن ثابت
وياسر بن الأشرش ومجمع بن سعيد وبكير بن
راشد ومرة بن الحكم وزاهر بن قيس وحنظلة
ابن كامل وعبيد بن أوس ورافع بن أسيد ومرداس
ابن ضاعن والأسود بن جبير وغانم بن الأحوص
وعبد الله بن صابرة وحازم بن ناصر وحامد بن حازم
وأمرهم بالمسير إلى دمياط وأمر عليهم المقداد بن
الأسود الكندى رضى الله عنه قال فساروا على
طريق البرلس إلى أن وصلوا إلى دمياط وكان فيها
خال الملك المقوقس وكان اسمه الهامرك
وكان يركب فى اثنى عشر ولدا تحت كل ولد
خمس مائة فارس من الأبطال وكان قد حصن دمياط

يجتمع فيها الزاد والأطعمة وغير ذلك فلما أشرفوا
على دمياط أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم نظر
الهامرك إلى قلتهم ضحك وقال إن قوما يقصدون أن أربعين منهم
يملكون بلدنا إنهم فى عجز رأى وقلة عقل وإن
ولده الأكبر كان فارسا مشهورا فى بلاد مصر جميعا
وكان اسمه هوبر وكان يثق بشجاعته وبراعته
وليس فى عينه من الفرسان شىء فلما نظر إلى الصحابة
نفر إليهم وهو مشتمل بلامة حربه وطلب البراز
فخرج إليه ضرار بن الأزور وهو حاسر الرأس بغير لأمة
حربه فحمل عليه وطعنه وإذا هو مجندل وحمل
على العسكر وحده فألجأه إلى سور البلد وكان فيهم
كالنار فى الحطب اليابس قال فاستعاد منه الجيش
بجمعه ورجع الهامرك إلى قصره ودعا أرباب دولته
إليه وقد صعب عليه قتل ولده وكان له حكيم
يقتدون برأيه ويعتمدون على عقله فأحضره إليه مع
من حضر وقال أيها الحكيم العالم ما الذى تشير به
علينا من أمر هؤلاء العرب فقال أيها الملك إنه

جوهرة العقل لا قيمة لها ۞ وما استصحبها أحد إلا هدته
إلى سبيل نجاته وقادته إلى معالم صلاحه وهؤلاء القوم
ما تدل لهم راية ۞ ولا تلحق لهم غاية ۞ قد فتحوا البلاد
وأذلوا العباد ۞ واشتهر أمرهم ۞ وعلا ذكرهم وانتشر
خبرهم ۞ وعلت كلمتهم ۞ وطبقت دعوتهم الآفاق
فما أحد يقدر عليهم ۞ ولا يصل إليهم ۞ وما نحن بأشد
من جيوش الشام جلدا ۞ ولا أمنع بلدا وهؤلاء القوم
قد أيدوا بالنصر وغلبوا بالقهر وإن الرحمة في قلوبهم
وما عاهدوا عهدا فخانوه ۞ ولا حلفوا يمينا فحنثوا وقد
بلغك ما هم فيه من الدين والصيانة ۞ والصدق والأمانة
والرأي عندي أن تتعقب لنا من القوم صلحا تنال بذلك
الأمن وحقن الدما ۞ وصون المحارم ۞ ودفع العظائم
وتكون ممن صالحناهم ودفعنا أمرهم بشيء من مالنا
قال فلما سمع الهامرك ذلك من الحكيم أمر
أن تضرب عنقه ۞ فلما نظر إلى المنية وقد غشيته
قال اللهم إني بريء مما يشركون ۞ لا شريك
لك ولا ولد لك ولا صاحبة لك وأشهد أن لا إله

إلا الله وأن محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
فلما سمع الهامرك قوله وثب قائما وعلاه بسيفه فقتله
فلم يقدر أحد بعد الحكيم أن يشير عليه بشيء ثم أمرهم أن
يأخذوا على أنفسهم للحرب صبيحة غدهم ففعل القوم ذلك
وأخذوا أهبتهم للحرب ۞ فلما كان من صبيحة غدهم
خرجوا إلى ظاهر البلد وأخذوا على أنفسهم للحرب
ونصبوا خيامهم وسرادقاتهم بإزاء أصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال وكان للحكيم
الدارجان رحمه الله ولد قد ورث فضائل أبيه
وكان فيه فطنة وعقل وتدبير فلما بلغه أن أباه
قتل أظهر الفرح والدعا للملك الهامرك وقال
لقد أراحني الملك منه ومن شره وكثيرا كان
يضربني ويذلني وبلغ قوله إلى الملك الهامرك
فطيب قلبه وخلع عليه فلما كانت تلك الليلة
قال والله لآخذن بثاره من هذا اللعين ولأولاده ۞
قال وكانت داره ملاصقة السور قال فنقب
في السور نقبا واسعا من داره وخرج منه وما علم به

أحد حتى أتى إلى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
فلما رأوه قالوا له من أنت فأنبأهم بقصته وقال
إن أبي الحكيم قد قتل بسببكم وقد نفيت نفيا وخرجت منه
إليكم فقوموا معي على بركة الله تعالى وعونه حتى
تملكوا المدينة فقال ضرار رضي الله عنه إن الذي بعثك
بهذه الحيلة أراد قتلك ولسنا نؤتى من قبل خديعة لأن
الحذر شعارنا والتيقظ دثارنا وهم بقتله فقال
له المقداد بن الأسود الكندي قف يا ضرار
وفقك الله على خير وقال جميع الضرر إني رأيت
رسول الله صلى الله عليه وسلم البارحة في المنام
يشير إلى شخص بين يديه وكأنه يقول لي على يد
هذا تفتح المدينة وكأني أتأمل هذا الغلام ورأيته
على ما هو عليه الآن وكان على وسطه منطقة من
الأديم فيها حلق فضة وهي من تحت ثيابه ثم قال المقداد
يا غلام اكشف عن ثوبك قال فكشف الغلام عن
ثوبه وإذا المنطقة في وسطه فقال المقداد أشهد
أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله صلى الله

صلى الله عليه وسلم فقام المسلمون وصافحوه وتقدم
أمامهم الغلام إلى أن دخل بهم من المكان الذي نقبه
ووسعوه بأيديهم حتى دخلت خيولهم منه ثم ردوا الحجارة
والطين والبنا على حاله وأعمى الله أبصار القوم عنه فلما كان
من الغد نظروا أعداء الله وإذا ليس للصحابة خبر فضجوا وماجوا
وقالوا هربت العرب ووقع الصايح في المدينة فأقبلوا أهلها
يهرعون إلى ظاهرها ليقفوا على صحة الخبر فلم يبق في المدينة
صغير ولا كبير إلا خرج ولم يتخلف أحد إلا النساء والأطفال
قال ابن إسحق رحمه الله وكان للحكيم الدارجان
بنو أعمام ثمانون رجلا وإن ولده سار إليهم تلك الليلة التي
دخل فيها أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما كان من
الغد وقع الصايح بهم وبهم وخرج كل من في المدينة
فبادروا إخوة الحكيم وبنو أعمامه إلى أبواب المدينة
فغلقوها وأعلنوا بالتهليل والتكبير والصلاة على البشير
النذير فوقعت الخمدة عليهم النساء والصبيان واستوثقوا
القوم من المدينة وخرجوا أصحاب رسول الله صلى الله عليه
وسلم من باب يقال له باب البرجين تسمى باب الجهاد ويعرف

به إلى يومنا هذا ورفعوا أصواتهم بذكر الله تعالى فلما نظر
إليهم أهل المدينة علموا أن المدينة قد ملكت منهم وأن
الذي فعل ذلك بنوا عم الديرجان الحكيم فصربوا
صفوفهم بإزاء أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ونظروا
إلى الذين أسلموا وقد ملكوا الأسوار فصعب عليهم وكبر
لديهم وسقط ما كان بأيديهم قال فبينما الهامرك
ينظر إلى أصحابه وولده الأوسط عن يمينه وكان عالما
لبيبا كثير التيقظ كامل الأدب وافر العقل وكان
منذ نشأ يتبع آثار الرهبان ويجالس العلماء ويطلب العلم
ومنذ ملك عقله ما أكل لحما ولا كشف محرما ولا
سجد لصورة ولا لصليب وكان هم أن يبني له صومعة
ويتعبد فيها فلم يمكنه أبوه من فرط محبته له وكونه
لا يستطيع فراقه وكان هذا الغلام اسمه شطا وكان
يحب أن يسمع أخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم ويبحث
عنها فبينما هو واقف عن يمين أبوه ينظر إلى الصحابة
رضي الله عنهم وإلى زيهم وينظر إلى أنوار الإيمان
التي عليهم وإذا هو شخص ببصره إلى السماء ثم صاح

وسقط على قربوس سرجه فارتاع أبوه وعشيرته من ذلك
فلما أفاق قال له أبوه يا بني ما وراك قال والله ظهر الحق وبان
وقد تبين حقيقة الإيمان قال يا أبت إني أرى على عسكر هولاء
العرب نورا عظيما وفيهم رجال عليهم ثياب خضر وهم
على خيول شهب وبينهم قبتان معلقتان في الجو بلا علاقة
من فوقها ولا دعامة من تحتها وفيها رجال ما رأيت
أحسن من وجوههم ولا شك أنهم الشهداء ورأيت في
إحدى القبتين حورا عيونهم دعج لو برزوا لأهل الأرض
لماتوا شوقا إليهم فإن الله جل جلاله ما كشف بصري
وأراني ذلك إلا وقد أراد بي خيرا وما كنت بعد هذه
الرؤيا أبقى على ضلال واتباع المحال وأنا أشهد أن لا إله
إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله ثم حرك جواده وأتى
إلى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال لأصحابه
وغلمانه من أحبني فليتبعني قال فتبعه من القوم ألفا رجل
ولحقوا بأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ورموا
سلاحهم وأعلنوا بتوحيد الله تعالى قال فلما نظر
الهامرك إلى ذلك قال والله ما آمن ولدي شطا إلا وقد

رأى الحق ولست أشك في عقله ودينه ثم أسلم وأسلم ولده
فلما نظر الأمراء والحجاب إلى ذلك قالوا إذا كان الملك
وولده قد أسلموا فما وقوفنا قال فأسلموا وجددوا الإسلام
على يدي أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وفتحت
المدينة فمن أسلم تركوه ومن أبى أخرجوه إلى الأرياف
والجزاير وفتح المقداد رضي الله عنه النقب الذي
دخلوا منه إلى المدينة وأمر بلبنا به بابا وسماه باب
اليتيم وهو ابن الحكيم وترك عندهم المقداد رجلا
من الصحابة يعلمهم معالم دينهم وهو يزيد بن عامر ووصل
المقداد وأصحابه إلى الإسكندرية وحدثوا عمرا
بما فتح الله عليهم من دمياط ففرح بذلك وكتب
كتابا إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه بفتح
مريوط والإسكندرية ورشيد وفوة والمحلة ودميرة
وسمنود وجوجر وأبيار ودمنهور والبحيرة ودمياط
وبعث الكتاب مع عامر بن لؤي قال حدثنا زياد بن
عبد الله عن حميد الطويل عن موسى بن الصامت عن نصر بن
مسروق قال لما فتحت دمياط وكان من أمرها ما كان

بعث الملك لولده شطا يا بني إن الله سبحانه وتعالى قد
أنقذنا من نار الجحيم إلى النعيم وقد هدانا إلى الصراط المستقيم
وذلك لسابقة سبقت لنا في القدم وهذه تنيس بالقرب
منا وهي جزيرة ولا يمكن التوصل إليها إلا في المراكب
والصواب أننا نكاتب صاحبها أبي توت وندعوه إلى الله
تعالى ودين نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فإن أجاب
وإلا قاتلناه والله ينصرنا فقال شطا هذا هو الرأي
وأنا أكون الرسول إليهم بنفسي فقال يا بني اعزم
على بركة الله وعونه قال فركب شطا وسار معه أربعة
من غلمانه وخواصه فلما نظر إلى ذلك يزيد بن عامر
صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لشطا أنا أسير
معك إلى صاحب تنيس فإنه لو سألك عن ديننا ومعالمه
لم يكن لك جنان تكلمه ونحن بحمد الله تعالى ما فينا
من يتكبر ولا من يتجبر لأن طلبتنا الآخرة والعمل
بما يقربنا إلى الله ثم سار معهم يزيد بن عامر إلى أن
أتوا إلى جانب البحر وإذا هناك مراكب من قبل أبي توت
صاحب أبي توت صاحب تنيس وفيها رجال يحفظون من

يأتي من قبل دمياط فلما نظر أهل المراكب إلى شطا وغلمانه
وبينهم رجل من العرب قالوا من أنتم فقال لهم شطا أنا
ابن الملك الحامرك صاحب دمياط ومعنا هذا الرجل وهو
من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد جئناكم رسلا
فبعث القوم رجالا يستأذنون عليهم فأذن لهم بالقدوم
إليه قال فتقدموا لشطا زورقا وركب فيه هو
وغلمانه ويزيد بن عامر وقد فوا بهم إلى المدينة
من الزورق وإذا بالملك أمرهم بدواب يركبونها
فامتنع يزيد من الركوب ووافقه على ذلك شطا وغلمانه
وساروا رجالة إلى قصر أبي توت فاستأذنوا عليه فأذن
لهم فلما توسطوا القصر وافوا أبا توت في عظيم حشمة
وكبير زينته والحجابة والغلمان بين يديه وهو في
مرتبته وإمارته وكان قد تجبر وتكبر منذ
نزل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم على مصر ومنع
الارتفاع والخراج عن المقوقس وولده وقد اجتمع
عنده مال عظيم فلما دخل صاحب رسول الله صلى الله عليه
وسلم وشطا وغلمانه ونظر إلى أبي توت وتجبره

بدأ يزيد بن عامر بالسلام فقال السلام على من اتبع الهدى
إنا قد أوحي إلينا أن العذاب على من كذب وتولى
حدثنا قتيبة بن سليم قال أخبرنا جرير بن أحمد قال
حدثنا عيينة بن جبير وكان أعلم الناس بقصة فتوح
أهل مصر والعرب قال كان هذا أبي توت من أرض
العريش من متنصرة العرب من غسان ويقرب من جبلة بن
الأيهم وكان صاحب مال وحال وإنه لما وقعت
الهزيمة على الروم وفتح الشام على يد العرب وانهزم الملك
هرقل وهربت معه جبلة بن الأيهم هرب معه هذا
أبي توت بماله وأهله وإخوته إلى أرض الجفار ونزل
في البرية ما بين العريش ورفح وأن المقوقس خرج من مصر
يتصيد في خواصه وأرباب دولته فانتهى في صيده إلى
أرض العريش وهو مسيرة أربعة أيام وإن المقوقس لما
حصل في برية العريش انطرد أمام الملك وحش كبير
فطلبه واشتغل كل حاجب وأمير بصيده فتبعها الملك
إلى أن رمت به حلل أبي توت بن كامل بن صعصعة
والجواد قد ارفض عرقا فلما نظر إليه أبي توت قام

إليه وبجله وعظمه وعلم أنه الملك بنفسه وأمسك بركابه
وأنزله إلى بيته وذبح الأغنام وصنع الطعام ولحق جيش الملك
به فأضافهم ثلاثة أيام فلما كان في اليوم الرابع ركب
مع الملك وشيعه فراسخ ثم ودع الملك وعاد فلما رجع المقوقس
إلى مصر جلس على سريره وأمر وزيره أن يكتب لأبي توت
بولاية تنيس وأعمالها ونفذ له الخلع والمماليك والغلمان
فلما وصل منشور الملك وخلعته إلى أبي توت فرح وقبل الأرض
وسار إلى الفرمة وركب منها في المراكب إلى تنيس فلما
ترتب في ولايته بعث إلى أهله وإخوته فأتوا إليه فولى
أخاه يامينا على جزيرة الصدف وولى أخاه الآخر وهو أبو شقا
على جزيرة الطير وولى على دبيق ولده مصاص وولى على
دنقاه أوفسا مولاه أبي ناجح وطغى وتجبر ومرت
الليالي والأيام حتى قدم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
إلى مصر ومنع الخراج والارتفاع عن الملك وابنه ورأى أنه
في جزيرة فحصن نفسه وقال ما أحد يصل إلي فلما قدم شطا
ويزيد ورآهما أبو توت أظهر الإعجاب والتكبر ولم
يرفع رأسه إليهما ولم يجسر أحد من حجابه أن يأذن لهما في

الجلوس فلما نظر إلى ذلك يزيد بن عامر قرأ قوله تعالى إن الأرض لله
يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين ثم جلس وجلس إلى
جانبه شطا فنظر يزيد بن عامر إلى سرير أبي توت وإذا هو من
الذهب وفيه صورة النخلة ومن تحتها صورة مريم والمسيح
في حجرها فقرأ يزيد فناداها من تحتها ألا تحزني قد جعل
ربك تحتك سريا وهزي إليك بجذع النخلة تساقط عليك
رطبا جنيا فكلي واشربي وقري عينا فإما ترين من البشر
أحدا فقولي إني نذرت للرحمن صوما فلن أكلم اليوم
إنسيا فأتت به قومها تحمله قالوا يا مريم لقد جئت شيئا
فريا يا أخت هرون ما كان أبوك امرأ سوء وما كانت
أمك بغيا فأشارت إليه قالوا كيف نكلم من كان في
المهد صبيا قال إني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبيا وجعلني
مباركا أين ما كنت وأوصاني بالصلاة والزكاة ما دمت
حيا وبرا بوالدتي ولم يجعلني جبارا شقيا والسلم على
يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حيا قال فلما سمع
أبو توت قول يزيد التفت إليه بغضب وحنق وقال
ما هذا الكلام الذي نطقت به فقال يزيد هذا كلام الله

جَلَّ جلاله الَّذِي أَنزَلَ عَلَى نَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الَّذِي
لَا تَفْنَى عَجَائِبُهُ وَلَا تَنْفَدُ غَرَائِبُهُ وَلَا تَبَدُّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَلَا تُمَلُّ
آيَاتُهُ. فَقَالَ مَا مَعْنَى الَّذِي ذَكَرْتَ وَمَا تَفْسِيرُهُ. قَالَ
يَزِيدُ بْنُ عَامِرٍ أَمَّا قَوْلُهُ إِخْبَارًا عَنْ عِيسَى حِينَ قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللهِ
فَإِنَّهُ يُعْلِمُ الْخَلْقَ أَنَّهُ عَبْدُ اللهِ لَيْسَ بِوَلَدٍ جَلَّ الْوَاحِدُ الصَّمَدُ
وَأَمَّا قَوْلُهُ آتَانِيَ الْكِتَابَ مَعْنَاهُ حَتَّى أُعَلِّمَكُمُ الْأَحْكَامَ
وَأُعَرِّفَكُمُ الْحَلَالَ وَالْحَرَامَ. وَأَمَّا قَوْلُهُ وَأَوْصَانِي
بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَعْنَاهُ أَنِّي مَأْمُورٌ بِالطَّاعَةِ وَالْخِدْمَةِ
مِثْلُكُمْ وَالزَّكَاةِ إِنَّ فِي مَالِي لِلَّهِ حَقًّا. وَأَمَّا قَوْلُهُ
وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ يُعْلِمُ النَّاسَ أَنَّهُ مَوْلُودٌ لَا يَسْتَحِقُّ
أَنْ يَكُونَ مَعْبُودًا. وَأَمَّا قَوْلُهُ وَيَوْمَ أَمُوتُ يُعْلِمُهُمْ أَنَّهُ يَمُوتُ
وَمَنْ يَمُوتُ لَا يَكُونُ لَهُ الْعِزُّ وَالْجَبَرُوتُ. وَأَمَّا قَوْلُهُ
وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا فَيُعْلِمُهُمْ أَنَّهُ وَإِيَّاهُمْ يُبْعَثُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ
يَوْمَ الْحَسْرَةِ وَالنَّدَامَةِ وَلَوْ كَانَا إِلَهَيْنِ لَكَانَ لَهُمَا
إِرَادَتَيْنِ وَوَقَعَ الْخُلْفُ بَيْنَهُمَا وَتَرَى الْحِكْمَةَ غَيْرَ فَاسِدَةٍ
وَعَلَى وَحْدَانِيَّتِهِ شَاهِدَةٌ. قَالَ فَلَمَّا سَمِعَ فَقَالَ يَزِيدُ بْنُ عَامِرٍ
اللهُ يَعْلَمُ مَنْ هُوَ تَائِهٌ فِي تِيهِ الْمُحَالِ وَمُتَّبِعُ الْكُفْرِ وَالضَّلَالِ

وَقَدْ أَشْرَكَ بِالْمَلِكِ الْمُتَعَالِ الَّذِي لَا سَمَاءَ تُظِلُّهُ وَلَا أَرْضًا
تُقِلُّهُ وَلَا لَيْلًا يُجِنُّهُ وَلَا نَهَارًا يُكِنُّهُ وَلَا ضِيَاءً يُظْهِرُهُ وَلَا
ظَلَامًا يَسْتُرُهُ وَلَا يَقْهَرُهُ سُلْطَانٌ وَلَا يُغَيِّرُهُ زَمَانٌ كُلَّ يَوْمٍ
هُوَ فِي شَأْنٍ. أَمَا لَكُمْ بَصَائِرُ أَمَا مِنْكُمْ مَنْ يَنْظُرُ وَيَعْتَبِرُ
فِي قُدْرَةِ الْقَادِرِ أَمَا مِنْكُمْ مَنْ يَعِظُ نَفْسَهُ بِذَهَابِ
النَّهَارِ وَإِقْبَالِ اللَّيْلِ. أَمَا لَكُمْ أَنْ تُنَزِّهُوهُ أَمَا آنَ لَكُمْ
أَنْ تُوَحِّدُوهُ أَمَا سَمِعْتُمْ أَنَّ الَّذِي تَعْبُدُونَهُ وَتُشِيرُونَ إِلَيْهِ
وَتُعَظِّمُونَهُ يَعْنِي الْمَسِيحَ قَدْ أَقَرَّ بِالْعُبُودِيَّةِ وَذَلَّ لِعِزَّةِ الرُّبُوبِيَّةِ
وَقَالَ إِنِّي عَبْدُ اللهِ وَبَشَّرَ بِنَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
قَبْلَ مَبْعَثِهِ وَعَرَفَ بَنُو إِسْرَائِيلَ بِقُرْبِهِ مِنَ الْحَقِّ وَكَرَامَتِهِ
أَمَا سَمِعْتُمْ بِمُعْجِزَاتِهِ وَمَا ظَهَرَ مِنْ دَلَالَاتِهِ أَمَا انْشَقَّ لَهُ الْقَمَرُ
أَمَا كَلَّمَهُ الضَّبُّ وَالْحَجَرُ أَمَا خَاطَبَهُ الْبَعِيرُ وَالشَّجَرُ أَمَا
هُوَ أَطْيَبُ بَيْتٍ فِي مُضَرَ. قَالَ فَانْحَزَمَ أَبُو تَوْتٍ
عَنْ رَدِّ الْجَوَابِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ مَا يُزِيلُ بِهِ خَجَلَهُ إِلَّا أَنْ قَالَ
لِيَزِيدَ قَدْ وَصَلَ إِلَيْنَا مَا قَدْ فَعَلَ وَلَكِنَّهُ كَانَ سِحْرًا مُسْتَمِرًّا
وَلَكِنْ إِنْ كَانَ قَوْلُكَ هَذَا حَقًّا فَادْعُ إِلَى اللهِ وَتَوَسَّلْ إِلَيْهِ
بِمُحَمَّدٍ أَنْ يَسْقِيَنَا الْغَيْثَ فَإِنْ جَاءَ الْغَيْثُ عَلِمْنَا أَنَّ قَوْلَكَ

ليس فيه شك ونؤمن بالله ونصدق برسالة محمد صلى الله عليه
وسلم قال يزيد بن عامر إن الله يقدر على ما ذكرت
وإن الله على كل شيء قدير وإن العبد المخلص لله إذا دعاه
أجاب دعوته ولكنه يفعل ما يشاء وأنا أتوسل إلى الله بخير
خلقه وصفيه وهو الفعال لما يريد ثم قام يزيد رضي الله
عنه وخرج من مجلس أبي توت فقال إلى أين قال أدعو الله
الذي لو شاء أرسل عليكم رجزا من السماء ثم قرئ بل الذين
اتبعوا أهواءهم بغير علم فمن يهدي من أضل الله وما لهم
من ناصرين قال حدثني بن عاصم عن رويم بن عبد الله
عن ابن جبير قال وإنما أبو توت طلب الغيث واقتصر عليه
لأن كان له مزرعة بالبعد من النيل ولا يقدر أن يسقيها
من النيل ولا يصل إليها ماء وكانت قد أشرفت على
الهلاك واليبس وكانت منه ببال وقد غرس فيها من
جميع الفواكه والأشجار وقد صنع لها مصانع تمتلئ بما
المطر فتسقى من ذلك في أيام الحاجة إليها وكان
المطر قد أمسك عنهم والمصانع قد نشفت فلما خرج
يزيد قصد البحر وتوضأ وصلى ركعتين ثم رفع رأسه

إلى السماء ودعا وقال اللهم إنك أمرتنا بالدعاء ووعدتنا
الإجابة فقلت وأنت أصدق القائلين وإذا سألك
عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداعي إذا دعاني وقد
دعوتك كما أمرت فاستجب كما وعدت يا ذا المعروف
الذي لا ينقطع أبدا ولا يحصيه غيرك أحدا قال واقص بن
جبير لقد بلغني ممن أثق به أن يزيد بن عامر كان يدعوا
إذا ارتفع السحاب في الجو ومنع بكتا فيه الضوء ووقف
وقفة الخاضع ورفع جناح السائر الواضع وانبعثت كتائبه
وتألفت مواكبه والرعد يصول عليها صولة الخاضع وهو
لها بسوط البرق ضارب يزمجر بصلصلة وقعقعة هديره
وهو على فلك سير مسيره وقد أحاطت بالسحابة ملائكة
الرحمة متمنطقون بمناطق الخدمة وهم يسوقونها
إلى ملائكة خزائن الرحمة ويجذبونها بأزمة
القهر إلى ميكائيل وصولته وهو واضع أجنحة
عبوديته واقف عند معرفة خدمته موسوم برسم
تسبيح الرعد بحمده والملائكة من خيفته والركام
يسري سير العجل ويسرع إسراع الوجل يسبح من يلجيه

بجلاله فترى الودق يخرج من خلاله فإذا استرسلت
وحملت بالماء ثم وسقت والبرق من أركانها قد اتسقت
هبت عليها رياح قدرته من مواضع خزائن رحمته هو
الذى يرسل الرياح نشرا بين يدى رحمته عندها
فتفتح مصارع أبوابها ويرفع ستر حجابها بيد ملائكته
فتهمع بدموع أشجانها على فراق خزائنها فتستبشر
الأرض عند ورودها فتنتظم عقود الزهر فى جيد
وجودها وتخرج ذخائر كنوزها عند قوتها
فانظر إلى أثر رحمت الله كيف يحيى الأرض بعد موتها
قال ولم يزل ينسكب المطر بقية يومهم وليلتهم
فلما كان من الغد حضر يزيد بن عامر فى مجلس أبى توت
فقال إن سحركم لعظيم وإن مكركم لجسيم
وإن السحر ليفعل أكثر من هذا قال له يزيد إنما
ذلك الرحمة من الله تعالى بنور من أقسمت به عليه فلما
رأى نزول المطر وظهر له بركات أصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال أبو توت ليزيد الآن
تحققت أن دينكم الحق وقولكم الصدق وأنا

مؤمن بالله مصدق برسالة رسول الله وسوف أعرض
دين الإسلام على أهل جزيرتى وأصحابى وأهدم
الكنائس وأبنى المساجد وآمر بالمعروف وأنهى عن المنكر
فقال يزيد بن عامر إن أنت فعلت ذلك رشدت وإن
نافقت فربك بالمرصاد ثم خرج من عنده ومن كان معه
من أصحابه إلى أن وصلوا إلى الهامرك صاحب دمياط فحدثوه
بما كان من الأمر فقال والله لقد خدعكم بحيله بعينه
ورماكم بسهم مكيدته فقال يزيد بن عامر رضى الله عنه
ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين فما لبثوا إلا
أياما قلائل حتى جاءهم الخبر أن أبا توت قد جمع من سائر
الجزائر وهى سمنة وسابة وأبو مينا وأبو ساود وهو بعد
أيام عندكم قال فلما سمع الهامرك ذلك قال ليزيد بن
عامر وأصحابه يا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ما الذى
ترون من الرأى فى أمر هذا العدو فقال يزيد بن عامر
نستعين بالله ونتوكل عليه ومن قاتلنا قاتلناه قال
الراوى لهذه السيرة إن الهامرك بعث ولده شطا رحمه الله
إلى البرلس ودميرة وأشمون وطناح وما هو تحت يده

يدعوهم الى الجهاد فجاء القوم من كل ناحية ومكان
في عددهم وعديدهم وضربوا خيامهم مما يلي الشرق
والقبلة عن دمياط وكتبوا الى عمرو بن العاصي يعلمونه
بالأمر بأن أبا توت قد جمع الجموع للقائنا وتبالونه
النصر فلما وصل الكتاب اليه قرأه ونفذ اليهم هلال
ابن أوس وصفوان بن ربيعة ومعه أحد بني لؤي وضم
اليه ألفا من بادية العرب ومن وادي القرى وبعثهم
الى دمياط وذلك في العشر الأول من شهر شعبان المكرم
من سنة ستة عشر من الهجرة ولعمر رضي الله عنه في الخلافة
أربع سنين ونصف وأما ما كان من أبي توت فلما نفر اليه
أهل تمينة ورميلة وأبو مينا أعرضهم بظاهر تنيس وخرج
عليهم من بابه المعروف به الى يومنا هذا وكان جملتهم
عشرين ألف راجل ومن الخيل خمس مائة فارس من القبط من
مستعربة العرب وخرج بهم في المراكب الى أن صاروا على
أرض واحدة الى أن قربوا من المسلمين وصفوا صفوفهم
وكان أول من برز اليهم شطا ابن الهاموك فقتل رجالا
وجدل أبطالا لأنه اشترى الإيمان بنفسه وشرح الإسلام

صدره واشتاق الى دار السلام وذلك عند ما لاحت له تلك
الأنوار وانفتحت له أبواب قلبه بمعرفة الجبار ولم
يقاتلهم بقية يومه الى أن جن الليل فعاد من قتال اللئام
الى الصلاة والصيام فلم يزل على أقدام الخوف والوجل
وهو منكس الرأس من الخجل من الرب عز وجل ولما
انتصف الليل وطلع نجم سهيل انضجع فلما كان وقت
الغلس وقرب الصبح وتنفس استيقظ شطا وهو باكي
العين فقال له أبوه يا بني ما الذي أبكاك قال له
اني رأيت مناما أبصرته وكلاما سمعته وقد حفظته وان
الدنيا طالق واني بعون الله واثق ولا شك أني لك مفارق
فقال له أبوه أعوذ بالله يا بني من هذا الكلام
ولعل ذلك أضغاث أحلام ولكنها أوامر الملك العلام
الذي أجرى الأقلام وخلق الضيا والظلام وبعث
سيد الأنام الى الخلايق بشرايع الإسلام وكأني
رأيت في منامي كأن أبواب السموات قد فتحت وأنوار
الهداية قد سطعت ولمعت ثم انفتح باب الى السماء
الثانية فرأيتها مملوة بالملائكة ساجدين على جباههم

لَا يَقُومُونَ وَهُمْ رُكَّعٌ لَا يَنْتَصِبُونَ وَقِيَامٌ مِنْ هَيْبَةِ رَبِّهِمْ
لَا يَقْعُدُونَ وَبَاكُونَ لَا تَنْشَفُ لَهُمْ عُيُونٌ ثُمَّ رَأَيْتُ
كَذَلِكَ سَمَاءً بَعْدَ سَمَاءٍ إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ ثُمَّ رَأَيْتُ فِيهَا
قُبَّةً خَضْرَاءَ مِنَ الزُّمُرُّدِ الْأَخْضَرِ مُعَلَّقٌ فِيهَا قَنَادِيلُ مِنَ الْجَوْهَرِ
فِيهَا سُرُجٌ تَزْهُو بِالْأَنْوَارِ وَتَقِدُ مِنْ غَيْرِ نَارٍ وَفِيهَا
أَرْبَعُونَ حُورِيَّةً عَلَيْهِنَّ الْحُلَلُ مَا رَأَيْتُ قَطُّ مِثْلَهَا وَلَا
نَظَرْتُ مِثْلَ شَكْلِهَا بِأَوْجُهِ الْإِنْسِ وَتَكْسِفُ أَنْوَارُهَا
نُورَ الشَّمْسِ تَجِلُّ عَنْ وَصْفِ الْإِنْسِ وَفِي أَرْجُلِهِنَّ نِعَالُ
الْيَاقُوتِ الْأَحْمَرِ يَطُوفُونَ بِهَا عَلَى رَفَارِفِ الْقُرْبِ وَالْحُبُورِ
وَيَتَقَلَّبْنَ عَلَى أَسِرَّةِ السُّرُورِ فَصَاحَتْ بِي إِحْدَاهُنَّ يَا مَفْتُونُ
بِدَارِ الْفَنَا أَمَا آنَ لَكَ أَنْ تَذْكُرَنَا فَقَدْ خَلَقَنَا اللهُ
لَكَ مُنْذُ خَلَقَكَ وَجَعَلَ مَهْرَنَا مِنْكَ الْجِهَادَ فِي مَرْضَاتِ
الْعِبَادِ وَقَدْ أَلِفْتَ الْجَفَا وَمَا هَكَذَا صُنْعُ أَهْلِ الْوَفَا
وَقَدْ نَفِدَ الْمِيقَاتُ وَتَقَضَّتِ السَّاعَاتُ وَالْأَوْقَاتُ
فَتَيَقَّظْ مِنَ الْمَنَامِ وَارْحَلْ إِلَى دَارِ السَّلَامِ وَانْظُرْ مَاذَا
تَرَى فَنَظَرْتُ وَإِذَا بِقِبَابٍ مُعَلَّقَةٍ حَيْثُ لَا تُدْرَكُ لَهَا نِهَايَةٌ
بِعَدَدِ النُّجُومِ وَقَطَرَاتِ الْغُيُومِ فِي كُلِّ قُبَّةٍ مِثْلُ مَا

رَأَيْتُ فَقُلْتُ مَا هَذَا فَقُلْنَ لِي هَذَا قِبَابُ قُوَّامِ اللَّيْلِ
وَالشُّهَدَا تَأْوِي بِأَهْلِهَا إِلَى جَنَّةِ الْمَأْوَى وَهِيَ جَنَّةٌ مَخْلُوقَةٌ
مِنْ لُؤْلُؤَةٍ رَطْبَةٍ فِي قَدْرِ الدُّنْيَا كَذَا كَذَا مَرَّةً ثُمَّ
تَقَدَّمْتُ إِلَى وَاحِدَةٍ مِنَ الْحُورِ لَوْ تَطَلَّعَتْ إِلَى الدُّنْيَا لَأَغْنَتْ
عَنِ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ بِإِشْرَاقِ وَجْهِهَا وَهِيَ تَقُولُ

أَنْتَ يَا مَفْتُونُ مَا تَبْرَحُ فِي خَمْرِ الْمَنَامِ
فَدَعِ اللَّهْوَ وَبَادِرْ مِثْلَ فِعْلِ الْمُسْتَهَامِ
ثُمَّ نُحْ وَابْكِ عَلَى مَا فَاتَ بِالدَّمْعِ السِّجَامِ
أَيُّهَا اللَّائِمُ دَعْنِي لَسْتُ أُصْغِي لِلْكَلَامِ
إِنَّنِي أَطْلُبُ مُلْكًا نَيْلُهُ صَعْبُ الْمَرَامِ
فِي جِنَانِ الْخُلْدِ وَالْفِرْدَوْسِ فِي دَارِ السَّلَامِ
وَعَرُوسًا فَاقَتِ الشَّمْسَ كَذَا الْبَدْرَ التَّمَامِ
طَرْفُهَا يَرْشُقُ بِاللَّحْظِ مُصِيبَاتِ السِّهَامِ
وَلَهَا صُدْغٌ عَلَى الْخَدِّ كَنُونٍ تَحْتَ لَامِ
أَحْسَنُ الْأَتْرَابِ قَدًّا فِي اعْتِدَالٍ وَقَوَامِ
مَهْرُهَا مَنْ قَامَ فِي اللَّيْلِ مُنَادِي فِي الظَّلَامِ
يَا مَلِيكِي وَرَجَائِي وَعِمَادِي وَمَرَامِي
فَاسْتَمِعْ مِنِّي قَوْلِي ثُمَّ فَكِّرْ فِي نِظَامِي

وَغَدًا ابادِرُ إِلَى الْحَرْبِ إِلَى ضَرْبِ الْحُسَامِي
سَوْفَ تَأْتِينَا سَرِيعًا قَبْلَ تَرْحَالِ الظَّلَامِي

قَالَ لَهُ أَبُوهُ يَا بُنَيَّ اعْلَمْ أَنَّ مِنَ الْمَنَامِ مَا يَصْدُقُ وَمِنْهُ مَا يَكْذِبُ فَلَا تُشْغِلْ نَفْسَكَ بِمَا رَأَيْتَ فَقَالَ لَا وَاللهِ يَا أَبَتِ مَا بَقِيَ لِي فِي الدُّنْيَا طَمَعٌ وَلَمْ يَزَلْ بَاقِي لَيْلَتِهِ يَبْكِي وَيَتَضَرَّعُ وَيَقُومُ عَلَى أَقْدَامِ الْخُضُوعِ وَيَخْشَعُ وَأَجْفَانُهُ مِنْ خَوْفِ رَبِّهِ تَدْمَعُ إِلَى أَنْ أَصْبَحَ الصَّبَاحُ وَأَشْرَقَ بِضِيَائِهِ وَلَاحَ وَوَدَّعَ شَطَا أَبَاهُ وَأَهْلَهُ وَخَرَجَ إِلَى الْحَرْبِ فَتَعَلَّقَ بِهِ أَبُوهُ وَقَالَ لَهُ يَا بُنَيَّ بِحَقِّي عَلَيْكَ لَا تُبْلِينِي بِفِرَاقِكَ فَقَالَ شَطَا دَعْ عَنْكَ الْعِتَابَ فَقَدْ قَرُبَ لِقَاءُ الْأَحْبَابِ فَعِنْدَهَا قَامَتِ الْمَرَاسِمُ وَانْهَمَلَ الدَّمْعُ السَّاجِمُ وَدَنَى الْفِرَاقُ وَقَامَتْ قَايِمَاتُ الْأَشْوَاقِ وَنُشِرَتْ أَجْنِحَةُ الْبَيْنِ وَجَرَى مِنْ كُلِّ عَيْنٍ عَيْنٌ وَأَقْبَلَ الْهَامُرْكُ يُوَدِّعُ وَلَدَهُ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنْ صَحَّ مَنَامُكَ وَضُرِبَتْ فِي دَارِ السَّلَامِ خِيَامُكَ فَاذْكُرْنَا بِحُسْنِ طَرِيقَةِ الْوَفَا وَاقْرِي سَلَامَنَا عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ الْمُصْطَفَى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ

وان الغلا

وَانَّ الْغُلَامَ بَرَزَ إِلَى الْحَرْبِ وَدَعَا إِلَى الْبِرَازِ فَخَرَجَ إِلَيْهِ فَارِسٌ فَقَتَلَهُ بَعْدَ حَمْلَتِهِ وَثَانٍ وَثَالِثٌ وَرَابِعٌ وَخَامِسٌ وَلَمْ يَزَلْ يُجَاهِدُ فِي اللهِ حَقَّ جِهَادِهِ حَتَّى قَتَلَ اثْنَيْ عَشَرَ رَجُلًا مِنَ الْقَوْمِ قَالَ الرَّاوِي فَلَمَّا رَأَى أَبُو تَوْتٍ إِلَى مَا صَنَعَ شَطَا الْغُلَامُ بِفُرْسَانِهِ لَمْ يُطِقِ الصَّبْرَ دُونَ أَنْ خَرَجَ بِنَفْسِهِ وَكَانَ مِنَ الْفُرْسَانِ الْمَذْكُورَةِ فَلَمَّا سَاوَى شَطَا فِي حَوْمَةِ الْمَيْدَانِ قَالَ يَا غُلَامُ كَيْفَ تَرَكْتَ الدِّينَ الْمُسْتَقِيمَ وَعَدَلْتَ عَنْهُ وَأَصْغَيْتَ إِلَى هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ اللِّئَامِ وَاتَّبَعْتَ دِينَ الْإِسْلَامِ لَقَدْ عَمِلَ فِيكَ سِحْرُ الْقَوْمِ وَاسْتَوْجَبْتَ الْعَتْبَ وَاللَّوْمَ يَا بُنَيَّ عُدْ إِلَى الدِّينِ الرَّجِيحِ وَالْقَوْلِ الصَّحِيحِ وَهُوَ دِينُ الْمَسِيحِ فَأَيَّ شَيْءٍ رَأَيْتَ فِي هَؤُلَاءِ الْمَسَاكِينِ حَتَّى اتَّبَعْتَ دِينَهُمْ فَلَمَّا سَمِعَ شَطَا كَلَامَ أَبِي تَوْتٍ أَقْبَلَ عَلَيْهِ مُغْضَبًا وَقَالَ يَا لَعِينُ أَتَأْمُرُنِي أَنْ أَدَعَ الطَّرِيقَ الْمُسْتَقِيمَ الَّذِي كَانَ عَلَيْهِ الْخَلِيلُ وَالْكَلِيمُ وَأَيُّ بِذَلِكَ دَلِيلٌ وَقَدْ رَأَيْتُ الْبَارِحَةَ مَا لِي عِنْدَ اللهِ تَعَالَى مِنَ الْكَرَامَةِ وَقَدْ طَلَّقْتُ الدُّنْيَا بَتَاتًا فَلَمَّا سَمِعَ أَبُو تَوْتٍ

إلى قوله حمل عليه ومدّ سنانه إليه فالتقاه شطا بقلب
قوى وجنان جرى وعزم مضى وحسام مشرفى
وتقاتلا ثلاث ساعات من النهار إلى أن أحسّ شطا بالعطش
فأراد الله سبحانه وتعالى أن يطيّب قلبه فكشف عن
بصره فرأى القبّة التى رآها فى نومه والحوريّة التى أنشدته
الأبيات وفى كفها كاس من الجوهر فيه ماء من
حوض الكوثر وهى تقول يا شطا هذا شراب من شربه
ما يشقا ولا يظما ولا يعمى ولا يهرم ولا يسقم
والساعة تقبل إلينا فلمّا نظر شطا إلى ذلك
صاح الله أكبر الله أكبر هذا ما وعد الرحمن وصدق
المرسلون ثمّ أخذه الدمع والبكا خوفا من الله تعالى
فقال له أبو توت ما بكاؤك قال رأيت كذى
وكذى فضحك منه أبو توت ومن كلامه وحمل
عليه وتقاتلا قتالا عظيما أعظم من الأول
وأشد إلا أن أبا توت سبق شطا بالطعنة فى صدره
أطلع السنان من ظهره فخرّ صريعا قال فلمّا
نظر إلى ذلك الهامرك ورأى ولده مجندلا لم يطق الصبر

دون

دون أن حمل هو وأصحابه على أصحاب أبى توت
وحمل أصحاب أبى توت عليهم وأظلمت آفاق تلك الأرض
من كثرة الغبار وترادف القتال فقعت مراير
القوم ووقعت الهزيمة على أصحاب الهامرك إلى أبواب
دمياط وطمع فيهم عدوّ الله أبو توت ومن معه وما
بقى إلا أن يكون فى قبضة الأعدا وإذ هم كذلك إذ
أقبل عليهم جيش عمرو بن العاص يقدمهم هلال بن أوس
وقع التهليل والتكبير وتحاملوا أصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم وأصحاب الهامرك وحملوا على أصحاب
أبى توت وقالوا يا عدوّ الله جاءكم أهل الصدق
والوفا والإيمان والصفا فأيسوا من أنفسهم وتلاف
مهجتهم فلمّا نظر هلال بن أوس إلى القتال هتفت
نفسه إلى مقام المجال فحمل والراية بيده واتبعه
أصحابه فلمّا نظر أبو توت إلى ما نزل به من
قدوم العرب أيقن بالهلاك فقاتل قتالا شديدا
فبينما هو فى حملاته إذ لقيه يزيد بن عامر رضى الله
عنه قال يا عدوّ الله وعدوّ رسوله وعدوّ نفسه

أما اتعظت بآيات الله أما ظهر لك الحق من دين رسول الله
صلى الله عليه وسلم ثم أطبق عليه بحملته فأخذه أسيرا
وصاح الصايح إن أبا توت أسر فاستسلم قومه للقضا
وأخذ صاحب أبو سينا وأبو شقا وصاحب دريا وتمبه
ووقعت الهزيمة على أصحابهم فقتل من قتل وأسر من
أسر وعزوا أصحاب الهامرك في ولده فقال احتسبته عند
الله تعالى وصبرت لقضائه لقوله تعالى وبشر الصابرين
الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون
أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك
هم المهتدون قال الراوي لهذه السيرة ثم دفنوا
شطا ابن الهامرك في ثيابه موضع قتله فلما كان
من الغد أقبل الهامرك إلى خيمة يزيد بن عامر وقال
رأيت البارحة ولدي شطا في النوم وهو في الجنة
والحور العين بين يديه فقلت ما فعل الله بك فقال
قبلني أحسن قبول وجاد علي بالبشرى وأنزلني بجوار
الرسول صلى الله عليه وسلم مع اليسير من أمري وقد
غفر لمن يزور قبري قال حدثنا عمرو بن

الأشلح عن جده خويلد قال قتل شطا في ليلة نصف
شعبان سنة ست عشر من الهجرة فجعل الله تلك الليلة
موسما لزيارته إلى يوم القيامة وذلك أنه لا يبقى أحد
من أقصى البلاد إلا وقد أقبل تلك الليلة لزيارته
قال وإن هلال بن أوس بن صفوان أحضر
أبا توت بين يديه وأعرض عليه الإسلام وكذلك
الأسارى فمنهم من أسلم ومنهم من بقي على دينه فأقرهم
على أخذ الجزية من عامهم المستقبل ثم دخلوا في
المراكب إلى تنيس وبنوا جامعا موضع كنيستهم
العظمى وبنوا مساجد وكذلك في الجزاير وأخرج
أبو توت من ماله وأموال قومه الخمس وبعثوا ذلك
إلى عمرو بن العاص رضي الله عنه مع أموال من قتل
وإن هلال بن أوس نزل على التل الأخضر ظاهر
تنيس وأقر أهل الجزاير في مواضعهم وأمنهم
فقالوا أيها الأمير قد أمنتنا من جانبك وبقي علينا
الخوف من موضع آخر قال هلال ما أعرف لكم
عدوا قالوا بلى فهم أصحاب القلعة المكينة قال

الراوي عنوا بذلك الفرمة لأنها على جانب تنيس مما
يلي شرقها وكان الكبير عليها رجل يقال له الصامت
ابن مرة من آل مرداس فلما سمع هلال ذلك خرج
إليها بجميع أتباعه من العرب وأهل تلك الأرض وعول
على حصارها فأشرف عليهم الصامت بن مرة وأمر
أصحابه أن يرموهم وكان فيها ألف رامي بالنبل
فرموا عن قوس واحدة ألف سهم فسمتها العرب عند ذلك
الفرمه قال وأقام هلال بن أوس عليها عشرين
يوما فلم يقدر عليها فبعث إلى عمرو بن العاصي يعلمه
بالحديث ويستنجده فنفذ إليه المقداد بن الأسود
الكندي رضي الله عنه في خمس مائة فارس من العرب
وثلاثة آلاف ممن أسلم من القبط فلما نزل المقداد
رضي الله عنه على الفرما ناصب أهلها للقتال
فنظر ذلك الصامت بن مرة إلى ما نزل به من العرب
فعلم أنه بيد القوم لأنه ليس له ناصر فصالح المقداد
على أن يؤدي إليه أربعة آلاف دينار وأربعمائة
ناقة وألف رأس من الغنم وأن يمهلوه إلى تمام السنة

فإن شاء رجع إلى الإسلام أو ارتحل بأهله فأجابه المقداد
رضي الله عنه إلى ذلك وارتحل المقداد وهلال بن أوس
إلى أن تولوا عنه بالجيش ونزلوا على النقاره ويقال
النكاره وكان عليها الباقن بن الأشرف
واليا فأسلم هو ومن معه ثم مضوا إلى القصر المشيد ففتحه
صلحا ثم ارتحلوا ونزلوا على الوردة وكان اسمها
ذلك الزمان هذا وتسمى اليوم الورادة فسلموها
أهلها صلحا ثم ارتحلوا إلى العريش فسلموها أيضا
أهلها صلحا وكذلك أهل رفح وكذلك أهل
غزة وكذلك أهل عسقلان وتيدا وميماس
ونخله كل هؤلاء فتحوا صلحا وهذا ما كان من
فتوح مصر وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

كتبه العبد الفقير إلى الله تعالى محمد
ابن أحمد الغزنوي الحسني المكتب
غفر الله له ولوالديه ولمن استكتبه
ولمن قرأه ودعا لهم بالمغفرة
ولجميع المسلمين آمين حسبنا الله ونعم الوكيل

الحمد لله وقف مولانا المقام الشريف الملك الأشرف أبو النصر قايتباي عز نصره هذا الكتاب

المسمى بفتوح البهنسا على طلبة العلم الشريف ينتفع به في جامعه بمدرسته التي بالصحراء وشرط الواقف ألا يخرج منها لطالب صالح

له إلا أن يخرج من المدرسة المذكورة إلا برهن يوفي بقيمته بعد تاريخه

كتاب فتوح البهنسا

رسم بكتابته وجمعه
مع فتوح الشام السلطان
الأعظم الإمام مالك رقاب الأنام الناظر
في ساير ممالك الإسلام ملك الممالك
الملك الأشرف أبي النصر قايتباي
عز نصره

وقف

الملك الأشرف قايتباي

عز نصره

بسم الله الرحمن الرحيم

ذكر فتح مدينة البهنسا وفضايلها وعجايبها

وفضل البحر اليوسفي وتاريخ البهنسا وسبب عمارتها
وملوكها وما في ذلك من الحديث العجيب
والأمر المطرب الغريب على التمام والكمال
ونعوذ بالله من الزيادة والنقصان **فصل** في ذكر
فضايل البهنسا وأرضها و[illegible] **اعلم** أن مدينة
البهنسا ذكر بعض المفسرين أن الله ذكرها في كتابه
العزيز **بقوله عز وجل** في حق عيسى ابن مريم عليه السلام
وجعلنا ابن مريم وأمه آية وآويناهما إلى ربوة ذات
قرار ومعين **قيل** هي أرض البهنسا وكان من أمر
عيسى ما سنذكره إن شاء الله تعالى في هذا الكتاب
وقد استشهد بها زهاء عن خمسة آلاف من أصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم منهم من الأعيان والأمرا ما يزيد عن
أربع مائة سيد وبئر [illegible] الأشراف والصحابة نفر
كثير منهم علي بن عقيل وجعفر بن عقيل بن أبي طالب

والح

والحسن بن صالح بن علي بن أبي طالب الذي عمر مسجد الجامع
وبها كان من أمره ما سنذكره إن شا الله تعالى وزياد
ابن أبي سفيان بن الحارث بن عبد المطلب وابن الفضل
ابن العباس بن أبي لهب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم
وسنذكر من استشهد من الأعيان بها إن شا الله تعالى
عند ذكر الفتح **وبها** من أبناء الصحابة جماعة كثيرة
وقد ذكر جماعة من السادات والأخيار أنه من زار
جبانة البهنسا خاض في الرحمة حتى يعود ومن زارها
خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه وإن يزرها مهموم
إلا فرج الله همه ولا مغموم إلا أذهب الله غمه
ولا صاحب حاجة إلا قضيت بفضل الله عز وجل **والأماكن**
المستجاب فيها الدعا عند مجرا الحصا ومبلغ السيل
وإن هناك خلق كثير من الشهداء وعند مشهد الحسن
ابن صالح بن الحسين بن علي بن أبي طالب وعند قبر
زياد بن أبي سفين بن الحارث وعند قبر عبد الرزاق
من داخل الباب وعند معبد السيد المسيح عليه السلام
وعند قبور الشهدا بسفح الجبل وقبليها مكان

يُعرفُ بالمراغةِ قبليّ الجبانةِ عند قبورِ شهداءَ هناك بسفح
الجبل رأى ذلك جماعةٌ من الصالحين ۞ وقد زار الجبانة
المذكورة جماعةٌ من كبار الصالحين من أرض المشرق
من أقصى العراقين ۞ وجماعةٌ من كبار الصالحين من
أرض المغرب من أقصى الأندلس مشاةً لِما رأوا لذلك
من الفضايل وبانت لهم فضايل وأنوارٌ وشاهدوا ذلك
عيانًا **وذكر** أصحاب التواريخ رضي الله عنهم أنه
لم يكن بعد مصر وأرض البحيرة أكثر شهداء من
مدينة البهنسا **فقد** ذكر أن مجرى الحصا ۞ عند
مبلغ السيل في الجهة الغربية إلى مجرى قتل هنالك
واستشهد بها أربعمائةٍ رضي الله عنهم أجمعين **وسنذكر**
ذلك عند الفتح **وأما فضايل البحر اليوسفي**
الذي عليه هذه المدينة إلى جانبه فهي **منها** أنه
غزير البركة مع قرب شطه حتى يروي ما حوله من
القرى والبلدان ۞ مع قليل من زيادة النيل **ومنها**
أنه إذا زاد النيل يسيرًا زاد فيه كثيرًا ۞ **ومنها** ۞ أنه إذا
انقطع عند مدد النيل ۞ تفجر من أصله عيونٌ فصار

نهرًا جاريًا ۞ وهذا لا يوجد لغيره من الأنهار **ومنها** ۞
أنه يقسم منه بأراضي الفيوم ماءٌ يسيرٌ فيروي جنات
وزراعات وأراضي كثيرةً شتاءً وصيفًا وهذه لا توجد
لغيره من الأنهار **ومنها** أنه دفن فيه الصديق يوسف
عليه السلام ۞ أقام إلى زمن موسى عليه السلام فازداد
بذلك بركة **ومنها** أنه شقه جبريل عليه السلام
بخافقةٍ من جناحه بأمر الله عز وجل للسيد يوسف عليه السلام
وذلك أن السيد يوسف عليه السلام كان قد وقع بينه
وبين صاحب مصر كلامٌ بعد فراغ السنين المجدبة ۞
وحسد تصم العمالقة على ذلك ۞ فقال له رد على ملكي
فاجتمع رأيهم على القرعة والقسمة ۞ فقسمت أرض
مصر ۞ فوقع أرض الجانب الغربي ليوسف نبي الله
عليه السلام ۞ وكان قفارًا ورمالًا وأتلالًا
فأراد أن تجري له نهرًا من النيل ۞ فجمع مائة ألف
عبدٍ ودفع لهم المساحي والأغلاق ۞ وأمرهم بالحفر
من الجهة القبلية ۞ فحفروا ثلاث سنين وقد أجرى
لكل مؤنته من خزاينه ۞ وكان كلما جاء النيل

سَدَّ جَمِيعَ مَا حَفَرُوا ۞ فَفَعَلَ مِنَ الْجِهَةِ الْبَحْرِيَّةِ كَذَلِكَ ۞
فَكَانَ كَذَلِكَ إِلَى سَبْعِ سِنِينَ حَتَّى أَعْيَاهُ ذَلِكَ وَقَلِقَ
قَلَقًا شَدِيدًا ۞ فَأَوْحَى اللهُ إِلَيْهِ يَا يُوسُفُ اسْتَعَنْتَ
بِأَمْوَالِكَ وَرِجَالِكَ وَلَمْ تَسْتَعِنْ بِي ۞ وَعِزَّتِي وَجَلَالِي ۞
لَوِ اسْتَعَنْتَ بِي لَأَحْفَرْتُهُ لَكَ فِي أَقَلَّ مِنْ طَرْفَةِ عَيْنٍ ۞ فَخَرَّ
سَاجِدًا عَلَى الْأَرْضِ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ ۞ سُبْحَانَكَ مَا أَعْظَمَ
شَانَكَ ۞ وَأَعَزَّ سُلْطَانَكَ ثُمَّ أَفَاقَ مِنْ سُجُودِهِ فَنَزَعَ أَثْوَابَهُ
وَاغْتَسَلَ وَلَبِسَ الْمُسُوحَ وَخَرَجَ إِلَى الْبَرِّيَّةِ وَخَرَّ سَاجِدًا
مُتَضَرِّعًا إِلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ فَأَوْحَى اللهُ إِلَيْهِ ارْفَعْ رَأْسَكَ
فَقَدْ قَضَيْتُ حَاجَتَكَ ۞ ثُمَّ أَمَرَ اللهُ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ
فَأَحْفَرَهُ بِخَافِقَةٍ مِنْ جَنَاحِهِ ۞ وَقَالَ بَعْضُهُمْ بِطَرَفِ
رِيشَةٍ مِنْ جَنَاحِهِ مِنْ فَمِهِ مِنَ الْجِهَةِ الْقِبْلِيَّةِ إِلَى آخِرِ الْفَيُّومِ
فِي أَقَلَّ مِنْ طَرْفَةِ عَيْنٍ ۞ بِعِزَّةِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ ۞ فَعَمَّرَ
يُوسُفُ عَلَيْهِ السَّلَامُ الْقَنَاطِرَ وَبَنَا مَدِينَةَ الْفَيُّومِ ۞
وَقَسَّمَ الْأَرْضَ بَيْنَ إِخْوَتِهِ وَبَنِيهِ وَكَانَتْ أَرْضُ
الْبَهْنَسَا لِإِفْرَاتِيمَ ابْنِ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ۞ فَشَرَعَ
فِي عِمَارَةِ مَدِينَةِ الْبَهْنَسَا وَقَطَعَتِ الْأَحْجَارُ ۞

وَعُمِّرَتْ

وَعُمِّرَتِ الْأَسْوَارُ وَالْقَنَاطِرُ وَكَانَ النَّهْرُ يَجْرِي مِنْ وَسَطِهَا
مِنَ الْجِهَةِ الْقِبْلِيَّةِ ثُمَّ يَخْرُجُ إِلَى الْجِهَةِ الْبَحْرِيَّةِ إِلَى زَمَنِ
الْإِسْلَامِ وَسَنَذْكُرُ ذَلِكَ فِي الْفَتْحِ إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى ۞
وَكَانَ بِهَا مِنَ الْأَبْرَاجِ وَالْمَنَارَاتِ وَالرَّسَاتِيقِ ۞ مَا لَا
يُوصَفُ ۞ وَسَكَنَهَا جَمَاعَةٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَاتَّخَذُوا بِهَا
دُورًا وَمَسَاكِنَ ۞ وَكَذَلِكَ بِجَمِيعِ قُرَى مِصْرَ ۞
وَأَرْضِ الْفَيُّومِ وَأَرْضِ الْبَهْنَسَا إِلَى آخِرِ الصَّعِيدِ ۞ الْجِهَةُ
الْغَرْبِيَّةُ كُلُّهَا مُخْتَصَّةٌ بِبَنِي إِسْرَائِيلَ لَا يُشَارِكُهُمْ
فِيهَا غَيْرُهُمْ ۞ وَجَعَلَ يُوسُفُ عَلَيْهِ السَّلَامُ ۞ تِلْكَ الْعَبِيدَ
خَوَلَةً وَفَلَّاحِينَ وَزُرَّاعًا بِأَرْضِ الْفَيُّومِ وَشَرَعَ فِي عِمَارَتِهَا
وَغُرِسَتْ بِهَا الْأَشْجَارُ عَلَى جَانِبِ الْبَحْرِ الْيُوسُفِي مِنَ الْجِهَةِ
الشَّرْقِيَّةِ وَالْجِهَةِ الْغَرْبِيَّةِ وَغَرَّدَتِ الْأَطْيَارُ عَلَى الْأَشْجَارِ
تُسَبِّحُ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ۞ وَكَانَ لَا يُرَى شَاطِئُ الْبَحْرِ
الْيُوسُفِي لِكَثْرَةِ الزِّرَاعَاتِ مِنْ سَائِرِ الثِّمَارِ ۞ وَكَانَتِ
الْمَرْأَةُ تَخْرُجُ بِمِكْتَلِهَا وَمِغْزَلِهَا فِي يَدِهَا ۞ وَالْمِكْتَلُ
عَلَى رَأْسِهَا فَلَا تَرْجِعُ إِلَّا وَقَدِ امْتَلَأَ مِنْ جَمِيعِ الثِّمَارِ مِنْ غَيْرِ
أَنْ تَمَسَّ شَيْئًا بِيَدِهَا ۞ فَلَمَّا عَصَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَجَحَدُوا

نعمة الله عز وجل وعملوا بالمعاصي نزع الله تلك النعمة من
أيديهم وسلط عليهم العمالقة والقبط والروم فتعاملوا
عليهم ونزعوا تلك النعمة من أيديهم واحتووا على
الملك دونهم بجحود نعمة الله وقتلهم الذين يأمرون
بالمعروف وينهون عن المنكر حتى أعدوهم عبيدا
بعد أن كانوا سادة واستخدموهم خولة وفعلة
وبنائين وحجارين ونجارين واستخدموا نساءهم
وأبناءهم ولم يزالوا بنو إسرائيل في أضيق عيش وأكثر
بلاء وأشد كربة وأعظم بلية من التكليف
لما لا يطيقون حتى أنقذهم الله تعالى بمبعث موسى عليه
السلام وليس هذا الكتاب مختص بذلك واحتووا
على المداين والمزارع والبساتين وكان الذي
ملك مدينة البهنسا سلهور الملك وكان كاهنا
يدري علم الهندسة وهو الذي عمل بناء من رخام على
صفة النيل وجعل فيه بركة صغيرة من نحاس فيها ماء
موزون وعلى حافة البركة عقابان من نحاس ذكر
وأنثى فإذا كان أول الشهر الذي يزيد فيه

النيل فتح البيت وأحضر الكهان فيه ولم يتكلم أحد من
الكهان بكلام لهم حتى يصفر أحد العقابين فإن صفر
الذكر كان الماء زايدا وإن صفرت الأنثى كان
الماء ناقصا ثم يعرفون الماء بزيادة البركة ويتكلم
كل أحد منهم بكلام في زيادة النيل فإذا عرفوا
ذلك خرجوا وأصلحوا الجسور وعمل على البحر اليوسفي
قنطرة وكان قد جعل في مدينة البهنسا عجايب
شتى واحتكم فيها وفي زينتها من النقوش شيئا عجيبا
وجعل بربة في وسط البلد وعمل فيها صنما عظيما
معلقا على أساطين يرتفع الماء منها وجعل بها عجايب
عظيمة وبنى مدينة أخرى من الجانب الشرقي في
المكان المعروف بالقيس الآن وجعلها لولده سوريد
واحتفر سربا وعقده بالحجارة من تحت القصر إلى تحت
القصر الآخر من تحت البحر اليوسفي إلى هناك محكوما
بالهندسة يسير فيه راكبا بالشمع وغيره في زمن
النيل وكل وقت أراد حتى يطلع من هناك فلما هلك
تملك ابنه بعده سوريد وحزن على أبيه حزنا عظيما

وأقام على ذلك مائة سنة وتسعة وتسعين سنة وجلس سويد
في سرير ملكه واقتفى آثار أبيه بعدله وصلاحه وعمارة
الأرض والإنصاف بين الناس ۞ وبنا الإشارات والأعلام
وعمل في وسط المدينة امرأة جالسة في حجرها صبي كأنها
ترضعه ۞ وكل امرأة أصابتها علة في جسدها مسحت
ذلك الموضع من ذلك الثدي فيزول عنها ما تجده من ألم
وكذلك إن قل لبنها مسحت بيدها فيكثر وكذلك
إن أحبت أن يعطف عليها زوجها مسحت وجه الصورة بزيت
طيب ومسحت به وجهها وقالت افعلوا كذا وكذا
يعطف عليها زوجها وإن أصاب ولدها شيء فعلت مثل
ذلك فيبرا الولد بإذن الله عز وجل ۞ وإن عسر عليها
النفاس مسحت رأس الصبي ليسهل ولادها وكذلك
البكر إن أرادت أن ليسهل عليها افتضاضها ۞ وإذا
وضعت المرأة الزانية يدها عليها ارتعدت حتى تكف
عن فجورها ۞ وكذلك إن اتهم رجل زوجته تضع
يدها فإن كانت برية لا يصبها شيء وإن كانت غير
ذلك ارتعدت حتى قل الزنا في زمانه ۞ وعمل أيضا

سويد في وقته أعمالا عظيمة وعجايب عميمة ۞ منها صنم يقال
إنه من الأخلاط معمول بالبربا وكان يعمل أعمالا عظيمة
في دفع الأدا والعلل ويعرفون ذلك بعلامة من يبرا في
وقته فهو يعيش ومن يموت بعلته تلك لم يبرا وقيل
إن سويد هذا ملك أرض مصر كلها إلى حد الواحات
وإلى أقصى الصعيد والبحيرة وكان أكثر إقامته بمدينة
البهنسا وبنا حايطا على حد الواحات من الغرب وعلى حد
الإقليم من الشرق وكان سويد بن سلهوز قد تغلب
على مصر كلها وجمع الكهنة وصنع على رأس الإقليم
بطريق ببلقا خلف الواحات طلسما صفة فارس من النحاس
الأحمر راكبا على فرس من نحاس أحمر مطلسما يدور
دورانا عظيما إلى جهة الريح فأي مكان حبس الريح منه
حبس الرمل عن الإقليم بأمر الله عز وجل ۞ وصنع أيضا
صنما في زمانه من حجر أسود ونصبه على باب المدينة فإن
دخل المدينة أحد من أهل الخير ضحك ذلك الصنم وإن
دخل أحد من أهل الشر بكى ذلك الصنم وصنع قاضيا من
حجر جالسا على الماء فإذا تحاكم إليه الخصمان فالذي معه

الحق يمشي على الماء ۞ والذي معه الباطل يغرق في الماء ۞ وصنع
أيضا بها كنوزا **وقيل** إن ابنه كان أعلم بتدبير
الصنعة وكنز الكنوز هو وابنه وأمر بقطع الأساطين
العظام ونشر البلايط الهايلة واستخراج الرصاص من أرض
المغرب ۞ وأحدر الصخور من ناحية إسوان وكانت
سودا وفعل كما فعل صاحب الأهرام **وقيل** إنه هو
صاحب الأهرام والله أعلم ۞ وبنا كنزا عظيما بمدينة
البهنسا ينزل إليه بدرج من الرخام الأسود نحوا عن مائة
درجة إلى باب من البولاد المطلسم مقفول بأقفال منه
ووكل به حراسا من الجان يدخل منه إلى درج معقود
بالرصاص والحجارة إلى قرب الجبل من جهة الجنوب
يتوصل منه إلى سبع قاعات مبنية بالرخام الملون كل
قاعة ميل في ميل منقوشة بالرخام المؤزر منقوشة السقوف
بالحكمة والعجايب وأحسن ما يكون ۞ وملا ستة منها
أموالا من ذهب وفضة ومعادن وفصوص وجواهر
وصنع سريرا من الذهب الأحمر ۞ مرصعا بالدر والجوهر
ووضع عليه فراشا من الحرير الملون منسوجا بقضبان

الذهب ۞ واستعمل الأدوية التي إذا وضعت في خراشيم الميت
يصير مطرا على حاله ۞ وأمر ولده إذا مات أن يضعه في تلك
القاعة هو وحرمه واستخدم طلسمات في تلك القاعة ۞
وادعا بما ليك بيض وكتب لهم طلسمات وأمر أن يصنع
لهم سيفا وأن تضرب أعناقهم به فتلبسهم روحانية الأسماء
فيكونوا حراسا لذلك المكان وكذلك عبيدا سودا
بأيديهم لتا من حديد وحرابا وسهاما وقسي على الأبواب
وكتب إبطال ما يكون لذلك ودفعه لولده **فلما**
مات وضع على سرير من ذهب ۞ وطيف به مدينة البهنسا
أربعين يوما ثم أدخل في ذلك الكنز وهو بزيه ولباسه
ووضع عليه شبكة من الجوهر مفصلة باللؤلؤ والدر اليتيم
وكذلك على زوجته وحرمه وجعل على يمين السرير خادما
بيده سيف يشير به وعن يسار السرير زنجي يفعل كذلك
وطلسم الكنز حتى مات ووضع في الكنز وانقضت
دولة العمالقة ۞ وتولت دولة الروم فكان أول من تملك
من الروم رومان **وقيل** روم من ولد عيص ابن إسحق
عليه السلام ۞ فلم يزل الأمر حتى صار إلى قسطنطين الأول.

ملك أرض سورية والشام ومصر واحتوى على المداين كلها. وكان أول من ملك مدينة البهنسا من الروم قيطاريوس وكان ملكًا عظيمًا فقسم إقليم البهنسا على ثمانين مدينة لثمانين بطريقًا وملك الواحات إلى برقة وجبى له أموالها

وقيل انه كان في زمن قسطنطين وفي زمن المسيح عيسى عليه السلام وهو أيضًا ممن كان قد قالب النصرانية وجمع الأساقفة على العبودية ثم تفرق بعد قسطنطين الملك الأول النصارى على فرق وكلهم طبقات البطريق والأسقف والقسيس والشماس والمطرال. والدمشتق صاحب العرف وهم يفطرون إذا صاموا يوم الأحد أبدًا ويفطرون يوم السبت من الظهر ولا يتزوجون غير واحدة ولا يزيدون عليها ولا يشربون من الخمر ما يسكرهم والسكر عندهم حرام ولا يرون الاغتسال من الجنابة إلا الموضع يعني الذكر وإذا كانت عبادتهم بالسبت لا يأخذون القربان ويقولون هذا لحمك ودمك يعنون المسيح عليه السلام والعبد وراه ليس بلحم ولا دم ولا يتفرقون بعد أخذ القربان قبل بعضهم بعضًا يعانق بعضهم بعضًا ويجعلون في شريعتهم لعنهم الله النساء جزئين والرجال جزءًا واحدًا وليس لهم طلاق

ومن سنة الروم والافرنج

أن لا يلبس أحد خفين أحمرين إلا الملك فإن كان بل عضدا لبس فردًا أحمر وفردًا أسود وكذلك كانت الصحابة رضي الله عنهم يعرفونهم في الغزوات وكان لا يأكل ملكهم إلا على الزمزمة والألحان والغنا وأكثر أكلهم الكبز باجات والمدققات والاسفيداجات ولحوم الخنازير وفيهم الطب والصناعات والحذق بالصور حتى أن الرجل منهم يصور الصورة يظهر عليها الحزن ويصور أخرى يظهر عليها الفرح والسرور ويسمون ملكهم الملك الرحيم وملوكهم يتزوجون وفيهم العدل في الرعية والانصاف

باب ذكر نزول المسيح بمدينة البهنسا وخروجه من مصر

وإقامته بها قالت أصحاب التواريخ وهم المسعودي وأبو جعفر الطبري والواقدي وابن إسحاق وابن هشام أصحاب السير وأهل التفسير مثل سعيد بن جبير وسعيد

ابن المسيب وابن عباس وعلي بن أبي طالب والثعلبي والزمخشري
ومن تكلم في هذا الكتاب والفتح العجيب والأمر
المطرب الغريب ❁ الذي لو كتب بالذهب ❁ على جواليق
البصر لكان قليل ❁ وقد جمع من كتب كثيرة
❁ وتواريخ عظيمة وتفاسير وفتوح ❁

❁ قالوا كان مولد عيسى عليه السلام ❁

لمضي اثنين وأربعين سنة من ملك اقوسطوش ولأحد
وخمسين سنة من ملك الاشكانيين وكانت المملكة
في ذلك الوقت لملوك الطوائف وكانت الرياسة
بالشام لبني إسرائيل ونواحيها لقيصر ملك الروم وكان
وكان الملك عليها من قبل قيصر هيردوس وكانت
بالبهنسا قنطاريوس والله أعلم **فلما علم الملك** هيردوس
خبر المسيح قصد قتله وذلك أنهم نظروا إلى نجمه
وقد طلع فعرفوا ذلك بالحساب عندهم في كتاب لهم
فبعث الله ملكا إلى يوسف النجار وأخبره بما أراد
هيردوس وأن يأمر مريم أن تخرج إلى أرض مصر فإنه
إن ظفر بابنك قتله فإذا مات هيردوس فارجعي إلى بلدك

واحتمل يوسف مريم وابنها على حمار له حتى دخل مصر ووردوا
أرض البهنسا وهي الربوة التي ذكرها الله في كتابه
العزيز وآويناهما إلى ربوة ذات قرار ومعين ❁ وهناك
بئر في المعبد كانوا يستشفون بها من الأمراض وهي
التي كانت مريم وابنها يستسقون منها ويتوضؤن
للصلاة وكانوا هناك في سرب تحت الأرض **قيل**
إن مريم لما دخلت وولدها إلى أرض البهنسا أتوا إلى
مكان قبل دخولهم البهنسا فوجدوا بئرا وليس
عليها رشا ❁ فطلب الماء ليشربه وعطش فبكا
فحزنت أمه فارتفعت البئر إليه حتى شرب منها وهي
في أوان ذلك اليوم تزايد ويعرف بها النيل وتجعلون
النصارى لها عيدا إلى يومنا هذا ❁ وهناك
ديلو وزيارات والله أعلم **ثم دخل** مدينة البهنسا
فأقام بها اثنتي عشرة سنة وأمه تغزل الكتان
وتلتقط السنبل في أثر الحصادين فكانت تلتقط
السنبل قبل أن يثب والمحبل في منكبها والوعا
الذي فيها السنبل في منكبها الأخر حتى تم لعيسى

إثنا عشر سنة وروي عن محمد الباقر أنه لما جاء عيسى إلى
البهنسا وهو ابن شهرين مع أمه وكان كأنه ابن سنتين
فلما كان له تسعة أشهر أخذته والدته وجاءت به
الكتاب بأرض البهنسا وأقعدته بين يدي المؤدب
فقال له المؤدب قل بسم الله الرحمن الرحيم فقال عيسى
بسم الله الرحمن الرحيم فقال له المؤدب قل أبجد
فرفع عيسى رأسه وقال أتدري ما أبجد فعلاه بالدرة
ليضربه فقال يا مؤدب لا تضربني إن كنت
تدري وإلا فسلني حتى أفسر لك فقال فسر لي
فقال انزل من على مرتبتك فنزل ثم جلس
مكانه وقال عيسى الألف آلاء الله والباء بهاء الله
والجيم جلال الله والدال دين الله هوز الهاء
هوة جهنم وهي الهاوية والواو ويل لأهل النار
والزاي زفير جهنم حطي حطت الخطايا عن
المستغفرين كلمن كلام الله لا مبدل لكلماته
سعفص صاع بصاع قرشت تقرشهم
حيات جهنم فقال المؤدب خذي بيد ابنك

فقد علمه الله فلا حاجة له بالمؤدب وأخبرنا الحسين ومحمد
ابن الحسن المقري حدثنا محمد بن أحمد بن حمدون
المذكر حدثنا محمد بن حمدون بن خالد حدثنا
أحمد بن هشام الأنطاكي حدثنا الحكم بن نافع عن
إسمعيل بن يحيى عن أبي مليكة عن عطية عن أبي سعيد
الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن
عيسى ابن مريم أرسلته أمه إلى الكتاب ليتعلم فقال له
المعلم قل بسم الله الرحمن الرحيم فقال عيسى وما بسم الله
قال لا أدري فقال الباء بهاء الله والسين سناء الله والميم
ملكه

باب في ذكر الآيات والمعجزات التي ظهرت لعيسى في أرض البهنسا والله أعلم

قال وهب كان
أول آية أراها عيسى للناس في صباه إن نبي الله عيسى
كانت أمه نازلة في دار بالبهنسا عند دهقان من
دهاقنة الملك أنزلها يوسف النجار حين ذهب بها
إلى مصر وكانت داره يأوي إليها المساكين فسرق
للدهقان مال جزيل من خزانته وكان الدهقان له
خصيصا بالملك صاحب مدينة البهنسا فلم يتهم المساكين

فحزنت مريم لمصيبة ذلك الدهقان ❁ فلما رأى عيسى حزن
أمه على مصيبة الدهقان صاحب ضيافتها قال يا أماه
أتحبين أن أدلك على ماله قالت نعم قال فقولي له يجمع
المساكين الذين كانوا في داره ❁ فقالت مريم
للدهقان ذلك فجمع مساكين داره فلما اجتمعوا
عمد إلى رجلين منهم أحدهما أعمى والآخر مقعد
فحمل المقعد على عاتق الأعمى قال له قم به فقال الأعمى
أنا ضعيف عن ذلك ❁ فقال له كيف قويت على ذلك
البارحة ❁ فلما سمعوه يقول ذلك ضربوا الأعمى
حتى قام به فلما وصله إلى كوة الخزانة فقال عيسى هكذا
احتالا على ماله البارحة ❁ لأن الأعمى استعان
بقوته ❁ والمقعد بعينيه فقال
الأعمى والمقعد صدق ❁ فردوا على الدهقان
ماله ذلك ❁ فوضعه الدهقان في خزانته ❁
وقال يا مريم خذي نصفه ❁ قالت إني لم أخلق لذلك
قال الدهقان فأعطيه لابنك ❁ قالت هو أعظم
مني شأنا ❁ ثم لم يلبث الدهقان أن عرس لابنه

ابنا فجمع أهل المدينة كلهم وكان أطعمهم
شهرين ❁ فلما انقضى ذلك العرس زارته الملوك والقبائل
والأكابر من أهل البلد وليس عنده طعام ولا شراب
فأمر عيسى عليه السلام لما رأى ذلك بجرار الخمر
الفارغة ❁ فكلما مرت يده على جرة امتلأت شرابا
وهو يومئذ ابن اثني عشرة سنة ❁ فازداد أهل
البهنسا فيه اعتقادا ومن حولها من البلدان والقرى
من أرض مصر ❁ آية أخرى بأرض البهنسا ❁
قال السدي كان عيسى في الكتاب يحدث الصبيان
بما يصنع آباؤهم ويقول للغلام انطلق قبل أن
يأكل أهلك كذا وكذا ❁ فينطلق الصبي إلى
أهله ويبكي عليهم حتى يعطوه الشيء فيقولون من أخبرك
بهذا فيقول عيسى فحبسوا أهل مدينة البهنسا
صبيانهم عنه ويقولون لا تلعبوا مع هذا الساحر
فجمعوهم يوما في بيت فجاء عيسى يكلمهم فقالوا
ليسوا هناك ❁ فقال لهم فما في هذا البيت قالوا الخنازير
فقال عيسى كذلك فليكونوا إن شاء الله ففتحوا

عليهم فإذا هم خنازير ۞ ففشى ذلك في الناس فهابته
الناس ۞ قال السدي لما نزل عيسى بأرض البهنسا
نزلا في قرية من قراها على رجل فأضافه ۞
وكان للملك خمار مقعد فجاء ذلك الرجل يوما مغتما
حزينا فدخل بيته ومريم عند زوجته فقالت
لها مريم ما شأن زوجك لا أراه طيبا ۞ قالت لا
تسألي عن شيء ۞ قالت لها أخبريني لعل الله أن يفرج
عنك ۞ قالت لها إن الملك تعني ملك البهنسا ۞
إذا خرج يحمل على كبير القرية يوما يطعمه ويسقيه
الخمر ۞ فإن لم يفعل عاقبه واليوم علينا وليس عندنا
سعة فقالت قولي له لا يهتم فإني آمر ابني أن يدعو
له فيأتي ذلك فقالت مريم لعيسى قال إن فعلت
ذلك وقع شر قالت لا تبال فإنه قد أحسن إلينا ۞
وأكرمنا ۞ قال عيسى فقولي له إذا قرب فاملأ
قدورك ماء وخوابيك ماء ثم أعلمني ففعل ذلك
وإذا بالملك قد أقبل وارتجت الأرض من الطبول
والزمور والصنوج ۞ وأقبلت العساكر ۞

فدعا عيسى الله عز وجل فتحولت ما القدور لحما وطعاما ۞
ملونا وما الخوابي خمرا لم ير الناس مثله قط ۞ فلما
أكل الملك وشرب سأل الدهقان من أين لك هذا
الخمر فقال من أرض الفيوم فلم يصدقه فقال
من أرض أخرى ۞ فلما خلط عليه أنكر عليه ۞
فقال أنا أخبرك عندي غلام لا يسأل الله شيئا إلا
أعطاه وإنه دعا الله حتى جعل الماء خمرا ۞ وكان
للملك ابنا يريد أن يستخلفه فمات قبل ذلك
بأيام وكان أحب بنيه إليه فقال إن رجلا
دعا الله حتى جعل الماء خمرا ليستجيب الله له حتى يحيي
ابني ۞ فدعا بعيسى فأعلمه فقال له لا تفعل فإن عاش
وقع شر فقال الملك لا أبالي بعد أن أراه فقال
عيسى إن فعلت تتركوني وأمي نذهب حيث أردنا
قال نعم فدعا الله فعاش الغلام ۞ فلما رآه أهل
مملكته قد عاش تبادروا إليه بالسلاح ۞ وقالوا
أكلنا هذا حتى إذا دنا موته يريد أن يستخلف
علينا ابنه فيأكلنا كما أكلنا أبوه فاقتتلوا

فذهب عيسى وأمه والآيات كثيرة يطول شرحها
وقصة الصباغ مشهورة والله أعلم ولم يزل
قنطاريوس ملكا بالبهنسا ونواحيها حتى بعث عيسى
فكان من أمره ما كان ثم هلك واستخلف
ابنه من بعده على ملكه فأقام مدة فولد له ولدان
وأقام في الملك ثمانين سنة وكان أحدهما يسمى
توما وبابه باب توما وهو الباب القبلي من البهنسا
المعروف بباب توما والآخر بطرس واقتسموا
البلاد فكان الجانب القبلي لتوما والبحري لبطرس
فأقاما أربعين سنة وولد لتوما ولد سماه روماس
ولبطرس ابنة سماها بهنسا والمدينة سميت
بها إلى يومنا هذا وكانت مبدعة بالحسن
والجمال وتعلمت العلوم والفلسفة والشجاعة
وغيرها فخطبها توما لابنه من أخيه فلم يمنعه
إياها وأراد زواجه لينتظم الملك ويصير
الأمر لهما جميعا فزوجه إياها بعد أن شارطه
أن لها نصف الملك فأجابه إلى ذلك وكانوا

يدينون بدين النصرانية فلما دخل بها حملت منه
بولد وهلك الأخوان واحتويا على الملك ثم
وكانت لها السيرة الحسنة في حق الرعية وكان ابن
عمها ظالما فأحبها الرعية دونه وكان فاسقا
يمد يده بحرم رعيته يفجر بهن وكان إذا جلس
على سرير مرتبته للحكم من الرعية جعل لها
فرجة برواق على رأسه أربعة أعمدة من الرخام
الملون ورواقا منقشا بالرخام ارتفاعه عشرون
ذراعا عليه قبة من الرخام الأخضر عليها سبع من
الذهب الأحمر فاتحا فاه في عينيه جوهرتان
قوائمه من الفضة البيضاء مرمك بالفصوص إذا
دجى الليل تجري تلك الجواهر بالأبصار من
داخل القبة التي للرواق منقوشة بالذهب والفضة
مصورة فيها جميع التماثيل وفي ذلك الرواق
سرير من الذهب الأحمر مرصع بالدر
والجوهر في أربع جوانبه أربعة صور الأولى
صورة أسد فاتحا فاه في عينيه ياقوتتان

من الياقوت الأحمر يخيل للداخل أنه يريد أن يفترسه والثانية
صورة نسر من الزبرجد الأخضر مرصع باللؤلؤ والمرجان
عيناه من العقيان قائما على عود من الذهب الأحمر نافضا
جناحيه يخيل للناظر أنه يريد أن يطير وأمير تفع ميدون
دورانا وينفض ويحمل على أجنحته سحيق المسك
ثم يطير على الملك وينفض ما بأجنحته من سحيق المسك
الأذفر ۞ والثالث صفة غزال من العقيان مرصعة
باللآلي والجواهر جامعة نفسها وقد صنع لها عود من
الفضة عليه لوح من الذهب الأحمر وهي قائمة على
ذلك اللوح كأنها واثبة تريد الهرب من الأسد
إذا دار إليها بيد ودوران الحكمة والهندسة والرابع
صفة طاوس فيه من جميع العقود واللآلي عيناه من
عيون الهر الخالصة التي تكاد تخطف بالبصر ۞
وكلما دار النسر وجهه إليه دار عنه كأنه يريد
الهرب عليه فرش ملونة من أطناف الحرير المنسوج
بالذهب وبساط من الذهب الأحمر طوله إثنا عشر
ذراعا عليه ستر من الحرير الأخضر ۞ مقضب

بقضبان الذهب والفضة فسبحان من لا يزول ملكه وإذا
حكم بأمر يشيرون الأعوان إليها فإن رضيت بالحكم
وإلا أمرت بغيره ۞ فلما خالف أمرها وأنما في حق الرعية
شكا وجوه قومها ذلك إليها فأخذها الغيرة وذلك بعد
أن حملت منه وتحققت أمرها فعند ذلك شربت معه
الخمر والجوار يضربن بجميع الآلات وينشدون من
أطيب الغنا ۞ وقد كانا يجلسان للشرب مع أربع مائة
جارية من الجوار المبدعات بالحسن والجمال والغلمان
على رؤوسهم بالسيوف المجذوبة ۞ والدرق المكوكبة
والدبابيس المذهبة يحفظون ذلك المجلس حتى يغلب
عليهم السكر تفترقوا فلما لعبت الخمرة في رأسه
أخذت قطعة من البنج ووضعتها في قدح وكانت
آنيته كلها من ذهب وفضة وزبرجد ولؤلؤ
مرصعات بالذهب والفضة وباطية الخمر من المرمر ۞
المنقوش بالحكمة سعتها ستة أذرع في ستة ۞
أذرع مملوءة خمرا والسقاة يملؤون منها تلك الأواني
فجعلت في ذلك القدح بنجا وسقته إياه فوقع الأرض

وتفرق من كان حاضرا بالمجلس فأخذت خنجرا وحزت
رأسه ثم استدعت ببعض الغلمان فحفروا بظاهر
القصر حفيرة والقوا فيها جسده وحملت الرأس
على عود كبير على رأس القبة التي للقصر من جهة
الباب واخفوا الامر في القصر واصبح ارباب الدولة
واصحاب الصولة من الحجاب والنواب والوزراء ۞
والبطارقة يريدون الدخول لاجل الخدمة
على العادة فوجدوا الرأس معلقة فتغيرت
الوانهم ۞ فخرجت اليهم وقالت لا بأس عليكم ۞
انما فعلت ذلك لاجلكم وخوفا عليكم فشكروها
على ذلك وملكوها عليهم ۞ واستقام الملك
واحسنت السياسة في الرعية واطاعها اهل جميع
الاقليم الى اطراف مصر وهادنها الملوك
الى حد الصعيد وحد برقا ورتبت الحكما والكهنا
واصحاب العلوم ولما تم حملها وضعت ولدا ذكرا
وفرحت به فرحا شديدا وسمته توسدون ۞ فلما
كبر وشب دفعته الى معلم السحر والكهانة

والنجم فتعلم ۞ وكانت هي ماهرة في جميع العلوم
والحكم حتى قيل انها صنعت مرآة من المعادن ۞ لا
ينظر احد فيها يريد غدرها الا كشف الله بسره
لوقته بامر الله عز وجل ۞ وكانت اذا جلست
للحكومة وجلس ارباب الدولة تخرج لهم تلك
المرآة ينظرون فيها فمن عصي بصوره امرت بقتله
او بسجنه ومن لا ينظر فيها كشفت عنه ذلك
فهابها جميع اهل مملكتها واطاعها عالم كثير
فسمع بذلك نوسال صاحب الاشمونين وكان
كاهنا ساحرا فاراد الخروج اليها وذلك بعد ان
شب ولدها ۞ فعند ذلك استدعت اكابر
الدولة واصحاب الصولة واستاذنتهم في امر
ولدها ووضعت التاج على رأسه وجلس على
سرير الملك واقامت تسوس امره هذا وقد جمع
نوسال جنودا عظيمة من اقصى الصعيد لمحاربتها
فلما سمعت بذلك ارسلت الرسل وجمعت
العساكر لها من حد الواحات الى حد مصر يعني

إقليم الجيزة وأتاها صخات صاحب طحا ذات الأعمدة
في عساكره ولم يزل نوشال سائر الجنود حتى نزل
الأشمونين فخرج إليه ابن الساحرة يعني بها البسا
في عساكره والتقيا بالمكان الذي يعرف بالمرج
قريبا من الأشمونين وكان مع توسدون
ابن الساحرة جنود عظيمة وقد صنعت له السحرة
وأمه تماثيل عظيمة هائلة وطيرانا محرقة
صائلة واقتتلوا قتالا شديدا فانهزم نوشال
وهرب من معه في الأودية والجبال وجد
توسدون في طلبه حتى أدركه وظفر به
واجتمع الناس ينظرون إليه وقتل جماعة من
أصحابه وأسر جماعة وأراد أن يتبعهم فمنعته
أمه من ذلك وقالت عودتك إلى دار ملكك
أهيب لك فرجع إلى مدينة البهنسا منصورا وجلس
على سرير ملكه واستند على بنوشال فشدت
رأسه باسطوانة قائمة وشدت رجلاه بأخرى
وكان طوله فيما يقول القبط في كتبهم

عشرين ذراعا ووكل به حراسا ليوم عيدهم
وكان لأهل البهنسا عيد يجتمعون فيه وما
حولها من المدن والسواد فيقيمون في مكان يعرف
بالميدان قبلي المدينة ستة أيام ثم أودعه السجن
وكان العيد قريبا فصاح في وسط الليل صيحة
مات منها بعض الحرس وهرب الباقون فلما بلغ
أم الملك ذلك أمرت بإخراجه وأمرت أن توقد
النار فأوقدت وجعلت تأمر بقطع عضو بعد عضو
من أعضائه ويلقى في النار حتى فرغ جسده وذكر
ولدها توسدون فخرج منجما كاهنا حاسبا
فبنت له البناؤون بوسط المدينة قبة من الرخام
دائرة على دوران الفلك وصوروا عليها
صورة الكواكب وكانوا يعرفون منها
أسرار الطبائع وما يحدث من الأمور في أيامه
وبعد ثلاثين سنة من ملكه ماتت أمه
الساحرة وأمرت أن يجعل جسدها في تمثال
من الزجاج الأزرق المطلسم المرصد له بعد أن

أمرت أن يطلى بما يمنع عنها النتن والذهاب وأن تدفن في
تحت البحر الموسقى فكان كما وصفت وكانت
تخبرهم بالعجائب والغرائب وهي ميتة وتجيب عن كل ما
تسأل عنه وأطاع الناس ابنها وهابوه ۞ وكانت
تتصور لهم في صورة ما سمعت ولا رأيت قط وملكهم
مائة سنة وصنع في زمانه بأرض البهنسا أعجوبة
ووضعها في بيت وكان أهل المدينة يصبحون ۞
فيجدون جميع البيوت مملوءة ما يغني الذين يحتاجون
إليه للغسل والشرب ولم يزل ذلك بالبهنسا حتى ۞
جاء الله بالإسلام وولي علينا في خلافة بني أمية عمر
ابن عبد العزيز بن مروان فأمر بفتح البيت فمنعوه
من ذلك فأبى فلم يوجد فيه إلا تمثال سقا وعلى
كتفه قربة فارغة ۞ فلما رأوه وباتوا وأصبحوا
بطلت تلك العادة عن أهل البهنسا ۞ وصنع أيضا
بيتا آخر وجعل فيه صورة العرب وبلادهم وقسم
وملوكهم وخلفائهم والصحابة إلى عمر بن الخطاب
وصفته وخالد بن الوليد وأصحابه وأنهم يحوزون لبلادنا

ملكهم على يديه وإذا فتح الباب ثم وضع عليه أقفالا لا يبين
الفولاذ وأمر من يتولى من بعده أن لا يفتحه وإن
زال ملكهم فتوح ذلك الباب حتى أن الأمرا ۞
والعربان راكبين وربما حممهم على عواتقهم ۞ فلم
يزل الباب مغلوقا حتى فتحه البطلوس عند مجيء الصحابة
رضي الله عنهم وحصار البهنسا وسنذكر في الفتح
إن شاء الله تعالى ۞ وملك مائة سنة ولما حضرته الوفاة
أمر أن يصنع له صنم من زجاج يكون شقين ويطلى
جسده بالأدوية الممسكة ويدخل في ذلك
الصنم من الزجاج ويلحم بين الشقين ويدفن في الكنز
الكبير كنز المدينة ويعمل له في كل سنة
عيد ۞ وفعل له ذلك ثم تولى بعده ابنه
سرما نوش وسار في الناس بسيرة أبيه وجدته
الساحرة يعني بها النساء وهابته الناس واجتمعوا
الناس عليه وكان يقول بدين النصرانية ۞
وكان جماعة من أهل البربر أرادوا غزوه
وهو سرياق ملك سقلية بالمغرب وجمع جموعا ۞

فلما قرب من الواحات وسمع بذلك أرسل إليه بطريقا من
بطارقته في جمع كثير وأرسل معهم الكهنة
بأنواع العجائب وأرسل الملك أيضا قوادا في جمع
عظيم لقتاله فاقتتلوا فهزموهم أهل البهنسا
وأسروا منهم أسرا كثيرة وأتوا بهم من حد اسكندرية
إلى رمسيس فأمر الملك أن يظهروا العجائب والتماثيل
حتى دخلوا إلى مدينة البهنسا وأمر الملك أن تضرم
بين يديهم نارا وأمروا فشقوها واحدا بعد واحد
لم ينلهم منها أذى وقد كان المقدم عليهم
آخر من دخل النار فلما دخلها أخذته فولى هاربا
فأتي به إلى الملك فسأله عن أمره فأقر فأخذ به إلى
الحصن فصلبوه على اسطوانة عظيمة وقيل إن المصلب
كان الملك بعينه وكتب على الإسطوانة هذا
فلان ابن فلان المتغلب على البربر والغرب
وأمر بإطلاق الباقين وقيل لهم قد وجب عليكم
القتل بصحبتكم من أراد الفساد في الأرض
ولكن الملك بفضله لعفا عنكم وأمركم

وقف

أن تخرجوا من جميع بلاده فخرجوا من بين يديه
بالسلامة وكانوا لا يمرون بأحد إلا حدثوه بما
رأوا من العجائب فانقطع الطمع من الوصول إلى البهنسا
من صعيد وغرب ومصر وعمل في زمانه عجائب كثيرة
منها بطة من نحاس قائمة على إسطوانة فإذا
دخل الغريب في الإقليم صفقت بجناحيها فيوجد
ويكشف عن أمره ومقصده إلى بلاد المغرب
وغرس غروسا وصنع أعلاما وإشارات بطريق المغرب
وأقام مائة وثلاث سنين ثم تولى بعده ابنه
ارطمانوس وهو جد البطلوس الذي فتحت
البهنسا في زمانه فسار سيرة أبيه وقال أيضا
بدين النصرانية وصنع كنيسة عظيمة
بوسط البلد لها أبواب عظيمة قيل أربعون بابا
يدخل بعضها إلى بعض متكئا بيوته إذا دخل
الغريب يدخل من باب ويدور ويخرج من
المكان الذي دخل منه ما هو شاء من عظم
العمارة وكثرة التماثيل وذلك بعد أن

أمر بطبخ اللبن وقطع الأحجار وجلب الرخام المنقوش وجعل
من داخلها اسطوانات من الرخام الملون وجعل فيها
مقاصير من الرخام الأندلسي والأخشاب الملونة
المنقوش فيها جميع التماثيل وجعل لها أربعة أبواب
كبار كل باب ارتفاعه عشرة أذرع في سبعة
أذرع على كل باب باب مركب من داخله
باب آخر فيه ثلاثمائة وستون [illegible] قد
أحكمت بالهندسة [illegible] يوم من السنة
من أول يوم النوروز انفتح باب من ذاته وانغلق
باب من ذاته وجعل فيها أربع قباب على كل
قبة أربعة أعمدة من الرخام المنقوش وكل
قبة مقابلة للأخرى منقوشة بنقوش دقيقة
بالذهب واللازورد وأيضا في حائطهم جميع
التماثيل من الصور من آدمي ووحش ودواب
كل جنبة لا يشبه تصويرها تصوير الأخرى
مفروش بالرخام الملون من جميع الألوان
مفروش عليهم جميع الفرش من البسط

والوسائد

والوسائد والأساند والأنطاع والنمارق ومن داخل
الباب إلى الهيكل أعمدة من الرخام وجعل هناك
الهيكل وبيت القربان فأما الهيكل فجعل له بابا
من الفولاد المنقوش بالذهب والفضة عليه أقفال من
الذهب والفضة سعة الهيكل ستون ذراعا مبني
بالحجارة المنحوتة الملونة مرصع الألوان من داخله
قبة عظيمة على أربعة أعمدة من الحديد والقبة
من الرخام الأزرق والأبيض والأحمر والأسود الملون
مشبكة بشبابيك من ذهب وفضة كل قباط
طوله أربعة أذرع في أربعة أذرع ومن داخل
القبة قبة من الرخام الأزرق المطروح فيها
صور الكواكب والشمس والقمر تدور
بحركات احتكمتها أهل الهندسة وللباب
القبة في داخل الباب باب آخر من خشب
الساج فيه اثنا عشر بابا من النحاس المطلسم
كلما مرت ساعة من النهار انفتح باب من ذاته
وانغلق باب من ذاته وجعل على رأس القبة

الكبيرة وكان طولها خمسين ذراعا شخصا من
نحاس قائما وبيده سيف مطلسم وهو يشير به إذا
دخل غريب للبلد دار الشخص دورانا عظيما وصاح
وقيل إنه كان يفعل ذلك إذا قدم عليهم جيش
مسافة ثلاثة أيام فيصدون ذلك ومن داخل
الكنيسة صورة المسيح وصورة مريم من ذهب
وإلى جانبهما صورة أخرى عليهم ستور من الحرير
الملون المنسوج بقضبان الذهب والفضة وصنع
أيضا عجيبة أخرى إنه كان يوضع بين يدي الملك
صحن من البلور يأكل فيه الملك كان
يوزن فارغا ثم يوزن ملآنا فيوجد وزنه وزنا
واحدا لا ينقص ولا يزيد ومائدة من الجزع
على أربعة قوائم من الذهب عليها صفة طيور
من الذهب إذا جلس في الكنيسة توضع بين يديه
طولها عشرة أذرع وعرضها مثل ذلك تدور
بحركات بما عليها إلى كل أحد بما يشتهيه
فيأكل كفايته من غير أن يمس بيده شيئا

وصنع

وصنع أيضا باطية من البلور محكمة النقر مطلسمة
مرصدة بالفلك فإذا جلس الملك للشراب توضع بين
يديه وتأتي الدهاقنة والبطارقة والدماشقة إلى بين
يديه ثم يأتي لكل واحد ما يشتهيه من الشراب
من سكر وغيره ومن جميع النبيذ والخمر فيسكب
كله في ذلك وترى القينات والجواري وأصحاب
الطرب يغنون ويشربون ولا يطلع لكل أحد قدح
إلا بما يشتهيه من الشراب وملك عليه ثلاثة
وأربعين سنة ودفن في الكنيسة المذكورة
في تاجه ولباسه وآخيه في تابوت من الذهب
الأحمر في قاعة قد عدت له وفيها أمواله وخواصه
وكنوزه ينزل لها بثلاثين درجة وطلسم ذلك
المكان وأغلق عليه بابا من حديد ووكل به
حراسه وهو هنا والله أعلم **فلما هلك** تولى ابنه
تندوس فهو أبو البطلوس وكان لا يعرف
في العلم كما يعرف أبوه إلا أنه كان مهاب الملك
وكان مولعا بالبنا والجواري الحسان وعمارة القصور

وكان عادلاً في الرعية وبنا بالملك بسنة يعني بمدينة
البهنسا قصراً عظيماً من الجهة البحرية إلى الغربية
إلى شرقي المدينة علو جداره أربعون ذراعاً يعني
سور القصر من داخله رواق عظيم ودركة عظيمة
من الرخام مسقوفة بألواح الرخام المنقوش ومن
داخلها أيضاً مما يلي الجهة البحرية بركة
عظيمة من الماء وأحكموها بمجاري من الرصاص
المحكوم يحمل الماء من البحر اليوسفي إلى تلك
البركة وغرس حول البركة من جميع الأشجار
وجعل بدائرها مقاصير مبنية بالجزع على أعمدة
من الرخام مخرجات بين الأشجار خارجة إلى تلك
البركة مسقوفة بسقوف من الأخشاب المنقوشة
باللازورد والذهب والفضة فيها جميع التماثيل
يتوصل منها إلى قصر عظيم عالي الجدران من الحجارة
المنحوتة المنقوشة علو جداره خمسون ذراعاً من
داخله قاعة عظيمة مرخمة الأرض والجدران
مسقوفة بسقوف من الخشب المنقوش المطعم

والمدمون

والمدمون بأربع أواوين يقابل بعضهم بعضاً سعة
كل واحد أربعون ذراعاً في عرض ثلاثين ذراعاً
بينهم فسقية من الرخام الملون لها قبة من البلور
المضي على أربعة أعمدة من ذهب وفضة طول
كل عمود عشرة أذرع وفي وسط الفسقية
فوارة ارتفاعها خمسة أذرع يصب الماء من البركة
بحكمة إلى الفسقية وأربع أسود من الذهب
مرصعين باللآلي فاتحي أفواههم يصب الماء من أفواههم
في الفسقية ثم يرتفع إلى القبة
عظيم من الرخام الملون ويرتفع إلى سقف
القاعة ثم ينسكب ولا يبل أحداً من الجلوس على
ذلك الإيوان بحكمة وهندسة وصنع بدائر
القاعة شبابيك أيضاً من ذهب وفضة وجعل على
كل إيوان سريراً طوله عشرون ذراعاً وعرضه
عشرون ذراعاً قوائمه من عظام الأفيلة مرصعة
بالذهب والفضة على سور من ذهب وفضة وبنا
قصراً آخر على أربعة أعمدة عوال علوهم في

الأرتفاع خمسون ذراعا على قواعد من الرخام ۞ وأيضا قواعد منقوشة بتماثيل مقدار ثلاثين ذراعا ۞ ووضع عليها ألواحا من الرخام الملون لو بنا بالحجارة المنحوتة حتى جعل ارتفاعه من فوق الأعمدة أربعين ذراعا وجعل له قبة من الرخام الملون ۞ ومن داخل القبة منقوشا محلا بالذهب والفضة وعلى رأس القبة تمثاله من الذهب يده مع الشمس حيث دارت واتخذ أعمدة من جانب الكنيسة من وسط البلد من البر إلى القصر وجعل عليه عقودا وجعل مطلعه من البربا العتيقة المذكورة ويدخل من بابه ويسير في تلك المشا إلى القصر والقصر والبربا موجودين إلى يومنا هذا آثارهم وأخربت المسلمون والصحابة رضي الله عنهم تلك المعالم كلها وصنع له بساطا كما صنع لكسرى ملك الفرس طوله ستون ذراعا في مثلها يجلس عليه هو وجميع دهاقنته عند ذهاب الزهر والروض في قوة الشتاء وفيه جميع الزهور ۞ مرقومة من ذهب وفضة وحرير ولؤلؤ ومرجان

وغير ذلك لم يوجد مثله وورثه ابنه البطلوس ۞ وغنمه المسلمون ۞ وسيأتي ذكر ذلك عند الفتح ۞ وقسم الغنيمة إن شاء الله تعالى وأقام الملك ستة وثلاثين سنة ثم هلك ودفن أيضا بالكنيسة المذكورة وتولى ابنه البطلوس الملك من بعده وهو الذي فتحت المدينة في أيامه وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم وله في المملكة سنتان والله أعلم ۞ وكان فارسا شديدا وبطلا صنديدا ونصر على الملوك واحتوى على الملك وجبى له بالخراج من حد الواحات إلى برقة واحتوى على بلاد كثيرة وحكم من الأشمونين إلى منديولة بالوجه البحري وكان يحكم على ثمانين بطريقا في إقليمه كلهم قد دانوا إليه وأطاعوه ومنع من هو تحت طاعته لما فتحت مصر أن يدخل في صلح المسلمين وقال من فعل ذلك قتلته وأخذت ماله وأخربت بلده حتى خافه الناس فلما فتحت مصر والبحيرة والجيزة داخله الخوف لما ملك المسلمون البحيرة والإسكندرية ودمياط ومصر وأرادوا أن

يتوجهوا إلى الوجه القبلي فداخل البطلوس الخوف من ذلك
وكل من في الصعيد والله أعلم

ذكر فتوح البهنسا على التمام والكمال

ونعوذ بالله من الزيادة والنقصان وما فيه من الفضائل
وما وقع للصحابة من الحوادث رضي الله عنهم أجمعين
قال الرواة بأسانيد صحاح عن من حضر الفتح وعن
أصحاب السير والتواريخ مثل الواقدي رحمه الله
وأبو جعفر الطبري وابن خلكان في تاريخ البداية
والنهاية ومحمد ابن إسحق وابن هشام وقد زاد
حديثه على حديث بعض لما في ذلك من اختلاف
الرواة عن من حضر الفتوحات وشاهد الوقعات من
الصحابة رضي الله عنهم أجمعين وأكثر ذلك عن
عظمائهم وكبرائهم مثل عبد الله بن عمرو بن
العاص أمير الجيوش على مصر وأخيه محمد وخالد بن
الوليد وولده سليمان وقيس بن هبيرة الفزاري
والمقداد بن الأسود الكندي وميسرة بن
مسروق العبسي والزبير بن العوام الأسدي وابنه

عبد الله وضرار ابن الخطاب ومن يوبعي رسول الله صلى الله
عليه وسلم مثل الفضل بن العباس بن عبد المطلب
والفضل بن العباس بن أبي لهب بن عبد المطلب
وجعفر ومسلم ابني عقيل وعبد الله بن جعفر ومن
أبناء الخلفا مثل عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق
وعبد الله بن عمر بن الخطاب وأبان بن عثمان بن
عفان وقد اختصرنا في ذكرهم وكل منهم قد
حدث بما قد عاين الفتوح وشاهد من الوقعات
وحدثت بذلك أبناؤهم رضي الله عنهم أجمعين وقد
أخذنا في هذا الفتوح على قاعدة الصدق لإتيان
فضل رسول الله وفعل الصحابة رضي الله عنهم أجمعين
الذين لولاهم ما كانت البلاد للمسلمين ولا
انتشر بعد الضلال اليقين رضي الله عنهم أجمعين
وقد سارت سراياهم شرقا وغربا وولت
الأعدا منهم انفلاتا وهربا وسكبوا دماهم
على الأرض بالقواضب سكبا واستباحوا أموال
الكفار نهبا وسلبا وجعل الله في قلوب

أعدائهم منهم خوفًا ورعبًا ۞ فهم نجوم الهداية ۞ وأهل
الولاية ۞ وشرعوا الشرايع ورتلوا القرآن ترتيلا
فقال الله تعالى في حقهم تعظيمًا لهم وتبجيلا
فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا

قال أبو عبد الله محمد بن محمد المقرى ۞ غفر الله
له أطلعت على فتوحات كثيرة فوجدت بها زيادة
ونقصانًا ۞ وكذلك تواريخ منقولة وكنت
قدمت المدينة يعني البهنسا لزيارة البهنسا ۞ لما
رأيت في ذلك من العجائب والفضائل والأجور والخير
والجود وإن زيارتها تمحص الذنوب ۞ وتكشف
الكروب ۞ وتحسن الأخلاق ۞ وتدر الأرزاق
وتورث النصر على الأعدا ۞ وتكفي البوس والردا
لما فيها من السادات والشهدا ۞ ممن جعل نفسه لله
وقتل في سبيل الله ۞ ابتغا مرضات الله ۞ من قال
في حقهم من له الفضل والمنة ۞ إن الله اشترى من
المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة ۞ وهم
أحياء في الجنان يأكلون ويشربون ۞ كما

قال

قال الله في كتابه المكنون ۞ ولا تحسبن الذين قتلوا
في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون ۞
فزرنا الجبانة في ساعة الأسحار ۞ ورأينا ما بها من
الأنوار ۞ وزرنا قبور السادة الأخيار نرجو من الله
أن يحط عنا الذنوب والأوزار ۞ فلما قضينا الزيارة
ولاحت تلك الإشارة ۞ تذكرنا تلك السادة
الأمجاد ۞ وما كان لهم من الصبر على الغزو والجهاد
فسألني بعض الأصحاب عن سبب فتح مدينة البهنسا ۞
ليندفع به البوس والأسا ۞ حتى حرك ذلك خاطري
وأسهرت ناظري ۞ وطالعت التواريخ والفتوحات
وتجنبت الراحات ۞ حتى انتخبت هذا الكتاب ۞ فهو
كالدرة اليتيمة التي لا يعرف لها قيمة ۞ ترتاح
عند سماعه النفوس ۞ ويزول الهم والعكوس ۞
ويشجع على الجهاد ۞ ويعين على إقامة العدل في البلاد
ابتغاء لوجه الله الكريم ۞ راغبًا في الثواب العظيم
۞ وذلك بعد الحمد لله رب العالمين ۞
والصلاة والتسليم ۞ على سيد المرسلين ۞ وخاتم النبيين

بسم الله الرحمن الرحيم

حدثني من أثق به من الرواة ممن تقدم ذكره
رضي الله عنهم أجمعين قالوا لما فتح عمرو بن العاصي
رضي الله عنه مصر واسكندرية والوجه البحري
كله جميعا وكان بالصعيد نوبة وبربر وديلم
وصقالبة وروم وقبط وكانت الغلبة للروم
وكان أكثرهم روما فاستشار عمرو أصحابه
على أي جهات يقصد أن يسير الجنود شرقا وغربا وما
ذا يصنع فأشاروا عليه مكاتبة أمير المؤمنين
عمر بن الخطاب رضي الله عنه فكتب كتابا إليه
يقول فيه بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله عمرو بن العاصي
عامل أمير المؤمنين على مصر ونواحيها إلى أبي عبد الله
أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه سلام عليك
ورحمة الله وبركاته أما بعد فإني أحمد الله
الدى لا إله إلا هو وأصلي على محمد صلى الله عليه وسلم
والسلام على من بالمدينة من المهاجرين والأنصار
ولك الحمد والمنة يا أمير المؤمنين وقد فتحت مصر

والوجه البحري واسكندرية ودمياط وتروجة ولم
يبق بالوجه البحري مدينة ولا قرية إلا فتحت وأذل الله
المشركين وأعلا كلمة الدين وقد اجتمع أصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم من السادة الأمرا والأخيار
والمهاجرين والأنصار يطلبون الإذن من أمير
المؤمنين هل نسير الآن إلى الصعيد أو إلى المغرب
والأمر أمرك يا أمير المؤمنين فالقوم على الجهاد قلقين
وباعوا نفوسهم لله رب العالمين وإلى حرب العدو
مبادرين وفي الجهاد راغبين وأنا منتظر
جوابك يا أمير المؤمنين والدعا منك عند قبر خاتم
النبيين والحمد لله ربقه العالمين وصلى الله على
سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وتحت ذلك

أبيات يقول

صوارمنا تشكو الظما في أكفنا
وأرماحنا تشكو القطيعة والهجر
إليك أتيناد الحرب يا طيب الثنا
ويا من أقام الدين بالفتح والنصر

فقد دلفت خيل الكرام إلى العدا ۞
بنو شيبة الحمد استووا وبنو نصر ۞
وصالت لوي مع معد وغالب ۞
وسادات مخزوم الكرام ذوي الفخر ۞
تروم مسيرا العداة على شفا ۞
تمكن من أعلاهم البيض والسمر ۞
على كل طرف غايص لغد لا يصده ۞
يجعجع في نقع العثير كأنما الجمر ۞
بكل كمي صادق الوعد طائل ۞
قوي ذراعه الزاهي تمكن بالصبر ۞
يرى الموت في وقع الوقائع مغنما ۞
ويكسب من قتل العدى غاية الأجر ۞

قال ثم طوى الكتاب وختمه واستدعا برجل
من الصحابة يقال له سالم بن جامع الكلبي ۞ فسلمه
إليه الكتاب وسلم له ناقة عشارية فاستوى على
كورها وخرج يريد المدينة وهو ينشد
ويقول ۞

أسير إلى المدينة في أمان ۞ وأرجو الفوز في غرف الجنان
وأدعو الله يجمعني قريبا ۞ وأعطا ما أريد من الأماني
ألا يا ناقتي جدي مسيرا ۞ إلى قبر النبي بلا امتهان
واقريه السلام وأنشديه ۞ كلاما صادقا حسن البيان
ألا يا أشرف الثقلين يا من ۞ به شرف المدينة والمكان
وكن لي في المعاد غدا شفيعا ۞ إذا ما قيل لي هذا فلان

قال الراوي ولم يزل يسير ليلا ونهارا ۞ حتى قدم
المدينة ۞ الطيبة الأمينة وكان ذلك بعد صلاة
العصر فدخل المدينة وأناخ ناقته على باب المسجد
وعقلها بفاضل زمامها ودخل إلى مدينة النبي صلى الله
عليه وسلم وسلم على قبر أبي بكر الصديق رضي الله
عنه ۞ وكان متوضيا فصلى ركعتين بين الروضة
والمنبر ۞ ثم تقدم فوجد عمر بن الخطاب رضي الله
عنه جالسا قال سالم فسلمت عليه فرد علي السلام
ثم صافحني لما رآني أقبلت وأنا فرحان ۞ قال سالم
جئت بكتاب من مصر مرحبا بك يا سالم قال سالم
فلما سلمت عليه التفت فإذا عن يمينه علي بن أبي طالب

رضي الله عنه ونعم مثلما له عثمان بن عفان ۞ والعباس بن
عبد المطلب وعبد الرحمن بن عوف وسعيد بن زيد
وطلحة بن عبيد الله وبقية الصحابة رضي الله عنهم ۞
أجمعين ۞ قال سالم فسلمت على الإمام علي وعلى عثمان
وعلى بقية الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين ۞ ثم ناولت
الكتاب لأمير المؤمنين عمر بن الخطاب ۞ فقال لـ
ما وراءك يا سالم فأنت سالم في الدنيا والآخرة إن شاء الله
تعالى فقلت الخير والبشر والأمن يا أمير المؤمنين ثم
ناولته الكتاب فلما قرأه استبشر واحمر وجهه ۞
ودفعه إلى أمير المؤمنين علي رضي الله عنه ۞ فقرأه ثم
ناوله إلى عثمان فقرأه ثم قرأه على الناس فاستبشروا
لذلك وكانت الغنائم وصلت إلى المدينة قبل
ذلك بأيام وقسمت على الصحابة رضي الله عنهم فعندها
استشار عمر علي بن أبي طالب رضي الله عنه ومن حضر
في أمر عمرو بن العاصي ۞ فأشار عليه علي رضي الله عنه
أنه لا يسير عمرو بنفسه ليكون أهيب له ذلك ۞ في
قلوب أعدائه وأن تجهز جيشا عشرة آلاف فارس

وان

وأن يؤمر عليهم خالد بن الوليد رضي الله عنه فإنه سيف الله
فقال عمر صدقت ۞ وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
إن خالدا سيف من سيوف الله ۞ وفي رواية إن خالدا
سيف من سيوف الله لا يحيد عن أعدائه ۞ ثم بات سالم
تلك الليلة فلما أصبح صلى الصبح في مسجد رسول الله صلى الله
عليه وسلم ثم أقبل على عمر يسأله الجواب فعندها
استدعا عمر بدواة وقطعة رق وذلك بحضرة الصحابة
رضي الله عنهم أجمعين ۞ كتب كتابا يقول فيه
بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله عمر بن الخطاب
إلى عامله بمصر ونواحيها عمرو بن العاصي سلام ۞
عليك ورحمة الله وبركاته ۞ أما بعد فإني أحمد الله
الذي لا إله إلا هو وأصلي على محمد صلى الله عليه وسلم
والسلام عليك وعلى من معك من المهاجرين والأنصار ۞
ورحمة الله وبركاته وقد قرأت كتابك وفهمت
خطابك فإذا قرأت كتابي هذا ۞ فاستعن بالله
ورسوله وأرسل إلى كل بلد أميرا ليقيموا شرايع
الدين ويعلموا الأحكام ۞ ثم انتدب

عشرة آلاف من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ۞ وأمّر
عليهم خالدًا وأرسل معه الزبير بن العوام والفضل بن
العباس والمقداد وعياض بن غانم ومالك الأشتر ۞
وذو الكلاع ۞ وجميع الأمرا وأصحاب الرايات
ينزلون على المداين ويدعون الناس إلى الإسلام ۞
فمن أجاب فله ما لنا وعليه ما علينا ومن عصا فخذه بالجزية
فإن عصا وامتنع فالحرب والقتال ۞ وأمرهم إذا
حاصروا مدينة أن يشنوا الغارات على السواد وإن
بمصر مدينتين كما بلغني يقال لأحدهما إهناس
قريبًا من مصر والأخرى يقال لها البهنسا إلا أن البهنسا
أطغى وأمنع وأحصن وبلغني أن بها بطريقًا طاغيًا
سفاكًا للدما ۞ يقال له البطلوس فهو أطغى بطارقة
مصر كما بلغني وأنه ملك إلى الواحات
فلا تقربوا الصعيد حتى تفتحوا هذه المدينتين وعليك
بتقوى الله في السر والعلانية أنت ومن معك ۞
وانصف المظلوم من الظالم وأمر بالمعروف ۞
۞ وانه ۞

عن

عن المنكر ۞ وخذ للضعيف حقه من القوي ولا يأخذك
في الله لومة لايم وأقم أنت بمصر وأرسل الأجناد
فإن احتجت إلى مدد فكاتبني فأرسل لك المدد
والمعونة من الله عز وجل ۞ وأسأل الله النصر والفتح
والحمد لله رب العالمين ۞ ثم طوى الكتاب
وختمه بخاتم رسول الله صلى الله عليه وسلم ودفعه
إلى سالم فأخذه وودع الصحابة وودع قبر رسول الله
صلى الله عليه وسلم بعد أن توضا وصلى ركعتين
ودعا عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم ولم يزل سايرًا
ليلًا ونهارًا حتى قدم مصر فوجد عمرًا والصحابة
نازلين بأرض الجيزة لأجل رعي المواشي وكان
زمن الربيع وأصحابه جلوس في خيمة له كبيرة
كانت لملك القبط من الحرير الأزرق والأحمر
والأصفر سعتها ثلاثون ذراعًا وقد بسط لها فرشًا
كانت للقبط وهو جالس يتحدث مع خالد والمقداد
والفضل وعياش والأمراء جميعهم رضي الله عنهم ۞
وهو كأحدهم قال فلما أنخت ناقتي سمعت عمرًا

يقول وأنا خلف الخيمة يا ترى لأي شيء أبطا سالم ❁ قال خالد كأنك به وقد أقبل ❁ قال سالم فأنخت الناقة وهرولت فأخبر خالد بي قال من داخل الخيمة سالم قلت نعم يا أبا سليمان فقال مرحبا بك وحياك الله ثم أنه تقدم وسلم على عمرو وخالد وبقية الأمراء رضي الله عنهم أجمعين ❁ ثم ناولته الكتاب ❁ فقرأه وفهم ما فيه إلى آخره ثم دفعه للأمير أبي سليمان فقرأه والزبير بن العوام رضي الله عنه وبقية الأمراء ففرحوا بذلك فرحا شديدا ❁ ثم أن عمرا رضي الله عنه استشار الأمراء في ذلك وكانوا لا يفعلون شيئا رضي الله عنهم إلا بمشاورة بعضهم بعضا ولذلك مدحهم الله في كتابه العزيز بقوله عز وجل وأمرهم شورى بينهم وأشاروا عليه أن يرسل خلف الأمراء والأجناد المتفرقة في البحيرة شرقا ❁ وغربا وأن يرتب الجيوش ويقصدون الصعيد ❁ ويتوكلون على الله عز وجل ❁ قال الراوي لهذا الفتوح العجيب ❁ والأمر المطرب الغريب

الذي

الذي لم يسمع بمثله إلا في هذا الفتوح وكانت الصحابة رضي الله عنهم أجمعين لما فتحت مصر والوجه البحري قد تفرقوا بإسكندرية وتروجة ❁ وأشموم ودمياط ورشيد وبلبيس ❁ وكان أكثرهم بوسط البحيرة في المكان المعروف بالمنزلة أي منزلة القعقاع بن عمرو والتميمي وهاشم ابن المرقال وميسرة بن مسروق العبسي والمسيب ابن نجبة الفزاري ❁ فعندها استنجد عمرو رضي الله عنه بالصحابة والشجعان من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ❁ مثل عبد الله بن أنيس الجهني وحاطب ابن أبي بلتعة وعمرو بن أمية الضمري ❁ ومثل هؤلاء رضي الله عنهم وكتب الكتب وأرسلها للأمراء ❁ فعند ذلك أجابوا جميعهم لأنهم رضي الله عنهم كانوا أشوق للقتال من العطشان للماء ❁ الزلال ووضعوا في المدائن والبلاد من يحفظها ويحرسوها خشية العدو وأقبلوا إلى مصر مسرعين حتى أتوا مصر ونزلوا حولها ❁ وأخبر عمرو رضي الله

عنه بذلك فقدم إلى الجهة الشرقية ودخل إلى دار الإمارة
قريبا من الجامع العمري وأقبلت الصحابة والأمراء يسلمون
عليه وكان ذلك في يوم الأربعاء عاشر شهر ربيع
الأول سنة ثمانية عشر من الهجرة وقيل تسعة عشر
والله أعلم ❁ حدثنا عبد الله بن محمد حدثنا عبيد
ابن رافع عن أبي جحفة عن جابر بن عبد الله الأنصاري
وحديث محمد بن مسلمة رضي الله عنهم أجمعين
قالوا لما قدم الأمراء والأجناد من الصحابة رضي الله عنهم
يوم الأربعاء أقاموا الأربعاء والخميس والجمعة ❁ فلما
كان يوم الجمعة المبارك خطب عمرو رضي الله عنه
بالناس ولما فرغ من خطبته أمر الناس أن لا يتفرقون
حتى يقرأ عليهم كتاب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب
رضي الله عنه ❁ فلما انقضت الصلاة قام عمرو على المنبر
فحمد الله وأثنى عليه ثم صلى على رسول الله صلى الله عليه
وسلم ثم قرأ الكتاب فلما فرغ من قراءته تواثبوا كلهم
كالأسود الضارية المشتاقة إلى فرائسها وقالوا
كلهم سمعنا وأطعنا ❁ ولأرواحنا في طاعة الله ❁

أبذلنا ❁ وللجنة طلبنا وفي الثواب رغبنا ❁ وإلى الجنة
اشتقنا ففرح عمرو بذلك ثم قال لهم إن أمير المؤمنين
عمر رضي الله عنه قد أمرني أن أولي عليكم سيف الله
والملحمة على أعدائه صاحب القتال الشديد ❁ والبطل
الصنديد خالد بن الوليد قال الراوي وكان
خالد صديقا لعمرو رضي الله عنهما في الجاهلية وأسلما
جميعا في يوم واحد ❁ ثم التفت عمرو إلى خالد
وقال ادن مني يا أبا سليمان ودنا منه ❁ فقال عمرو
وكان من دهاة العرب يا معاشر رسول الله صلى الله عليه
وسلم اعلموا أنكم كلكم لكم الفضل وإنني
لست بأفضلكم وإن لكم الفضل وفيكم ذو قرابة
ونسب من رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنتم السادة
والأمراء وإنني كأحدكم وأنتم تعلمون أن خالد
نصوح لله ولرسوله نقمة على أعداء الله وأن أمير المؤمنين
قد ولاه الجيوش وأمره بالمسير إلى الصعيد ❁ وأنتم
تعلمون ما فتح الله عليه من البلاد ❁ وما أذل الله على
يديه من الأجناد قال الراوي فوثب الفضل

ابن العباس رضي الله عنه وقال أيها الأمير إننا ما بذلنا
أنفسنا إلا لرضا الله عز وجل لا نريد بذلك رفعة إلا
عند الله عز وجل وإن خالدا من خيارنا ولو أمر علينا
عبدا حبشيا امتثلنا أمره في رضى الله تعالى فناهيك
بخالد وهو سيد من سادات قريش عزيز في الجاهلية
والإسلام فتهلل وجه عمرو وخالد فرحا ثم أمرهم
بالنزول جميعا بأرض الجيزة قريبا من الأهرام
فعند ذلك خرجوا من المسجد الجامع وقد استعدوا
للأهبة هذا يصلح سيفه وهذا يصلح رمحه وهذا
يصلح درعه وهذا يجلي فرسه ويصلح شأنه
وجازوا يعدون إلى الجانب الغربي وقد ضرب
عمرو فسطاطه قريبا من الهرم الشرقي وأقبلوا
يضربون خيامهم وفساطيطهم حوله حتى تكاملت
العساكر رضي الله عنهم أجمعين قال الراوي
يسنده إلى الواقدي رضي الله عنه وابن إسحاق وابن
هشام فلما تكاملت الجيوش وهل هلال
رجب الأصم في السنة المذكورة صلى عمرو بأصحابه

صلاة الصبح ثم قام من ساعته يمشي وحوله جماعة
من المسلمين مثل خالد بن الوليد والمقداد بن الأسود
الكندي والزبير بن العوام والفضل بن العباس
وعبد الرحمن بن أبي بكر الصديق وعبد الله بن عمر
ابن الخطاب وهشام بن المرقال والمسيب بن نجية
الفزاري والعباس بن مرداس السلمي وأولاد
عبد المطلب وبقية السادات حتى طلع على رابية وأشرف
على الجيش فلما رأى اجتماعهم سر بذلك سرورا
عظيما ثم أمر باعتراض الجيوش فتقدمت الأمراء
وأصحاب الرايات وصار كل يعرض جيشه ويمر بعلمه
على عمرو وكان عددهم فيما قيل والله أعلم
ستة عشر ألفا فانتخب منهم عشرة آلاف فارس كأنهم
ليوث عوابس عليهم الدروع الداودية متقلدين
بالسيوف الهندية معتقلين بالرماح الخطية
راكبين الخيول الأعوجية جاءوا أمة محمد
خير البرية فعند ذلك قال لهم عمرو يا معاشر الأمراء
والسادات والأفاضل إن خالدا أمير عليكم فاسمعوا له

وأطيعوه وكونوا كلمة واحدة وناذلوا الميادين والقلاع
وشنوا الغارات على السواد ولا تقاتلوا قوما حتى تدعوهم
إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله فإن
أبوا فأدوا الجزية فإن أبوا فالقتال بينكما حتى
يحكم الله وهو خير الحاكمين وأرسلوا الطلايع
ولا يكون في الطليعة إلا كل مشكور في وقت
الحرب والتقاء الضرب والطعن وثبتوا نفوسكم
ولا يغرنكم كثرة أعدائكم فأنتم الغالبون
فقد قال الله تعالى في كتابه العزيز كم من فئة
قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله والله مع الصابرين
وأحسنوا نياتكم وثبتوا عزائمكم فأنتم الأعلون
والله معكم وأنتم كلكم أهل الفضل والسابقة
وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقاتلتم بين
يديه بارك الله فيكم قال فأجابوه كلهم
سمعا وطاعة لله ولرسوله فإننا أردنا الجهاد ابتغاء
مرضات الله **قال الراوي** ثم إن عمرا استدعا
بأصحاب الرايات من أصحاب رسول الله صلى الله عليه

وسلم فكان أول من تقدم بعد خالد الزبير بن العوام
رضي الله عنه وهو راكب على جواده الأغر شاك
في سلاحه فأسلمه الراية وأمره على خمس مائة من
أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما خرج من
العسكر هز الراية وأنشد وجعل **يقول**
أنا الزبير فارس الإسلام ليث شجاع وأبي العوام
قوم هزبر فارس هجام أقتل كل فارس ضرغام
وإنني يوم الوغا مقدامي وناصري في حربنا الإسلامي
ثم استدعا بالفضل بن العباس وأمره على خمس
مائة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فتسلم
الراية بيده وهزها وأنشد وجعل **يقول**
إني أنا الفضل وأبي العباس وفارس منازل حواس
معي حسام قاطع للراس يفلق الهامات والأضراس
أفني به الأعدا والأرجاس وما علي في أمرهم من باس
ثم استدعا بربيعة بن أبي سفيان بن الحارث
ابن عبد المطلب وأسلمه الراية وكان رضي الله عنه
فارسا شديدا وبطلا صنديدا فتسلم الراية

بِيَدِهِ وَأَنْشَدَ وَجَعَلَ يَقُولُ

أَنَا الْفَارِسُ الْمَشْهُورُ يَوْمَ الْوَقَايِعِ

وَحَدُّ حُسَامِي فِي الْأَعَادِي قَاطِعُ

وَدُمْحِي عَلَى الْأَعْدَا لَمَا زَالَ طَايِلًا

إِذَا احْتَكَمَ الْأَهْوَالُ لِلضِّدِّ قَامِعُ

وَعَزْمِي فِي الْهَيْجَا مَا زَالَ مَاضِيًا

بِرَأْيٍ سَدِيدٍ لِلْمَحَاسِنِ جَامِعُ

أَصُولُ عَلَى الْأَعْدَا صَوْلَةَ قَادِرٍ

وَأُشْبِعُهُمْ ضَرْبًا بِأَبْيَضَ لَامِعُ

إِمَامُ الْوَغَا مِنْ آلِ ذِرْوَةِ هَاشِمٍ

حُمَاةُ الْبَرَايَا كَالْبُدُورِ الطَّوَالِعُ

أَنَا ابْنُ أَبُو سُفْيَانَ مِنْ نَسْلِ حَارِثٍ

تَمُوتُ الْعِدَا مِنِّي إِذَا جِئْتُ فَازِعُ

قَالَ الرَّاوِي ثُمَّ تَقَدَّمَ مِنْ بَعْدِهِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ ابْنُ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ فَأَمَّرَهُ عَلَى خَمْسِ مِائَةِ فَارِسٍ وَأَسْلَمَهُ الرَّايَةَ فَهَزَّهَا وَأَنْشَدَ وَجَعَلَ يَقُولُ

أَسِيرُ إِلَى الْعِدَاةِ بِاهْتِمَامِي بِقَلْبٍ صَادِقٍ حَسَنِ التَّمَامِي

بِأَبْطَالٍ جَحَاجِحَةٍ أُسُودٍ سَرَاةٍ فِي الْوَغَا قَوْمٍ كِرَامِي

أَبِيدُ بِهِمْ عُدَاةَ الدِّينِ جَمْعًا وَلَمْ أَخْشَى مِنَ الْقَوْمِ اللِّئَامِي

إِذَا مَا جُلْتُ فِي الْهَيْجَا بِرُمْحٍ أَصُولُ بِهِ وَفِي يَدِي حُسَامِي

قَالَ الرَّاوِي ثُمَّ تَقَدَّمَ مِنْ بَعْدِهِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ ابْنِ الْخَطَّابِ فَأَمَّرَهُ عَلَى خَمْسِ مِائَةِ فَارِسٍ وَأَسْلَمَهُ الرَّايَةَ فَهَزَّهَا وَأَنْشَدَ وَجَعَلَ يَقُولُ

وَحَقِّ مَنْ أَنْزَلَ الْآيَاتِ وَالسُّوَرِ

وَأَرْسَلَ الْمُصْطَفَى الْمُخْتَارَ مِنْ مُضَرِ

لَا أَنْثَنِي عَنْ لِقَاءِ الْأَعْدَاءِ لَوْ جُمِعَتْ

حُمَاةُ أَبْطَالِهِمْ يَوْمَ الْوَغَا زُمَرِ

حَتَّى أُبِيدَهُمُ ضَرْبًا وَأَتْرُكَهُمْ

فَوْقَ التُّرَابِ جُثَثًا مُشْدَخَةَ الصُّوَرِ

بِكُلِّ قَرْمٍ هُمَامٍ مَاجِدٍ نَجِدٍ

إِلَى الْوَقَايِعِ يَوْمَ الْحَرْبِ مُبْتَدِرِ

نَحْنُ الْكِرَامُ الَّذِي لِلدِّينِ أَرْسَلَنَا

إِمَامُ كُلِّ الْوَرَى غَيْثُ النَّدَا عُمَرِ

قال الراوي ثم تقدم جعفر والفضل ابنا عقيل
فأمرهما على ألف فارس ثم عقد لهما رايتان
وأسلمهما لهما وتقدما أمام قومهما فهز جعفر رايته
وأنشا يقول

أنا ابن عقيل من لوي ابن غالب همام شجاع
للأعادي غالب

حماة الوغا أهل الوفا معدن الصفا إلى جوده وغنانا
تسير الركايب

ولا يعرف المعروف إلا بعرفنا ولا الجود إلا
جودنا والمواهب

علا مجدنا فوق السما وثناؤنا على العرب العربا
وكل الكتايب

فيا ويل أهل البغي منا إذا التقت فوارسنا فيهم
بحد القواضب

قال الراوي ثم تقدم من بعده الفضل أخوه وهز
رايته وأنشا يقول

إني أنا الفضل وأبي عقيل أسير للحرب بلا تمهيل

بحد سيف قاطع صقيل به أبيد الكفار والجهول
وابن عمي أحمد الرسول صلى عليه الملك الجليل

قال الراوي ثم تقدم من بعده المقداد بن الأسود
الكندي فأمره على خمس مائة فارس وعقد
له راية فهزها وأنشد وجعل يقول

أنا المقداد في يوم المشالي أبيد الضد
بالسمر العوالي

وسيفي في الوغا أبدا صقيل طليق الحد في أهل
الضلالي

متى من آل كندة كل قرم تجيد الطعن في
يوم المجال

فيا ويل العدا والروم منا إذا التحم الفوارس
في القتال

فنتركهم كما أعجاز نخل تقطعها الفوارس
بالنعال

قال الراوي ثم تقدم من بعده عمار بن
ياسر العبسي فأمره على خمس مائة فارس وعقد

له راية وهزها وأنشا يقول

أنا الهمام الفارس الكرار

أفني بسيفي عصبة الكفار

وإن جالت الخيل بلا إنكار

وقام سوق الحرب أنا عمار

أحمي لدين المصطفى المختار

صلى عليه الواحد القهار

وآله وصحبه الأخيار ما بان ليل وطلعنا نهار

قال الراوي ثم تقدم من بعده العباس بن مرداس

السلمي فأمره على خمس مائة فارس وعقد له راية

فهزها وأنشا وجعل يقول

أنا العباس رأيي مستقيم معي سادات آل بني سليم

إذا لزبهم حماة البغي لما ترى الهيجا كما الليل البهيم

وسيفي ماضي الحدين أضحى لأهل الشرك كالموت العميم

به أفني الطغاة بكل أرض وأقتل كل أفاك أثيم

ونحن بنو سليم خيار قوم هدينا للصراط المستقيم

قال الراوي ثم تقدم من بعده ألفى دجانة

الأنصاري وأمره على خمس مائة فارس وعقد له راية

فهزها وأنشا يقول

أسير باسم الواحد المنان نصرا لأهل الكفر والطغيان

إذ يتهم حربا على الأبدان بكل هندي مبيد الجان

أنصر لدين المصطفى العدناني صلى عليه الملك الديان

وآله والصحب والإخوان ما ناح قمري على الأغصان

قال الراوي ثم تقدم من بعده غانم بن عياض

الأشعري وأمره على خمس مائة فارس وعقد له راية

فهزها وأنشا يقول

شهدت لنا بسنا الكرام ومعشر

أني إذا ارتفع المناسب أشعر

قوم همام في المعامع قاطع بحماة أبطال الأعادي مزدد

وبرا حتى من القواضب أبيض يوم التلاطم للفوارس مسكر

يا ويل كلب الروم منه إذا أتى ورأى لمع بريقه بالمنظر

ولا قتلن به فوارس قومه وأذيقهم منه العذاب الأكبر

قال الراوي ثم سار وتقدم من بعده أبو ذر الغفاري

فأمره على خمس مائة فارس وعقد له راية فهزها وأنشا

يقول

سأمضي للعداة بلا اكتئابي ❁ وقلبي للقا والحرب صابي
ولي عزم أذل به الأعادي ❁ وأرجوا الفوز فيهم والثوابي
وإن صالوا الجميع بيوم حرب ❁ لكانوا الكل عندي كالكلاب
أفلقهم بأبيض جوهري ❁ طليق الحد فيهم غير نابي

قال الراوي ثم سار وتقدم القعقاع ابن عمرو التميمي والمغيرة ابن شعبة الثقفي وميسرة ابن مسروق العبسي ❁ ومالك الأشتر النخعي وذو الكلاع الحميري والوليد ومحمد ابنا عقبة بن أبي معيط الجمحي والمرقال وعقبة بن عامر الجهني ❁ وجابر بن عبد الله الأنصاري ورفاعة بن زهير المحاربي وعدي بن حاتم الطائي ومثل هؤلاء السادات رضي الله عنهم أجمعين ❁ وقد اختصرنا من أسمائهم وأشعارهم رضي الله عنهم أجمعين قال الراوي رحمة الله عليه فلما تكاملوا وتجهزوا وودعهم عمرو وخرج لوداعهم هو وأصحابه وسارت الكتائب وتتابعت المواكب يلي بعضها بعضا وخلفهم الذراري والصبيان حتى أتوا إلى ❁

الجيزة ثم نزلوا بمكان يعرف بالمرج الكبير قريب من الجبل من تلك المداين والقرى والرساتيق وتقدمت الطلايع يتجسسون الأخبار ❁ وقد كان بذهشور بطريق عظيم الروم قبل ماريوس صاحب إهناس ❁ وانتشرت الأخبار من أول يوم برزت الصحابة إلى أرض الصعيد وكاتبت الملوك بعضها بعضا ❁ فلما وصل الخبر إلى بطريق إهناس وكان فارسا مكينا ❁ وكان لعينا قاتله الله وكان يقول إنه يناظر البطليوس في ولايته لكن البطليوس صاحب البهنسا لعنه الله أشد بأسا وأعظم مراسا وأقوى مددا ❁ وأكثر عددا وأوسع بلادا فكاتبه في ذلك وكاتب روشال صاحب الأشمونين ❁ وكاتبوا قرياقيش صاحب قفط وكان يحكم إلى حد إخميم ❁ وكاتبوا صاحب إسوان الكيكلاج وكان يحكم إلى عدن إلى البحر المالح إلى بلاد النوبة والبجاة وحد السواد وتتابعوا مع الناس لمسير العرب إلى الصعيد وكاتب بعضهم بعضا وماج الصعيد

بأهله إلى حد الواحات وسيوة ووقع الرعب في قلوبهم
فعند ذلك وثب مكسوح ملك البجاة وغيلون
ملك النوبة وجمعوا ما حولهم من أرض النوبة والبربر
والبجاة وأتوا إلى إسوان وكان مع ملك البجاة
ألف وثلاثمائة فيل عليها قباب من الجلد المشبك
المصفح بالفولاذ كل قبة فيها عشرة من السودان
أو ستة أو سبعة عراة الأجساد طوال الأجسام
على أكتافهم وأوساطهم جلود النمور وغيرها
ومعهم الدرق والحراب والعكاكيز باجات
والقسي والمقاليع والأعمدة الحديد والطبول
والقرون وكان عدتهم عشرين ألفا فلما وصلوا
إسوان خرجوا إلى لقائهم وأعلموهم بأمرهم وساروا
إليهم بالملاقاة من الذرة والشعير والقصب ولحوم
الخنازير والضباع وغيرها من الوحوش وأنزلوهم
فأقاموا ثلاثة أيام ثم أخرج بطريق إسوان
معهم جيشا حتى وصلوا إلى ملك القفط صاحب
القلعة التي بقرب قوص وفعل لهم مثل ذلك

وساروا حتى وصلوا إلى دروشال صاحب الأشمونين وفعل
لهم مثل ذلك وسير معهم جيشا وساروا حتى وصلوا
إلى أنصنا وكان بها بطريق عظيم وبطل صنديد
وكاهن منجم وكان يحكم شرقا وغربا إلى
حد طحا وإهريت وكانت أنصنا مدينة عظيمة
على شاطئ البحر وبها جند كثيرة وفيها عجائب
عظيمة ولها حصن عظيم علوه ثلاثون ذراعا
ومن داخلها قصور ومقاصير وبرابي وكنائس
وقلاع على أعمدة الرخام وغيره إلى آخر المدينة
وحاصرها المسلمون مدة وقتل بها عبادة بن
الصامت بعد ذلك رضي الله عنهم أجمعين

رجعنا إلى سياقة الحديث العجيب

والأمر المطرب الغريب قال لما نزلت تلك
العساكر بأنصنا خرج إليهم بطريقها جرجس بن
فابوس بن أنصنا الرومي وتلقاهم وأرسل معهم
ابن عم له يسمى قنطاروس وكان فارسا [illegible]
في أربعة آلاف فارس ولم يزالوا حتى نزلوا بوادي

اليهفنسا عند بطريق يسمى تلوصنا من بطارقة البطلوس
فلما سمع بهم البطلوس خرج إلى لقائهم في عسكر عظيم
يزيد عن خمسين ألفا من البطارقة وعليهم الدروع
المذهبة وأقبية الديباج ❀ المرقومة بالذهب الوهاج
وعلى رؤوسهم التيجان المكللة باللآلي والجواهر
راكبين على خيول وبراذين مشرمة عليها سروج
الذهب والجنايب مغطاة بغواشي من الحرير الملون
المرقوم بالذهب والفضة والخز وكان معهم خمسون
صليبا كل صليب طوله أربعة أشبار من الذهب
والفضة منقوشين على رأس كل صليب رمانة من
الذهب وهم في زينة عظيمة وقد أكثروا من
الطبول والزمور والضرب بالقرون والمعارق حتى
ارتجت الأرض ومعهم الجمال والبغال المحملة
بأواني الذهب والفضة والجمود ومعهم الأغنام
والأبقار فالتقوا بالمكان الذي ذكرنا ❀
وترجلت الملوك والبطارقة للقائه ❀ وسلم
بعضهم على بعض وتكلموا فيما بينهم بسبب العرب

فقال لهم البطلوس لا تطمعوا العرب فيكم ولا
في بلادكم ❀ فإنما مثل العرب كمثل الذباب
إن تركته أكل وإن منعته فر وهلك واثبتوا
واصدقوا العزم فقد كانت تبلغني أخبار ملك الروم
وكانت تبلغني أخبار من ألواح ودعيتم أن تكتبوا لهم وقد
أتوا إليكم ولولا أنني أخشى أن العرب يأتون إلى
بلادي إذ أسمعوا أني قد خرجت معكم فيشغلون
جماعة بقتالكم وجماعة يأتون إلى بلادي
فيملكونها وليس فيها من يدافع عنها لخرجت
إلى قتالهم وكنت في خدمتكم قال
كرناس الرومي أنا ممن أسلم بعد ذلك ❀
وقد حضر ذلك وحدث به ❀ قال يا معاشر الملوك
والبطارقة إنني اطلعت على الكتب القديمة
والأخبار العجيبة أنهم إذا ملكوا البهنسا
ونواحيها لا يقوم لأهل الصعيد بعد ذلك قائمة
أبدا ❀ فلما سمعوا الملوك ذلك صنعوا لهم
ثم انتخب من بطارقته عشرون بطريقا ❀

ممن عرفت بالشجاعة والقوة والبراعة وملك عليهم صاحب
الكفور وكان اسمه بواضل وكان كافرا
طاغيا لعينا ودفع له صليبا من الجوهر وعلما من الحرير
الأطلس الأصفر مرقوما بالذهب وفيه صورة الشمس
ودفع لهما ما يحتاج إليه من الجنائب والقباب ❁
والسرادقات والمضارب من الديباج الملون والأنية
من الذهب والفضة والصناديق المرصعة ❁
بالذهب والفضة والبراذين والبغال الذي عليها
جلال الحرير الملون وبعضها محمل بالأواني
المذكورة والخيام والسرادقات ❁ وسارت
العساكر يتلوا بعضها بعضا حتى قربوا بسا ❁
الكبرى فخرج إليهم بطريقها صندراس وتلقاهم
وأضافهم ❁ وساروا حتى قربوا إهناس فخرج
إليهم بطريقها وتلقاهم وفعل معهم كما فعل
البطلوس وأضافهم وحضر لهم عشرة آلاف
فارس من صناديد بطارقته وولى عليهم بطريقا
يسمى دادريس وكان يناظر بطريق الكفور

في الشـ

في الشجاعة والقوة والبراعة ❁ وساروا حتى قربوا من جزنشت
فخرج إليهم بطريقها وتلقاهم وناظر البطريق الأعظم
رأس بطارقتها المذكورة وكلهم كانوا سائرين وقد ملأوا
شرقا وغربا ❁ هذا ما جرى لهم ❁ **وأما** ما كان
من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فإنهم لما نزلوا
قريبا من دمشق كما ذكرنا وكانت العيون من
المسلمين يترددون بأخبار العرب المتنصرة ويتجسسون
الأخبار فساروا حتى اختلطوا بالعساكر المذكورة
وصاروا في الجواسيس من بني مذحج وطي وكانوا
حذاقا متفرقين ❁ فلما رأوا ذلك هالهم أمرهم **قال
الراوي** حدثني سنان بن قيس الربعي عن طارق
ابن مسلح الغفاري عن زيد بن غانم ❁ التغلبي وكان
وكان ممن حضر الفتوح وكان عند الواقعة صحبة خ
الد رضي الله عنه ❁ قال بينما نحن جلوس نصطلي إذ
شأننا بالمرج ونحن على أهبة السفر إذ قد جئنا ❁ بـ
الجواسيس وأعلموا خالد بن الوليد ومن العساكر فقال
لهم هل حزرتم الجيوش فقالوا نعم ما يأتنا الفـ

فارس في خمسين ألف رجل من النوبة والبجاة والفلاحين
والعبيد وهم في أهبة عظيمة ومعهم ألف وثلاث مائة
فيل على ظهورها الرجال كما وقع في يوم حرب
اليرموك ❁ فلما سمع بذلك الأمر اضطرب بعضهم
وبعضهم ثبتت جنانه وقال قل لن يصيبنا إلا ما كتب
الله لنا وأما خالد فقال لا حول ولا قوة إلا بالله العلي
العظيم ❁ ثم قرأ الذين قال لهم الناس إن الناس قد
جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيمانا وقالوا
حسبنا الله ونعم الوكيل ❁ فانقلبوا بنعمة من الله
وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله والله ذو
فضل عظيم ❁ ثم قرأ أيضا كم من فئة قليلة
غلبت فئة كثيرة بإذن الله والله مع الصابرين
ثم إن خالدا قال لأصحابه لا تهتموا لذلك واصبروا
فأنتم الأعلون والله معكم ❁ فليست جموعهم
بأكثر من جموع اجنادين ولا من جموع اليرموك
والحق تعالى فتح لكم ممالكهم التي هي تاج
عزهم وملككم الواحات البحرية ثم قتلتم ما بينهم

من الملوك والبطارقة وقد صارت الشام بأيديكم
والعراق واليمن ومصر والوجه البحري والحجاز ودانت
لكم البلاد وقد كنتم قليلا فكثركم الله
وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها
وما قاتلتم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ونصرتم
بالملائكة وأوعدكم الله على لسان نبيه محمد
صلى الله عليه وسلم أنه يستخلفكم في الأرض كما
استخلف الذين من قبلكم ومن قتل منكم كان
إلى الجنة وتنتقل روحه إلى روح وريحان ورب
غير غضبان ❁ فلما سمعوا كلامه تهللت
وجوههم بالفرح وقالوا يا خالد نحن كلنا بين يديك
وقد وهبنا أنفسنا لله ابتغاء مرضات الله ثم إن خالدا
وجه زيد بن مفرج التنوخي مسرعا إلى عمرو وأعلمه
بذلك فنزل عمرو على مصر ابن عمه وكان رجلا
صالحا وخرج ومعه جماعة وترك على مصر نحو ألفين من
أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ورجع إليهم في
أربعة آلاف ❁ فلما أقبل سلموا عليه وقالوا نحن نكفيك

أيها الأمير قال أعلم ذلك وما ينبغي لي أن أقلل عندكم فرجع
بذلك وتهيأوا للقاء العدو وكانوا يخرجون في كل
يوم الطلائع يتجسسون الأخبار فلما كان في بعض
الأيام وثب الفضل بن العباس بن عبد المطلب
وأخوه عبد الله وجعفر بن عقيل وأخوه علي ومسلم
وعبد الله بن الزبير وسليمان بن خالد بن الوليد
ومحمد بن طلحة بن عبد الله وعبد الله بن المقداد
وعبد الله بن عمرو بن العاص وعبد الله بن عمر
وعمرو بن سعد بن أبي وقاص ومحمد بن مسلمة
وعبد الرحمن بن أبي بكر وزياد بن المغيرة وغيرهم
من السادات نحو أربع مائة سيد من أولاد الصحابة
والأمراء أصحاب الرايات وألف وستمائة من أخلاط
العرب من المهاجرين والأنصار ولبسوا دروعهم
وتقلدوا بسيوفهم واعتقلوا برماحهم وتنكبوا
حجفهم وساروا إلى ثنية هناك يعرف بدير
المسيح بسفح الجبل يكشفون الأخبار فبينما هم
كذلك وإذا بغبار قد طلع إلى عنان السماء

وانعقد فنظر بعضهم إلى بعض وقالوا هذا غبار وحش
فقال الفضل بن العباس رضي الله عنه
ليس هذا غبار وحش فلو كان غبار وحش كان
يتقطع قطعا ويتفرق فرقا وإنما هذا غبار عسكر
جرار وإن الخيل إذا استبقنا بركبها ارتفع
الغبار حدثنا أبو زياد عبد الله عن أبي مالك
الخولاني عن عطاف بن شهاب الجرهمي عن عبد
الرحمن بن أبي هريرة رضي الله عنه قال بينما نحن
نحدث مع الفضل وإذا بالغبار قد قرب منا وانكشف
عن عشرة آلاف فارس ومعهم الأعلام والصلبان
فلما عاينونا طمعوا بالغنيمة ثم لم يمهلوا أن حملوا
علينا قال الراوي وكان ضرار بن الأزور رضي الله
عنه قد انفرد ومعه مائتي فارس من أصحابه
من أهل النجدة وساروا في طريق الجبل على غير
الجادة فبينما هم كذلك وهم يسيرون
وإذا بالغبار قد ثار وانقشع عمن ذكرنا فلما
عاينوهم أيقنوا بالهلاك فندبها وثب ضرار

وقال أفروا من الموت فلم يمهلوهم دون أن داروا عليهم
فرأوا أن لا بد من القتال والتحمت الرجال بالرجال
وصبروا صبر الكرام وأحاطت بهم الروم من كل
مكان ❁ فلله در ضرار لقد قاتل قتالا شديدا فلم
تكن غير ساعة حتى قتل جماعة من أصحاب ضرار وكبا
به الجواد وأسروه وأسروا جماعة من أصحابه وكان
رأس البطارقة صاحب أبا الكبرى فأوثقوا ضرارا
وأصحابه كتافا وحملوهم على ظهور خيولهم وأرسلوهم
إلى عند العسكر وانفلت من القوم مولى من موالي
عبد الرحمن بن أبي بكر يقال له سالم فسار يجد
حتى قدم على خالد فأعلمه بذلك وأعلم عمرا ❁ فصعب
عليهما وكبر لديهما ❁ وأراد خالد أن يسير بنفسه
فمنعه عمرو قال فعند ذلك وثب المسيب بن يحيى
الفزاري ورافع بن عميرة الطائي وأخذا معهما
ألفا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وساروا
ومعهم رجل ممن أسلم من الحيرة يدلهم على طريق
غير الجادة وأكمنوا هناك عند الدير وقد سبقوا

البطريق

البطريق الذي سار بضرار وأصحابه واقتفوا الأثر فقال
الدليل أظنكم قد سبقتم أكمنوا هنا وكانوا الذين
مضوا بضرار خمس مائة فارس قال الراوي وكانت
خولة بنت الأزور قد شق عليها أسر أخيها وسار المسيب
ابن يحيى الفزاري ورافع بن عميرة الطائي في طلب
أخيها فتهللت فرحا وأسرعت في لبس سلاحها ولامتها
وأتت إلى خالد وقد هم القوم بالمسير ❁ فقالت أيها الأمير
سألتك بالطاهر المطهر إلا ما سيرتني مع من سيرت فلعلي
فعسى أن أكون مشاهدة لهم فقال خالد للمسيب ولرافع
أنتما تعلمان شجاعتها فخذوها معكما فقالا السمع
والطاعة ونزلوا كما ذكرنا فبينما هم نزلوا عند
الدير مكمنين وإذا بغبرة قد لاحت لهم ❁ فقال
رافع والمسيب لأصحابهما أبسطوا خواطركم فأيقظ
القوم هممهم وبقوا في انتظار العدو فإذا بهم قد
أتوا وهم محدقون بضرار وهو يتألم من كتافه وهو
[illegible] ❁ ويقول ❁ ينشد ❁
ألا بلغا قومي وخولة أنني ❁ أسير رهين موثق اليد

بِالْقَنَا يَنْبُو

وَنَحْوَ لِحُلْوَانَ الرُّومِ مِنْ كُلِّ كَافِرٍ ۝ وَأَصْبَحْتُ مَعْهُمْ لَا

أُعِيدُ وَلَا أُبْدِي

فَلَوْ أَنَّنِي فَوْقَ الْمُهَذَّبِ رَاكِبًا ۝ وَقَائِمُ حَدِّ الْعَضْبِ

قَدْ مَلَكَتْ يَدِي

أَذَقْتُ كِلَابَ الرُّومِ بِالذُّلِّ نِقْمَةً ۝ وَأَشْبَعْتُهُمْ وَسْطَ

الْوَغَا أَعْظَمَ الْكَلْمِ

فَيَا قَلْبُ مُتْ غَمًّا وَحُزْنًا وَحَسْرَةً ۝ وَيَا دَمْعَ عَيْنِي كُلُّ

مُصِيبِي عَلَى خَالِدِ

إِلَى أَنْ أَرَى قَوْمِي لِخَوْلَةَ حَوْلَنَا ۝ وَأَلْزَمُ مَا كُنَّا عَلَيْهِ

مِنَ الْعَهْدِ

كَبَا بِي جَوَادِي فَانْثَنَيْتُ عَلَى الثَّرَى ۝ وَأَصْبَحْتُ

بِالْمَقْدُورِ لَمْ أَبْلُغِ الْقَصْدِ

قَالَ الرَّاوِي فَلَمَّا فَرَغَتْ خَوْلَةُ مِنْ كَلَامِهَا قَدْ أَجَابَ اللَّهُ

دُعَاكَ وَقَبِلَ تَضَرُّعَكَ وَنَجْوَاكَ هَا أَنَا أُخْتُكَ خَوْلَةُ ۝ ثُمَّ

كَبَّرَتْ وَحَمَلَتْ وَكَبَّرَ رَافِعٌ وَالْمُسَيَّبُ ۝ فَالْـ

جُبَيْرُ بْنُ سَالِمٍ وَكُنَّا إِذَا كَبَّرْنَا تَصْهَلُ الْخَيْلُ إِلْهَامًا

مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ۝ فَمَا كَانَ أَكْثَرَ مِنْ سَاعَةٍ حَتَّى

قَتَلْنَاهُمْ عَنْ آخِرِهِمْ جَمِيعًا وَخَلَّصَ اللَّهُ ضِرَارًا وَأَصْحَابَهُ

وَأَخَذْنَا خَيْلَ الْقَوْمِ وَأَسْلَابَهُمْ وَسِلَاحَهُمْ ۝ وَكَانَتْ

أَوَّلَ غَنِيمَةٍ قَالَ الرَّاوِي وَلَمَّا تَخَلَّصَ ضِرَارٌ فَرِحَتْ

بِذَلِكَ خَوْلَةُ وَسَلَّمَتْ عَلَيْهِ وَرَكِبَ جَوَادًا غَايِرًا وَأَخَذَ

قَنَاةً وَجَدَهَا مَطْرُوحَةً وَحَمَلَ وَهُوَ يَقُولُ

لَكَ الْحَمْدُ رَبِّي دَائِمًا كُلَّ سَاعَةٍ ۝ مُفَرِّجُ أَحْزَانِي

وَهَمِّي وَكُرْبَتِي

فَقَدْ نِلْتُ مَا أَرْجُوهُ مِنْ كُلِّ رَاحَةٍ ۝ جَمَعْتُ الشَّمْلَ

ثُمَّ أَشْفَيْتُ غُلَّتِي

سَأَلْقَى كِلَابَ الرُّومِ فِي كُلِّ مَعْرَكٍ ۝ وَذَلِكَ وَالرَّحْمَنِ

أَصْغَرُ هِمَّتِي

فَيَا وَيْلَ كَلْبِ الرُّومِ إِنْ ظَفِرَتْ يَدِي ۝ بِهِ سَوْفَ أَعْلُوهُ

بِالْحُسَامِ بِقَبْضَتِي

وَأَتْرُكُكُمْ جَمْعًا صَرِيعًا عَلَى الثَّرَى ۝ كَمَا رِمَّةٍ

تُدْعَى لِسَبْعِ الْفَلَا بِسُنَّتِي

قال الراوي فلما فرغ ضرار من شعره وإذا بالخيل
قد أقبلت منهزمة وكان السبب في ذلك أنه لما حملت
الروم على الفضل بن العباس رضي الله عنه صاح على
ذلك الفضل بأصحابه وبني عمه فلم يرهم لكثرة
عدوهم وصبر واصبر الكرام واشتد الزحام
وعظم المرام وجريت الدما واسودت السما
وحمي الوطيس وقل الأنيس ودارت رحا الحرب
وكثر الطعن والضرب وجالت الرجال وهمهمت
الأبطال وقوي القتال وعظم النزال
واشتد القتال وجالت الرجال وضربت الأعناق
وسالت الأحداق وعظمت الأمور وطفيت
البدور وكانت المسلمون لا يبانون بينهم لكثرتهم
عليهم ولا يعرف بعضهم بعضا إلا بالتهليل والتكبير
والصلاة على البشير النذير السراج المنير وقد
صبر الفضل رضي الله عنه وبنو عمه ومن معه صبر
الكرام فلله در الفضل لقد اصطلا الحرب بنفسه
فكان تارة يقلب الميمنة على الميسرة والميسرة

على الميمنة ويقاتل والراية بيده ولله در مسلم بن عقيل
وإخوته لقد قاتلوا حتى كان الدم على دروعهم كقطع
أكباد الإبل ولله در سليمان بن خالد المقتول
وقعة الديلم قريبا من طنبذي بقرية تسمى درودا
وقتل معه عبد الله بن المقداد وجماعة وسيأتي ذكر
ذلك عند تلك الوقعة إن شاء الله تعالى قال محمد
ابن سلمة الأنصاري رضي الله عنه وقاتلنا قتال
الموت وأيقنا أن المحشر من هناك ولم نزل في قتال
ونزال من ارتفاع الشمس حتى غربت وقد قتل من
الروم مقتلة عظيمة وتقدم الفضل بن العباس إلى
بطريق عظيم راكب كأنه برج من ذهب
وطعنه في صدره أطلع السنان يلمع من ظهره فلما
رأت الروم ذلك شجعوا نفوسهم وفشا القتل بيننا
وبينهم وقتل من المسلمين أربعون فارسا وقتل منهم
ثمان مائة فارس لكن الراجل ما يقتل حتى قتل لنا
جماعة من الروم فبينما نحن كذلك وقد أيقنا أن
الموت من ذلك الموقف وطمنا عليه نفوسنا وإذا

بالغبرة قد طلعت والعجاجة قد انعقدت فتخطف المنير بقليل وانقشع الغبار عن رايات إسلامية تقدمها العصابة المحمدية أزاها عن ألفي فارس وفي أوائل القوم فرسان أمجاد وسادات أنجاد أحدهما المقداد والثاني زياد والقعقاع بن عمرو وشرحبيل بن حسنة كاتب رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعهم الفا فارس أخر فلم يمهل المقداد دون أن حمل وغاص في الخيل وهو ينشد

ويقول

ألا إنني المقداد في الحرب صايل ❁ وسيفي على الأعداء ماض وطائل ❁

إذا اشتدت الأهوال كنت أمامها ❁ وأضرب بالسمر الطوال الذوابل ❁

ولي همة بين الورى تردي العدا ❁ لها تشهد الأبطال بين القبائل ❁

فليس لسيفي في الأنام مبارز ❁ وليس لشخصي في الأنام منازل ❁

ثم غاص في وسط الحرب وحمل من بعده زياد

ابن

ابن أبي سفيان بن الحارث بن عبد المطلب وهو يرتجز

ويقول

أنا زياد ولأبي سفيان ❁ جدي يرى من أشرف العربان

وابن عمي أحمد العدنان ❁ معي حسام ثم رمح ثان

أطعن في الأعدا كل جاني ❁ وكل كلب ناقض الأيمان

قال الراوي

ثم غاص في وسط القوم فاقلب الميمنة على الميسرة والميسرة على الميمنة وخاض في القلب فولت الروم من بين يديه متقلبين ومنهزمين وهو يضرب بالسيف فيهم طولا وعرضا ثم حمل من بعده القعقاع بن عمرو وهو ينشد ويقول

أنا الهمام البطل القعقاع ❁ ليث شجاع ضيغم مطاع ❁

معي حسام يبري الأوجاع ❁ ويقطع الهامات والأضلاع ❁

يا ويل أهل الشرك والنزاع ❁ متى إذا في الحرب طال باعي ❁

ثُمَّ حَمَلَ مِنْ بَعْدِهِ شُرَحْبِيلُ بْنُ حَسَنَةَ وَأَنْشَدَ

يَقُولُ

أَلَا يَا عُصْبَةَ الْإِسْلَامِ صُولُوا ۞ عَلَى الْأَعْدَا بِالسَّيْفِ الصَّقِيلِ ۞

وَذُوقُوهُمْ حِيَاضَ الْمَوْتِ جَهْرًا ۞ بِكُلِّ الْأَسْمَرِ اللَّدْنِ الطَّوِيلِ ۞

وَمُوتُوا فِي الْوَغَا قَوْمًا كِرَامًا ۞ وَعِزُّ مَنْ فِي الْمَغَانِمِ لَا يَزُولُ ۞

قَالَ الرَّاوِي ثُمَّ تَتَابَعَتِ الْفُرْسَانُ يَتْلُوا بَعْضُهَا بَعْضًا ۞ هَذَا وَزِيَادُ غَائِصٌ فِي الْقَلْبِ كَمَا ذَكَرْنَا وَقَصَدَ الْبِطْرِيقَ الْأَعْظَمَ صَاحِبَ بَابِ الْكُبْرَى ۞ وَضَرَبَهُ بِالسَّيْفِ عَلَى عَاتِقِهِ الْأَيْمَنِ ۞ طَلَعَ السَّيْفُ يَلْمَعُ مِنْ عَاتِقِهِ الْأَيْسَرِ وَقَدْ أَجَابَتْهُمُ الْمُسْلِمُونَ بِتَكْبِيرَةٍ وَاحِدَةٍ وَكَبَّرَتِ الْجِبَالُ وَارْتَجَّتِ الْأَرْضُ لِحُرُوبِهِمْ وَلَوَقَعُوا فِي خُيُولِهِمْ ۞ وَحَمَلَ كُلُّ أَمِيرٍ عَلَى بِطْرِيقٍ فَقَتَلَهُ ۞ فَلَمْ تَكُنْ إِلَّا سَاعَةً حَتَّى وَلَّتِ الرُّومُ الْأَدْبَارَ وَرَكَنُوا إِلَى الْفِرَارِ لَا يَلْوِي

بعضهم

بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَتَبِعَتْهُمُ الْمُسْلِمُونَ يَقْتُلُونَ وَيَأْسِرُونَ حَتَّى بَلَغَتِ الْهَزِيمَةُ جِرْزًا وَمَيْدُوم فَبَيْنَمَا ضِرَارٌ وَأَصْحَابُهُ مُقْبِلِينَ وَإِذَا بِالرُّومِ مُنْهَزِمِينَ كَمَا ذَكَرْنَا ۞ وَخَلْفَ الْمُسْلِمِينَ فِي آثَارِهِمْ يَقْتُلُونَ وَيَأْسِرُونَ وَيَنْهَبُونَ وَلَمْ يَكُونُوا يَعْلَمُونَ مَا جَرَى عَلَى ضِرَارٍ وَرُفْقَتِهِ ۞ فَلَمَّا رَأَوْهُ سَلَّمُوا عَلَيْهِ وَهَنَّوْهُ وَأَصْحَابَهُ بِالسَّلَامَةِ وَقَصَّ عَلَيْهِمْ مَا جَرَى لَهُ وَاجْتَمَعُوا بِالْمُسَيَّبِ وَأَصْحَابِهِ وَأَرَوْهُمُ الْمَعْرَكَةَ وَمَكَانَ الْقِتَالِ ۞ فَفَرِحُوا بِذَلِكَ فَرَحًا شَدِيدًا قَالَ الرَّاوِي وَإِنَّ عَمْرًا وَخَالِدًا لَمَّا خَرَجَ الْفَضْلُ وَأَصْحَابُهُ قَلِقَا عَلَيْهِمْ قَلَقًا شَدِيدًا ۞ فَقَالَ خَالِدٌ لِعَمْرٍو يَا أَبَا عَبْدِ اللهِ لَقَدْ غَرَّ الْفَضْلُ وَأَصْحَابُهُ بِمَنْ مَعَهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ۞ وَإِنِّي أَخْشَى أَنْ يَكُونَ لِلرُّومِ طَلِيعَةٌ فَيَظْفَرُونَ بِأَصْحَابِنَا ۞ فَقَالَ عَمْرٌو كَذَلِكَ هَجَسَ فِي خَاطِرِي يَا أَبَا سُلَيْمَانَ فَمَا تَرَاهُ مِنَ الرَّأْيِ ۞ قَالَ الرَّأْيُ عِنْدِي أَنْ تُرْسِلَ طَلِيعَةً أُخْرَى خَلْفَهُمْ فَقَالَ نِعْمَ الرَّأْيُ ۞ ثُمَّ اسْتَدْعَا بِالزُّبَيْرِ بْنِ الْعَوَّامِ وَأَبِي ذَرٍّ الْغِفَارِيِّ

رضي الله عنهما واعلمهما بذلك فاراد خالد ان يركب

فمنعه الزبير وحلف ان لا يسير الا هو وانتخب معه قوما

وساروا حتى قربوا من القوم وهم مجدون والارض

تطوى تحت حوافر خيولهم حتى التقوا بالمسلمين

لونجد وهم قد كسروا الروم كما ذكرنا

قال الراوي رحمة الله عليه ثم جمع المسلمون

الاسلاب والسلاح والخيل ورجعوا الى اصحابهم

وهم فرحانا بالنصر على اعدائهم قال الراوي

فلما رجعوا المسلمون ووصلوا الى العسكر كان

معهم ستمائة اسير اعلنوا بالتهليل والتكبير

والصلاة على البشير النذير السراج المنير قال

الراوي فاجابتهم المسلمون ايضا بالتهليل

والتكبير فلما عاينوا الاسلاب والاسارى

فرحوا بذلك ثم سلم بعضهم على بعض ثم تلقاهم

عمرو وخالد وبقية الامرا وسلموا على بعضهم

البعض وتفاألوا بالنصر وقدموا الاسارى

فاعرضوهم على عمرو وخالد واوقدوا النيران في

في المرج وباتوا يقرؤن القرآن ويتضرعون لله الواحد

المنان وليس فيهم الا راكع وساجد قال الراوي

هذا ما جرا لهؤلاء واما المنهزمون فانهم مضوا الى

البطارقة والملوك فعظم عليهم قتل من قتل منهم واعتدوا

لقتال المسلمين وركبوا خيولهم وابلهم وافيالهم

وتزينوا بزينتهم وساروا يجدون السير وقد

اكثروا من الطبول والزمور والصنوج قال قيس

ابن الحارث واقام المسلمون بعد الوقعة يوما فبينما

نحن في اليوم الثاني بعد صلاة الصبح وكان اطاويه

من الامرا والابطال في كل يوم يركبون ويتشرفون

وينظرون الاخبار في ذلك اليوم والثاني فبينما هم

ينظرون اذ راوا غبارا قد ثار حتى تعلق بالجو ثم

انقشع عن خيول ورجال كالجراد المنتشر او السيل

المنحدر وقد ارتجت الارض من الطبول

والزمور وحمحمة الخيل وقعقعة اللجم فارتدوا على

اثارهم واعلموا اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم

بذلك ثم صاح الصايح في العسكر النفير النفير

يا خيل الله اركبي ۞ وللجنة اطلبي ۞ وفي الثواب ارغبي فتواثبت المسلمون رضي الله عنهم إلى دروعهم فلبسوها وإلى سيوفهم تقلدوها ۞ وإلى رماحهم اعتقلوها ۞ وإلى خيولهم فركبوها ۞ وإلى راياتهم فنشروها ۞ وإلى زينتهم فأظهروها ۞ وإلى قلوبهم من الغش والدنس فطهروها ۞ وإلى نياتهم فأخلصوها وإلى نفوسهم لله فباعوها ولم تكن إلا ساعة حتى استعدوا وقام خالد رضي الله عنه يعبي قومه للقتال هو وعمرو رضي الله عنهم أجمعين ۞ فجعل في القلب أصحاب الطعن والضرب ۞ مثل الفضل ابن العباس وبني عمه من سادات بني هاشم وهم جعفر والفضل ومسلم أولاد عقيل ابن أبي طالب وزياد بن أبي سفيان بن الحارث ومثل هؤلاء الأبطال وجعل في الجناح الأيمن الزبير بن العوام والمقداد بن الأسود الكندي والمسيب بن يحيى الفزاري وجعل في الجناح الأيسر القعقاع بن عمرو التميمي وهاشم بن المرقال وغانم بن عياض الأشعري وأبا ذر الغفاري

وجابر بن عبد الله الأنصاري ومثل هؤلاء السادات وثبت خالد وعمرو في وسط القلب ومعهم عبد الرحمن ابن أبي بكر الصديق وعبد الله بن عمر بن الخطاب وعقبة بن عامر الجهني ۞ وبقية الصحابة من الأمراء وأصحاب الرايات ممن شهد الوقائع مع رسول الله صلى الله عليه وسلم **قال** عبد الله بن زيد عن أبي أمامة الأنصاري رضي الله عنه وكان من أصحاب الرايات إنه قال بينما نحن كذلك وإذا بأعلام المشركين قد انتشرت ۞ ورايتهم قد ظهرت وزينتهم قد أبرقت ۞ وصلبانهم قد ارتفعت ۞ وألسنتهم بالكفر قد طمطمت ۞ وأفيالهم قد أقبلت ۞ ورجالهم للقتال قد تبادرت **قال الراوي** فلما رأى المسلمون ذلك أخلصوا نياتهم ولم يهولهم ما رأوه من عدوهم وتضرعوا بالدعاء لخالقهم واستغاثوا بمالكهم وأكثروا من الصلاة على نبيهم ۞ ولم يزالوا القوم سائرين حتى قربوا من القوم ورأوهم رأيا بالعين فعند ذلك أمسكوا

أعنة خيولهم وسلاسل أقفالهم وقد ألقى الله الرعب في قلوبهم
ثم خرج منهم بطريق من عظماء بطارقتهم ۞
كأنه برج مشيد من ذهب وهو لا يبان منه غير حماليق
الحدق وبدا وبيده الأسق وبين يديه فارس من
متنصرة العرب وهو يصيح ملؤ رأسه يا معاشر العرب
أرسلوا إلى الملك أحدا يكلمه قال فأعلم المسلمون عمروا
وخالدا بذلك فأراد عمرو الخروج إليه فمنعته الأمرا
عن ذلك فعندها وثب المقداد وحلف لا يخرج إليه
أحد غيره فقال عمرو يا عبد الله أنظر ما يكلمك
به هذه الأعلاج وادعوهم إلى كلمة الإخلاص
المنجية يوم القصاص ۞ فإن أبوا فالجزية عن يد
وهم صاغرون ۞ فإن أبوا الجزية قاتلناهم حتى
يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين قال الراوي
فعندها ركب المقداد جواده وأتى حتى وقف
عند البطريق وكان ذلك البطريق يسمى بولص
صاحب الكفور الطاغي اللعين بطريق البطلوس
وقد أتا بإذن الملك والبطارقة ۞ فلما رآه كلمه

بكلام عربي مبين ۞ فقال يا بدوي أنت أمير قومك
قال لا قال فإني لا أريد إلا أمير القوم حتى أسأله ۞
عما بدا لي لعل أن يكون مصلحة بيننا وبينكم
فقال له اسأل عما تريد فإننا قوم إذا فعل أحدنا
أمرا وفيه نصح للدين ومصلحة للمسلمين لا ينكر ۞
ذلك عليه ويجوز له الأمير ما فعل فأخبرني عن أمرك
وشأنك ۞ قال لا يكلمني إلا أمير القوم وإن
كان عنده خوف مني ألقيت سلاحي ۞ فقال له
المقداد وقد ضحك من كلامه ويحك يا عدو الله
ولو كنت أنت وأمثالك بأسلحتهم ما أفكرنا
بكم وإن الواحد منا لو وقع في ألف منكم ۞
لا لتقاها بنفسه ولا أهمه ذلك ۞ والمعونة من الله
عز وجل فإننا وطنا أنفسنا على الموت ونعلم أن هذه
الدنيا فانية ولا نبتغي إلا رضا الله عز وجل فسألني
عما بدا لك ۞ فقال لا أسمع إلا كلام الأمير ۞
فدع عنك كثرة المطاولة بيني وبينك قال له
إن لنا أميرين ۞ أمير هو متولي الأمر ۞ وأمير قايد

بكلا

الجيوش فأي أمير تريد قال أخبرني بأسمائهم قال
أما الذي متولي الأمر يسمى عمرو بن العاصي والآخر
يسمى خالد بن الوليد قال أريد خالدا فإني سمعت عنه
أمورا وأحوالا وإن الروم تتحدث عنه بأعاجيب
قال الراوي وكان الملعون لعنه الله قد سمع
بذكر خالد وفروسيته وشجاعته وأنه هو الذي
رأس كل حرب ومعركة فاتح المدائن والحصون
وتارك الأعداء في الذلة والغبون وهو صاحب
فتح العراق والشام وقاتل كل أسد ضرغام
وفاتح اليمن وزبيد وصنعا وعدن وقاتل
مسيلمة الكذاب وأباد جيوشه بقطع الرقاب
فأراد أن ينظر إلى شجاعته ويختبر قوته وبراعته
ويسمع ما يبديه من فصاحته وقال في نفسه لعلي
أن أخادعه وأغدره فإن أنا قتلته كان لي
الفخر على جميع الروم وينكسر بذلك ناموس
العرب وإن لم أقدر عليه أسمع ما يكون من
خطابه قال فعند ذلك ألوى المقداد رضي الله عنه

وأنس جواده حتى رجع إلى أصحابه فعندها قال خالد
لأصحابه إن المقداد لقد رجع وإني علمت والله لا يبرز له
إلا أنا فإن طلبني لأمضين إليه وإن رأيت منه غدرا
لأخذن روحه من بين كتفيه بحد هذا الحسام وأستعين
عليهم بالله الملك العلام قال الراوي فبينما
خالد يتحدث مع أصحابه إذا بالمقداد قد وصل وأعلم
عمرا وخالدا بما وقع فعند ذلك خرج خالد رضي الله عنه
مبادرا وعليه لامة حربية فتعلقت به أكابر
الصحابة رضي الله عنهم فخالف ولا بد له من الخروج إليه
ثم إن خالد رضي الله عنه خرج من عسكره بالجملة وقصد
مقابل البطريق المذكور فلما رأى خالدا واصلا
إليه اغتر على نفسه وأراد أن يخادع خالدا رضي الله
عنه وهم أن يهجم عليه فقال له خالد أيها البطريق
ها أنا خالد قل ما عندك والذي تطلبه وإياك والخداع معي
فأنا جمرة الخداع فقل ما تريد أن تقول فقال له
بولص يا خالد أذكر لي ما الذي تريدون وقرب
الأمر بيننا وبينكم واحقن دماء الناس وما علم أنك

مسؤول عما تقولون وتفعل عند الجبل ليدي الله فإن كنتم
تريدون شيئا من الدنيا فنحن نحمل عليكم به وندفعه
صدقة منا عليكم لأنه ليس عندنا في الأمم أضعف
منكم وقد علمنا أنكم كنتم في بلادكم
قبل أن تفتح البلاد على أيديكم في القحط والجوع ❁
تموتون هزلا ولا تملكون الأموال وقصرتم جهدا أن
تشبعوا خبزا وبرا ... لا مسومة ولتقتلان ...
... فالجوهرة وتسلبن غير بلدكم فقد ... فإن تصبروا
فإن طلبتم شيئا صدقة منا عليكم أعطيناه لكم
منا بطيبة قلوبنا فلا تطمعوا في بلادنا كما
طمعتم في غيرها واقنعوا منا بالقليل ❁ فلما سمع
ذلك من مقالة قال له يا كلب النصرانية ويا أخس
من غمس في ماء المعمودية إنه قد بعث الله لنا
نبيا هدانا به من الضلالة وأنقذنا به من الجهالة له
وإنا قد ملكنا بأيدينا ما أغنانا الله به عن ❁
صدقاتكم وأحل لنا أموالكم نتقاسمها بيننا وأباح
لنا نساءكم وأولادكم إلا أن تقولوا لا إله إلا الله

محمد رسول الله ❁ فإن أبيتم ذلك فتؤدوا الجزية عن
يد وأنتم صاغرون ❁ وإلا فالسيف حكم بيننا
وبينكم حتى يحكم الله وهو خير الحاكمين ❁
والله ينظر من بيننا إلا أن الحرب والقتال أشهى لنا من الصلح
إنه لم تكن أمة أضعف منا عندكم وأنتم عندنا
بمنزلة الكلاب فإن الواحد منا يستضعف منكم
ألفا وما هذا خطاب من يطلب الصلح فإن كان ذلك
لطمع ترجوا به أن تصل إلينا بالغدر أو عن أصحابي
فذلك عنك بعيد وإن أردت القتال فابرز ونلتقي
وما تريد فإني كفو لك وأصحابك إن شاء الله تعالى
فلما سمع بولص كلام خالد وتبسم وقال ليس لكم
عندنا إلا هذا السيف ❁ ثم جرد سيفه وقبض عليه
ثم دنا من خالد رضي الله عنه وثار كل واحد منهما وضرب
... في ... ومنطقته ولحق بعضهم من بعض
واستغاث بأصحابه وقال لهم بادروا إلي ❁ فتقدم
... الصلبان من أمير الحرب فالبنود والبطارقة
إليه من كل مكان وخرج ... عظيم ❁

أكثر منى لما أتى فارس من البطارقة وجردوا السيوف
وأتوا إلى خالد رضى الله عنه فلما نظر إليهم [illegible]
مقبلين وثب وثبة الأسد رضى الله عنه وصاح بجواده
فاقتلع نفسه من البطارقة بعد أن [illegible]
وتبعه [illegible] أعوان خالد يضربون فيهم طولا وعرضا
و[illegible] الله [illegible] خالد [illegible] يقول يا ويلكم
خذوه قبل أن يفوتكم ❁ قال ولقد كان [illegible]
رضى الله عنه والفضل بن العباس وعلى بن عقيل
وعبد الله بن جعفر [illegible] بن عمر وعبد الله بن
عامر وأبان بن العاص وعبد الله بن طلحة وسليمان بن خالد
وعبد الله بن المقداد على كثيب قريبا من عسكر
الروم ❁ فلما رأوا السيوف مجردة [illegible] بعضهم
ببعض وقالوا قد أحيط بخالد وركضوا خيولهم
فكان أول من ابتدر الحرب والقتال ضرار رضى الله
عنه وهو ❁ يقول ❁ [illegible] ❁ [illegible]
عليك ربي [illegible] المتكل ❁ اغفر ذنوبى إن
[illegible] ❁ [illegible] الأجل ❁ [illegible]

ونظر [illegible] إلى [illegible] العمل ❁ فامحوا اللهم لي كل
[illegible] ❁ [illegible]
أنا [illegible] الفارس [illegible] القرم البطل ❁ [illegible] على الأعداء [illegible]
[illegible] ❁ أضحى مستطيل ❁ [illegible]
أقمع بسيفي [illegible] حتى تضمحل ❁ [illegible] الأمور
[illegible] ❁ [illegible] ❁ [illegible]
قال [illegible] حدثني رفاعة بن قيس حدثني حامد بن [illegible]
عياض عن أبيه عن جده نافل بن علقمة اليحمدي قال
كنت في المقاتلين في عسكر عمرو يوم [illegible] الروم
بمرج دمشق فقال بينما نحن ننظر إذ رأينا السيوف قد
أحدقت وأحيط بخالد فخرجنا [illegible] وسار من أجواد
الخيل من طرف الميمنة وبادرنا فلحقنا هم وإذا
قد سبق [illegible] فكان أول من قدم على
الروم ضرار وهو عريان [illegible] قابض على
سيفه وهو [illegible] الأسد والقوم من ورائه
متبعين له حتى وصلوا إليه فنظروا [illegible]
واثب على جواده ووثبة الأسد [illegible]

اللعين وهو لا الحنق على بولص لما ان قصد ساعده وقال
يا خالد رد عني هذا الشيطان واقتلني انت ولا تدعه
يقتلني فاني قد تيقنت بطل العقيدة فقال له هو اقاربك
هذا مبيد الاقران هذا قاتل بوزكاران هذا
قاتل ملك التركمان ومبيد عبدة الصلبان
ومن يكفر بالرحمن فبينما هما في المحاورة اذ جاءهما
ضرار وهز سيفه وصرخ بقيه يا عدو الله لن تغني
عنك حفيظتك شيئا ولا عند رالك بصاحب رسول الله
صلى الله عليه وسلم ثم اراد ان يضربه بسيفه
فصاح به خالد اصبر يا ضرار لعن الله امراك بقتله
وتواصل اليه اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
وكل بادر الى قتاله قال خالد رضي الله عنه
اصبروا قالت ونظر بولص لعنه الله الى ما حل به
وقد جد سبك ضرار الرمح في بولص من وجهه اقتلعه ورما
به الى الارض فعندها غشي عليه واتيا رباط ضبعه
وقال الامان يا خالد فقال له خالد يا كلب النصارى
انما نعطي الامان لاهل الامان وانت رجل ا

اردت ان تكون لواله خير الماكرين فلما سمع
ضرار ذلك لم يمهله دون ان ضربه على عاتقه الايمن
اطلع السنان يلمع من عاتقه الايسر وسقط لعنه الله
صريعا يخور في دمه وعجل الله بروحه الى النار
وبئس القرار وتبادرت اصحاب رسول الله صلى الله
عليه وسلم ووضعوا السيف فيهم فلما راوا الروم ما
حل بهم حملوا باجمعهم وتقدمت اصحاب الافيلة
والرجالة بالحراب والكرابج فلما راوا ذلك
تبادروا والتقى الجمعان واصطدم الفريقان
وزحفت الالوف وتلفت النفوس وقطعت
الرؤوس وقتلت الرجال وزمجرت الابطال
واتسع المجال واشتد القتال وعظم البلا
واسودت السما وثار الغبار وقدحت حوافر
الخيل الشرار وطمطمت السودان وكفروا
بالرحمن وثار العجاج وزمجرت الاعلاج
وقاتلت اصحاب الافيلة قتالا شديدا وصاروا
يقدمون الافيلة وقد قسموهم على اربع فرق

فرقة مما يلي الميمنة وفرقة مما يلي الميسرة وفرقة
مما يلي القلب ۞ وفرقة أمام العسكر وطلائعهم
البوجه نحو النجاة والروم ۞ فلله در الأمير خالد رضي الله
عنه لقد قاتل قتالا شديدا وكان تارة يكون
في القلب وتارة على الميمنة وتارة على الميسرة وكذلك
الأمير عمرو بن العاص والزبير بن العوام الأسدي
والفضل بن العباس الهاشمي والقعقاع بن عمرو
التميمي وكان الأمير غانم بن عياض الأشعري ۞
رضي الله عنه على الساقة مع النساء والذراري والصبيان
وانقطع عبد الرحمن بن أبي بكر وعبد الله بن عمر
وهاشم المرقال إلى كردوس من الروم ينيف
عن ألف فارس من الروم والسودان ۞ فغاصوا في
أوساطهم وكان فيهم بطريق عظيم من بطارقة
الكورة عزيان بن منجال ۞ وكان عظيما وفي
عنقه صليب من الذهب الأحمر بسلسلة من الفضة
مضفور ۞ فلما رأى ما حل بقومه وأصحابه بادر إلى
الصليب يقبله وينظر إليه ۞ ثم زحفت الروم ۞

بلغتهم وأحاطوا بأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
وأرادوا أن يتمكنوا منهم فقصدها وتبع عبد الرحمن
ابن أبي بكر الصديق رضي الله عنه إلى ذلك [illegible]
البطريق وحمل عليه وكان عليه ديباجة صفراء
من فوق درعه وعلى رأسه بيضة تلمع كأنها ۞
كوكب وفي وسطه منطقة من الجوهر [illegible]
مليا وتعلق ما بالجواد ثم إن عبد الرحمن بن أبي
بكر رضي الله عنه ضربه بالسيف أطاح رأسه
عن جسده ۞ فلما رأت الروم ذلك حملوا على عبد الرحمن
ابن أبي بكر وأصحابه حملة رجل واحد وصبر له
أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ۞ وكل
مشتغل بنفسه عن نصرة غيره وأيقنوا بالهلاك
وجرح عبد الرحمن في يده جرحا موهنا ۞ وسال
الدم على ذراعه ۞ فلما ثقلت يده أخذ السيف
باليسرى وجرح هاشم المرقال أحد عشر جرحا
في يديه ووجهه وهو يمسح الدم التقابه ۞
وأيقنوا بالهلاك ۞ وكان الفضل بن العباس ۞

ويلو القبيلة ممن ذكرناه تارة ليكونوا ميمنة
وتارة ليكونوا ميسرة فحملوا في أغراض الروم حتى
وصلوا إلى العسكر الروسي الذي فيه عبد الرحمن بن
أبي بكر وعبد الله بن عمر فوجدوا القوم قد
أحاطوا بعبد الرحمن وعقروا جواده وأصحابه
يذبون عنه وعبد الله بن عمر تارة يمنع عنه بالسيف
وتارة بالرمح وجراحاته تنزف الدما وقد جرح
عبد الله بن عمر في يده ست جراحات موهنة
فلما رأى ذلك الفضل تبادر هو وأصحابه وكانوا
عشرين فارسا وخرق في أوساط القوم وضرب
فارسا ممن أحاط بعبد الرحمن على رأسه قطع
البيضة ونزل السيف إلى أضراسه فانجدل
صريعا وعجل الله بروحه إلى النار وبئس القرار
فلما سقط عن الجواد استدركه عبد الرحمن بن أبي
بكر رضي الله عنه فركبه وقاتلوا أولئك
حتى أخرجوهم عن أصحابهم وكانت جماعة
من الأزد وهمدان مما يلي الجناح الأيسر

عطف على ما ظهر من الروم والتقوا فاقتتلوا قتالا
ما لقيه الأشعري حتى أثخن بالجراحات وتكاثرت
الروم والتوت النار عليهم وأزالوهم عن مواضعهم
وبطحوهم عن مراتبهم وافترقوا من بين أيديهم
فصاح بهم أبو هريرة رضي الله عنه وابنه عبد الله
وما لقيه الأشعري يا قوم لا تولوا أدباركم من الموت
أترهبون أن تكونوا عارا على العرب فما
عندكم مما عند رسول الله صلى الله عليه وسلم أما
سمعتم قول الله عز وجل فلا تولوهم الأدبار ومن
يولهم يومئذ دبره إلا متحرفا لقتال أو متحيزا إلى فئة
فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير
أشهد الله أن الجنة تحت ظلال السيوف والقواعد ممن تبع
المصطفى لقائله فلم يلتفتوا إليه ولم يسمعوا إلى
كلامه وصلت الهزيمة إلى غانم ابن عياض
الأشعري رضي الله عنه وأصحابه والنساء فلما رأت
النساء ذلك صاحوا في وجوههم وفعلن كما فعلن في
يوم اليرموك وضربن وجوه الخيل بالأعمدة

وَقَاتَلَتْ حَوْلَهُ مِثْلَ الْأُسُودِ الضَّوَارِي لَا يَفْقِدُ يَدًا ❁ فَلَمَّا رَأَى
غَانِمُ بْنُ عِيَاضٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِلَى ذَلِكَ وَكَانَ مَعَهُ
قَيْسُ بْنُ الْحَارِثِ وَرِفَاعَةُ بْنُ زُهَيْرٍ الْمُحَارِبِيُّ وَخَمْسُ
مِائَةٍ مِنْ أَهْلِ النَّجْدَةِ وَالشِّدَّةِ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ❁ فَصَاحَ غَانِمٌ الْجَنَّةَ الْجَنَّةَ ❁
يَا أَصْحَابَ مُحَمَّدٍ فَتَوَاثَبُوا إِلَيْهِمْ وَحَمَلُوا عَلَيْهِمْ
حَمْلَةً بِصِدْقِ نِيَّةٍ وَثَبَاتٍ وَصِرْنَ النِّسَاءُ يَضْرِبْنَ وُجُوهَ
الْخَيْلِ ❁ فَلَمَّا رَأَوْا ذَلِكَ وَلَّوْا مُنْهَزِمِينَ وَقُتِلَ مِنْهُمْ
مَقْتَلَةٌ عَظِيمَةٌ قَالَ الرَّاوِي وَلَمْ يَزَلِ السَّيْفُ
يَعْمَلُ ❁ وَالدِّمَاءُ تَنْزِلُ ❁ وَالرِّجَالُ تُقْتَلُ مِنَ ارْتِفَاعِ
النَّهَارِ إِلَى وَقْتِ الْعَصْرِ وَجَاءَ اللَّهُ بِالنَّصْرِ لِأَصْحَابِ
رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَكَانَتِ الْأَفْيِلَةُ
يَضْرِبْنَ فِي أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
وَالرِّجَالُ الَّذِي عَلَى ظُهُورِهَا يَرْمُونَ بِالنُّشَّابِ
فَوَلَّتْ كَرَادِيسُ مِنْ خَيْلِ الْمُسْلِمِينَ مُنْهَزِمَةً ❁
قَالَ وَجَاءَ مُفَرِّجُ بْنُ عُيَيْنَةَ الْغَزْلُونِيُّ إِلَى
فِيلٍ مُتَقَدِّمٍ أَمَامَ أَرْبَعِمِائَةِ فِيلٍ وَطَعَنَهُ فِي أَحَدِ

عَيْنَيْهِ فَانْشَبَكَ الرُّمْحُ إِلَى أَنْ جَاوَزَ قَفْلَتَهُ عَيْنَيْهِ ❁ وَأَطْلَقَ
لَهُ مُفَرِّجٌ الرُّمْحَ وَمَا قَدَرَ أَنْ يَجْذِبَهُ فَانْقَطَعَ ذَلِكَ
الْفِيلُ هَارِبًا مُنْهَزِمًا وَأَلْقَى مَا عَلَى ظَهْرِهِ مِنَ الرِّجَالِ
وَدَاسَهُمْ بِرِجْلَيْهِ فَقَتَلَهُمْ وَتَبِعَتْهُ الْأَفْيِلَةُ الَّتِي خَلْفَهُ
وَقَدْ أَلْقَوْا مَا عَلَى ظُهُورِهِمْ مِنَ الرِّجَالِ وَدَاسُوهُمْ
بِأَرْجُلِهِمْ ❁ فَصَاحَ مُفَرِّجٌ بِأَصْحَابِهِ دُونَكُمْ
وَخَرَاطِيمَهُمْ بِالْقَنَا فَرُدُّوهُمْ فَإِنَّ قِتَالَهُمْ قَدِ ابْتَدَأَتْ
مِنَ الْعَقَالِ وَصَنَعُوا بِهِمْ مِثْلَ ذَلِكَ وَمِثْلُ بَنِي ثَعْلَبَةَ وَبَنِي عَامِرٍ
يَضْرِبُونَ بِمِثْلِ ذَلِكَ الْأَفْيِلَةَ حَتَّى قَتَلُوا مِنْهَا مِائَةً
وَسِتِّينَ فِيلًا وَقَتَلُوا مَا عَلَى ظُهُورِهَا مِنَ الرِّجَالِ
وَلَمْ يَزَلِ الْقَوْمُ فِي الْحَرْبِ وَالْقِتَالِ الشَّدِيدِ
حَتَّى جَاءَ اللَّيْلُ وَحَجَزَ بَيْنَ الْفَرِيقَيْنِ فَرَجَعَتِ
الرُّومُ وَالسُّودَانُ إِلَى أَمَاكِنِهِمْ وَالْمُسْلِمُونَ إِلَى
أَمَاكِنِهِمْ فَتَفَقَّدَ الْمُسْلِمُونَ مَنْ قُتِلَ مِنْهُمْ فَإِذَا هُمْ
مِائَتَانِ وَأَرْبَعُونَ رَجُلًا ❁ وَتَفَقَّدَ الْمُشْرِكُونَ
قَتْلَاهُمْ فَإِذَا هُمْ خَمْسَةُ آلَافٍ مِنَ الرُّومِ وَ
وَالنُّوبَةِ وَبَاتَ الْمُسْلِمُونَ يَحْرُسُونَ وَيَقْرَءُونَ

القول الان وبين فتوت تقتلا هم ۞ فلما أصبح الصباح ۞
صلوا الصبح وقاموا الى الاصلاح شأنهم واذا بالروم
والسودان قد أقبلت في عددهم وعديدهم
وقد أظهروا زينتهم واصطفوا خمسة صفوف في
كل صف أربعون ألفا والرجال بين أيديهم خمسون
ألفا ۞ قال قيس بن ثعلبة لقد دخلت العراق ۞
ورأيت جنود كسرى والجرامقة والتركمان وال
والجان بن ۞ فما رأيت أحسن في واقعة مصر والقبط
ولا فتح الاسكندرية ودمياط مثل قلوب الروم
والسودان في المرج فلما رأيناهم قد ركبوا
وركب خالد وجعل يتخلل الصفوف ويقول لنا
إنكم لم تروا في مصر والصعيد جيوشا
مثل اليوم مثل هؤلاء وإن كسرتموهم لما تقوم
لهم قائمة بعد ذلك أبدا فاصدقوا في الجهاد
وعليكم بالصبر لينصركم وإياكم أن تولوا
الأدبار ۞ فيغضب كثير للذي دخوله النار ۞
ولا تغنموا الغنائم ۞ وهو لوما الحضار بسيفه

ولا تحملوا حتى آمركم بالحملة قال الراوي ولما
وأن البطارقة لما رأوا أصحاب رسول الله صلى الله
عليه وسلم قد عولوا على حربهم ۞ فتقدم اليهم بعضهم
وقال لهم مطرليس أخو بولص المقتول ۞
اعلموا أنكم إن انكسرتم لا تقوم لكم قائمة
بعدها أبدا وتملك العرب بلادكم ۞
ويقتلوا رجالكم ويسبوا حريمكم فعليكم
بالصبر وأن تكن حملتكم حملة واحدة ۞ ولا
تتفرقوا وقدموا الأفيلة أمامكم ۞ والرجالة
خلف ظهوركم واعلموا أن لكل ثلاثين
منكم واحدا منهم ۞ فاستعينوا بالصليب ثم
فهو ينصركم ۞ قال وأما عمرو وخالد فإنهم
قالوا انتم يد من يكشف لنا القوم ثم يعود
قال ... فوثب الفضل بن العباس رضي الله عنه
وألوى عنان جواده حتى نظر الى الميمنة والميسرة
زينتهم وما أهبتهم وأشار الى الجيش والطوايف
والرايات كأجنحة الطيور ۞ فنادى أولو القوم

قالوا فارس قد طلع ولا شك ۞ فقال القوم لبعضهم
أيكم يبتدره فليبتدره ثلاثون فارسا وطلبوه
فلما نظر إليهم ولى كأنه منهزم وركض
قليلا حتى أبعدهم ثم أطلق السنان ورأس الجواد
نحوهم وطعن أول فارس فأرداه والثاني والثالث
فدخل رعبه في قلوبهم فانهزموا فتبعهم وهو
يصرع فارسا بعد فارس حتى صرع منهم عشرين
فارسا فلما قرب من الروم ولى راجعا إلى
المسلمين وأعلمهم بذلك فقالوا له أغررت
بنفسك يا ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال إن القوم طلبوني وخفت أن يراني
الله منهزما فجاهدت بإخلاص فنصرني الله عليهم
واعلموا أنهم غنيمة لنا وقريبا إن شاء الله ۞ قال
وأقبل عمرو وخالد يرتبان العسكر ميمنة ۞
وميسرة وقلبا وجناحين كما تقدم في اليوم
الأول سواء وجعلا في الساقة زياد بن أبي
سفيان بن الحارث في ألفي فارس حول البلين

والبنات والأموال ۞ وكان فيهن النساء المتقدم
ذكرهن في أجنادين واليرموك ۞ وهن ۞
عفرة بنت غفار وأم أبان بنت عتبة أخت
هند وخولة بنت الأزور أخت ضرار ومزروعة
بنت عملوق وسلمى بنت زارع ۞ ولبنى ۞
بنت سواز ۞ ولمياء بنت النعمان ۞ وهند
ابنة عمرون ۞ وزينب الأنصارية ۞ فهن
من النساء اللاتي عرفن بالشجاعة ۞ فقال
لهن خالد يا بنات العربيات لقد فعلتن فعالا
أرضيتن الله والمسلمين ۞ وقد بقي لكن ذكر
يتحدث به جيل بعد جيل ۞ وهذه أبواب
الجنان قد فتحت لكن ۞ وأبواب النيران لأعدائكن
وإني أحرضكن إذا جاءت الروم والسودان
إليكن فقاتلن عن أنفسكن كما ۞
فعلتن يوم أجنادين ويوم اليرموك
وإن رأيتن أحدا ولى هاربا فعدونكن
وإياه بالعمد ۞ وأشرن إليه بولده وقلن

له إلى أين تولى عن أهلك وولدك وحريمك ولئن
تحرضن المسلمين بذلك فقلن أيها الأمير ما
يفرحنا يا أبا سليمان إلا لو قدمتنا أمامك لنضرب
وجوه الروم والسودان حتى لا يبقى لنا عين
فشكرهن على ذلك ثم عاد خالد إلى الصفوف
فجعل يدور بينهم بفرسه ويحرض الناس على
القتال وهو يقول أيها الناس انصروا الله
ينصركم وقاتلوا من كفر واحتسبوا نفوسكم
في سبيل الله واصبروا على قتال أعداء الله
وقاتلوا عن حريمكم وأولادكم ولا تحملوا
حتى آمركم بالحملة ولتكن سهامكم
كأنها تخرج من كبد قوس واحد فإن
السهام إذا خرجت جميعا لم تخل أن يكون فيها
سهم صايب واصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا
الله لعلكم تفلحون واعلموا أنكم لم
تلقوا بالوجه الجنوبي يعني الصعيد في هذه
الفئة حماتهم وبطارقتهم وملوكهم قال

الناس بقوله وأقبل خالد فوقف في القلب مع
عمرو بن العاصي وعبد الرحمن بن أبي بكر وقيس
ابن هبيرة ونافع بن لحيرة والمسيب بن يحيى الفزاري
وذو الكلاع الحميري وربيعة بن عباس ومالك
ابن الأشتر والعباس بن مرداس السلمي ونظايرهم
من بقية الأمراء رضي الله عنهم أجمعين ثم رجعوا
بسكينة ووقار فلما رأوا ذلك الروم والسودان
رجعوا وكانوا ملأ الأرض طولا وعرضا فتلاقت
الفئتان وتزاحم الجمعان وقد أظهر أعداء الله
في عسكرهم الأعلام والصلبان ورفعوا أصواتهم
بالكفر والبهتان فبينما الناس كذلك إذ خرج
راهب شيخ كبير وعليه جبة سودا وقلنسوة وزنار
فنادى مثل الأول بلسان عربي أيكم أمير القوم
فيخاطبني ويخرج لي فخرج إليه عمرو بن العاصي
فقال له أنت أمير القوم قال كذلك يزعمون
ما دمت على طاعة الله وسنة نبيه فإن أنا غيرت
أو بدلت فلا طاعة لي عليهم ولا إمارة فقال له

الراهب يا عمرو اعلموا أنك ملكت بلادا وقد بقيت لنا
بلادا ما جسر ملكا من الملوك يتعرض لها ۞ ولا
يدخلها وإن ملوكا أرادوها فرجعوا خايبين
وإن ملوكا قصدوها فأفنوا نفوسهم عليها وليس
النصر تعدوهم وهذه الملوك قد أرسلوني إليكم
فإن سمعتم نجمع لكم مالا ولكل واحد معكم
ثوب وعمامة ودينار ۞ ولك أنت مائة دينار
وعشرة أثواب ولكل واحد حمل من البر وحمل
من الشعير ولك عشرة أحمال ولصاحبكم عشرة
آلاف دينار ومائة ثوب ومائة جمل وارحلوا عنا
وأنتم موقرون لأنفسكم ۞ فإنا عدد الجراد
ولا تظنونا كمن لاقيتم من الفرس والروم وأهل
الشام والقبط فإن في هذا الجيش من النوبة والبجاة
والسودان والروم وكبار البطارقة والأساقفة
ونجمع عليكم بعد ذلك ما لا طاقة لكم به من
بلاد السودان والواحات وبرقة وكأنكم بالنجدة
وقد وردت علينا وإن بقية الملوك لم تأت إليكم

وإنما أرسلوا من يقاتل عنهم فقال عمرو والله ما نرجع عنكم
إلا بإحدى ثلاث ۞ إما تدخلوا في ديننا أو تؤدوا الجزية
أو القتال ۞ وأما ما ذكرت أنكم عدد الجراد
فإن الله قد وعدنا النصر على لسان نبيه محمد صلى الله
عليه وسلم وأنزله في كتابه وأما ما ذكرت أنكم
تعطونا كما ذكرت من الثياب والعمائم فعن
قريب نلبس ثيابكم وعمائمكم ونسبيكم وبلادكم
ملكنا ونملكها جميعا ۞ كما ملكنا الشام
والعراق واليمن والحجاز قال الراهب أنا أرجع وأخبر
أصحابي بذلك ۞ فإني أتيت من قبل البطليوس صاحب
مدينة البهنسا وقد أرسلني إلى صاحب إهناس واتفقوا
الملوك والبطارقة وأرسلوني إليك وأنا أرجع أخبرهم
بجوابك ۞ ثم إن القس ألوى راجعا يخبر الملوك
بذلك ويرجع من حيث جاء ۞ قال فلما رجع وأخبرهم
بذلك وبذلك كاتبتهم الملوك على ذلك
فإن أبوا فقاتلوهم ۞ ثم تقدمت الروم والسودان
وقدموا بين أيديهم الأفيلة كما ذكرنا ۞

وأما معظم الرجالة بالقسي والسيوف والدرق والكرابيج
والمزاريق فصاح الفضل بن العباس ورفاعة بن
زهير المحاربي والقعقاع بن عمرو التميمي وشرحبيل
ابن حسنة والمقداد بن الأسود الكندي ومعاذ
ابن جبل معاشر المسلمين إن الجنان قد زخرفت
والملائكة قد أشرفت والحور قد تزينت وأشرفت
من الجنان ثم قرأ وإن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم
وأموالهم بأن لهم الجنة ثم رتبوا الصفوف فتقدم
خالد وقال لهم اقرنوا بالمناكب واثبتوا واعلموا
إنها ولا أكثر منكم بعشر أمثالكم أو أزيد
فطاولوهم إلى وقت العصر فإنها ساعة النصر على
أعداء الله وإياكم تولون الأدبار ازحفوا على بركة
الله **قال الراوي** فلما تقارب الجمعان أرمت
أصحاب الأفيلة نشابها فكانت كالجراد المنتشر
تقتلوا رجالا وجرحوا أناسا وخالد تارة يضرب بسيفه
في الميمنة وتارة في الميسرة **قال الراوي**
وتزاحمت السودان والزنج من النوبة والحجارة

قال الراوي وكان من أصحاب الأفيلة ألفان من
السودان من البر الأعلى الذي بأعلى سواكن يسمون
القواد شفة أحدهم العليا مثقوبة فيها خزام
من النحاس فإذا كان وقت الحرب لا يخرجون بتلك
القواد إلا إذا حمي الحرب واشتد واحتاجوا إلى القواد
وكانوا سودا طوالا كل واحد منهم طوله عشرة
أذرع فإذا أرادوا الحرب تجعل كل واحد منهم سلسلة
في ذلك الخزام وهي طويلة مقسومة نصفين فيمسك
كل واحد بطرفها والآخر بالطرف الآخر فإذا
زحفوا قدموا القواد عند شدة الحرب
فيستكثر الناس ذلك بين العسكرين فإن
اصطلحوا وإلا زحفت القواد وأطلقوا لهم السلاسل
ودفعوا لهم أعمدة من الحديد طوالا فيضربون
الفارس وفرسه فيقتلونه ومنهم من يركب
الأفيلة ويقاتل عليها فلما التقى الجمعان خرجت
تلك القواد على أجسادهم جلود النمورة فوق
أكتافهم مربوط من على صدورهم و [illegible]

أوساطهم مثل ذلك وهم عراة الأجساد والرؤوس
وبأيديهم الأعمدة والرجال يمسكون تلك
السلاسل من النوبة والبجاة والسواكن وغيرهم
وهم بين الجيوش ينتظرون متى يؤمرون بالحملة
فلما رأى المسلمون ذلك منهم من نشط نفسه ومنهم
من جزع **قال** وبرز بطرس لعنه الله أخو بولص
وهو راكب على جواد عال وعليه كايف من
جلود الأفيلة وقاتل ولم يزل يضرب بالسيف
والنشاب حتى قتل من الأزد ومذحج نحو عشرين
فارسا **قال الراوي** حدثني خالد بن أسلم
عن طريف بن طارق وكان مع الأزد قال
لما فعل ذلك هذا البطريق ولت الأزد من بين
يديه منهزمين وإذا بفارس قد أقبل وهو يزعج
بجواده وهو عاري الجسد حتى قرب من القوم وهو
ينشد **ويقول**

لقد ملكت يداي سنانا وصارم ... أذل عداة السوء إن جئت قادم
وأتركهم شبه الرخام إذا سطى ... عليه شجاع المصرخي القشاعم
وإلا كأغنام مضين بقفرة ... وأضحى مولاها عن السعي نائم
وقد ملك الليث الغضنفر جمعها ... وأصبح فيها بالمخالب قاضم

قال الراوي ثم صاح أنا الفارس المشهور
والليث الغضنفر أنا ضرار بن الأزور أنا
قاتل ملوك الشام أنا ناصر الإسلام المسلط
على من يكفر بالرحمن أنا قاتل بولص الكلب
ذو الطغيان قال فلما سمعت الروم كلامه
عرفوه فتقهقروا إلى ورائهم فطلع فيهم وحمل
عليهم فقال بطرس من هذا البدوي الذي لم
يزل عاري الجسد ويقاتل بالسيف مرة وبالرمح
مرة قالوا هذا ضرار فتحتم الملعون وقال هذا
قاتل أخي ولقد اشتهيت أن آخذ بثاري ثم عزم
على الخروج إليه فسبقه [illegible]

الكورة وقال أنا آخذ بثارك منه ثم حمل على
ضرار فجالا طويلا واعتركا مليا فما كان
أكثر من ساعة حتى طعنه ضرار طعنة صادقة في
صدره مزق الدرع وطلعت من ظهره فانجدل
صريعا يخور في دمه فقال بطريس هذا الجني وليس
للإنس بقتال الجن طاقة ثم لبس لامة حربه
وتعصب بعصابة من اللؤلؤ الرطب ولبس من فوق
درعه مثل ذلك وخرج يطلب الوهبة على ضرار
بعد أن ركب جوادا من نسل عاد وهم أن يحمل
عليه فسبقه شومدريس الهندي بطارقة إهناس
وحلف لا يخرج إليه إلا هو وحمل على ضرار وقال
دونك والقتال فلم يفهم ضرار ما يقول
ثم إنه حمل عليه فأخرج البطريق صليبا من
الذهب كان معلقا في عنقه فجعل يقبله ليعينه
عليه ضرار ثم قال له أنتم تستعينون بالصلبان
ونحن نستعين بالله الواحد القهار ثم أبدى كل
واحد منهما من الحرب ما أدهش الناس فصاح به

عمرو وخالد وبقية الأمرا ما هذه الفترة يا ضرار والجنة
قد فتحت لك والنار أضرمت لعدوك فاستيقظ ضرار
وحمل على البطريق وصاح الروم بصاحبها وصار في
حرب عظيم وحميت عليهم الشمس وثار الحرب حتى كل
منهما الساعدان وعرق من تحتهما الجوادان فأشار
البطريق إلى ضرار أن يترجل وترجل البطريق شفقة
منه على جواده وإذا برأس جيوش إهناس قد أخرج له
جوادا مجللا بالحرير فركبه فلما نظر ذلك
ضرار صاح بجواده اثبت معي هذه الساعة وإلا
شكوتك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فذرفت
عين الجواد بالدموع وهمهم وجرى أقوى من جريه
المعتاد به وتلقا ضرار البطريق وحمل عليه
وطعنه بعقب الرمح فأرداه وأخذ جواده وأراد
قتله وإذا بكردوس عظيم خرج من الروم ومعهم
الكلب الكبير شاول أحد بطارقة الأشمونين
وأحاطوا بضرار وكان على رأس شاول
تاج من الذهب فلما نظرت الأمرا إلى ذلك

وإلى خروجهم ونظروا التاج يلمع فقالوا لخالد ما
يقعدنا يا أبا سليمان عن نصرة صاحبنا وقد
أحاطت به الروم فعندها خرج خالد رضي الله عنه
في عشرة من جياد قومه وهم الفضل بن العباس
ابن عبد المطلب وأخوه عبد الله بن العباس وجعفر
وعلي ومسلم أولاد عقيل وعبد الله بن جعفر
وعبد الله بن عمر بن الخطاب وعبد الرحمن بن أبي بكر
الصديق وعبد الله بن عمرو بن العاص وعبد الله
ابن المقداد وأطلقوا الأعنة وقوموا الأسنة
بعد أن أحاطت الروم بضرار وصبر لهم إلى أن
وصلت إليه تلك الأمرا وقالوا له أبشر يا ضرار
فقد أتاك الفرج وذهب عنك الضيق والحرج
فلا تخف من الكفار واستعن بالله الواحد القهار
فقال ضرار ما أقرب الفرج والتقت الرجال
بالرجال وطلب خالد صاحب التاج والعصابة
وضرار مع خصمه فلما رأى أمرا المسلمين اندهش
وازتعد وكذلك شاول البطريق هذا

وضرار مع خصمه وقد أراد الهرب فألقى ضرار نفسه من على
جواده وتبعه حتى لحقه ثم رما الرمح وتواخذا بالمناكب
وتصارعا وكان عدو الله كأنه قطعة جبل وضرار
نحيف الجسم غير أن الله أعطاه حيلا وقوة فلما طال
بينهما العراك ضرب ضرار بيده في مراق بطن عدو الله
وعلقه من على الأرض ثم جلد به الأرض فصاح
يستنجد بالبطارقة وتصارخت الروم والسودان
وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يمهل
ضرار دون أن برك عليه وهو يعج كالبعير فعندها
أظهر ضرار سيفه ومكنه من نحر عدو الله فقتله فزعق
زعقة سمعها العسكران وحملت الروم والسودان
هذا وضرار رضي الله عنه قد احتز رأس عدو الله وقام
عن صدره وهو ملطخ بالدما ثم ركب وكبر
وكبرت المسلمون ودنا الفريقان بعضهم من بعض
والتحمت الأبطال وقوي القتال وعظم النزال
وسال العرق وقلعت الحدق وعظم البلا
وأظلمت الدنيا ودارت رحا الحرب وقوي

الطعن والضرب ❁ وهاجت الصدور ❁ واشتدت الأمور ❁ وضاقت المذاهب ❁ وقطعت المناسب وما كنت ترى إلا دم فاير ❁ وكف طاير ❁ وجواد غاير ❁ هذا وقد زحفت السودان وأصحاب السلاسل اللئام ❁ وضربوا بالأعمدة الحديد ❁ وكان يوم شديد ❁ وبانت الشجعان ❁ وذهب الجبان حيران ❁ هذا وعمرو بن العاصي يحرض الناس على القتال على عادته وهو يقول أيها الناس اذكروا واعرفوا الجنان ❁ يا حملة القرآن فزاد الناس بقوله نشاطا ❁ وصاروا السودان يضربون الفارس مع الفرس بالأعمدة الحديد فيخلطون الفارس مع الفرس ❁ وهم أصحاب السلاسل وكذلك أصحاب الأفيلة يرمون بالنشاب ❁ ويضربون بالحراب إلى أن جاء وقت العصر وقد قتل من الفئتان خلق كثير ❁ وظفر خالد بخصمه شاول لعنه الله فطعنه في صدره ❁ أطلع السنان يلمع من ظهره فانجدل صريعا يخور في دمه وعجل الله بروحه إلى النار ❁

وبئس القرار ❁ قال ولما عظم البلا قال رفاعة الحارثي وقد انتخب من بني حارث ولبيد ومالك ❁ خمسمائة فارس وقصد الأفيلة ❁ وقال يا وجوه العرب دونكم وأعينها ❁ ثم دنا من الفيل الأبيض وهو قايد نحو خمس مائة فيل وتقدم إليه راجلا والسيف في يده وهو ❁ يقول ❁

يا لك من ذي جثة كبيرة ❁ لقيت كل كربة خطيرة ❁

اليوم قد ضاقت بك الحضيرة ❁ حتى ترى ملمتها في الحفيرة ❁

ثم ضربه بالسيف في مشفره وولى هاربا فبرك وكان عليه عظيم من كبار السودان في قبة من أدم ❁ فلما سقط الفيل تلاحق عليه وهجم عليه وقام إليه بعمود كان معه وضربه فراغ عنها وضربه فقتله وتلاحقت العرب بأصحاب الأفيلة وصاروا يطعنون الأفيلة كما تقدم في أعينهم ❁ فولوا منهم قال وقصد خالد والمقداد وأجواد الأمرا الفوارس

الذي تقدم ذكرهم وطلبوا من الله النصر والثبات
وصاروا يأتونهم فارس عن اليمين وفارس عن اليسار
فيقتلون مساك السلاسل ثم يمسكون بأطراف
السلاسل ويطلقون الأعنة فينقادون معهم كالبعير
الشارد ثم يأخذون العمود من يده ويقتلونه
أشر قتلة ولم تزل القوم في قتال وأهوال
وغزال حتى جاء الليل وحجز بين الفريقين وقد قتل
من العسكرين خلق كثير فأما المسلمون
استشهد منهم مائة وخمسة وثلاثون رجلا فالسادات
منهم مروان ومصعب وسنان بن رافع وحنظلة
ابن نافع ومالك بن راشد وحزام بن معدان وعازم
ابن حازم والبقية من أخلاط الناس وقد اختصرنا
في أسمائهم خوفا من الإطالة **وقتل** من
الروم والسودان اثنا عشر ألفا ومن الملوك
والبطارقة خمسة عشر بطريقا وملكا من
السودان وغيرها وبات الناس يتحارسون إلى
الصباح **قال الراوي** رحمة الله عليه كان

أثخن جماعة من المسلمين جراحات في ذلك النهار فبات
المسلمون طائفة يداوون الجرحا وطائفة يدفنون القتلا
وطائفة يقرؤون القرآن وطائفة يصلون وطائفة نيام
وخالد والزبير والمقداد وعبد الرحمن بن أبي بكر
وأمثالهم يدورون حول العسكر إلى الصباح
فلما لاح بارق الصبح أذن المؤذنون لصلاة الصبح
وقد أجرى الله على لسان عمرو فصلى بالناس بسورة
الفتح وبسورة الصف ثم دعوا إلى الله عز وجل أن
يرزقهم النصر ثم تبادروا إلى خيولهم فركبوها
ورتبوا صفوفهم كما تقدم ذكرهم ولما
فرغ المسلمون من تعبية صفوفهم أقبلت الأمرا
يحرضون الناس على القتال وقد جعلوا على الساقة
رافع بن عميرة الطائي والحارث بن قيس ورفاعة
ابن زهير في خمس مائة فارس حدثنا عبادة
ابن رافع حدثنا سالم بن مالك عن عبد الله بن هلال
وكان في خيل رافع قال لما رتبت الصفوف
والتقت الجمعان وكثر القتال وكل قد

اشتغل بنفسه ونحن ندب على النساء والصبيان الذي
تقدم ذكرهن يقاتلن كأشد القتال إذ جاءنا
كردوس عظيم من البطارقة والسودان والبجاة
ومعهم زهاء عن ستمائة فيل وتركونا وقد اشتغلنا
بالقتال واقتطعوا قطعة كبيرة من الإبل والرجال
والنساء والصبيان زهاء عن ألفي بعير ومائتي امرأة
والمتاع وغير ذلك وكان زيد بن رياح البكري
وعباد بن عاصم الغنوي ومعهم مائة فارس فقاتلوا
قتال الموت حتى أثخنوا بالجراح وقاتلن النساء بالأعمدة
والسيوف والخناجر فلله در عفيرة بنت غفار وسلما
بنت زاهر ونظرائهن من النساء لقد قاتلن حتى
ضربن بالسيوف على رؤسهن وسال الدم على
وجوههن وهن يقلن الله الله يا بنات العربية أن
قاتلن عن العسكر وإلا صرتن بأيدي الأعلاج العلوق
والسودان فقاتلن قتال الموت وقتل من المسلمين
خمسة عشر فارسا ختم الله لهم بالشهادة وسقن النساء
والصبيان ورجع فارس إلى خالد والأمير عمرو وهما

في أشد القتال وأعلمهما بذلك فتصايحت المسلمون
وخرج جماعة من الأمراء من وسط المعركة وهم
الفضل بن العباس وعبد الله بن عمر وعبد الرحمن بن أبي
بكر الصديق وزياد بن أبي سفيان وعبد الله بن طلحة
وضرار بن الأزور وجماعة من الأمراء وتبعتهم
ستمائة فارس من العرب من صناديد القوم وأدركوهم
عند أول الخيل يريدون جهة الفيوم فعندها زعق
ضرار والفضل إلى أين يا أعداء الله فتراجعت الروم
والسودان عليهم واقتتلوا قتالا شديدا وابتدر
ضرار متقدم السودان وطعنه في صدره أخرج
السنان يلمع من ظهره وكذلك الفضل رضي الله
عنه تقدم إلى بطريق من البطارقة عظيم وطعنه
في لبته أطلع السنان من قفاه فانجدل صريعا
وتواثبت الأمراء يقتلون حتى قتلوا مقتلة عظيمة فلما
رأوا ذلك ألقوا ما بأيديهم من الغنيمة وتواثبت
الفرسان من المسلمين إلى الأسارى فردوهم
والصبيان وحلوا الأسارى وساعد بعضهم النساء

بالأغمدة والسيوف والخناجر وكانت النسا يضربن
وجه الفرس فيكبا فتتعلق المرأة بالفارس ۞ وتجذبه
إلى الأرض ثم تضربه فتقتله حتى قتلن منهم جماعة
كثيرة من الروم والسودان والبجاة وغيرهم ۞
ولما رأوا ذلك فروا منهزمين بين أيديهم وتبعهم
المؤمنون يقتلون ويأسرون حتى قتل منهم مقتلة
عظيمة وأسروا منهم نحو ستمائة من الروم والسودان
ورجعوا وقد غنموا خيولهم وأسلابهم قال
الراوي هذا ما جرى لهؤلاء ۞ وأما العسكران
فإنهما لم يزالا في قتال شديد ۞ وأمر عنيد وضرب
وطعان ۞ وقتل ۞ رجال وفرسان وقد قامت الحرب على
ساق وضربت الأعناق ۞ وثبتت الفرسان ۞ وصالت
الشجعان ۞ وولى الجبان حيران . ودارت رحا الحرب
واشتد الطعن والضرب ۞ وقطعت المعاصم ۞ وطارت
الجماجم ۞ وحامت طيور المنايا ۞ وعظمت البلايا
واشتد الزحام ۞ وعظم المرام ۞ وضاقت ۞
الصدور وعظمت الأمور ۞ واشتد الغبار ۞ وقل

الاصطبار ۞ وقاتلت الأمراء بالرايات ۞ وعظمت
الرايات ۞ وبربرت السودان بلغاتها ۞ ورفعت
الروم أصواتها ۞ وضربت بوقاتها ۞ وطعنت
بحرابها ۞ ورمت بنشابها ۞ فحارت الأفكار
وعميت الأبصار ۞ وثار الغبار ۞ وأظلم النهار ۞
وكان شعار المسلمين الصبر الصبر يا نصر الله انزل
وصبر المسلمون لهم صبر الكرام ۞ فلله در الزبير بن
العوام والمقداد بن الأسود الكندي ۞ والفضل
ابن العباس ۞ وعقبة بن عامر والمسيب بن يحيى الفزاري
ونظرائهم من الأمرا ۞ فلقد قاتلوا قتالاً شديداً
وأبلوا بلاءً حسناً ۞ وصبروا صبر الكرام ۞ على الروم
اللئام ۞ وأما خالد وعمرو بن العاص رضي الله عنهما
والقعقاع بن عمرو وسعيد بن زيد فلقد كانوا
يقاتلون قتال الموت ۞ وصبرت الفيلة ۞ برجالها
وقاتلت الروم وأبطالها ۞ والسودان وأفيالها
ولقد كانت الأفيلة تعطف على خيل العرب
ويرمون بالنشاب ۞ فتخرج كالجراد ۞

المُنتَشِر حَتَّى قُلِعَت أَعيُنٌ كَثِيرَةٌ فِي ذَلِكَ اليَوم فَمَا كُنتَ
تَسمَعُ إِلَّا هَذَا يَصِيحُ وَا عَينَاهُ وَهَذَا يَصِيحُ وَا يَدَاهُ
وَالأَفيِلَةُ تَحطِمُ الرِّجَالَ وَالسُّودَانُ يَرمُونَ الأَبطَالَ
فَعِندَهَا وَثَبَ رِفَاعَةُ بنُ زُهَيرٍ المُحَارِبِي وَأَتَى إِلَى خَالِدٍ
وَعَمرٍو وَقَالَ أَيُّهَا الأُمَرَا إِن تَمَّ الأَمرُ كَذَلِكَ
هَلَكنَا عَن آخِرِنَا قَالُوا فَمَا الرَّأيُ يَا أَبَا حَازِمٍ قَالَ
الرَّأيُ أَن نَجمَعَ الهُدمَ وَنَغمِسَهُ زَيتًا وَدُهنًا وَنَجعَلَهَا
عَلَى رُؤُوسِ الأَسِنَّةِ وَنَجعَلُ فِي أَعلَاهَا نَارًا ثُمَّ نَأمُرُ
رِجَالًا يَجمَعُونَ القَيصُومَ وَغَيرَهُ فَنَجعَلُهُ فِي غَرَائِرَ عَلَى
ظُهُورِ الجِمَالِ عُريًا وَنَشغَلُهُم بِالقِتَالِ ثُمَّ تَأتِي
الفُرسَانُ وَمَا مَعَهُم وَنَسُوقُ الإِبِلَ عَلَيهِم وَإِنَّهَا إِذَا
أَحَسَّت بِالنَّارِ حَطَمَتهُم فَلَا يَصبِرُونَ عِندَ ذَلِكَ
وَالمَعُونَةُ مِنَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ فَاستَصوَبُوا رَأيَهُ وَأَعَدُّوا
رِجَالًا لِذَلِكَ وَنَاوَشُوهُم لِلقِتَالِ فَلَم تَكُن إِلَّا سَاعَةٌ حَتَّى
تَهَيَّأَت تِلكَ المَكِيدَةُ وَجَمَعُوا مِنَ الأَبطَالِ
أَلفَ فَارِسٍ وَوَضَعُوا تِلكَ الهُدمَ بِالدُّهنِ وَالنَّارِ عَلَى
رُؤُوسِ الأَسِنَّةِ وَجَعَلُوا الغَرَائِرَ بِالقَيصُومِ وَالنَّبَاتِ

وَغَيرِهِ وَأَشعَلُوا فِيهِ نَارًا وَوَضَعُوا الجِرَابَ فِي أَجنَابِ الإِبِلِ
فَلَمَّا أَحَسَّت بِالجِرَابِ فِي أَجنَابِهَا وَالنَّارِ عَلَى ظُهُورِهَا
حَطَمَت عَلَى الرُّومِ وَالسُّودَانِ فَلَمَّا رَأَتِ الأَفيِلَةُ ذَلِكَ
طَارَت عُقُولُهَا وَقَطَعَت سَلَاسِلَهَا وَدَاسَت قُوَّادَهَا
وَأَرمَت مَا عَلَى ظُهُورِهَا وَدَاسَتهُم بِأَخفَافِهَا وَجَفَلَت خُيُولُ
الرُّومِ وَبَرَاذِينُهَا وَهَرَبَت بِغَالُهَا وَدَابَت رِجَالُهَا
وَوَقَعَتِ السَّادَةُ الأُمَرَا بِسُيُوفِهَا وَطَعَنَت بِرِمَاحِهَا
وَرَمَت بِنُشَّابِهَا قَالَ المُسَيَّبُ بنُ يَحيَى الفَزَارِي وَلَقَد
رَأَينَا طُيُورًا أَظَلَّتنَا فِي قَدرِ النُّسُورَةِ وَكَانَ الطَّايِرُ
يَرِفُّ بِجَنَاحِهِ عَلَى رَأسِ الكَافِرِ وَوَجهِهِ ثُمَّ يَضَعُ
مَخَالِيبَهُ فِي عَينَيهِ فَيَرمِيهِ إِلَى الأَرضِ فَلَم تَكُن إِلَّا
سَاعَةٌ وَذَلِكَ بَعدَ صَلَاةِ العَصرِ حَتَّى وَلَّوا الأَدبَارَ وَرَكَنُوا
إِلَى الفِرَارِ وَاتَّبَعَتهُمُ المُسلِمُونَ قَتلًا وَأَسرًا حَتَّى جَاءَ
اللَّيلُ وَأَظلَمَ النَّهَارُ وَوَصَلَتِ الهَزِيمَةُ إِلَى القَريَةِ
المَعرُوفَةِ بِالدَّيرِ وَإِلَى اللَّاهُونِ وَإِلَى إِهنَاسَ
وَإِلَى مَيدُومَ وَتَبِعَتهُمُ المُسلِمُونَ اللَّيلَ كُلَّهُ إِلَى الصَّبَاحِ
وَقَد تَفَرَّقَ شَملُهُم وَتَبَدَّدَ جَمعُهُم وَأَسَرُوا

مِنهُمْ أُسَرَا كَثِيرَةً نَحْوَ خَمسَةِ آلافٍ ۞ وَقُتِلَ مِنهُمْ مَا لا
يُحصَى ۞ قَالَ رَافِعُ بْنُ أَسَدٍ الجُرهُمِي لَمَّا رَجَعنَا إِلَى مَكَانِ
المَعرَكَةِ وَجَدنَا الأَرضَ قَدِ امتَلَأَتْ مِنَ القَتلَى مِنَ الرُّومِ
وَالسُّودَانِ وَالبُجَاةِ وَغَيرِهِمْ وَاختَلَطَ جَمَاعَةٌ مِنْ قَتلَى
المُسلِمِينَ ۞ فِيهِمْ مَنْ عَرَفنَاهُمْ مِنَ الرُّومِ إِلَّا إِنَّ الرُّومَ
كَانَ بِأَيدِيهِمْ صُلبَانٌ وَالمُسلِمُونَ لَيسَ لَهُمْ ذَلِكَ
فَمَيَّزنَاهُمْ بِذَلِكَ وَجَمَعنَا جَرِيدَ النَّخلِ وَالقَصَبِ
وَوَضَعنَا عَلَى كُلِّ قَتِيلٍ جَرِيدَةً أَوْ قَصَبَةً وَذَلِكَ
فِي مَكَانِ المَعرَكَةِ ثُمَّ جَمَعنَاهُمْ وَأَحصَينَاهُمْ
فَإِذَا هُمْ تِسعُونَ أَلفًا ۞ وَقُتِلَ فِي الجِبَالِ وَالطُّرُقَاتِ
مَا لا يُحصَى وَتَفَقَّدَ المُسلِمُونَ مَنْ قُتِلَ مِنهُمْ فَإِذَا هُمْ
خَمسُمِائَةٍ وَثَلاثُونَ رَجُلًا ۞ مِنَ الأُمَرَا وَأَخلاطِ
النَّاسِ وَقَدِ اختَصَرنَا فِي أَسمَائِهِمْ وَقَبَائِلِهِمْ خَوفَ
الإِطَالَةِ وَجَمَعَ المُسلِمُونَ الغَنَائِمَ وَالأَسلابَ
وَالأَموَالَ ثُمَّ قُسِمَتْ وَأَخرَجَ عَمرُو الخُمُسَ وَكَتَبَ
كِتَابًا بِالفَتحِ وَمَا جَمَعَهُ مِنَ الخُمُسِ وَاستَدعَا ۞
بِالأَمِيرِ هَاشِمِ بْنِ المِرقَالِ رَضِيَ اللهُ عَنهُ وَانتَدَبَ

مَعَهُ ثَلاثِينَ مِنْ خِيَارِ الجُندِ وَأَمَرَهُمْ بِالمَسِيرِ إِلَى المَدِينَةِ
وَأَقَامَ المُسلِمُونَ بِالمَرْجِ بَعدَ الوَقعَةِ خَمسَةَ أَيَّامٍ حَتَّى أَرَاحُوا
وَاستَرَاحُوا وَرَجَعَ مَنْ كَانَ خَلفَ المُنهَزِمِينَ ۞ ثُمَّ
اجتَمَعُوا عَلَى عَمرٍو وَاستَأذَنُوهُ بِالمَسِيرِ إِلَى الوَجهِ القِبلِي
فَأَذِنَ لَهُمْ وَوَدَّعَهُمْ وَدَعَا لَهُمْ وَقَالَ يَعِزُّ عَلَيَّ فِرَاقُكُمْ
وَلَولا أَنَّ أَمِيرَ المُؤمِنِينَ لَمْ يَأمُرْنِي بِالمَسِيرِ لَمَا فَارَقتُكُمْ
ثُمَّ رَجَعَ بِثَلاثَةِ آلافٍ وَمِائَةٍ وَعِشرِينَ وَكَانَ
جُملَةُ مَنْ قُتِلَ ثَمَانَ مِائَةٍ وَثَمَانِينَ خَتَمَ اللهُ لَهُمْ
بِالشَّهَادَةِ وَقِيلَ أَلفًا وَقِيلَ تِسعُمِائَةٍ وَأَربَعُونَ عَلَى
اختِلافِ أَلفَاظِ الرُّوَاةِ وَاللهُ أَعلَمُ أَيُّ ذَلِكَ كَانَ
قَالَ الرَّاوِي رَحمَةُ اللهِ عَلَيهِ فَأَخَذتُ فِي
هَذَا الكِتَابِ وَالفُتُوحِ الَّذِي لَمْ يُجمَعْ مِثلُهُ إِلَّا عَلَى
قَاعِدَةِ الصِّدقِ إِذْ لَولا المَعُونَةُ مِنَ اللهِ وَالصَّحَابَةِ
رَضِيَ اللهُ عَنهُمْ وَنَحنُ نُوَحِّدُ اللهَ فِي ظِلالِ سُيُوفِهِمْ إِلَى
يَومِ القِيَامَةِ مَا مَلَكَتِ المُسلِمُونَ البِلادَ ۞ وَذَلَّتْ
أَهلَ الشِّركِ وَالفَسَادِ ۞ نِعمَ الرِّجَالُ وَالأَبطَالُ ۞
وَالسَّادَةُ وَالأَقيَالُ ۞ وَالمُهَاجِرُونَ وَالأَنصَارُ ۞

وأصحاب محمد المختار الذين فتحوا بسيوفهم الأمصار
وأذلوا الكفار وأرضوا العزيز الغفار وباعوا
نفوسهم لله الواحد القهار بجنات تجري من تحتها
الأنهار قال الراوي رحمة الله عليه ولما رجع
المنهزمون إلى الملوك والبطارقة وأخبروهم بذلك
وقع الرعب في قلوبهم وحاروا في أنفسهم ولم
يدروا ما يدبرون وما يصنعون قال الراوي
وصعب على بطريق إهناس وصاحب البهنسا ما صنع
ببطارقتهما وعولوا على آلة الحصار وصاروا يخزنون
ما يحتاجون إليه وتيقنوا أن لا بد للعرب من
أرضهم ووطنوا أنفسهم على ذلك وكذلك بطارقة
الصعيد وملوكها وضاقت أنفسهم قال الراوي
ووصل الكتاب بالأسارى والغنائم إلى عمر ففرح
فرحا شديدا وقرأ الكتاب على علي رضي الله عنه وعثمان
وعبد الرحمن بن عوف والعباس بن عبد المطلب
عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ففرحوا بذلك
فرحا شديدا ثم قسم الغنائم على أهل المدينة

وقسم لنفسه كأحدهم رضي الله عنه وكتب
جواب الكتاب ودفعه لهاشم يدفعه لعمرو يأمر
الصحابة رضي الله عنهم بالحث على فتح الصعيد قال
الراوي وأما عمرو بن العاص رضي الله عنه فإنه
لم يرجع إلى مصر حتى قسم الغنائم أيضا بين أصحابه
وفضل أصحاب الولا وأهل السابقة ورجع إلى مصر بعد
أن جهز العساكر للصعيد قال الراوي ولما
فارق عمرو بن العاص خالدا والأمرا والمسلمين رضي الله
عنهم استشار بعضهم بعضا أي مكان يقصدون
فاتفق رأيهم أنهم يسيرون طليعة ألفي فارس
ويؤمروا عليها قيس بن الحارث رضي الله عنه ومعه
جماعة من الأمرا وهم رفاعة بن زهير المحاربي
والقعقاع بن عمرو التميمي وعقبة بن عامر الجهني
وذو الكلاع الحميري يسيرون في وسط البلاد
وبقية العسكر قريبا منهم فمن أطاعهم وطلب
الأمان أمنوه وصالحوه ووضعوا عليه الجزية ومن أبى
قاتلوه ومن أسلم تركوه وسار خالد ببقية

الجيش يريد مدينة إهناس ۞ فإنها كانت أعظم
مداين الوجه البحرى بعد الكورة ۞ وكانت
حصينة بالخيل والآلات والعدة ولما أحس بطريوق
إهناس بمسير الصحابة إليه ۞ جمع البطارقة وقد
انكسرت جنودهم وخمدت كلمتهم بانهزام
جيوشهم وشاورهم في أمره وقال لهم خذوا أهبتكم
وقاتلوا عن حريمكم وأولادكم والإ صرتم ملكا
للعرب ۞ يفعلون بكم ما يشاؤن وإن شئتم صالحناهم
حتى نعلم ما يكون من أمرهم وما أراد الملعون بذلك
إلا ليعلم ما يكون من بطارقته فأجابوه وقالوا لا
نسلم البلاد حتى نغلب ونجمع أموالنا في هذه المدينة
الحصينة ونقاتل فإن غلبنا عولنا على الحصار واتفق
رأيهم على ذلك فكان من أجابهم إلى ذلك
خرج بنفسه وأمواله ومن لم يجبهم إلى ذلك أقام ۞
وكذلك بطارقة البهنسا منهم من انتقل إلى
البهنسا بماله وأولاده ومنهم من أقام ۞ وبعض
المداين من سيأتى ذكرهم عولوا على الإقامة

والقتال

والقتال أو الحصار ۞ وسار خالد بالجيش حتى قرب
من إهناس وبين يديه الطلايع من الأمرا ۞ يشنون
الغارة على السودان والبلاد ۞ فمن خرج إليهم وصالحهم
وعقد معهم صلحا صالحوه لهم الميرة والعلوفة والضيافة
ومن أبا دعوه إلى الإسلام فإن أبى طلبوا الجزية
فإن أبا فشنوا الغارة حتى وصلوا قريبا من إهناس ۞
وبلغ الخبر إلى عدو الله فقال لا بد من قتالهم ۞
ولقائهم حتى أنظر ما يكون منهم ۞ ثم خرج إلى
ظاهر المدينة بجانب السور ولم يبعد منها ۞ وكان
للمدينة أربعة أبواب فأغلق ثلاثة أبواب وفتح
الباب الشرقي وأخرج الخيام ۞ والسرادقات
وأكثر من الزينة والعدة وقال إن دخلنا المدينة
أولا من غير قتال طمعت العرب فى جانبنا ۞ ثم
فرق بطارقته وأعرض جيشه فكان عدتهم
خمسين ألف مقاتل ۞ فقال لهم اثبتوا وقاتلوا ۞
ودبوا عن حريمكم ولا تكونوا أول من أخذ
وأقاموا يتأهبون وينتظرون قدوم الصحابة ۞

رضي الله عنهم قال الراوي وإن خالدا رضي الله عنه
لما قرب من إهناس استدعا بالزبير بن العوام ودفع له
ألف فارس من الأمرا وغيرهم وأمره بالمسير ثم
استدعا بالفضل بن العباس ودفع له ألف فارس وسار
على أثره ثم استدعا بميسرة بن مسروق العبسي وأمره
على ألف فارس وسيره على أثر الفضل ثم استدعا
بزياد بن سفيان رضي الله عنه وعقد له راية ودفع
له ألف فارس من المهاجرين والأنصار وسيره على أثر
ميسرة واستدعا بالمقداد وجعله أميرا على ألف
فارس واستدعا بمالك الأشتر ودفع له ألف
فارس وأرسله على أثر المقداد وسار خالد
ببقية المهاجرين والأنصار حدثنا عون بن
سعيد حدثنا هشام بن نافع عن رافع بن مالك
العلوي قال كنت في خيل الزبير بن العوام رضي الله
عنه فلما توسطن البلاد نفر منا أهلها وشننا
الغارة ووجدنا قطيعا من البقر وقطيعا من الغنم
ومعهم رعاة فلما أحسونا تركوها ومضوا

فاستقناها ثم سرنا قليلا وإذا بنساء وصبيان
ورجال موسقة أتانا ونصارى من القبط وغيرهم فلما
رأونا فروا وكان معهم نحو عشرين فارسا من العرب
المتنصرة من جذام وغيرهم ومعهم بطريق من
البطارقة عليه الزينة فلما عاينوا فروا من بين
أيدينا وأطلقنا الغارة عليهم فما كان غير قليل
حتى أدركناهم وقبضنا عليهم وسألنا منهم
فأجابونا العرب أنهم من قرى شتى وأنهم يريدون
إهناس فأعرضنا عليهم الإسلام فامتنعوا من ذلك
فأردنا قتلهم فمنعنا الزبير من ذلك رضي الله عنه
وقال حتى يحضر الأمير خالد ويفعل أمره قال وسرنا
حتى قربنا من إهناس ورأينا المضارب والخيام
والقباب والسرادقات فأعلن الزبير بالتهليل
والتكبير وكبر المسلمون حتى ارتجت الأرض
لتكبيرهم وخرجت الروم إلى ظاهر خيامهم ينظرون
إلينا وعدو الله ماريوس بن ميخاييل بن إهناس
ينظر إليهم والحجاب والنواب وأرباب الدولة

مِنَ الْبَطَارِقَةِ حَوْلَهُ وَعَلَيْهِمْ أَقْبِيَةُ الدِّيبَاجِ وَعَلَى رُؤُوسِهِمُ

التِّيجَانُ الْمُكَلَّلَةُ وَبِأَيْدِيهِمْ أَعْمِدَةُ الذَّهَبِ

وَالسُّيُوفُ وَالْأَطْبَارُ وَهُمْ يَحُفُّونَهُ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ

الشِّمَالِ **قَالَ الرَّاوِي** فَلَمَّا أَقْبَلْنَا عَلَيْهِمْ تَصَايَحُوا

وَطَمْطَمُوا بِلُغَتِهِمْ وَأَعْلَنُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَاسْتَقَلُّونَا

فِي أَعْيُنِهِمْ وَلَمَّا قَرُبَ الزُّبَيْرُ مِنَ الْقَوْمِ هَزَّ الرَّايَةَ

وَأَنْشَدَ وَجَعَلَ **يَقُولُ**

يَا أَهْلَ إِهْنَاسَ الطُّغَاةَ الْكَوَافِرِ ۝ وَيَا عُصْبَةَ الشَّيْطَانِ

مِنْ كُلِّ غَادِرِ

أَتَتْكُمْ لُيُوثُ الْحَرْبِ سَادَاتُ قَوْمِهَا ۝ عَلَى كُلِّ

مَشْكُورٍ مِنَ الْخَيْلِ ضَامِرِ

فَإِنْ لَمْ تُجِيبُوا سَوْفَ تَلْقَوْنَ ذِلَّةً ۝ وَنَقْتُلُ مِنْكُمْ كُلَّ

كَلْبٍ وَغَادِرِ

قَالَ الرَّاوِي ثُمَّ نَزَلْنَا قَرِيبًا مِنَ الْقَوْمِ فَلَمْ تَكُنْ إِلَّا

سَاعَةً حَتَّى أَقْبَلَ الْفَضْلُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وَحَوْلَهُ السَّادَاتُ

الْأَمَاجِدُ مِنْ بَنِي عَمِّهِ فَلَمَّا قَرُبُوا مِنْ إِهْنَاسَ كَبَّرُوا

وَكَبَّرْنَا مَعَهُمْ ثُمَّ إِنَّ الْفَضْلَ هَزَّ الرَّايَةَ وَأَنْشَدَ

وَجَعَلَ **يَقُولُ**

أَيَا أَهْلَ إِهْنَاسَ الْكِلَابَ الطَّوَاغِيَا ۝ أَتَتْكُمْ لُيُوثُ

الْحَرْبِ فَاصْغُوا مَقَالِيَا

وَقِرُّوا بِأَنَّ اللهَ لَا رَبَّ غَيْرُهُ ۝ وَإِلَّا تَرَوْا أَمْرًا عَظِيمًا

مُدَانِيَا

وَقِرُّوا بِأَنَّ اللهَ أَرْسَلَ أَحْمَدًا ۝ نَبِيًّا كَرِيمًا

لِلْخَلَائِقِ هَادِيَا

وَإِلَّا أَبَدْنَاكُمْ بِحَدِّ سُيُوفِنَا ۝ وَنَقْتُلُ مِنْكُمْ كُلَّ

كَلْبٍ وَبَاغِيَا

قَالَ الرَّاوِي ثُمَّ نَزَلُوا قَرِيبًا مِنْ أَصْحَابِ

الزُّبَيْرِ وَلَمْ يَكُنْ إِلَّا قَدْرُ سَاعَةٍ حَتَّى أَقْبَلَ الْأَمِيرُ

مَيْسَرَةُ بْنُ مَسْرُوقٍ الْعَبْسِيُّ وَلَمَّا قَرُبَ مِنَ الْقَوْمِ كَبَّرَ

وَكَبَّرَتْ أَصْحَابُهُ الْمُسْلِمُونَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ بِالتَّهْلِيلِ

وَالتَّكْبِيرِ وَالصَّلَاةِ عَلَى الْبَشِيرِ النَّذِيرِ السِّرَاجِ

الْمُنِيرِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلَمَّا قَرُبَ مَيْسَرَةُ

مِنَ الْقَوْمِ هَزَّ الرَّايَةَ وَأَنْشَدَ **يَقُولُ**

أَتَيْنَا لِإِهْنَاسٍ بِكُلِّ غَضَنْفَرٍ ۝ عَلَى ظَهْرِ

مشكور من الخيل أجود ۞

فإن هم أطاعونا شكرنا فعالهم ۞ وإلا أبدناهم
بكل مهند ۞

ونخرب إهناسا ونقتل أهلها ۞ إذا خالفوا دين النبي
محمد ۞

قال الراوي ثم نزل بإزاء الفضل قال الراوي

ولما كان قرب غروب الشمس أقبل زياد بن أبي
سفيان رضي الله عنه بمن معه ولما قرب من القوم كبر
وكبر أصحابه وأجابه المسلمون بالتهليل والتكبير
ثم هز الراية وأنشأ وجعل ۞ يقول ۞

هلموا إلى إهناس يا آل هاشم ۞ ويا عصبة المختار
نسل الأكارم ۞

ودونكم ضرب الحسام بشدة ۞ وقطع رؤوس ثم
فلق الجماجم ۞

لنصر دين الهاشمي محمد ۞ نبي الهدى المبعوث
من نسل هاشم ۞

قال وبات أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ۞

يقرؤن

يقرؤن القرآن ويصلون على محمد أشرف ولد عدنان
وهم يتحارسون حتى لاح بارق الفجر أقبل المقداد
رضي الله عنه بأصحابه وسمعنا صهيل الخيل وقعقعة اللجم
فلما قربوا كبروا وكبرنا ۞ ولما قرب المقداد
أنشد وجعل ۞ يقول

أنا الفارس المشكور في كل موطن ۞ وناصر
دين الهاشمي المؤيد ۞

لعلنا ننال الفوز عند إلهنا ۞ ويا فوز من أضحى
رفيق محمد ۞

ونقتل عباد الصليب جميعهم ۞ بأسمر خطي
وعضب مهند ۞

قال ونزل قريبا بإزاء الجيش ۞ قال الراوي

وتكاملت الأمراء المقدم ذكرهم ۞ ولما رأونا
ظنوا أن ليس غيرنا ونعبينا ذلك اليوم ولم نكلمهم
ولم يكلمونا ۞ فلما كان في اليوم الثاني بعد
ارتفاع الشمس وإذا بالغبار قد طلع ۞ والقتام
قد ارتفع ثم انقشع عن خيول عادية ۞ عليها فوارس

حجازية ❁ وكبرت المسلمون ورفعت راياتها
الإسلامية ❁ وأعلامها المحمدية ❁ وسمع أصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم الصياح ❁ فصاحوا ما أبركه
من صباح ❁ ثم خرجت الأمراء للقائهم وإذا في أوائلهم
الفارس الشديد ❁ والبطل الصنديد ❁ خالد بن
الوليد ❁ وإلى جانبه غانم بن عياض الأشعري ❁ وأبي
ذر الغفاري ❁ وأبي هريرة الدوسي وبقية المهاجرين
والأنصار ❁ فلما رأوا الروم ذلك تغيرت ألوانهم
ودخل الرعب في قلوبهم ونزل أصحاب رسول الله صلى الله
عليه وسلم قريبا من إهناس وتفرق كل أمير في مكان
وأقاموا ذلك اليوم ولما كان في اليوم الثاني جمع
خالد أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم واستشارهم
فيمن يمضي إلى بطريق إهناس ❁ فقال المقداد أنا له ❁
فقال له خالد أنت له فخذ معك من شئت
فأخذ معه ضرار بن الأزور وميسرة بن مسروق العبسي
فقال لهم خالد ادعوه إلى الإسلام فإن أبا فالجزية
فإن أبا فقاتلوهم واحرصوا أن تكونوا عينا لنا ❁ قال

وسار القوم حتى قربوا من العسكر وهم يدوسون
بخيولهم في الخيام والسرادقات فصاحت بهم
الحجاب من تكونوا فصاحوا نحن رسل فأعلموا البطريق
بذلك فأمر بإحضارهم ❁ فلما حضروا بين يديه
صاحت بهم الحجاب والنواب الأرض للملك لم يلتفتوا
إليهم ولم ينزلوا إلا على باب سرادق الملك ووقفوا على
الباب فأذن لهم في الدخول فدخلوا وقد أطلقوا
لجمة الخيل فأرادوا الغلمان أن يحوّهم فامتنعوا
من ذلك وقالوا اتركوا لنا خيولنا فأشار إليهم البطريق
فتركوها ❁ ثم دخلوا عليه وإذا به جالس على سرير من
الذهب الأحمر ❁ مرصع بالدر والجوهر وحوله
البطارقة جلوسا والحجاب وأرباب النوب
قياما بأيديهم السيوف والأعمدة والأطبار فلما
رآهم تغير لونه وأخذته الدهشة وأذن لهم في
الجلوس فقالوا لا نجلس على هذا الفراش لأنه
حرام علينا ❁ فأمر بالبسط الحرير فرفعت ❁ ثم
فرش أنطاعا وبسطا من الصوف ثم أشار إليهم فقالوا

لا تجلس حتى تنزل عن كرسيك هذا ❁ فطمعت
الروم فأشار إليهم الملك فسكتوا وأراد وانتزع
سيوفهم فامتنعوا من ذلك فتركهم ❁ وكلمهم
الملك فأبوا حتى نزل عن سريره وكلمهم بلسان
عربي وسألهم عن أمرهم فأجابوه أنهم لا يفارقوه
إلا أن يسلم هو وقومه أو الجزية أو القتال
فامتنع من ذلك ❁ وقال اذهبوا والموعد القتال
في غد وإن شئتم دفعنا لكم مالا وترجعوا من حيث
شئتم ❁ فامتنعوا من ذلك وجرت بينهم مخاطبات
وقد اختصرناها خوفا من الإطالة ❁ وواعدهم القتال
وخرجوا من عنده على ذلك ورجعوا إلى خالد وأعلموه
بذلك ❁ وتهيأت الأمرا للحرب ❁ فلما أصبح خالد
صلى بأصحابه صلاة الصبح وتبادروا للحرب والقتال
وصاحوا النصر النصر يا خيل الله اركبوا وركب
المسلمون خيولهم ورفعوا راياتهم واصطفوا ميمنة
وميسرة وقلبا وجناحين وخالد في وسط الجيش ❁
وعلى الساقة ميسرة بن مسروق العبسي ❁ ومالك

وخمسمائة فارس من المهاجرين والأنصار قال الراوي
ولم تكن إلا ساعة حتى برزت الروم وأظهرت
صلبانها ❁ حدثنا رافع بن مالك عن عباد بن مازن
عن محمد بن مسلمة الأنصاري رضي الله عنه ❁ قال
لما أقبلت رايات القوم عددناهم فإذا هم خمسون
صليبا تحت كل صليب ألف ❁ فكان أول من افتتح
الحرب بطريق عليه ديباجة حمرا وعلى رأسه بيضا
معصب عليها بعصايب من جوهر ❁ فبرز إليه فارس من
جشم يقال له زيد بن هلال الجشمي فقتله وآخر فقتله
ثم طلب البراز فبرز إليه عبد الله بن عمر بن الخطاب
رضي الله عنه ❁ فلم يمهله دون أن ضربه بالسيف
على عاتقه الأيمن أطلعه من عاتقه الأيسر وانجدل
عدو الله صريعا يخور في دمه ❁ وعجل الله بروحه
إلى النار وجال على شلوه وطلب البراز ❁ فبرز إليه
فارس آخر من الروم فقتله ❁ ثم آخر فقتله ❁ ثم
طلب البراز فلم يبرز إليه أحد ❁ فغاص في وسط الروم
وأقلب الميمنة على الميسرة والميسرة على الميمنة ❁

وَشَوَّشَ صُفُوفَهُم وَقَتَلَ أَبْطَالًا مِنْهُم ثُمَّ عَادَ إِلَى الْقَلْبِ
وَخَرَجَ مِنْ بَعْدِهِ شُرَحْبِيلُ بْنُ حَسَنَةَ كَاتِبُ رَسُولِ اللّٰهِ
صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَفَعَلَ كَفِعْلِهِ ثُمَّ حَمَلَ مِنْ بَعْدِهِ
غَانِمُ بْنُ عِيَاضٍ الْأَشْعَرِي ثُمَّ حَمَلَ مِنْ بَعْدِهِ الْفَضْلُ
ابْنُ الْعَبَّاسِ ثُمَّ حَمَلَ مِنْ بَعْدِهِ الْعَبَّاسُ بْنُ مِرْدَاسٍ
ثُمَّ حَمَلَ مِنْ بَعْدِهِ أَبِي ذَرٍّ الْغِفَارِي ثُمَّ
تَبَادَرَتِ الْمُسْلِمُونَ بِالْحَمْلَةِ فَلَمَّا رَأَتِ الرُّومُ ذَلِكَ
أَيْقَظُوا أَنْفُسَهُم وَحَمَلُوا فِي عَدَدِهِم وَعُدَدِهِم
وَتَظَاهَرُوا بِالدُّرُوعِ وَالْبِيضِ وَقَادُوا الْجَنَائِبَ
قَالَ وَلَمْ يَزَلِ الْقِتَالُ حَتَّى تَوَسَّطَتِ الشَّمْسُ قُبَّةَ الْفَلَكِ
قَالَ الرَّاوِي فَعِنْدَهَا حَمَلَ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ رَضِيَ اللّٰهُ
عَنْهُ وَغَاصَ خَالِدٌ فِي الْمَيْمَنَةِ أَقْلَبَهَا عَلَى الْمَيْسَرَةِ
وَالْمَيْسَرَةِ أَقْلَبَهَا عَلَى الْمَيْمَنَةِ وَقَاتَلَتِ الْعُرْبَانُ قِتَالًا
شَدِيدًا حَتَّى جَاءَ اللَّيْلُ وَحَجَزَ بَيْنَ الْفَرِيقَيْنِ وَبَاتَ
الْمُسْلِمُونَ يَتَحَارَسُونَ وَتَفَقَّدَ الْمُسْلِمُونَ أَصْحَابَهُم
فَإِذَا قُتِلَ مِنْهُم اِثْنَانِ وَأَرْبَعُونَ رَجُلًا خَتَمَ اللّٰهُ
لَهُم بِالشَّهَادَةِ الْأَعْيَانُ مِنْهُم رَبِيعَةُ بْنُ غَانِمٍ

الْأَوْسِي وَزَيْدُ بْنُ رَبِيعٍ الْمُحَارِبِي وَغَانِمُ بْنُ
نَوْفَلٍ الْمُحَارِبِي وَصَفْوَانُ بْنُ مُرَّةَ الْيَرْبُوعِي وَالْبَقِيَّةُ
مِنْ أَخْلَاطِ النَّاسِ وَقُتِلَ مِنْ أَعْدَاءِ اللّٰهِ أَلْفٌ
وَثَلَاثُ مِائَةٍ أَوْ أَزْيَدُ مِنْ ذَلِكَ وَلَمَّا خَلَا عَدُوُّ اللّٰهِ بِأَصْحَابِهِ
تَذَاكَرُوا مَا وَقَعَ فِي الْحَرْبِ وَصَعُبَ عَلَيْهِم مَا لَقُوهُ مِنَ
الْعَدُوِّ فَطَمَنُوا الْبَطَارِقَةَ قَلْبَهُ وَاعْتَدُّوا لِلْقِتَالِ
فَلَمَّا أَصْبَحَ الصَّبَاحُ وَلَاحَ بَارِقُ الْفَجْرِ جَلَسَتِ الْمُسْلِمُونَ
لِصَلَاةِ الصُّبْحِ ثُمَّ اسْتَوَوْا عَلَى ظُهُورِ خُيُولِهِم وَاصْطَفَّتِ
الرُّومُ لَهُم وَبَرَزَتِ الْبَطَارِقَةُ وَأَظْهَرُوا زِينَتَهُم
وَبَرَزَ بِطْرِيقٌ عَظِيمٌ يُقَالُ إِنَّهُ بُقْطُرُ صَاحِبُ طَنْسَا
وَعَلَيْهِ لَامَةُ حَرْبِهِ فَطَلَبَ الْبِرَازَ فَبَرَزَ إِلَيْهِ الْفَضْلُ بْنُ
الْعَبَّاسِ بْنِ أَبِي لَهَبٍ فَتَجَاوَلَا وَتَعَارَكَا وَتَخَالَفَا
بِضَرْبَتَيْنِ كَانَ السَّابِقُ بِالضَّرْبَةِ الْفَضْلُ فَضَرَبَهُ
بِالسَّيْفِ عَلَى رَأْسِهِ فَوَصَلَ إِلَى أَضْرَاسِهِ فَانْجَدَلَ
صَرِيعًا يَخُورُ فِي دَمِهِ وَعَجَّلَ اللّٰهُ بِرُوحِهِ إِلَى النَّارِ
وَبَرَزَ بِطْرِيقٌ آخَرُ فَقَتَلَهُ وَلَمْ يَزَلْ كَذَلِكَ حَتَّى
قَتَلَ أَرْبَعَةً مِنْ خِيَارِهِم فَحَمَلَتِ الرُّومُ حَمْلَةَ

رجل واحد وحملت المسلمون وحمل ضرار بن الأزور بن
طارق وأظهر شجاعته وحمل مذعور بن غانم الأشعري
وحمل الفضل بن العباس والوليد ومحمد ابنا عقبة بن
أبي معيط وحمل مسلم وجعفر وعلي أولاد عقيل
وعبد الله بن جعفر وسليمان بن خالد وعبد الرحمن بن
أبي بكر وتجهزت الأمرا وعظم الخطب وكثر
الطعن والضرب وثار القتام حتى صار النهار
كالظلام وتراشقوا بالنبال واشتد القتال
وقطعت المعاصم ولوحت الجماجم فما كنت
ترى إلا حصانا غاير ودما فاير واشتد المصاب
وكثر الطعن والضرب وثار العرق واحمرت
الحدق وثار كالأسد خالد وأرغى وأزبد
فعندها رفع غانم بن عياض الأشعري طرفه إلى السما
وقال يا عظيم العظما أنزل علينا نصرك كما أنزلته
علينا في مواطن كثيرة وانصرنا على القوم الكافرين
قال الراوي فأمنت جماعة من الأمرا على
دعائه فما كان غير بعيد حتى رأيت الرجال

من الكفار يتساقطون لا ندري ماذا يقتلون فلما
رأت الروم ذلك فروا إلى الأبواب وتبعتهم المسلمون
يقتلون ويأسرون وينهبون والحجارة تأخذهم من
على الأصوار وهم لا يلتفتون لذلك ودخلوا إلى
الأبواب ودخل اللعين وساق خالد رضي الله عنه
وجماعة من الأمرا واقتطعوا قطعة من الروم نحو
خمسة آلاف وكانوا قريبا من ألفي فارس فاقتتلوا
عند الباب ورموهم بالحجارة فقتلوا منهم نحو
ثلاثة آلاف والرامي ألف ويخرج من قريب الباب
نحو الألف وأحرص بينهم بغلق الباب عليهم
دخلوا إلى المدينة وأغلقوا الأبواب وعلوا على
الأصوار واشتد الحصار ورموا بالحجارة والنبال
حتى حجز الليل بينهم قال الراوي وأقام المسلمون
على حصار إهناس ثلاثة أشهر وفي كل يوم
يناوشوهم القتال والأصوار منيعة والأبواب
وثيقة وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
في كل يوم يشنون الغارة حتى يصلوا إلى

أطراف الكورة قال الراوى ولما ضعف أمر أهل
إهناس وانقطع المدد عنهم وضاقت أنفسهم طمعت
أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم إن خالدا
استشار أصحابه ما ذا يصنع وقد أعاله فتح الباب
فقال له المرزبان رضى الله عنه وكان أسلم وكان من
مرازبة كسرى وخرج للجهاد وحبس نفسه لله عز وجل
وهو المقتول بالبهنسا قريبا من البلد شرقى البحر اليوسفى
فى وقعة صاحب طحا ذات الأعمدة وسيأتى ذكر
ذلك إن شاء الله تعالى فى موضعه رجعنا إلى ما
كنا فيه قال المرزبان إن عندنا ببلاد الفرس
إذا حاصرنا مدينة ولا نقدر على فتحها أخذنا
بارودا وزيتا وكبريتا ووضعناه فى صناديق من خشب
وجعلنا لها أعوادا وتحملها الرجال ورجال يدبون
عنهم إلى قرب الأبواب يجعلون النار فى ذلك
ويولون فتتعلق النار فى الأبواب ويذوب الحديد
فتفتح الأبواب وتتعلق النار فى الحجارة فتهدمها قال
خالد نفعل ذلك إن شاء الله تعالى . فلما أصبحوا

فعلوا ذلك وأسرعوا بجميع ما ذكر لهم المرزبان
ووضعوه فى صناديق وجعلوا فى أطرافها أعوادا
طوالا من أسفلها وحملها الرجال وخرج خلفهم
الفرسان يقاتلون والمرزبان أمامهم يعلمهم كيف
يصنعون وهم مستترون بالدرق والجحف والحجارة
والنبال تتساقط عليهم من أعلى السور حتى وصلوا أول
باب من أبواب المدينة وهو الباب الشرقى وهو
أعظم أبوابها فلما قربوا من الباب رفعوا الصناديق
على أعلى الأعواد وأطلقوا النار فى البارود
والكبريت وفروا وانفلتوا فلم يكن إلا أسرع وقت
حتى تعلقت النار فى حجارة الباب وفى الأخشاب
والحديد وثارت النار إلى أعلى السور حتى وصلت
إلى البرج واخترق الباب وسقط البرج بما فيه
من الروم وهلك منهم جماعة كثيرة وتبادرت
المسلمون إلى الأبواب وملؤا قرب الما وطفوا
تلك النيران ودخلوا من الباب وقصدوا
القصر وكان حصينا على أعمدة من الحجارة

المنحوتة وأغلقوا أبوابه ففعلوا به كما فعلوا بالباب
فلما رأى الملعون ذلك لم يطق صبرا وأمر بفتح الباب
فصاح الأمان ومعه جماعة من حشمه وبطارقته فأعرضوا
عليه الإسلام فأبى فأمر خالد بضرب عنقه فقتل وأعرضوا
الإسلام على الباقين فمن أسلم تركوه ومن أبى قتلوه
واستغاث بهم السوقة والرعية وقالوا نحن كنا
مغلوبين على أمرنا فمن أسلم تركوه ومن بقي
على دينه وضعوا عليه الجزية وأخربوا لهم بقعة
عظيمة وهدموا دورا وأماكن حتى صارت أتلالا
عظاما وغنموا أموالا عظيمة من أواني الذهب
والفضة والفرش الفاخرة ووضعوا فيها عبادة
ابن قيس ومعه ثلاثمائة من المسلمين وخرجوا إلى
ظاهر المدينة ولم يبق إلا من أسلم أو وضع عليه
الجزية ووضعوا بها مسجدا ولما فرغ خالد من ذلك
جمع الغنائم وخمسها وأرسل الخمس إلى عمرو بن
العاصي يرسله إلى أمير المؤمنين بالمدينة وأرسل
لعمرو بن العاص سهمه ولأصحابه من المسلمين

المقيمين بمصر ونواحيها وأقام خالد بعد ذلك بإهناس
هو وجماعة من الأمراء أربعين يوما واستدعى خالد
عدي بن حاتم الطائي رضي الله عنه ودفع له ألف
فارس ومعه ميمون بن المهران وأمره أن ينزل على
أول بلاد البطلوس وينازل أهل الكورة وإذا
وصل إلى قيس بن الحارث يأمره بالمسير إلى قرب
البهنسا ويقاتل من قاتله ويسالم من سالمه ويصالح
من صالحه حتى يأتيه المدد ثم أرسل في أثره
عامر بن عياض الأشعري رضي الله عنه ومعه
خمسة آلاف فارس منهم الفضل بن العباس والمسيب
ابن يحيى الفزاري وأبو ذر الغفاري والمرزبان
الفارسي وجعفر ومسلم وعلي وعبد الله بن المقداد
وسليمان بن خالد ومحمد بن طلحة بن عبد الله
وعمرو بن سعيد بن أبي وقاص وشرحبيل بن حسنة
كاتب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال لهم خالد
سيروا حتى تصلوا مدينة البهنسا وأنا على أثركم
ما لم يحصل لي أنا وأصحابي مانع وادعوا القوم إلى

الاسلام ❁ فمن اجابكم فله ما لنا وعليه ما علينا
ومن ابا فالجزية ومن ابا فالحرب والقتال ونازلوا
المداين وفرقوا العساكر ولا تسيروا الا يدا واحدة
وفرقوا الكتايب وكونوا قريبا الى بعضكم
بعضا غير بعيد فاذا وقعت منكم كتيبة بما لا
طاقة لها به اتاها النفير وثبتوا هممكم واخلصوا
نياتكم وقووا عزايمكم ❁ فاذا وصلتم الى
البهنسا التي هي دار ملكهم ومحل ولايتهم فارسلوا
الى الملك وراسلوه وادعوه الى الاسلام ❁ فان
اطاع فاتركوه وملكه وان ابى فالجزية عن
يد وهم صاغرون فان ابى فالسيف حتى يقضي الله
امرا كان مفعولا ❁ وبلغني انها مدينة اهلة
كثيرة الخيل وحولها مداين وبلاد وقرى
ورساتيق ❁ فمن سالكم وصالحكم صالحوه
ومن قاتلكم قاتلوه وعليكم بالحزم واخلاص
النية وصدق العزيمة ❁ قال الله تعالى في الكتاب
المكنون يا ايها الذين امنوا اصبروا وصابروا

ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون ❁ ثم استدعا
بالمغيرة بن شعبة رضي الله عنه وكان معه ابنه زياد
الاكبر ابو المغيرة جد زياد الذي هو بقرية
تعرف بصرو ط قريبا من طنبدى وسياتي ذكر
زياد بن المغيرة واصحابه هناك ان شاء الله تعالى
عند وقعة الدير واستدعا بسعيد بن زيد احدى
العشرة رضي الله عنهم اجمعين ❁ وابان بن عثمان
ابن عفان وجدد عليهم الوصية وودعهم قال
الراوي ❁ وسار عدي بن حاتم الطاري وميمون
حتى وصلا منيد ومو وجزا وما حولها ❁ فوجدوا
قيس بن الحارث قد صالح اهل تلك الارض وعقد
له صلحا واقروا بالجزية وكذلك اهل برنشت
بعد قتل بطريقهم وكذلك تجري تلك البلاد
الى دهشوز ونادى في ذلك الاقليم ❁ وجبوا له
مالا على الصلح والجزية وقد عدا جماعة من
الصحابة الى البر الشرقي وهم رفاعة بن زهير
المحاربي وعقبة بن عامر الجهيني وذو الكلاع ❁

الحميري وألف من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ❁
وشنوا الغارات من العقبة التي هي قريب من قبلي حلوان
على تلك القرى والبلاد ❁ فمن صالحهم صالحوه ومن أبى
قاتلوه حتى وصلوا إلى إطفيح ثم إلى البرنبل وكان
هناك بطريق يعرف بصول ❁ فخرج إليهم في جماعة
فقاتلوه وقتل لعنه الله وشنوا الغارة إلى القرية
المعروفة ببلياص فخرج إليه أهلها فصالحوهم ❁
على الجزية وعدوا من هناك وسار عدي بن حاتم حتى
اجتمع بقيس بن الحارث ❁ قريبا من القرية المعروفة
بقمن ونزل ميمون هو وجماعة من أصحابه بالقرية
المعروفة بالميمون فقال له الحارث لا نزال هنا ❁
حتى نفتح ما حولنا ويأتي إذن الأمير فأجاب إلى ذلك
ونزل عدي بأولاده بالقرية المعروفة ببني عدي
ثم سار وترك ابنه حاتما وإخوته واختطوا القرية
وهم بيت ❁ وسار قيس وأصحابه حتى وصلوا إلى
القرية المعروفة ببوش والبلد المعروفة ❁
بدلاص فخرج إليهم أهلها بعد قتل بطريقهم

وصالحوهم وتوسطوا البلاد على ساحل البحر ❁ حتى
نزلوا ببا الكبرى ❁ وغانم بن عياض على أثرهم
وكان بها دير عظيم يعرف بدير أبو جرج وكان
له عيد عظيم يعرف تجتمعون إليه من جميع البلاد
فوافق قدوم الصحابة قريبا من العيد ❁ فجاءهم
رجل من المجاهدين وأعلمهم بذلك فعندها انتدب
قيس بن الحارث رضي الله عنه جماعة من أصحابه
خمسمائة فارس وأمر عليهم رفاعة بن زهير وأمرهم
بشن الغارة على الدير قال وكان في ذلك
الدير جماعة من رؤساء الكورة من الروم والقبط
وهم حول الدير والخيول يحرسون وهم في أكلهم
وشربهم وزينتهم إلى قرب الصبح وكانت
ليلة مقمرة ❁ فأكمن الصحابة بمكان متسع
وقال بعضهم لبعض اكمنوا هنا فإنها ليلة
قمرية ❁ فسمي المكان بالقمرية إلى يومنا
هذا وقيل كان هناك قرية فاطمئنوا إلى جانبها
فلما كان آخر الليل قريب الصبح ❁ ساروا

فأصبحوا وأغاروا على السوق وهم في أكلهم وشربهم
وزينتهم فما أحسوا إلا والخيل على رؤوسهم فما قاتلوا إلا
قليلا وانهزموا إلى عند الدير وإلى البلد فنهبوا الصحابة
جميع ما في السوق من الأثاث وغيره واستاقوا النعم
وأحاطوا بالدير فقاتلوا الروم من أعلى الدير بعد أن
أحاط المسلمون بالباب وقطعوا الأقفال والسلاسل
وتسلق جماعة من على الحيطان ودخلوا إلى الدير وأخذوا
منه أثاثا وأمتعة وأواني من ذهب وفضة وأسروا
نحو مائتي أسير وساروا حتى توسطوا البلاد وكان
بالغرب قريبا من البحر اليوسفي قرى كثيرة وبلدان
وكان فيهم مدينة تعرف بشبرا وكان بها
بطريق عظيم من عظماء بطارقة البطلوس فلما
بلغه قدوم الصحابة رضي الله عنهم جمع جنوده إلى
حد البلد المعروفة بأقفهس وإلى البلد المعروفة
بسمسطا والبسقنون وإلى عند منشابة فلما بلغه
قدوم الصحابة جمع الخيل من الروم والفلاحين
والنصارى كما قيل ستة آلاف فارس وخرج

يكشف لهم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
الراوي وكان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقيس بن الحارث خرج إليهم أهل ببا ومن حولهم من السواد
وكذلك النحا أهل هربشنت وعقدوا لهم صلحا وساروا
فلما قربوا من القرية المعروفة الآن ببني صالح
فبينما هم يسيرون وإذا بالغبار قد طلع وانكشف
عن ستة صلبان تحت كل صليب ألف فارس سوى
أتباعهم من الرجال فلما رآهم أصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم لم يمهلوهم الروم دون أن حملوا
عليهم واقتتلوا قتالا شديدا وثار الغبار وقدحت
حوافر الخيل الشرار والتقى الجمعان واصطدم
الفريقان فلله در رفاعة بن زهير وعقبة بن عامر
وعمار بن ياسر العبسي بن عم ميسرة بن مسروق
العبسي ليس هو عمار بن ياسر العنسي بالنون المقتول
بصفين مع علي بن أبي طالب رضي الله عنهم أجمعين
قال الراوي وقاتل أصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم قتالا شديدا وصبروا على البلا

وكان عبد الله لاوى بن أزميا صاحب شنزا فارسا
شديدا وبطلا صنديدا فصال وجال وقتل رجالا فعندها
برز اليه فارس من المسلمين يسمى سنان بن نوفل
الدوسى فقتله فعندها خرج إليه الأمير عمار بن ياسر
العبسى ❁ فتجاولا وتعاركا وتضاربا وتطاعنا ❁
واستبقا بضربتين كان السابق بالضربة عمارا
فضربه بالرمح فى صدره أطلع السنان يلمع من ظهره ❁
وانجدل صريعا يخور فى دمه وعجل الله بروحه إلى
النار وبئس القرار فعندها غضبت الروم لأجل قتل
صاحبهم وحملت على عمار كبكبة عظيمة من
المشركين ❁ وعقروا الجواد من تحته وتكاثروا
عليه فقتلوه رضى الله عنه وقتل جماعة من المسلمين
نحو خمسة عشر رجلا ❁ قال حدثنا سنان بن نوفل
عن مالك بن رافع عن غانم اليربوعى وكان فى خيل
رفاعة بن زهير المحاربى ❁ قال بينما نحن فى أشد
القتال ❁ وأعظم النزال ❁ وقطعنا أنفسنا على الموت
ورفاعة رضى الله عنه يحرض على القتال وهو **يقول**

يا معشر

يا معشر الناس والسادات ذو الهمم ❁ ويا أهيل الصفا
❁ يا معدن الكرم ❁
فاصدقوا العزم لا تأتوا به فشلا ❁ ومكنوا العضب
❁ فى الهامات والقمم ❁
واتركوا القوم فى الغبرا ملوحة ❁ على الثرى جثما
❁ بالذل والنقم ❁

قال الراوى وجعل يحرضهم ويقول يا معاشر
السادات والأقيال أبشروا فإن الروم لم لهم قائمة
أبدا وأبشروا بالحور والولدان فى غرفات الجنان
وإن الجنة تحت ظلال السيوف قال رفاعة فبينما
نحن فى أشد القتال وإذا بغبرة قد لاحت وارتفعت
وانكشف الغبار عن ألف فارس ❁ فى الحديد ❁
غواطس عليهم الدروع الداودية ❁ وعلى
رؤوسهم البيض المجلية ❁ مقلدين بالسيوف الهندية
معتقلين بالرماح الخطية ❁ على الخيول الأعوجية
فتأملنا هم فإذا هم سليمان بن خالد بن الوليد
وعبد الله بن المقداد ❁ وعبد الله بن طلحة ❁ وأخوه

محمد بن طلحة وزياد بن المغيرة والوليد ومحمد ابنا
عقبة وعبد الرحمن بن أبي هريرة وجماعة من
الصحابة والأمرا وأبنائهم رضي الله عنهم وكان غانم
ابن عياض الأشعري قد جهزهم طليعة أمامه فلما
رأونا كبروا وكبرنا لتكبيرهم وغاصوا في وسط
المعمعة وطلب كل واحد بطريقا من البطارقة فقتله
فلما رأت الروم ذلك ولوا الأدبار وركنوا إلى
الفرار وتبعتهم أصحاب رسول الله قتلا ونهبا وأسرا
وسلبا إلى شنترا ثم إلى البنسقنون وما حولها من السواد
إلى عند صلقوص فأسروا منهم نحو خمسمائة أسير
وقتل منهم ثلاثة آلاف وهرب الباقون إلى البلاد
والقرى ولما قتل بطريق شنترا خرج أهل شنترا من
النصارى والسوقة وعقدوا لهم صلحا واتفقوا على
أداء الجزية وكذلك من حولهم من القرى ونزل
هناك عمرو بن الزبير وجماعة من المسلمين وسار
قيس بن الحارث أمام القوم حتى نزل قريبا من مدينة
طنبدى والبلد المعروف بإشني وكان بها

بطريقا

بطريق يعرف بأوالياص بن بطرس وكان كافرا
لعينا فخرج للقاء المسلمين هو وجماعة من أصحابه
وجمعوا معهم ميرة وعلوفة وكان ذلك منه مكيدة
وعقد مع المسلمين صلحا ووافق على الجزية عن بلده
وعن إشني وكانت تحت حكمه وارتحل قيس
ابن الحارث ومن معه وتأخر زياد بن المغيرة ونزل
بالبلد المعروفة بدروت فعقد صلح أهلها ونزل
سليمان بن خالد وعبد الله بن المقداد وجماعة قريبا
من البلد ومنهم من نزل عند القرية المعروفة
باطنيه وصاروا جماعة يدخلون البلد ليلا ثم يعودون
خوفا من المكيدة ولا حذر مما يفعله الله عز وجل
قال الراوي وكان المتخلفون خمسمائة
فارس فجعلوا يسيرون على ساحل البحر ويغيرون على
السواد فمن صالحهم صالحوه ومن أسلم تركوه وسار
قيس بن الحارث رضي الله عنه حتى نزل بالبلد المعروفة
الآن بالقيس وبه سميت وكان بها بطريق من
بطارقة البطلوس وهو أيضا من بني عمه وقيل

كان اسمه شكور بن ميخائيل والله أعلم أي ذلك كان
هذا وقد دخل أهل السواد كلهم البلد وحاصرها
القيس حصارا شديدا نحو شهرين ثم أعانهم الله فخرقوا
بابا من أبوابها ففتحت ودخلوا إليها وكان ذلك بعد
وقعة كانت بينهم في مكان يعرف بكوم الأنصار
وهزموهم هناك وحاصروهم بالقيس كما ذكرنا
وفتحوا المدينة وقتلوا البطريق ونهبوا الأموال
وأخذوا جميع ما فيها بعد أن دعوهم إلى الإسلام
فامتنعوا من ذلك ثم شنوا الغارات على ما حولها من
البلدان إلى البلد المعروفة بمطاي ثم إلى الكفور
فخرج إليهم بطريق بن عم المقتول بدهشور لعنه الله
وأخيه بطرس وعقد مع المسلمين عقدا على الصلح
وإعطاء الجزية وسارت العرب من ذلك هناك إلى البلد
المعروف بالدير وسملوط وما حولها من القرى
ونزل زهرة وجماعة من العرب (كذا وجد)
بالمكان المعروف بزهرة وأما بقية السواد الذي
حول البهنسا شرقا وغربا لما تحققوا مجيء العرب

هربوا إلى البهنسا بأموالهم ونسائهم وذراريهم
وتركوا السواد جميعا خرابا وكان البطلوس
لعنه الله أرسل لهم بطارقة فحملوهم إلى البهنسا وأعدوا
للحصار جميع ما يحتاجون إليه **قال الراوي** هذا
ما جرى لهؤلاء وأما عدو الله أولياص صاحب طنبدي
فانه كاتب البطلوس يقول على أنني لم أصالح العرب
إلا مكيدة وإني أريد الغدر بهم فجهز لي من البطارقة
جماعة لعل أن أظفر بأبطال المسلمين وتأخذوا
بثاركم منهم ممن قتل منكم قال وكان
عدو الله في كل يوم تأتيه الأخبار من العرب
المنتصرة ومن غيرهم من أهل البلاد والسواد بما يجري
للعرب وبأخبار من يقتل من البطارقة وبأخذ
الأموال وبأخذ البلاد فحمل هما عظيما ولم
يظهر ذلك لأحد من بطارقته وإنما كان يطيب
قلوبهم ويقول بلدنا حصين وإن قاتلونا قاتلناهم
وإن غلبونا دخلنا البلد فلو جاء أهل الحجاز جميعهم
ما وصلوا إلينا ولو أقاموا عشر سنين والله غالب

على أمره وناصر دين الإسلام ❀ وملك الكفرة اللئام
فلما بلغ البطلوس ما كاتبه به عدو الله أولياص
فرح بذلك فرحا شديدا واستدعا ببطريق من بطارقته
يسمى روماس ودفع له خمسة آلاف من الروم
والنصارى وغيرهم من أهل القرى ❀ وأمرهم
أن يسيروا تحت سواد الليل لا يصبح الصباح إلا وهم
بمدينة طنبدى وأن يكونوا تحت طاعة أولياص
قال فسار القوم تحت ظلام الليل ❀ فما كان أقل
من نصف الليل حتى وصلوا إلى طنبدى ودخلوا إلى
أولياص ففرح بذلك فرحا شديدا واستعدوا
للحملة على المسلمين قال وأصبح المسلمون وقد
صلوا صلاة الصبح والخيل أقبلت إليهم من المسلمين
يصيحون النفير النفير دهينا فركب المسلمون خيولهم
وساروا إلى قريب من الدير وإذا بالروم مقبلون في
عشرة آلاف فارس وكانت أعداء الله ❀ أكمنوا
للمسلمين كمينا قريبا من قناطر كانت هناك
ونهر كان تجري فيه النيل في أوانه عميقا

غربي

غربي الدير المعروف قريبا من البلد قال الراوي
ولما رأى المسلمون لمعان الأسنة والبيض وخفقان
الأعلام وبريق الصلبان الذهب بادروا إلى خيولهم
فركبوها وأعلنوا بالتهليل والتكبير والصلاة
على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأقبلوا مسرعين
نحوهم ولم يفزعوا من كثرتهم وحرض بعضهم بعضا
على القتال وكانوا قد سبقوا إلى شرذمة من المسلمين
كانوا نازلين قريبا من الدير فوضعوا فيهم
السيف وأحاطوا وجالوا واتسع المجال إلى قريب من
دروت ❀ فخرج سليمان بن خالد رضي الله عنه
وعبد الله بن المقداد وعبادة بن الصامت وعامر
ابن عقبة بن عامر وشداد بن أوس وجماعة من
الصحابة وأبنائهم رضي الله عنهم واشتد القتال
وعظم النزال ❀ وعميت الأبصار ❀ وقدحت
حوافر الخيل الشرار ❀ ولمعت الأسنة ❀ وقرنت
الأعنة ❀ ودهشت النظار ❀ وحارت الأفكار
❀ وأحاطوا بالمسلمين من كل جانب ومكان

فلله در سليمان بن خالد وعبد الله بن المقداد لقد قاتلوا
قتالا شديدا وأبلوا بلاء حسنا ولله در زياد بن المغيرة
لقد كان تارة يقاتل على الميمنة وتارة على الميسرة
وتارة في القلب وأحاطوا بهم أعداء الله من كل
مكان وقد صار المسلمون بينهم كالشامة البيضا
في جلد البعير الأسود وصبروا لهم صبر الكرام
وكان أكثر المسلمين أثخن بالجراح ۞ واشتد
الكفاح ۞ هذا والمسلمون قد انتدبوا أبطالا
وجعلوها خلف ظهورهم وقاتلوا قتالا شديدا
هذا وأعداء الله قد أحاطوا بهم وحجزوا بينهم
وبين البلد وقاتل سليمان بن خالد وأصحابه قتالا
شديدا وثبتوا أنفسهم على الموت وشجع بعضهم بعضا
وصار سليمان بن خالد يقول الله الله الجنة تحت
ظلال السيوف والموعد عند قبر رسول الله صلى الله
عليه وسلم وقاتل قتالا شديدا حتى أثخن بالجراح وقتل
من المسلمين نحو مائتين وعشرين قريبا من التل
الذي هو غربي البلد المذكورة وما قتل الواحد منهم

حتى قتل من أعداء الله خلقا كثيرا ۞ قال الراوي [illegible]
ولما رأى سليمان بن خالد رضي الله عنه ما حل بأصحابه
صار تارة يكر عن الميمنة وتارة يكر عن الميسرة
وساعده بالحملة عبد الله بن المقداد رضي الله عنه وبقية
الصحابة ۞ وتقدم سليمان بن خالد وطعن بطريق
إسنين طعنة صادقة أرداه عن جواده وغاص سنانه في
القلب ۞ حدثنا أوس بن شداد عن علقمة
ابن سنان عن زيد بن رافع قال كنت في الخيل
صحبة سليمان وقد حجزنا المشركين وتقهقروا
بين أيدينا ولم نشعر أن القوم لهم كمين إذ خرج
الكمين علينا وأحاطوا بنا فقاتلناهم قتال الموت
وقتل منهم جماعة نحو ألفين فارسا ۞ وقتل سليمان
من البطارقة والقواد نحو ثلاثين من خيارهم
وكذلك عبد الله بن المقداد فأحاط بسليمان رضي الله
عنه كردوس نحو ألفي فارس وعقروا جواده
فضرب بالسيف فيهم حتى قطعت يده ۞ فتناول
السيف باليسرى حتى قطعت فخالطوا به وقتلوه

فلما تيقن القتل قبل أن يتصل الثقت وقال يعز عليك
يا خالد ما تجد بولدك ولكن هذا في رضى الله عز وجل
وكان قد طعن في صدره نحوا من عشرين طعنة حتى
برد حيله وسقط على الأرض ثم تبسم وقال الساعة
تلتقي الأحبة فحمل وضربه ولما رآه عبد الله بن
المقداد على ذلك صاح لا حياة بعدك يا أبا محمد ❁
والملتقى في جنات عدن ❁ ثم غاص فقاتل وأحاطوا به
واشتبكت فيه الأسنة ولحقته ضربات كثيرة ❁ في
وجهه وهو يقلع الرماح ويمسح الدم حتى سقط به الجواد
وصاح واشوقاه إليك يا مقداد ❁ ثم تبسم وقال
مرحبا ثم مات رحمه الله وأيقنا كلنا أن القيمة
من هناك وإذا بالغبرة قد لاحت وانكشفت عن
رايات وأعلام إسلامية ❁ وعصابة محمدية وفي
أوائل القوم القعقاع والمسيب بن نجبة الفزاري
وسمرة بن جندب والفضل بن العباس وزياد بن أبي
سفيان وبنو هاشم وبنو المطلب ❁ وسادات
الأوس والخزرج وخالد بن عياض الأشعري ومن معه

من الأمراء والسادات فلم يمهلوهم وأن حملوا على الروم
حملة رجل واحد حتى جلوها ❁ وقتل البطريق أوقلياض
لعنه الله وبطل بوق البطلوس وانهزمت الروم واتبعتهم
المسلمون قتلا ونهبا حتى بلغت الهزيمة البحيرة
اليوسفي وغرق منهم جماعة كثيرة وقتل منهم في
المعركة نحو أربعة آلاف رجل واستأسروا منهم
نحو ألف وما بقي أسير وهرب منهم إلى البطلوس جماعة
واختفوا إلى الليل فمضوا إلى البطلوس وأعلموه بذلك
فضاقت الدنيا في عينيه وضاق صدره وحار في أمره
واستعد للقاء المسلمين **قال الراوي** ❁ هذا
ما جرى لهؤلاء ❁ وأما أهل مدينة طنبدى وأهل إشنى
والبلد المعروف بإبه وكانوا لم يخرجوا ولم يقاتلوا
فإنه لما ورد عليهم البطلوقة سألوا بطريقهم القتال
وكان نصرانيا ولم يكن روميا وكان اسمه
لوص أبا وقالت أبه يعني القتال فسميت البلد أبه فلما
انهزمت البطارقة خرج لوص ومعه جماعة من أهل
البلد وأتوا إلى المسلمين فطلبوا الصلح فصالحوهم

وَخَرَجَ أَهْلُ طَنْبَدِي وَأَهْلُ إِشْنِي مِنَ السُّوقَةِ وَالرَّعِيَّةِ
وَغَيْرِهِمْ بِأَوْلَادِهِمْ وَذَرَارِيهِمْ وَبَكَوْا فِي وُجُوهِ
الْمُسْلِمِينَ وَقَالُوا نَحْنُ قَوْمٌ رَعِيَّةٌ وَكُنَّا مَغْلُوبِينَ عَلَى
أَمْرِنَا فَارْعَوْنَا فَإِنَّا أَهْلُ ذِمَّتِكُمْ وَجِوَارِكُمْ
فَقَالُوا بِشَرْطِ تَدُلُّونَا عَلَى مَنْ هَرَبَ إِلَيْكُمْ فَأَجَابُوا
إِلَى ذَلِكَ وَصَارُوا يَأْخُذُونَ الْمُسْلِمِينَ وَيَدْخُلُونَ بِهِمُ
الدُّورَ وَالْمَسَاكِنَ وَيَقْبِضُونَ عَلَى الرُّومِ وَيُسَلِّمُونَهُمْ
إِلَيْهِمْ وَكَانَ الرَّجُلُ النَّصْرَانِيُّ الْيَعْقُوبِيُّ يَقْبِضُ عَلَى
الرُّومِيِّ وَيَأْتِي بِهِ لِلْمُسْلِمِينَ حَتَّى قَبَضُوا مِنْ طَنْبَدِي
وَإِشْنِي الْمَذْكُورَةِ نَحْوَ أَلْفٍ وَخَمْسِمِائَةٍ مِنَ الْبَطَارِيقِ
وَالْأَنْبَارِ وَغَيْرِ ذَلِكَ وَلَمَّا جَمَعُوا الْأُسَارَى أَمَرَ
غَانِمُ بْنُ عِيَاضٍ بِضَرْبِ رِقَابِهِمْ عَلَى تَلٍّ هُنَالِكَ
يُعْرَفُ بِالْكَوْمِ وَرَجَعَ الْمُسْلِمُونَ إِلَى مَكَانِ الْمَعْرَكَةِ
فَلَمَّا عَايَنُوا الْقَتْلَى وَرَأَوْا سُلَيْمَانَ بْنَ خَالِدٍ وَعَبْدَ اللهِ
ابْنَ الْمِقْدَادِ وَعُبَيْدَ بْنَ عَبْدِ الدَّارِ بَكَوْا عَلَى مَنْ قُتِلَ
مِنَ الْأُمَرَاءِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَأَنْشَدَ عَمْرُو بْنُ يَسَارٍ
يَرْثِي سُلَيْمَانَ بْنَ خَالِدٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وَمَنْ مَعَهُ يَقُولُ

شعر

شِعْرٌ

يَا عَيْنُ جُودِي بِالدِّمَاءِ الصَّبِيبِ ۞ ثُمَّ انْدُبِي يَا عَيْنُ فَقْدَ الْحَبِيبِ
وَابْكِي لِمَقْتُولٍ غَدَا فِي الْفَلَا ۞ مُجَنْدَلًا وَسْطَ الْفَيَافِي غَرِيبْ
وَابْكِي سُلَيْمَانَ وَلَا تَغْفَلِي ۞ فَأَمْرُهُ وَاللهِ أَمْرٌ عَجِيبْ
قَدْ كَانَ لَا يَفْكُرُ بِكُلِّ الْعِدَى ۞ إِنْ سَلَّ مِنْ غِمْدِ النِّجَادِ الْقَضِيبْ
وَتَخْتَشِي الْأَعْدَا مِنْ بَأْسِهِ ۞ لَوْ أَنَّهُمْ تَعْدَادُ رَمْلِ الْكَثِيبْ
فَيَا حَمَامَ الْأَيْكِ نُوحِي إِذَا ۞ عَلَى فَتًى قَدْ كَانَ غُصْنًا رَطِيبْ
وَاعْلِمِي خَالِدًا بِمَا قَدْ جَرَى ۞ لَعَلَّ أَنْ يَبْكِي بِدَمْعٍ صَبِيبْ
وَاخْبِرِي الْمِقْدَادَ مِنْ بَعْدِهِ ۞ بِأَنَّ عَبْدَ اللهِ أَضْحَى سَلِيبْ
وَانْدُبِي الْأُمَرَا مِنْ بَعْدِهِمْ ۞ وَكُلَّ قَرْمٍ فِي الْمَعَامِعِ

أُصِيبْ

لَا لَقِيَ الْبَطْلُوسُ خَيْرًا وَلَا أَجَادَهُ الْأَنْدَالُ أَهْلُ
الصَّلِيبْ

قَدْ أَكْمَنُوا الْجَيْشَ لَنَا عَامِدًا يَوْمَ الْوَغَى مِنْ كُلِّ
كَلْبٍ أَرِيبْ

وَحَقِّ مَنْ أَعْطَى لَنَا نَصْرَهُ فِي كُلِّ وَادٍ وَفَتْحٍ
قَرِيبْ

لَنَأْخُذَنَّ الثَّارَ مِنْ جَمْعِهِمْ جَهْرًا وَنُطْفِي حَرَّ نَارِ
اللَّهِيبْ

قَالَ الرَّاوِي وَإِنَّ غَانِمًا جَمَعَ الشُّهَدَا رَضِيَ اللهُ
عَنْهُمْ وَصَلَّى عَلَيْهِمْ جَمِيعًا فِي ثِيَابِهِمْ وَدُرُوعِهِمْ وَقَالَ
سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ يُحْشَرُ الشُّهَدَاءُ
يَوْمَ الْقِيَمَةِ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ وَجِرَاحَاتُهُمْ
تَقْطُرُ دَمًا اللَّوْنُ لَوْنُ الدَّمِ وَالرِّيحُ رِيحُ الْمِسْكْ

قَالَ الرَّاوِي وَأَقَامَ غَانِمًا رَضِيَ اللهُ عَنْهُ بَعْدَ أَنْ
دَفَنَ الشُّهَدَا قَرِيبًا مِنَ التَّلِّ وَنَحْوِ الْبَلَدِ الْمَذْكُورِ
ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ وَالْأُمَرَا رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ يَشُنُّونَ الْغَارَةَ

عَلَى السَّوَاحِلِ وَالسَّوَادِ وَعَدَا ابْنُ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ الْأَنْصَارِي
وَأَبُو أَيُّوبَ وَأَبُو دُجَانَةَ وَالْمُسَيَّبُ بْنُ نَجِيَّ فِي أَلْفِ
فَارِسٍ فَأَغَارُوا عَلَى الشَّرْقِ فَخَرَجَ إِلَيْهِمْ بَطْرِيقٌ كَانَ
يُعْرَفُ بِصَنْصَرَا ابْنِ الْجَاهِلِ وَبَطْرِيقُ شَرْوَنَةَ وَبَطْرِيقُ
إِهْرِيتْ فِي نَحْوِ خَمْسَةِ آلَافِ فَارِسٍ وَاقْتَتَلُوا قِتَالًا
شَدِيدًا عِنْدَ سَفْحِ الْجَبَلِ قُرْبَ الدَّيْرِ وَبَلَغَ الْخَبَرُ إِلَى
غَانِمِ بْنِ عِيَاضٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فَأَرْسَلَ إِلَيْهِمْ كَتِيبَةً
أُخْرَى صُحْبَةَ ابْنِ الْمُنْذِرِ وَالْفَضْلِ بْنِ الْعَبَّاسِ بْنِ أَبِي
لَهَبٍ وَالْمَرْزُبَانِ فِي أَلْفِ فَارِسٍ فَلَمَّا رَأَتِ الرُّومُ
ذَلِكَ وَقَعَ الرُّعْبُ فِي قُلُوبِهِمْ وَكَانَ بَيْنَهُمْ حَرْبٌ
شَدِيدٌ ثُمَّ إِنَّ الْفَضْلَ بْنَ الْعَبَّاسِ بْنِ أَبِي لَهَبٍ قَصَدَ
الْبَطْرِيقَ الْجَاهِلَ لَعَنَهُ اللهُ وَضَرَبَهُ ضَرْبَةً هَاشِمِيَّةً عَلَى
رَأْسِهِ قَطَعَ الْبَيْضَةَ وَالْخُودَةَ وَالرِّفَادَةَ إِلَى أَنْ سُمِعَ خَشْخَشَةُ
السَّيْفِ فِي أَضْرَاسِهِ وَكَبَّرَ فَكَبَّرَتِ الْمُسْلِمُونَ لِتَكْبِيرِهِ
وَسَقَطَ عَدُوُّ اللهِ يَخُورُ فِي دَمِهِ وَعَجَّلَ اللهُ بِرُوحِهِ إِلَى
النَّارِ وَبِئْسَ الْقَرَارُ وَكَانَ الْفَضْلُ بْنُ أَبِي لَهَبٍ
رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فَارِسًا شَدِيدًا وَبَطَلًا صِنْدِيدًا

فغاص في وسط المشركين وأفتك فيهم ❁ وحمل المرزبان رضي الله عنه على بطريق شرونة فقتله وحمل ابن المنذر على بطريق إهريت فقتله فلما رأت الروم ذلك ولوا الأدبار ❁ وركنوا إلى الفرار فتبعتهم المسلمون قتلا ونهبا وسلبا وأسرا إلى المكان المعروف بالدير وإهريت وغرق منهم في البحر خلق كثيرة وقتل منهم ألف وخمس مائة فارس وأسروا منهم ألفا وخمس مائة وتحصن من الروم والنصارى جماعة بمدينة الجاهل وكانت حصينة ❁ فحاصرها المسلمون سبعة أيام وحرقوا الأبواب وهدموا الجدران وأخرجوهم من البيوت وأخربوا تلك المدينة إلى يومنا هذا وخرج إلى المسلمين نصارى شرونة وإهريت وعقدوا مع المسلمين صلحا وإعطاء الجزية وأنزلوا امرة الكلبي في مأتين من أصحابه وغيرهم وابن خالد بن أخي عمرو بن العاص في المكان المعروف ببني خالد في مأيتي فارس ❁ وعدا المسلمون البحر ونزل عامر

بالغرب

في مأتين من العرب قريبا من طنبدي وإشني وبه القرية سميت وارتحل غانم بن عياض رضي الله عنه ببقية الجيش لما تكامل المسلمون ❁ وقد أرسل بين يديه المسيب بن يحيى الفزاري والعباس بن مرداس السلمي والفضل بن العباس وعامر بن عقبة بن عامر الجهني وزياد بن أبي سفين بن الحارث في ألف وخمسمائة فساروا إلى مكان يعرف بالمرج نوش وكان هناك قلعة ومرج للملك البطلوس ❁ فكان في زمن الربيع ينزل هناك بالخيام والمضارب حول القلعة وتجتمع عنده البطارقة ويقيمون أشهرا ❁ ثم يركب ويمر على الإقليم ثم بعد ذلك يعود إلى مدينة البهنسا

قال الراوي وأرسل نوش لعنه الله إلى البطلوس فأرسل له جيشا صحبة بطريق من بطارقته كافرا لعينا يسمى شلقم وبه سميت البلد التي قريب من البهنسا والله أعلم وكان الجيش عشرة آلاف فارس ❁ حدثنا مسلم بن يسار اليربوعي عن شداد ابن مازن عن طارق بن هلال رضي الله عنه أنه كان

في خيل العباس بن مرداس قال بينما نحن نسير إذ رأينا غبرة قد
ثارت وكان ذلك وقت الضحى فتأملناها فانقشعت عن عشرة
أعلام وعشرة صلبان مرفوعة من الذهب الأحمر ۞ كل
صليب يضيء كأنه كوكب ۞ أو قبس على مرقب فتأهبنا
للحملة وتأهبوا لنا ولم يمهلونا دون أن حملوا علينا وحملنا
عليهم وأحاطوا بنا وقاتلت الروم قتالا شديدا وطمطموا
بلغتهم وأعلنوا كلمة كفرهم وصبرنا لهم صبر الكرام
وقاتلنا قتال الموت ۞ فلله در عامر بن عقبة والمسيب بن
يحيى والفضل بن العباس وزياد بن أبي سفين لقد قاتلوا
قتالا شديدا وعصب الفضل بن العباس رأسه بعصابة
حمرا وكذلك فعل زياد بن أبي سفين بن الحارث
كما كان يصنع حمزة بن عبد المطلب ۞ عمهما
رضي الله عنه وقاتلا قتالا شديدا فلم تكن غير ساعة
وقد حمي القتال حتى أشرف علينا الأمير غانم وبقية ۞
الجيش فقويت قلوبنا وكبرنا فأجابونا بالتهليل
والتكبير وتقدم الفضل بن العباس من البطريق شلقم
لعنه الله وكان فارسا شديدا وكان عليه ديباجة

مقضبة بقضبان الذهب وفي وسطه منطقة مجوهرة وقد
عصب رأسه من فوق البيضا بعصابة من الجوهر وبيده
عمود من ذهب ۞ طوله ثلاثة أذرع وأزيد وهو تارة
يضرب بالسيف وتارة يضرب بالعمود فلما رأى الفضل
ظن أنه يريده فحمل عليه الفضل وأنشأ وجعل يقول

يا أيها الكلب اللعين الطاغيا ۞ ومن أتى لجيشنا ۞ معاديا ۞
أبشر فقد وافاك ليث ضاريا ۞ بحد سيف في العداة ۞ ماضيا ۞
كان له الرب العظيم واقيا ۞ من كل كلب ۞ كافر وباغيا ۞

قال فلم يدر البطريق ما يقول الفضل فحمل
عليه وتعاركا وتجاولا وضرب الفضل رضي الله عنه
فحاد عنها ۞ وعطف عليه وانتزع العمود من يده
وضربه ضربة قرشية هاشمية أبان بها رأسه عن بدنه
ونظر إليه فلم يسقط وعاد عليه وهو جثة بلا رأس
فتلقاه فارس من المسلمين يسمى زهير فوجده مكلبا

بِكَلَالِيبَ فِي سَرْجِهِ فَنَزَعَ الْكَلَالِيبَ فَسَقَطَ عَدُوُّ اللهِ كَالطَّوْدِ
بَعْدَ أَنْ تَضَمَّخَتْ دِيبَاجَتُهُ وَمِنْطَقَتُهُ دَمًا ❀ فَقَالَ لَهُ الْفَضْلُ إِنَّ
السَّلَبَ لِي نَحْذُهُ لَكَ فَقَدْ وَهَبْتُكَ إِيَّاهُ فَقَالَ لَا أَعْدَمَنَا اللهُ
مَكَارِمَكُمْ يَا بَنُوا هَاشِمٍ وَعَطَفَ عَامِرٌ عَلَى نُوشَ فَقَتَلَهُ
وَقَتَلَ كُلُّ أَمِيرٍ بَطْرِيقًا وَحَمَلَتِ الْمُسْلِمُونَ عَلَيْهِمْ حَمْلَةً
بَدَّدُوا شَمْلَهُمْ فَوَلَّوْا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ مُنْهَزِمِينَ وَأَتْبَعَتْهُمُ
الْمُسْلِمُونَ قَتْلًا وَنَهْبًا وَأَسْرًا وَهَزَمُوهُمْ إِلَى الْبَحْرِ الْيُوسُفِي
وَأَلْقَوْهُمْ فِي الْبَحْرِ قَرِيبًا مِنَ الْمَكَانِ الْمَعْرُوفِ بِسَانُولَهَ
وَكَانَ هُنَاكَ قَصْرٌ لِبَطْرِيقٍ مِنْ بَطَارِقَةِ الْبَطْلُوسِ
وَقَالَ مِنْ دَهْوَتِهِ وَصَلَتِ الْعَرَبُ إِلَى الْقَصْرِ وَسَاقُوا لَهُ
وَسُمِّيَتِ الْقَرْيَةُ بِذَلِكَ وَتَحَصَّنَ جَمَاعَةٌ بِقَلْعَةِ الْمُرُوج ❀
فَأَحَاطُوا بِهَا الْمُسْلِمُونَ وَحَرَقُوا الْأَبْوَابَ وَاسْتَخْرَجُوا مَا
هُنَاكَ وَهَدَمُوا جُدْرَانَهَا وَقُتِلَ مِنَ الرُّومِ مَقْتَلَةٌ
عَظِيمَةٌ نَحْوُ ثَلَاثَةِ آلَافٍ وَأَسَرُوا نَحْوَ أَلْفٍ وَغَرِقَ مِنْهُمْ
فِي الْبَحْرِ نَحْوُ أَلْفٍ وَأَزْيَدُ ❀ وَقُتِلَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ثَمَانِيَةٌ
وَأَرْبَعُونَ رَجُلًا مِنْ أَعْيَانِهِمْ سَيْفٌ الْأَنْصَارِي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ
وَدُفِنَ هُوَ وَأَصْحَابُهُ بِمَكَانِ الْوَقْعَةِ رَضِيَ اللهُ عَنْ أَصْحَابِ

رَسُولِ اللهِ أَجْمَعِينَ ❀ وَكَانَ زِيَادُ بْنُ الْمُغِيرَةِ وَجَمَاعَتُهُ
نَازِلِينَ فِي أَمَاكِنِهِمْ قَرِيبًا مِنْ طَنْبَدِي كَمَا ذَكَرْنَا
حَوْلَ الْبَلَدِ الْمَعْرُوفِ بِدَرُوطَ وَكَانَ زِيَادٌ صَدِيقًا ❀
لِلْأَمِيرِ سُلَيْمَانَ بْنِ خَالِدٍ فَأَرْسَلَ كِتَابًا بِالتَّعْزِيَةِ إِلَى خَالِدٍ

❀ يَقُولُ ❀

أَبَا سُلَيْمَانَ إِنَّ الدَّهْرَ أَفْجَعَنَا ❀ بِسَيِّدٍ كَانَ يَوْمَ الْحَرْبِ مِقْدَامَا ❀
مُجَنْدِلِ الضِّدِّ فِي الْهَيْجَا إِذَا حَمِيَتْ ❀ وَلِلْفَوَارِسِ يَوْمَ الْحَرْبِ خَصَّامَا ❀
يَا طُولَ مَا هَزَمَ الْأَعْدَا بِصَارِمِهِ ❀ وَنَالَهُمْ مِنْهُ تَنْكِيسًا وَإِرْغَامَا ❀
لَا يَمْلِكُ الضِّدُّ مِنْ أَبْطَالِنَا أَمَلًا ❀ إِنْ جَارَ سَاعِدُهُ الْقَمْقَامُ صَمْصَامَا ❀
كَأَنَّهُ اللَّيْثُ وَسْطَ الْغَابِ إِنْ وَرَدَتْ ❀ لَهُ الْعِدَا وَعَلَى الْأَشْبَالِ قَدْ حَامَا ❀
يَا عَيْنُ جُودِي عَلَيْهِ بِالدُّمُوعِ دَمًا ❀ وَانْدُبِي فَارِسًا قَدْ كَانَ ضِرْغَامَا ❀

والسيد الليث عبد الله قد حكمت ❀ فيه المنايا وحكم

الله قد داما ❀

نجل الفتى الفارس المقداد خير فتى ❀ قد كان في ملتقى

الأعداء هجاما ❀

فلما وصل الكتاب إلى خالد وكان نازلا ببقية الجيش
قريبا من الدير وهو يبث السرايا وأهل البلاد يأتونه بما
يصالحوا عليه من المال وغيره وقد جهز عبد الرحمن بن أبي
بكر وعبد الله بن عمر وعقبة بن نافع الفهري والزبير
بألف فارس إلى الفيوم وسيأتي ذكر ذلك إن شاء الله
تعالى ❀ فلما ورد الكتاب إلى خالد وقرأه سقط
مغشيا عليه ثم أفاق واسترجع وقال لا حول ولا قوة إلا بالله
العلي العظيم ❀ إنا لله وإنا إليه راجعون ثم قال اللهم إني
أحتسبت سليمان إليك اللهم اجعله فرطا وذخرا وأعقبني عليه
صبرا وأعظم لي بذلك أجرا ولا تحرمني الثواب برحمتك
يا أرحم الراحمين ❀ ثم قال والله لآخذن فيه منهم ألف
سيد من ساداتهم ولأقتلن فيه فرسانهم وقوادهم
وإنني أرجو أن آخذ بثاره قريبا إن شاء الله تعالى ولأقتلن

بطلوسهم

بطلوس هم أشر قتلة لعل أن يشفى بذلك غليل صدري
وحرارة كبدي وليكونن على يدي خراب
دياره وانهزام جيوشه وزوال ملكه وهطلت
مدامعه على وجنتيه محمرة كأنها الجمر ثم جعل
يسترجع ❀ ويقول ❀

جرى مدمعي فوق المحاجر مهمل ❀ وحر فؤادي من جوى

البين مشتعل ❀

وهد قواي يوم أخبرت نعيه ❀ فليت بشير البين لا كان

قد وصل ❀

لقد ذوب الأحشا وأجرى مدامعي ❀ وعن حر نيران

الفؤاد فلا تسل ❀

سأبكي عليه كلما علس المسا ❀ وما ابتسم الصبح المنير

وما ابتهل ❀

فقد كان بدرا زائد الحسن طالعا ❀ فأصبح بعد النور والزهر

قد أفل ❀

وكان كريم العم والخال سيدا ❀ إذا قام سوق الحرب

لا يعرف الوجل ❀

أحاطت به خيل اللئام بأسرهم ❁ وقد مكنوا منه المهند والأسل ❁

فوا أسفي لو أنني كنت حاضرًا ❁ بأبيض ماضي الجناحين مستطل ❁

لأتركهم وسط المعامع جثمًا ❁ عليهم تنوشُ الطير والوحش منجفل ❁

وحق الذي حجت قريش لبيته ❁ وأرسل طه المصطفى غاية الأمل ❁

لأقتل فيه منهم ألف سيد ❁ إذا سلم الرحمن واتسع الأجل ❁

قال وأقبلت الأمراء يعزون خالدًا رضي الله عنه ❁ ومدامعهم تفيض من عيونهم ويقولون له أعظم الله لك أجرًا وأعقبك عليه صبرًا وجعله لك غدًا في المعاد ذخرًا والله قد هدّ موته منا القوى ❁ وقد أذيب القلب من حشا شتنا واكتوى ❁ ونحن لمقتله ذاهلون فإنا لله وإنا إليه راجعون ❁ وكذلك المقداد يعزونه في ولده عبد الله ❁ وبلغ الخبر إلى عمرو بن العاص وهو بمصر فكتب لهما كتابًا بالتعزية وبلغ الخبر إلى عمر بن

الخطاب

الخطاب ❁ فاسترجع وأرسل هو وبقية الصحابة مثل علي بن أبي طالب وعثمان بن عفان وطلحة بن عبيد الله ومن كان من الصحابة بمدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم كتابًا إلى خالد بالتعزية وإلى المقداد ❁ فلما وصل الكتاب لخالد والمقداد فاطمأنوا لما في الكتاب من تعظيم الأجر والثواب رضي الله عنهم قال الراوي هذا ما جرى لهؤلاء ❁ وأما البطلوس لعنه الله فإنه لما تحقق مجيء العرب إلى مدينة البهنسا أخرج الأموال وفرقها وفتح خزائن السلاح ❁ وقاعاتها وفرق السلاح والعدد من اللبوس والدروع والجواشن والبيض والقسي والرماح والسروج واللجم وغير ذلك وفرقه على البطارقة وغيرهم من الجند وكان هناك بيت مقفول كما ذكرنا فيه صفة العرب وأسمائهم فأمر بفتحه وهو يظنه مالًا ❁ فمنعوه القسيسون والرهبان من ذلك فأبى ❁ ففتحه فلم يجد فيه إلا ما ذكرناه في أول الكتاب فتطير لذلك ❁ ودخل الكنيسة وجلس على سريره وجمع حوله البطارقة واستشارهم في أمره ❁ فقام شيخ كبير

راهب وكان منقطعا عنده مسموع الكلام سنه مائة
وعشرون سنة فقام وعليه جبة سوداء وعلى رأسه قلنسوة
وفي وسطه زنار وفي يده عكاز من الأبنوس مطعم
من العاج والذهب فتقرب من الهيكل وتكلم بكلام لا
يصغى ثم قال بعد ذلك يا أهل دين النصرانية وبني
ماء المعمودية قد كانت دولتكم قائمة وكلمتكم
مسموعة ما دمتم تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر
وتعدلون في الرعية وتأخذون للمظلوم حقه من الظالم
وتنصفون الضعيف من القوي وتواسون الفقير ولا
تمدون أيديكم إلى شيء من أموال الرعية وتنهون
عن الزنا فكانت الدولة لكم وقلوب الرعية
منجذبة إليكم وهي داعية لكم وكان
الملك باقيا عليكم والآن فلما لم تأمرون بمعروف
ولا تنهون عن منكر وظلمتم الرعية وجرتم في الأحكام
وحكمتم بغير الحق ولم تأخذوا للضعيف حقه من القوي
ومددتم أيديكم إلى أموال الرعية وفشت فيكم
المعاصي فتغيرت قلوب الرعية ومالت أيديهم بالدعا عليكم

بعد

بعد أن كانوا يدعوا لكم ودعا المظلوم مستجاب
وكثرة الظلم خراب فيوشك أن تنزع هذه النعمة من
أيديكم وتعود إلى غيركم بكثرة ذنوبكم وشؤم
معاصيكم وبدعاء المظلومين عليكم ولأجل ذلك سلط
الله العرب عليكم فملكوا بلادكم وقتلوا
رجالكم ونهبوا أموالكم وسكنوا في منازلكم
واستولوا على معاقلكم فتيقظوا الساعة من غفلتكم
وذبوا عن حريمكم وأولادكم ولا تطمعوا العرب
في جانبكم وهذه مقالتي لكم جميعا فلما
سمع البطليوس لعنه الله مقالة القس وما تكلم به
التفت إلى بطارقته وحجابه ونوابه وقال هل
سمعتم ما قاله لكم أبوكم قالوا سمعنا قال فما عندكم
من الرأي قالوا أيها الملك نحن معك وبين يديك ولقتال
العرب ولا نطمعهم فينا كما طمعوا في غيرنا وإن
غلبونا استنجدنا بالنصارى وعلونا على الأسوار وقاتلناهم
وقد أعددنا عندنا من الميرة والعلوفة ما يكفينا عشر
سنين أو أزيد وبلدنا حصين ولا نسلم أنفسنا ولا نكون

عارا عند الملوك ❁ قال فشكرهم على ذلك ووثب

قس آخر وكان يناظر ذلك القس في المعرفة ❁ وأخرج

كتابا عتيقا كان عنده في صندوق من الآبنوس مقفول لا

بالقفل من الفولاد ❁ وقال يا أهل دين النصرانية وبني

ماء المعمودية اسمعوا ما نصفه لكم العلما والكهان

والحكما أنه يبعث نبي في آخر الزمان يسمى محمد

ابن عبد الله من بني عبد مناف يموت أمه وأبوه ويكفله

جده وعمه يبعثه الله نبيا إلى جميع البشر ❁ مولده

بمكة ❁ ودار هجرته بطيبة ثم يقيم أياما ويتوفاه

الله عز وجل ثم يتولى الأمر من بعده رجل يسمى أبي بكر

الصديق ويغزو داه العرب به فخرا ويجهز العساكر

إلى الشام ثم لم يلبث إلا قليلا ويتوفى ويتولى الأمر من

بعده الرجل الأصلع الأحور ❁ المسمى بعمر وهو صاحب

الفتوح ❁ ومصبح الأعدا بأنشر صبوح ❁ تفتح على يديه

الأمصار ❁ ويبث سراياه في جميع الأقطار

وإنا نجد في الكتب القديمة أن هذه المدينة ❁ تفتح

على يد رجل أسمر ❁ وشجاع غضنفر ❁ فارس شديد

529

وبطل صنديد خالد بن الوليد ❁ فإن سمعتم ولتولي

قبلكم فاعقدوا مع هؤلاء العرب صلحا فإن الله وله لهم

ودينهم الحق ولو قاتلكم أهل المشرق والمغرب غلبوهم

ببركة نبيهم محمد صلى الله عليه وسلم ❁ قال فلما

سمعت البطارقة كلامه غضبوا غضبا شديدا وأرادوا

قتله فمنعهم البطلوس من ذلك والتفت إليه ❁ وقال له كأنك

خفت من سيوف العرب وأنا أعلم أن الرهبان والقسوس ❁

لا قلوب لهم لأنهم ليس لهم أكل إلا العدس والزيت

والليمون والأشيا الردية ولا يعرفون اللحم فلأجل ذلك

ضعفت قلوبهم وجبنوا عن الحرب والقتال ❁ فلولا مقامك من

قديم الزمان ورتبتك للملوك المتقدمة لبطشت بك

ولئن عدت إلى مقالتك هذه لأقتلنك شر قتلة ❁ قال

فسكت القس وخرج البطلوس من وقته وساعته ❁

وجلس في قصره ذات الأعمدة ❁ المتقدم ذكره ثم

استدعا ببطارقته وخلع الخلع وكتب الأعلام والصلبان

وأعرض جيشه فإذا هم ثمانون ألفا كارجا ❁ عن الشوقة

المقاتلة ففرح بذلك فرحا شديدا وسر سرورا وتعاظم

ثم استدعا ببطريق من بطارقته اسمه نابيل بن قعريا
وكان أحد جلساء التدبير وكان لا يقطع أمرا
دونه فخلع عليه ودفع له فلانين بطريقا وأمره
بملاقاة المسلمين ثم استفتا خواص دولته في الاقامة
في البلد أو الخروج إلى ظاهرها فقالوا له ذوو
الرأي من بطارقته أيها الملك إنك إذا أقمت في
البلد استضعفوا أمرنا وإذا كنت بجانب المدينة
لا تجسر العرب أن يصلوا إلينا ونجعل البلد خلف
ظهورنا ونقاتل من برا الأبواب ويساعدنا من على
الأبراج فإذا عظم الأمر لا ندخل إلا من أمر عظيم
فاستصوب رأيهم ثم إنه أمر الفراشين والخدمة
أن يخرجوا الخيام والسرادقات والقباب بظاهر
المدينة فأخرجوا السرادقات والخيام وأخرجوا
له سرادقا عظيما سعته سبعون ذراعا وارتفاعه
مثل ذلك على أعمدة من الخشب المصبغ بالذهب
والفضة وهو من الحرير الملون الأزرق والأحمر
والأصفر والأخضر والأبيض والأسود مقصبة

بقضبان

بقضبان الذهب والفضة مزمك باللؤلؤ وفيه تصاوير
من داخله وظاهره من جميع أجناس الطيور والوحوش
والكواكب وفرش فيه البسط الحرير الملونة ووضع
فيه المساند والوسائد وأطناب السرادق حرير ملون
يدقون لها متابت من عاج وأبنوس في حلق من ذهب
وفضة وعلق فيه قناديل بسلاسل من ذهب وفضة
بأجراص من لؤلؤ ووضع فيه سرير من خشب الساج
المنقوش المصبغ بالذهب الوهاج على قوائم برامين
من ذهب وفضة طوله سبعة أذرع وعرضه مثل
ذلك وارتفاعه مثل ذلك يصعد منه إلى كرسي
بدرج من خشب مصبغ من ذهب وفضة وعليه فرش
من الحرير ووسائد ومساند ونمارق وحوله
ثمانون كرسيا مصفحة تجلس عليها أرباب الدولة
وأصحاب الصولة وضرب حوله من الخيام
والسرادقات ما لا يوصف حدث بذلك جماعة
من الصحابة ممن شهد الفتح وعاين السرادق لما
هرب وتركه ودخل المدينة وكان السرادق

منصوبًا مقابل الباب البحري المعروف بباب قندوس
وضرب لبطريق من خواصه إسمه سمعان بن شاول
خيام وسرادقات ودفع له عشرة آلاف عند باب
الجبل ودفع لبطريق آخر إسمه خرفيل من بطارقته
عشرة آلاف وأنزله عند باب توما وهو الباب
القبلي ودفع لبطريق آخر إسمه إصطافين ثم أمره
أن يكون في الجانب الشرقي مقابل باب البحر
وكانت جدران المدينة في أصل البحر اليوسفي
والقلعة من الجانب الشرقي قريبًا من القناطر
على ساباط معقود على أعمدة من الحجارة فأمره أن
ينزل وحوله عشرة آلاف حول القلعة **قال**
هبار ابن أبي سفيان وسلمة بن هشام المخزومي
ما نزلنا على مدينة من مدائن الشام ورأينا أكثر
عددًا ولا زينة من مدينة البهنسا ولا أقوى
قلوبًا **ثم** أمر بكنيسة من الجانب المذكور
منقوشة بالذهب والفضة مرقومة ارتفاعها
عشرون ذراعًا وسعتها ثمانون ذراعًا فيها

تصاوير

تصاوير مدهونة مطلية بالذهب والفضة لها عجل وتجروها
بسلاسل فنصبت مقابل السرادق وكان هذه عادة
ملوك الروم إذا سافروا يفكونها ويحملونها فإذا نزلوا
أقاموها وإن كان المكان قريبًا جروها بالسلاسل
وقدمت الأعلام السود وأكثروا من الصلبان
ونصبوا العرادات والمنجنيقات على أعلى الأسوار وعلى
الأبراج فرزعوا الأبراج بجلود الأفيلة وصفحت
بصفائح الفولاذ ورتبوا الرماة بالمنجنيقات والسهام
وغير ذلك **قال الراوي** هذا ما جرى لهؤلاء
وأما الأمير غانم بن عياض الأشعري رضي الله عنه فإنه
لما قرب من البهنسا استشار أصحابه ثم قال لهم
تفرقوا وادعا بأبي ذر الغفاري وأبي هريرة الدوسي
ومعاذ بن جبل وسلمة بن هشام المخزومي ومالك
الأشتر وذو الكلاع الحميري ومعهم ألفين من
أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمرهم
بالنزول من الجهة الشرقية وإن قاتلوهم قاتلوهم
وينازلوا القلعة حتى يأخذوها وعدا الأمير

غانم من الجهة البحرية ومعه أصحاب الرايات من الأمرا
وفي الطليعة مثل هذه السادات رضي الله عنهم وهم
الفضل بن العباس بن عبد المطلب والفضل بن
العباس بن أبي لهب ومسلم وجعفر وعلي أولاد عقيل
ابن أبي طالب وعبد الله بن جعفر وزياد بن أبي لهب
وعبد الله بن العباس وشقران وصهيب موالي
رسول الله صلى الله عليه وسلم وتتابعت خلفهم
السادات وأصحاب المروءات مثل نعيم وهشام ابنا العاص
وهباد بن أبي سفيان وعبد الله بن عمرو الدوسي
وحسان بن النظر الطائي وجرير بن نفيل الحبري وسالم
ابن فرقد اليربوعي وسيف بن أسلم الطايفي ومعمر بن
خويلد السنبكي وسنان بن أوس الأنصاري ومخلد
ابن عون الكندي وزمعة بن مالك التيمي وميسرة
ابن مسروق العبسي والمسيب بن نجي الفزاري ومحكم بن
عدي النبهاني والمغيرة بن شعبة وبكر بن عبد الله التيمي
وراشد بن سعد وسعيد بن عمرو العدوي وجابر
ابن عبد الله الأنصاري والحارث بن ربعي الأنصاري

ومالك بن الحارث ورافع بن ميمون ويزيد بن عامر
وعبد الله بن أوس وعبد الله بن ظفير وأبو لبابة بن المنذر
وعوف بن سادة وعباس بن مرداس وعباس بن قيس
وعبد الله بن قرط وزيد بن خالد الجهني وعباد بن تميم
وظفر بن ضمرة وكعب بن عجرة وابن زيد الخيل وابن
عبد الله ومثل هاؤلاء السادات أصحاب الرايات
رضي الله عنهم أجمعين وتتابعت الكتايب يتلوا
بعضها بعضا وعدو الله إلى الجانب الغربي فبينما هم
يسيرون وإذا بعدو الله قابيل قد أقبل بالبطارقة
المقدم ذكرهم فلما التقى الجمعان عند سفح
الجبل تحت المغارة أشار إلى أصحابه فأمسكوا عن
المسير وتقدم على رابية عالية وإلى جانبه فارس من
العرب المتنصرة ونادى برفيع صوته قربوا إلى
البطليق رجلا منكم ذو خبرة يكلمه فوثب
إليه جرير بن نفير الحميري وأتى إلى غانم وقال أيها
الأمير أنا أكلمه قال له غانم قل له إن طلبوا الصلح
ورفعوا القتال صالحناهم حتى يحضر الأمير خالد ويفعل

أَمْرُهُ وَإِنْ أَسْلَمُوا تَرَكْنَاهُمْ وَإِنْ أَرَادُوا الْقِتَالَ قَاتَلْنَاهُمْ
وَاسْتَعَنَّا بِاللهِ وَحَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ قَالَ الرَّاوِي
فَعِنْدَهَا سَارَ جَرِيرٌ حَتَّى وَقَفَ بِإِزَاءِ الْبِطْرِيقِ وَقَالَ لَهُ
قُلْ حَاجَتَكَ قَالَ أَنْتَ أَمِيرُ الْقَوْمِ قَالَ لَا وَلَكِنِّي مُتَكَلِّمٌ
عَنِ الْأَمِيرِ فَقَالَ لَهُ بِلِسَانِ الْعَرَبِيَّةِ لِمَ تَرَكْتُمْ بِلَادَ
الشَّامِ وَالنِّعَمِ الْعِظَامِ وَأَتَيْتُمْ إِلَى هَذِهِ الْبِلَادِ وَقَدْ
كُنْتُمْ بِالْحِجَازِ تُقَاسُونَ جُوعًا وَعُرْيًا فَذُقْتُمْ فَوَاكِهَ
الشَّامِ وَثِمَارَ الْحِجَازِ وَخَيْرَاتِ الْيَمَنِ فَلَمْ يَكْفِيكُمْ ذَلِكَ
حَتَّى أَتَيْتُمْ إِلَى مِصْرَ وَقَهَرْتُمُ الْقِبْطَ وَمَلَكْتُمْ بِلَادَهُمْ
وَلَمْ يَكْفِيكُمْ ذَلِكَ حَتَّى أَتَيْتُمْ إِلَيْنَا وَهَجَمْتُمْ عَلَيْنَا فِي
بِلَادِنَا وَقَتَلْتُمْ أَبْطَالَنَا وَنَهَبْتُمْ أَمْوَالَنَا وَنَحْنُ نَتَغَافَلُ
عَنْكُمْ وَنُهْمِلُ أَمْرَكُمْ حَتَّى غَلُظَتْ شَوْكَتُكُمْ
وَقَصَدْتُمْ مَدِينَتَنَا الَّتِي هِيَ دَارُ مُلْكِنَا وَمَحَلُّ حُكْمِنَا
وَقَدْ طَلَبَهَا قَبْلَكُمُ الْفَرَاعِنَةُ وَالْجَبَابِرَةُ وَالْقِبْطُ فَعَجَزُوا
عَنْ ذَلِكَ وَلَمْ نُعْطِ لِأَحَدٍ مِنَ الْمُلُوكِ ضَيْعَةً وَإِنَّ الْمُقَوْقِسَ فِي
أَيَّامِ وِلَايَتِهِ كَانَ يَجْبِي الْخَرَاجَ لِقَيْصَرَ فَلَمْ يَتَجَاسَرْ
عَلَيْنَا وَلَمْ يَكْتَفِي شَرَّنَا وَكَذَلِكَ قَيْصَرُ مَلِكُ الرُّومِ

كاتبه

كَاتَبَهُ الْمُقَوْقِسُ عَنَّا مِرَارًا وَهُوَ يَتَغَافَلُ عَنَّا كُلُّ ذَلِكَ
لِاكْتِفَاءِ شَرِّنَا وَأَنْتُمْ فَقَدْ هَجَمْتُمْ عَلَيْنَا وَمَلَكْتُمْ بِلَادَنَا
وَقَتَلْتُمْ رِجَالَنَا وَلَا يَمْنَعُ الْمَلِكَ عَنْ ذَلِكَ إِلَّا اسْتِحْقَارُهُ بِكُمْ
فَأَبَى أَنْ يَخْرُجَ إِلَيْكُمْ فَقُولُوا لَنَا مَا الَّذِي تُرِيدُونَ مِنَّا
فَإِنْ كُنْتُمْ تُرِيدُونَ مِنَّا مَالًا وَتَرْجِعُونَ عَنَّا قُمْتُ أَنَا عِنْدَ
الْمَلِكِ بِذَلِكَ وَتَرْجِعُونَ عَنَّا وَتَرُدُّونَ لَنَا مَا مَلَكْتُمْ
مِنْ بِلَادِنَا وَإِنَّ الْمَلِكَ لَا يُخَالِفُ لِي أَمْرًا وَإِنْ كَانَ غَيْرَ
ذَلِكَ مَا الَّذِي تُرِيدُونَ وَمَا الَّذِي تَطْلُبُونَ فَقَالَ
لَهُ جَرِيرٌ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فَرَغْتَ مِنْ كَلَامِكَ قَالَ نَعَمْ
فَقَالَ لَهُ جَرِيرٌ خُذْ جَوَابَ حَدِيثِكَ أَمَّا قَوْلُكَ كُنَّا
فِي ضِيقِ حَالٍ فَهُوَ كَمَا ذَكَرْتَ فَأَنْعَمَ اللهُ عَلَيْنَا بِالْإِسْلَامِ
وَهُوَ أَوَّلُ نِعْمَةٍ ثُمَّ أَمَرَنَا بِالْجِهَادِ وَأَبَاحَ لَنَا أَمْوَالَ
الْمُشْرِكِينَ مَا دَامُوا لَنَا مُحَارِبِينَ وَأَمَرَنَا أَنْ نُجَاهِدَكُمْ
حَتَّى تُؤَدُّوا الْجِزْيَةَ أَوْ تُسْلِمُوا أَوْ نُقَاتِلَكُمْ حَتَّى يَحْكُمَ
اللهُ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ وَأَمَّا قَوْلُكَ إِنَّنَا نَرُدُّ لَكُمْ بِلَادًا
مَلَكْنَاهَا مِنْ بِلَادِكُمْ فَهَذَا أَمْرٌ لَا يَكُونُ أَبَدًا
وَلَوْ جُرِّعْنَا بِأَسْيَافِ الرَّدَى وَلَنُلْحِقَنَّ مَدِينَتَكُمْ بِهِمْ

إن شاء الله تعالى . وأما قولكم المال فليس هو عرضا لنا
ولا متاع الدنيا شهوتنا وإن بلادكم عن قريب تكون
لنا وأموالكم غنيمة لنا نتقاسمها فلما سمع البطريق
ذلك غضب غضبا شديدا وقال أنا كفو لكم دون الملك
ثم أمر أصحابه بالحملة على جرير قال جرير فما ألويت
عنان فرسي إلا والخيل قد ركبتني فعندها تواثبت
المسلمون واقتتلوا قتالا شديدا وتبادرت الرجال
وتجمعت الأبطال وزحفت الأقيال وتراشقوا بالنبال
وتضاربوا بالنصال وتطاعنوا بالعوال والتقى الجمعان
واصطدم الفريقان واشتد الزلزال وكثرت
الأهوال وقاتلت الفرسان وصالت الشجعان وولى
الجبان حيران فلله در المغيرة بن شعبة وعوف بن
ساعدة وعباد بن تميم والفضل بن العباس رضي الله
عنهم أجمعين لقد قاتلوا قتالا شديدا وأبلوا بلاء
حسنا ولم يزل القوم في قتال شديد وأمر عتيد من
ارتفاع الشمس إلى قرب الغروب فعندها وثب
عبد الله بن جعفر إلى قابيل وضربه ضربة فحاد عنها

عدو الله وولى منهزما وجماعة من الروم عصبة نحو
ثلاثمائة فارس ولم يزالوا الفريقان في قتال ونزال
حتى غابت الشمس وافترق الجمعان وقد قتل من المسلمين
نحو خمسين رجلا ختم الله لهم بالشهادة الأعيان منهم
عمارة بن نافع الدوسي وسالم بن عمار اليشكري
وهلال بن وهب اليربوعي ويسار بن مسروق الحميري
وعامر بن جابر السكاكي والبقية من أخلاط الناس
وقتل من الروم نحو ألفي فارس قال وصبروا أعداء الله إلى
الليل وفروا تحت الليل حتى أتوا إلى البطلوس فلما
رآهم وبخهم توبيخا عظيما وقال لهم بأي وجه
تفرون من العرب ولم تصبروا لهم يوما وقد فشلتم
وجزعتم فقال له قابيل أيها الملك ليس الخبر كالعيان
وهؤلاء ليس بإنس وإنما هم يشبهون الجان ولولا
الأجل حصين ما كنت عدت إليك وإنهم قوم لا يهابون
الموت ولا يخافون الموت فغضب الملك وقال
اسكت لا لقيت خيرا وقد تمكن الرعب في قلبك وسترى
ما يكون ثم باتوا في قلق شديد حتى أصبح الله

بالصباح ولم يأمر قومه بالركوب وقال امهلوا حتى أنظر ما
يكون في أمرهم قال الراوي ولما أصبح المسلمون
صلوا صلاة الصبح ثم تبادروا إلى خيولهم فركبوها
فلم يجدوا لأعداء الله أثرا وتيقنوا أنهم قد انهزموا
ومضوا إلى مدينتهم فسار المسلمون حتى وصلوا قريبا من
البهنسا ولاحت لهم المضارب والخيام والسرادقات
والأعلام قال الراوي حدثنا قيس بن منهال
عن عامر بن هلال عن ابن زيد الخيل قال لما أشرفنا على
البهنسا ورأينا تلك المضارب والخيام والقباب والصلبان
والأعلام المرفوعة قال عامر رضي الله عنه اللهم أخزهم
وانصرنا عليهم اللهم أحصهم عددا واقتلهم بددا
ولا تبق منهم أحدا واخزهم وانصرنا عليهم إنك على كل
شيء قدير وأمن المسلمون على دعائه قال ورأينا مدينة
مشيدة الأركان عالية الجدران حصينة الأسوار
منيعة الأبراج شديدة البياض وحولها تلك الخيام
والمضارب المضروبة بعضها في بعض فلما أقبلنا كبرنا
وهللنا فخرجوا إلى ظاهر الخيام وبأيديهم

السيوف

السيوف والدرق والقسي والنبال ورأينا خلقا كثيرة
على الأبراج بالسيوف المجردة والدرق المكبكبة
والقسي والسهام والمنجنيقات ولم يكترثوا بنا وأراد
جماعة من فتيان العرب الحملة عليهم فمنعهم الأمير عامر
وبقية الأمراء من ذلك وقال لا حملة إلا بعد إعذار
وإنذار ثم لم يأتوا إلينا ولم يبينوا شونا واستقلوا بنا في
أعينهم قال الراوي ونزلت المسلمون بجانب
الجبل عند الكثيب الأصفر قريبا من البنيان الذي
على القارة بحري المدينة هذا ما جرى لهؤلاء
وأما أبو ذر الغفاري وأبو هريرة الدوسي ومعاذ
ابن جبل وسلمة بن هشام ومالك الأشتر وذو الكلاع
الحميري فإنهم ساروا حتى نزلوا قرب القوم وباتوا
تلك الليلة فلما أصبحوا خرجت أعداء الله إلى قتالهم
قال مالك الأشتر رضي الله عنه يا قوم إن أعداء الله
خرجوا إلى قتالكم فاشغلوهم بالقتال وأرسلوا فئة
منكم يقطعون الجسر فعندها خرج المرزبان ومعه
جماعة نحو ثلاثمائة فارس حتى وصلوا إلى الجسر

واستعانوا بالله والحجارة تتساقط عليهم من أعلى الصور
حتى قطعوا الجسر وجعلوا على أماكن المخاضات حراسا
بسيوف مجردة واقتتل القوم قتالا شديدا وبقوا في
القتال سبعة أيام وكلما أتوا إلى مكان المخاضات
وجدوها مربوطة وصار كل ليلة يهرب منهم
جماعة ويسارقون على وجوههم وخرج منهم
جماعة وساروا بليل يريدون الصعيد فتلقاهم
رافع بن عمير وسرية من أصحاب قيس بن الحارث
عند البلد المعروف بإذفاق وكانوا حول
البحر اليوسفي يشنون الغارة على ذلك السواد
وساحل البحر اليوسفي فبينما هم يسيرون إذ سمعوا
دوي الخيل وقعقعة اللجم فظنوا أنهم مسلمون
وكلموهم فلم يكلموهم وساروا فلحقوهم
وحملوا عليهم وكانوا نحو سبعمائة فارس نفروا
من بين أيديهم فتبعوهم وقتلوا منهم نحو المائتين
وأسروا الباقين وجاء جماعة إلى المخاضات فقتل
منهم نحو المائة وقتل من المسلمين نحو ثلاثة عند

مخاض مقبلي كان هناك واستأسروا الباقين وسألوهم
عن ما خروجهم فأخبروهم أنهم خرجوا يريدون الهرب
فعند ذلك أوثقوهم كتافا وأتوا بهم بكتافهم
فعند ذلك أمر قيس بن الحارث رضي الله عنه الأمير
عمرو بن مالك أن يأخذ معه ثلاثمائة فارس ويجهز
الأسارى حتى يأتي بهم إلى أصحاب رسول الله صلى الله عليه
وسلم فأخذوهم وساروا فما طلعت الشمس إلا وهم
عند القلعة فأعلنوا بالتهليل والتكبير والصلاة
على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأقبلوا نحوهم
فوجدوا الأسارى معهم ففرحوا بذلك فرحا شديدا
ثم أعرضوا على الأمراء المقدم ذكرهم فأعرضوا
عليهم الإسلام فامتنعوا من ذلك فضربوا أعناقهم
والروم ينظرون إلى ذلك ثم رجعت عليهم الأمراء
براياتهم واقتتلوا قتالا شديدا وحمي الحرب
وكثر الطعن والضرب وقاتلت الأمراء قتالا شديدا
من ارتفاع الشمس إلى وقت صلاة العصر فعندها
أجادت الأمراء وفشى القتل في الروم فلما رأوا ذلك

وَلَّوُا الأَدْبَارَ وَصَعِدُوا إِلَى القَلْعَةِ وَغَلَّقُوا الأَبْوَابَ وَاسْتَعَدُّوا
لِلْحِصَارِ وَنَصَبُوا آلَةَ القِتَالِ قَالَ الرَّاوِي هَذَا مَا جَرَى
لِهَؤُلَاءِ وَأَمَّا الْمُسْلِمُونَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ فَإِنَّهُمْ نَزَلُوا فِي سَفْحِ
الْوَادِي فِي الْمَكَانِ الْمَنِيعِ مِنَ الْجِهَةِ الْبَحْرِيَّةِ وَالْجِهَةِ
الْغَرْبِيَّةِ فَلَمَّا جَاءَ اللَّيْلُ أَوْقَدُوا نِيرَانَهُمْ وَاجْتَمَعَ
كُلُّ قَبِيلَةٍ إِلَى بَنِي عَمِّهِمْ يَقْرَؤُونَ الْقُرْآنَ وَيُصَلُّونَ عَلَى
مُحَمَّدٍ أَشْرَفِ وَلَدِ عَدْنَانَ وَمَا فِيهِمْ إِلَّا رَاكِعٌ وَسَاجِدٌ
وَدَاعٍ إِلَى اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَعَلَّ اللهَ أَنْ يَنْصُرَهُمْ عَلَى
عَدُوِّهِمْ وَبَاتَتِ الرُّومُ الْكِلَابُ يَشْرَبُونَ الْخُمُورَ
مِنْ دَاخِلِ الْمَدِينَةِ وَمِنْ خَارِجِهَا وَيَضْرِبُونَ بِقُرُونِهِمْ
وَنَوَاقِيسِهِمْ وَقَدْ أَعْلَنُوا بِكَلِمَةِ كُفْرِهِمْ حَتَّى
ضَجَّتْ أَهْلُ الْبَهْنَسَا مِنْهُمْ وَاسْتَغَاثَتْ إِلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ
فَنَادَاهَا بِلِسَانِ الْقُدْرَةِ اسْكُنِي يَا بَهْنَسَا فَوَعِزَّتِي
وَجَلَالِي لَأُهْلِكَنَّ الطُّغَاةَ وَالْجَبَابِرَةَ وَالْكَفَرَةَ مِنْكِ
وَلَأُسْكِنَنَّكِ قَوْمًا يُوَحِّدُونِي وَيَحْمَدُونِي وَيُ
وَيُهَلِّلُونِي وَيُمَجِّدُونِي مِنْ خِيَارِ خَلْقِي وَلَأَمْلَأَنَّكِ مِنْ
أَهْلِ الْإِيمَانِ وَلَأُهْلِكَنَّ أَهْلَ الْكُفْرِ وَالطُّغْيَانِ

وَلَأَجْعَلَنَّ تِلْكَ الْبِيَعَ مَسَاجِدَ لِلصَّالِحِينَ وَالصَّالِحَاتِ
وَالْجُمَعِ وَالْجَمَاعَاتِ فَلَمَّا سَمِعَتِ الْأَرْضُ بَكَتِ الْأَقْطَارُ
مِنْ قِبَلِ رَبِّ الْأَرْبَابِ وَانْتَشَرَتْ فَرَحًا وَطَرَبًا وَتَأَهَّبَتْ
عُجْبًا وَعُجْبًا وَبَقِيَتْ مُنْتَظِرَةً لِوَعْدِ رَبِّهَا لِيُزِيلَ
كَرْبَهَا فَلَمْ يَكُنْ غَيْرَ قَلِيلٍ حَتَّى أَزَالَ اللهُ عَنْهَا أَهْلَ
الْكُفْرِ وَالطُّغْيَانِ وَعَبَدَةَ الْأَصْنَامِ وَأَسْكَنَهَا
خَيْرَ الْأُمَّةِ الْأَخْيَارِ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ
أَصْحَابَ مُحَمَّدٍ الْمُخْتَارِ وَصَارَتْ تِلْكَ الْبِيَعُ مَسَاجِدَ
لِلصَّلَوَاتِ وَزَوَايَا وَرِبَاطَاتٍ وَبُدِّلَتْ تِلْكَ
الْكَنِيسَةُ بَعْدَ هَدْمِهَا بِجَامِعٍ عَظِيمِ الْمِقْدَارِ لِإِقَامَةِ
الصَّلَاةِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ وَجُعِلَتْ تِلْكَ الْبَرِّيَّةُ
مَدَافِنَ لِلسَّادَةِ الشُّهَدَاءِ الْأَخْيَارِ وَصَارَ عَلَيْهَا بَعْدَ
الظُّلَمِ أَنْوَارٌ وَصَارَتْ زِيَارَتُهَا تَحُطُّ الْخَطَايَا وَالْأَوْزَارَ
لِمَا فِيهَا مِنَ الْخَيْرَاتِ الْغِزَارِ وَبِمَنْ سَكَنَهَا مِنَ الْأَئِمَّةِ
الْأَطْهَارِ وَنَرْجِعُ إِلَى مَا كُنَّا فِيهِ مِنْ ذِكْرِ الْفُتُوحِ
قَالَ الرَّاوِي وَلَمَّا أَصْبَحَ اللهُ بِالصَّبَاحِ صَلَّتِ
الْمُسْلِمُونَ صَلَاةَ الصُّبْحِ وَجَلَسُوا يَنْتَظِرُونَ مَا يَكُونُ مِنْ

أمر الروم وإذا بقس قد أقبل راكبا على بغلة وعليه
مدرعة من شعر وقلنسوة وزنار فسار حتى قرب
من العسكر ثم تكلم بلسان العربية وقال
يا مسلمين أريد أمير العرب **قال الراوي** حدثنا
قيس بن شماس عن كعب بن همام عن شداد بن أوس
وكان من أصحاب الرايات قال بينما نحن جلوس
نتحدث مع الأمير غانم بن عياض رضي الله عنه
إذ أقبل عبد الله بن عاصم وأخبر عن ذلك القس قال
فأذن له الأمير غانم بالدخول فدخل عليهم فوجد
الأمير غانما جالسا في خيمته على فراش من أدم حشوه
ليف وفرش المشركين مطوية لم يلتفت إليها
وحوله السادة الأمرا رضي الله عنهم مثل الفضل بن
العباس بن عبد المطلب وابن عمه الفضل بن العباس
ابن أبي لهب وعبد الله بن جعفر بن أبي طالب
وعبد الله بن العباس وجعفر ومسلم وعلي أولاد
عقيل بن أبي طالب وزياد بن أبي سفيان بن الحارث
ابن عبد المطلب وأسامة بن زيد بن حارثة

وأبو لبابة بن المنذر والوليد والحسن أولاد عقبة بن
أبي معيط وأبو أيوب الأنصاري وثوبان وفضالة بن
وواثلة بن الأسقع ووائل بن حجر والأشعث بن قيس
وأوس بن حذيفة الثقفي وعبد الله بن أبي أوفى
وعمران بن حصين وجرير بن عبد الله البجلي وزيد
ابن أرقم والبراء بن عازب وزيد بن ثابت
وأبي قتادة وأبي مسعود البدري وجندب بن
عبد الله وعثمان بن أبي العاص وعمرو بن [illegible]
البكري وعبد الله بن يزيد وسمرة بن أبان
وابن هلب الطائي وأبو رزين العقيلي ومعوية بن الحكم
والمغيرة بن شعبة الثقفي وبقية الأمرا كلهم
جالسون حول الأمير غانم وهو جالس كأحدهم
وسيوفهم على أفخادهم وعليهم هيبة ووقار
فلما دخل القس ورآهم إذا هش وحار واحتد
الأبصار ثم التفت يمينا وشمالا وقال يا قوم أيكم
الأمير حتى أكلمه فإني أراكم كلكم
سادات وعليكم هيبة ووقار قال فأشاروا إلى الـ

الأمير غانم ❀ ثم التفت القس إليهم وقال يا قوم أما فيكم
أمير تولونه قال نعم هكذا أبو عبيدة أمنا على طاعة
الله ورسوله ❀ فقال له القس إن الملك البطليوس
قد أرسلني إليكم يريد منكم من ذوي الرأي
والخبرة جماعة يسألهم عن أمرهم فلعل أن يكون
سببا لانفصال الحرب ما بيننا وبينكم قال فعند ها
التفت [illegible] إلى أصحابه وقال ما تقولون فيما أتاكم
به هذا القس ومن ينطلق إليه ويخاطبه ويعود إلينا
قال الراوي فوثب المغيرة بن شعبة رضي الله عنه وقال
أنا أمضي إليه وأريد معي عشرة رجال من الأمراء من
ذوي الشوكة والبأس فقال له غانم اختر من
شئت وفقك الله وسددك وأعانك وردك علينا
سالما غانما قال فالتفت إلى ورائه وقال أين سعيد
ابن عبد القاري أين أبو أيوب بن خالد بن زيد
الأنصاري أين زيد بن ثابت الأنصاري أين
مسعود البدري أين جبير بن مطعم ❀ أين أبو ذر بن
العقيلي ❀ أين معوية بن الحكم الثقفي ❀ أين

عمران

عمران بن حصين أين زيد بن أرقم قال فأجابوه
بالتلبية ❀ وقال خذوا أهبتكم وانطلقوا معي على
بركة الله وعونه ❀ قال فبادروا ولاء السادات
رضي الله عنهم إلى خيمتهم ولبس كل واحد درعه
وتنكبوا جحفهم وتقلد كل منهم بسيفه واعتقل
رمحه وأخذ عبده خلفه على بغلته قال الراوي
ثم إن المغيرة رضي الله عنه دخل إلى خيمته ولبس درعه
وشد وسطه بمنطقة من الأديم مطلية بفضة فيها
خنجران واحد عن اليمين وآخر عن الشمال محلون
بالفضة وتقلد بسيف مجوهر واعتقل برمح أسمر
وركب فرسه الدهما وأخذ معه عبده مباركا
راكبا على بغلته الشهبا وركب القوم خيولهم
وودعوا الأمراء ❀ والأمير غانم رضي الله عنه ثم التفت
إليهم الأمير غانم وقال للمغيرة رضي الله عنه اعرف يا ابن
شعبة ما تكلم هذا الملعون فما عهدتك إلا دهقانا
فادعوه إلى الإسلام فإن أجاب فله ما لنا وعليه ما علينا
وملكه باق له ونترك عنده من يعلمه هو وقومه شرائع :

الإسلام وما فرض عليهم من الصلاة والزكاة والحج والصيام وما أبيح من حلال وما حرم من حرام فإن أبى فالجزية في كل عام فإن أبى فالقتال بحد الحسام ونرجو النصر من عند الملك العلام بجاه محمد خير الأنام قال فقال المغيرة أرجو من الله الملك الوهاب المعونة في رد الجواب وسارت الأمرا والفتى أمامهم راكب على بغلته وعبيد هم خلفهم على بغالهم وكل عبد عليه درع متقلد بسيف متنكب بحجفته قال الراوي وساروا وهم يعلنوا بالتهليل والتكبير والصلاة على البشير النذير قال زيد بن ثابت ولما فارق القوم الأمير غانما رضي الله عنه نظرت إليه وعيناه تذرف بالدموع حتى بلت لحيته وهو يقرأ القرآن فقلت أيها الأمير ما هذا البكا فقال لي يا ابن ثابت هؤلاء والله أنصار الدين فإن أصيب رجل منهم في إمارة غانم فما يكون عذري عند الله عز وجل قال الراوي وسار المغيرة وأصحابه قليلا ثم أشرفوا على عسكر العدو فإذا هو ملأ الأرض وهو نازل حول المدينة يعني البهنسا

والحديد يلمع في عساكرهم كأنه الشعاع فصاح المغيرة ومن معه يقولون لا إله إلا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم فبينما هم كذلك إذ أقبل عليهم بطريق من البطارقة ومعه رجل من متنصرة العرب راكب إلى جانبه ومعهما نحو المائة فارس فلما رأوا معهم وهم يمرون على كراديس من الروم على أبواب الخيام والمضارب وقد أظهروا زينتهم وبأيديهم السيوف المحلاة والدبابيس المذهبة والدرق الملوكية والمغيرة رضي الله عنه مطرق رأسه وأصحابه لا يفكرون في عدد القوم ولا حسن عددهم وسلاحهم ولا ما أظهروا من زينتهم حتى وصلوا إلى قريبا من سرادق الملك ولاح لهم البطليوس وهو جالس على سرير فعند ذلك خرجت إليهم الحجاب والنواب وأرباب الدولة وأصحاب الشوكة وقالوا لهم قد بلغتم بساط الملك فانزلوا عن خيولكم وانزعوا سيوفكم فقال المغيرة أما خيولنا فننزل عنها وأما سيوفنا فلا ننزعها لأنها عزنا وما كنا بالذي ننزع عزنا الذي افتخر به دهرنا قال فأخبروا الحجاب

الملك بذلك فقال ادخلوهم بخيولهم فنادتهم
الحجاب ادخلوا **قال الراوي** فعند ذلك ترجل أصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم عن خيولهم وأقبلوا
يتبخترون في مشيتهم ويجرون حمايل سيوفهم
ويخترقون صفوف الحجاب والبطارقة ولا يصدونهم
إلى أن وصلوا إلى باب السرادق فدخلوا حتى وصلوا
إلى النمارق والفرش الديباج والملك جالس على
سريره فلما نظر المسلمون رضي الله عنهم إلى تلك
الزينة عظموا الله تعالى وكبروه فارتج السرادق لدوي
وتغيرت ألوان القوم وصاح بهم الحجاب والنواب
الأرض للملك فلم يلتفتوا لذلك فقال المغيرة بن شعبة
رضي الله عنه لا ينبغي السجود إلا للملك المعبود و[illegible]
كانت هذه تحيتنا فلما بعث الله محمدًا صلى الله
عليه وسلم نهينا عن ذلك ولا يسجد بعضنا لبعض قال
فسكتوا ثم أمر الملك بكراسي من ذهب وفضة
وطرحت لهم فلم يجلسوا عليها وكانوا لقواعد دخولهم
يزيلون ما يجدون عليه من فرش الديباج فقال

لهم البطارقة قد أسأتم الأدب علينا لم تسجدوا والملك صاحبنا
وشوشتم علينا فقال المغيرة إن الأدب مع الله أفضل
من الأدب معكم والأرض أطهر من فرشكم لأن
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول جعلت لي الأرض مسجدًا
والتراب طهورًا وفي رواية قال الله تبارك وتعالى
منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة
أخرى **قال الراوي** لم يكن بين البطلوس وبين
الصحابة رضي الله عنهم ترجمان لأنه كان أعرف
الناس بلسان العربية قال فعند ذلك أمرهم بالجلوس
فقال المغيرة إما أن تنزل عن سريرك هذا وتكون
معنا على الأرض أو تأذن لنا في الجلوس معك لأن الإسلام
شرفنا الله به قال فأشار لهم بالجلوس معه على السرير
بعد أن أزالوا تلك الفرش وجلس المغيرة إلى جانبه
ثم التفت البطلوس لعنه الله إليهم وقال لهم أيكم المتكلم
عن أصحابه فأشاروا إلى المغيرة رضي الله عنه [illegible]
والصحابة رضي الله عنهم جلوس وأيديهم على مقابض سيوفهم
قال فالتفت البطلوس إلى المغيرة رضي الله عنه وقال له

ما اسمك قال عبد الله المغيرة فقال يا مغيرة إني أكره
أن أبتدي لك بالكلام ۞ فقال له المغيرة تكلم بما شئت
فإن عندي لكل كلام جوابا فإن شئت تبتدئني أو أبتدئك
قال بل أبتدئك ۞ ثم أفصح في كلامه فقال الحمد لله ۞
الذي جعل سيدنا المسيح أفضل الأنبيا وملكنا أفضل
الملوك ونحن خير السادة وأراد أن يتم كلامه فقطع
عليه المغيرة ۞ فقالت الحجاب والنواب لقد أسأت الأدب
مع الملك يا أخا العرب فأبى المغيرة رضي الله عنه أن
يسكت وقال الحمد لله الذي هدانا إلى الإسلام وخصنا
من بين الأمم بمبعث محمد عليه أفضل الصلاة والسلام
فهدانا به من الضلالة وأنقذنا به من الجهالة وهدانا
إلى الصراط المستقيم ۞ فنحن خير أمة أخرجت للناس
نؤمن بنبينا وبنبيكم وبجميع الأنبيا وجعل أميرنا
الذي هو متولي علينا كأحدنا لو زعم أنه ملك
أو جار في حكم عزلناه عنا فلسنا نرى أن له فضلا
علينا إلا بالتقوى وقد جعلنا الله نأمر بالمعروف و
ننهى عن المنكر ونقر بالذنب ونستغفر منه ۞

ونعبد

ونعبد الله وحده لا شريك له ولو أذنب الرجل منا ذنبا
تبلغ ذنوبه مثل الجبال ثم تاب منها قبلت توبته فإن
مات مسلما فله الجنة ۞ قال فتغير لون البطلوس ثم سكت
قليلا وقال الحمد لله الذي ابتلانا فأحسن البلا إلينا ۞
وأغنانا من الفقر ونصرنا على الأمم وأعزنا فلا نذل
ومنعنا أن نضام فلسنا فيما أنعم الله علينا بطرين ۞ ولا
باغين على الناس ولقد كانت جماعة منكم قبل اليوم
يأتون إلى البلاد يعني بلادنا فيمتارون البر والشعير
وغيره فنحسن إليهم ونجيزهم وكانت العرب
تشكر لنا ذلك وأنتم جئتم لنا بخلاف ذلك ۞
تقتلون الرجال وتسبون النسا وتغنمون المال وتهدمون
المداين والقلاع والحصون والأطلال وتريدون أن
تخرجونا من ديارنا وتغلبونا عن بلادنا ولقد طلبنا
من هو أكثر منكم عددا وأموالا وسلاحا وظفرنا بهم
عليهم ورددناهم خاسرين وجلين بين قتيل وجريح
ولم نذعن لقيصر بهيبة ۞ ولا للمقوقس بخراج وملكنا
بلادنا بالسيف على رغم كل أحد ۞ وأنتم فلم تكن

أمة عندنا من الأمم أضعف حالا منكم لأنكم أهل
الشظف والوبر والتمر ۞ ومع ذلك تطمعون في بلادنا ۞
وأموالنا وحوالينا جنود كثيرة ۞ وشوكتنا شديدة
وعصبتنا عظيمة ۞ ومدينتنا حصينة ۞ وإنما جرأكم
علينا لأنكم ملكتم الشام والعراق واليمن والحجاز
وانقلبتم إلى بلادنا وأفسدتم كل الفساد ۞
وأخربتم المدائن والقلاع ۞ ولبستم ثيابا ليست
كثيابكم وتعرضتم لبنات الملوك ونسائهم البيض
الحسان فجعلتموهن خدما لكم وأكلتم طعاما طيبا لا
تعرفونه وملأتم أيديكم من الذهب والفضة والمتاع
الفاخرة واللآلي والجواهر ومعكم أموالنا وأمتعتنا
التي من قومنا وأهل ديننا ونحن نترك لكم ذلك
جميعه ولا ننازعكم فيه ۞ ولا نأخذ عليكم بما
تقدم من فعلكم من قتل رجالنا ونهب أموالنا ۞
والآن فارحلوا عنا واخرجوا من بلادنا ۞ وانصرفوا عن
مدينتنا وإن أبيتم وقتلنا عليكم وثبة تركناكم
كأمس الذي مضى ليس له عودة وإن جنحتم للصلح

فتحنا خزائن الأموال وأمرنا لكل رجل منكم بمائة دينار وثوب
حرير وعمامة مطرزة بالذهب ولأميركم هذا ألف
دينار ۞ ولكل أمير كذلك ألف دينار ۞ وللخليفة
عليكم عشرة آلاف دينار بعد أن نستوثق منكم بالأيمان
أنكم لا تعودوا تغزون على بلادنا ولا تقاتلونا هذا
كله والمغيرة رضي الله عنه ساكت حتى فرغ البطلوس
من كلامه فقال له المغيرة قد سمعنا كلامك
فاسمع كلامنا ثم قال الحمد لله الواحد الأحد الفرد
الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد
قال فقال البطلوس نعم ما قلت يا بدوي
فقال المغيرة وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له
وأشهد أن محمدا عبده ورسوله المرتضى ونبيه المجتبا
فقال البطلوس لعنه الله لا أدري أن محمدا رسول ولعله
كما ذكرت حسب الرجل دينه ثم التفت إلى المغيرة وقال
يا عربي أخبرني ما هي أفضل الساعات ۞ فقال المغيرة
رضي الله عنه ساعة لا تعصي الله فيها ۞ فقال له أصبت
يا أخا العرب ۞ ولقد بان رجحان عقلك ۞ فهل في قومك مثل

له رأى مثل رأيك وحزم مثل حزمك قال نعم في قومنا
وعسكرنا أكثر من ألف رجل لا يستغنى عن رأيهم
ومشورتهم وخلفنا أمثال ذلك وهم قادمون
إلينا عن قريب فقال البطلوس ما كنا نظن ذلك
منكم وإنما كان يبلغنا عنكم أنكم جماعة جهال لا
عقول لكم فقال المغيرة رضي الله عنه كنا كذلك حتى
بعث الله فينا محمدا صلى الله عليه وسلم فهدانا وأرشدنا
فقال البطلوس لقد أعجبني في كلامك فهل لك في
صحبتي فقال المغيرة رضي الله عنه يسرني ذلك إذا فعلت
ما أقول لك قال وما هو قال تشهد أن لا إله إلا الله وتشهد
أن محمدا رسول الله الذي بشر به عيسى فقال
البطلوس لا سبيل إلى ذلك ولكن أردت أن أصلح الأمر
بيني وبينكم فقال المغيرة رضي الله عنه الأمر لله أما
قولك إنا كنا أهل فقر وبؤس وضر فقد كنا كذلك
وكنا أهل جاهلية جهلا لا يملك الرجل منا غير سيفه ورمحه
وفرسه وإبله وكنا لا نأكل إلا أكلا ضعيفا ولا
يأمن بعضنا لبعض إلا في الأربعة الأشهر الحرم حتى

بعث الله إلينا نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم نعرف أصله
ونسبه رسولا صادقا مهديا إماما تقيا أظهر الإسلام
وكسر الأصنام ختم الله به النبيين وعرفنا عبادة
رب العالمين فنحن نعبد الله ولا نعبد من دونه أوثانا
ولا نتخذ من دونه وليا ولا نسجد إلا لله وحده لا شريك
له ونقر بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم وكان مما
أمرنا به أن نجاهد من كفر بالله واتخذ مع الله شريكا
جل ربنا وعلا وهو واحد قيوم لا تأخذه سنة ولا نوم
فمن اتبعنا كان من حزبنا وإخواننا وله ما لنا وعليه
ما علينا ومن أبى الإسلام فالجزية يؤديها إلينا عن يد
وهم صاغرون فإذا أداها حقن بها دمه وماله
وولده ومن أبى الإسلام والجزية فالسيف حتى يحكم الله
وهو خير الحاكمين وهي على كل محتلم في رأس
العام دينار وليس على من لا يبلغ الحلم جزية ولا على
امرأة ولا على راهب منقطع في صومعة فقال
البطلوس لقد فهمت قولك عن الإسلام فما قولك في
الجزية عن يد وهم صاغرون فإني لا أدري ما ا

الصغار عندكم فقال المغيرة رضي الله عنه وأنت
قائم والسيف على رأسك فلما سمع البطلوس كلام
المغيرة رضي الله عنه غضب غضبا شديدا ووثب فعندها
وثب المغيرة من موضعه وامتشق سيفه من غمده وفعل
أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كذلك وهم
يقولون لا إله إلا الله وحده لا شريك له محمد رسول الله
صلى الله عليه وسلم حدثني مسلم بن عبد الحميد
عن طارق بن هلال عن عبد الله بن رافع عن مسعود البدري
قال كنت مع المغيرة رضي الله عنه وجذبنا السيوف
ووثبنا على القوم وأخذتنا غيرة الإسلام وما كان
أعيننا من جيوش البطلوس شيء وقد علمنا أن الحشر من
ذلك الموضع فلما رأى البطلوس ذلك منا وتبين له
الموت من شعار سيوفنا فنادى مهلا يا مغيرة ولا تعجل
فتهلك وأنا أعلم أنك رسول والرسول لا يجب عليه القتل
وإنما تكلمت بما تكلمت أختبركم وأنظر ما عندكم
والآن فما أواخذكم فاغمدوا سيوفكم قال
فأغمدنا سيوفنا وتقدم المغيرة حتى صار في مكان

البطلوس وزحزحه إلى آخر السرير وكان المغيرة رضي الله
عنه رجلا جسيما فاتكى عليه حتى كاد يخلع فخذه من
مكانه قال ثم التفت إلى المغيرة وقال فما قولكم في
المسيح ابن مريم قال له المغيرة عبد الله ورسوله قال
فمن أين خلق قال خلقه الله من تراب ثم قال له كن فكان
ودل على ذلك القرآن قوله عز وجل إن مثل عيسى عند الله
كمثل آدم خلقه من تراب قال فما الدليل على أن الله
واحد فقال له المغيرة القرآن العظيم قوله عز وجل على
لسان محمد صلى الله عليه وسلم قل هو الله أحد الله
الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد
فقال له البطلوس ما رأيت مثل جوابك يا أعور قال
وكان المغيرة رضي الله عنه أصيبت عينه يوم وقعة
اليرموك فقال له المغيرة إن ذلك لا يعيبني ولقد
أصبت في الجهاد في سبيل الله من كلب مثلك
فأخذت بثاري من ذلك فقتلته وقتلت جملة منهم
والثواب من الله عز وجل أعظم من ذلك فقال
له البطلوس ما أحذق جوابك فعل في قومك مثلك

قال قلت لك فينا أهل العلم والرأي من لا أساوي في علمهم
شيأً وأنا رجل بدوي ۞ فلو رأيت علي ابن أبي طالب
رضي الله عنه ووارث علم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقاتل
الكفار ۞ ومبيد الفجار ۞ الليث الكرار ۞ والبطل
الغوار قال هو معكم في هذا الجيش ۞ فقد سمعنا
بشجاعته وبراعته وقد أريد أن أنظر إليه ۞ فقال له
المغيرة قاتلك الله إن الإمام علي رضي الله عنه ۞ أعظم
قدراً من ذلك أن يسير بنفسه إلى كلب مثلك ۞ قال
فهل تخلى أحد غيره قال نعم مثل أمير المؤمنين عمر بن
الخطاب الذي هو خليفتنا ۞ وعثمان بن عفان
وعبد الرحمن بن عوف وسعد وسعيد وأبو عبيدة بن
الجراح وأمراء متفرقين في الحجاز واليمن والشام
والعراق ومصر كل أمير مقوم بألاف مثلك ۞ في
الشجاعة والبراعة وغير ذلك ۞ وأما سيف الله خالد بن
الوليد أمير هذا الجيوش ۞ ومعه عصابة من الأمرا
كأنك به وقد أقبل علينا بفرسان شداد ۞ وأمراء
أنجاد فقال له عند ذلك إني أريد أصلح الأمر

بيني

بيني وبينكم وأريد قبل الحرب أن أنظر الى جماعة من
ذكرت قال الراوي وكان عدو الله أراد الغدر
بأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وفهم ذلك منه المغيرة
فقال له في غداة غد ألقيك منهم برجال تنظر إليهم قال
ففرح عدو الله وأضمر المكر لأصحاب رسول الله صلى الله
عليه وسلم فرد الله كيده في نحره قال الراوي
ثم وثب المغيرة وأصحابه وما صدقوا بالنجاة وخرجوا من
عند البطلوس وقدم له جواده فركب ۞ وركبت
أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم خيولهم وأمر البطلوس
حجابه ونوابه أن يسيروا معهم إلى قريب من عسكرهم
قال ووصل المغيرة وأصحابه إلى الأمير غانم
ابن عياض وحدث بما جرى للأمرا رضي الله عنهم أجمعين
فقال غانم وحق صاحب الروضة والمنبر ما تركتكم
إلا خوفاً من سوء فكركم وهذا رجل حكيم إلا أن الشيطان
قد غلب على عقله قال الراوي ۞ وأخذ القوم
أهبتهم للحرب والقتال ولقاء العدو وأقبلت العرب
تحرض بعضها بعضاً للقتال ۞ وأخذوا أهبة الحرب

والقتال وظنوا أن العدو يصبحهم صباحًا قال الراوي
ولم يبت أحد تلك الليلة إلا وقد أخذ أهبته واستعدوا
للحرب فلما أصبح الله بالصباح أذن المؤذن في عسكر
المسلمين وأسبغوا الوضوء لصلاتهم ثم ركبت
الأمراء خيولهم وقد علموا أن عدو الله يريد أن يكيدهم
وعبوا صفوفهم وكانت الجواسيس من العرب من
هؤلاء يدخلون وينقلون الأخبار ووصلت العيون
للأمير فأتيهم وأعلموه بذلك وأن الروم متأهبون
للقتال واستعدوا كما ذكرنا ورتب غانم بن عياض
جيشه فجعل في الميمنة الفضل بن العباس بن عبد
المطلب وأخاه عبد الله بن العباس وأولاد عقيل وزياد
ابن أبي سفيان بن الحارث وأولاد بني هاشم وبني
عبد المطلب وجعل في الميسرة أبا أيوب الأنصاري
وثوبان وفضالة وواثلة والأسقع وعبد الله بن أبي
أوفى وجريرًا وزيدًا والبراء وعبد الله بن بديل
والمهلب وأبو زيد العقيلي ونظراءهم من الأمراء
وجعل في القلب القعقاع بن عمرو والتيمي والمسيب

ابن

ابن يحيى الفزاري وهشام بن العاص وعلوية بن الحكم
الثقلي ثم العباس بن مرداس وهبار بن أبي سفيان وذي
الجناح الأوفى عبد الله بن عمرو الدوسي وحسان
ابن النعمان الطائي وجرير بن نفيل الحميري وسالم
ابن ورقة اليربوعي وسيف بن أسلم الطائفي ومعمر
ابن خويلد السكسكي وسنان بن أوس الأنصاري
ومحلمس بن عوف الكندي وربيعة بن مالك التميمي
وبكر وراشد بن سعد وجابر بن عبد الله والحارث
ابن ربعي وقد اختصرنا في أسمائهم خوف الإطالة
حدثنا قيس بن عبيد حدثنا مالك بن رفاعة بن
سعيد بن عمرو الغنوي قال حضر أرض البهنسا نحو
عشرة آلاف عين رأت النبي صلى الله عليه وسلم وفيهم
سبعون بدريًا من الأمراء وأصحاب الرايات
نحو ألف وأربعمائة وقد دفن بأرض البهنسا من الصحابة
والسادات نحو خمسة آلاف وسيأتي ذكر ذلك
إن شاء الله تعالى قال الراوي وكان على الرجالة
معاذ بن جبل وعلى الساقة والنساء والصبيان سعد بن

عبس القاري والضحاك بن قيس قال الراوي
وصار الأمير غانم يتخلل الصفوف ويقول الله الله يا أهل
الإسلام إن الصبر عز والقتل غنم وإن الله مع الصابرين
وإن الصابرين هم الغالبون وإن الفشل والجبن شيئان
من أسباب الخذلان فمن صبر على السيوف فإنه إذا قدم
على الله أكرم منزلته وشكر سعيه والله يحب
الصابرين وصار يقول ذلك لأصحاب الرايات جميعهم
قال الراوي ثم فرغ غانم من تعبية العسكر
إلا والروم وعساكر البطالون قد أقبلت ومعهم
النصارى والفلاحون والعرب المتنصرة وأمامهم
صليب من الذهب الأحمر وزنته المسلمون بعد
الغنيمة فكان وزنه خمسة أرطال وفي أربع جوانبه
أربعة جواهر تضيء كالكواكب حدثنا سنان
عن ابن الحارث الهمداني عن شداد بن أوس وكان
ممن حضر الفتوح إلى آخره قال أقبلت الصلبان
علينا وأنا أعد صليبا بعد صليب حتى عددت ثمانين صليبا
تحت كل صليب ألف وأظهروا أيمانا بالصفوف

من الأقسة والرهبان وهم يتلون الإنجيل وأكثر
عدو الله في عسكره من الرايات والأعلام فبينما
الناس كذلك وإذا ببطريق قد أقبل عليه درع مذهب
ولامة حرب وصار يطمطم بلغته وطلب البراز فبرز
إليه فارس من الأوس فقتله وآخر فقتله وطلب
البراز فبرز إليه القعقاع بن عمرو التميمي وتعاركا
وتجاولا ثم طعنه القعقاع في صدره أخرج السنان
يلمع من ظهره وعجل الله بروحه إلى النار وبئس
القرار وخرج علج آخر وقد غضب لقتل صاحبه
وكان من أصحاب الجلوس على السرير عند الملك
وطلب البراز فبرز إليه رجل من الأزد فتلقاه غانم
ومنعه من ذلك وقال اذهب فلست كفوا له قال
فبرز إليه المسيب بن يحيى الفزاري فضربه ضربة
فتلقاها العلج بحجفته وضرب العلج المسيب فأحاده
ثم نظر أن أحدا يناوله سيفا فلم يجد فأراد
الرجوع وإذا بالقعقاع بن عمرو التميمي قد أقبل
وبيده سيفه وأشار به إليه ثم عطف وتناوله

فكر راجعا وضرب البطريق على عاتقه الأيمن أطلع
السنان من عاتقه الأيسر فانجدل صريعا يخور في دمه
وعجل الله بروحه إلى النار وبئس القرار فلما رأت
الروم ذلك حملوا على المسلمين حملة رجل واحد
واشتد القتال وعظم النزال وعدو الله البطلوس
في المقدمة راكب على جواد كان أهداه له
ملك صقلية والبربر يساوي خمس مائة مثقال من الذهب
وكان في أيام الحصار يصعد به ويرمح على أعلى سور
المدينة وسيأتي ذكر ذلك إن شاء الله تعالى وعلى
يده ذرع مذهب وفي وسطه منطقة من الجوهر
وعلى رأسه تاج تلمع جواهره كالكواكب
والأعلام والصلبان مشتبكة على رأسه والمدبجة
من حوله محدقة وقد حمل كردوس من الروم
على ميمنة المسلمين فصبرت لهم الصحابة رضي الله عنهم
ثم حمل كردوس آخر وكردوس آخر فلله در
الفضل بن العباس وابن عمه الفضل وأخيه عبد الله
وأولاد عقيل وعبد الله بن جعفر وسادات

بني هاشم لقد قاتلوا قتالا شديدا وأبلوا بلاء حسنا وتقدم
الفضل بن العباس إلى حامل الصليب وطعنه في صدره
أخرج السنان يلمع من ظهره وسقط الصليب منكسا
إلى الأرض فنظر إليه البطلوس وأيقن بالهلاك وهم
أن يأخذه فمال في ركابه فلم يجد سبيلا إلى ذلك
وأحاطت المسلمون به وصار الفضل وسادات بني هاشم
يدبون ويرجعون الروم عن الصليب ولما رأى
الفضل ازدحام النصارى والروم حمل عليهم حملة
منكرة وأسعده بالحملة بنو عمه والأمرا حوله
فتفرقت الروم وقتل منهم جماعة وازدحم المسلمون
على الصليب يريدون أخذه فقال لهم الفضل إنه لي
دونكم ثم عطف ومال في ركابه وأخذ الصليب
وكر راجعا إلى المسلمين وأسلمه لعبده مقبل وكان
راكبا مع المسلمين فأخذه ومضى إلى خيمة سيده قال
وحمل الفضل بن العباس ثانيا وحملت الأمرا واشتد
القتال وعظم النزال وسال الدما وكثر العرق
وازرقت الحدق قال الراوي ولما رأى عدو الله

البطلوس ذلك حمل على المسلمين ومعه طائفة من البطارقة
كردوس نحو خمسة آلاف وكانوا على جناح الميسرة
فقتلوا من المسلمين جماعة وأثخن جماعة بالجراح
وصبروا لهم صبر الكرام هذا والفضل تارة يكر
على اليمين وتارة يكر على اليسار وحملت الأمرا
جميعهم المقدم ذكرهم لله در القعقاع بن
عمرو التميمي والمسيب بن يحيى الفزاري والبراء بن
عازب ومعاذ بن جبل وابن ذليل الخيل لقد
قاتلوا قتالا شديدا وكذلك زياد بن المغيرة وأبوه
المغيرة رضي الله عنه والهبار بن أبي سفين والحارث
ابن ربعي لقد قاتلوا قتالا شديدا حتى كان الدم
على دروعهم كأكباد الإبل وتوسط المسلمون
كتيبة معهم بطريق عظيم الخلقة كأنه جبل
وحمل على سفينة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم
وأراد أن يضربه وسطا عليه وإذا ضربة قد أتته
من خلفه أردته عن جواده وسقط والرمح مشتبك
في أضلاعه وقد سمع خشخشة الرمح في عظم ظهره

ثم جذب الرمح وهو يخلق على الأرض ونزل جماعة
فأخذوا سلبه قال الراوي فتأملناه فإذا هو
زياد بن أبي سفيان رضي الله عنه فلما رأت الروم
ذلك حملوا حملة رجل واحد وقامت الحرب على ساق
وضربت الأعناق وشخصت الأحداق وتضاربوا
بالصفاح وتطاعنوا بالرماح واشتد الكفاح
وطمطمت الروم بلغتهم ولم يزالوا في قتال
ونزال حتى غابت الشمس وافترق الجمعان وقتل
من المسلمين نحو مائتين وخمسين ختم الله لهم
بالشهادة ونالوا السعادة من الأعيان منهم سالم بن
رافع وجندب بن مازن وابن المرقال بن هشام والحصين
ابن ثعلبة ونجاع بن ميسرة وحصن بن رفاعة
والحجاج بن سراقة والمنصور بن غالب والبقية من
أخلاط الناس وباتوا الفريقان يتحارسون
والمسلمون يفرقون المنازل ويصلون على محمد
أشرف ولد عدنان قال الراوي وإن المسلمين
أوقدوا النيران وألقوا المكان المعركة وميزوا

القتلى فلما رأت الأمرا ما حل بأصحابهم وأولادهم
بكوا وقالوا لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم
قال الراوي وقتل من المشركين قريب من ألفين
وخمسمائة وقتل من خيارهم وعظمائهم نحو عشرين
من أرباب الدولة وحاشية الملك وأصحاب السرير
فلما رأى البطليوس ذلك صعب عليه وكبر لديه
وجلس في سرادقه وجلس حوله أكابر دولته من
حجابه ونوابه وجاؤوا بالطعام والشراب فامتنع من
ذلك ثم التفت إلى حجابه وبطارقته ووبخهم توبيخا
وقال مثلكم لا يصلح لخدمة الملوك لما هذا الجبن
والفشل والخوف الذي دخل في قلوبكم وتريدون
أن تكونوا معتبرة عند الملوك بهذا لكم هذه فقالوا
أيها الملك إن هذا كان يوما ما أخذنا فيه أهبتنا
وما كنا نظن أن العرب فيهم هذه الشجاعة
قال فعند ذلك قال لهم فما عندكم من الرأي
أتركوهن بالعار والذل والشنار ولا سيما وقد أخذ
الصليب من بين أيديكم وخذلتموه وقد علتكم

الذلة فقالوا أيها الملك لا ترى منا بعد ذلك إلا ما
يسرك في غد نكمن لهم كمينا ونخرج إليهم
ونقاتلهم ويخرج عليهم الكمين ونأمر جماعة منا
يسلسلوا أنفسهم وهم الرماة كما عادة الروم يفعلون
ونقاتل ولا نمكنهم من مد يدنا ولو قتلنا عن آخرنا
فاستوثق بقولهم وشجعهم ثم كتب كتابا وأرسله
إلى بطريق ظما تحت الليل وبطريق قلعة الأبراج
يسألهم النجدة وكانوا بطارقة شدادا كل
بطريق له نحو عشرة آلاف من البطارقة وحملة
السلاح فلما ورد الكتاب عليهم تجهزوا للنجدة
والأهبة وسيأتي ذكر ذلك إن شاء الله تعالى
قال الراوي فأصبح المسلمون صلوا صلاة الصبح
وتبادروا إلى خيولهم فركبوها ثم سووا صفوفهم
ورتبوا مواقفهم كما ذكرنا أولا قال
وصار الأمير غانم يحرض الناس على القتال وقد
جعل في مكانه المغيرة بن شعبة وعطف على أصحاب
الرايات وقال أطلقوا الأعنة وقوموا الأسنة

وَإِذَا لَا قَيْتُمُ الْعَدُوَّ فَاحْمِلُوا حَمْلَةً وَاحِدَةً وَلَا تَخَافُوا وَلَا
تَرْهَبُوا قَالَ وَتَرَتَّبَتِ الْأُمَرَاءُ كَالْيَوْمِ الْأَوَّلِ وَلَمْ يَرْكَبُوا
حَتَّى وَارَوْا شُهَدَاءَهُمْ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ فِي ثِيَابِهِمْ وَدِمَائِهِمْ
قَالَ الرَّاوِي فَمَا شَعَرْنَا إِلَّا وَالرُّومُ قَدْ أَقْبَلُوا إِلَيْنَا
وَطَمِعُوا بِلَغَتِهِمْ عَلَيْنَا وَانْتَدَبَ مِنْهُمْ نَحْوُ عَشَرَةِ آلَافِ
فَارِسٍ فَنَزَلُوا عَنْ خُيُولِهِمْ وَأَرْسَلُوهَا مَعَ غِلْمَانِهِمْ وَحَفَرُوا
لَهُمْ حَفَائِرَ لِأَوْسَاطِهِمْ كَمَا فَعَلَتِ الرُّومُ فِي يَوْمِ الْيَرْمُوكِ
وَأَقْرَنُوا كُلَّ أَرْبَعَةٍ وَكُلَّ خَمْسَةٍ وَكُلَّ سِتَّةٍ وَكُلَّ
ثَلَاثَةٍ فِي سِلْسِلَةٍ وَنَزَلُوا فِي تِلْكَ الْحَفَائِرِ إِلَى أَوْسَاطِهِمْ
وَوَضَعُوا خَزَائِنَ النُّشَّابِ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَأَقْسَمُوا بِالْمَسِيحِ لَا
يُوَلُّونَ وَلَوْ قُتِلُوا عَنْ آخِرِهِمْ وَكَانُوا ثَلَاثَ صُفُوفٍ
قَالَ الرَّاوِي حَدَّثَنَا حَسَّانُ بْنُ أَبِي عُبَيْدٍ عَنْ زِيَادِ
ابْنِ الْحَارِثِ بْنِ عَبْدِ يَغُوثَ وَكَانَ مِنْ أَصْحَابِ الرَّايَاتِ
قَالَ بَيْنَمَا نَحْنُ نَتَأَهَّبُ لِلْحَمْلَةِ وَإِذَا بِالرُّومِ قَدْ حَمَلُوا عَلَيْنَا
حَمْلَةَ رَجُلٍ وَاحِدٍ وَحَمَلَتْ مَيْمَنَتُنَا عَلَى مَيْسَرَتِهِمْ
وَمَيْسَرَتُهُمْ عَلَى مَيْمَنَتِنَا وَاخْتَلَطَ الْقَلْبُ وَثَارَتِ
الْمُسَلْسَلَةُ بِنُشَّابِهَا فَكَانَ يَخْرُجُ عَشَرَةُ آلَافِ سَهْمٍ

كَأَنَّهَا مِنْ تَمَوُّجِ بَحْرٍ وَاحِدٍ وَكَانَ حَرُّ الْجِلَادِ الْمُنْتَشِرِ فَقَلَعَتْ رِجَالًا لَا
وَجَرَحَتْ أَبْطَالًا لَا وَمَلَكَتْ خَيْلُ السَّرِيَّةِ نَافِرَةً وَعَبَرَ ...
بِهَا عَقِيمٌ مِنَ الْأُمَرَاءِ وَحَمَلَ الْفَضْلُ بْنُ الْعَبَّاسِ وَالْحَرْثُ وَسَعِيدُ ابْنُ
نَوْفَلِ بْنِ شَيْبَةَ وَاصْطَكَّتْ لَهُمْ رَايَاتُ يَزِيدَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ وَالْمُغِيرَةِ بْنِ
شُعْبَةَ وَالْقَعْقَاعِ بْنِ يَحْيَى الْفَزَارِيِّ وَجَمِيعِ الْأُمَرَاءِ وَاقْتَتَلَ
الْفَرِيقَانِ قِتَالًا شَدِيدًا وَفَشَا الْقِتَالُ فِي الْمُسْلِمِينَ وَتَمَايَزَ
الْقَوْمُ وَاشْتَعَلَ الْحَرْبُ وَعَلَتْ وَاللهِ الْبَطَلُ ... عَلَيْهِ ... حَلْقَة
خَنْجَرُ الْمُفَضَّضِ تُجَلِّلُهُ الذَّهَبُ وَقَابَجُ عَلَى رَأْسِهِ وَهُوَ تَارَةً يَكُونُ فِي
الْمَيْمَنَةِ وَتَارَةً يَكُونُ فِي الْمَيْسَرَةِ وَتَارَةً فِي الْقَلْبِ وَحَوْلَهُ
كَتَائِبُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَالَ الرَّاوِي لَوْ صَبَرْنَا لَهُمْ
... وَقَطَعْنَا أَنْفُسَنَا عَلَى الْمَوْتِ وَالْأُمَرَاءُ يُحَرِّضُونَ
النَّاسَ عَلَى الْقِتَالِ وَقَدْ عَمِلَ بَعْضُ الْفَرِيقَيْنِ بِطَائِفَةٍ ... إِلَّا أَنَّهُ
الْقِتَالُ ... فِي الْمُشْرِكِينَ ... وَلَوْ ... [illegible]
لَهُمْ كُلِّهِمْ إِذْ خَرَجَ عَلَيْنَا الْمُشْرِكِينَ مِنْ خَلْفِنَا وَالْمُسْلِمِينَ
بَيْنَ أَيْدِيهَا ... خَالَطُوا ... كَالشَّامَةِ الْبَيْضَاءِ فِي
جِلْدِ الْبَعِيرِ الْأَسْوَدِ ... [illegible]
وَأَخْلَاطِ النَّاسِ ... [illegible]

عثمان بن عفان والفضل بن العباس وأبو زين العقيلي وأبو
عبد الله البجلي والمسيب بن يحيى الفزاري وأبو الحبار
وسفينة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم وزيد
ابن حارثة وأبو لبابة ونظراؤهم من الأمراء لقد قاتلوا
قتالا شديدا وقد قتل أصحاب الرايات براياتهم
وغاص عدو الله في القتل واشتكل في المسلمين وقتل
رجالا وجدل أبطالا وصكم طلحة فارس من الأمراء لم
يجده إلا في وسط الروم فعندها قال القعقاع والمسيب
ابن يحيى الفزاري قربوا المناك في وجوه القوم يا أخا
العرب فاستاقوا الإبل بين أيديهم تلقاء الثنايا
وحملوا على المسلمين فأسلموهم الملك وسالك الخيل
وأقبلت الرجالة والرماة يقتلونهم حتى قتلوا مقتلة
عظيمة منهم هذا والروم على حالهم وعدو الله لما رأى
ما فعلت المسلمون من إزدياد طغيانه ولم يزالوا كذلك
حتى غلبت الشمس ثم أنزل الله نصره على المسلمين
فتظاهروا عليهم وتقدم جعفر بن عقيل إلى الكتيبة
من الأوائل وغاص في أوساطهم وطعن البطريق

المقدم فقتله فتكاثرت الروم عليه فقتلوه رحمة الله
عليه فعندها وثب أخوه علي وقال لا حياة بعدك
يا أخي وحمل في أعراضهم فقتل جماعة وتكاثروا
عليه فقتلوه رحمة الله عليه وزيد بن زياد فقتل وعظم
النزال واسود الظلام وعظم القتال والجأوهم إلى
ولما رأت الأمراء وسادات بني هاشم ما
حل بهم تواثبوا كالأسود الضارية وحملوا على
الروم والجأوهم إلى الأبواب واقتتلوا عند باب الجبل
والباب البحري مقتلة عظيمة واسود الظلام قال
الراوي وكانت ليلة لم تر الصحابة مثلها
وقتل الصحابة رضي الله عنهم ألوفا وقتل منهم بظاهر
البلد نحو خمسمائة أو أزيد وتظاهرت المسلمون بعد
ذلك عليهم والجأوهم إلى سور المدينة واقتتلوا هناك
قتالا شديدا وعظم البلاء وعدو الله يحمي أصحابه وهم
في أشد القتال وكان شعار المسلمين تلك الليلة
يا محمد يا محمد يا نصر الله انزل وقتل جماعة من
المسلمين عند الأبواب وعظم المصاب وكنت تسمع

وُقُوعُ السُّيُوفِ عَلَى الدَّرَقِ كَالرَّعْدِ وَبَرِيقُ السُّيُوفِ
كَالْبَرْقِ وَلَمَعَانُ الْأَسِنَّةِ كَالْكَوَاكِبِ وَأَحْدَقَتِ الْمُسْلِمُونَ
بِالرُّومِ وَالْمَلْعُونُ وَالْحُمَاةُ مِنْ قَوْمِهِ يَحْمُونَهُمْ وَعَدُوُّ اللهِ تَارَةً
يَكُونُ عِنْدَ بَابِ قَنْدُوسٍ وَتَارَةً عِنْدَ بَابِ الْجَبَلِ وَتَارَةً
عِنْدَ بَابِ تُومَا فِي كَرَادِيسَ مِنْ قَوْمِهِ حَتَّى دَخَلَت
الرُّومُ جَمِيعُهُمْ وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا مَنِ انْقَطَعَ عَنْ قَوْمِهِ أَوْ أَكْبَا
بِهِ جَوَادُهُ وَلَمْ يَزَالُوا كَذَلِكَ حَتَّى طَلَعَ الْفَجْرُ وَتُسَمَّى
لَيْلَةَ السَّوَادِ ❁ فَمَا طَلَعَ الْفَجْرُ إِلَّا وَأَعْدَاءُ اللهِ قَدْ دَخَلُوا
الْمَدِينَةَ وَعَلَوْا عَلَى أَسْوَارِهَا وَضَرَبُوا بِالْبُوقَاتِ وَالْقُرُونِ
وَالنَّوَاقِيسِ مِنْ أَعْلَى الْأَسْوَارِ وَغَلَّقُوا الْأَبْوَابَ وَأَلْقَوُا
الْأَقْفَالَ ❁ فَلَمَّا أَصْبَحَ اللهُ بِالصَّبَاحِ صَلَّتِ الْمُسْلِمُونَ صَلَاةَ
الصُّبْحِ وَأَتَوْا إِلَى مَكَانِ الْمَعْرَكَةِ وَتَفَقَّدُوا مَنْ قُتِلَ
مِنْهُمْ فَإِذَا هُمْ خَمْسُ مِائَةٍ وَعِشْرُونَ رَجُلًا مِنْ بَابِ
تُومَا إِلَى بَابِ قَنْدُوسٍ ❁ الْأَعْيَانُ مِنْهُمْ جَعْفَرُ بْنُ
عَقِيلٍ وَأَخُوهُ عَلِيٌّ وَعَبْدُ اللهِ بْنُ زَيْدِ بْنِ الْحَارِثِ وَهِشَامُ
ابْنُ نَوْفَلٍ وَطَارِقٌ مِنْ بَنِي عَبْدِ الدَّارِ وَهِلَالُ بْنُ زُهْرَةَ
مِنْ بَنِي عَبْدِ شَمْسٍ وَوَهْبُ بْنُ ضَبَّةَ وَكَعْبُ بْنُ مُرَّةَ ❁

وَزَيْدُ بْنُ رِفَاعَةَ وَخُزَاعَةُ بْنُ تَمِيمٍ وَمَالِكُ بْنُ سَهْلٍ وَقَيْسُ
ابْنُ عَدِيٍّ وَنَصَّارُ بْنُ نَجْمٍ ❁ وَسَعِيدُ بْنُ عَمَّارٍ ❁ وَنَافِعُ بْنُ
يَسَارٍ وَنَعِيمُ بْنُ مَالِكٍ وَبِشْرُ بْنُ سُرَاقَةَ وَمَيْسَرَةُ بْنُ مَسْرُوقٍ
وَحَمْزَةُ بْنُ وَهْبٍ وَوَهْبُ بْنُ فَضَالَةَ هَاؤُلَاءِ الْأُمَرَاءُ وَأَوْلَادُ
الْأُمَرَا وَالْبَقِيَّةُ مِنْ أَخْلَاطِ النَّاسِ **قَالَ الرَّاوِي**
وَلَمَّا رَأَى الْمُسْلِمُونَ الْقَتْلَى اضْطَرَبُوا وَبَكَوْا بُكَاءً
شَدِيدًا وَأَعْظَمُ النَّاسِ حُزْنًا غَانِمٌ لِأَجْلِ مَنْ قُتِلَ تَحْتَ
رَايَتِهِ وَكَانَ أَكْثَرُ الشُّهَدَا مِنَ الْأَعْيَانِ فِي قُرَيْشٍ وَبَنِي
هَاشِمٍ وَبَنِي الْمُطَّلِبِ وَبَنِي نَوْفَلٍ وَبَنِي عَبْدِ شَمْسٍ فَلَمَّا رَأَى
مُسْلِمُ بْنُ عَقِيلٍ إِلَى إِخْوَتِهِ وَمَا حَلَّ بِهِمْ وَرَأَى الْفَضْلُ بْنُ
الْعَبَّاسِ وَالْفَضْلُ وَعَبْدُ اللهِ بْنُ جَعْفَرٍ وَسَادَاتُ بَنِي هَاشِمٍ
مَا حَلَّ بِبَنِي عَمِّهِمْ نَزَلُوا عَنْ خُيُولِهِمْ ❁ وَعَانَقُوا شُهَدَاهُمْ
وَاسْتَرْجَعُوا وَأَقْبَلَتِ النَّاسُ إِلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ
فَعِنْدَ ذَلِكَ أَنْشَدَ هُمَامُ بْنُ الْجَزِيرِ وَجَعَلَ **يَقُولُ**
يَا عَيْنُ أَبْكِي لَا تَمَلِّي الْبُكَا ❁ وَاسْكُبِي الدَّمَ كَوَكْفِ
❁ الْغَمَامْ ❁
وَابْكِي عَلَى السَّادَاتِ مِنْ هَاشِمٍ ❁ مِنْ عُصْبَةِ الْمُخْتَارِ

خَيْرِ الأَنَامْ

وَأَبْكِي عَلِيًّا ثُمَّ أَخَاهُ هُوَ جَعْفَرُ المَشْكُورُ لَيْثٌ

هُمَامْ

وَأَبْكِي عَلَى الشُّهَدَا إِلاَ تَغْفُلِي مَا لاَحَ بَرْقٌ

أَوْ تَرَنَّمَ حَمَامْ

لاَ لَقِي البَطْلُوسُ خَيْرًا وَلاَ أَجْنَادُهُ أَهْلَ الصَّلِيبِ

اللِّئَامْ

لَنَأْخُذَنَّ الثَّارَ يَا قَوْمَنَا بِطَعْنِ خَطِّيٍّ وَحَدِّ الحُسَامْ

قَالَ وَوَارَتِ المُسْلِمُونَ شُهَدَاهُمْ قَالَ الرَّاوِي

ثُمَّ إِنَّ الأَمِيرَ غَانِمًا فَرَّقَ الأُمَرَا عَلَى الأَبْوَابِ فَنَزَلَ غَانِمٌ

وَالسَّادَاتُ مِنْ بَنِي هَاشِمٍ وَغَيْرِهِمْ مِثْلُ زِيَادِ بْنِ أَبِي

سُفْيَانَ وَالوَلِيدِ وَأَخُوهُ وَأُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ وَأَبُو أَيُّوبَ

الأَنْصَارِي وَفَضَالَةُ بْنُ عُبَيْدٍ وَأَوْسُ بْنُ حُذَيْفَةَ وَعِمْرَانُ

ابْنُ حُصَيْنٍ وَرَافِعُ بْنُ خَدِيجٍ وَأَبُو دُجَانَةَ وَجَابِرُ بْنُ

عَبْدِ اللهِ وَبَقِيَّةُ الأُمَرَا قَالَ الرَّاوِي وَنَزَلَ

القَعْقَاعُ بْنُ عَمْرٍو التَّمِيمِي وَالمُسَيَّبُ بْنُ يَحْيَى الفَزَارِي

وَأَوْسُ بْنُ حُذَيْفَةَ الثَّقَفِي وَعَبْدُ اللهِ بْنُ أَبِي أَوْفَى

وَأَبُو قَتَادَةَ وَأَبُو مَسْعُودٍ البَدْرِي وَعُرْوَةُ بْنُ الجَعْدِ وَبُدَيْلُ

ابْنُ أَرْقَمَ وَنُظَرَاؤُهُمْ مِنَ الأُمَرَا بِأَلْفَيْ فَارِسٍ عِنْدَ بَابِ

الجَبَلِ وَالمُغِيرَةُ بْنُ شُعْبَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وَالمُسَيَّبُ بْنُ عُتْبَةَ

الفَزَارِي وَأَبُو جُحَيْفَةَ وَأَبُو لُبَابَةَ وَالمُهَلَّبُ وَأَبُو زَيْنٍ

العُقَيْلِي وَالعَبَّاسُ بْنُ مِرْدَاسٍ وَمُعَوِيَةُ بْنُ الحَكَمِ

وَالفَضْلُ بْنُ فَضَالَةَ وَبَقِيَّةُ الأُمَرَا عِنْدَ بَابِ تُومَا بِأَلْفَيْنِ

مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ الرَّاوِي

وَعَبَّوْا آلَةَ الحِصَارِ مِنَ المَجَانِيقَاتِ وَالسِّرَادِقَاتِ وَزَيَّنُوا

الأَسْوَارَ وَأَقَامُوا مُدَّةَ شَهْرٍ لاَ يُقَاتِلُونَا وَلاَ نُقَاتِلُهُمْ وَلَمْ

يَبْدَؤُنَا وَلَمْ نَبْدَأْهُمْ بَلْ فِي كُلِّ يَوْمٍ يَرْكَبُ البَطْلُوسُ

جَوَادَهُ المُقَدَّمُ ذِكْرُهُ وَيَلْبَسُ لاَمَتَهُ وَيَطْلَعُ بِالجَوَافِ

إِلَى أَعْلَى السُّورِ وَحَوْلَهُ المُشَاةُ مِنْ خَلْفِهِ وَمِنْ أَمَامِهِ

بِأَيْدِيهِمِ السُّيُوفُ المُجَدَّدَةُ وَالدَّرَقُ المُكَوْكَبَةُ

وَالدَّبَابِيسُ وَالأَطْبَارُ وَالقِسِيُّ وَالنُّشَّابُ وَهُوَ تَارَةً

بِحَجَفَةٍ وَتَارَةً مُمْسِكَةٌ حَتَّى يَأْتِيَ إِلَى أَهْلِ الأَبْرَاجِ وَمِنْ

أَعْلَى الأَبْرَاجِ وَالأَسْوَارِ يَضْرِبُونَ بِالقُرُونِ وَالنَّوَاقِيسِ

وَالطُّبُولِ وَالصُّنُوجِ وَغَيْرِ ذَلِكَ قَالَ الرَّاوِي

هذا ما جرى لها ولاء، وأما خالد فإنه أرسل عبد الرحمن
ابن أبي بكر الصديق وعبد الله بن عمر ومن قد ذكرنا
إلى الفيوم فكان بينهم وقعات وحروب اختصرناها
في ذلك خوف الإطالة، فإن المقصود الذي عليه مدار
هذا الكتاب فتح إقليم البهنسا وفتح المدينة وما وقع فيها
والله أعلم، **ثم** انهزم من انهزم وبلغوا إلى
المدينة يعني مدينة الفيوم وحاصروها قليل أيام ثم
أنهم غنموا وفتحوا الفيوم جميعه في أقل من شهر واحد
وأخذوا الأموال والغنائم ورجعوا إلى خالد رضي الله عنه
وكان مقيمًا بالنويرة كما ذكرنا **قال الراوي**
هذا ما جرى لها ولاء، وأما أبو ذر الغفاري وأبو هريرة
الدوسي وذو الكلاع الحميري ومالك الأشتر فإنهم
لما ضربوا رقاب القوم كما ذكرنا حاصروا القلعة
نحو عشرين يومًا واقتتلوا قتالًا شديدًا **قال الراوي**
حدثنا قيس بن مالك عن أبي منصور بن رافع عن أبي
المنهال وكان من أصحاب مالك الأشتر رضي الله عنه
قال بينما نحن نحاصر القلعة وقد تظاهروا عليها

وإذا نحن بغبرة وقت الفجر وكانت ليلة مقمرة وقد لاحت
لنا خيل وقعقعة لجم، فبادرنا إلى خيولنا وركبناها،
وافتضح النهار وبان عشرون صليبًا تحت كل صليب
ألف فارس، وكان السبب في ذلك بطريق طحا
ذات الأعمدة وبطريق قلعة الأبراج وما حولهما لما
بلغهما كتاب البطلوس تجهزا بأنفسهما، وجمعا
من حولهما من الروم والنصارى وتركا ولديهما في
مكانهما وخرجا أول الليل خوفًا من العرب فما أصبحا
إلا عند القلعة وذلك أن الليل كان في أول
الزيادة والمسلمون قد أخذوا المعابر والقناطر التي
على البحر اليوسفي فقطعوها فساروا حتى أتوا إلى القلعة
وكان بلغهم حصارها، فلم يشعر المسلمون إلا وقد
أقبلوا وحملوا عليهم وأتوا إلى نحو الباب وهو باب المدينة
الشرقي فوجدوا المرزبان رضي الله عنه وأصحابه
هناك، فعندها قال مالك الأشتر يا وجوه العرب
اجعلوا البحر خلف ظهوركم وقاتلوا أعداكم
واستعينوا بخالقكم، هذا والروم قد صاحوا

وعطعطوا وراطنوا من على أسوار المدينة من الجانب
الغربي وكذلك أهل القلعة ودقوا الطبول واضربوا
بالنواقيس فلم يزالوا حتى حملوا على المسلمين وجاءت
كتيبة من الروم إلى جانب البحر كما ذكرنا نحو ثلاثة
الاف وكان المرزبان رضي الله عنه في نحو
المائتين من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فحملوا
عليهم وصبروا لهم صبر الكرام وقتل المرزبان
رضي الله عنه وقتل معه جماعة من الفرس نحو عشرين
من بني عمه كانوا أسلموا وأتوا معه وقتل جماعة
من المسلمين وركب بقية المسلمين وقاتلوا قتالا شديدا
وصبروا لهم صبر الكرام قال الراوي فسمع
المسلمون الضجة وهم حول المدينة فأتوا إلى الجانب
الشرقي وهو جانب البحر فوجدوا السيوف تجرد وبه
والأعلام مرفوعة والرجال تقتل وقد قتل جماعة من
المسلمين على شاطئ البحر نحو أربعين رجلا فصاح
المسلمون ما بالكم فأجابهم المسلمون من البرج
الشرقي دهمنا ولا تدرون ما يفعلون بنا فعندها

اقتحم

اقتحم القعقاع بن عمرو بفرسه وقال بسم الله وعلى بركة
رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم إننا أفضل من بني
إسرائيل عندك وقد فرقت لهم البحر وسار فلم تبتل
حوافر فرسه وأخذ إلى تحت ساباط القلعة وكان
معقودا إلى البحر فاقتحم البحر خلفه نحو ألفي فارس إلى أن
طلعوا إلى البر الشرقي واقتتلوا قتالا شديدا قال
الراوي فبينما نحن كذلك في أشد القتال وإذا
بغبرة قد لاحت وانقشعت عن نحو ألف فارس يقدمهم
رفاعة بن زهير المحاربي وهم من أصحاب قيس بن الحارث
كانوا في بر دونها وقد صالحهم أهلها فجاءهم رجل
من المعاهدين من النصارى وأخبرهم بمسير أهل طحا
والقلعة قلعة الأبراج وقاتلوا المسلمين وعلموا أن البحر
حاجز بينهم وبين أصحابهم فأتوا إلى الأمير قيس بن الحارث
فاستأذنوه وساروا حتى وصلوا إلى المسلمين وهم في
القتال كما ذكرنا فلما رأوا القوم كبروا وا
فأجابهم المسلمون بالتهليل والتكبير والصلاة على
رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم حملوا عليهم وقاتلوا

قتالا شديدا وكان الفضل بن العباس وزياد بن أبي سفيان
ومسلم بن عقيل في جملة من علا إلى البرج الشرقي فعندها
وثب القعقاع بن عمرو على بطريق القلعة فقتله والفضل
على بطريق ظها فقتله وزياد على بطريق عظيم كان
مقدما فقتله ❁ فلما رأى القوم ذلك ولوا الأدبار
وركنوا إلى الفرار وهرب منهم جماعة فألجأوهم
إلى البحر فغرق منهم جماعة كثيرة واستأسروا
منهم نحو ثلاثة آلاف وأتوا بهم إلى قرب السور ❁
وضربوا أعناقهم والبطليوس ينظر إلى ذلك وأصحابه
فلما رأى أهل القلعة ذلك وجلت قلوبهم فعندها
أضرموا النيران مقابل الأبواب فانهدمت الحجارة
واحترقت الأبواب فأطفأوا النيران ودخلوا القلعة
وقتلوا من فيها وأسروا الجماعة وهدموا جدرانها
ونهبوا ما فيها من الأموال والسلاح وغير ذلك والبطليوس
ينظر إلى ذلك ودفن المرزبان رضي الله عنه ومن
قتل إلى الجانب البحري تحت جدار القلعة ورجعت
المسلمون ونصبوا الجسور بالأخشاب وألواح الأشجار والحجارة

تساقط عليهم وهم لا يكترثون حتى عدوا إلى الجانب
الغربي بأجمعهم واشتد حصار أهل المدينة وأقام
المسلمون يحاصرون المدينة تسعة أشهر قال الراوي
وذلك أن المدينة كان لها باب بسرب تحت الأرض
تحت باب الجبل وهو الباب الغربي ثم يخرج بعقد من
الحجارة معقود إلى حفر سرب قريب الجبل عند تل
هناك يظن من رآه أنه غار وحفر في الجبل وكان
يخرج منه عيونه ومن يأتيه بالطعام وغيره سرا
تحت ظلام الليل إلى ذلك المكان ويخرج منه الرجل
وفرسه على يده إلى ظاهر السرب فلأجل هذا لا يعجزهم
الحصار قال الراوي وكان إذا احتاج إلى أمر
مهم يخرج من يثق به من ذلك الباب ويوقد الشمع
والفوانيس ليلا ويخرج من يختار من ذلك الباب
ثم تزيد قوته ❁ وكانت الملوك القدماء ما صنعوا ذلك إلا
لأجل الحصار وكانت عيونه تخرج وتأتيه بالأخبار
وكان خالد رضي الله عنه لما فتح الفيوم صارت
الميرة والعلوفة والأرز والعسل وغير ذلك ❁ يأتي

للصحابة رضي الله عنهم من الفيوم ومن الوجه البحري قال الراوي فأرسل الأمير غانم رضي الله عنه أميرا من العرب إسمه مقداس بن حازم العكي وأرسل معه مائتي فارس من المسلمين ومعهم بغال وجمال يأتونهم بما ذكرنا وكان خالد قد أرسل أعلمهم بذلك أنهم يرسلوا للفيوم يأخذوا ما احتاجوا إليه قال وسار مقداس حتى وصل الفيوم وكان عليها من قبل خالد الأمير عزنجة قال الراوي وسار الأمير مناس ومن معه حتى قدموا الفيوم وأوسقوا البغال والإبل وأرادوا الرجوع إلى أرض البهنسا حتى وصلوا إلى دير هناك في الجبل قال الراوي هذا ما جرى لهؤلاء وأما عيون البطليوس فأخبروه بذلك فاستدعا ببطريق من أصحاب السرير إسمه ميخاييل بن بطرس وكان معروفا بالشدة والبراعة وأمره أن يأخذ معه ألفا من الروم وينطلقون إلى طريق الفيوم ويكمنوا لهم في الدير ثم يخرجون عليهم فخرجوا واحدا واحدا من

باب السر بجريدة في ظلام الليل وساروا حتى وصلوا إلى الدير وأكمنوا هناك حتى رأوا المسلمين فخرجوا عليهم فالتقا الجمعان واصطدم الفريقان وقاتل المسلمون قتالا شديدا حدثنا شداد بن أوس وكان في خيل مناس قال لما التقا الجمعان واقتتل الفريقان وأحاطت أعداء الله بنا حتى ظننا أن الحشر من ذلك الموضع ووطنا أنفسنا على الموت وقاتل الأمير مناس بعد أن أسلم الراية لولده منبع فقاتل حتى قتل ثم قاتل ابنه بعد أن أسلم الراية لابن عمه مازن فقاتل حتى قتل رحمة الله عليهم ولم تكن إلا ساعة حتى قتل من المسلمين نحو مائة فارس وأسروا منا البقية قال وكان في القوم عبيد الله بن أنيس الجهني رضي الله عنه أحد سعاة رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما رأى ذلك خرج كالريح الهبوب وقام يجري وكان دعا له النبي صلى الله عليه وسلم هو وعمرو بن أمية الضمري بالقوة والبركة في المشي فكانا لا تدركهما الخيل العتاق ولا النجب السباق فسار حتى أشرف على العسكر قبل

باب الس

الظُّهرِ وَالأَرضُ تُطوَى تَحتَ أَقدامِهِ فَلَمّا أَشرَف
علَى العَسكَرِ صاحَ النَّفيرَ النَّفيرَ ادرِكُونا يا مُسلِمِين
قالَ فَعِندَها تَواثَبَت الفُرسانُ إِلَيهِ وَسأَلُوهُ الخَبَرَ
فَقَصَّ عَلَيهِم القِصَّةَ فَعِندَها تَواثَبَتِ المُسلِمُونَ إِلَى خُيُولِهِم
وَكُلٌّ يَقُولُ أَنا أَمضِي قالَ فَعِندَها استَدعا الأَمِيرُ غانِمُ
بِعَبدِ اللهِ بنِ جَعفَرِ بنِ أَبِي طالِب وَسَلَّمَ إِلَيهِ أَلفاً مِنَ
الصَّحابَةِ رَضِيَ اللهُ عَنهُم فِيهِم أَهلُ النَّجدَةِ وَالقُوَّةِ
مِنَ الأُمَرا المُتَقَدِّمِ ذِكرُهُم وَسارُوا إِلَى أَوَّلِ
اللَّيلِ وَمَعَهُم رَجُلٌ مِنَ المُعاهِدِينَ يَدُلُّهُم حَتَّى
قَرُبُوا مِن قَريَةٍ هُناكَ بِسَفحِ الجَبَلِ تُدعَى مِيرَة فَأَكمَنُوا
هُناكَ إِلَى هَزِيعٍ مِنَ اللَّيلِ سَمِعُوا دَوِيَّ الخَيلِ وَقَعقَعَةَ
اللُّجُمِ وَتَواثَبُوا إِلَى خُيُولِهِم وَرَكِبُوها وَإِذا الرُّومُ
أَشرَفُوا عَلَيهِم وَالأُسارَى مَعَهُم مُوثَقُونَ بالقُيُودِ
مَشدُودُونَ عَلَى ظُهُورِ الخَيلِ وَكانَت لَيلَةً مُقمِرَةً
فَصاحَت المُسلِمُونَ وَضَجُّوا بِالتَّهلِيلِ وَالتَّكبِيرِ وَالصَّلاةِ
عَلَى البَشِيرِ النَّذِيرِ وَحَمَلُوا عَلَيهِم وَاقتَتَلَ القَومُ قِتالاً
شَدِيداً فَعِندَها صاحَ عَبدُ اللهِ بنُ جَعفَرِ بنِ أَبِي طالِب

رَضِيَ اللهُ عَنهُ يا قَومِ أَيَعجِزُ كُلُّ واحِدٍ مِنكُم عَن خَصمِهِ
فَتَواثَبَتِ الأُمَرا وَالسّاداتُ رَضِيَ اللهُ عَنهُم يَقتُلُونَ
وَيأسِرُونَ وَبادَرَ عَبدُ اللهِ بنُ جَعفَرٍ إِلَى مُقَدَّمِ الجَيشِ
لَعَنَهُ اللهُ وَكانَ عَلَيهِ دِرعٌ مُصَفَّحٌ فَطَعَنَهُ فِي صَدرِهِ طَعنَةً
قُرَشِيَّةً هاشِمِيَّةً أَطلَعَ السِّنانَ يَلمَعُ مِن ظَهرِهِ وَعَجَّلَ اللهُ
بِرُوحِهِ إِلَى النّارِ وَبِئسَ القَرارُ فَلَمّا رَأَتِ الرُّومُ ذَلِكَ
انهَزَمُوا وَاتبَعُوهُم قَتلاً وَسَلباً وَنَهباً فَما أَصبَحَ الصَّباحُ
حَتَّى قُتِلَ مِنهُم سِتُّمائَةٍ وَاستَأسَرُوا الباقِينَ وَحَلَّ
المُسلِمُونَ أُسَراهُم وَغَنِمُوا سِلاحَ الرُّومِ وَأَموالَهُم
وَخُيُولَهُم وَتَرَكَ الأَمِيرُ عَبدُ اللهِ بنُ جَعفَرٍ الأُسارَى
وَخَمسَمائَةٍ مِنَ المُسلِمِينَ عِندَ القَريَةِ وَأَمَرَهُم لا يَبرَحُونَ
حَتَّى يَأتِيَهُم وَتَرَكَ مَعَهُم عَبدَ اللهِ بنَ مُغَفَّلٍ رَضِيَ اللهُ عَنهُ
وَجَماعَةً مِنَ الأُمَرا وَسارَ حَتَّى أَتَى مَكانَ المَعرَكَةِ
وَجَدَ القَتلَى وَوَجَدَ عِندَهُم نَصارَى مِنَ المُعاهِدِينَ
يَبكُونَ وَحَلَفُوا لَهُ أَن لا عِلمَ لَهُم بِذَلِكَ وَكانَ فِي الدَّيرِ
نَصارَى وَرُهبانٌ كَثِيرَةٌ فَنَزَلُوا وَأَخرَجُوا لَهُمُ الأَكلَ
فَأَكَلُوا وَوارَوا شُهَداءَهُم رَضِيَ اللهُ عَنهُم أَجمَعِينَ

وكر عبد الله بن جعفر راجعا إلى أصحابه وقطعوا رؤس
القتلى ورأس عدو الله بخايل أمامهم وجبوا خيولهم
وساقوا الأسارى حتى قربوا من العسكر وهم كلما مروا
على مكان كبروا حتى وصلوا إلى العسكر ومعهم
الميرة والعلوفة والعسل والسليط وأعلنوا بالتهليل
والتكبير والصلاة على البشير النذير وأجابهم المسلمون
مثل ذلك وانقلب العسكر وأقبلت الروم من على
الأسوار ينظرون ما الخبر فرأوا تلك الرؤس على
رؤس الرماح ورأس الملعون بخايل أمامهم فصعب
عليهم وكبر لديهم ولطموا على وجوههم ومضوا
إلى البطلوس وأعلموه بذلك فصعب عليه واستدعا
بجواده فركبه وصعد من البرج إلى السور حتى
أشرف على المسلمين فلما رأى ذلك عظم عليه وقال
ليس هذا فعال الإنس وإنما هي فعال الجن قال
فلما رأت المسلمون ذلك البطلوس أتوا إلى الأمير
غانم وأعلموه بذلك فركب حتى أتى والأمراء معه
إلى تل عال هناك مقابل باب قندوس واستدعا

بالأسارى وأعرض عليهم الإسلام فامتنعوا فضربت
أعناقهم والروم ينظرون إلى ذلك فغضب عند ذلك
البطلوس غضبا شديدا وحمل هما عظيما قال الراوي
ثم إن عدو الله استشار أصحابه فيما ذا يفعلون وإنه
يريد الخروج بنفسه والكبسة عليهم قال فنهض إليه
بطريق يسمى كراكز وكان فارسا شديدا
وبطلا شديدا وقال أيها الملك أنا أكفيك هذا الهم
وأكبس عليهم لعل أن تنال منهم مناك وأريد معي جماعة
من شداد أجناد الملك فقال له الملك خذ من شئت
فانتدب معه عشرة من خيار البطارقة وأخلع عليهم
وأوصاهم وأخذ كل بطريق معه ألفا وجاءوا إلى
كنيستهم وصلوا في الهيكل وغسلوا وجوههم
بماء المعمودية وبخرتهم القسيسون وفتحوا الإنجيل
في وجوههم وساروا والقسيسون والرهبان بين
أيديهم بمباخر الذهب والفضة معلقة بسلاسل
مرصعة باللؤلؤ والمرجان حتى أتوا إلى قصر الملك
ذا الأعمدة وتكاملوا في دواره ثم [illegible]

وحرضهم على القتال وقال لهم اهجموا عليهم هجمة
واحدة ومكنوا السيوف والخناجر من رقابهم وصدورهم
ثم استدعا بحرسية باب قندوس وكانوا ألفا
منهم بين الأبواب ومنهم على الأبراج وكان للباب
ثلاثة أبراج بين كل برج وبرج شراريف مزوقة
باللبود والجلود المصفحة بالفولاذ المحكم وقال
لهم إذا أتوكم هؤلاء فافتحوا الأبواب وقفوا بين
أيديكم السيوف المجردة والأعمدة والدبابيس
وإذا أتوكم مسرعين فادخلوهم واغلقوا الأبواب
وإن تبعهم أحد من العرب فاتركوه حتى يدخل
من داخل الباب وأتوني به فقالوا له سمعا
وطاعة واستعدوا لذلك والمسلمون رضي الله
عنهم على حين غفلة لا يدرون ما يراد بهم وكانت
ليلة قر وبرد وقد أوقد المسلمون نيرانهم وسهروا
إلى هزيع من الليل دخلوا خيامهم وهم في غفلة
عن ما يراد بهم وكان على حرس المسلمين تلك
الليلة من جهة باب قندوس زيد بن ثابت

وعبد الله بن مغفل والبراء بن عازب ومالك الأشتر وذو
الكلاع الحميري وعبد الله بن العباس بن عبد المطلب
قال حدثنا عون بن سعيد بن طارق الثقفي عن ابن
زيد الحمسي عن مالك الأشتر قال بينما نحن نسهر تلك
الليلة والمسلمون هجعوا في مراقدهم من شدة البرد
وقطعهم السهر ووضعوا أسلحتهم ومنهم من له ورد
يقرأ أو يصلي إذ رأينا الباب قد فتح وخرج رجل مسرع
وعلى كتفه مشعل ثم خرج جماعة بأيديهم نحو ألفين
فوقفوا إلى جانب الباب وخرج كردوس وأمامهم
بطريق طويل عظيم مبروم الساعدين عظيم
المنكبين طويل العنق وبيده ساحة مجدوبة تلمع
كالبرق وخلفه زها عن ألفين من الروم ثم
تبعه بطريق آخر وهو كزيه ولباسه وذرعه
وخوذته وتتابع بعضهم بعضا وحطموا على الجيش
فبادرنا وصحنا النفير النفير دهمنا يا مسلمين ثوروا
فقد غدر وكسر القوم فلما سمع المسلمون الصايح
تبادروا وتنادوا من مضاجعهم كالأسود الضارية

ولم تنتبهوا هذا لم يأخذ سيفه وهذا عاري الجسد لم يمهله
حتى يلبس ثيابه بل شد وسطه بمئزر وهذا عليه قميص
واحد وهذا لم يأخذ إلا سيفه وهذا لم يأخذ غير رمحه
وتاركوا في صدد ولوا القوم هذا وأعداء الله قد عطفوا على
جماعة من المسلمين قبل أن يتأهبوا ووضعوا السيف
في أعراضهم فما أفاق هذا إلا وقد طاح رأسه عن
بدنه وهذا قد قطع زنده وهذا قد ذبح نحره
وهذا قد طعن صدره وكثر الصياح وعظم البلا
وكثرت القتلى وعدو الله كرداكس عليه ديباجة
مقصبة بالذهب وهي خضراء تلمع من فوق الدرع وعلى
رأسه ميضا عليها جوهرة تضيء كالكوكب وهو
يرغي كالجمل الهائج ويطمطم بلغته وقد تبعه
كردوس عظيم من الروم هذا والروم قد صاحوا
من أعلى الأسوار وطمطموا بلغتهم وضربوا بقرونهم ونصبوا
ونشروا قسيسهم وطبولهم وأعلنوا امتناعهم وشمعوا شمعهم
على أعلى الأسوار والشموع في الفوانيس
ورفعوا القناديل على أعلى الأبراج حتى صار الليل

كأنها من ضوء المصابيح هذا وقد تاركت الأمراء أصحاب النجدة
وذوو المروات واخترطوا سيوفهم وركبوا خيولهم
فمنهم من ركب جواده عريانا بغير سرج ومنهم من ركبه
بسرج بغير لجام ومنهم من أسرع ماشيا فلله در الفضل بن
العباس والفضل بن عمه بن أبي لهب ولله در عبد الله بن
جعفر ولله در زياد بن أبي سفيان والقعقاع بن عمرو
والمسيب بن نجبة والمغيرة بن شعبة ومسلم بن عقيل وأبي
ذر الغفاري وأبي دجانة الأنصاري وأبي أمامة الباهلي
وعامر بن عقبة بن عامر الجهني وأبي زيد العقيلي ومثل
هؤلاء السادات رضي الله عنهم لقد قاتلوا قتالا شديدا
وأبلوا بلاء حسنا وطعن جماعة من المسلمين بالخناجر وجرحت
جماعة وأما الذين دهموهم أول الوقعة قتل منهم
جماعة نحو المائتين وثمانين رجلا واقتتل الناس قتالا
شديدا وأقبل الفضل بن العباس إلى البطريق كرداكس
لعنه الله وضربه بالسيف على عاتقه الأيمن أطلع السيف
من عاتقه الأيسر فانجدل صريعا وأتبعه بالحملة ابن
عمه عبد الله بن جعفر فقتل بطريقا آخر ولم تكن إلا

ساعة حتى جاءهم بقية الأمراء من عند الأبواب وتم كوان
عند خيامهم ومتاعهم جماعة من الشجعان وحملوا على
الروم حملة منكرة فقتلوا منهم مقتلة عظيمة نحو
ثلاثة آلاف من الروم والنصارى فلما رأت الروم
ذلك فروا نحو الباب واتبعتهم المسلمون إلى عند الباب
فخرج كردوس عظيم من الروم وأحموا المنهزمين
وأسر المسلمون منهم ألفا وماتين وخمسين وأتوا إلى
مكان المعركة يفتقدون من قتل منهم فإذا هم
أربعمائة خمسة وثلاثون رجلا ختم الله لهم بالشهادة
الأعيان منهم طريف بن هلال المساحي ورافع بن
زين الخزرجي وهاشم بن نوفل الرافعي ووهب
ابن مرة المحاربي وزياد بن راشد السكسكي وعامر بن
نضيلة الخولاني وسعد بن جابر الفزاري ونفيل بن
عمارة الجذامي وزيد بن نصار الشاكري وعنان
ابن نجم الحميري ونوفل بن زرارة العنوي وحجاج
ابن سنان الفيروزي وخويلد بن قائم اليربوعي وكامل
ابن زهرة الجرهمي وعدي بن سليم الكندي

وجعدة بن مزروعة السنبسي ومفرح بن نجاح الخثعمي وابن
زيد بن حارثة الأنصاري وجبارة الغفاري ومزروع
الثقفي والبقية من أخلاط الناس وهؤلاء الأمراء وأولاد
الأمراء أصحاب الرايات فلما رأت المسلمون ذلك شق
عليهم وكبر لديهم وأسرعوا تحت الليل فجمعوا
الشهداء وصلوا عليهم ودفنوهم هناك في ثيابهم ودمائهم
وذلك المكان يعرف بالبطحا الذي دفنوا فيه عند
مجرى الحصى ومقطع السيل حملوهم ودفنوهم هناك
كل أربعة وخمسة وثلاثة في قبر واثنان في قبر
وقدموا أهل السابقة وأصحاب القرآن وكان
يعرف ذلك المكان بقبور الشهداء الأخيار وإشراق
الأنوار والدعا هناك مستجاب جرب مرارا فلم يخط
وتحط هناك الخطايا والأوزار لمن يكثر من التضرع
والاستغفار رجعنا إلى سياقة الحديث والأمر المطرب
العجيب **قال الراوي** ما أحدث في هذا الكتاب
الأعلى قاعدة الصدق وأذكر ما وقع من الأمور وأحدث
عن أصحاب التواريخ وثقات المحدثين من أهل السير

وجمعت كلامه كالدرّ فهو كالجوهر النفيس في
السلوك لا يليق سماعه إلا لذوي البصائر والعلماء
والملوك فإنه نزهة الناظر وانشراح الخاطر لم
يجمع أحدٌ مثله من أهل السير الجارية من الأمثال
والعجائب والأخبار الصحيحة المنقولة عن ثقات المحدثين
يتلذذ بذلك المستمعون رجعنا إلى سياقة الحديث
حدثنا عبد الله بن عبد الواحد العامري بن سراقة بن
نوفل الخزرجي عن أبي لبابة بن المنذر وكان من أصحاب
الرايات قال لما واردنا الشهداء رجعنا إلى خيامنا فإذا
أعداء الله قد غلقوا الباب وألقوا الأقفال وعلوا على
الأسوار قال الراوي لما رجع المنهزمون إلى
البطلوس صعب عليه وكبر لديه وأظلمت الدنيا
في عينيه وحمل همًّا عظيما لمن قتل من أصحابه
وبطارقته فابتغى المكايد والمصايب للمسلمين
قال الراوي هذا ما جرى لهؤلاء وأما الصحابة
رضي الله عنهم فإنهم اجتمعوا عند الأمير غانم وتذاكروا
ما حصل للمسلمين مع البطلوس لعنه الله واتفق رأيهم

أن يرسلوا رسولا إلى الأمير خالد رضي الله عنه ويسألوه
الحضور إليهم فعندها كتب الأمير غانم كتابا يقول
فيه بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله غانم بن عياض إلى
الأمير خالد يا أمير قد فتحنا الشام والعراق واليمن فلم
نجد في الروم والفرس والترك والديلم ألعن من هذا
الملعون بطريق البهنسا يعني البطلوس ولا أكثر منه
خداعا ولا مكرا ولا حيلا وإنها مدينة أهلها بالحيل
حصينة وقد خدعونا مرارا وقتلوا منا رجالا
وجندلوا منا أبطالا وغدرونا مرارا فانجدنا بنفسك
وبمن معك من المؤمنين والأمراء وسلامٌ عليك وعلى
من معك من المؤمنين ورحمة الله وبركاته قال
وطوى واستدعا بعبد الله بن المنذر وأسلمه الكتاب
فأخذه وأتى إلى خالد فوجده نازلا بالنويرة
فسلم عليه ودفع له الكتاب فلما قرأه وفهم ما فيه
استرجع وقال لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم
ثم كتب إليه جواب الكتاب إلى الأمير غانم إني
قادمٌ عليك وواصلٌ إليك برجالٍ وأي رجال

وابطال واي ابطال ✿ والسلام عليك وعلى من معك
من المهاجرين والانصار ✿ فأخذ عبد الله الكتاب ورجع
ثاني يوم الى ارض البهنسا ورد الجواب على الامير غانم
رضي الله عنه قال الراوي ثم استدعا خالد رضي الله
عنه بابي عبد الله وحواري رسول الله صلى الله عليه وسلم
وبابنه عبد الله ودفع لهما ثلاثمائة فارس وامرهما
ان يسيرا ✿ فاذا وصلتما الى البهنسا اعلنا بالتهليل
والتكبير والصلاة على البشير النذير فسار الزبير رضي الله
عنه حتى ابعد ✿ ثم استدعا بالمقداد بن الاسود ✿
الكندي وضرار بن الازور ودفع لهما مايتي فارس
وامرهما ان يسيرا على اثرهما ولا ينزلا حتى ينزل
الزبير وابنه ✿ ثم استدعا بعبد الرحمن بن ابي بكر
الصديق وعبد الله بن عمر وسلمهما رايتان ومايتي
فارس وامرهما ان يسيرا على اثر المقداد ✿ ثم
استدعا بسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل خال
رسول الله صلى الله عليه وسلم وعتبة بن نافع الفهري
رضي الله عنهما ودفع لهما مايتي فارس وامرهما ان

يسيرا ✿ وبات خالد تلك الليلة وسار وصحبته بقية الثلاثين
اميرا المقدمين للاخيار من المهاجرين والانصار ✿ الذين
ذكرهم في القصيدة المذكورة وهم عبادة بن الصامت
رضي الله عنه [illegible] ورافع وسعيد بن هلال ويزيد بن اوس
وابو محكم وابو عثمان النهدي وانس بن مالك ✿ وابو
بردة وكعب بن مالك وسلمة بن الاكوع وسهيل
ابن سعد الساعدي وعبد الله بن عمرو بن العاص وشرحبيل
ابن حسنة كاتب رسول الله صلى الله عليه وسلم وزرارة
ابن حبيب الاسلمي وجابر بن سمرة وبشر بن [illegible]
وابو امامة الباهلي وطلق بن علي اليمامي وعبد الله بن
زيد بن عاصم الانصاري ومحمد بن طلحة وعلي بن
مسلم الانصاري قال الراوي ✿ وسار [illegible] ومن معه
حتى اشرف على البهنسا كبر وكبر المسلمون لتكبيره
✿ وانشد وجعل ✿ يقول ✿

اتيناكم على خيل عتاق ✿ تسابق للريح يوم الاستباق ✿
عليها كل صنديد همام ✿ شديد الباس [illegible] ✿
[illegible] بالسمر لما ✿ [illegible] ✿

وَنَقتُلُ كُلَّ كَلْبٍ كَانَ بَاغٍ * عَلَى الإِسْلَامِ بِأَهْلِ النِّفَاقِ
وَنَحنُ حُمَاةُ دِينِ اللهِ حَقًّا * نُقِرُّ بِأَنَّ رَبَّ العَرْشِ بَاقِ
وَأَنَّ مُحَمَّدًا خَيْرُ البَرَايَا * رَسُولُ اللهِ لِلعَلْيَاءِ رَاقِ

قَالَ وَأَشْرَفَتِ الرُّومُ عَلَى أَسْوَارِ المَدِينَةِ يَنظُرُونَ إِلَيْهِمْ فَمَا اسْتَقَرُّوا غَيْرَ قَلِيلٍ حَتَّى أَشْرَفَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ وَأَنشَأَ وَجَعَلَ يَقُولُ

أَنَا الفَارِسُ التَّيْمِيُّ وَالبَطَلُ الَّذِي * أُذِلُّ بِسَيْفِي كُلَّ بَاغٍ وَمُعْتَدِ
وَأَحْمِلُ فِي الأَبْطَالِ حَمْلَةَ مَنْ لَهُ * فِي الغَارَاتِ الشَّعْوَى أَعْظَمُ مَقْصِدِ
أَنَا ابْنُ أَبِي بَكْرٍ الَّذِي شَاعَ ذِكْرُهُ * خَلِيفَةُ خَيْرِ المُرْسَلِينَ مُحَمَّدِ
فَيَا وَيْلَ مَنْ غَادَرَ حُسَامِي عُنُقَهُ * وَيَا ذُلَّ مَنْ عَاجَلْتُهُ بِمُهَنَّدِ

ثُمَّ أَشْرَفَ مِنْ بَعْدِهِ عَبْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ فَكَبَّرَ وَكَبَّرَ المُسْلِمُونَ بِالتَّكْبِيرِ ثُمَّ أَنشَأَ وَجَعَلَ يَقُولُ

أَتَيْنَا عَلَى نُجُبٍ عِتَاقٍ وَضُمَّرٍ * بِكُلِّ يَمَانِيٍّ صَقِيلٍ وَسَمْهَرِ

بِيَدِ كَمِيٍّ بَاعَ لِلَّهِ نَفْسَهُ * يَرَى المَوْتَ فِي الهَيْجَا أَحْسَنَ مَدْخَرِ
نُذِلُّكُمُوا فِي الحَرْبِ بِالسَّيْفِ وَالقَنَا * وَنَقْتُلُ مِنْكُمْ كُلَّ بَاغٍ وَمُنْكِرِ

وَلَمْ يَزَلْ كُلُّ أَمِيرٍ يَنْزِلُ بِجَمَاعَتِهِ حَتَّى تَكَامَلُوا وَتَأَخَّرَ الأَمِيرُ خَالِدٌ وَبَقِيَّةُ الأُمَرَا المُقَدَّمِ ذِكْرُهُمْ وَلَمَّا بَاتَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَصْبَحُوا قَالَ ضِرَارٌ وَالزُّبَيْرُ وَالأُمَرَا لِلأَمِيرِ غَانِمٍ نَظُنُّكُمْ أَنتُمُ المُحَاصَرُونَ وَأَعْدَاؤُكُمْ فِي أَكْلٍ وَشُرْبٍ فَمَا هَذَا القُعَادُ ثُمَّ زَحَفُوا لِلأَبْوَابِ وَضِرَارٌ يُنْشِدُ وَيَقُولُ

سَأَضْرِبُ فِي العُلُوجِ بِكُلِّ عَضْبٍ * شَدِيدِ البَأْسِ ذِي حَدٍّ صَقِيلِ
وَأُضْرِمُ فِي عُلَا الأَبْوَابِ نَارًا * وَأَرْمِ القَوْمَ بِالخَطْبِ الجَلِيلِ
وَأَتْرُكُ دَارَهُمْ مِنْهُمْ خَرَابًا * وَلَمْ أَتْرُكْ لَهُمْ أَبَدًا كَفِيلُ
فَوَيْلٌ ثُمَّ وَيْلٌ ثُمَّ وَيْلٌ * لَكُمْ مِنِّي إِذَا اشْتَدَّ العَوِيلُ
سَأَقْتُلُ كُلَّ بَاغٍ كَانَ مِنْكُمْ * بِحَدِّ السَّيْفِ وَالبَاعِ الطَّوِيلِ

فلا رحم الإله لكم أبا ۞ وذوقه المصائب والخمول ۞
ولم يزل يترنم بهذه الأبيات ۞ قال وتراموا بالسهام
والمقاليع واقتتلوا قتالا شديدا فاشتدت الحمية تغدو إليه
وجميع البطارقة وذوو الشدة والبأس فكان الملعون
فارسا شديدا كما ذكرنا وفتح باب الجبل وخرج منه
وهو كأنه شعلة نار على جرائد الخيل والرماة بين يديه
يرمون ومن أعلى الأبراج يرمون بالمناجيق واقتتلوا قتالا
شديدا وجرح من المسلمين جماعة وكانت مقتلة عظيمة
وبقية الأمرا لا يعلمون وأنكا من المسلمين جماعة

قال الراوی فعندها سارت الأمرا ۞ وأصحاب
الرايات وأقبل علج عظيم من بطارقة البطلوس فطلب
البراز فطلب البراز فبرز إليه المغيرة بن شعبة صاحب
رسول الله صلى الله عليه وسلم فحمل عليه البطريق وحمل
عليه واقتتلوا قتالا شديدا وضربه المغيرة ۞ فطاح
السيف من يده وبادر عدو الله إلى المغيرة ليضربه وإذا
بفارس قد أقبل وبيده سيف مجذوب ۞ فلوح به
إلى المغيرة وإذا هو عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق

رضى الله عنه فأخذه المغيرة وضرب العلج فأخاد عنها وقرب
من شرحبيل وتجادبا وكلما أراد المغيرة أن يسطوا عليه
بمانع عن نفسه ونظر ضرار بن الأزور إلى ذلك
فترجل عن جواده وسعى بين الصفوف حتى قرب من البطريق
وصرم الحزام فقطعه فسقط عدو الله وهو ماسك المغيرة
وسقطا إلى الأرض ۞ قال فعندها تكاثرت الروم على
ضرار والمغيرة وأرادوا قتلهما وإذا بثلاثة فوارس
قد أقبلوا واخترقوا الصفوف أحدهما عبد الرحمن
ابن أبي بكر والثانی عبد الله بن عمر ۞ والثالث
المقداد بن الأسود فأزالوهما من مواضعهما وقتلوا
ثلاثة من الروم وفرقوا الكتائب عنهما وضرب ضرار
رضى الله عنه البطريق فقتله قال وصال وطال
عبد الرحمن وأركب ضرارا جوادا من خيل المقتولين
وأحد والإسلام هذا والبطلوس لعنه الله ۞ يكر
تارة على اليمين وتارة على الشمال وطلب البراز
فبرز إليه المقداد رضى الله عنه فتعاركا وتجاولا
وتطاعنا قال المقداد رضى الله عنه ۞ قاتلت

ملوكا وفتحت قلاعا ولاقيت حروبا في الجاهلية والإسلام
فلم أر أخدع من البطلوس ولا أشد بأسا ولا أصعب
مراسا فتمنا قليلا حتى كل الجوادان والتفت إلي وقال
ما رأيت أجرى منك ومن فرسك هذه كيف تقاتل عليها
وهي على ثلاث قوائم فمن شفقة المقداد على الفرس
طأطأ لينظر إلى قوائمها فضربه بالسيف ضربة قوية
قطعت الخوذة والرفادة وأثرت قليلا في رأسه
فظن الملعون أنه قتل فألوى عنانه واستيقظ
المقداد وتبعه فساق جواده المقداد ذكره
وأحاطت به أصحابه قال الراوي فبينما الناس
في أشد القتال إذ أقبل خالد رضي الله عنه وبقية
الأمراء المقدم ذكرهم وأعلنوا بالتهليل والتكبير
والصلاة على البشير النذير وفي أوائل القوم أبو سليمان
خالد بن الوليد رضي الله عنه وأنشأ وجعل يقول

دعا الله صبا للقاء يسرع ❁ ومن لهلا الفرسان
❁ بالخط يقرع ❁
ومن باع لله المهيمن نفسه ❁ وكان إلى الهيجاء من الأمر

الطوع

أطوع ❁
فويلك يا بطلوس من سيف خالد ❁ إذا ما اشتد في الهيجاء
❁ لسوف جالك يرتع ❁
وعاينته وسط المجامع شارعا ❁ وفطر بأثواب للدرع ❁
❁ والشخص تقطع ❁
فلا رحم الرحمن بطلوس قومه ❁ وأفنته مع كل قومه
❁ تجمع ❁
فإن قدر المولى سأضربه ضاربة ❁ وأتركها بجسمه
❁ ألا فاسه بلقع ❁
حنيما نبي إذا ما جئت نجده ❁ فنحن له كل الجيوش وتخضع
ثم إن خالدا رضي الله عنه حمل هو ومن معه واقتتلوا
قتالا شديدا وطائفة داخلة وطائفة خارجة ❁ يمنعون
فقاتل البطلوس لعنه الله قتالا شديدا وقتل رجالا
وجندل أبطالا فعندها حملت الأمراء وأصحاب الرايات
فهوموا الأصوات واقتتلوا بين الجبل والباب وقرب التل
الأحمر قتالا شديدا وعطف خالد وصار كلما مر إلى
الميمنة يراوغه الملعون إلى الميسرة ❁ ومن الميسرة

إلى الميمنة فعندها عطف خالد عليه وخرق الصفوف
وحمل عليه فعندها انكسر إلى القلب وأحاطوا به قومه
ووضعت الأمرا السيف فيهم وتبعه خالد فساق جواده
إلى الباب واقتحمه وتبعه أصحابه وانهزموا إلى الباب
ودخلوه وتبعهم المسلمون واقتتلوا عند الباب مقتلة
عظيمة قتل من الروم نحو أربعة آلاف ودخلوا الباب
وأغلقوه وأوثقوه وعلوا على الأسوار وأسر المسلمون
منهم نحو ألف وخمسمائة وأعرضوهم على الأمير خالد
وكان فيهم من كبار البطارقة فأعرض عليهم الإسلام
فامتنعوا فضرب أعناقهم وافتقد المسلمون أصحابهم فإذا
قتل منهم مائتان وثمانون رجلا الأعيان منهم مزروع
ابن غانم وعبد الله بن مساعد والفضل ابن سهل
والزبرقان بن فاضل ونايل ابن ماجد وغنيم ابن عايد
وحنظلة بن عامر وجابر بن زايد وريان بن سالم وفضالة
ابن ناصر وسراقة بن مجاهد وعبادة بن واثلة والبقية
من أخلاط الناس قال الراوي هذا ما جرى لهؤلاء
وأما عدو الله البطلوس فإنه حمل همًا عظيمًا وحصل

إليه ما لا ينبغي ثم جمع إليه البطارقة فلما اجتمعوا شكى لهم
أمر العرب وما لقوا من العرب من الحرب والقتال
وقال لهم ما الرأي عندكم فقالوا كلنا بين يديك فإن
أمرتنا بالقتال قاتلنا على سور بلدنا قال سأدبر لكم أمرًا
وهو ثبت بقلبي من خالص الحروب وعرفها ثم أمر باجتماع
الناس من خاصته وعامتهم فاجتمعوا إليه إلا من بقي
على الأبواب خوفا من المسلمين فلما تكاملوا واجتمعوا
قال إني عزمت أن أهجم على القوم في هذه الليلة
وأكبسهم في أماكنهم فإن الليل مهوب وأنتم
أحق بالبلد من غيركم ولا يبقى أحد منكم إلا يتأهب
ويخرج من بابه وتكبسوا القوم وأخرج أنا بمن معي من
باب توما وأرجو وصولي إلى مسرتي ولا أموت بحسرتي
وأبدأ بهم الأول فالأول لعلي أن أصل إلى أميرهم فآخذه
أسيرًا وأبلغ مقصودي قالوا حبا وكرامة ثم بعث
فرقة إلى باب الجابية وفرقة إلى باب قندوس وفرقة إلى
الباب الشرقي وانتدب معه سادات أبطال القوم ولم
يزل لعنه الله يعرف فيها الشجاعة إلا أخذه معه ممن عرفه.

واختبره ثم أقبل على القوم قبل انصرافهم فقال لهم إني أمرت رجلا
يضرب لكم ناقوسا على الباب فإذا سمعتموه فهي علامة
بيني وبينكم فافتحوا الأبواب واخرجوا مسرعين إلى
أعدائكم فهاجموهم ولا شك أنكم تجدون أكثرهم
نياما فاكبسوهم من قبل أن يصلوا إلى أسلحتهم فاضربوهم
واقتلوهم كيف شئتم فإن فعلتم ذلك قطعتم في الليلة
غلبتوهم وكسرتوهم إلى الأبد ففرح القوم بذلك
وقصد كل فرقة بابا من الأبواب وأقاموا ينتظرون
الإشارة فيتبادرون إلى المسلمين ودعى برجل من
النصارى ثم قال له احمل الناقوس واصعد على أعلى
البرج فإذا فتحنا الباب فاضرب على الناقوس ضربة يسمعها
القوم في الأبواب قال نعم ثم مضى وأخذ ناقوسا
كبيرا وعلا على الباب واستدعا البطلوس بجماعة نحو
عشرين ألفا من أصحابه عليهم الدروع والبيض وهو في
أوائلهم بيده صاعقة هندية وذرقة قوية وقد
لبس سوابغه الفولاذ وألقى على رأسه بيضا مخرمة
من الذهب مطلية بالفضة على قمتها جوهرة لا تقوم

فيها السيوف القواطع إلى أن وصل إلى الباب ثم وقف إلى أن
تكامل عسكره ثم نظر إليهم وهم حوله فقال لهم
أسرعوا وجدوا في سعيكم إلى أن تصلوا للقوم فإذا وصلتم
فاحملوا واهجموا ومكنوا السيوف ومن صاح بكم الأمان
فلا تبقوا عليه إلا أن يكون أمير القوم ومن أبصر منكم
الصليب الذي أخذ فليأخذه ومن أتاني به أكرمته ثم
أمر صاحب الناقوس بضربه فضربه ضربة قوية سمعها من
على الأبواب ففتحوا جميع الأبواب وتبادروا للخروج
وخرج اللعين البطلوس وسمع المسلمون الصوت
فتبادروا من أماكنهم مسرعين إلى أصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم وهم في غفلة مما دبر القوم عليهم
إلا أنهم في يقظة وحذر فلما سمعوا الصوت أيقظ
بعضهم بعضا وتصايحوا وتواثبت الرجال من مضاجعهم
كالأسود الكاسرة فلم يصل إليهم عدوهم إلا
وهم على حذر وتوجهوا إليهم إلا أنهم على غير ترتيب
فتصايل القوم في ظلام الليل وسمع الأمير خالد ذلك
فقام داهل العقل فصاح واغوثاه واإسلاماه وامحمداه

أكيد بقومي ورب الكعبة اللهم انصر اللهم بعينك
التي لا تنام وانصرنا على عدونا ولا تسلمنا إلى أشرار خلقك
ثم ادعا خالد رضي الله عنه وهو مكشوف الرأس بلا
خودة وأعجلته الزعقة عن لبس السلاح وسار وهو يقول
فاض دمعي واعتراني حزني ضاق صدري وبراني شجني
رب سلم من نزول المحن وانصر الإسلام يا ذا المنن
بالنبي الهاشمي الحسن أحمد المختار طه المدني
شعر وصل إلى باب توما ومعه خمس مائة من السادات
أصحاب النجدات مثل الفضل بن العباس والفضل
ابن أبي لهب وزياد بن أبي سفيان بن الحارث
وعبد الله بن جعفر بن أبي طالب والمقداد بن
الأسود وزيد بن ثابت وعبد الله بن زيد ومسلم
ابن عقيل وأبي ذر الغفاري وعبادة بن الصامت
ونحر بن مسلم وعتبة بن نافع والمغيرة بن شعبة والمسيب
ابن يحيى وأصوات المسلمين عالية بالتهليل والتكبير
والقوم من أعلى الأسوار قد طمطموا بلغتهم
وتصايحوا عندما استيقظت المسلمون وحمل خالد

على

على القوم ونادى يا مسلمين أتاكم الغوث من رب
العالمين أنا الفارس الصنديد والبطل المبيد أبا خالد
ابن الوليد ثم حل في وسط الروم وحمل على الروم
بمن معه فقتل رجالا وجندل أبطالا وهو مع ذلك
مشتغل القلب بالأمير غانم وبقية الأمرا الذين على
الأبواب وهو يسمع صراخهم وزعقاتهم حدثنا
عبد الله بن عون حدثنا جابر بن سنان عن عامر بن
عتبة بن عامر قال كانت الروم والنصارى
يقاتلوننا من أعلى الأسوار ويرموننا بالحجارة والسهام
قال الراوي ولقي المسلمون من عدو الله البطلوس
أمرا لم يروا مثله وكان أول من وصل إليهم
البطلوس لعنه الله وصبر المسلمون صبر الكرام وقاتل
عدو الله البطلوس قتالا شديدا وجعل يخرق الصفوف
يمينا وشمالا وهو يقول أنا سيدكم أنا الفارس
العبوس المسمى بالبطلوس وقاتل عدو الله قتالا
شديدا قال فقال أروني أخذ الصليب
أروني إياه فلما سمع الفضل بن العباس صوته

قصد جهته وقد خرج من المسلمين وقال له ها أنا صاحبك
وغريمك أنا مبيد جمعكم وآخذ صليبكم أنا ابن عم
رسول الله صلى الله عليه وسلم فعطف عليه البطلوس
عطفة الأسد على فريسته وقال إياك طلبت ثم انفرد
له وصادمه فلم ير الناس في طول الأيام ضربا
كضربهما في تلك الليلة ورأى الفضل منه شيئا ما
رآه في طول عمره إلى أن مضى من الليل شطره
وكل قرن مع قرنه ولم يزالا في ضرب
وكر لم يسمع أحد بمثله وصبر الفضل له صبر الكرام
ولاح له من عدو الله الضرب فضربه فالتقاها عدو الله
بدرقته فانقطع سيف الفضل وطمع عدو الله فيه
وظن أنه يأخذه أسيرا وإذا بفارسين قد أقبلا من
ورائهما كتيبة من الفرسان فحملوا على الروم
وإذا بخولة بنت الأزور أخت ضرار قد سبقت
وحملت على فارسين من الروم فجدلتهما وهي
تجندل في فرسان الروم وأبطالهم فلحقها الفارسان
وكان أحدهما عبد الرحمن بن أبي بكر والآخر

عبد الله بن جعفر وتبعهما ثالث وهو أبان بن عثمان بن عفان
فخلصوا أمرا أبان بعد ما أحاطت الروم بها وعطفوا على
عدو الله وكروا راجعين في كردوس من الروم حتى دخلوا
المدينة يعني البهنسا وقاتلت الناس على الأسوار قتالا
شديدا وكان خالد رضي الله عنه تارة يكون عند
باب الجبل وتارة عند باب توما وتارة عند باب
قندوس وكان غانم بن عياض عند باب الجبل في
ذلك الوقت فلبس السلاح ودنى من القوم ومعه من الأمراء
مثل المقداد بن الأسود وضرار بن الأزور وشرحبيل
ابن حسنة كاتب رسول الله صلى الله عليه وسلم ومسلم
ابن عقيل وربيعة بن أبي سفيان بن الحارث بن عبد
المطلب وعبد الله بن العباس ومحمد بن أبي ذر
الغفاري وعبد الرحمن بن أبي هريرة والمسيب بن
يحيى الفزاري والحارث بن مسلم الأنصاري
فعطفوا نحو الباب وكبروا وكبر القوم من ورائهم
فخرج إليهم بطريق عظيم ومعه نحو عشرة آلاف
من الروم وكان اسم البطريق جرجا فاقتتلوا

قتالا شديدا عند الباب وقاتل محمد بن أبي ذر قتالا
شديدا فتكاثرت الروم عليه وعقروا جواده
وقتلوه رحمة الله عليه وتكاثرت الناس على عبد الله
ابن عبادة بن الصامت فقاتل قتالا شديدا ورمي بحجر
من على الباب فقتله رحمة الله عليه وقتل من الأمراء
وعساكر المسلمين عند الباب زهاء عن مائتين وقتل
من الروم نحو ألفين أو أكثر وحمل غانم بن عياض
وأصحابه وتلقوا القوم فصارت الأحجار والسهام
تتساقط عليهم وهم لا يولون عنهم فلما ألحموهم
بالباب واختلطوا بهم خشيت الروم أن يصيبوا أصحابهم
بسهامهم وحجارتهم فأمسكوا أيديهم وقتل من الروم
أيضا مقتلة عظيمة وأما خالد فقاتل قتالا شديدا
ما رأى مثله فبينما الناس كذلك إذ أقبل ضرار بن
الأزور وهو ملطخ بالدما فقال له خالد ما وراك
يا ضرار قال أخبرك يا أبا سليمان إني قتلت في
ليلتي هذه مائة وستين رجلا وقتل قومي ما لا يعد
وقد كفيتهم من خرج من باب الجبل وكان

وكانت

وكانت ليلة لم ير الناس مثلها وهجم الأمير غانم
هو وأصحابه إلى داخل الباب واقتتلوا قتالا شديدا
ودخلوا إلى ساباط الباب وكان له باب آخر فأغلق
دونهم على كردوس من الروم فقتلوا هنالك
وتسلق المسلمون إلى البرج فقتلوا من فيه وكانوا
نحو خمسمائة وقتل في تلك الليلة ألوفا **وأما** باب
قندوس فكان عليه الزبير بن العوام رضي الله عنه
وعقبة بن عامر وعبد الله بن عمرو بن العاص والفضل
ابن أبي لهب والمغيرة بن شعبة وجماعة من الأمراء
فتواثبوا إلى الباب واقتتلوا هنالك قتالا شديدا
وقتل من المسلمين نحو مائة وعشرين رجلا غير الأعيان
منهم وأما باب توما فكان عليه خالد وخرج
منه البطلوس فاقتتلوا قتالا شديدا وقتل من المسلمين
هنالك جماعة نحو مائتين وثمانين في المكان
المعروف بالمراغة الأعيان منهم نذكرهم إن
شاء الله تعالى وغلقوا الأبواب واستعدوا للحصار
وهذا أول فتح كان والله أعلم **قال الراوي**

حدثنا سنان بن أبي جعفر بن العجلان عن أبي محمد الشاكري
عن زيد بن رافع عن أبي أمامة رضي الله عنه قال لما أقام خالد
بعد الوقعة على البهنسا أربعة أشهر حتى انقطعت سنة وأهل
البهنسا لا يقاتلونهم ولا يبارزونهم فطال عليهم المكث
وضجروا فأتوا خالدا واستشاروه في القتال فأذن لهم في
ذلك قال وكان جملة من قتل في وقعة الأبواب
ليلة الصقع خمسمائة وأربعين **الأعيان** منهم مسلم بن
رافع الكندي ومحمد بن أبي ذر الغفاري وعبد الله
ابن جندب السكاسكي ونعيم بن مالك الفزاري
ومكحول بن ميسرة الحميري ابن عم ذو الكلاع الحميري
وجابر بن زيد الأنصاري وعقيب بن مرة الغفاري
وعايد بن نوفل الجذامي وغنيم بن عدي الثقفي وسراقة
بن نافع اليربوعي وكندة بن نصار اليربوعي وزهير
ابن نجاب الغنوي وعبد الله بن سعد الأنصاري وحسان
ابن عمارة بن نوفل القرشي وزايد بن هاشم الداري
والبقية من أخلاط الناس ونقلوا جميع الشهداء بعد
الفتح في أماكنهم الأعيان منهم في أقبية معقودة

وقبور

وقبور محفورة كل جماعة في قبر أو حفيرة فهم الشهداء
رضي الله عن أصحاب رسول الله أجمعين **رجعنا** إلى
سياقة الحديث الذي لم يسمع مثله **قال الراوي**
ولما شاوروا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم خالدا في
القتال لم يقدر على منعهم وأصبحوا واقتتلوا قتالا شديدا
لم يسمع بمثله واشتد الحصار على أهل البهنسا وقالوا
للبطلوس لا نطيق صبرا على ذلك فقال لهم اصبروا
واثبتوا لعل أن أكيد العرب بمكيدة قال ولما
اشتد الحصار بأهل البهنسا أتوا إلى بطريق يسمى توما
وكان يركن إليهم فأتوه السوقة والنصارى
والأعوام وقالوا قد ضاق علينا الحصار فنجعل لك مالا
وافتح لنا الباب نأخذ لنا أمانا من العرب فأجابهم إلى ذلك
وصبر منهم جماعة إلى الليل نحو المائتين من تجار المدينة
وفتح لهم باب السر فخرجوا منه وأتوا إلى خالد وصالحوه
على أن يفتحوا له الباب ويسموا له تجار البلد ورؤساءها
وجعلوا للمسلمين مالا معلوما واتفقوا على ذلك وكتبوا
أسمائهم ورجعوا هذا ما جرى لهؤلاء وكان كلب

مِنْ بَنِي عَمِّهِ تُومَا حَاضِرًا يُسَمَّى أَرْمِيَا فَمَضَى إِلَى الْبَطْلُوسِ
وَأَعْلَمَهُ بِذَلِكَ فَعِنْدَهَا أَرْسَلَ الْبَطْلُوسُ بَطْرِيقًا يُقَالُ
لَهُ حَرْقِيَابِيلُ وَمَعَهُ نَحْوُ أَلْفَيْ بَطْرِيقٍ وَقَالَ لَهُمْ أَكْمِنُوا
وَأْتُونِي بِالْخَبَرِ عَلَى جَلِيَّتِهِ فَمَضَوْا وَتَفَرَّقُوا وَهُمْ مُشَاةٌ حَتَّى
أَتَوْا قَرِيبًا مِنْ بَابِ الْجَبَلِ وَإِذَا بِهِمْ قَدْ أَقْبَلُوا فَلَمَّا
رَأَوْهُمْ عَرَفُوهُمْ وَفَتَحَ لَهُمُ الْبَابَ فَدَخَلُوا فَعِنْدَهَا
تَوَاثَبُوا عَلَيْهِمْ وَمَسَكُوهُمْ وَسَحَبُوهُمْ إِلَى بَيْنِ يَدَيِ
الْبَطْلُوسِ لَعَنَهُ اللهُ فَلَمَّا رَآهُمْ بَوَّخَهُمْ تَوْبِيخًا
عَظِيمًا وَقَالَ ائْتُونِي بِالسِّيَاطِ وَنَصَبَ لَهُمْ أُخْدُودًا
الْبَرِّيَّةِ مِنْ حَدِيدٍ ثُمَّ ضَرَبَهُمْ ضَرْبًا عَظِيمًا وَأَتَى بِالنَّارِ
وَأَضْرَمَهَا تَحْتَ الْأُخْدُودِ وَحَرَقَهُمْ بِالنَّارِ وَأَخَذَ جَمِيعَ
أَمْوَالِهِمْ ثُمَّ أَمَرَ بِإِحْضَارِ الْبَطْرِيقِ فَأُحْضِرَ بَيْنَ يَدَيْهِ
فَأَخَذَهُ وَمَضَى إِلَى الْقَصْرِ هُوَ وَجَمِيعُ أَعْوَانِهِ وَاسْتَدْعَا
بِالْخَشَبِ فَصَلَبَهُمْ عَلَى أَعْلَى السُّورِ وَأَقَامُوا هُنَالِكَ
يَوْمًا وَلَيْلَةً ثُمَّ أَمَرَ بِضَرْبِ أَعْنَاقِهِمْ وَلَوَّحَتْ رُؤُوسُهُمْ
لِلْمُسْلِمِينَ فَقَالَ الْأَمِيرُ غَانِمٌ لِلْأَمِيرِ خَالِدٍ هَاؤُلَاءِ أَهْلُ
دِمَشْقِنَا فَرَجَعُوا وَاقْتَتَلُوا قِتَالًا شَدِيدًا وَقَلِقَ عُمَرُ

ابن

ابْنُ الْخَطَّابِ عَلَى الْمُسْلِمِينَ فَلَمَّا شَدِيدًا فَأَرْسَلَ كِتَابًا إِلَى عَمْرٍو
يَقُولُ فِيهِ مَا سَبَبُ انْقِطَاعِ كُتُبِكَ عَنِّي وَأَنَا فِي قَلَقٍ عَلَى الْمُسْلِمِينَ
وَعَلَى خَالِدٍ وَمَنْ مَعَهُ وَاعْلَمْ أَنَّكَ مَا تُرْسِلُ لِي إِلَّا بِالْغَنَائِمِ
وَالْفَتْحِ فَإِنِ احْتَاجَ خَالِدٌ إِلَى نَجْدَةٍ فَأَرْسِلْ إِلَى أَبِي عُبَيْدَةَ
فَقَدْ كَاتَبْتُهُ يُرْسِلُ لَكَ جُنُودًا مِنَ الشَّامِ وَالسَّلَامُ فَلَمَّا وَصَلَ
الْكِتَابُ إِلَى عَمْرٍو وَأَرْسَلَهُ لِخَالِدٍ فَقَالَ خَالِدٌ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ
لَا نَطْلُبُ النَّجْدَةَ إِلَّا مِنَ اللهِ وَالْمَعُونَةَ ثُمَّ إِنَّ خَالِدًا عَظُمَ
عَلَيْهِ الْأَمْرُ وَاشْتَدَّ الْحِصَارُ وَكَانُوا كُلَّ يَوْمٍ يَرْجِعُونَ إِلَى
الْمَدِينَةِ وَيُقَاتِلُونَ قِتَالًا شَدِيدًا وَقُتِلَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ
جَمَاعَةٌ كَثِيرَةٌ بِالْحِجَارَةِ وَالنُّشَّابِ وَهَجَمَ عَدُوُّ اللهِ عَلَى
الْمُسْلِمِينَ وَأَكَادَهُمْ مِرَارًا فَقَالَ خَالِدٌ لِلْأَمِيرِ غَانِمٍ
وَلِلْمُسْلِمِينَ لَا شَكَّ أَنَّ لِأَصْحَابِنَا عُيُونًا وَجَوَاسِيسًا ثُمَّ
إِنَّ خَالِدًا رَكِبَ وَمَعَهُ الْفَضْلُ بْنُ الْعَبَّاسِ وَالْمِقْدَادُ
وَزِيَادُ بْنُ أَبِي سُفْيَنَ وَطَافُوا حَوْلَ الْعَسْكَرِ وَإِذَا
رَجُلٌ مِنَ الْعَرَبِ الْمُتَنَصِّرَةِ جَالِسٌ عَلَى قَطِيفَةٍ خَارِجَ
الْعَسْكَرِ فَأَنْكَرَهُ خَالِدٌ ثُمَّ قَالَ لَهُ مِنْ أَيِّ الْعَرَبِ
أَنْتَ فَقَالَ لَهُ غَانِمٌ أَنْطِقْ بِالْحَقِّ مَنْ أَهْلُكَ هَا هُنَا

فسكت فأتى به خالدٌ فقال له أمسلمٌ أنت قال نعم فقال
له اقرأ القرآن فسكت فقال له خذ الما وتوضّا فلم يحسن ذلك
فقال له صلّ فلم يحسن ذلك فضربوه فأقرّ أنهم خرجوا ثلاثة
من باب السرّ فذهب إثنان وبقى واحدٌ وانقطعت الجواسيس
وكانوا يقاتلون كلّ يومٍ قتالاً شديدًا وكان لخالدٍ
عبدًا في خيمته إسمه نجاحٌ يصنع له كلّ يومٍ قرصين من
شعيرٍ واحدٌ له وواحدٌ للعبد فأقام خالدٌ ثلاثة أيّامٍ يأتي
إلى الخيمة فلم يجد في السفرة شيئاً ولم يكلّم العبد وكان
عنده بعض ثمراتٍ فصار يتقوّت بها حتّى فرغت فعندها
قال للعبد يا ولدي قال الله تعالى وما جعلناهم جسدًا لا
يأكلون الطّعام فما بالك لك ثلاثة أيّامٍ لم تصنع لي
قرصًا من شعيرٍ قال يا سيّدي ما قطعت عنك ذلك
وأعلّقه في طنب الخيمة فعندها قال خالدٌ إنّ لهذا شأنًا
ثمّ قال للعبد أقم أنت خلف الخيمة واخف نفسك وانظر
من يفعل ذلك فلمّا كان من الغد ركب خالدٌ
للقتال وصنع العبد الأقراص وأكل واحدًا وترك
لسيّده واحدًا فجا كلبٌ أسودُ عظيمٌ من جهة البلد

ودخل الخيمة وأخذ القرص في فيه ومضى فتبعه العبد حتّى
أتى سربًا يجري من ماء البحر تحت الأرض إلى تحت سور
المدينة من الجهة القبليّة ويدخل من وسط المدينة
ويظهر من الجهة البحريّة فيمرّ في الأرض لا يدري
أحدٌ أين يذهب من خارج البلد فرآه العبد فلمّا
جا الأمير خالدٌ أعلمه العبد بذلك فمضى معه فرأى ذلك
ففرح فرحًا شديدًا ثمّ أتى إلى الأمرا وأعلمهم
بذلك وقال أريد منكم مائة رجلٍ باعوا أنفسهم
لله يمضون معي وجماعةٌ شدادٌ يكونون مقابل الباب
فإذا فتحنا الباب دخلوا علينا فانتدب منهم
مائةٌ من خيار القوم فيهم عبد الله بن عمر وعبد
الرحمن بن أبي بكرٍ وزيد بن ثابتٍ وعقبة بن عامرٍ
ومسلم بن عقيلٍ وزياد بن أبي سفيان وهشام
ابن أبي سفين والمسيّب بن يحيى والمقداد بن الأسود
ورافع بن خديج وأبو رزين العقيلي ومثل هاؤلاء
من السادات وقد اختصرنا في أسمائهم خوفًا
من الإطالة ورتّب خالدٌ على الباب عبد الله بن جعفرٍ

والزبير بن العوام وابنه عبد الله والفضل بن العباس والفضل
ابن أبي لهب وضرار بن الأزور ومثل هؤلاء يقاتل الباب
وصبروا إلى بعد غروب الشمس وأتوا إلى ذلك السرب
ودخلوا فيه في الماء كل واحد بترسه وآلته وسيفه
فكان أولهم الأمير خالد حتى دخلوا جميعا وكل من
دخل يدع سيفه وترسه مع صاحبه حتى دخل ثمانون
ورجع عشرون لم يسعهم السرب وضاق عليهم وولوا
وهم يتأسفون لما فاتهم من الشهادة وثبت من
الأمراء المذكورين نحو ألفي فارس للباب فلما
دخلت الأمراء أخفوا أنفسهم تحت الجدار إلى هزيع من
الليل ثم ثاروا إلى الباب فوجدوه موثوقا من
داخل بالأقفال والروم مشتغلون بسكرهم
ففتحوا الباب وذبحوا من في دهليز الباب وكانوا
ستون رجلا ثم علوا على السور وجماعة أخذوا
المفاتيح وفتحوا الباب وثاروا إلى أصحابهم فقتلوا
جماعة من على البرج وبطريق الباب وصاحوا
بالتهليل والتكبير والصلاة على البشير النذير

وأجابهم المسلمون مثل ذلك ودخلوا من الباب إلى سوق
المدينة وبادرت جماعة إلى القصر فلما أحس عدو الله
بذلك وأن المسلمين ملكوا الأبواب صنع منديلا في عنقه
وهو يقول الأمان وأجابوا جماعة حشمه وبطارقته
بمثل ذلك فأتى خالد ووضع السيف وقاده أسيرا
وقال يا عدو الله لا أمان لك عندي إلا أن تسلم وتبعوا
جماعة من بطارقته ووضعوا السيف وقتل من الروم
نحو ثلاثة آلاف وقتل من المسلمين تلك الليلة في شطط
البلد مائة أربع وثمانون رجلا قريبا من سوق المدينة
وعند الأبواب وعند القصر الأعيان منهم يزيد بن
مسلم الأنصاري وعبد الله بن أسعد بن زرارة الأنصاري
وابن المسيب بن يحيى الفزاري وأسمه عدي ومهلهل
ابن نافع التميمي وسلام بن رافع العجلاني وطارق
ابن المهلب وكامل بن عوف وعبد الله بن ضرار
وغياث بن جابر وسمرة بن عامر وحماد بن عمرو
والباقي من أخلاط الناس وجلهم من بني عياض
وجماعة من الأمراء فتشكوا إليهم أهل البلد

وصالحوا وعوق لهم غنائمهم وصار عدو الله يتملق بين أيديهم
ويستضعف لهم ❀ فانكبوا على خالد رضي الله عنه حتى
صالحهم على ألف ألف مثقال من الذهب وألف ألف
أوقية من الفضة البيضاء وعشرة آلاف وسق من البر ❀
والشعير والجزية في العام المقبل وخالد لا يطمئن قلبه
لشيء من ذلك وغلبوا جماعة على رأيه وقالوا له صار
بنا البلاء والحصار وهلك الكل فما نراك إلا من أشفق الناس
علينا ونرى من الرأي أن ترسل إلى عمر وتعلمه بذلك
وهذا الكتاب موثوق عندنا فلهذا كتب خالد إلى
عمر وكانا يخبره بذلك وكان عمر رضي الله عنه قال
لهم من قال الموت الموت يعني الأمان فأمنوه ❀ فلما
بلغ عمر والمكاتبة رد لهم الجواب أنهم ليستوثقوا منه
ويأخذوا ما صالحهم عليه ويتركوهم وإلا تقتلوا منكم
أهل الضعيف فتقبل خالد رضي الله عنه ذلك ❀ وقبله
فأمنوه منه وأطلقه بعد أن استوثق منه بالأيمان
وأطلقه وشرط لهم أن يخرجوا إلى ظاهر المدينة
ويتركوا عنده من يقبض ذلك فخرجوا إلى ظاهر

المدينه

المدينة وتركوا المسلمين عنده فقاتله بن زيد السلمي
وعون بن ساعدة الكندي ومقسوم بن سعيد الجهني
ومائتين من المسلمين وأخرج لهم الميرة والعلوفة وصار
كل يوم يركب ويتردد للأمرا ❀ ويداهنهم ويعطيهم
ولم يترك أميرا إلا خادعه حتى طابت نفوسهم إليه إلا
خالد رضي الله والفضل والمقداد وعبد الرحمن بن أبي بكر
والزبير لم تطمئن أنفسهم رضي الله عنهم إلى ذلك وأقاموا
شهرين على ذلك وأرسل جمع الغلال وغزى جميع ما يحتاج
إليه واستدعا بكبار قومه ومن يثق به واتفق رأيهم
على قتل المسلمين والغدرة بأصحاب رسول الله صلى الله
عليه وسلم وصبروا إلى هزيع من الليل فهجموا على أصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم ووضعوا السيف فيهم وهم
راقدين فما ثاروا إلا والسيف يقطع في نحورهم وكانت
وقعة عظيمة وثار خالد بمن معه وكان الزبير بن العوام
راقد فسمع الصايح فنادى لا وجه دونها ثم ركب
وركب من معه وقاتلوا القتال الشديد وعقد والله
تارة يكر يمينا وتارة يكر يسارا والسيف يعمل

عنه

والرجال تقتل وكانت ليلة شديدة وصار خالد يقول
يا قوم كم قلت لكم ما تسمعون لخالد والنجا زياد بن
أبي سفيان وأخوه هبار وميسرة بن مسروق رضي الله
عنهم وقصا لعب بن عبد شمس وعقيب بن عبد يغوث وعبادة
ابن تميم وجندبة الكلابي إلى تل هناك فأحاطت
بهم طائفة من الروم إلى التل الذي من الجهة الغربية
قرب باب الجبل وأحاطت بهم الروم من كل مكان
فقاتلوا على التل قتالا شديدا وانحدر زياد رضي الله
عنه من التل وتبعه أصحابه فأحدقت بهم الروم
وداروا بهم ودار البوار بالمعصم وقتلوا زيادا
رحمة الله عليه وجميع من ذكرنا من الأمرا
وقاتلت نسيبة الأنصارية وأم أبان وأسما بنت
أبي بكر وفاطمة بنت المنذر ونظراؤهن في تلك
الليلة قتالا شديدا وقتل جماعة من المسلمين فأتى
خالد وحمل عليهم وهو بالسيف صائل وفعل
بأعداء الله في حملته الهوائل وجعل يقلب الميمنة
على الميسرة والميسرة على الميمنة وأطبق عليهم هو

وجميع الأمرا فهزموهم إلى الأبواب وقد قتلوا منهم
خلقا كثيرة وهرب عدو الله وتحصن هو وقومه وغلقوا
الأبواب ولما أصبح أمر بإحضار المأسورين وصعد بهم
إلى أعلى البرج وضرب أعناقهم فشق ذلك على المسلمين
وصعب عليهم وبكوا على ما فعل عدو الله بإخوانهم
وأتى خالد وبقية الأمرا إلى مكان المعركة فوجدوا
الشهدا ووجدوا زيادا رضي الله عنه بينهم وفيه
عشرون طعنة وأربعون ضربة بالسيف وإلى جانبه هبار
أخوه فيه عشر ضربات بالسيف في رأسه وواحدة
قطعت فخذه فبكى خالد عليهم بكاء عظيما وبكت
عليهم الأمرا وأبطال المسلمين وجعل خالد يرثيهم ويقول

أرى دمعي كالسحائب تهمع ⁂ وقلبي من فقد الأحبة يفزع
وأظلمت الدنيا على نور عبرتي ⁂ وكاد فؤادي بالتنائي يتقطع
لفقد زياد أحرق البين أدمعي ⁂ وغاب صوابي حين عاينت مصرعه
فقد كان في بحر المكارم صائلا ⁂ تزلزل أركان العدى وتضعضع
وقد كان مقدام الفوارس كلما ⁂ تشكل مكان للأعادي تجمع
لحا الله يوما شتتنا فيه ملتقى ⁂ وأحبابنا من أعين الطعن تدمع

أيا سيدا من آل هاشم لم يزل ۞ له رتبة بالجود والمجد ترفع

يعز علي أن أراك معفرا ۞ ورأسك من فوق الجنادل توضع

بجانبك الهتان أضحى معفرا ۞ طريحا على ظهر الثرى مبضع

ألا لعن الرحمن بطلوس قومه ۞ والعنه مع كل قوم تجمع

فقد غدر السادات من آل هاشم ۞ نجوم وأقمار على الناس تطلع

ثم بكوا المسلمون بعد ذلك بكاء عظيما على من قتل من الأمراء ۞ وأبطال المسلمين وجمعوهم وصلوا عليهم وواروهم إلى جانب التل فإذا هم ثمانون شهيدا رضي الله عنهم وقتل تلك الليلة ثلاثمائة خمسة وسبعون رجلا ۞ من الأعيان وأولاد الأمراء منهم زياد بن أبي أبي سفيان بن الحارث بن عبد المطلب وأخوه العباس وحرملة بن يسار ومالك بن عباد وطرفة بن عيلان وحمران بن حوشب والوليد بن عتاب وجعفر بن كنانة ومغيث بن أبي زارع وجودان بن حنظلة وجعدة بن طراد وعنترة بن مزمل وزيد بن عسلوج ومعقل بن جندب بن

وزاجر بن عوانة ومحمد بن مسعود ونجيم بن خزاعة ۞ والموافا بن مرزوق ومع هؤلاء الأمراء وأولاد الأمراء والبقية من أخلاط القبائل ۞ قال وأقام المسلمون على ذلك ثلاث شهور إلا أنهم يشنون الغارات على السواد والسواحل ومضى القعقاع بن عمرو وهاشم وأبو أيوب وعقبة ابن نافع الفهري وزيد بن ثابت وعبد الله بن عمر والمقداد ابن الأسود الكندي إلى الواحات ففتحوها في أقل من شهر ومضى عقبة بن نافع الفهري بألف فارس وأغار على حد برقة ۞ ثم عاد وهو أحد الأمراء في فتح المغرب بعد ذلك رضي الله عنهم أجمعين قال الراوي ولما طال الحصار وطال المكث على مدينة البهنسا اجتمع المسلمون عند خالد رضي الله عنه واستشاروه فيما يفعلون وماذا يكون من الرأي ۞ فوثب عبد الرزاق الأنصاري وعباد بن مازن الداري ۞ وكعب بن نائل السلمي وأبو مسعود البدري وأبان ابن سعيد بن العاص وجبلة بن عامر بن خديج وزيد بن سعد البياضي وقالوا لما قوم العدو قد وهبنا أنفسنا لله عز وجل

ولعل أن يكون للإسلام في ذلك فرجا واصنعوا منجنيقا واملؤا غرائر
قطنا ويأخذ كل واحد منا سيفه وجحفته وإذا كان
الليل ونام الحرس ألقونا على أعلى السور واحدا بعد واحد
والمعونة من الله في فتح الباب كما فتحتم باب القصر
بمصر ودار النحاس وكما صنعتم في خيبر مع رسول الله صلى الله
عليه وسلم فاستصوبوا رأيهم. فلما أصبحوا قطعوا الأخشاب
وصنعوا منجنيقا وصنعوا له حبالا وأتوا بغرائر فملؤها
قطنا وصبروا إلى الليل فدخلوا هؤلاء السادات في الغرائر
بعد أن جربوا المنجنيق بحجر فسقط على أعلى الجدار ثم
داروا على الكفة فكان أول من وضع في الكفة
أبان بن سعيد بن العاص بن أخي عمرو بن العاص ورفع
فسقط على أعلى البرج ومن بعده أبو مسعود البدري
وعبد الرزاق إلى أن أرموا جميعهم وصاروا فوق
السور ثم رتب خالد أصحابه على الباب وأما عبد الرزاق
وأصحابه لما صاروا بأعلى الجدار نزلوا إلى البرج فإذا
هو مغلوق والحراس نيام فنزلوا إلى الدهليز بين البابين
فوجدوه وهما مغلوقين فذبحوا البوابين عن آخرهم

ووجدوا المفاتيح تحت فراش كبيرهم في جانب سريره
فأخذوهم وفتحوا الأبواب وإذا بالباب الثاني الذي ينتهي
إلى قصر الملك مغلوق من داخل المدينة فاحتالوا على
قطع حجر بعد حجر فقطعوهما وأزالوا الأحجار وفتحوا الأبواب
وفعلوا ذلك كله في أقل من طرفة عين بمعونة الله
عز وجل وأخرجوا المتاريس من مواضعها وفتحوا الباب
وصعدوا إلى البرج فعالجوا الباب ففتحوه وقتلوا جماعة
واستيقظ منهم جماعة وثاروا عليهم وخافوا على الباب
أن يؤخذ منهم ولن يحولوا بينهم وبينه وهو باب
السور الذي بظاهر المدينة ففتحوه وصاحوا الروم
واستيقظ البطلوس وركب جواده وكان على حذر
وركب المسلمون وولجوا في الباب وخرجت البطارقة
وخرج البطلوس من قصره وثار الصياح وزحفت
الروم إلى الباب وكان أول الناس قتيلا ذلك اليوم
عبد الرزاق قتل رحمه الله من داخل الباب المعروف
بباب قلندوس وسبق عباد بن مازن فقتل هو وقتل
كعب بن نائل السلمي بداخل الباب لما فتح وخرج مهزوما

حدثنا قيس بن مازن الحميري عن عبادة بن سالم السكاكي
عن أبي مسعود البدري وكان أول من فتح الباب
قال فتح الباب ليس على هذه الصفة وأخبرنا سالم بن حماد
عن أبي عبد الله عن أبي محمد الأنصاري عن عبد الله
البدري قال كان أبو محمد عبد الله الحسني يقرأ هذا
الفتوح بالجامع الغربي العمري على الشيخ أبي عبد الله
حتى بلغ إلى هنا وذكر الفتح وأن الرجال وضعت
الغرائر فقال الشيخ يا بني ليس الأمر هكذا فقد
روي عن أبي مسعود البدري وهو الصحيح لأنه إحدى
من فتح الباب قال إنهم قطعوا الخشب ووضعوا سلما
للتسليق عاليا على جدار المدينة وصبروا إلى الليل
وأسندوه للجدار وتسلق منه أربعون رجلا السبعة
المذكورون منهم وفتحوا الأبواب كما ذكرنا
واستيقظت الروم وخرجوا إليهم بعد فتح الأبواب
فكان السابق إلى الباب عبد الرزاق رضي الله عنه
فتكاثروا عليه وقتلوه وقتلوا معه من ذكرنا أولا
وتسابق المسلمون إلى الباب فكان أول الناس دخولا إلى

المدينة ضرار بن الأزور رضي الله عنه وهو ينشد ويقول
الجن تفزع يوم الحرب من فزعي ۞ إذا أتيت إلى الهيجا
بلا جزع ۞
يا ويح من وضع الأرصاد تخذ غنا ۞ وتحوز توميه
الأبكار والخلع ۞
لأرضين إلهي في جهادكموا ۞ ليس الجسور على الفرسان
منقطع ۞
يا ويح كلب العدى البطلوس إن حكمت ۞ فيه يدي
بقضيب غير مرتدع ۞
عيب علي إذا لم ألقيه به ۞ مضع فوق أجنابه الثرى بضع
ثم دخل من الباب وتبعه الأمير خالد بن الوليد
رضي الله عنه وهو ينشد ويقول ۞
ليوم يوم الوفا والطعن بالأسل ۞ والضرب بالعضب
في الهامات والقلل ۞
قطع أعناق أعداء الإله إذا ۞ صار الهياج كلجج
الليل منسدل ۞
ويا بطلوس أرض البهنسا إذا ۞ لم ألقه بطليق

بنا الحمد معد لنا

إذا لم أسق قومي كأس الممات به ❁ فلا سلمت ولا بلغت لي أملي

دخل من بعده ذو الكلاع الحميري رضي الله عنه

وهو ينشد ويقول

إني لمن حمير العالون في النسب ❁ أهل الثنا والوفا والمجد والحسب

أسد غضنفرة سوس جحاجحة ❁ يبردوا الكماة غداة الحرب بالقضب

الحرب عادتنا والضرب همتنا ❁ وذو الكلاع دعانا عند ذي الرتب

تبت يدا اللات ومما عملوا ❁ لنا صوارم تبري الأعضاء والعصب

قال ودخل من بعده الزبير بن العوام والراية بيد ولده عبد الله وهو ينشد ويقول

أيا بطليوس يا كلبا لعينا ❁ ويا نسل الطغاة الأرذلينا

أتتك حماة دين الله حقا ❁ وأولاد الجبابرة الخيرينا

خيار الناس نسل بني نزار ❁ لكلهم في الأعادي قاطعينا

إذا اختبك العجاج بهم تراهم ❁ بحولك كالسباع الضاريينا

ولا فيهم جبان ولا هيوب ❁ ولا نذل لاتنظره حزينا

ولست ترى سوى مقدام قوم ❁ لنار الحرب صنديد مبينا

ثم دخل من بعده عبد الرحمن بن أبي بكر وهو ينشد ويقول

أتينا البهنسا بكل قرم ❁ شديد البأس في يوم البراز

وجيش يملأ الآفاق رعبا ❁ على الأعداء طول الدهر غازي

يجندل في العداة بكل عضب ❁ ولم يلو من الخوف مما يحاز

ثم دخل من بعده عبد الله بن عمر وهو ينشد ويقول

اليوم طاب الطعن في اللئام ❁ والضرب في الأعناق بالحسام

وأنصر الإسلام باهتمامي ❁ ولم أزل عن ساداتي أحامي

أنا الشجاع الفارس الهمامي ❁ وموردا الأعداء للحمام

ثم دخل من بعده الفضل بن العباس وهو ينشد ويقول

ألا إننا السادات من آل هاشم ❁ ليوث كرام ماضيين العزائم

لنا تشهد الأبطال في كل معرك ❁ وتذكر عنا كل أهل المواسم

إذا اشتدت الأهوال واشتبك القنا ❁ فقلنا لنا في ذاك فعل العظائم

ثم دخل من بعده الفضل بن أبي لهب وهو ينشد ويقول

لنحوك يا بطلوس عزمي قد طلب … بحد حسام كالشعاع إذا انتدب
يطير شرار النار من لمعانه … بيد شجاع الخيل بن أبي لهب
فويلك يا ملعون منه إذا سطا … بصارمه يوم الهياج وإن وثب
ثم دخل من بعده غانم بن عياض الأشعري وهو ينشد ويقول
قسماً بمن خلق السما ومن رفع … وزان معانيها الجميع وقد صنع
لا أنثني يوم الهياج عن العدى … بمهند الصمصام إلا أن قطع
فالويل للبطلوس من سطواتنا … لأفرقن بحد سيفي ما جمع
ثم تقدم المقداد بن الأسود وهو ينشد ويقول
أنا الكندي والليث الشجاع … دواماً في العدى قد طال باعي
وتشهد لي الرجال بكل حرب … والهيجا قد طبع انطباعي
فوا ثارات عبد الله إني … عليه باك حزان ناعي
ثم تقدم من بعده أبان بن عثمان وهو ينشد ويقول
أنا ابن عثمان الشجاع الهمام … ومردي الأعدا بحد الحسام
فالويل للبطلوس من حربنا … في معمع الهيجا يوم الزحام
إن قدر المولى فلا بد أن … نسقيه يوم الحرب كأس الحمام
ثم تقدم من بعده عبد الله بن جعفر وهو ينشد ويقول

نحن الليوث ذوو المعروف والكرم … وفي المسامع يوم الحرب ذو همم
نجندل لون العدى في كل معترك … وقاهرهم ونصرهم في كل مصطدم
لا يعجبنك يا بطلوس جيشك في … هذا المقام فعندنا الكل كالرخم
ثم تقدم من بعده مسلم بن عقيل وهو ينشد ويقول
ضناني الحزن والهم الطويل … وأقلقني التسهد والعويل
فوا ثارات جعفر لعم علي … كبار المجد آل بني عقيل
سأقتل بالمهند كل كلب … عسى بالثار أن يشفى غليلي
ثم شرحبيل بن حسنة ثم القعقاع بن عمرو التميمي ثم مالك الأشتر النخعي ثم عبادة بن الصامت ثم أبو ذر الغفاري ثم أبو هريرة الدوسي ثم ابنه عبد الرحمن ثم معاذ بن جبل ثم شداد بن أوس ثم قيس بن هبيرة ثم عتبة بن عامر ثم أبو دجانة الأنصاري ثم جابر بن عبد الله ثم البراء بن عازب ثم النعمان بن بشير ثم سعيد بن زيد أحد العشرة رضي الله عنهم أجمعين ثم ذبن الفضيل ثم أبو لبابة بن المنذر ثم تتابعت الأمرا يتلو بعضها بعضاً بهمة وعزيمة وخرجت الروم إليهم واقتتلوا قتالاً شديداً

وتواثبت جماعة من الأمراء مثل الزبير بن العوام وابنه
عبد الله وعبد الرحمن بن أبي بكر إلى باب البحر واقتتلوا
قتالا شديدا وتقدم عبد الله بن الزبير إلى الباب
والروم على الطبوق فترجل عن جواده وصلى ركعتين
والحجارة تتساقط عليه وهو لا يكترث لذلك وتقدم
هو والفضل وعبد الرحمن بن أبي بكر إلى الباب
فخلصوا السلاسل من فوق وصعدوا إلى أعلا البرج وهدموا
الشراريف ووضعوا السيف في الحراس وفتحوا الباب
ووثب شرحبيل بن حسنة والفضل بن العباس وأبو ذر
وأبو أيوب الأنصاري إلى باب الصعيد والمسيب بن يحيى
والقعقاع بن عمرو التميمي والأمير غانم بن عياض الأشعري
إلى باب الجبل وفتحوا الأبواب واقتتلوا قتالا شديدا
وقاتلت الروم قتالا شديدا حتى طلعت الشمس وارتفعت
وقاتل عدو الله قتالا شديدا وجندل أبطالا وقتل
رجالا واقتتلوا في الأزقة والشوارع وبين الأبواب
وتقدم خالد إلى البطلوس وهو يصيح وإذا بسليمان قد
طعنه طعنة طائر قد دخل في صدره أخرج السنان يلمع

من ظهره وعجل الله بروحه إلى النار وبئس القرار فلما رأت
الروم ذلك فروا إلى الأبواب واتبعوهم المسلمون قتلا
ونهبا وأسرا وقتل منهم نحو ثلاثين ألفا بوسط البلد
كما ذكر خالد رضي الله عنه في قصيدته المشهورة وأسروا
منهم عشرين ألفا وصاروا يصعدون إلى البيوت ويأخذون
الرجل من بين حرمه من الروم ويقتلونه حتى كلت
سواعدهم من الذبح وجرى الدم في الأزقة كالنهر
وصارت القتلى مطروحين في الشوارع والأسواق
وغيرها وخرجت لهم النصارى والقبط وهم يبكون
ويقولون نحن أهل ذمتكم ونحن أعوام وتجار
وسوقة وكنا مغلوبين على أمرنا وقتل خيارنا
بأسيافكم فأجيرونا وارحمونا يرحمكم الله فأراد
خالد أن يصنع بهم كما صنع بأصحابهم فمنعه الأمير
غانم وبقية الأمراء وقالوا إنما هؤلاء أعوام وسوقة وليس
عليهم مقدرة فاتركوهم فتركوهم وقالوا لهم
بشرط أن تدلونا على من اختفى نفسه وصاروا يدلونهم
على من اختفى في المطامير والمخابي ومن فر من الأبواب

تبعوه فمن فر إلى الباب الشرقي قتل أو غرق في الما ومن خرج
اتبعوه وتركوهم في بطون الأودية والأزقة مطروحين
ولم يزالوا يقتلون ذلك اليوم كله وفي اليوم الثاني
استدعوا بثيران البقر من بقر السواد الذين كانوا
هاربين عندهم وبقر الدواليب ووضعوا عليها الأكن
وصاروا يجمعون ستة وعشرة ويربطون بأرجلهم
بالحبال ويجرونهم على الأبقار بعد انتزاع ما عليهم من
اللبوس والخوذ والسلاح والعدة وأخرجوهم إلى
ظاهر البلد وحفروا لهم حفاير عظاما وجعلوا عليهم
أتلالا من الرمل وأشهروا قبور الشهدا رضي الله عنهم
وأخذوا ألواح الرخام وكتبوا عليها أسماهم ووضعوها
على الأقبية والقبور والمدافن ورجعوا إلى قتلا
البلد فواروهم في قبورهم وقتل من المسلمين في
ذلك اليوم نحو أربعماية أو أكثر الأعيان منهم
ضابعن بن فرقد وعبد الله بن حميد وعبيد بن حرملة
وعبد الله بن النعمان وعبد الرزاق الأنصاري
وعبد الرحيم اللخمي وابن حذيفة اليماني وأبو سلمة

الأسدي وأبو العلا الحضرمي وأبو كلثوم الخزاعي.
وأبو مسعود الثقفي وأبو زياد اليربوعي وأبو سنان
الدارمي وابن أبي دجانة الأنصاري وهاشم بن نوفل
القرشي وعمارة بن عبد الدار الزهري ومالك بن
عبد الله الحارثي وأبو سراقة الجمحي ثم البقية من أخلاط
القبايل رضي الله عن أصحاب رسول الله أجمعين وقتل
عند سوق التمارين نحو عشرين ودفنوا هناك وعند
سوق الصابون جماعة كثيرة وقريبا من العطارين
وقريبا من البربا في جانب القنو نحو أربعين وقريبا
من البحر اليوسفي جماعة عند الصور قال الراوي
ولما وارت المسلمون شهداهم صعدوا إلى القصر
وإلى قصور البطارقة ودورهم ومقاصيرهم فوجدوا
فيها من آنية الذهب والفضة ما لا يوصف ومن المتاع
والحلي واللآلي والجواهر والنمارق والبسط والوسايد
والمساند واقتتلت الروم على بغل محمل عند الباب
الشرقي فغلبوهم عليه المسلمون وأخذوه فإذا عليه
صندوق ملآن فصوصا ومعادن فاشتراه رجل من

المسلمين يسمى طاهر ابستة آلاف دينار فباع منه بكذا
كذا ألف دينار وكان آثار ذلك عندهم بأرض
البهنسا مدة طويلة وأخذوا بساطا فحملوه من حسنه
وأرسلوه مع الخمس إلى المدينة فحصل لعلي رضي الله عنه
قطعة باعها بعشرين ألفا وغنم المسلمون غنائم كثيرة
من أواني الذهب والفضة وغير ذلك حدثنا عون
ابن عبيد عن عبد الحميد بن عمران عن أبي أمية
قال كنا في حصار المدينة إذا قربنا النار من الأبواب
فيأتوا بالماء فنجارنا فرق إلى الأبواب فأطفوها وكذلك
أبواب القصر والكنيسة فهدم المسلمون القصر
والكنيسة وتلك الدور وفتحوا خزائن البطلوس
واستخرجوا جميع ما فيها من ذهب وفضة وغير ذلك
ولم يتركوا شيئا وقسم خالد الغنيمة بين المسلمين فكان
للفارس عشرة آلاف مثقال من الذهب وألف أوقية
من الفضة ومن الثياب واللبوس وغير ذلك ما لا يوصف
ولما دخلوا الكنيسة ورأوا قصاورها والقناديل
الذهب والفضة والصور والستور الحرير والسقوف

المنقوشة والأعمدة وغير ذلك فقرأ خالد رضي الله عنه
كم تركوا من جنات وعيون وزروع وكنوز ومقام
كريم ونعمة كانوا فيها فاكهين كذلك وأورثناها
قوما آخرين ۝ وأخربوا تلك البيعة وجعلوا في جانبها
مسجدا على أعمدة الرخام وغيره مسقوفا بتلك الأخشاب
وهو الجامع الأول قبل أن يبني الحسن بن صالح هذا
الجامع الآن وتأخرت هذه الزيادة وبقية الأخشاب
والحجارة جعلوا منها مساجد ورباطات ۝ حدثنا
عبد الحميد عن قيس بن مهران عن أبي جعفر قال كان
بمدينة البهنسا أربعون رباطا ومن المساجد ما لا يعد
وأخربت الصحابة تلك المعالم وبنوا لهم دورا لأنفسهم
واختطوا فيها أماكن وشرعوا في العمارة وأقام
خالد رضي الله عنه بمدينة البهنسا هو ومن معه
يصلحون المساجد والرباطات ويخربون معالم الروم
شهرا كاملا ۝ ثم خمس الخمس وأرسل لعمرو بن
العاص ومن معه بمصر نصيبهم من الغنيمة وأرسل الخمس
أيضا لعمر بن الخطاب إلى المدينة فكان ذكرنا مع أبي نعيم

الأنصاري والفضل بن فضالة وأبي دجانة فلما ورد الكتاب
على عمرو فرح فرحاً شديداً ثم كتب لعمر كتاباً مع أبي
نعيم صحبة كتاب خالد وسار ومعه ثلاثون من أصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى ورد المدينة ودخل
على عمر قال فوجد عنده جماعة وقد أخرج لهم قصاعاً
ومناسف من ثريد ولحم فلما رآنا عانقنا وتهلل وجهه
فرحاً وجلسنا كلنا وهو قائم على رؤوسنا متكي على عصاة
رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما فرغنا ناولته الكتابين
فقرأهما وفرح فرحاً شديداً ونادى في الناس الصلاة
جامعة فخطب وحمد الله وأثنى عليه وصلى على رسول الله
صلى الله عليه وسلم وقرأ عليهم الكتابين واستدعا
بالصحابة فقسم عليهم الغنيمة قال ولم يترك لأهله درهماً
ولا ديناراً ولا ثوباً رضي الله عنه وأخذني ومضى إلى
بيته عند أم كلثوم بنت علي بن أبي طالب فأدخلني إلى
بيته فإذا فراش من أديم حشوه ليف ووسادة من صوف
وقطيفة فجلست فقال لأم كلثوم ما عندكم شيء من
الطعام فقالت لا إلا لبناً حامضة فقال لها ألك لي إلا إني عندنا

ضيف نحضرت بسكة من سمن وقليل عسل وأتت بفطير مع جارية
فأكل اللبن وأقسم علي فأكلت قليلاً من السمن وأخرجت
البقية لأصحابي وشرعت أحدثه عن البطلوس وهو تارة
يبكي وتارة يضحك من فعله ويبكي على من قتل من الأمرا
وخرجنا إلى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ذلك
وجاءت الناس يسألون عن أهاليهم منا فأخبرناهم بمن مات
ومن قتل فضج الناس بالبكا وضجت المدينة بالبكا
وعلت الضجات على من مات وجاء الناس لعلي ولعقيل ولبني
هاشم يعزوهم في من قتل وأقمنا بالمدينة سبعة أيام
ورجعنا إلى مصر بكتاب عمر إلى عمرو وخالد بالمسير إلى
الصعيد قال الراوي هذا ما جرى لهؤلاء وأما خالد
رضي الله عنه فإنه بعد شهر ترك الناس من أصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم بأرض البهنسا من جميع القبايل
وخرج بألفي فارس إلى أرض الصعيد وكانت القبايل
من بني هاشم وبني عبد المطلب وبني مخزوم وبني عبد
الدار وبني زهرة وبني نزار وبني جهينة وبني مزينة وبني
غفار وبني الأوس وبني الخزرج وبني مذحج وبني طي

وبني نهد وبني خزاعة وكان الأمير عليهم مسلم بن عقيل
واختطوا المساكن وجعلوا بالمدينة أسواقا وشوارع ۞
وسكن أكثر الصحابة على جانب البحر اليوسفي وجعلوا
من البحر إلى الجانب الغربي شارعا واحدا لأجل سبح
دوابهم في البحر وأقام مسلم بن عقيل متولي عليها إلى
خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه فتولى محمد بن
جعفر بن أبي طالب بعده ومضى مسلم وترك أولاده ۞
وأولاد إخوته بها ولم يزل بالمدينة حتى قتل في خلافة
الحسين بالكوفة رضي الله عنه وأقام محمد بن جعفر
رضي الله عنه إلى خلافة علي رضي الله عنه وتولى عليها
علي بن عبد الله بن العباس رضي الله عنه إلى خلافة
معوية وكان عليها عبد العزيز بن مروان ۞
الأموي وتولى من بعده طاهر بن عبد الله وكانت
قريش والأشراف بالجهة الشرقية ويقال لها حارة
الأشراف وكان لكل قبيلة حارة ۞ قال
أبو المنهال لما فتحت مدينة البهنسا كانت أهلة
بالجند فاجتمعت السوقة والمتسببين من أهل المدينة

فكانوا أربعين ألفا ۞ حدثنا حماد بن الزيد عن أبي صالح
عن ابن نوفل المرادي قال كان بمدينة البهنسا أربعمائة
بقال حين فتحت يبيعوا الخضر وغيره وكانت مدينة
عظيمة ۞ فلما وقع بين بني أمية وبين بني العباس رحل منها
أكثر الناس وكان وقع بين بني أمية وبني هاشم أمرا
فأخرجوا منها جماعة وتخلخل أكثرها وتسلط عليها
جماعة من العربان حين جاء الحسن بن صالح رضي الله
عنه وإخوته في خلافة بني العباس فعمر الجامع
وكثر الزوايا والرباطات وأقام بها حتى مات
رحمة الله عليه رجعنا ۞ إلى الحديث وخرج
خالد بمن معه إلى الصعيد ولم يزل يفتح مدينة بعد
مدينة حتى انتهى إلى آخر الصعيد ثم إلى عيداب
وسواكن وليس مقصودنا في هذا الكتاب ۞ إلا فتوح
البهنسا خاصة الذي عليه مدار هذا الكتاب وفضائل
السادات الشهدا والرباطات لأن بتربتها خمسة آلاف
صحابي وحضر فتح البهنسا نحو سبعين بدريا من أصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم وزيارتها تعظم الأجور

وقد زارها جماعة من العراق مثل سيدى بشر الحافى
وسرى السقطى ومالك بن دينار وسحنون ومثل هاؤلا
السادات وزارها من أقصى المغرب سيدى أبو مدين
وشعيب وسيدى أبو الحجاج الأقصرى وسيدى أبو
عبد الله وزارها الفضل بن عياض والكل لأجل
من بتربتها من الصحابة وأولاد الصحابة رضى الله عنهم
وروى أن إقليم البهنسا أكثر بركة من جميع
الأرض التى بمصر كلها وكان عمرو بن العاص
رضى الله عنه يقول إن رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال ليس بعد مكة والمدينة والأرض
المقدسة والطور أرضا مباركة إلا أرض مصر
والبركة فى الجانب الغربى **قال الراوى**
ولعلها البهنسا وكان على بن الحسن يقول
إن ليس بأرض مصر بالوجه القبلى أرض مباركة
ولا أكثر بركة من أرض البهنسا وكان
على النورى إذا أتى جبانة البهنسا ينزع ثيابه
ويتمرغ فى الرمل ويقول يا لكى من بقعة طال

ما طار غبار ركى فى سبيل الله وكان أبو على الدقاق إذا مر
بجبانة البهنسا يقول يا لكى من تربة ضمت أعضاء رجال
وأى رجال طال ما عرفت وجوههم فى سبيل الله وقتلوا
ابتغاء مرضات الله وقيل للحسن بن صالح لم اخترت هذه
البلدة على غيرها قال كيف لا أوى إلى بلدة أوى إليها
روح الله وكلمته وينزل على جبانتها فى كل يوم ألف
رحمة ولما ولى عبد الله بن طاهر مصر تجهز وأتى البهنسا
فلما قرب من الجبانة ترجل عن جواده وترجل من معه
وكان الوالى عليها عبد الله بن حسين الجعفرى فخرج
إلى لقائه ماشيا وسلم عليه فلما وصل إلى الجبانة قال
السلام عليكم أحيا الدارين وخير الفريقين ثم
التفت إلى أصحابه وقال إن هذه الجبانة ينزل عليها
كل يوم مائة رحمة وإنها تزف بأهلها إلى الجنة
ومن زارها تساقطت عنه ذنوبه كما يتساقط
الورق من على الشجر فى يوم ريح عاصف فكان
عبد الله فى كل يوم بعد ذلك يخرج حافيا فيزور
ثم يعود حتى مات رحمة الله عليه حدثنى رجل

من أهل البهنسا من أهل الخير والصلاح يسمى عبد الرحمن بن ظهيرة
قال كان لي جار مسرف على نفسه فمات ودفن قريبا من
الشهداء الذين بالجانب الغربي فبينما أنا نائم فنظرته وإذا
عليه ثياب من السندس الأخضر وعلى رأسه تاج من الجوهر
وهو في قبة من نور وحوله جماعة لم أر أحسن منهم وجها
ولا ثيابا متقلدين بسيوف وهو بينهم فسلمت عليه وقلت
يا هذا لقد سرني حالك فقال يا هذا إني نزلت بجوار
قوم يحمون النزيل في الدنيا من العار فكيف لا يحمونه
في الآخرة من النار وقد استوهبوني من العزيز
الغفار غافر الذنوب والأوزار وأسكنني جنات
تجري من تحتها الأنهار قال ذو النون المصري رضي الله
عنه كنت في كل سنة آتي البهنسا وأزور الجبانة لما
رأيت لذلك من الأجر والثواب فحصل لي سنة من السنين
عارض فاشتغلت عن زيارتها فبينما أنا نائم ليلة من
الليالي إذ رأيت رجالا لم أر أحسن منهم وجوها
ولا أنقى أثوابا على خيول شهب بأيديهم رايات
خضر وجوههم تتلألأ نورا فسلموا علي وقالوا لقد

اوحشتنا

أوحشتنا في هذه السنة يا ذا النون فإن لم تزرنا زرناك
فقلت لهم من أنتم قالوا نحن أصحاب محمد المختار الشهداء
الأخيار كنا بأرض الروم لنصرة المسلمين على أعداء
الدين فمررنا عليك لنسلم عليك وننظر ما سبب
انقطاعك عنا فقلت في أي أرض أنتم قالوا نحن
سكان جبانة البهنسا ولك علينا حق الزيارة لأنك
من أهل الإشارة فقلت لهم يا سادات لا أعود
وحبل الوصل بيننا ممدود وما كنت أعلم أنكم
تعلمون من زار وما كنت أظن في نفسي هذا المقدار
فقالوا يا ذا النون أما تعلم أن الشهداء عند ربهم
يرزقون وبهذا نطق الكتاب المكنون ثم
تركوني ومضوا على الآثار وفي قلبي لهيب النار
ما هنا لمن زار هذه السادة الأخيار ولقد أتيت
في هذا الكتاب بكل نادرة عجيبة وحكايات
غريبة وهو كتاب كامل المعاني والبيان عظيم
القدر والشان لا يسمعه إلا أولوا البصائر والألباب
ولا يفهمه إلا أهل الخطاب ولا يقال إلا بين أهل

الذوق والمعرفة فهو كالزهر في الرياض لمن اقتطفه
نفع الله به قارئه والمستمعين وجعله خالصا لوجهه
الكريم وحشرنا في زمرة النبيين وخاتم
المرسلين ورسول رب العالمين
وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما
كثيرا ورضي الله عن اصحاب رسول الله اجمعين

كتبه العبد الفقير المعترف بالتقصير محمد بن احمد الغزنوي
الحسني المكتب غفر الله له ولوالديه ولمن دعا لهم بالمغفرة
ولجميع المسلمين اجمعين آمين وكان الفراغ من كتابته
في العشرين من شهر رمضان المعظم قدره وحرمته
سنة سبع وثمانين وثمان مائة من الهجرة
حسبنا الله ونعم الوكيل
آمين اللهم آمين

تم كتاب فتوح البهنسا